سورة المؤمنون ١	سورة النور ١٢	سورة الفرقان ٤٨	سورة الشعراء ٦٥
سورة النمل ٧٨	سورة القصص ٨٨	سورة العنكبوت ١٠٢	سورة الروم ١١٨
سورة لقمان ١٢٧	سورة الم السجدة ١٣٣	سورة الاحزاب ١٣٧	سورة السبا ١٤٧
سورة فاطر ١٥٥	سورة يس ١٦٣	سورة الصافات ١٨٠	سورة ص آول ١٩٥

قد رجعت عن وقفي قبل التسجيل

الجزء الثالث من مفاتيح الغيب

وهو التفسير الكبير للإمام العالم العلامة فخر العلماء وسيد الفضلاء فخر الدين الرازي

استصحبه العبد الفقير [illegible] الفضل محمود [illegible]
القاضي [illegible] عفي عنه

برحمته ورضوانه واسكنه فسيح جنانه

سورة المؤمنون

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلاتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون

اعلم انه سبحانه حكم بحصول الفلاح لمن كان مستجمعا لصفات سبعة وقبل الخوض في شرح تلك الصفات لا بد من بحثين **البحث الاول** ان قد نقيضة لما فقد تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه **البحث الثاني** الفلاح الظفر بالمراد ◉ وقيل البقاء في الخير ◉ وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة ◉ ويقال افلحه اصاره الى الفلاح وعليه قراءة طلحة ابن مصرف افلح على البناء للمفعول ◉ وعنه افلحوا على اكلوني البراغيث وعلى الابهام والتفسير **الصفة الاولى** قوله المؤمنون وقد تقدم القول في الايمان في سورة البقرة **الصفة الثانية** قوله الذين هم في صلاتهم خاشعون واختلفوا في الخشوع ◉ فمنهم من جعله من افعال القلوب كالخوف والرهبة ◉ ومنهم من جعله من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات ◉ ومنهم من جمع بين الامرين وهو الاولى فالخاشع في صلاته لا بد وان يحصل له مما يتعلق بالقلب من الافعال نهاية الخضوع والتذلل للمعبود ومن التروك ان لا يكون ملتفت الخاطر الى شيء سوى ذلك التعظيم ◉ ومما يتعلق بالجوارح ان يكون ساكنا مطرقا ناظرا الى موضع سجوده ومن التروك ان لا يلتفت يمينا وشمالا ولكن الخشوع الذي يرى على الانسان ليس الا ما يتعلق بالجوارح فان ما يتعلق بالقلب لا يرى قال الحسن وابن سيرين كان المسلمون يرفعون ابصارهم الى السماء في صلاتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فلما نزلت هذه الاية طأطأ وكان لا يجاوز بصره مصلاه ◉ فان قيل فهل تقولون ان ذلك واجب في الصلاة ◉ قلنا انه عندنا واجب ويدل عليه امور ◉ احدها قوله تعالى افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها ◉ والتدبر لا يتصور بدون الوقوف على المعنى ◉ وكذا قوله تعالى ورتل القران ترتيلا معناه قف على عجائبه ومعانيه ◉ وثانيها قوله تعالى اقم الصلاة لذكري ◉ فظاهر الامر للوجوب ◉ والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته فكيف يكون مقيما للصلاة لذكره ◉ وثالثها قوله تعالى ولا تكن من الغافلين فظاهر النهي للتحريم وقوله حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالدنيا ◉ ورابعها قوله عليه السلام انما الصلاة تمسكن وتواضع ◉ وكلمة انما للحصر ◉ وقوله عليه السلام من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا ◉ وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء ◉ وقال عليه الصلاة والسلام كم من قائم حظه من قيامه التعب والنصب وما اراد به الا الغافل ◉ وقال ايضا ليس للعبد من صلاته الا ما عقل ◉ وخامسها قال الغزالي المصلي مناج ربه كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة وبيانه ان الانسان اذا ادى الزكاة حال الغفلة فقد حصل المقصود منها على بعض الوجوه وهو كسر الحرص واغناء الفقير وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى التي هي عدوة الله تعالى فلا يبعد ان يحصل منه مقصود مع الغفلة ◉ وكذا الحج افعال شاقة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الابتلاء سواء كان القلب حاضرا او لم يكن ◉ اما الصلاة فليس فيها الا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود ◉ اما الذكر فانه مناجاة مع الله تعالى فاما ان يكون المقصود منه كونه مناجاة او المقصود مجرد الحروف والاصوات ولا شك في فساد هذا القسم فان تحريك اللسان بالهذيان ليس فيه غرض صحيح فثبت ان المقصود منه

كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب

المناجاة وذلك

المناجاة وذلك لا يتحقق الا اذا كان اللسان معبرا عما في القلب من التضرعات فاي سؤال في قوله اهدنا الصراط المستقيم وكان القلب غافلا عنه ◉ بل نقول لو حلف الانسان وقال والله لاشكرن فلانا واثني عليه واسأله حاجة ثم جرت الالفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في النوم لم يبر في يمينه ◉ ولو جرى على لسانه في ظلمة الليل وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه فلا يصير بارا في يمينه ولا يكون كلامه خطابا معه ما لم يكن حاضرا بقلبه ◉ ولو جرت هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر في بياض النهار الا ان المتكلم غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب عليه عند نطقه لم يصر بارا في يمينه ولا شك في ان المقصود من القراءة والاذكار والحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى فاذا كان القلب محجوبا بحجاب الغفلة وكان غافلا عن جلال الله وكبريائه ◉ ثم ان لسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد ذلك عن القبول واما الركوع والسجود فالمقصود منهما التعظيم ◉ ولو جاز ان يكون تعظيما لله تعالى مع انه غافل عنه لجاز ان يكون تعظيما للصنم الموضوع بين يديه وهو غافل عنه ◉ ولانه اذا لم يحصل التعظيم لم يبق الا مجرد حركة الظهر والراس وليس فيها من المشقة ما يصير لاجله عماد الدين وفاصلا بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج والزكاة والجهاد وسائر الطاعات الشاقة ويجب القتل بسببه على الخصوص وبالجملة فكل عاقل يقطع بان من مشاهدة الخواص العظيمة ليس لاعمالها الظاهرة الا ان ينضاف اليها مقصود المناجاة فدلت هذه الاعتبارات على ان الصلاة لا بد فيها من الحضور ◉ وسادسها ان الفقهاء اختلفوا فيما يتوجه بالسلام عند الجماعة والانفراد اينوي الحضور ام الغيبة والحضور معا فاذا احتيج الى التدبر في معنى التكبير والتسبيح التي هي الاشياء المقصودة من الصلاة ◉ واحتج المخالف بان اشتراط الحضور والخشوع على خلاف اجماع الفقهاء فلا يلتفت اليه والجواب من وجوه ◉ احدها ان الحضور عندنا ليس شرط القبول ◉ والمراد من الاجزاء ان لا يجب القضاء ◉ والمراد من القبول حكم الثواب ◉ والفقهاء انما يبحثون عن حكم الاجزاء لا عن حكم الثواب ◉ وغرضنا في هذا المقام هذا وامثاله في الشاهد من استعار منك ثوبا ثم رده على الوجه الاحسن فقد خرج عن العهدة واستحق المدح ◉ ومن رماه اليك على وجه الاستخفاف خرج عن العهدة ولكنه استحق الذم كذا من عظم الله تعالى حال ادائه العبادة صار مقيما للفرض مستحقا للثواب ◉ ومن استهان بها صار مقيما للفرض ظاهرا لكنه استحق الذم ◉ وثانيها انا نمنع هذا الاجماع ◉ اما المتكلمون فقد اتفقوا على انه لا بد من الحضور والخشوع ◉ واحتجوا عليه بان السجود لله تعالى طاعة وللصنم كفر وكل واحد منهما يماثل الاخر في ذاته ولوازمه فلا بد من امر لاجله صار السجود في احدى الصورتين طاعة وفي الاخرى معصية قالوا وما ذاك الا القصد والارادة والمراد من القصد ايقاع تلك الافعال لداعية الامتثال ◉ وهذه الداعية لا يمكن حصولها الا عند الحضور ◉ فلهذا اتفقوا على انه لا بد من الحضور ◉ واما الفقهاء فذكر الفقيه ابو الليث رحمه الله في تنبيه الغافلين ان تمام القراءة ان يقرأ بغير لحن وان يقرأ بالتفكر [illegible] ◉ وعن الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع [illegible] **الصفة الثالثة** قوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون [illegible] **الصفة الرابعة** قوله تعالى والذين هم للزكوة فاعلون [illegible] تطهرهم وتزكيهم بها ◉ والثاني

والاسلام

وهو قول الاكثرين انه اسم للواجب فى الاموال الخاصة وهذا هو الاقرب لان هذه اللفظة قد اختصت فى الشرع بهذا
المعنى • فان قيل انه لا يقال فى الكلام الفصيح انه فعل الزكاة • قلنا قال صاحب الكشاف الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى
فالعين القدر الذى يخرجه المزكى من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكى الذى هو التزكية وهو الذى اراده الله تعالى
فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب
فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل • وللمزكى فاعل التزكية • وعلى هذا الكلام كله يجوز ان يراد بالزكاة العين والمعنى ويقدر
مضاف محذوف وهو الاداء • فان قيل ان الله تعالى لم يفصل بين الصلاة والزكاة فلم فصل هاهنا بينهما بقوله والذين هم عن
اللغو معرضون • قلنا الترك للغو من متممات الصلاة **الصفة الخامسة** قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا
على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين • وفيه سؤالات • الاول لم لم يقل الا عن ازواجهم الجواب قال الفراء معناه
الا من ازواجهم • وذكر صاحب الكشاف فيه ثلاثة اوجه • احدها انه فى موضع الحال اى الا والين على ازواجهم او قوامين
عليهن من قولك كان زياد على البصرة اى واليا عليها • ومنه قولهم فلانة تحت فلان • ومن ثم سميت
المراة فراشا • والمعنى انهم لفروجهم حافظون فى كافة الاحوال الا فى حال تزوجهم او تسريهم • وثانيها انه تعلق على
محذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اى يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين
عليه وهو قول الزجاج وثالثها • السؤال الثانى هلا قيل من ملكت الجواب لانه اجتمع فى السرية وصفان • احدهما الانوثة
وهى مظنة نقصان العقل • والاخر كونها تباع وتشترى كسائر السلع فلاجتماع هذين الوصفين فيها حصلت كانها ليست من العقلا
السؤال الثالث هذه الاية تدل على تحريم المتعة على ما يروى عن القسم بن محمد الجواب نعم وتقريره انها ليست بزوجة له فوجب
ان لا تحل له • انما قلنا انها ليست زوجة له لانهما لا يتوارثان بالاجماع • ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله وللزوج النصف
واذا ثبت انها ليست بزوجة له وجب ان لا تحل له لقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم والله اعلم • السؤال الرابع لا يحل
له فى الزوجة وملك اليمين الاستمتاع فى احوال كحال الحيض وحال العدة وفى الامة حال تزويجها من الغير وحال عدتها
وكذا الغلام داخل فى ظاهر قوله تعالى او ما ملكت ايمانهم والجواب من وجهين • احدهما ان مذهب ابى حنيفة ان الاستثنا
من النفى ليس باثبات • واحتج عليه بقوله عليه السلام لا صلاة الا بطهور ولا نكاح الا بولى فان ذلك لا يقتضى حصول الصلاة
بمجرد حصول الطهور • وحصول النكاح بمجرد حصول الولى • وفايدة الاستثنا صرف الحكم لا صرف المحكوم به • فقوله
والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم معناه انه يجب حفظ الفروج عن الكل الا فى هاتين الصورتين فانى ما ذكرت
حكمهما لا بالنفى ولا بالاثبات • الثانى ان سلمنا ان الاستثنا من النفى اثبات • فغايته انه عام دخله التخصيص بالدليل فيبقى
فيما وراه حجة • اما قوله تعالى فاولئك هم العادون يعنى الكاملون فى العدوان المتناهون فيه **الصفة السادسة**
قوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون • قرا ابن كثير لامانتهم • واعلم انه يسمى الشى الموتمن عليه والمعاهد
عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها • وقال وتخونوا اماناتكم وانما تودى
العيون لا المعانى • وكان الموتمن عليه لا الامانة فى نفسها • والعهد ما عقده على نفسه فيما يقربه الى ربه • ويقع ايضا
على ما امر الله تعالى به كقوله الذين قالوا ان الله عهد الينا والراعى القايم على الشى لحفظ واصلاح كراعى الغنم وراعى الرعية
ويقال من راعى هذا الشى اى متوليه • واعلم ان الامانة تتناول ما تركه يكون داخلا فى الخيانة وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم • فيدخل فى ذلك العبادات التى الموتمن عليها وكل العبادات تدخل فى ذلك • لانها
اما ان تخفى اصلا كالصوم وغسل الجنابة واسباغ الوضوء او يخفى كيفية اتيانه بها وقال عليه السلام اعظم الناس
خيانة من لم يتم صلاته • وعن ابن مسعود اول ما تفقدون من دينكم الامانة واخر ما يبقى الصلاة • ومن جملة ذلك ما
يلتزمه بفعل او قول فيلزمه الوفا به كالودايع والعقود وما يتصل بهما • ومن ذلك الاقوال التى يحرم بها العبد والنسا
لانه موتمن فى ذلك • ومن ذلك ان يراعى امانته فلا يفسدها بغضب او غيره • واما العهد فانه دخل فيه العقود والايمان
والنذور فبين سبحانه ان مراعاة هذه الامور والقيام بها معتبر فى حصول الفلاح **الصفة السابعة** قوله والذين هم
على صلاتهم يحافظون وانما اعاد تعالى ذكر الصلاة لان الخشوع والمحافظة انما يصح حال ما لم يودها بكمالها والمراد بالمحافظة التعهد
لشروطها من وقت وطهارة وغيرها • والقيام على اركانها واتمامها حتى يكون ذلك دابه فى كل وقت • ثم لما ذكر الله تعالى
مجموع هذه الامور قال اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون • وها هنا سؤالات • السؤال الاول
لم سمى ما يجدونه من الثواب والجنة بالميراث مع انه سبحانه حكم بان الجنة حقهم فى قوله ان الله اشترى من المومنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة الجواب من وجوه • احدها ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابين ما يقال فيه
وهو انه لا مكلف الا اعد الله له ما يستحقه فى النار ان عصى وفى الجنة ما يستحقه ان اطاع وجعل لذلك علامة فاذا

امن منهم البعض

آمن منهم البعض ولم يومن البعض صار منازل من لم يومن كالمنقول الى المومنين وصار مصيرهم الى النار الذى لا بد معها من
حرمان الثواب كموتهم فسمى ذلك ميراثا لهذا الوجه • وقد قال الفقها انه لا فرق بين ما ملكه الميت وبين ما يقدر فيه الملك
انه يورث عنه لذلك قالوا فى الدية التى انما تجب بالقتل انها تورث مع انه ما ملكها على التحقيق وذلك يشهد بما ذكرنا **فان قيل**
انه تعالى وصف كل الذى يستحقونه ارثا وعلى ما قلتم انما يدخل فى الارث ما كان يستحقه غيرهم لو اطاع **قلنا** لا يمتنع انه
تعالى جعل ما هو منزلة لهذا المومن بعينه منزلة لذلك الكافر لو اطاع لانه عند ذلك كان يزيد فى المنازل فاذا امن هذا
عدل بذلك اليه • وثانيها ان انتقال الجنة اليهم من دون محاسبة ومعرفة بمقاديرها يشبه انتقال المنازل الى الوارث • وثالثها
ان الجنة كانت مسكن ابينا ادم عليه السلام فاذا انتقلت الى اولاده كان ذلك شبيها بالميراث • السؤال الثانى كيف حكم على
الموصوفين بالصفات السبعة بالفلاح مع انه تعالى ما تمم ذكر العبادات الواجبة كالصوم والحج والطهارة والجواب
ان قوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ياتى على جميع الواجبات من الافعال والتروك كما قدمناه والطهارات دخلت
فى جملة المحافظة على الصلوات لكونها من شرايطها • السؤال الثالث افيدل قوله تعالى اولئك هم الوارثون على ان غيرهم
لا يرث الجواب قوله هم الوارثون يفيد الحصر لكنه يجب ترك العمل به لانه ثبت ان الجنة يدخلها الاطفال والمجانين والولدان
والحور العين ويدخلها الفساق من اهل القبلة بعد العفو لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشا • السؤال الرابع اكل الجنة
هو الفردوس الجواب الفردوس هو الجنة بلسان الحبشة وقيل بلسان الروم • وروى ابو موسى الاشعرى عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال الفردوس مقصورة الرحمن فيها الانهار والاشجار • وروى ابو امامة عنه عليه السلام انه قال
سلوا الله الفردوس فانها اعلى الجنان وان اهل الفردوس يسمعون اطيط العرش • السؤال الخامس هل تدل الاية على ان
هذه الصفات هى التى لها ولاجلها يكونوا مومنين ام لا الجواب ادعى القاضى ان الامر كذلك بنا على مذهبه ان الايمان اسم شرعى
موضوع لادا الواجبات وعندنا ان الاية لا تدل على ذلك لان قوله قد افلح المومنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون قد افلح
الناس الاتقيا العدول فان هذا لا يدل على ان الزكا والعدالة داخلان فى مسمى الانسان فكذا هاهنا • السؤال السادس
روى انه عليه السلام قال لما خلق الله جنة عدن قال لها تكلمى فقالت قد افلح المومنون وقال كعب خلق ادم بيده وكتب
التورية بيده وغرس طوبى بيده • ثم قال تكلمى قالت قد افلح المومنون • وروى انه عم قال اذا احسن العبد الوضو وصلى الصلاة
لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت حفظك الله كما حافظت على وتشفع لصاحبها • واذا اضاعها قالت
ضيعك الله كما ضيعتنى وتلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها الجواب اما كلام الجنة فالمراد به انها
اعدت للمومنين فصار ذلك كالقول منها وهو كقوله تعالى قالتا اتينا طايعين • واما انه تعالى خلق الجنة بيده فالمراد تولى خلقه
لا انه وكله الى غيره • واما ان الصلاة تثنى على من قام بحقها فهو فى الجواز ابعد من كلام الجنة لان الصلاة حركات وسكنات
ولا يصح عليها ان تتصور وتتكلم فالمراد ضرب المثل كما تقول القايل للمنعم ان احسانك ينطق بالشكر • السؤال السابع
هل تدل الاية على ان الفردوس مخلوقة الجواب قال القاضى لا قوله تعالى اكلها دايم على انها غير مخلوقة فوجب تاول
هذه الاية كانه تعالى قال اذا كان يوم القيمة يخلق الجنة ميراثا للمومنين • واذا خلقها يقول كتب على مثال ما قلنا
عليه قوله تعالى ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة وهذا ضعيف لانه ليس اضمار ما ذكره فى هذه الاية اولى من ان يضمر
فى قوله اكلها دايم اى اكلها دايم يوم القيمة واذا تعارض هذان الظاهران فنحن نتمسك فى ان الجنة مخلوقة بقوله تعالى
اعدت للمتقين • قوله تعالى **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين
ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا
اخر فتبارك الله احسن الخالقين** اعلم انه سبحانه لما امر بالعبادات فى الاية المتقدمة والاشتغال بعبادة الله تعالى
لا يصح الا بعد معرفة الاله الخالق لا جرم عقبها بذكر ما يدل على وجوده واتصافه بصفات الجلال والوحدانية فذكر
من الدلايل انواعا • النوع الاول الاستدلال فى ادوار الخلقة • واكوان الفطرة وهى تسعة • المرتبة الاولى قوله
سبحانه وتعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين • والسلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر • وفعالة
بنا للقلة كالقلامة والقمامة • واختلف اهل التفسير فى الانسان • فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومقاتل
المراد منه ادم عليه السلام • فادم اسل من الطين • وخلقت ذريته من ماء مهين • ثم جعلناه الكناية راجعة
الى الانسان الذى هو ولد ادم • والانسان شامل لادم ولولده • وقال اخرون الانسان هاهنا ولد ادم والطين
هاهنا اسم ادم عليه السلام • والسلالة هى الاجزا الطينية المبثوثة فى اعضايه التى لما اجتمعت وحصلت فى اوعية
المنى صارت منيا وهذا التفسير مطابق لقوله تعالى وبدا خلق الانسان من طين وجعل نسله من سلالة من ماء مهين
وفيه وجه اخر وهو ان الانسان انما يتولد من النطفة وهى انما تتولد من فضل الهضم وذلك انما يتولد من الاغذية وهى اما

خلق ادم بيده وكتب التورية بيده وغرس طوبى بيده

المرتبة الاولى ادوار الخلقة واكوان النطفة

حيوانية واما نباتية والحيوانية تنتهي الى النباتية • والنبات انما يتولد من صفو الارض والماء فالانسان بالحقيقة يكون متولدا من سلالة من طين • ثم ان تلك السلالة بعد ان تواردت عليه اطوار الخلقة وادوار الفطرة صارت منيا وهذا التاويل مطابق للفظ ولا يحتاج فيه الى التكلفات • المرتبة الثانية قوله تعالى ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ومعنى جعل الانسان نطفة انه خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة في اصلاب الاباء فقذفه الصلب بالجماع الى رحم المراة فصار الرحم قرارا مكينا لهذه النطفة • والمراد بالقرار موضع القرار وهو المستقر فسماه بالمصدر ثم وصف الرحم بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر او بمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث هي واحرزت • المرتبة الثالثة قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة اي حولنا النطفة عن صفاتها الى صفات العلقة وهي الدم الجامد • المرتبة الرابعة قوله تعالى ثم خلقنا العلقة مضغة اي جعلنا ذلك الدم الجامد مضغة اي قطعة لحم كانها مقدار ما يمضغ كالغرفة وهي ما يغترف • وسمى التحويل خلقا لانه سبحانه يفني بعض اعراضها ويخلق اعراضا غيرها فسمى خلق الاعراض خلقا لها ولانه سبحانه وتعالى يخلق فيها اجزاء زائدة • المرتبة الخامسة قوله ثم خلقنا المضغة عظاما اي صيرناها كذلك وقرا ابن عامر عظما والمراد منه الجمع كقوله والملك صفا صفا • المرتبة السادسة قوله تعالى فكسونا العظام لحما وذلك لان اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة لها • المرتبة السابعة قوله تعالى ثم انشاناه خلقا اخر • اي خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو من اعضائه وكل جزء من اجزائه عجائب فطرة • وغرائب حكمة لا تحيط بها وصف الواصفين ولا شرح الشارحين • وروى العوفي عن ابن عباس قال هو تصريف الله اياه بعد الولادة في اطواره من الطفولية وما بعدها الى استواء الشباب وخلق الفهم والعقل وما بعده الى ان يموت • ودليل هذا القول انه عقبه بقوله ثم انكم بعد ذلك لميتون وهذا المعنى مروي عن مجاهد وابن عمر • وانما قال انشاناه لانه جعل انشاء الروح فيه واتمام خلقه انشاءه • قالوا في الاية دلالة على بطلان قول النظام في ان الانسان هو الروح لا البدن فانه سبحانه بين ان الانسان هو المركب من هذه الصفات وفيها دلالة ايضا على بطلان قول الفلاسفة الذين يقولون الانسان شيء لا ينقسم وانه ليس بجسم • اما قوله فتبارك الله اي تعالى الله لان البركة يرجع معناها الى الامتداد والزيادة وكل ما زاد على الشيء فقد علاه • ويجوز ان يكون المعنى ان البركات والخيرات كلها من الله تعالى • وقيل اصله من البروك وهو الثبات فكانه قال والبقاء والدوام والبركات كلها منه فهو المستحق للتعظيم والثناء • وقوله احسن الخالقين اي احسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه • وههنا مسائل **المسئلة الاولى** قالت المعتزلة لولا ان الله تعالى قد يكون خالقا لفعله اذا قدره لما جاز القول بانه احسن الخالقين كما لو لم يكن في عباده من يحكم ويرحم لم يجز ان يقال فيه احكم الحاكمين وارحم الراحمين • والخلق في اللغة هو كل فعل وجد من فاعله مقدرا لا على سهو وغفلة والعباد قد يفعلون ذلك على هذا الوجه قال الكعبي هذه الاية وان دلت على ان العبد خالق الا ان اسم الخالق لا يطلق على العبد الا مع القيد كما انه لا يجوز ان يقال رب الدار ولا يجوز ان يقال رب • ولا يقول العبد لسيده هذا ربي ولا يقال انما قال الله تعالى ذلك لانه سبحانه وصف عيسى عليه السلام انه يخلق من الطين كهيئة الطير لانا نجيب عنه من وجهين • احدهما يقتضي ان ظاهر الاية يقتضي انه سبحانه احسن الخالقين الذين هم جمع فحمله على عيسى خاصة لا يصح • الثاني اذا صح ان عيسى وصف بانه يخلق صح وصف غيره من المصورين ايضا بانه يخلق واجاب اصحابنا بان هذه الاية معارضة بقوله تعالى الله خالق كل شيء فوجب حمل هذه الاية على انه احسن الخالقين في اعتقادكم وظنكم كقوله تعالى وهو اهون عليه اي هو اهون عليه في اعتقادكم وظنكم والجواب الثاني وهو ان الخالق هو المقدر لان الخلق هو التقدير • والاية تدل على انه سبحانه احسن المقدرين • والتقدير يرجع معناه الى الظن والحسبان وذلك في حق الله سبحانه محال فتكون الاية من المتشابهات والجواب الثالث ان الاية تقتضي كون العبد خالقا بمعنى كونه مقدرا لكن لم قلت بانه خالق بمعنى كونه موجدا **المسئلة الثانية** قالت المعتزلة الاية تدل على ان كل ما خلقه حسن وحكمة وصواب والا لما جاز وصفه بانه احسن الخالقين • واذا كان كذلك وجب ان لا يكون خالقا للكفر والمعصية فوجب ان يكون العبد هو الموجد لهما والجواب من الناس من حمل الحسن على الاحكام والاتقان في التركيب والتاليف ثم لو حملناه على ما قالوه فعندنا انه يحسن من الله تعالى كل الاشياء لانه ليس فوقه امر ونهي حتى يكون ذلك مانعا له عن فعل شيء **المسئلة الثالثة** روى الكلبي عن ابن عباس ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب هذه الايات لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى قوله تعالى خلقا اخر عجب من ذلك فقال فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب فهكذا نزلت فشك عبد الله وقال ان كان محمد صادقا فيما يقول فانه يوحى الي كما يوحى اليه وان كان

التارحين

كاذبا

كاذبا فلا خير في دينه فهرب الى مكة فقيل انه مات على الكفر • وقيل انه اسلم يوم الفتح • وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية قال عمر بن الخطاب فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا نزلت يا عمر • وكان يقول وافقني ربي في اربع • الصلاة خلف المقام • وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن لتنتهن او ليبدلنه الله خيرا منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن • والرابع قلت فتبارك الله احسن الخالقين فقال هكذا نزلت قال العارفون هذه الواقعة كانت سبب السعادة لعمر وسبب الشقاوة لعبد الله كما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا • فان قيل فعلى كل الروايات قد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القران وذلك يقدح في كونه معجزا كما ظنه عبد الله • والجواب هذا غير مستبعد اذا كان قدره القدر الذي لا يظهر فيه الاعجاز فسقطت شبهة عبد الله • المرتبة الثامنة قوله ثم انكم بعد ذلك لميتون • قرا ابن ابي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت والمائت ان الميت كالحي صفة ثابتة • واما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الان ومائت غدا كقولك يموت ونحوه ضيق وضائق في قوله وضائق به صدرك • المرتبة التاسعة قوله ثم انكم يوم القيامة تبعثون • فالله سبحانه جعل الاماتة التي هي اعدام الحياة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين ايضا على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع • وههنا سؤالات • الاول ما الحكمة في الموت وهلا وصل نعيم الاخرة وثوابها بنعيم الدنيا فيكون ذلك في الانعام ابلغ والثواب فيما تحمله من المشقة في الطاعات صار اتيانه بالطاعات لاجل تلك المنافع لا لاجل طاعة الله يبين ذلك انه لو قيل لمن يصلي ويصوم اذا فعلت ذلك ادخلناك الجنة في الحال فانه لا ياتي بذلك الفعل الا لطلب الجنة فلا جرم اخره الله تعالى وابعده بالاماتة والاعادة ليكون العبد عابدا لربه وطاعته لا لطلب الانتفاع • السؤال الثاني هذه الاية تدل على نفي عذاب القبر لانه قال ثم انكم بعد ذلك لميتون • ثم انكم يوم القيامة تبعثون ولم يذكر بين الامرين الاحياء في القبر والاماتة والجواب من وجهين الاول انه ليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة • والثاني ان الغرض من ذكر هذه الاجناس الثلاثة الاحياء والاماتة والاعادة والذي ترك ذكره فهو من جنس الاعادة • النوع الثاني من الدلائل الاستدلال بخلق السموات وهو قوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين • فقوله سبع طرائق اي سبع سموات • وانما قيل لها طرائق لتطارقها بمعنى كون بعضها فوق بعض • يقال طارق الرجل نعليه اذا اطبق نعلا على نعل وطارق بين ثوبين اذا لبس ثوبا على ثوب هذا قول الخليل والزجاج والفراء قال الزجاج هو كقوله سبع سموات طباقا وقال علي بن عيسى سميت بذلك لانها طرائق الملائكة في العروج والهبوط والطيران وقال اخرون لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها • والوجه في انعامه علينا بذلك انه تعالى جعلها موضعا لارزاقنا بانزال الماء منها وجعلها مقر الملائكة ولانها موضع الثواب • ولانها مكان ارسال الانبياء ونزول الوحي • اما قوله وما كنا عن الخلق غافلين ففيه وجوه • احدها ما كنا غافلين بل كنا للخلق حافظين من ان تسقط عليهم الطرائق السبع فتهلكهم وهذا قول سفيان بن عيينة وهو قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا • وثانيها انما خلقناها فوقهم لننزل عليهم الارزاق والبركات منها عن الحسن • وثالثها انا خلقنا هذه الاشياء فدل خلقنا لها على كمال قدرتنا • ثم بين كمال العلم بقوله وما كنا عن الخلق غافلين يعني عن اعمالهم واقوالهم وضمائرهم وذلك يفيد نهاية الزجر • ورابعها وما كنا عن خلق السموات غافلين بل نحن لها حافظون لئلا تخرج عن التقدير الذي اردنا كونها عليه كقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت • واعلم ان هذه الاية دالة على كثير من المسائل • احدها انها دالة على وجود الصانع فان انقلاب هذه الاجسام من صفة الى صفة اخرى تضاد الاولى مع امكان بقائها على تلك الصفة يدل على انه لابد من محول ومغير • وثانيها يدل على فساد القول بالطبيعة فان شيئا من تلك الصفات لو حصل بالطبيعة لوجب بقاؤها وعدم تغيرها • ولو قلنا انما تغيرت تلك الصفات لتغير تلك الطبيعة افتقرت تلك الطبيعة الى خالق موجد • وثالثها يدل على ان المدبر قادر عالم لان الموجب والجاهل لا يصدر عنه هذه الافعال العجيبة • ورابعها يدل على انه عالم بكل المعلومات قادر على كل الممكنات • وخامسها يدل على جواز الحشر والنشر نظرا الى صريح الاية ونظرا الى ان الفاعل لما كان قادرا على كل الممكنات وعالما بكل المعلومات وجب ان يكون قادرا على اعادة التركيب الى تلك الاجزاء كما كانت • وسادسها ان معرفة الله تعالى يجب ان تكون استدلالية لا تقليدية والا لكان ذكر هذه الدلائل عبثا • النوع الثالث الاستدلال بنزول الامطار وكيفية تاثيرها في النبات والله اعلم • قوله تعالى **وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون** • اعلم ان الماء في نفسه نعمة وانه مع ذلك سبب لحصول النعم فلا جرم ذكره الله تعالى اولا ثم ذكر ما يحصل به من النعم ثانيا • اما قوله وانزلنا من السماء ماء بقدر فقد اختلفوا في السماء فالاكثرون من المفسرين انه تعالى ينزل الماء في الحقيقة من السماء وهو الظاهر من اللفظ ويؤكده قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وقال بعضهم المراد السحاب وسماه سماء لعلوه • والمعنى ان الله تعالى اصعد الاجزاء المائية

يعني عن اعمالهم واقوالهم وضمائرهم

من قعر البحر ومن البحار الى السماء حتى صارت عذبة صافية بسببية ذلك التصعيد ثم ان تلك الذوات تتألف وتتكثف ثم ينزله الله تعالى على قدر الحاجة اليه • ولولا ذلك لما ينتفع بتلك المياه لتفرقها في قعر الارض ولا بماء البحار للملوحة ولانه لا حيلة في اجراء مياه على وجه الارض لان البحار هي الغاية في العمق • واعلم ان هذه الوجوه انما يحتملها من ينكر الفاعل المختار فاما من اقر به فلا حاجة به الى شيء منها • اما قوله بقدر فمعناه بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة في الزرع والغرس والشرب وبمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم • اما قوله فاسكناه في الارض اي جعلناه ثابتا في الارض قال ابن عباس انزل الله تعالى من الجنة خمسة انهار • سيحون • وجيحون • ودجلة • والفرات • والنيل • ثم يرفعها عند خروج ياجوج وماجوج ويرفع ايضا القرآن • اما قوله وانا على ذهاب به لقادرون • اي كما قدرنا على انزاله فكذلك نقدر على دفعه وازالته قال صاحب الكشاف قوله على ذهاب به من اوقع النكرات واحزها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان بكمال اقتدار المذهب وانه لا يتعسر عليه شيء وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين • ثم انه سبحانه لما نبه على عظيم نعمته بخلق الماء ذكر بعده النعم الحاصلة من الماء فقال فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب وانما ذكر تعالى النخل والاعناب لكثرة منافعهما فانهما يقومان مقام الطعام ومقام الادام ومقام الفاكهة رطبا ويابسا وقوله ولكم فيها فواكه كثيرة اي في الجنات فكما ان فيها النخل والاعناب ففيها الفواكه الكثيرة • وقوله ومنها تأكلون قال صاحب الكشاف يجوز ان يكون هذا من قولهم فلان يأكل من حرفة اي يحترفها ومن صنعة يعلمها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها تتعيشون • اما قوله وشجرة تخرج من طور سيناء فهو عطف على جنات • وقرئ مرفوعة على الابتداء اي ومما انشانا لكم شجرة قال صاحب الكشاف طور سيناء وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون • واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وبعلبك فمن اجاز لمن كسر سينين سينا فقد منع الصرف للتعريف والعجمة والتانيث لانها بقعة • وفعلا لا يكون الفه للتانيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين • وقيل بين مصر وايلة ومنه نودي موسى عليه السلام • وقرأ الاعمش سينا على القصر • اما قوله تعالى تنبت بالدهن فهو موضع الحال اي تنبت وفيها الدهن كما يقال ركب الامير بجنده اي ومعه الجند • وقرئ تنبت وفيه وجهان احدهما ان انبت بمعنى نبت قال زهير شعر • رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم • قطينا لهم حتى اذا انبت البقل • والثاني ان مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيه الزيت قال المفسرون وانما اضافها الله تعالى الى هذا الجبل لان منها تشعبت في البلاد وانتشرت ولان معظمها هناك • اما قوله وصبغ للآكلين فعطف على الدهن اي ادام للآكلين والصبغ والصباغ ما يصبغ به اي ما يصبغ به الخبز • وجملة القول انه تعالى نبه على احسانه بهذه الشجرة لانها تخرج هذه الثمرة التي يكثر بها الانتفاع وهي طرية ومدخرة وبان تعصر فيظهر الزيت منها وتعظم وجوه الانتفاع به • النوع الرابع الاستدلال باحوال الحيوانات • قوله ان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها والمراد منه جميع وجوه الانتفاع والبانها ووجه الاعتبار فيه انها تجتمع في الضروع وتخلص من بين الفرث والدم باذن الله تعالى فتستحيل الى طهارة والى لون وطعم موافق للشهوة وتصير غذاء فمن استدل بذلك على قدرة الله وحكمته كان ذلك معدودا في النعم الدينية ومن انتفع به فهو نعمة في الدنيا وايضا فهذه الالبان التي تخرج من بطونها الى الضروع تجدها شرابا طيبا واذا ذبحتها لم تجد لها اثرا • وذلك يدل على عظيم قدرة الله تعالى قال صاحب الكشاف نسقيكم بتاء مفتوحة اي تسقيكم الانعام • وثانيها قوله ولكم فيها منافع كثيرة وذلك بيعها والانتفاع باثمانها وما يجري مجرى ذلك • وثالثها قوله ومنها تأكلون يعني كما تنتفعون بها وهي حية فتنتفعون بها بعد الذبح ايضا بالاكل • ورابعها قوله وعليها وعلى الفلك تحملون لان وجه الانتفاع بالابل في المحمولات على البر بمنزلة الانتفاع بالفلك في البحر جمع بين الوجهين في انعامه لكي يشكر على ذلك ويستدل به • فاعلم انه سبحانه وتعالى لما بين دلائل التوحيد اردفها بالقصص كما هو العادة في سائر السور وهي هاهنا القصة الاولى قصة نوح عليه السلام • قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال القوم ان نوحا كان اسمه يشكر • ثم سمي نوحا لوجوه • احدها لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه بالهلاك فاهلكهم بالطوفان فندم على ذلك • وثانيها لمراجعة ربه في شان ابنه وثالثها انه مر بكلب مجذوم فقال له اخسا يا قبيح فعوتب على ذلك فقال الله له اعبتني اذ خلقته ام عبت الكلب وهذه الوجوه متكلفة لما ثبت ان الاعلام لا تفيد صفة المسمى • اما قوله ان اعبدوا الله فالمعنى انه سبحانه ارسله بالدعاء

الى عبادة الله تعالى وحده وان يجوز ان يدعوهم الى ذلك الا وقد دعاهم الى معرفته اولا لان عبادة من لا يكون معلوما غير جائزة وانما تجوز وتجب بعد المعرفة • اما قوله ما لكم من اله غيره فالمراد ان عبادة غير الله لا تجوز اذ لا اله سواه ومن حق العبادة ان تحسن لمن انعم بالخلق والاحياء وما بعدهما فاذا لم يصح ذلك الا منه تعالى فكيف يعبد ما لا يضر ولا ينفع • وقرئ غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ • ثم انه لما لم ينفع فيهم هذا الدعاء واستمروا على عبادة غير الله تعالى حذرهم بقوله افلا تتقون لان ذلك زجر ووعيد بايقاع العقوبة لينصرفوا عما هم عليه • ثم انه سبحانه حكى عنهم شبههم في انكار نبوة نوح عليه السلام الشبهة الاولى قوله ما هذا الا بشر مثلكم وهذه الشبهة تحتمل وجهين • احدهما ان يقال انه لما كان مساويا لسائر الناس في القوة والفهم والعلم والغنا والفقر والصحة والمرض امتنع كونه رسولا لله لان الرسول لا بد وان يكون عظيما عند الله تعالى وحبيبا له والحبيب لا بد وان يختص عن غير الحبيب بمزيد الراحة والعزة فلما فقدت هذه الاشياء علمنا انتفاء الرسالة • والثاني ان يقال هذا الانسان مشارك لكم في جميع الامور ولكنه احب الرياسة والمتبوعية فلم يجد لها سبيلا الا بادعاء النبوة فصار ذلك شبهة لهم في القدح في نبوته • هذا الاحتمال متاكد بقوله تعالى حكاية عنهم يريد ان يتفضل عليكم اي يريد ان يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض الشبهة الثانية قولهم لو شاء الله لانزل ملائكة وشرحه ان الله تعالى لو شاء ارشاد البشر لوجب ان يسلك الطريق الذي يكون اشد افضاء الى المقصود ومعلوم ان بعثة الملائكة اشد افضاء الى هذا المقصود من بعثة البشر لان الملائكة لعلو شانهم وشدة سطوتهم وكثرة علومهم ينقاد الخلق اليهم ولا يشكون في رسالتهم فلما لم يفعل ذلك علمنا انه ما ارسل رسولا البتة الشبهة الثالثة قولهم ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين • وقوله بهذا اشارة الى نوح عليه السلام او الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله تعالى اي ما سمعنا بمثل هذا الكلام او بمثل هذا الذي يدعي وهو بشر انه رسول الله • وشرح هذه الشبهة انهم كانوا اقواما لا يعولون في شيء من مذاهبهم الا على التقليد والرجوع الى قول الآباء فلما لم يجدوا في نبوة نوح عليه السلام هذه الطريقة حكموا بفسادها قال القاضي يحتمل ان يريدوا بذلك كونه رسولا مبعوثا لانه لا يمتنع فيما تقدم من زمان آبائهم انه كان زمان فترة • ويحتمل ان يريدوا بذلك دعاءه الى عبادة الله وحده لان آباءهم كانوا على عبادة الاوثان الشبهة الرابعة قولهم ان هو الا رجل به جنة • والجنة الجنون او الجن • فان جهال العوام يقولون في المجنون زال عقله بعمل الجن وهذه الشبهة من باب الترويج على العوام فانه عليه السلام كان يفعل افعالا على خلاف عاداتهم فاولئك الرؤساء كانوا يقولون للعوام انه مجنون • ومن كان مجنونا فكيف يجوز ان يكون رسولا الشبهة الخامسة قولهم فتربصوا به حتى حين وهذا يحتمل ان يكون متعلقا بما قبله اي انه مجنون فاصبروا الى زمان حتى تظهر عاقبة امره فان افاق والا فاقتلوه • ويحتمل ان يكون كلاما مستانفا وهو ان يقولوا لقومهم اصبروا فانه ان كان نبيا حقا فالله ينصره ويقوي امره فنحن حينئذ نتبعه • وان كان كاذبا فالله يخذله ويبطل امره فحينئذ نستريح منه • فهذه مجموع الشبه التي حكاها الله عنهم • واعلم انه سبحانه ما ذكر الجواب عنها لركاكتها ووضوح فسادها وذلك لان كل عاقل يعلم ان الرسول لا يصير رسولا لانه من جنس الملك وانما يصير كذلك بان يتميز من غيره بالمعجزات فسواء كان من جنس الملك او من جنس البشر فعند ظهور المعجز عليه وجب ان يكون رسولا بل جعل الرسول من جملة البشر اولى لما مر بيانه في السور المتقدمة وهو ان الجنسية مظنة الالفة والمؤانسة • واما قولهم يريد ان يتفضل عليكم فان ارادوا به ارادة لاظهار فضله حتى يلزمهم الانقياد لطاعته فهذا واجب في الرسول • وان ارادوا انه يترفع عليهم على سبيل التجبر والتكبر فالانبياء منزهون عن ذلك • واما قولهم ما سمعنا بهذا فهو استدلال بعدم التقليد على عدم وجود الشيء وهو في غاية السقوط لان وجود التقليد لا يدل على وجود الشيء فعدمه من اين يدل على عدمه • واما قولهم به جنة فقد كذبوا لانهم كانوا يعلمون بالضرورة كمال عقله • واما قولهم فتربصوا به فضعيف لانه ان ظهرت الدلالة على نبوته وهي وجب عليهم قبول قوله في الحال فلا يجوز توقيف ذلك الى ظهور دولته لان الدولة لا تدل على الحقية وان لم تظهر المعجزة لم تجز قبوله • قوله سواء ظهرت الدولة او لم تظهر • ولما كانت هذه الاجوبة في نهاية الظهور لا جرم تركها الله سبحانه • قوله تعالى قال رب انصرني بما كذبون فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين اما قوله بما كذبون ففيه وجوه • احدها انصرني باهلاكهم فكانه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي • وثانيها انصرني بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه • والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم • وثالثها انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم • ولما اجاب الله دعاءه قال فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا اي بحفظنا وكلائنا كان معه من الله حافظا يكلؤه بعينه لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة وهذه الآية دالة على فساد قول المشبهة في تمسكهم بقوله عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته

ان الجنسية مظنة الالفة والمؤانسة

لان ثبوتنا لا عين يمنع من ذلك • واختلفوا في انه عليه السلام كيف صنع الفلك • فقيل انه كان نجارا وكان عالما بكيفية
اتخاذها • وقيل ان جبريل عم علمه عمل السفينة ووصف كيفية اتخاذها • وهذا هو الاقرب لقوله باعيننا ووحينا
اما قوله فاذا جا امرنا فاعلم ان لفظ الامر كما هو حقيقة في طلب الفعل بالقول على سبيل الاستعلا فكذا هو حقيقة في الشان
العظيم والدليل عليه انك اذا قلت هذا امر يتفق الذهن يتردد بين المفهومين وذلك يدل على كونه حقيقة فيهما وتمام تقريره مذكور
في كتاب المحصول • من الاصول • ومن الناس من قال انما سماه امرا على سبيل التعظيم والتفخيم مثل قوله ثم قال لها وللارض
ايتيا طوعا او كرها • اما قوله وفار التنور • اختلفوا في التنور • فالاكثرون انه هو التنور المعروف • روي انه قيل لنوح
اذا رايت الما يفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع الما من التنور اخبرته امراته فركب • وقيل كان تنور آدم
فصار الى نوح • واختلف في مكانه • فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة • وكان نوح عليه السلام
عمل السفينة في وسط المسجد • وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة • وقيل بالهند • والقول الثاني ان التنور وجه الارض
عن ابن عباس • والثالث انه اشرف موضع في الارض اي اعلاه عن قتادة • والرابع وفار التنور اي طلع الفجر عن علي عليه السلام
وقيل ان فوران التنور كان عند طلوع الفجر • والخامس هو مثل قولهم حمي الوطيس • والسادس انه الموضع المنخفض من
السفينة التي يسيل الما اليه عن الحسن • والقول الاول هو الصواب • لانا لا نعدل عن الحقيقة الى المجاز من غير دليل
لا يجوز • واعلم ان الله تعالى جعل فوران التنور علامة لنوح عليه السلام حتى يركب عنده السفينة طلبا لنجاته ونجاة اصحابه
من آمن به من قومه • اما قوله فاسلك فيها اي ادخل فيها • يقال سلك فيه اي دخله وسلك غيره فاسلكه من كل زوجين اثنين
اي من كل زوجين من الحيوان الذي يحضره في الوقت اثنين الذكر والانثى لكي لا ينقطع نسل ذلك الحيوان • وكل واحد منهما
زوج لا كما يقوله العامة من ان الزوج هو الاثنان • روي انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض • وقري من كل بالتنوين
اي من كل امة زوجين • واثنين تاكيد • وزيادة بيان • اما قوله واهلك الا من سبق عليه القول اي وادخل
اهلك • ولفظ على انما يستعمل في الضار • قال تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت • واعلم ان هذه الاية
تدل على امرين • احدهما انه سبحانه امره بادخال ساير من امن به وان لم يكن من اهله • وقيل المراد باهله من امن
دون من لم يتصل به نسبا او سببا • وهذا ضعيف • والا لما جاز استثنا قوله الا من سبق عليه القول • والثاني
انه قال ولا تخاطبني في الذين ظلموا يعني كنعان فانه سبحانه لما اخبر باهلاكهم وجب ان ينهاه عن ان يساله في
بعضهم لانه ان اجابه اليه فقد صير خبره الصدق كذبا وان لم يجبه اليه كان ذلك تحقيرا لشان نوح عليه السلام
فلذلك قال انهم مغرقون اي الغرق نازل بهم لا محالة • اما قوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك قال
ابن عباس رضي الله عنه كان في السفينة ثمانون انسانا • نوح وامراته سوى التي غرقت • وثلث بنين سام

كان في السفينة ثمانون انسانا

وحام ويافث • وثلاث نسوة لهم • واثنان وسبعون انسانا • وكل الخلايق نسل من كان في السفينة • اما
قوله تعالى فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ففيه مسايل **المسئلة الاولى** انما قال فقل ولم يقل
فقولوا لان نوحا كان نبيا لهم واماما لهم فكان قوله قولا لهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبريا
الربوبية • وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى لها الا ملك او نبي **المسئلة الثانية** قال قتادة علمكم الله ان تقولوا
عند ركوب السفينة بسم الله مجراها ومرساها • وعند ركوب الدابة سبحان الذي سخر لنا هذا • وعند النزول
وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين • وعند دخول المنزل وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج
صدق • وقال واذا قري القران فاستمعوا له وانصتوا • وقال فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان كانه
سبحانه امرهم ان لا يكونوا عن ذكره وعن الاستعاذة به في جميع احوالهم غافلين **المسئلة الثالثة**
هذا مبالغة عظيمة في تقبيح صورتهم حيث اتبع النهي عن الدعا لهم الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله تعالى
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين • وانما جعل سبحانه استواهم على السفينة نجاة من الغرق لانه
سبحانه كان عالما بانه بذلك ينجيه ومن معه فيصح ان يقول من حيث حصل امنا بهذا الفعل ووصف قومه بانهم ظالمون
لان الكفر منهم ظلم لانفسهم كقوله ان الشرك لظلم عظيم • ثم انه سبحانه بعد ان امره بالحمد على اهلاكهم امره ان يدعو
لنفسه فقال وقل رب انزلني منزلا مباركا • قري منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه
واختلفوا في المنزل على قولين • احدهما ان المراد هو نفس السفينة لمن ركبها خلصه مما جرى على قومه من الهلاك
والثاني ان المراد ان ينزله الله بعد خروجه من السفينة من الارض منزلا مباركا • والاول اقرب لانه امره بهذا الدعا
في حال استقراره في السفينة فيجب ان يكون المنزل ذلك دون غيره • ثم بين سبحانه بقوله وانت خير المنزلين ان الانزال في
الامكنة قد يقع من غير الله كما يقع من الله تعالى وان كان هو سبحانه خير من انزل لانه يحفظ من انزله في ساير احواله ويدفع

المكاره

المكاره ويحسب ما يقتضيه الحكم والحكمة ثم بين سبحانه ان فيما ذكر من قصة نوح وقومه لايات ودلالات وعبرا في الدعا
الى الايمان والزجر عن الكفر بان اظهار تلك المياه العظيمة ثم الاذهاب بها لا يقدر عليه الا القادر على كل المقدورات وظهور
تلك الواقعة على وفق قول نوح عليه السلام يدل على المعجز العظيم وافنا الكفار وبقا الارض لاهل الدين والطاعة من
اعظم انواع العبر • اما قوله وان كنا لمبتلين فيما بعد وهذا هو الاقرب لانه كالحقيقة في الاستقبال وان احتمل ذلك
احتمل وجوها • احدها ان يكون المراد في المستقبل المكلفين اي يجب فيمن كلفناه ان يعتبر بهذا الذي ذكرناه • وثانيها ان

المكلفين في المستقبل

يكون المراد لمعاقبين لمن سلك في تكذيب الانبيا مثل طريقة قوم نوح • وثالثها ان يكون المراد كما نعاقب من كذب بالغرق
وغيره فقد يمتحن بالغرق من لم يكذب على وجه المصلحة لا على وجه التعذيب لكي لا يقدر ان كل الغرق يجري على وجه واحد
القصة الثانية قصة هود وصالح عليهما السلام • قوله تعالى ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين فارسلنا فيهم رسولا
منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون وقال الملا الذين كفروا وكذبوا بلقا الاخرة واترفناهم في الحياة الدنيا

من قومه

ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم
انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا
وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمومنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل
ليصبحن نادمين فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثا فبعدا للقوم الظالمين اعلم ان هذه القصة هي قصة هود عليه السلام
في قول ابن عباس رضي الله عنه واكثر المفسرين • واحتجوا عليه بحكاية الله تعالى قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفا من بعد قوم نوح
ومجي قصة هود عقيب قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعرا • وقال بعضهم المراد صالح وثمود لان قوم صالح
الذين كذبوه هم الذين هلكوا بالصيحة • اما كيفية الدعوة فكما تقدم في قصة نوح عم • وههنا سوالات • السوال الاول حق
ارسل ان يتعدى بالى كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فلم عدي في القران بالى تارة وبفي اخرى كقوله كذلك ارسلناك في امة وما

وانفذ وبعث

ارسلنا في قرية فارسلنا فيهم رسولا اي في عاد • وفي موضع اخر والى عاد اخاهم هودا الجواب لم يعد بفي كما عدي بالى
ولكن الامة والقرية جعلت موضعا للارسال • وعلى هذا المعنى جاء بعث في قوله ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا • السوال الثاني هل يصح
ما قاله بعضهم ان قوله افلا تتقون غير موصول بالاول وانما قاله لهم بعد ان كذبوه وردوا عليه بعد اقامة الحجة عليهم فعند ذلك
قال لهم تخوفا مما هم عليه افلا تتقون هذه الطريقة مخافة العذاب الذي انذركم به الجواب يجوز ان يكون موصولا بالكلام الاول
بان راهم معرضين عن عبادة الله مشتغلين بعبادة الاوثان فدعاهم الى عبادة الله وحذرهم من العقاب بسبب اقبالهم
على عبادة الاوثان • ثم اعلم ان الله تعالى حكى صفات اوليك القوم • ثم حكى كلامهم • اما الصفات فثلاثة هي شر الصفات

اما الصفات فثلاثة هي شر الصفات

اولها الكفر بالخالق سبحانه وهو المراد من قوله كفروا • وثانيها الكفر بيوم القيمة وهو المراد من قوله وكذبوا بلقا الاخرة
وثالثها الانغماس في حب الدنيا وشهواتها وهو المراد من قوله واترفناهم في الحياة الدنيا اي نعمناهم • فان قيل ذكر
الله مقال قوم هود في جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو وقال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة
قالوا ما نراك الا بشرا مثلنا • وههنا مع الواو فاي فرق بينهما • قلنا الذي بغير واو على تقدير سوال سايل قال فما قال قومه
فقيل له كيت وكيت • واما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في هذه الواقعة هذا الكلام الحق وهذا
الكلام الباطل • واما شبهات القوم فشيان • اولها قولهم ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون
وقد مر شرح هذه الشبهة في القصة الاولى • وقوله مما تشربون اي من مشروبكم او حذف منه لدلالة ما قبله عليه • وقوله ولئن
اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون جعلوا اتباع الرسول خسرانا ولم يجعلوا عبادة الصنم خسرانا اي لئن قد اطعتموه الطاعة
من غير ان يكون لكم بازايها منفعة وذلك هو الخسران • وثانيها انهم طعنوا في صحة الحشر والنشر • ثم طعنوا في نبوته بسبب
اتيانه بذلك • اما الطعن في صحة الحشر فهو قولهم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا انكم مخرجون معادون احيا للمجازاة
ثم لم يقتصروا على هذا القدر حتى قرنوا به الاستبعاد العظيم وهو قولهم هيهات هيهات لما توعدون • ثم اكدوا الشبهة بقولهم
ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ولم يريدوا بقولهم نموت ونحيا الشخص الواحد بل ارادوا ان البعض يموت والبعض
يحيى وانه لا اعادة ولا حشر فلذلك قالوا وما نحن بمبعوثين • فلما فرغوا من الطعن في صحة الحشر بنوا عليه الطعن في نبوته
قالوا وما نحن له بمومنين لان القوم كالتبع لهم • واعلم ان الله تعالى ما اجاب عن هاتين الشبهتين لظهور فسادهما • اما
الشبهة الاولى فقد تقدم بيان ضعفها • واما الثانية فلانهم استبعدوا الحشر • والمستبعد عدم الحشر لوجهين الاول
انه سبحانه لما كان قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات • وجب ان يكون قادرا على الحشر والنشر • والثاني وهو
انه لولا الاعادة لكان تسليط القوي على الضعيف في الدنيا ظلما وهو غير لايق بالحكيم على ما قرره سبحانه في قوله ان الساعة
اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى • وههنا مسايل وهو اعلم **المسئلة الاولى** في انكم للتوكيد وحسن ذلك الفصل

ما بين الاول والثاني بالطرف ومحرجون جر على الاول • وفي قراءة ابن مسعود ايعدكم انكم اذا متم **المسئلة الثانية** قرئ هيهات
بالفتح والكسر كلها بتنوين وبلا تنوين • وبالسكون على لفظ الوقف **المسئلة الثالثة** هي في قوله ان هي الا حياتنا الدنيا
ضمير لا يعلم ما يعني به الا بما يتلوه من بيانه • واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا • ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليه
ومنه • هي النفس ما حملتها تتحمل • والمعنى لا حياة الا هذه الحياة • ولان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة
على الجنس فنفيها نوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس • واعلم ان ذلك الرسول لما يئس من قبول الاكابر والاصاغر فزع الى ربه
وقال رب انصرني بما كذبون وقد تقدم تفسيره فاجاب الله تعالى ما سأل وقال عما قليل ليصبحن نادمين • والاقرب ان يكون
المراد بان يظهر لهم علامات الهلاك فعند ذلك يحصل منهم الحسرة والندامة على ترك القبول ويكون الوقت وقتا لا ينفع الندامة
فلا ينتفعون بالندامة ويبين تعالى الهلاك الذي انزله عليهم بقوله فاخذتهم الصيحة بالحق • وذكروا في الصيحة وجوها
احدها ان جبريل عليه السلام صاح بهم وكانت الصيحة عظيمة فماتوا عندها • وثانيها الصيحة هي الرجفة عن
ابن عباس • وثالثها الصيحة هي نفس العذاب والموت كما يقال فيمن يموت دعي فاجاب عن الحسن • ورابعها انه
العذاب المصطلم قال الشاعر **شعر** صاح الزمان بآل برمك صيحة • خروا لشدتها على الاذقان •
والاول اولى لانه هو الحقيقة • واما قوله بالحق فمعناه انه دمرهم بالعدل من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه
وقال المفضل بالحق اي بما لا مدفع له كقوله وجاءت سكرة الموت بالحق واما قوله فجعلناهم غثاء فالغثاء حمل السيل مما بلي واسود
من الورق والعيدان • ومنه قوله تعالى فجعله غثاء احوى • واما قوله تعالى فبعدا للقوم الظالمين • وفيه مسئلتان **المسئلة الاولى**
قوله بعدا وسحقا ودمرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعال
لا يستعمل اظهارها • ومعنى بعدا بعدوا اي هلكوا • يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا والله اعلم **المسئلة الثانية**
قوله بعدا بمنزلة اللعن الذي هو التبعيد من الخير • والله تعالى ذكر ذلك على وجه الاستخفاف والاهانة لهم وقد نزل بهم
العذاب فالابد لك على ان الذي نزل بهم في الاخرة من البعد من النعيم والثواب اعظم مما حل بهم عاجلا ليكون ذلك عبرة
لمن يجيء بعدهم **القصة الثالثة** قوله تعالى **ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون**
ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون
اعلم انه سبحانه يقص في القرآن تارة على التفصيل كما تقدم واخرى على سبيل الاجمال كما هاهنا • وقيل المراد قصة لوط وشعيب
وايوب ويوسف عليهم السلام • فاما قوله ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين • والمعنى انه ما اخلى الديار من المكلفين انشأهم
وبلغهم حد التكليف حتى قاموا مقام من كان قبلهم في عمارة الدنيا • اما قوله ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون
فيحتمل في هذا الاجل ان يكون المراد حال حياتها وتكليفها • ويحتمل آجال موتها وهلاكها وان الاظهر في الاجل
اذا اطلق ان يراد به وقت الموت فبين ان كل امة لها آجال مكتوبة في الحياة والموت ولا يتقدم ولا يتأخر منها بذلك
على انه عالم بالاشياء قبل كونها فلا توجد الا على وفق العلم ونظيره قوله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر • وهاهنا
مسئلتان **المسئلة الاولى** قال اصحابنا هذه الآية تدل على ان المقتول ميت باجله اذ لو قتل قبل اجله لكان
قد تقدم الاجل وتأخر • وذلك ينافيه هذا النص **المسئلة الثانية** قال الكعبي المراد من قوله ما تسبق من امة
اي لا يتقدمون الوقت الموقت لعذابهم ان لم يؤمنوا ولا يتأخرون عنه ولا يستأصلهم الا اذا علم منهم انهم لا يزدادون
الا عنادا • وانهم لا يلدون مؤمنا وانه لا نفع في بقائهم لغيرهم ولا ضرر على احد في اهلاكهم وهو كقول نوح عليه السلام
انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا • اما قوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى فالمعنى انه كما انشأنا
بعضهم بعد بعض ارسل اليهم الرسل على هذا الحد • قرأ ابن كثير تترى منونة • والباقون تترى بغير تنوين وهو اختيار
اكثر اهل اللغة لانها فعلى من المواترة وهي المتابعة • وفعلى لا ينون كالدعوى والتقوى • والتاء بدل من الواو
فانه ماخوذ من الوتر وهو الفرد قال الواحدي تترى على القراءتين مصدر او اسم اقيم مقام الحال لان المعنى
متواترة • اما قوله كلما جاء امة رسولها كذبوه • يعني انهم سلكوا في تكذيب انبيائهم مسلك من تقدم ذكره ممن اهلكه
الله بالغرق والصيحة • فلذلك قال فاتبعنا بعضهم بعضا اي بالاهلاك وجعلناهم احاديث يمكن ان يكون المراد
جمع الحديث • ومنه احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم • والمعنى انه سبحانه بلغ في اهلاكهم مبلغا صاروا معه
احاديث فلا ترى منهم عين ولا اثر • ولم يبق منهم الا الحديث الذي يذكر ويعتبر به • ويمكن ايضا ان يكون جمع احدوثة
مثل الاضحوكة والاعجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا • ثم قال فبعدا لقوم لا يؤمنون على وجه الدعاء
والذم والتوبيخ ودل بذلك على انهم كما اهلكوا عاجلا فهلاكهم بالتعذيب آجلا على التابيد مترقب وذلك وعيد شديد
القصة الرابعة قصة موسى عليه السلام • قوله تعالى **ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا وسلطان**

هذه الآية تدل على ان المقتول ميت باجله

مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون
فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون اختلفوا في الآيات فقال ابن عباس
هي الآيات التسع وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر والسنين ونقص من الثمرات • وقال الحسن قوله
باياتنا اي بديننا • واحتج بان المراد بالآيات لو كان هو المعجزات والسلطان المبين ايضا هو المعجز لزم عطف الشيء على
نفسه • والاقرب هو الاول لان لفظ الآيات اذا ذكر مع الرسل فالمراد منها المعجزات • واما الذي احتجوا به فالجواب عنه
من وجوه • الاول ان المراد بالسلطان المبين يجوز ان يكون اشرف معجزاته وهو العصا لانه قد تعلقت بها معجزات شتى
من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة مثمرة
ودلوا ورشا فلاجل استبداد العصا بهذه الفضائل افردت بالذكر كقوله وجبريل وميكائيل • وثانيها يجوز ان يكون المراد بالآيات
نفس تلك المعجزات وبالسلطان المبين كيفية دلالتها على الصدق • وذلك لانها وان شاركت آيات سائر الانبياء في كونها آيات
فقد فارقتها في قوة دلالتها على قول موسى عليه السلام • وثالثها ان يكون المراد بالسلطان المبين استيلاء موسى عليه السلام عليهم
في الاستدلال على وجود الصانع واثبات النبوة وانه ما كان يقيم لهم قدرا ولا وزنا • واعلم ان الآية تدل على ان معجزات موسى
عليه السلام كانت معجزات هرون ايضا • وان النبوة كما انها كانت مشتركة بينهما فكذلك المعجزات • ثم انه سبحانه حكى عن
فرعون وقومه صفتهم ثم ذكر شبهتهم • اما صفتهم فامران • احدهما الاستكبار والانفة • والثاني انهم كانوا قوما
عالين اي رفيعي الحال في امور الدنيا ويحتمل الاقتدار بالكثرة والقوة • واما شبهتهم فهي قولهم انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما
لنا عابدون قال الكسائي لم يقل مثلينا كما قال انكم اذا مثلهم ولم يقل امثالهم وقال كنتم خير امة ولم يقل اخيار امة كل ذلك
لان الايجاز احب الى العرب من الاكثار والشبهة مبنية على امرين • احدهما كونهما من البشر وقد تقدم الجواب عنه • والثاني
ان قوم موسى وهرون كانوا كالخدم والعبيد لهم قال ابو عبيدة العرب تسمي كل من دان الملك عابدا له • ويحتمل ان يقال
انه كان يدعي الالهية فادعى الناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة • ثم بين سبحانه انه لما خطرت هذه الشبهة
ببالهم صرحوا بالتكذيب • وهو المراد من قوله فكذبوهما • ولما كان المراد ذلك التكذيب كالعلة لكونهم من المهلكين لاجرم
رتبه عليه بفاء التعقيب فقال فمن حكم الله بالغرق فان حصول الغرق لم يكن حاصلا عقيب التكذيب انما الحاصل عقيب التكذيب
حكم الله تعالى بكونهم كذلك في الوقت اللائق به • اما قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون قال القاضي معناه
انه سبحانه خص موسى عم بالكتاب الذي هو التوراة لا لذلك التكذيب لكن لكي يهتدوا به فلما اصروا على الكفر مع البيان العظيم
استحقوا ان يهلكوا • واعترض صاحب الكشاف عليه فقال لا يجوز ان يرجع الضمير في لعلهم الى فرعون وملائه لان التوراة انما
اوتيت بني اسرائيل بعد اغراق فرعون وملائه بدليل قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بل المعنى
الصحيح ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يعملون بشرايعها ومواعظها • فذكر موسى • والمراد آل موسى كما يقال هاشم وثقيف
والمراد قومهم **القصة الخامسة** قصة عيسى ومريم عليهما السلام • قوله تعالى **وجعلنا ابن مريم وامه آية**
وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين اعلم ان ابن مريم هو عيسى عليه السلام جعله الله تعالى آية بان خلقه من غير ذكر وانطقه
في المهد في الصغر واجرى على يده ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى • واما مريم فقد جعلها الله تعالى آية لانها حملته من غير ذكر وقال
الحسن تكلمت مريم في صغرها كما تكلم عيسى عم وهو قولها من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ولم تلقم ثديا قط قال
القاضي ان ثبت ذلك فهو معجزة لزكريا عليه السلام لانها لم تكن نبية • قلنا القاضي انما قال ذلك لان عنده الارهاص غير جائز
وكرامات الاولياء غير جائزة • وعندنا هما جائزان فلا حاجة الى ما قال • والاقرب انه جعلها آية بنفس الولادة لانه ولد من غير
ذكر وولدته من دون ذكر فاشتركا جميعا في هذا الامر العجيب الناقض للعادة • والذي يدل على ان هذا التفسير اولى وجهان
احدهما انه تعالى قال وجعلنا ابن مريم وامه آية لان نفس الاعجاز ظهر فيهما لا انه ظهر على يديهما وهذا اولى من ان يحمل على الآيات
التي ظهرت على يده نحو احياء الموتى وذلك لان الولادة فيه • وفيها آية منهما • وكذلك ان نطقا في المهد • وما عدا ذلك
من الآيات ظهر على يده لا انه آية فيه • الثاني انه تعالى قال آية ولم يقل آيتين • وحمل هذا اللفظ على الامر الذي لا يتم الا
بمجموعهما اولى وذلك هو امر الولادة لا المعجزات التي كان عيسى عم مستقلا بها • اما قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار اي
جعلنا ماواهما الربوة • والربوة والرباوة في رائها الحركات الثلاث • وهي الارض المرتفعة • ثم قال قتادة وابو العالية
وهي ايليا ارض بيت المقدس وقال ابو هريرة انها بالرملة وقال الكلبي وابن زيد هي مصر وقال الاكثرون
انها دمشق وقال مقاتل والضحاك هي غوطة دمشق • والقرار المستقر من ارض مستوية مبسوطة • وعن قتادة ذات
ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها • والمعين الماء الطاهر الجاري على وجه الارض • فنبه سبحانه على كمال النعمة عليهما
بهذا اللفظ على اختصاره • ثم في المعين قولان • احدهما انه مفعول لانه لظهوره يدرك بالعين من عانه اذا ادركه

بل المعنى الصحيح ولقد آتينا موسى الكتاب

بعينه وقال الفراء والزجاج ان شئت جعلته فعيلا من الماعون ويكون اصله من المعن والماعون فاعول منه قال ابو علي والمعين
السهل الذي ينقاد ولا يتعاصى والماعون ما سهل على معطيه ثم قالوا وسبب الايواء انها فرت بابنها عيسى الى الربوة وبقيت
بها اثنتي عشرة سنة وانما ذهب بهما ابن عمها يوسف ثم رجعت الى اهلها بعد ما مات ملكهم وههنا آخر القصص والله اعلم
قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم
فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين ايحسبون انما نمدهم به من مال
وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون اعلم ان ظاهر قوله يا ايها الرسل خطاب مع كل الرسل وذلك غير ممكن لان الرسل انما ارسلوا
متفرقين في ازمنة مختلفة فكيف يمكن توجيه هذا الخطاب اليهم فلهذا الاشكال اختلفوا في تاويله على وجوه احدها ان المعنى
الاعلام بان كل رسول فهو في زمانه نودي لهذا المعنى ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق بان يؤخذ
به ويعمل عليه وثانيها ان المراد نبينا عليه الصلاة والسلام لانه ذكر ذلك بعد انقضاء الرسل وانما ذكر على صيغة الجمع كما
يقال للواحد ايها القوم كفوا عنا اذاكم ومثله الذين قال لهم الناس وهو نعيم بن مسعود كانه سبحانه لما خاطب محمدا صلى الله عليه وسلم
بذلك بين ان الرسل باسرهم لو كانوا حاضرين مجتمعين لما خوطبوا الا بذلك ليعلم رسولنا ان هذا التثقيل ليس عليه فقط بل
هو لازم على جميع الانبيا عليهم السلام وثالثها وهو قول محمد بن جرير ان المراد عيسى عم لانه انما ذكر ذلك بعد ما ذكر مكانه
الجامع للطعام والشراب ولانه روي عن ام عبد الله اخت شداد بن اوس انها بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح
من لبن في شدة الحر عند فطره وهو صائم فرد الرسول اليها وقال من اين لك هذا فقالت من شاة لي ثم رده وقال من اين هذه الشاة
فقالت اشتريتها بمالي فاخذه ثم انها جاءته وقالت يا رسول الله لم رددته فقال عليه الصلاة والسلام بذلك امرت الرسل
ان لا ياكلوا الا طيبا وان لا يعملوا الا صالحا اما قوله تعالى من الطيبات ففيه وجهان الاول انه الحلال وقيل طيبات الرزق
حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ
العقل والثاني انه المستطاب المستلذ من الماكل والفواكه فبين تعالى انه وان ثقل عليهم بالنبوة وبما الزمهم القيام بحقها فقد
اباح لهم اكل الطيبات كما اباح لغيرهم واعلم انه سبحانه كما قال للمرسلين يا ايها الرسل كلوا من الطيبات قال للمؤمنين يا ايها
الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واعلم ان تقديم قوله كلوا من الطيبات على قوله واعملوا صالحا كالدلالة على ان العمل
الصالح لا بد وان يكون مسبوقا باكل الحلال فاما قوله اني بما تعملون عليم فهو تحذير من مخالفة ما امرهم به فاذا كان تحذيرا
للرسل مع علو شانهم فبان يكون تحذيرا لغيرهم اولى اما قوله وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون فقد
فسرناه في سورة الانبيا وفيه مسئلتان المسئلة الاولى المعنى انه كما يجب اتفاقهم على اكل الحلال والاعمال
الصالحة فكذلك هم متفقون على الدين الواحد وعلى الاتقاء من معصية الله تعالى فان قيل لما كانت شرائعهم مختلفة
فكيف يكون دينهم واحدا قلنا المراد من الدين ما لا يختلفون فيه من معرفة ذات الله تعالى وصفاته واما الشرائع
فان الاختلاف فيها لا يسمى اختلافا في الدين فكما يقال في الحائض والطاهر من النساء ان دينهن واحد وان افترق تكليفهما
فكذا ههنا ويدل على ذلك قوله وانا ربكم فكانه نبه بذلك على ان دين الجميع واحد فيما يتصل بمعرفة الله تعالى واتقاء معاصيه
فلا مدخل للشرائع وان اختلفت في ذلك المسئلة الثانية قرئ وان بالكسر على الاستئناف وان بمعنى ولان وان
مخففة من الثقيلة وامتكم مرفوعة معها اما قوله تعالى فتقطعوا امرهم بينهم زبرا فالمعنى ان امم الانبيا عليهم السلام
تقطعوا امرهم بينهم وفي قوله تقطعوا معنى المبالغة في شدة اختلافهم والمراد بامرهم ما يتصل بالدين اما قوله
زبرا فقطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل قال الكلبي ومقاتل والضحاك يعني
مشركي مكة والمجوس واليهود والنصارى اما قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون فمعناه ان كل فريق منهم مغتبط بما
اتخذه دينا لنفسه معجب به يرى انه المحق الرابح وان غيره المبطل الخاسر ولما ذكر الله تعالى تفرقهم هؤلاء في دينهم
اتبعه بالوعيد فقال فذرهم في غمرتهم حتى حين الخطاب لنبينا صلى الله عليه وسلم يقول فدع هؤلاء الكفار في جهلهم
والغمرة الماء الذي يغمر القامة فكان ما هم فيه من الجهل والحيرة صار غامرا ساترا لعقولهم وعن علي عليه السلام في غمراتهم
حتى حين وذكروا في الحين وجوها احدها الى حين الموت وثانيها الى حين المعاينة وثالثها الى حين العذاب والغاية
في ذلك تدركه في الكلام والمراد به الحالة التي تقترن بها الحسرة والندامة وذلك يحصل اذا عرفهم الله بطلان ما كانوا
عليه وعرفهم سوء منقلبهم ويحصل ايضا عند المحاسبة في الآخرة ويحصل عند عذاب القبر والمسايلة ويجب الحمل
على كل ذلك ولما كان القوم في نعم عظيمة في الدنيا جاز ان يظنوا ان تلك النعم كالثواب المعجل لهم على اديانهم فبين سبحانه
ان الامر بخلاف ذلك فقال ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات قرئ نمدهم ونسارع ويسرع بالياء
والفاعل هو الله سبحانه وفي المعنى وجهان احدهما ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم في المعاصي واستجرارا

الى زيادة

الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة في الخيرات بل للاستدراك لقوله ايحسبون اي بل هم اشباه البهائم لا فطنة لهم ولا شعور
حتى يتفكروا في ذلك اهو استدراج ام مسارعة في الخير وهذه الآية كقوله ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم روي عن يزيد
ابن ميسرة اوحى الله تعالى الى نبي من الانبيا ايفرح عبدي ان ابسط له الدنيا وهو ابعد له مني ويجزع ان اقبض عنه الدنيا وهي
اقرب له مني ثم تلا ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين وعن الحسن لما اتي عمر بسوار كسرى اخذه ووضعه في يد سراقة
فبلغ منكبه قال عمر اللهم اني قد علمت ان نبيك كان يحب ان يصيب مالا لينفقه في سبيلك فزويت ذلك عنه نظرا ثم ان ابا بكر
كان يحب ذلك اللهم لا يكن ذلك مكرا منك بعمر ثم تلا ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين الوجه الثاني وهو انه سبحانه
انما اعطاهم هذه النعم ليكونوا فارغي البال متمكنين من الاشتغال بطلب الحق فاذا اعرضوا عن الحق والحالة هذه كان لزوم الحجة عليهم
اقوى فلذلك قال بل لا يشعرون قوله تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون
والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك يسارعون في
الخيرات وهم لها سابقون اعلم انه تعالى لما ذم من تقدم ذكره بقوله ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات
ثم قال بل لا يشعرون بين بعده صفات من يسارع في الخيرات ويشعر بذلك وهي اربعة الصفة الاولى قوله ان الذين هم من
خشية ربهم مشفقون فالاشفاق يتضمن الخشية مع زيادة رقة وضعف فمنهم من قال جمع بينهما للتاكيد ومنهم
من حمل الخشية على العذاب والمعنى الذين هم من عذاب ربهم مشفقون وهو قول الكلبي ومقاتل ومنهم من حمل
الاشفاق على اثره وهو الدوام على الطاعة والمعنى الذين هم من خشية ربهم دائمون في طاعته جادون في طلب مرضاته
والتحقيق ان من بلغ في الخشية الى حد الاشفاق وهو كمال الخشية كان في نهاية الخوف من سخط الله عاجلا ومن عقابه آجلا فكان
في نهاية الاحتراز عن المعاصي الصفة الثانية قوله والذين هم بآيات ربهم يؤمنون اعلم ان آيات الله تعالى هي المخلوقات
الدالة على وجوده والايمان بها هو التصديق بها والتصديق بها ان كان بوجودها فذلك معلوم بالضرورة وصاحب هذا
التصديق لا يستحق المدح وان كان بكونها آيات ودلائل على وجود الصانع فذلك مما يتوصل اليه بالنظر والفكر وصاحبه
لا بد وان يصير عارفا بوجود الصانع وصفاته واذا حصلت المعرفة بالقلب حصل الاقرار باللسان ظاهرا وذلك هو
الايمان الصفة الثالثة قوله والذين هم بربهم لا يشركون وليس المراد منه الايمان بالتوحيد ونفي الشريك لله تعالى
لان ذلك داخل في قوله والذين هم بآيات ربهم يؤمنون بل المراد منه نفي الشرك الخفي وهو ان يكون مخلصا في العبادة لا يقدم
عليها الا لوجه الله تعالى وطلب رضوانه وهو اعلم الصفة الرابعة قوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة معناه
يعطون ما اعطوا فدخل فيه كل حق يلزم ايتاؤه سواء كان ذلك من حق الله تعالى كالزكاة والكفارة وغيرهما او من حقوق الآدميين
كالودائع والديون واصناف الانصاف والعدل وبين ان ذلك انما ينفع اذا اوصلوه وقلوبهم وجلة لان من يقدم على
العبادة وهو وجل من تقصير واخلال بنقصان او غيره فانه يكون لاجل ذلك الوجل مجتهدا في ان يوفيها حقها في الاداء وسالت
عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة اهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق
وهو على خلاف ذلك يخاف الله تعالى فقال عليه السلام لا يا ابنة الصديق ولكن هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق وهو على
ذلك يخاف الله تعالى واعلم ان ترتيب هذه الصفات في نهاية الحسن لان الصفة الاولى دلت على حصول الخوف الشديد الموجب
للاحتراز عما لا ينبغي والصفة الثانية دلت على ترك الريا في الطاعات والصفة الثالثة دلت على ان المستجمع لتلك الصفات
الثلثة ياتي بالطاعات مع الوجل والخوف عن التقصير وذلك هو نهاية مقامات الصديقين رزقنا الله سبحانه الوصول اليها
فان قيل ايعود قوله ان قلوبهم وجلة يرجع الى يؤتون او يرجع الى كل ما تقدم من الخصال قلنا بل الاولى ان يرجع الى الكل لان العطية
ليست بذلك اولى من سائر الاعمال اذ المراد ان يؤدي ذلك على وجل من تقصير فيكون مبالغا في توفيته حقه فاما اذا قرئ والذين
يأتون ما اتوا فالقول فيه اظهر اذ المراد به الذي شيئا اتوه وفعلوه من تحرز عن معصية واقدام على ايمان وعمل فانهم يفعلونه
مع الوجل ثم انه سبحانه بين علة ذلك الوجل وهي علمهم بانهم الى ربهم راجعون للمجازاة والمسايلة ونشر الصحف وتتبع
الاعمال وان هناك لا تنفع الندامة فليس الا الحكم القاطع من جهة مالك الملك ثم انه سبحانه لما ذكر هذه الصفات للمؤمنين
المخلصين قال بعده اولئك يسارعون في الخيرات وفيه وجهان احدهما ان المراد يرغبون في الطاعات اشد الرغبة
فيبادرونها لئلا تفوت عن وقتها ولكيلا تفوتهم دون الاخترام والثاني انهم يتعجلون في الدنيا انواع النفع ووجوه الاكرام
كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها
لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين
وقرئ يسرعون في الخيرات اما قوله وهم لها سابقون فالمعنى فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها واياها
سابقون اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر والمعنى وهم لها كما يقال انت

لما اتي عمر بسوار كسرى فاخذه ووضعه في يد سراقة

بطلب

ولكن هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله تعالى

لها وهي لك • ثم قال وهم لها سابقون • قوله تعالى ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون
بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجئرون
لا تجئروا اليوم انكم منا لا تنصرون اعلم انه سبحانه لما ذكر كيفية اعمال المومنين المخلصين ذكر حكمين من احكام اعمال العباد
فالاول قوله ولا نكلف نفسا الا وسعها • وفي الوسع قولان • احدهما انه الطاقة عن المفضل • والثاني انه دون الطاقة وهو
قول المعتزلة ومقاتل والضحاك والكلبي • واحتجوا عليه بان الوسع انما سمي وسعا لانه يتسع عليه فعله ولا يصعب ولا
يضيق فبين ان اولئك المخلصين لم يكلفوا اكثر مما عملوا • قال مقاتل ان لم يستطع ان يصلي قائما فليصل جالسا ومن لم يستطع
جالسا فليوم ايماء لانا لا نكلف نفسا الا وسعها • واستدل المعتزلة في نفي تكليف ما لا يطاق وقد تقدم القول فيه • الثاني
قوله ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون • ونظيره قوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق • وقوله لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة • واعلم انه تعالى شبه الكتاب بمن يصدر عنه البيان فان الكتاب لا ينطق لكنه يعرف بما فيه كما يعرف بنطق الناطق
اذا كان محقا • فان قيل هولاء الذين يعرضون عليهم ذلك الكتاب • اما ان يكونوا محيلين الكذب على الله تعالى او مجوزين ذلك
عليه فان احالوه عليه فانهم يصدقونه في كل ما يقول سواء وجد الكتاب او لم يوجد • وان جوزوه عليه لم يثقوا بذلك
الكتاب لتجويزهم انه سبحانه كتب فيه خلاف ما حصل فعلى التقديرين لا فايدة في ذلك الكتاب • قلنا يفعل الله ما يشا
وعلى انه لا يبعد ان يكون ذلك مصلحة للمكلفين من الملايكة • واما قوله وهم لا يظلمون فنظيره قوله ووجدوا ما عملوا
حاضرا ولا يظلم ربك احدا • فقالت المعتزلة الظلم اما ان يكون بزيادة في العقاب او بالنقصان من الثواب • او بان
يعذب ظلما على ما لم يعمل او بان يكلفهم ما لا يطيقون • فتكون الاية دالة على كون العبد موجدا لفعله والا لكان تعذيبه
عليه ظلما • ودالة على انه سبحانه لا يكلف ما لا يطاق • والجواب انه لما كلف ابا لهب ان يومن • والايمان يقتضي تصديق
الله تعالى في كل ما اخبر عنه • ومما اخبر عنه ان ابا لهب لا يومن فقد كلفه بان يومن وبانه لا يومن فلزمهم كل ما ذكرتموه • واما
قوله تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا ففيه قولان • احدهما انه راجع الى الكفار وهم الذين يليق بهم قوله بل قلوبهم في غمرة
من هذا ولا يليق ذلك بالمومنين اذ المراد في عمى من هذا الذي بيناه في القرآن ومن هذا الكتاب الذي ينطق بالحق ومن هذا
الذي هو وصف المشفقين • ولهم اي لهولاء الكفار اعمال من دون ذلك اي اعمال سوى سوى جهلهم وكفرهم • ثم قال
بعضهم اراد اعمالهم في الحال • وقال بعضهم بل اراد المستقبل • وهذا اقرب لان قوله وهم لها عاملون الى الاستقبال
اقرب • وانما قال هم لها عاملون • لانها مثبتة في علم الله تعالى وفي حكم الله • وفي اللوح المحفوظ فوجب ان يعملوها
ليدخلوا بها النار لما سبق لهم من الله الشقاوة • القول الثاني وهو اختيار ابي مسلم ان هذه الايات من صفات المشفقين
كانه سبحانه قال بعد وصفهم ولا نكلف نفسا الا وسعها • ونهايته ما اتى به هولاء المشفقون ولدينا كتاب يحفظ
اعمالهم ينطق بالحق ولا يظلمون بل نوفر عليهم ثواب كل اعمالهم بل قلوبهم في غمرة من هذا هو ايضا وصف لهم بالحيرة
وكانه قال وهم مع ذلك الوجل والخوف كالمتحيرين في جعل اعمالهم مقبولة او مردودة • ولهم اعمال من دون ذلك اي لهم ايضا
من النوافل ووجوه البر سوى ما هم عليه • اما اعمالا قد عملوها في الماضي او سيعملونها في المستقبل • ثم انه سبحانه رجع
بقوله حتى اذا اخذنا مترفيهم الى وصف الكفار • واعلم ان قول ابي مسلم اولى لانه اذا امكن رد الكلام الى ما يتصل به من ذكر
المشفقين كان اولى من رده الى ما بعد منه خصوصا وقد يرغب المرء في فعل الخير بان يذكر ان اعماله محفوظة كما يحذر
بذلك من الشر • وقد يوصف المرء لشدة فكره في امر اخرته بان قلبه في غمرة • ويراد انه قد استولى عليه الفكر في قبول عمله
او رده وفي انه هل اداه كما يجب او قصر • فان قيل فما المراد بقوله من هذا وهو اشارة الى ماذا • قلنا هو اشارة
الى اشفاقهم ووجلهم من انهما مستوليان على قلوبهم • اما قوله تعالى حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب • قال
صاحب الكشاف حتى هذه هي التي يبتدا بعدها الكلام • والكلام الجملة الشرطية • واعلم انه لا شبهة ان الضمير في
مترفيهم راجع الى من تقدم ذكره من الكفار لان العذاب لا يليق الا بهم • وبين سبحانه ان المتنعمين منهم اذا نزل بهم العذاب
يجارون • وفي هذا العذاب وجهان • احدهما اراد بالعذاب ما نزل بهم يوم بدر • والثاني انه عذاب الاخرة وهذا
هو الاولى • ثم بين سبحانه ان القوم عند هذا العذاب يجارون اي يرتفع صوتهم بالاستغاثة • والضجيج لشدة
ما هم عليه • ويقال لهم على وجه التبكيت لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون فلا يدفع عنكم ما يريد انزاله بكم ثم دل بذلك
سبحانه على انهم سينتهون يوم القيمة الى هذه الدرجة من الحسرة والندامة وهو كالباعث لهم في الدنيا على ترك
الكفر والاقدام على الايمان والطاعة • فانهم الان ينتفعون بذلك • قوله تعالى قد كانت اياتي تتلى عليكم
فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يات اباءهم
الاولين ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون

ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ام تسالهم خرجا
فخراج ربك خير وهو خير الرازقين اعلم انه سبحانه لما بين فيما قبل انه لا ينصر اولئك الكفار اتبعه بعلة ذلك وهي انه متى تليت
ايات الله عليهم اتوا بامور ثلاثة • احدها انهم كانوا على اعقابهم ينكصون • وهذا مثل يضرب فيمن تباعد عن الحق كل التباعد وهو
كقوله وكنتم على اعقابكم تنكصون اي تنفرون عن تلك الايات وعمن يتلوها كما يذهب الناكص على عقبيه بالرجوع الى ورايه • وثانيها
قوله مستكبرين به • والهاء الى ماذا تعود فيه وجوه • الاول الى البيت العتيق او الحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل
الحرم • والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم يكن لهم مفخرة الا انهم ولاته والقايمون به • الثاني المراد مستكبرين
بهذا التراجع والتباعد • الثالث ان تتعلق الباء بسامرا اي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهذا هو الاقرب • الثالث الذي
تاتون به عند تلاوة القرآن عليهم وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا
وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم او يهجرون • والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجميع • وقرى سمرا وسمارا • وتهجرون
وتهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش • والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى • والهجر بالفتح الهذيان
ثم انه سبحانه لما وصف حالهم رد عليهم بان بين ان اقدامهم على هذه الامور لا بد ان يكون لاحد امور اربعة • احدها ان لا يتاملوا
في دليل نبوته وهو المراد من قوله افلم يدبروا القول • فبين ان القول الذي هو القرآن كان معروضا لهم وقد مكنوا من التامل
فيه من حيث كان مباينا لكلام العرب في الفصاحة ومبرا عن التناقض مع طوله ومن حيث تنبيهه على ما يلزمهم من معرفة الصانع ومعرفة الوحدانية
فلم لا يتدبرون فيه ليتركوا الباطل ويرجعوا الى الحق • وثانيها ان يعتقدوا ان مجي الرسل امر على خلاف العادة وهو المراد من
قوله ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين وذلك لانهم عرفوا بالتواتر ان الرسل كانت تتواتر على الامم وتظهر المعجزات عليها وكانت
الامم بين مصدق ناج وبين مكذب هالك بعذاب الاستيصال افما دعاهم ذلك الى تصديق الرسول • وثالثها ان لا يكونوا عالمين
بديانته وحسن خصاله قبل ادعايه النبوة وهو المراد من قوله ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون نبه سبحانه بذلك على
انهم عرفوا منه قبل ادعايه الرسالة كونه في نهاية الامانة والصدق وغاية الفرار من الكذب والاخلاق الذميمة فكيف كذبوه بعد
ان اتفقت كلمتهم على تسميته بالامين • ورابعها ان يعتقدوا فيه الجنون فيقولوا انما حمله على ادعا الرسالة جنونه وهو المراد من قوله
ام يقولون به جنة وهذا ايضا ظاهر الفساد لانهم كانوا يعلمون بالضرورة انه اعقل الناس والمجنون كيف يمكنه ان ياتي بمثل ما اتى
به من الدلايل القاطعة والشرايع الكاملة • ولقد كان في المتعصبين له عليه السلام من سماه بذلك • وفيه وجهان • احدهما انه
نسبوه الى ذلك من حيث كان يطمع في انقيادهم له • وكان ذلك من ابعد الامور عندهم فنسبوه الى الجنون لذلك • والثاني
انهم قالوا ذلك ايهاما لعوامهم لكي لا ينقادوا له فاوردوا ذلك موردا الاستحقار له • ثم انه سبحانه بعد ان عدد هذه الوجوه
ونبه على فسادها قال بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون من حيث تمسكوا بالتقليد • ومن حيث علموا انهم لو اقروا لمحمد صلى الله
لزالت مناصبهم • ولاختلت رياستهم فلذلك كرهوه • فان قيل قوله واكثرهم فيه ان قليلهم لا يكرهون الحق • قلنا كان فيهم
من ترك الايمان انفة من توبيخ قومه وان يقولوا ترك دين اباءه لا كراهة للحق كما حكي عن ابي طالب • ثم بين سبحانه ان الحق لا يتبع
الهوى بل الواجب على المكلف ان يطرح الهوى ويتبع الحق وبين سبحانه ان اتباع الهوى يودي الى الفساد العظيم فقال
ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن • وفي تفسيره وجوه • الاول ان القوم كانوا يرون ان الحق في اتخاذ
الهة مع الله تعالى لكن لو صح ذلك لوقع الفساد العظيم فقال في السموات والارض على ما قررناه بدليل التمانع في قوله لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا • والثاني ان اهواءهم في عبادة الاوثان وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وهما منشا المفسدة والحق
هو الاسلام • فلو اتبع الاسلام قولهم لعلم الله حصول المفاسد عند بقا هذا العالم وذلك يقتضي تخريب العالم وافناءه • والثالث
ان اراءهم كانت متناقضة فلو اتبع الحق اهواءهم لوقع التناقض ولاختل نظام العالم عن الفعال • اما قوله بل اتيناهم بذكرهم
فقيل انه القرآن او الادلة • وقيل بل شرفهم وفخرهم بالرسول وكلا القولين متقارب لان في مجي الرسول ثبات الادلة • وفي
مجي الادلة ثبات الرسول • واحدهما مقرون بالاخر • وقيل الذكر هو الوعظ والتحذير • وقيل هو الذي كانوا يتمنونه ويقولون
لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين • وقرى بذكراهم • ثم بين سبحانه انه عليه السلام لا يطمع فيهم حتى يكون ذلك
سببا للنفرة فقال ام تسالهم خرجا • وقرى خراجا قال ابو عمرو بن العلا الخرج ما تبرعت به • والخراج ما لزمك اداوه والوجه
ان الخرج اخص من الخراج • كقولك خراج القرية وخرج الكرة زيادة اللفظ لزيادة المعنى • ولذلك حسنت قراة من قرا خرجا
فخراج ربك يعني ام تسالهم على هداك قليلا من عطا الخلق فالكثير من عطا الخالق خير فنبه سبحانه بذلك على ان هذه التهمة بعيدة
عنه فلا يجوز ان ينفروا عن قبول قوله لاجلها فبين سبحانه بهذه الايات انهم غير معذورين البتة وانهم محجوجون من جميع الوجوه
قال الجبائي دل قوله تعالى وهو خير الرازقين على ان احدا من العباد لا يقدر على مثل نعمه ورزقه ولا يساويه في الافضال على
عباده • ودل ايضا على ان العباد قد يرزق بعضهم بعضا ولولا ذلك لما جاز ان يقول وهو خير الرازقين • قوله تعالى وانك

وكان ذلك من ابعد الامور عندهم نسبوه الى الجنون

لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لا يومنون بالاخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون اعلم انه سبحانه لما زيف طريقة القوم اتبعه ببيان صحة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فقال وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم لان ما دل الدليل على صحته فهو في بابه لا استقامة ابلغ من الطريق المستقيم وان الذين لا يومنون بالاخرة عن الصراط لناكبون اى لعادلون عن هذا الطريق لان طريق الاستقامة واحد وما يخالفه فكثير • اما قوله تعالى ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر ففيه وجوه • احدها المراد ضرر الجوع وسائر مضار الدنيا • وانهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه لشدة لجاجهم فيما هم عليه من الكفر • اما قوله تعالى للجوا في طغيانهم يعمهون • فالمعنى لتمادوا في ضلالهم وهم متحيرون • قوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وهو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون اختلفوا في قوله ولقد اخذناهم بالعذاب على وجوه • احدها انه لما اسلم ثمامة الحنفي ولحق باليمامة ومنع عن اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز والجلود والجيف فجا ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين ثم قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع • والمعنى اخذناهم بالجوع فما اطاعوا • وثانيها انهم الذين نالهم يوم بدر من القتل والاسر يعني ان ذلك مع شدته ما دعاهم الى الايمان عن الاصم • وثالثها المراد من عذاب الامم الخوالي • فما استكانوا اى مشركوا العرب لربهم عن الحسن • ورابعها ان شدة الدنيا اقرب الى المكلف من شدة الاخرة • فاذا لم يوثر فيهم شدة الدنيا فشدة الاخرة كذلك • هذا يدل على انهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه • اما قوله حتى اذا فتحنا عليهم بابا الجوع الذي هو اشد من القتل والاسر • والثاني اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون • لقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون • والابلاس الياس من كل خير • وقيل السكون مع التحير • وههنا سؤالات • السؤال الاول لما وزن استكان • الجواب استفعل من الكون اى انتقل من كون الى كون • كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال • ويجوز ان يكون افتعل من السكون اشبعت فتحة عينه • السؤال الثاني جا استكانوا بلفظ الماضي ويتضرعون بلفظ المستقبل • الجواب لان المعنى امتحناهم فما وجدنا منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هولاء ان يتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد • وقرى فتحنا • السؤال الثالث العطف لا يحسن الا مع المجانسة • فاى مناسبة بين قوله وهو الذي انشا لكم السمع والابصار وبين ما قبله • الجواب كانه سبحانه لما بين مبالغة الكفار في الاعراض عن سماع الادلة وروية العبر • والتامل في الحقائق قال للمومنين هو الذي اعطاكم هذه الاشيا ووفقكم عليها تنبيها على ان من لم يعمل هذه الاعضا فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شي اذ كانوا يجحدون بايات الله تنبيها على ان حرمان اوليك الكفار وجدان هولاء المومنين ليس الا من الله • واعلم انه سبحانه بين عظيم نعمه من وجوه • احدها باعطا السمع والابصار والافئدة خص هذه الثلاثة بالذكر لان الاستدلال موقوف عليها • ثم بين انه يقل منهم الشاكرون • قال ابو مسلم وليس المراد ان لهم شكرا وان قل لكنه كما يقال للكفور الجاحد للنعمة ما اقل شكر فلان • وثانيها قوله وهو الذي ذراكم في الارض وقيل في التفسير خلقكم قال ابو مسلم ويحتمل فيما بسطكم فيها ذرية بعضكم من بعض حتى كثرتم كقوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح • فيقول هو الذي جعلكم في الارض متناسلين ويحشركم يوم القيمة الى دار لا حاكم فيها سواه فجعل حشرهم الى ذلك الموضع حشرا اليه لا بمعنى المكان • وثالثها قوله وهو الذي يحيي ويميت اى نعمة الحياة وان كانت من اعظم النعم فهي منقطعة وانه سبحانه وان انعم بها فالمقصود منها الانتقال الى دار الثواب • ورابعها قوله وله اختلاف الليل والنهار • ووجه النعمة بذلك معلوم • ثم انه سبحانه حذر من ترك النظر في هذه الامور فقال افلا تعقلون لان ذلك دلالة الزجر والتهديد • وقرى افلا يعقلون لان ذلك دلالة الزجر والتهديد • قوله تعالى بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن واباونا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين اعلم انه سبحانه لما اوضح القول في دلائل التوحيد عقبه بذكر المعاد فقال بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما في انكار البعث مع وضوح الادلة ونبه بذلك على انهم انما انكروا ذلك تقليدا للاولين وذلك يدل على فساد القول بالتقليد ثم حكى الشبهة عنهم من وجهين • احدهما قولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون وهو مشهور • وثانيها قولهم لقد وعدنا نحن واباونا هذا من قبل كانهم قالوا ان هذا الوعد كما وقع منه عليه السلام فقد وقع قديما من سائر الانبياء ثم لم يوجد مع طول العهد فظنوا ان الاعادة تكون في دار الدنيا • ثم قالوا لما كان كذلك فهو من اساطير الاولين • والاساطير جمع اسطار جمع سطر اى ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له • وجمع اسطورة افوق

الطريق

ان شدة الدنيا اقرب الى المكلف من شدة الاخرة

قوله تعالى

قوله تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شي وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون

[illegible]

وهنا سؤالات • السؤال الاول قرى لمن الارض باللام • وقوله من رب السموات من بيده ملكوت كل شي بغير اللام في مصاحف اهل الحرمين والكوفة والشام • وباللام في مصاحف اهل البصرة فما الفرق في الجواب • لا فرق في المعنى لان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد • السؤال الثاني كيف قال ان كنتم تعلمون • ثم حكى عنهم سيقولون لله وفيه تناقض الجواب لا تناقض لان قوله ان كنتم تعلمون لا ينفي علمهم بذلك وقد يقال مثل ذلك في الحجاج على وجه التاكيد لعلمهم والبعث على اعترافهم بما يورد من ذلك • قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون اعلم انه سبحانه ادعى امرين • احدهما قوله ما اتخذ الله من ولد وهو كالتنبيه على ان ذلك من قول هولاء الكفار فان جمعا منهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله • والثاني قوله وما كان معه من اله وهو قولهم باتخاذ الاصنام الهة ويحتمل ان يريد ابطال قول النصارى والثنوية • ثم انه سبحانه وتعالى ذكر الدليل المعتمد بقوله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض • والمعنى لانفرد كل واحد من الالهة بخلقه الذي خلقه واستبد به • ولرايتم ملك كل واحد منهم متميزا عن ملك الاخر ولغلب بعضهم على بعض كما ترون حال ملوك الدنيا وممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا اثرا لتمايز الممالك والتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شي • فان قيل اذا لا تدخل الا على كلام هو جزا وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل • قلنا الشرط محذوف • وتقديره ولو كان معه الهة • وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه • ثم انه سبحانه نزه نفسه عن قولهم بقوله سبحان الله عما يصفون من اثبات الولد والشريك • اما قوله عالم الغيب والشهادة قرئ بالجر صفة لله • وبالرفع خبر مبتدا محذوف • والمعنى انه مختص بعلم الغيب والشهادة فغيره وان علم الشهادة فانه لا يعلم معها الغيب • والشهادة التي يعلمها لا تتكامل بها النفع الا مع العلم بالغيب وذلك كالوعيد لهم فلذلك قال فتعالى عما يشركون • ثم امره سبحانه بالانقطاع اليه وان يدعوه بقوله رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين قال صاحب الكشاف ما والنون موكدتان • اى ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا او في الاخرة فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم • فان قيل كيف يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب ان لا يجعله معهم • قلنا يجوز ان يسال العبد ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ به مما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه وما احسن قول الحسن في قول الصديق وليتكم ولست بخيركم مع انه يعلم انه خيرهم ولكن المومن يهضم نفسه • وانما ذكر رب مرتين مرة قبل الشرط ومرة قبل الجزا مبالغة في التضرع • اما قوله وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون • وفيه قولان • احدهما انهم كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه • فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ويحتمل عذابا في الدنيا موخرا عن ايامه عليه السلام فلذلك قال بعضهم هو في اهل البغي وبعضهم في الكفار الذين قوتلوا بعد الرسول صلى الله عليه وسلم • والثاني ان المراد عذاب الاخرة • اما قوله ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون • فالمراد منه ما الاولى به عليه السلام ان يعامل به الكفار فامره باحتمال ما يكون منهم من التكذيب وضروب الاذى وان يدفعه بالكلام الجميل كالسلام وبيان الادلة

والخادع هو الشيطان والهوى

على احسن الوجوه وبين له انه اعلم بحالهم منه عليه السلام وانه سبحانه لما لم ينقطع نعمه عنهم فينبغي ان يكون هو عليه السلام
مواظبا على هذه الطريقة قال صاحب الكشاف قوله ادفع بالتي هي احسن السيئة ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه
من التفضيل • والمعنى الصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الطاقة
فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء السيئة • وقيل هذه الاية منسوخة باية السيف • وقيل محكمة لان المداراة محبوبة
عليها ما لم يؤد الى نقصان دين او مروة • قوله تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون
حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون
اعلم انه سبحانه وتعالى لما ادب رسوله بقوله ادفع بالتي هي احسن السيئة اتبعه بما به يقوى على ذلك وهو الاستعاذة بالله من
امرين • احدهما من همزات الشياطين • والهمزات جمع الهمزة وهو الدفع والتحريك الشديد وهو كالهز والاز ومنه مهماز
الرائض وهمزاته هي كبيرة بالوسوسة ويكون ذلك منه في الرسول بوجهين • احدهما بالوسوسة • والاخر بان يبعث
اعداءه على ايذائه • وكذلك القول في المومنين لان الشيطان يكيدهم بهذين الوجهين • ومعلوم ان من ينقطع الى
تعالى ويسأله ان يعيذه من الشيطان فانه يجب ان يكون متذكرا متيقظا فيما ياتي ويذر فيكون نفس هذا الانقطاع
الى الله تعالى داعية للتمسك بالطاعة وزاجرة عن المعصية قال الحسن كان عليه السلام يقول بعد استفتاح
الصلاة الله لا اله الا انت ثلثا الله اكبر اللهم اني اعوذ بك من همزات الشياطين همزه ونفثه ونفخه فقيل يا رسول
الله ما همزه قال الموتة التي تاخذ ابن ادم انه الجنون فقيل فما نفثه قال الشعر قيل فما نفخه قال الكبر • وثانيهما قوله
واعوذ بك رب ان يحضرون • وفيه وجهان • احدهما ان يحضرون عند قراءة القرآن لكي يكون متذكرا فيقل سهوه وقال
اخرون بل استعاذ بالله من نفس حضورهم لانه الداعي الى وسوستهم كما يقول المرء اعوذ بالله من خصومتك بل اعوذ بالله
من لقائك • وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اشتكى اليه رجل ارقا يجده فقال اذا اردت النوم فقل اعوذ بالله
وبكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون • اما قوله حتى اذا جاء احدهم
الموت ففيه مسائل **المسألة الاولى** قال صاحب الكشاف حتى تتعلق بيصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت
والاية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتاكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم وهو اعلم
المسألة الثانية اختلفوا في قوله حتى اذا جاء احدكم الموت • فالاكثرون على انه راجع الى الكفار • وقال الضحاك كنت
جالسا عند ابن عباس فقال من لم يزك ولم يحج سال الرجعة عند الموت • فقال رجل انما سال ذلك الكفار • فقال ابن عباس
انا اقرا عليك به قرآنا وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب • قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا حضر الانسان الموت جمع كل شيء كان يمنعه من حقه بين يديه فعنده يقول رب ارجعون لعلي اعمل
صالحا فيما تركت • واما ما ذكره ابن عباس من قوله وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فهو اخبار عن حال الحياة
في الدنيا لا عن حال الثواب فلا يلزم ما ذكرنا • **المسألة الثالثة** اختلفوا في وقت مسألة الرجعة • فالاكثرون على
انه يسال في حال المعاينة لانه عندها يضطر الى معرفة الله تعالى والى انه كان عاصيا ويصير ملجأ الى ان لا يفعل القبيح
بان يعلمه الله تعالى انه لو رامه لمنع منه • ومن هذا حاله يصير كالممنوع من القبائح بهذا الالجاء فعند ذلك يسال الرجعة
ويقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت • وقال اخرون بل يقول ذلك عند معاينة النار في الاخرة • ولعل هذا
القائل انما ترك ظاهر هذه الاية لما اخبر الله تعالى في كتابه عن اهل النار في الاخرة انهم يسالون الرجعة لكن ذلك مما لا
يمنع ان يكونوا سائلين الرجعة في حال المعاينة والله تعالى يقول حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون فعلق قولهم
هذا بحال حضور الموت وهو حال المعاينة فلا وجه لترك هذا الظاهر **المسألة الرابعة** اختلفوا في قوله تعالى ارجعون
من المراد به فقال بعضهم الملائكة الذين يقبضون الارواح وهم جماعة فلذلك ذكره بلفظ الجمع • وقال اخرون بل المراد
هو الله تعالى لان قوله رب بمنزلة ان يقول يا رب وانما ذكر بلفظ الجمع للتعظيم كما يخاطب العظيم بلفظه فيقول فعلنا وصنعنا
وقال الشاعر • فان شئت حرمت النساء سواكم • ومن يقول بالاول يجعل ذكر الرب للقسم فكانه عند المعاينة
قال بحق الرب ارجعون • وهاهنا سؤالات • الاول كيف يسالون الرجعة وقد علموا صحة الدين بالضرورة • ومن الدين
ان لا رجعة الجواب انه وان كان كذلك فلا يمتنع ان يسالوه لان الاستغاثة بهذا الجنس من المسألة تحسن وان علم
انه لا يقع فاما ارادته للرجعة فلا يمتنع ايضا على سبيل ما يفعله المتمني • السؤال الثاني ما معنى قوله لعلي اعمل صالحا
فيجوز ان يسال الرجعة مع الشك الجواب ليس المراد بلعل الشك فانه في هذا الوقت باذل للجهد في العزم على الطاعة
ان اعطي ما سال فهو مثل من قصر في حق نفسه وعرف سوء عاقبة ذلك التقصير فيقول مكنوني من التدارك لعلي اتدارك
فيقول هذه الكلمة مع كونه جازما بانه سيتدارك • ويحتمل ايضا ان الامر المستقبل اذا لم يعرفوه اوردوا الكلام الموضوع

قد اشتكى اليه رجل ارقا يجده

للترجي

للترجي والظن دون اليقين فقد قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه • السؤال الثالث ما المراد بقوله فيما تركت الجواب
قال بعضهم فيما خلفت من المال ليصير عند الرجعة مؤديا لحق الله تعالى منه والمعقول من قوله تركت الترك • وقال اخرون بل المراد
اعمل صالحا فيما قصرت فيدخل فيه العبادات البدنية والمالية والحقوق وهذا اقرب كانهم تمنوا الرجعة ليصلحوا ما افسدوا
ويطيعوا في كل ما عصوا • السؤال الرابع ما المراد بقوله كلا الجواب فيه قولان • احدهما انه كالجواب لهم في المنع
مما طلبوا كما يقال لطالب الامر المستبعد هيهات • روي انه عليه السلام قال لعايشة اذا عاين المومن الملائكة قالوا نرجعك
الى الدنيا • فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله • واما الكافر فيقال نرجعك فيقول ارجعون • فيقال له الى اي شيء
ترغب الى جمع المال او غرس الغراس او بناء البنيان او شق الانهار فيقول لعلي اعمل صالحا فيما تركت • فيقول الجبار كلا • الثاني يحتمل
ان يكون على وجه الاخبار • يقولون ذلك • وان هذا الخبر حق فكانه قال حقا انها كلمة هو قائلها • والاقرب الاول • اما قوله انها كلمة
هو قائلها ففيه وجهان • الاول انه لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه • الثاني انه قائلها وحده ولا يجاب اليها ولا
يسمع منه • اما قوله تعالى ومن ورائهم برزخ • فالبرزخ هو الحاجز والمانع كقوله في البحرين بينهما برزخ لا يبغيان اي فهؤلاء صائرون
الى حالة مانعة من الملاقي حاجزة عن الاجتماع وذلك هو الموت ليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث انما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة
يوم البعث الا الى الاخرة • قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فاولئك
هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون
الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون • اعلم انه سبحانه لما قال ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ذكر احوال ذلك اليوم فقال فاذا
نفخ في الصور وفيه ثلاثة اقوال • احدها ان الصور آلة اذا نفخ فيها يظهر صوت عظيم جعله الله تعالى علامة لخراب الدنيا وللاعادة
الاموات • روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قرن ينفخ فيه • وثانيها ان المراد من الصور مجموع الصور • والمعنى فاذا نفخ في الصور
ارواحها وهو قول الحسن وكان يقرا بفتح الواو • والفتح والكسر عن ابي رزين وهو حجة لمن فسر الصور بجمع صورة • وثالثها ان النفخ
في الصور استعارة • والمراد منه البعث والحشر • والاول اولى للخبر • وفي قوله ثم نفخ فيه اخرى دلالة على انه ليس المراد نفخ
الروح والاحياء لان ذلك لا يتكرر • اما قوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن المعلوم انه سبحانه اذا اعادهم فالانساب
ثابتة لان المعاد هو الولد والوالد فلا يجوز ان يكون المراد نفي النسب في الحقيقة بل المراد نفي حكمه وذلك من وجوه • احدها
ان من حق النسب ان يقع به التعاطف والتراحم كما يقال في الدنيا اسئلك بالله والرحم ان تفعل كذا فنفى سبحانه ذلك من حيث
ان كل احد من اهل النار يكون مشغولا بنفسه • وذلك يمنعه من الالتفات الى النسب • وهكذا الحال في الدنيا لان الرجل متى
دفع الى الامر العظيم من الالام ينسى ولده ووالده • وثانيها ان من حق النسب ان يحصل به التفاخر في الدنيا • وان يسال بعضهم
عن كيفية نسب البعض • وفي الاخرة لا يتفرغون لذلك • وثالثها ان يجعل ذلك استعارة عن الخوف الشديد وكل امرئ مشتغل
بنفسه عن نسبه واخيه وفصيلته التي تؤويه فكيف بساير الامور قال ابن مسعود يؤخذ العبد والامة يوم القيمة على رؤس
الخلائق • وينادي مناد الا ان هذا فلان فمن له عليه حق فليات الى حقه فيفرح المراة حينئذ ان يثبت لها حق على ابيها او اخيها او ابنها
او زوجها فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون • وعن قتادة لا شيء ابغض الى الانسان يوم القيمة من ان يرى من يعرفه مخافة
ان يثبت له عليه شيء ثم تلا يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الاية • وعن الشعبي قالت عايشة يا رسول الله اما نتعارف
يوم القيمة اسمع الله يقول فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فقال عليه الصلاة والسلام ثلاث مواطن تذهل فيها كل نفس
حين يرمى الى كل انسان كتابه وعند الموازين وعلى جسر جهنم • وطعن بعض الملحدة فقال قوله ولا يتساءلون • وقوله ولا يسال حميم
حميما يناقض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون • وقوله يتعارفون بينهم الجواب من وجوه • احدها ان يوم
القيمة مقداره خمسون الف سنة • ففيه ازمنة واحوال مختلفة فيتعارفون ويتساءلون في بعضها ويتحيرون في بعضها
لشدة الفزع • وثانيها انه اذا نفخ في الصور نفخة واحدة شغلوا بانفسهم • فاذا نفخ فيه اخرى اقبل بعضهم على بعض وقالوا
يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا • هذا ما وعد الرحمن • وثالثها المراد لا يتساءلون بحقوق النسب • ورابعها ان قوله لا يتساءلون
صفة للكفار وذلك لشدة خوفهم • واما قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون فهو صفة اهل الجنة اذا دخلوها
واعلم انه سبحانه بين ان هذا النفخ في الصور يكون للمحاسبة وشرح احوال السعداء والاشقياء • وقيل لما بين سبحانه انه ليس في
الاخرة الا ثقل الموازين وخفتها • وجب ان يكون كل مكلف لا بد وان يكون من اهل الجنة واهل الفلاح او من اهل النار وتبطل
بذلك القول بان فيهم من لا يستحق الثواب والعقاب • ومن يتساوى له الثواب والعقاب • ثم انه سبحانه شرح حال السعداء
بقوله فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون • وفي الموازين اقوال • احدها انه استعارة من العدل • وثانيها ان الموازين
هي الاعمال • فمن اتى بما له قدر وخطر فهو الفائز الظافر • ومن اتى بما لا وزن له كقوله والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه
الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا فهو خالد في جهنم قال ابن عباس الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال اي

يؤخذ العبد والامة يوم القيمة على رؤس الخلائق

الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا • وثالثها انه ميزان له لسان وكفتان توزن فيه الحسنات في احسن صورة والسيئات في اقبح صورة فمن ثقلت موازينه حسناته سبق الى الجنة • ومن ثقلت سيئاته فالى النار وتمام الكلام في هذا الباب قد تقدم في سورة الانبيا عليهم السلام • واما الاشقيا فقد وصفهم الله تعالى بامور اربعة احدها انهم خسروا انفسهم قال ابن عباس غبنوها بان صارت منازلهم للمؤمنين • وقيل امتنع انتفاعهم بانفسهم لكونهم في العذاب • وثانيها قوله في جهنم خالدون وفيه دلالة على خلود الكفار في النار بعينه قال صاحب الكشاف في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدا محذوف • وثالثها قوله تلفح وجوههم النار قال ابن عباس اي تضرب وجوههم قال الزجاج اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد تاثيرا • ورابعها قوله وهم فيها كالحون • والكلوح ان تتقلص الشفتان وتتباعدا عن الاسنان كما ترى الرؤس المشوية • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته • وقرئ كلحون • ثم انه سبحانه لما شرح عذابهم حكى ما يقال لهم عند ذلك تقريعا وتوبيخا • قوله تعالى الم تكن اياتي تتلى عليكم ثم انكم كنتم تكذبون بها مع وضوحها فلا جرم صرتم مستحقين لما انتم فيه من العذاب الاليم قالت المعتزلة الاية تدل على انهم انما وقعوا في ذلك العذاب لسوء افعالهم ولو كان فعل العبد بخلق الله تعالى لما صح ذلك • والجواب ان القادر على الطاعة والمعصية ان صدرت المعصية عنه لا لمرجح البتة كان صدورها عنه اتفاقيا لا اختياريا فوجب ان لا يستحق العقاب • وان كان لمرجح فذلك المرجح ليس من فعله والا لزم التسلسل فحينئذ يكون صدور تلك الطاعة عنه اضطراريا لا اختياريا • فوجب ان لا يستحق العقاب

قوله تعالى قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون

اعلم انه سبحانه لما قال الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ذكر ما يجري مجرى الجواب عنه وهو من وجهين • الاول قال صاحب الكشاف غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه • والشقاوة سوء العاقبة • وقرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما قال ابو مسلم الشقوة من الشقا كجرية الما والمصدر الجري وقد يجي لفظ فعلة • والمراد به الهيئة والحال • فتقول جلسة حسنة وركبة وقعدة وذلك من الهيئة وتقول عاش فلان عيشة طيبة ومات ميتة كريمة وهذا هو الحال والهيئة فعلى هذا المراد من الشقوة حال الشقا • قال الجبائي المراد ان طلبنا اللذات المحرمة وحرصنا على العمل القبيح ساقنا الى هذه الشقاوة فاطلق اسم المسبب على السبب وليس هذا باعتذار منهم لعلمهم بان لا عذر لهم فيه ولكنه اعتراف بقيام حجة الله تعالى عليهم في سوء صنيعهم • قلنا انك حملت الشقاوة على طلب تلك اللذات المحرمة وطلب تلك اللذات حصل باختيارهم او لا باختيارهم فذلك الاختيار محدث فان استغنى عن المؤثر فلم لا يجوز في كل الحوادث ذلك وحينئذ ينسد عليك باب اثبات الصانع • وان افتقر الى محدث فمحدثه اما العبد او الله تعالى فان كان هو العبد فذلك باطل لوجوه • احدها ان قدرة العبد صالحة للفعل والترك فان توقف صدور تلك الارادة عنها الى مرجح اخر عاد الكلام فيه ولزم التسلسل وان لم يتوقف على المرجح فقد جوزت رجحان احد طرفي الممكن على الاخر لا لمرجح وذلك يسد باب اثبات الصانع • وثانيها ان العبد لا يعلم كمية تلك الافعال ولا كيفيتها والجاهل بالشي لا يكون محدثا له والا لبطلت دلالة الاحكام • والاتقان على العلم • والثاني ان احدا في الدنيا لا يرضى بان يختار الجهل بل لا يقصد الا تحصيل العلم فالكافر ما قصد الا تحصيل العلم • فلو كان الموجد لفعله هو لوجب ان لا يحصل الا ما قصد ايقاعه لكنه لم يقصد الا العلم فكيف حصل الجهل فثبت ان الموجد للدواعي والبواعث هو الله تعالى ثم ان الداعية ان كانت سابقة الى الخير كانت سعادة • وان كانت سابقة الى الشر كانت شقاوة • الوجه الثاني لهم في الجواب قولهم كنا قوما ضالين • وهذا الضلال الذي جعلوه كالعلة في اقدامهم على التكذيب ان كان هو نفس ذلك التكذيب لزم تعليل الشي بنفسه • ولما بطل ذلك لم يبق الا ان يكون ذلك الضلال عبارة عن شي اخر يترتب عليه فعلهم وما ذاك الا خلق الداعي الى الضلال ثم ان القوم لما اوردوا هذين العذرين قال لهم سبحانه اخسئوا فيها ولا تكلمون • وهذا هو صريح قولنا في ان المناظرة مع الله تعالى غير جائزة بل لا يسال عما يفعل قال القاضي في قوله ربنا غلبت علينا شقوتنا دلالة على انه لا عذر لهم الا الاعتراف فلو كان كفرهم من خلقه تعالى وبارادته وعلموا ذلك لكانوا بان يذكروا ذلك اجدر والى العذر اقرب • فنقول قد بينا ان الذي ذكره ليس الا ذلك ولكنهم معترفون ان لا عذر لهم الا الاعتراف • فلو كان كفرهم من خلقه تعالى وبارادته وعلموا ذلك لكانوا بان يذكروا ذلك اجدر الى العذر اقرب • فنقول قد بينا ان الذي ذكره ليس الا ذلك فلا جرم قيل لهم اخسئوا • اما قوله ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون • والمعنى اخرجنا من هذه الدار الى الدار الدنيا فان عدنا الى الاعمال السيئة فانا ظالمو

طيبة

فانقيل

فان قيل كيف يجوز ان يطلبوا ذلك وقد علموا ان عقابهم دائم • قلنا يجوز ان يلحقهم السهو عن ذلك في احوال شدة العذاب فيسالون الرجعة • ويحتمل ان يكون مع علمهم بذلك يسالون ذلك على وجه الغوث والاسترواح • اما قوله اخسئوا فيها فالمعنى ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت • يقال خسا الكلب وخسا بنفسه • اما قوله ولا تكلمون فليس هذا نهيا لانه لا تكليف في الاخرة بل المراد لا تكلمون في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف • قيل هو اخر كلام يتكلمون به • ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعوا كعوا الكلاب • ولا يفهمون ولا يفهمون • وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا • فيجابون حق القول مني • فينادون الف سنة ثانية ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين • فيجابون ذلك بانه اذا دعي الله وحده كفرتم • فينادون الفا ثالثة يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون • فينادون الفا رابعة ربنا اخرجنا • فيجابون اولم تكونوا • فينادون الفا خامسة اخرجنا نعمل صالحا • فيجابون اولم نعمركم • فينادون الفا سادسة رب ارجعون • فيجابون اخسئوا فيها • ثم بين سبحانه وتعالى جرمهم بامر يتصل بالمؤمنين وهو قوله انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا فوصف تعالى اخذهما له عند بوادر تعدوا من الخير وهو ما عاملوا به المؤمنين • وفي حرف ابي انه كان فريق بالفتح بمعنى لانه • قرا نافع واهل المدينة واهل الكوفة غير عاصم بضم السين في جميع القران • وقرا الباقون بالكسر هاهنا • وفي ص قال الخليل وسيبويه هما لغتان كدري ودري وقال الكسائي والفرا الكسر بمعنى الاستهزا بالقول والضم بمعنى التسخير قال مقاتل ان رؤسا قريش مثل ابي جهل وعتبة وابي بن خلف كانوا يستهزءون باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضحكون بالفقرا منهم مثل بلال وخباب وعمار وصهيب • والمعنى اتخذتموهم هزوا حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري • واكد ذلك بقوله وكنتم منهم تضحكون • ثم بين سبحانه ما يقتضي فيهم الاسف والحسرة بان وصف ما جازى به اولئك المؤمنين فقال اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون • قرا حمزة والكسائي انهم بالكسر • والباقون بالفتح فالكسر استئنافا اي قد فازوا حيث صبروا فجزوا بصبرهم احسن الجزا • والفتح على انه في موضع المفعول الثاني من جزيت ويجوز ان يكون نصبا باضمار الخافض اي جزيتهم الجزا الوافر لانهم هم الفائزون •

قوله تعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسال العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم

اعلم ان في هذه الاية مسائل المسلة الاولى قال صاحب الكشاف في مصاحف اهل الكوفة قال وهو ضمير الله او المامور بسوالهم من الملائكة • وقيل في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام قل وهو ضمير الملك او بعض رؤسا اهل النار المسلة الثانية الغرض من هذا السوال التبكيت والتوبيخ فقد كانوا ينكرون لبثا في الاخرة اصلا ولا يعدون اللبث الا في دار الدنيا ويظنون ان بعد الموت يدوم الفنا ولا اعادة • فلما حصلوا في النار وايقنوا انها دائمة وهم فيها مخلدون سالهم كم لبثتم في الارض تنبيها لهم على ان ما ظنوه دائما طويلا فهو يسير بالاضافة الى ما انكروه فحينئذ تحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه في الدنيا من حيث تيقنوا خلافه فليس الغرض السوال بل الغرض ما ذكرنا فان قيل فكيف يصح في جوابهم ان يقولوا لبثنا يوما او بعض يوم ولا يقع من اهل النار الكذب • قلنا لعلهم نسوا ذلك لكثرة ما هم فيه من الاهوال وقد اعترفوا بهذا النسيان حيث قالوا فاسال العادين قال ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين • وقيل مرادهم بقولهم لبثنا يوما او بعض يوم تصغير لبثهم وتحقيره بالاضافة الى ما وقعوا فيه وعرفوه من دوام العذاب والله اعلم المسلة الثالثة اختلفوا في ان السوال عن اي لبث وقع فقال بعضهم لبثهم احيا في الدنيا ويكون المراد انهم امهلوا حتى تمكنوا من العلم والعمل فاجابوا بان قدر لبثهم كان يسيرا بنا على ان الله تعالى اعلمهم ان الدنيا متاع قليل وان الاخرة هي دار القرار • وهذا القائل احتج على قوله بانهم كانوا يزعمون ان لا حياة سواها • فلما احياهم الله تعالى في النار وعذبوا سئلوا عن ذلك توبيخا لانه الى التوبيخ اقرب • وقال اخرون بل المراد اللبث في حال الموت • واحتجوا على قولهم بامرين • الاول ان قوله في الارض يفيد الكون في القبر • ومن كان حيا فالاقرب ان يقال انه على الارض وهذا ضعيف لقوله ولا تفسدوا في الارض • الثاني قوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة • ثم بين سبحانه انهم كذبوا في ذلك واخبر عن المؤمنين قولهم لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث المسلة الرابعة احتج من انكر عذاب القبر بهذه الاية فقال قوله كم لبثتم في الارض يتناول زمان كونهم احيا فوق الارض • وزمان كونهم امواتا في بطن الارض فلو كانوا معذبين في القبر لعلموا ان مدة مكثهم في الارض طويلة فما كانوا يقولون لبثنا يوما او بعض يوم والجواب من وجهين • احدهما ان الجواب لا بد وان يكون بحسب السوال وانما سئلوا عن موت لا حياة بعده الا في الاخرة وذلك لا يكون الا بعد عذاب القبر • والثاني يحتمل ان يكون سئلوا عن قدر اللبث الذي اجتمعوا فيه فلا يدخل في ذلك تقدم موت بعضهم على البعض فيصح ان يكون جوابهم لبثنا يوما او بعض يوم عند انفسنا اما قوله فاسال العادين ففيه وجوه • احدها المراد به الحفظة وانهم كانوا يحصون الاعمال واوقات الحياة يحصون اوقات موتهم وتقدم من تقدم وتاخر من تاخر وهو معنى قول عكرمة فاسال العادين اي الذين يحسبون • وثانيها فاسال الملائكة الذين يعدون

من ح
ويظنون ان بعد الموت يدوم الفنا ولا اعادة

ايام الدنيا وسنيها • وثالثها ان يكون المعنى سل من يعرف عدد ذلك فانا قد نسيناه • ورابعها قرى العادين بالتخفيف اى الظلمة
فانهم يقولون مثل ما قلنا • وخامسها قرى العاديين اى القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم • اما قوله ان لبثتم
الا قليلا فالمعنى انهم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم على معنى انا لبثنا فى الدنيا قليلا فكانه قيل لهم صدقتم ما لبثتم فيها الا قليلا
الا انها انقضت ومضت فظهر ان الغرض من هذا السؤال تعريف قلة ايام الدنيا فى مقابلة ايام الآخرة • فاما قوله تعالى لو
انكم كنتم تعلمون فبين فى هذا الوجه لانه اراد انه قليل لو علمتم البعث والحشر لكنكم لما انكرتم ذلك كنتم تعدونه طويلا
ثم بين تعالى ما هو فى التوبيخ اعظم بقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون • وفيه مسئلتان **المسئلة الاولى**
قال صاحب الكشاف عبثا حال اى عابثين كقوله لاعبين او مفعول به اى ما خلقناكم للعبث **المسئلة الثانية** انه سبحانه
لما شرح صفة القيمة ختم الكلام فيها باقامة الدلالة على وجودها وهى انه لولا القيمة لما تميز المطيع من العاصى والصديق من
الزنديق • وحينئذ يكون خلق هذا العالم عبثا • واما الرجوع الى الله • فالمراد الى حيث لا مالك ولا حاكم سواه لا انه رجوع
من مكان الى مكان لاستحالة ذلك على الله تعالى • ثم انه تعالى نزه نفسه عن العبث بقوله تعالى فتعالى الله الملك الحق والملك هو
المالك للاشياء الذى لا يبيد ولا يزول ملكه وقدرته • واما الحق فهو الذى يحق له الملك لان كل شئ منه واليه وهو الثابت الذى
لا يزول ولا يزول ملكه وبين انه لا اله سواه وان ما عداه فمصيره الى الفناء وما يفنى لا يكون الها وبين انه تعالى رب العرش الكريم
قال ابو مسلم والعرش ههنا السموات بما فيها من العرش الذى تطوف به الملائكة • ويجوز ان يعنى به الملك العظيم • وقال
الاكثرون المراد هو العرش حقيقة • وانما وصفه بالكريم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة ولنسبته الى اكرم الاكرمين
كما تقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما • وقرى الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد • قوله تعالى **ومن يدع مع الله
الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين**
اعلم انه سبحانه لما بين انه هو الملك الحق لا اله الا هو اتبعه بان من ادعى الها آخر فقد ادعى باطلا من حيث لا برهان
لهم فيه • ونبه بذلك على ان كل ما لا برهان فيه لا يجوز اثباته وذلك يوجب صحة النظر وفساد التقليد • ثم ذكر ان من قال
بذلك فجزاؤه العقاب العظيم بقوله فانما حسابه عند ربه كانه قال ان عقابه بلغ الى حيث لا يقدر احد على حسابه الا
الله تعالى • وقرى انه لا يفلح بفتح الهمزة • ومعناه حسابه عدم الفلاح جعل فاتحة السورة قد افلح المؤمنون • وخاتمتها
انه لا يفلح الكافرون • فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة • ثم امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان يقول رب اغفر وارحم وثنى
عليه بانه خير الراحمين • وقد تقدم بيان انه سبحانه خير الراحمين • فان قيل كيف تتصل هذه الخاتمة بما قبلها • قلنا لانه سبحانه
لما شرح احوال الكفار فى جهلهم فى الدنيا وعذابهم فى الآخرة امر بالانقطاع الى الله تعالى والالتجاء الى غفرانه
ورحمته فانهما العاصمان عن كل الآفات والمخافات • روى ان اول سورة قد افلح وآخرها من كنوز العرش • من عمل بثلاث آيات
من اولها واتعظ باربع من آخرها فقد نجا وافلح والله اعلم بالصواب • واليه المرجع والمآب

سورة النور ستون واربع آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى **سورة انزلناها وفرضناها
وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون** قراءة العامة سورة بالرفع • وقرا طلحة بن مصرف بالنصب
واما الذين قراوا بالرفع فالجمهور قالوا الابتداء بالنكرة لا يجوز • والتقدير هذه سورة انزلناها • او نقول سورة انزلناها
مبتدا موصوف والخبر محذوف اى فيما اوحينا اليك سورة انزلناها او نقول سورة انزلناها قال الاخفش لا يبعد
الابتداء بالنكرة • فسورة مبتدا وانزلناها خبره • ومن نصب فعلى معنى الفعل اعنى اتبعوا سورة واتلوا سورة وانزلنا
سورة • واما معنى السورة ومعنى الانزال فقد تقدم • فان قيل الانزال انما يكون من صعود الى نزول فهذا يدل على انه تعالى
فى جهة • قلنا الجواب من وجوه • احدها ان جبريل عم كان يحفظها من اللوح المحفوظ ثم ينزلها عليه صلى الله عليه وسلم
فلهذا جاز ان يقال انزلناها توسعا • وثانيها ان الله تعالى انزلها من ام الكتاب الى السماء دفعة واحدة • ثم انزلها بعد ذلك
نجوما على لسان جبريل عم • وثالثها معنى انزلناها اى اعطيناها للرسول كما يقول العبد اذا كلم سيده رفعت اليه حاجتى كذلك
يكون من السيد الى العبد الانزال قال الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه • اما قوله وفرضناها
فالمشهور قراءة التخفيف • وقرا ابن كثير وابو عمرو بالتشديد • اما قراءة التخفيف فالفرض هو القطع والتقدير قال الله تعالى
فنصف ما فرضتم اى قدرتم ان الذى فرض عليك القرآن اى قدر • ثم ان السورة لا يمكن فرضها لانها قد دخلت فى الوجود
وتحصيل الحاصل محال فوجب ان يكون المراد وفرضنا ما بين فيها وانما قال ذلك لان اكثر ما فى هذه السورة من باب الاحكام والحدود

قوله تعالى

فلذلك خصها بهذا الكلام • واما قراءة التشديد فقال الفراء التشديد للمبالغة او للتكثير • اما المبالغة فمن حيث انها حدود
واحكام فلا بد من المبالغة فى ايجابها ليحصل الانقياد لقبولها • واما التكثير فلوجهين • احدهما ان الله تعالى بين فيها احكاما
مختلفة • والثانى انه سبحانه اوجبها على كل المكلفين الى آخر الدهر • اما قوله وانزلنا فيها آيات بينات ففيه وجوه • احدها
انه سبحانه ذكر فى اول السورة انواعا من الاحكام والحدود • وفى آخرها دلائل التوحيد • فقوله وفرضناها اشارة الى الاحكام
التى بينها اولا • ثم قوله وانزلنا فيها آيات بينات اشارة الى ما بين من دلائل التوحيد • والذى يؤكد هذا التاويل قوله لعلكم
تذكرون • فان الاحكام والشرائع ما كانت معلومة لهم ليؤمروا بتذكرها اما دلائل التوحيد فقد كانت كالمعلومة لهم لظهورها
فامروا بتذكرها • وثانيها قال ابو مسلم يجوز ان تكون الآيات البينات ما ذكر فيها من الحدود والشرائع لقوله رب اجعل لى آية
قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا • سال ربه ان يفرض عليه عملا • وثالثها قال القاضى ان السورة كما اشتملت على الواجبات
فقد اشتملت على كثير من المباحات بان بينها الله تعالى • فلما كان بيانه سبحانه لها مفصلا وصف الآيات بانها بينات • اما قوله
لعلكم تذكرون فقرى بتشديد الذال وتخفيفها • ومعنى لعل قد تقدم فى سورة البقرة قال القاضى لعل بمعنى كى • وهذا يدل
على انه سبحانه اراد من جميعهم ان يتذكروا والجواب • انه سبحانه لو اراد ذلك من الكل لما قوى دواعيهم الى جانب المعصية
ولو لم توجد تلك التقوية لزم وقوع الفعل لا لمرجح ولو جاز ذلك لما جاز الاستدلال بالامكان والحدوث على وجود المرجح
ويلزم نفى الصانع • واذا كان كذلك وجب حمل لعل على سائر الوجوه المذكورة فى سورة البقرة • واعلم انه سبحانه ذكر فى هذه السورة
احكاما كثيرة • الحكم الاول قوله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تاخذكم بهما رافة فى دين الله ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين • اعلم ان قوله الزانية والزانى رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل
وسيبويه على معنى فيما فرض الله عليكم الزانية والزانى اى اجلدوهما • ويجوز ان يكون الخبر فاجلدوا • وانما دخلت الفاء لكون الالف
واللام بمعنى الذى وتضمنه معنى الشرط تقديره التى زنت والذى زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه • وقرى بالنصب على اضمار
فعل يفسره الظاهر • وقرى والزان بلا يا • واعلم ان الكلام فى هذه الآية على نوعين • احدهما ما يتعلق بالشرعيات • والثانى ما
يتعلق بالعقليات ونحن ناتى على البابين بعون الله وتوفيقه ان شاء الله تعالى • النوع الاول الشرعيات • فاعلم ان الزنا حرام
وهو من الكبائر • ويدل عليه امور • احدها ان الله تعالى قرنه بالشرك • وقتل النفس فى قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما
وقال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا • وثانيها انه تعالى اوجب المائة فيه بكمالها بخلاف حد القذف وشرب الخمر
وشرع فيه الرجم ونهى المؤمنين عن الرافة وامر بشهود الطائفة ليشتهروا واوجب كون تلك الطائفة من المؤمنين لان الفاسق من
صلحاء قومه اخجل • وثالثها ما روى حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث
فى الدنيا وثلاث فى الآخرة • اما التى فى الدنيا فيذهب البهاء • ويورث الفقر • وينقص العمر • واما التى فى الآخرة • فسخط
الله تعالى • وسوء الحساب • وعذاب النار • وعن عبد الله قال قلت يا رسول الله اى الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا
وهو خلقك • قلت ثم اى قال ان تقتل ولدك خشية ان ياكل معك • قلت ثم اى قال ان تزنى بحليلة جارك • فانزل الله تعالى
تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون • واعلم انه يجب البحث فى هذه الآية
عن امور • احدها عن ماهية الزنا • وثانيها عن احكام الزنا • وثالثها عن الشرائط المعتبرة فى كون الزنا موجبا لتلك الاحكام
ورابعها عن الطريق الذى به يعرف حصول الزنا • وخامسها ان المخاطب بقوله فاجلدوا من هم • وسادسها ان الجلد والرجم
المامور بهما فى الزنا كيف يكون حالهما • البحث الاول فى ماهية الزنا قال بعض اصحابنا انها عبارة عن ايلاج فرج فى فرج مشتهى طبعا
محرم قطعا • وفيه مسائل **المسئلة الاولى** اختلفوا فى ان اللواطة هل ينطلق عليها اسم الزنا ام لا قال اصحابنا نعم واحتج
عليه بالنص والمعنى • اما النص فما روى ابو موسى الاشعرى انه عليه الصلاة والسلام قال اذا اتى الرجل الرجل فهما زانيان • واما
المعنى فهو ان اللواط مثل الزنا صورة ومعنى • اما الصورة فلان الزنا عبارة عن ايلاج فرج فى فرج • مشتهى طبعا • محرم قطعا
والدبر ايضا فرج لان القبل انما سمى فرجا لما فيه من الانفراج وهذا المعنى حاصل فى الدبر • اكثر ما فى الباب ان فى العرف لا يسمى
اللواط زنا ولكن هذا لا يقدح فى اصل اللغة كما يقال هذا طبيب وليس بعالم مع ان الطب علم • واما المعنى فهو ان الزنا قضاء الشهوة
من محل مشتهى طبعا على جهة الحرام المحض وهذا موجود فى اللواط لان القبل والدبر يشتركان فى المعانى التى هى متعلق الشهوة
من الحرارة واللين وضيق المدخل ولذلك فان من يقول بالطبائع لا يفرق بين المحلين • واما الفرق فهو الشرع فى التحريم والتحليل
فهذا حجة من قال اللواط داخل تحت اسم الزنا • واما الاكثرون من اصحابنا فقد سلموا ان اللواط غير داخل تحت اسم الزنا واحتجوا
عليه بوجوه • احدها العرف المشهور من ان هذا لواط وليس بزنا وبالعكس • والاصل عدم التغيير • وثانيها لو حلف لا يزنى
فلاط لا يحنث • وثالثها ان الصحابة اختلفوا فى حكم اللواط وكانوا عالمين باللغة • فلو سمى اللواط زنا لاغناهم نص الكتاب
فى حد الزنا عن الاختلاف والاجتهاد • واما الحديث فهو محمول على الاثم بدليل قوله عليه الصلاة والسلام اذا اتت المراة المراة

اى الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا

فهما زانيان وقال عليه السلام اليدان تزنيان والعينان تزنيان • واما القياس فبعيد لان الفرج وان كان سمي فرجا لما
فيه من الانفراج فلا يجب ان يسمى كل ما فيه انفراج بالفرج والا لكان الفم والعين فرجا • وايضا فهم سموا النجم نجما لظهوره • ثم
ما سموا كل ظاهر نجما • وسموا الجنين جنينا لاستتاره وما سموا كل مستتر جنينا • واعلم ان للشافعي في فعل اللواط قولان اصحهما
عليه حد الزنا ان كان محصنا يرجم وان لم يكن محصنا يجلد مائة ويغرب عاما • والثاني يقتل الفاعل والمفعول • ثم في كيفية
قتله اوجه • احدها تحز رقبته كالمرتد • وثانيها يرجم بالحجارة وهو قول مالك واحمد واسحق • وثالثها يهدم عليه جدار يروى
ذلك عن ابي بكر • ورابعها يرمى من شاهق حتى يموت • يروى ذلك عن علي عليه السلام وانما ذكروا هذه الوجوه لان الله تعالى عذب
قوم لوط بكل ذلك فقال تعالى فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة • وعند ابي حنيفة لا يحد اللواطي بل يعزر • واما المفعول
فان كان عاقلا بالغا طائعا • فان قلنا على الفاعل القتل فيقتل المفعول به على صفة قتل الفاعل للخبر • وان قلنا على الفاعل حد
الزنا فعلى المفعول جلد مائة وتغريب عام محصنا كان او غير محصن • وقيل ان كانت امراة محصنة فعليها الرجم وليس بصحيح لانها
لا تصير محصنة بالتمكين في الدبر فلا يلزمها حد المحصنات به كما لو كان المفعول ذكرا • حجة الشافعي على وجوب الحد من وجوه
الاول ان اللواط اما ان يساوي الزنا في الماهية او يساويها في لوازم هذه الماهية • واذا كان كذلك وجب الحد • بيان الاول
قوله عليه السلام اذا اتى الرجل الرجل فهما زانيان • واللفظ دل على كون اللائط زانيا • واللفظ الدال بالمطابقة على ماهية
دل بالالتزام على حصول جميع اللوازم • ثم بعد هذا ان تحقق مسمى الزنا في اللواط دخل تحت قوله الزانية والزاني فاجلدوا
وان لم يتحقق مسمى الزنا وجب ان يتحقق لوازم مسمى الزنا لما بينا ان اللفظ الدال على تحقق ماهية دال على جميع تلك اللوازم
ترك العمل به في تلك الماهية فوجب ان يبقى معمولا به في الدلالة على جميع تلك اللوازم لكن من لوازم الزنا وجوب الحد فوجب
ان يبقى معمولا به في الدلالة على جميع تلك اللوازم ان يتحقق ذلك في اللواط اكثر ما في الباب انه ترك العمل بذلك في قوله عليه
الصلاة والسلام اذا اتت المراة المراة فهما زانيتان لكن لا يلزم من ترك العمل هناك تركه هاهنا • الثاني ان اللائط يجب قتله
فيجب ان يقتل رجما • بيان الاول قوله عليه الصلاة والسلام من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل منهما والمفعول • بيان
الثاني انه لما وجب قتله وجب ان يكون زانيا والا لما جاز قتله لقوله عليه السلام لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث
وهاهنا لم يوجد كفر بعد ايمان ولا قتل نفس بغير حق فلو لم يوجد الزنا بعد الاحصان لوجب ان لا يقتل • واذا ثبت
انه وجد الزنا بعد الاحصان فوجب ان يقتل بالرجم بهذا الحديث • الثالث نقيس اللواط على الزنا والجامع ان الطبع
داع اليه لما فيه من الالتذاذ وهو قبيح فيناسب الزاجر • والحد يصلح زاجرا عنه • قالوا الفرق من وجهين • احدهما انه وجد
في الزنا داعيان فكان وقوعه اكثر فكانت الحاجة الى الزاجر اتم • الثاني ان الزنا يقتضي فساد الانساب • والجواب
الغاهما بوطء العجوز الشوهاء • واحتج ابو حنيفة بوجوه • احدها اللواط ليس بزنا على ما تقدم فوجب ان لا يقتل لقوله
عليه الصلاة والسلام لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث • وثانيها ان اللواط لا يساوي الزنا في الحاجة الى شرع الزاجر
ولا في الجناية فلا يساويه في الحد • بيان عدم المساواة في الحاجة ان اللواطة ان كانت يرغب فيها الفاعل لكن لا يرغب فيها
المفعول طبعا بخلاف الزنا فان الداعي حاصل من الجانبين • واما عدم المساواة في الجناية فلان الزنا اضاعة النسب
ولا كذلك اللواط • اذا ثبت هذا فوجب ان لا يساويه في العقوبة لان الدليل ينفي شرع الحد لكونه ضررا ترك
العمل به في الزنا فوجب ان يبقى في اللواط على الاصل • وثالثها ان الحد كالبدل عن المهر فلما لم يتعلق باللواط المهر فكذا
الحد والجواب عن الاول ان اللواط وان لم يكن مساويا للزنا في الماهية لكن ذلك بسبب اشتداد رغبة الفاعل
لان الانسان حريص على ما منع • وعن الثالث انه لا بد من الجامع والله اعلم **المسئلة الثانية** اجمعت الامة على
حرمة اتيان البهيمة • وللشافعي في عقوبته اقوال • احدها يجب به حد الزنا فيرجم المحصن ويجلد غير المحصن
ويغرب • والثاني انه يقتل محصنا او غير محصن لما روى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه • فقيل لابن عباس ما شان البهيمة فقال ما اراه قال ذلك الا انه كره ان يوكل لحمها
وقد عمل بها ذلك العمل • والقول الثالث وهو الاصح قول ابي حنيفة ومالك والثوري واحمد ان عليه التعزير
لان الحد شرع للزجر عما تميل النفس اليه • وهذا الفعل لا تميل النفس اليه • وضعفوا حديث ابن عباس لضعف
اسناده • ولئن ثبت فهو معارض بما روي انه عليه الصلاة والسلام نهى عن ذبح الحيوان الا لماكله **المسئلة الثالثة**
السحق من النسوان واتيان الميتة والاستمناء باليد لا يشرع فيها الا التعزير • **البحث الثاني عن احكام الزنا**
اعلم انه كان في اول الاسلام عقوبة الزنا الحبس الى الممات في حق الثيب • والاذى بالكلام في حق البكر قال الله
تعالى واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن
الموت او يجعل الله لهن سبيلا • واللذان ياتيانها منكم فاذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما • ثم نسخ ذلك الحكم

حد الثيب

حد الثيب على الزنا الرجم وحد البكر الجلد والتغريب • فلنذكرها في مسئلتين **المسئلة الاولى** الخوارج انكروا الرجم واحتجوا
فيه بوجوه • احدها قوله تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات • فلو وجب الرجم على المحصن لوجب نصفه على الرقيق
لكن الرجم لا نصف له • وثانيها انه سبحانه ذكر في القرآن انواع المعاصي من الكفر والقتل والسرقة ولم يستقص في احكامها
كما استقصى في بيان احكام الزنا الا ترى انه تعالى نهى عن الزنا بقوله ولا تقربوا الزنا ثم توعد عليه ثانيا بالنار كما في
كل المعاصي • ثم ذكر الجلد ثالثا • ثم خص الجلد بوجوب احضار المسلمين رابعا • ثم خصه بالنهي عن الرافة عليه بقوله ولا
تاخذكم بهما رافة في دين الله خامسا • ثم اوجب على من رمى مسلما بالزنا ثمانين جلدة سادسا ولم يجعل ذلك على من رماه بالقتل
والكفر وهما اعظم منه • ثم قال سابعا ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا • ثم ذكر ثامنا من رمى زوجته بالزنا واوجب اللعان
واستحقاق غضب الله • ثم ذكر تاسعا ان الزانية لا ينكحها الا زان او مشرك • ثم ذكر عاشرا ان الزنا مخصوص بالشهود
الاربعة • فمع المبالغة في استقصاء احكام الزنا قليلا وكثيرا لا يجوز اهمال ما هو اجل احكامها • واعظم آثارها • ومعلوم
ان الرجم لو كان مشروعا لكان اعظم الآثار بحيث لم يذكره الله تعالى في كتابه دل على انه غير واجب • وثالثها قوله تعالى الزانية
والزاني فاجلدوا يقتضي وجوب الجلد على كل الزناة • وايجاب الرجم على البعض بخبر الواحد يقتضي تخصيص عموم الكتاب بخبر الواحد
وهو غير جائز لان الكتاب قاطع في متنه والمقطوع راجح على المظنون • واحتج الجمهور من المجتهدين على وجوب رجم المحصن
لما ثبت بالتواتر انه عليه الصلاة والسلام فعل ذلك قال ابو بكر الرازي روى الرجم ابو بكر وعمر وعلي وجابر بن عبد الله وابو
سعيد الخدري وابو هريرة وبريدة الاسلمي وزيد بن خالد في آخرين من الصحابة • وبعض هؤلاء الرواة روى خبر ماعز وبعضهم
خبر اللخمية والغامدية وقال عمر لولا ان يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لاثبته في المصحف • والجواب عما احتجوا به اولا
انه مخصوص بالجلد • فان قيل فيلزم تخصيص القرآن بخبر الواحد • قلنا بل بالخبر المتواتر لما بينا ان الرجم منقول بالتواتر
وايضا فقد بينا في اصول الفقه ان تخصيص القرآن بخبر الواحد جائز • والجواب عن الثاني انه لا يستبعد تجدد الاحكام
الشرعية بحسب تجدد المصالح فلعل المصلحة التي تقتضي وجوب الرجم حدثت بعد نزول تلك الآيات والجواب عن الثالث
انه نقل عن علي عليه السلام انه كان يجمع بين الجلد والرجم وهو اختيار احمد واسحق وداود واحتجوا عليه بوجوه • احدها ان عموم
هذه الآية يقتضي وجوب الجلد والخبر المتواتر يقتضي وجوب الرجم ولا منافاة فوجب الجمع • وثانيها قوله عليه السلام البكر بالبكر
جلد مائة وتغريب عام • والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة • وثالثها روى ابو بكر الرازي في احكام القرآن عن ابن جريج
عن ابي الزبير • عن جابر ان رجلا زنى بامراة فامر به النبي صلى الله عليه وسلم فجلد • ثم اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه كان محصنا
فامر به فرجم • ورابعها روي ان عليا عليه السلام جلد شراحة الهمدانية • ثم رجمها وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها
بسنة رسول الله • واعلم ان اكثر المجتهدين متفقون على ان المحصن يرجم ولا يجلد • واحتجوا عليه بالمعقول • احدها قصة
العسيف فانه عليه الصلاة والسلام قال يا انيس اغد على امراة هذا فان اعترفت فارجمها ولم يذكر الجلد ولو وجب الجلد لذكره
وثانيها ان قصة ماعز وردت من جهات مختلفة ولم يذكر في شيء منها مع الرجم جلد • ولو كان الجلد معتبرا مع الرجم لجلده النبي صلى الله عليه وسلم
ولو جلده لنقل كما نقل الرجم اذ ليس احدهما بالنقل اولى من الآخر • وكذا في قصة الغامدية حين اقرت بالزنا فرجمها رسول الله
بعد ان وضعت • ولو جلدها لنقل ذلك • وثالثها ما روى الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال قال عمر
قد خشيت ان يطول بالناس زمان حتى يقول قائل لا نجد الرجم في كتاب الله تعالى فيضلوا بترك فريضة انزلها الله تعالى • وقد قرانا
الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة • رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخبر ان الذي فرضه الله تعالى
هو الرجم • ولو كان الجلد واجبا مع الرجم لذكره اما الجواب عن التمسك بالآية فهو انها مخصوصة في حق المحصن
وتخصيص عموم القرآن بالخبر المتواتر غير ممتنع • واما قوله عم الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة فلعله كان ذلك
قبل قوله يا انيس اغد على امراة هذا فان اعترفت فارجمها • واما انه عليه السلام جلد امراة ثم رجمها فلعله عليه السلام ما علم
احصانها فجلدها • ثم لما علم احصانها رجمها وهو الجواب عن فعل علي عليه السلام فهذا ما يمكن من التكليف في هذه
الاجوبة والله اعلم **المسئلة الثانية** قال الشافعي يجمع بين الجلد والتغريب في حد البكر وقال ابو حنيفة يجلد
واما التغريب فمفوض الى راي الامام • وقال مالك يجلد الرجل ويغرب وتجلد المراة ولا تغرب • حجة الشافعي حديث
عبادة انه عليه السلام قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام • والثيب بالثيب
جلد مائة ورجم بالحجارة • ويدل ايضا عليه ما روى ابو هريرة وزيد بن خالد ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله ان ابني كان عسيفا على امراة هذا فزنى بامراته فافتديت منه بوليدة ومائة شاة • ثم اخبرني اهل العلم ان على ابني مائة جلدة
وتغريب عام وان على امراة هذا الرجم فاقض بيننا فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لاقضين بينكم بكتاب الله اما
الغنم والوليدة فرد عليك • واما ابنك فعليه جلد مائة وتغريب عام • ثم قال للرجل من اسلم اغد يا انيس على امراة هذا فان

عليه السلام

ابو بكر الرازي في احكام القرآن

اعترفت فارجمها • واحتج ابو حنيفة على نفي التغريب بوجوه • احدها ان ايجاب التغريب يقتضي نسخ الآية ونسخ القرآن
بخبر الواحد لا يجوز • وقرروا النسخ من ثلاثة اوجه • الاول انه سبحانه رتب الجلد على فعل الزنا بالفاء وحرف الفاء للجزاء
لان ائمة اللغة قالوا اليمين بغير الله ذكر شرط وجزاء • وفسروا الشرط بالذي دخل عليه كلمة ان والجزاء بالذي دخل عليه
حرف الفاء • والجزاء اسم لما يقع به الكفاية ماخوذ من قولهم جازيناه اي كافيناه وقال عليه الصلاة والسلام تجزيك ولا
تجزي عن احد بعدك اي يكفيك ومنه قول القائل اجتزات الابل بالعشب عن الماء وانما تقع الكفاية بالجلد اذا لم يجب معه
شيء آخر فايجاب شيء آخر يقتضي نسخ كونه كافيا • الثاني ان المذكور في الآية لما كان هو الجلد فقط كان ذلك هو كمال الحد
فلو جعلنا النفي معتبرا مع الجلد كان الجلد بعض الحد لا كل الحد فيفضي الى نسخ كونه كل الحد • الثالث ان تقدير كون الجلد
كمال الحد فانه يتعلق بذلك رد الشهادة • ولو جعلناه بعض الحد لزال ذلك الحكم فثبت ان ايجاب التغريب يقتضي نسخ الآية
وثانيها قال ابو بكر الرازي لو كان النفي مشروعا مع الجلد لوجب على النبي صلى الله عليه وسلم عند تلاوة الآية توقيف الصحابة
عليه لئلا يعتقدوا عند سماع الآية ان الجلد هو كل الحد ولو كان كذلك لكان اشتهاره مثل اشتهار الآية • فلما لم يكن خبر النفي
بهذه المنزلة بل كان وروده من طريق الآحاد علم انه غير معتبر • وثالثها ما روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال في الامة اذا زنت فاجلدوها فان زنت فاجلدوها • فان زنت فبيعوها ولو بضفير • وفي رواية اخرى فليجلدها
الحد ولا يثرب عليها • والاستدلال انه لو كان النفي ثابتا لذكره مع الجلد • ورابعها انه اما ان يشرع التغريب في حق الامة
او لا يشرع ولا جائز ان يكون مشروعا لانه يلزم منه الاضرار بالسيد من غير جناية صدرت منه وهو غير جائز
ولانه عليه السلام قال بيعوها ولو بضفير • ولو وجب نفيها لما جاز بيعها لان المكنة من تسليمها الى المشتري لا تبقى مع
النفي ولا جائز ان لا يكون مشروعا لقوله تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات • وخامسها ان التغريب لو كان
مشروعا في الرجل لكان اما ان يكون مشروعا في حق المراة او لا يكون • والثاني باطل لان التساوي في الجناية قد
وجد في حقهما • وان كان مشروعا في حق المراة فاما ان يكون مشروعا في حقها وحدها او مع ذي محرم • والاول
غير جائز للنص والمعقول • اما النص فقوله عليه السلام لا يحل لامراة ان تسافر الا ومعها ذو محرم • واما
المعقول فهو ان الشهوة غالبة في النساء والانزجار بالدين انما يكون في الخواص من الناس • فاما الغالب فعدم
الزنا من النساء بوجود الحفاظ من الرجال وحيائهن من الاقارب • وبالتغريب تخرج المراة من ايدي الحفاظ
والرقباء ثم يقل حياؤها لبعدها عن معارفها فينفتح عليها باب الزنا فربما كانت فقيرة فتشتد فقرها في السفر
فيصير مجموع ذلك سببا لفتح باب هذه الفاحشة العظيمة عليها • ولا جائز ان يقال انا نغربها مع الزوج او المحرم
لان عقوبة غير الجاني لا تجوز لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى • وسادسها ما روي عن عمر انه غرب ربيعة
ابن امية بن خلف في الخمر الى خيبر فلحق بهرقل فقال عمر لا اغرب بعدها احدا ولم يستثن الزنا • وروي عن علي
عليه السلام انه قال في البكرين اذا زنيا يجلدان ولا ينفيان وان نفيهما من الفتنة • وعن ابن عمر ان امة له زنت
فجلدها ولم ينفها • ولو كان النفي معتبرا في حد الزنا لما خفي ذلك عن اكابر الصحابة • وسابعها ما روي ان شيخا
وجد على بطن جارية يحبسها في خربة فاتي به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اجلدوه مائة فقالوا انه اضعف
من ذلك فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها وخلوا سبيله فلو كان النفي واجبا لنفاه • فان قيل انما لم ينفه
لانه كان ضعيفا عاجزا عن الحركة • قلنا كان يمكن ان يكترى له دابة من بيت المال ينفى عليها • فان قيل عسى كان يضعف
عن الركوب • قلنا من قدر على الزنا كيف لا يقدر على الاستمساك • وثامنها ان التغريب نظير القتل لقوله تعالى اقتلوا انفسكم
او اخرجوا من دياركم فنزلهما منزلة واحدة فاذا لم يشرع القتل في زنا البكر وجب ان لا يشرع ايضا نظيره وهو
التغريب والجواب عن الاول انه ليس في كلام الله تعالى الا ادخال حرف الفاء على الامر بالجلد فاما الذي دخل
عليه هذا الحرف فانه يسمى جزاء فليس هذا من كلام الله ولا من كلام رسوله بل هو قول بعض الادباء فلا يكون حجة اما
قوله ثانيا لو كان النفي مشروعا لما كان الجلد كل الحد • فنقول لا نزاع في انه زال امر ما لان اثبات كل شيء لا اقل
من ان يقتضي زوال عدمه الذي كان الا ان الزائل ههنا ليس حكما شرعيا بل الزائل محض البراءة الاصلية ومثل هذه
الازالة لا يمتنع اثباتها بخبر الواحد • وانما قلنا ان الزائل محض العدم الاصلي وذلك لان ايجاب الجلد مع ايجاب
التغريب وبين ايجابه مع نفي التغريب • والقدر المشترك بين القسمين لا اشعار له بواحد من القسمين فاذن ايجاب
الجلد لا اشعار فيه البتة لا بايجاب التغريب ولا بعدم ايجابه الا ان نفي التغريب كان معلوما بالعقل نظرا الى
البراءة الاصلية فاذا جاء خبر الواحد ودل على وجوب التغريب فما ازال البتة شيئا من مدلولات اللفظ الدال على وجوب
الجلد بل ازال البراءة الاصلية • فاما كون الجلد وحده مجزيا وكونه وحده كمال الحد وتعلق رد الشهادة عليه فكل

ذلك مانع

ذلك مانع من وجوب الزيادة فلما كان ذلك النفي معلوما بالعقل جاز قبول خبر الواحد فيه [illegible]

[illegible]

المسئلة الثالثة اتفقت الامة على ان قوله سبحانه الزانية والزاني يفيد العموم [illegible]

[illegible]

الدينار الاصغر مجازا • ورابعها ان الزاني جزء من هذا الزاني فايجاب جلد هذا الزاني ايجابا بالجلد كل زان لزم ان يكون
ايجاب جلد هذا الزاني موجبا ايجاب جلد كل زان • ولما لم يكن كذلك بطل ما قالوه • فان قيل لم لا يجوز ان يقال
اللفظ المطلق اما يفيد العموم بشرط العراء عن لفظ التعيين او يقال اللفظ المطلق وان اقتضى العموم الا ان لفظ
التعيين يقتضي الخصوص • قلنا اما الاول فباطل لان العدم لا دخل له في التاثير • واما الثاني فلانه يقتضي التعارض
وهو خلاف الاصل • وخامسها يقال الانسان هو الضحاك • فلو كان المفهوم من قولنا الانسان هو كل انسان لنزل
ذلك منزلة ما يقال كل انسان هو الضحاك وذلك متناقض لانه يقتضي حصر الانسانية في كل واحد من الناس ومعنى
الحصر هو ان يثبت فيه لا في غيره فيلزم ان يصدق على كل واحد من اشخاص الناس انه هو الضحاك لا غيره • واحتج المخالف
بوجهين • الاول انه يجوز الاستثناء منه لقوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا • والاستثناء يخرج من الكلام
ما لولاه لدخل تحته الثاني ان الالف واللام للتعريف وليس ذلك لتعريف الماهية فان ذلك قد حصل باصل الاسم ولا لتعريف
واحد بعينه فانه ليس في اللفظ دلالة عليه ولا لتعريف بعض مراتب الخصوص فانه ليس بعض المراتب اولى من بعض
فوجب حمله على تعريف الكل • والجواب عن الاول ان ذلك الاستثناء مجاز بدليل انه يصح ان يقال رايت الانسان الا المؤمنين
وعلى الثاني انه يشكل بدخول الالف واللام على صيغة الجمع • فان جعلتها هناك للتاكيد فكذا ههنا • ومن الناس من قال
ان قوله الزانية والزاني وان كان لا يفيد العموم بحسب اللفظ لكنه يفيده بحسب القرينة • وذلك من وجهين • الاول ان
ترتيب الحكم على الوصف المشتق يفيد كون ذلك الوصف علة لذلك الحكم لا سيما اذا كان الوصف مناسبا وههنا كذلك فدل ذلك
على ان الزنا علة لوجوب الجلد فيلزم ان يقال اينما تحقق الزنا يتحقق وجوب الجلد ضرورة ان العلة لا تنفك عن المعلول • الثاني
ان المراد من قوله الزانية والزاني اما ان يكون الكل او البعض • فان كان الثاني صارت الآية مجملة وذلك يمنع من امكان العمل
بها لان العمل بها مامور وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب فوجب حمله على العموم حتى يمكن العمل به والله اعلم • البحث الثالث
في الشرائط المعتبرة في كون الزنا موجبا للرجم تارة والجلد اخرى • فنقول اجمعوا على ان كون الزنا موجبا لهذين الحكمين مشروط
بالعقل وبالبلوغ فلا يجب الرجم والجلد على الصبي ولا على المجنون • وهذان الشرطان ليسا من خواص هذين الحكمين بل هما معتبران

فان قيل لم لا يجوز ان يقال اللفظ المطلق

في كل العقوبات • اما كونها موجبة للرجم فلا بد مع العقل والبلوغ من امور اخر • الشرط الاول الحرية واجمعوا على ان الرقيق لا
يجب عليه الرجم البتة • الشرط الثاني التزوج بنكاح صحيح فلا يحصل الاحصان بالاصابة بملك اليمين ولا بوطء الشبهة ولا بالنكاح
الفاسد • الشرط الثالث الدخول ولا بد منه لقوله عليه السلام الثيب بالثيب وانما تصير ثيبا بالوطء • وهاهنا مسئلتان **الاولى**
هل يشترط ان تكون الاصابة بالنكاح بعد البلوغ والحرية والعقل فيه وجهان • احدهما لا يشترط حتى لو اصاب عند امة بنكاح
صحيح او في حال الجنون والصغر ثم كمل حاله ثم زنا يجب عليه الرجم لانه وطء يحصل به التحليل للزوج الاول فيحصل به الاحصان كالوطء
في حال الكمال ولان عقد النكاح يجوز ان يكون قبل الكمال فكذلك الوطء • والثاني وهو الاصح وهو ظاهر النص وقول
ابي حنيفة يشترط ان تكون الاصابة بالنكاح بعد البلوغ والحرية والعقل لانه لما شرط اكمل الاصابات وهو ان تكون بنكاح
صحيح بشرط ان تكون تلك الاصابة في حال الكمال **المسئلة الثانية** هل يعتبر الكمال في الطرفين او يعتبر في كل واحد
منهما كماله بنفسه دون صاحبه • فيه قولان • احدهما يعتبر في الطرفين حتى لو وطئ الصبي امرأة حرة عاقلة فانه
فانه لا يحصنها وهو قول ابي حنيفة ومحمد • والثاني انه يعتبر في كل واحد منهما كماله بنفسه وهو قول ابي يوسف
حجة القول الاول انه وطء لا يفيد الاحصان لاحد الواطئين فلا يفيده للاخر • حجة القول الثاني انه لا يشترط كونهما
على صفة الاحصان وقت النكاح • وكذا عند الدخول • الشرط الرابع الاسلام ليس شرطا في كون الزنا موجبا للرجم عند الشافعي
وابي يوسف وقال ابو حنيفة شرط • احتج الشافعي بامور • احدها قوله عليه الصلاة والسلام فاذا قبلوا الجزية فاعلمهم
ان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين • ومن جملة ما على المسلم كونه بحيث يجب عليه الرجم عند الاقدام على الزنا فوجب ان
يكون الذمي كذلك ليحصل التسوية • وثانيها حديث مالك عن نافع عن ابن عمر انه عليه الصلاة والسلام رجم يهوديا ويهودية
زنيا فاما ان يقال انه عليه السلام حكم بذلك بشريعته او بشريعة من قبله • فان كان الاول فلا اسئلة الا بين • وان كان
الثاني فكذلك لانه صار شرعا له • وثالثها ان زنا الكافر مثل زنا المسلم يجب عليه ما يجب على المسلم وذلك لان الزنا
محرم قبيح فيناسب الزجر وايجاب الرجم يصلح زاجرا له لا ينفي الا التفاوت بالكفر والايمان والكفر ان كان لا يوجب
تغليظ الجناية فلا يوجب تخفيفها • واحتج ابو حنيفة بوجوه • احدها التمسك بعموم قوله الزانية والزاني ترك
العمل به في حق المسلم المعنى مفقود في الذمي • ووجه الفرق ان القتل بالاحجار عقوبة عظيمة فلا يجب الا بجناية
عظيمة • والجناية تعظم بكفران النعم في حق الجاني عقلا وشرعا اما العقل فلان المعصية كفران النعمة وكلما كانت النعم
اكثر واعظم كان كفرانها اقبح واعظم • واما الشرع فلان الله تعالى قال في حق نساء النبي صلى الله عليه وسلم يا نساء النبي من
يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين فلما كانت نعم الله تعالى في حقهن اكثر كان العذاب في حقهن
اكثر وقال في حق الرسول لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات وانما عظمت
معصيته لان النعمة في حقه اعظم وهي نعمة النبوة • ثم من المعلوم ان نعم الله تعالى في حق المسلم المحصن اكثر
منها في حق الذمي فكانت معصية المسلم اعظم فوجب ان تكون عقوبته اشد • وثانيها ان الذمي لو زنى بعد الاحصان
فلا يجب عليه القتل بيان الاول قوله عليه الصلاة والسلام من اشرك بالله فليس بمحصن • بيان الثاني ان المسلم
الذي لا يكون محصنا لا يجب عليه القتل لقوله عم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث • واذا كان المسلم كذلك
وجب ان يكون الذمي كذلك لقوله عليه السلام اذا قبلوا عقد الجزية فاعلمهم ان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين
وثالثها اجمعنا على ان احصان القذف يعتبر فيه الاسلام فكذلك احصان الرجم والجامع ما ذكرنا من كمال النعمة
والجواب عن الاول خص عنه الثيب المسلم فكذا الثيب الذمي وما ذكروه من حديث زيادة النعمة على المومن
فنقول نعمة الاسلام حصلت بكسب العبد فيصير ذلك كالخدمة الزائدة وزيادة الخدمة ان لم تكن سببا للعذر
فلا اقل من ان تكون سببا لزيادة العقوبة • وعن الثاني لا نسلم ان الذمي مشرك • سلمنا لكن الاحصان قد يراد
به التزوج لقوله تعالى والذين يرمون المحصنات • وفي التفسير فاذا احصن يعني تزوجن اذا ثبت هذا فنقول
الذمي الثيب محصن بهذا التفسير فوجب رجمه وزنا بعد احصان رتب الحكم في حق المسلم على هذا الوصف فدل على كون
الوصف علة • والوصف قائم في حق الذمي فوجب كونه مستلزما للحكم • وعن الثالث ان حد القذف لدفع العار
كرامة للمقذوف • والكافر لا يكون محلا للكرامة وصيانة العرض بخلاف ها هنا والله اعلم • اما ما يتعلق بالجلد
ففيه مسائل **المسئلة الاولى** اتفقوا على ان الرقيق لا يرجم • واتفقوا على انه يجلد وبين نص الكتاب على الاماء
نصف ما على المحصنات من العذاب فلا رجم اتفقوا على ان الامة تجلد خمسين جلدة • اما العبد فقد اتفق الجمهور
على انه يجلد ايضا خمسين الا اهل الظاهر فانهم قالوا عموم قوله الزانية والزاني يقتضي وجوب المائة على العبد
والامة الا انه ورد النص بالتنصيف في حق الامة فلو قسنا العبد عليه كان ذلك تخصيصا لعموم الكتاب بالقياس

وانه غير جائز

وانه غير جائز • ومنهم من قال الامة اذا تزوجت فعليها خمسون جلدة وان لم تتزوج فعليها المائة لظاهر قوله تعالى فاجلدوا
كل واحد منهما مائة جلدة • وذكروا ان قوله فاذا احصن اي تزوجن فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب
المسئلة الثانية قال الشافعي وابو حنيفة الذمي يجلد وقال مالك لا يجلد • لنا وجوه • احدها عموم قوله الزانية
والزاني • وثانيها قوله عليه الصلاة والسلام اذا زنت امة احدكم فليجلدها • وقوله اقيموا الحدود على ما ملكت ايمانكم ولم
يفرق بين الذمي والمسلم • وثالثها انه عليه الصلاة والسلام رجم اليهوديين فذاك الرجم وان كان من شرع محمد صلى الله عليه
فقد حصل المقصود وان كان من شرع غيرهم فلما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم صار من شرعه وحقيقة هذه المسئلة ترجع
الى ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع • البحث الرابع فيما يدل على صدور الزنا منه • اعلم ان ذلك لا يحصل الا من
احد ثلثة اوجه • اما بان يراه الامام بنفسه او بان يقر او يشهد عليه الشهود • اما الوجه الاول وهو ما اذا رآه الامام قال
محيي السنة في كتاب التهذيب لا خلاف ان على القاضي ان يمتنع عن القضاء بعلم نفسه مثل ما اذا ادعى رجل على اخر حقا
واقام عليه بينة • والقاضي يعلم انه قد ابراه او ادعى انه قتل اباه وقت كذا وقد رآه القاضي حيا بعده • او ادعى نكاح
امراة وقد سمعه القاضي طلقها لا يجوز ان يقضي به وان قام عليه شهود • وهل يجوز للقاضي ان يقضي بعلم نفسه مثل ان ادعى
عليه الفا وقد رآه القاضي اقرضه او سمع المدعى عليه اقر به فيه قولان اصحهما وبه قال ابو يوسف ومحمد والمزني انه يجوز اما انه
يقضي بعلمه لانه لما جاز ان يحكم بشهادة الشهود وهو من قولهم على ظن فلان يجوز بما رآه وسمعه وهو منه على علم اولى قال
الشافعي في كتاب الرسالة اقضي بعلمي وهو اقوى من شاهدين وشاهدين او شاهد وامرأتين وهو اقوى من شاهد ويمين وهو اقوى
من النكول ورد اليمين • القول الثاني لا يقضي بعلمه وهو قول ابن ابي ليلى لان انتفاء التهمة شرط في القضاء ولم يوجد هذا في الحال
اما في العقوبات نظر ان كانت العقوبة من حقوق العباد كالقصاص وحد القذف هل يحكم فيه بعلم نفسه يترتب على المال ان قلنا
هناك لا يقضي فها هنا اولى والا فقولان • والفرق ان العقوبات تدرأ بالشبهات فيحتاط لدرئها وان كانت العقوبة من حقوق
الله كحد الزنا والشرب وقطع السرقة فهذا يترتب على حقوق العباد ان قلنا هناك لا يقضي بعلم نفسه فها هنا اولى والا فقولان والفرق
ان مبنى حقوق الله تعالى على المساهلة والمسامحة ولا فرق على القولين ان يحصل العلم للقاضي في بلده وفي زمان ولايته او في
غيره وقال ابو حنيفة ان حصل له العلم في بلد ولايته او في زمان ولايته له ان يقضي بعلمه والا فلا • فنقول العلم لا يختلف باختلاف
هذه الاحوال فوجب ان لا يختلف الحكم باختلافها والله اعلم • الطريق الثاني الاقرار قال الشافعي الاقرار بالزنا مرة واحدة
يوجب الحد وقال ابو حنيفة لا بد من الاقرار اربع مرات في اربع مجالس وقال احمد لا بد من الاقرار اربع مرات لكن لا فرق بين
ان يكون في اربع مجالس او في مجلس واحد • حجة الشافعي امران • الاول قصة العسيف وانه قال عم فان اعترفت فارجمها
وذلك يدل على ان الاعتراف مرة واحدة كاف • الثاني انه لما اقر بالزنا وجب الحد عليه لقوله عليه الصلاة والسلام اقض بالظا[هر]
والاقرار مرة واحدة يوجب الظهور لا سيما هاهنا وذلك لان الصارف عن الاقرار بالزنا قوي لما انه سبب العار في الحال والالم
الشديد في المال • والصارف عن الكذب ايضا قائم • وعند اجتماع الصارفين يقوى الانصراف فثبت انه انما اقدم
على هذا الاقرار لكونه صادقا • واذا ظهر اندرج تحت الحديث وتحت الاية او نقيسه على الاقرار بالقتل والردة • واحتج ابو
حنيفة بوجوه احدها قصة ماعز • والاستدلال به من وجوه • الاول انه عليه الصلاة والسلام اعرض عنه في المرة الاولى
ولو وجب عليه الحد لم يعرض عنه لان الاعراض عن اقامة حد الله تعالى بعد كمال الحجة لا يجوز • الثاني انه عليه الصلاة والسلام
قال انك شهدت على نفسك اربع مرات • ولو كان الواحد مثل الاربع في ايجاب الحد كان هذا القول لغوا • والثالث روي
عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال لماعز بعدما اقر ثلاث مرات لو اقررت الرابعة رجمك رسول الله • والرابع عن
بريدة الاسلمي قال كنا معشر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نقول لو لم يقر ماعز اربع مرات ما رجمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وثانيها انهم قاسوا الاقرار على الشهادة • كما انه لا يقبل في الزنا الا اربع شهادات • فكذا في الاقرار • والجامع السعي في كتمان
الفاحشة • وثالثها ان الزنا لا يثبت الا باربع شهادات وباربع ايمان في اللعان • فجاز ايضا ان يثبت باقرار واحد
والجواب عن الاول انه ليس في الحديث الا انه عليه الصلاة والسلام حكم بالشهادات الاربع وذلك لا ينافي جواز الحكم
بالشهادة الواحدة • وعن الثاني ان الفرق بينهما ان المقذوف لو اقر بالزنا مرة لسقط الحد عن القاذف ولولا ان الزنا
ثبت لما سقط كما لو شهد اثنان بالزنا لا يسقط الحد عن القاذف حين لم يثبت به الزنا والله اعلم • الطريق الثالث الشهادة
وقد اجمعوا على انه لا بد من اربع شهادات • ويدل عليه قوله تعالى فاستشهدوا عليهن اربعة منكم • والكلام فيه سياتي
ان شاء الله تعالى في قوله • ثم لم ياتوا باربعة شهداء • البحث الخامس في ان المخاطب بقوله تعالى فاجلدوا من هو اجمعت الامة
على ان المخاطب بذلك هو الامام • ثم احتجوا بهذا على وجوب نصب الامام • قالوا لانه سبحانه امر باقامة الحد واجمعوا
على انه لا يتولى اقامتها الا الامام وما لا يتم الواجب المطلق الا به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب فكان نصب الامام واجبا

قال ابو حنيفة لا بد من الاقرار اربع مرات

وقد مر بيان هذه الدلالة في قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما • بقي هاهنا ثلاث مسايل **المسألة الاولى**
قال الشافعي للسيد يملك اقامة الحد على مملوكه وهو قول ابن مسعود وابن عمر وفاطمة وعايشة • وعند ابي حنيفة وابي يوسف
ومحمد وزفر لا يملك وقال مالك يحده المولى في الزنا وشرب الخمر والقذف ولا يقطعه في السرقة وانما يقطعه الامام وهو قول
الليث • واحتج الشافعي بوجوه • احدها قوله عليه السلام اقيموا الحدود على ما ملكت ايمانكم • وعن ابي هريرة قال عليه السلام
اذا زنت امة احدكم فليجلدها • وفي رواية اخرى فليحدها الحد • قال ابو بكر الرازي لا دلالة في هذه الاخبار لان قوله اقيموا الحدود
على ما ملكت ايمانكم هو كقوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما • ومعلوم ان المراد رفعه الى الامام لاقامة الحد فالمخاطبون
باقامة الحد هم الايمة وساير الناس مخاطبون برفع الامر اليهم حتى يقيموا عليهم الحدود فكذلك قوله اقيموا الحدود على ما ملكت ايمانكم
على هذا المعنى • واما قوله اذا زنت امة احدكم فليجلدها فانه ليس كل جلد حدا لان الجلد قد يكون على وجه التعزير فاذا عزرناها
فقد وفينا بمقتضى الحديث • والجواب ان قوله اقيموا الحدود امر باقامة الحد فحمل هذا اللفظ على رفع الواقعة الى الامام
عدول عن الظاهر • اقصى ما في الباب انه ترك الظاهر في قوله فاجلدوا ولكن لا يلزم من ترك الظاهر هناك تركه هنا • اما
قوله فليجلدها المراد هو التعزير فباطل لان الجلد المذكور عقيب الزنا لا يفهم منه الا الحد • وثانيها ان السلطان لما
ملك اقامة الحد عليه فالسيد به اولى لان تعلق السيد بالعبد اقوى من تعلق السلطان به لان الملك اقوى من عقد البيعة
وولاية السادة على العبيد فوق ولاية السلطان على الرعية حتى اذا كان للامة سيد واب فان ولاية النكاح
للسيد دون الاب • ثم ان الاب مقدم على السلطان في ولاية النكاح فيكون السيد مقدما على السلطان بدرجتين
فكان اولى • ولان السيد يملك من التصرفات في هذا المحل ما لا يملكه الامام فثبت ان المولى اولى • وثالثها اجمعنا على
ان السيد يملك التعزير فكذلك الحد لان كل واحد نظير للاخر وان كان احدهما مقدرا والاخر غير مقدر • واحتج ابو بكر
الرازي على مذهب ابي حنيفة بوجوه • احدها قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ماية جلدة ولا
شك انه خطاب مع الايمة دون عامة الناس • فالتقدير فاجلدوا ايها الايمة والحكام كل واحد منهما ماية جلدة ولم
يفرق في هذه الاية بين المحدودين من الاحرار والعبيد فوجب ان يكون الايمة هم المخاطبون باقامة الحدود على الاحرار
والعبيد دون الموالي • وثانيها لو جاز للمولى ان يسمع شهادة الشهود على عبده بالسرقة فيقطعه • فلو رجعوا عن
شهادتهم لوجب ان يتمكن من تضمين الشهود لان تضمين الشهود يتعلق بحكم الحاكم بالشهادة لانه لو لم يحكم بشهادتهم لم يضمنوا
شيا فكان يصير حاكما لنفسه بايجاب الضمان عليهم وذلك باطل لانه ليس لاحد من الناس ان يحكم لنفسه فعلمنا ان المولى
لا يملك سماع البينة على عبده بذلك ولا قطعه • وثالثها ان المالك ربما يسعى في الحد بما له لشفقته على ملكه واذا
كان متهما وجب ان لا يفوض اليه • والجواب عن الاول ان قوله فاجلدوا ليس بصريحه خطابا مع الامام لكن
انه لما انعقد الاجماع على ان غير الامام لا يتولاه حملنا ذلك الخطاب على الامام • وهاهنا لم ينعقد الاجماع على ان غير
الامام لا يتولاه لانه عين النزاع • والجواب عن الثاني قال محيي السنة في كتاب التهذيب هل يجوز للمولى قطع يد عبده
بسبب السرقة وقطع الطريق فيه وجهان • احدهما يجوز نص عليه في رواية البويطي لما روي عن ابن عمر انه قطع
عبدا له سرق • وكما يحده في الزنا والشرب • والثاني لا بل القطع الى الامام بخلاف الجلد لان المولى يملك جنس
الجلد وهو التعزير ولا يملك جنس القطع • ثم قال وكل حد يقيمه المولى على عبده انما يقيمه اذا ثبت باعتراف العبد
فان كانت عليه بينة فهل يسمع المولى الشهادة فيه وجهان • احدهما يسمع لانه لما ملك الاقامة بالاعتراف • فملك
البينة كالامام • والثاني لا يسمع بل ذلك الى الحاكم • والجواب عن الثالث انه منقوض بالتعزير **المسألة الثانية**
اذا فقد الامام فليس لاحاد الناس اقامة هذه الحدود بل الاولى ان ينصبوا واحدا من الصالحين ليقوم به والله اعلم
المسألة الثالثة الخارجي المتغلب هل له اقامة الحدود قال بعضهم له ذلك وقال اخرون ليس له ذلك لان اقامة
الحد من جهة من يلزمنا ان نتولاه ابعد من ان نفوض ذلك الى رجل من الصالحين • **البحث السادس**
في كيفية اقامة الحد • اما الجلد فاعلم ان المذكور في الاية هو الجلد وهذا مشترك بين الجلد الشديد والجلد
الخفيف • والجلد على كل الاعضا او على بعض الاعضا فلا يكون لما في الاية اشعار بشي من هذه القيود
بل مقتضى الاية ان يكون الاتي بالجلد كيف كان خارجا عن العهدة لانه اتى بما امر به فوجب ان يخرج عن العهدة قال صاحب
الكشاف • وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم لان الجلد ضرب الجلد • يقال جلده كقولك
ظهره وبطنه وراسه الا انا لما عرفنا ان المقصود منه الزجر والزجر لا يحصل بالجلد الخفيف لا جرم تكلم العلما في صفة
الجلد على طريق القياس • ثم هاهنا مسايل **المسألة الاولى** المحصن يجلد مع ثيابه لا يجرد ولكن ينبغي ان يكون
بحيث يصل الالم اليه وينزع من ثيابه الحشو والفرو • روي ان ابا عبيدة بن الجراح اتي برجل في حد فذهب الرجل ينزع

قميصه فضربه

قميصه وقال ما ينبغي لجسدي هذا المذنب ان يضرب وعليه قميص فقال ابو عبيدة لا تدعوه ينزع قميصه فضربه عليه
اما المراة فلا خلاف في انه لا يجوز تجريدها بل يربط عليها ثيابها حتى لا تنكشف [illegible] **المسألة الثانية** لا يمد
ولا يربط بل يترك حتى يتقي بيديه • ويضرب الرجل قائما والمراة جالسة • قال ابو يوسف ضرب ابن ابي ليلى المراة قائمة
فخطأه ابو حنيفة **المسألة الثالثة** يضرب بسوط وسط لا جديد يجرح ولا خلق لا يولم • ويضرب ضربا بين ضربين
لا شديد ولا واه • [illegible] في حد فاتي بسوط فيه شدة فقال اريد الين من هذا فاتي ب
سوط فيه لين فقال اريد اشد من هذا فاتي بسوط بين السوطين فرضيه **المسألة الرابعة** يفرق السياط على اعضايه
ولا يجمعها في موضع واحد • واتفقوا على انه يتقي المهالك كالوجه والبطن والفرج • ويضرب على الراس عند الشافعي وقال
ابو حنيفة لا يضرب على الراس وهو قول علي • حجة الشافعي قال ابو بكر اضرب على الراس فان الشيطان فيه • وعن عمر انه ضرب
ضبيع بن عسل على راسه [illegible]
والجامع الحكم والمعنى اما الحكم فلان الشين الذي يلحق الراس بالضرب كالذي يلحق الوجه بدليل ان الموضحة وساير الشجاج
حكمها في الراس والوجه واحد [illegible]

[illegible]

جرم الدماغ وكذلك لا يوجد في الضرب على الراس **المسألة الخامسة** لو فرق سياط الحد تفريقا لا يحصل به التنكيل
مثلا لا يضرب كل يوم سوطا او سوطين لا يحسب • وان ضرب كل يوم عشرين او اكثر يحسب • والاولى ان لا يفرق **المسألة
السادسة** ان وجب الحد على الحامل لم يقم عليها حتى تضع • روي عن عمران بن الحصين ان امراة من جهينة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهي حبلى من الزنا فقالت يا نبي الله اصبت حدا فاقمه علي فدعا نبي الله وليها فقال احسن اليها فاذا وضعت فائتني بها ففعل
فامر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم فشدت عليها ثيابها • ثم امر بها فرجمت • ثم صلى عليها ولان المقصود التاديب دون الاتلاف

فرجمت ثم صلى عليها ولان المقصود التاديب

المسألة السابعة ان وجب الحد على المريض نظر ان كان به مرض يرجى زواله من صداع او ضعف ولا يوخر حتى يبرا كما لو اقيم
عليه حدا وقطع لا يقام عليه حد اخر حتى يبرا عن الاول • وان كان مرضا لا يرجى زواله كالسل والزمانة فلا يوخر ولا يضرب
بالسياط لانه يموت • وليس المقصود موته وذلك لا يختلف سواء كان زناه في حال الصحة • ثم مرض او في حال المرض
بل يضرب بعثكال عليه ماية شمراخ • فيقوم ذلك مقام ماية جلدة كما قال تعالى في قصة ايوب • وخذ بيدك ضغثا فاضرب
به ولا تحنث • وعند ابي حنيفة يضرب بالسياط • دليلنا ما روي ان رجلا مقعدا اصاب امراة • فامر النبي صلى الله عليه وسلم
فاخذوا ماية شمراخ فضربوه بها ضربة واحدة لان الصلاة تختلف باختلاف حاله فالحد اولى بذلك **المسألة الثامنة**

اذا كان ثيبا

يقام الجلد في وقت اعتدال الهوا • فان كان في حال شدة حر او برد نظر ان كان الحد رجما يقام عليه كما يقام في المرض ولان المقصود
قتله • وقيل ان كان مرضا يرجى زواله يوخر لانه ربما رجع عن اقراره في خلال الرجم • وقد اثر الرجم في جسمه فتعين شدة الحر
والبرد المرض على اهلاكه بخلاف ما لو ثبت بالبينة لانه لا يسقط وان كان الحد جلدا لم يجز اقامته في شدة الحر والبرد
كما لا يقام في المرض • اما الرجم ففيه مسايل **المسألة الاولى** قال الشافعي ومالك يجوز للامام ان يحضر رجمه وان
لا يحضره • وكذا الشهود لا يلزمهم الحضور • وقال ابو حنيفة ان ثبت الزنا بالبينة وجب على الشهود ان يبدوا بالرجم
ثم الامام ثم الناس • وان ثبت باقراره بدا الامام • ثم الناس • حجة الشافعي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر برجم ماعز
والغامدية ولم يحضر رجمهما **المسألة الثانية** ان ثبت الزنا باقراره فمتى رجع ترك وان وقع في بعض الحد ولم يتم وبه قال
ابو حنيفة والثوري واحمد واسحق • وقال الحسن وابن ابي ليلى لا يقبل رجوعه • وعن مالك روايتان • حجة القول
الاول ان ماعزا لما مسته الحجارة هرب • فقال عليه الصلاة والسلام هلا تركتموه **المسألة الثالثة** يحفر للمراة
الى الصدر حتى لا تنكشف ويرمى اليها • ولا يحفر للرجل • لما روى ابو سعيد الخدري ان ماعزا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني اصبت فاحشة فاقم الحد علي فرده النبي عليه الصلاة والسلام مرارا • ثم سال قومه فقالوا لا نعلم به باسا
فامرنا ان نرجمه فانطلقنا به الى بقيع الغرقد فما اوثقناه ولا حفرنا له قال فرميناه بالعظام والمدر والخزف
قال فاشتد واشتددنا خلفه حتى اتى عرض الحرة وانتصب لنا فرميناه بجلاميد الحرة حتى سكت وجه الاسناد لانه قال

فالو قتلناه ولا حفرنا له ولانه هرب • ولو كان في حفرة لما امكنه ذلك **المسئلة الرابعة** اذا مات في الحد يغسل ويكفن
ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين • فهذا ما اردنا ذكره من بيان الاحكام الشرعية المتعلقة بهذه الاية **اما المباحث
العقلية** فاعلم ان من الناس من قال لا شك ان البدن مركب من اجزاء كثيرة • فاما ان يقوم بكل جزء حياة وعلم وقدرة على حدة
او يقوم بكل الاجزاء حياة واحدة • وعلم واحد وقدرة واحدة • والثاني محال لاستحالة قيام العرض الواحد بالمحال الكثيرة
فتعين الاول • واذا كان كذلك كان كل جزء من اجزاء البدن حيا على حدة • وعالما على حدة • وقادرا على حدة فاذا ثبت هذا فنقول
الزاني هو الفرج لا الظهر فكيف يحسن من الحكيم ايلام الظهر • ولانه ربما كان الانسان حال اقدامه على الزنا نحيفا
ثم سمن بعد ذلك • فكيف يجوز ايلام تلك الاجزاء الزائدة مع انها كانت بريئة عن فعل الزنا • فان قال قائل هذا مرفوع من وجهين
الاول وهو انه ليس كل واحد من اجزاء البدن فاعلا على حدة وحيا على حدة • وذلك محال بل الحياة والعلم والقدرة تقوم
بالجزء الواحد • ثم توجب حكم الحيية والعالمية والقادرية لمجموع الاجزاء فيكون المجموع حيا واحدا عالما واحدا قادرا
واحدا • وعلى هذا التقدير يزول السؤال • الثاني ان يقال الذي هو الفاعل والمدرك والمحرك شيء ليس بجسم ولا جسماني • وانما
هو المدبر لهذا البدن وعلى هذا التقدير ايضا يزول السؤال والجواب اما الاول فضعيف وذلك لان العلم اذا قام
بجزء واحد فاما ان يحصل لمجموع الاجزاء عالمية واحدة فيلزم قيام الصفة الواحدة بالمحال الكثيرة وهو محال او يقوم بكل جزء
عالمية على حدة فيعود المحذور المذكور • واما الثاني ففي نهاية البعد لانه اذا كان الفاعل للقبيح هو ذلك الشيء فلم يضرب
هذا الجسد • واعلم ان المقصود من احكام الشرع رعاية المصالح • ونحن نعلم ان شرع الحد يفيد الزجر • فكان المقصود
حاصلا والله اعلم • اما قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ففيه مسئلتان **المسئلة الاولى** الرأفة رقة
ورحمة • وقراءة العامة بسكون الهمزة • وقرئ رأفة بفتح الهمزة • ورآفة على فعالة **المسئلة الثانية** يحتمل
ان يكون المراد لا تأخذنا رأفة بان تعطل الحد او تنقص منه • والمعنى لا تعطلوا حدود الله ولا تتركوا اقامتها للشفقة
والرحمة وهذا قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير واختيار الفراء والزجاج ويحتمل ان لا تأخذنا رأفة بان تخفف الجلد
وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وقتادة • ويحتمل الامرين • والاولى لان الذي ذكر الامر بنفس الجلد ولم يذكر
صفته فما يقتضيه يجب ان يكون راجعا اليه • وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة في ذلك حيث يقول لو سرقت فاطمة
بنت محمد لقطعت يدها • ونبه بقوله في دين الله على ان الدين اذا اوجب امرا قبح استعمال الرحمة في خلافه • اما قوله تعالى
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فهو من باب التهييج والهاب الغضب لله تعالى ولدينه قال الجبائي تقدير الاية ان كنتم
مؤمنين فلا تتركوا اقامة الحدود • وهذا يدل على ان الاشتغال باداء الواجبات من الايمان بخلاف ما يقوله المرجئة
والجواب ان الرأفة لا تحصل الا اذا حكم الانسان بطبعه ان الاولى ان لا تقام تلك الحدود • وحينئذ يكون منكرا
للدين فيخرج عن الايمان • وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقال له لم فعلت ذلك • فيقول رحمة لعبادك فيقال
له انت ارحم بهم مني فيؤمر به الى النار • اما قوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ففيه مسائل **المسئلة الاولى**
قوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة امر • وظاهره للوجوب • لكن الفقهاء قالوا يستحب حضور الجمع • والمقصود اعلان
اقامة الحد لما فيه من مزيد الردع • ولما فيه من دفع التهمة عمن يجلد • وقيل اراد بالطائفة الشهود لانه يجب حضورهم
ليعلم بقاؤهم على الشهادة **المسئلة الثانية** اختلفوا في اقل الطائفة على اقوال • احدها انه رجل واحد وهو
قول النخعي ومجاهد واحتجا بقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا • وثانيها انه اثنان وهو قول عكرمة وعطا
واحتجا بقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة • وكل ثلاثة فرقة والخارج
عن الثلاثة واحد او اثنان • والاحتياط يوجب الاخذ بالاكثر • وثالثها انه ثلاثة وهو قول الزهري وقتادة وقال لو
الطائفة التي هي الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة كانها الجماعة الحافة حول الشيء وهذه الصورة اقل ما لا بد في حصولها
الثلاثة • ورابعها انه اربعة بعدد شهود الزنا وهو قول ابن عباس والشافعي • وخامسها انه عشرة وهو
قول الحسن البصري لان العشرة هي العدد الكامل **المسئلة الثالثة** تسميته عذابا يدل على انه عقوبة
ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع المعاودة كما يسمى نكالا لذلك • ونبه تعالى بقوله من المؤمنين على ان الذين يشهدون
يجب ان يكونوا بهذا الوصف لانهم اذا كانوا كذلك عظم موقع حضورهم في الزجر وعظم موقع اخبارهم عما شاهدوا
فيخاف المجلود من حضورهم الشهرة فيكون ذلك اقوى في الانزجار والله اعلم **الحكم الثاني** قوله تعالى
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين
قرئ لا ينكح بالجزم على النهي • وقرئ وحرم بفتح الحاء • ثم انه ليس الامر كما يشعر به هذا الظاهر لانا نرى الزاني قد
ينكح المؤمنة العفيفة • والزانية قد ينكحها العفيف • الثاني انه قال وحرم ذلك على المؤمنين وليس كذلك

فان المؤمن يحل له التزوج بالمرأة الزانية والجواب اعلم ان المفسرين لاجل هذين السؤالين ذكروا وجوها • احدها
وهو احسنها ما قاله القفال وهو ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الاعم الاغلب • وذلك لان الفاسق الخبيث
الذي من شأنه الزنا والبغي لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب في فاسقة خبيثة مثله او في مشركة • والفاسقة
الخبيثة لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من جنسها من الفسقة والمشركين
فهذا على الاعم الاغلب كما يقال لا يفعل الخير الا الرجل التقي وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقي فكذا ههنا • واما قوله
وحرم ذلك على المؤمنين والجواب من وجهين • احدهما ان نكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها
وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه لما فيه من مجالسة الخاطئين لما فيها من التعرض لاقتراف
الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب • الثاني وهو ان صرف الرغبة بالكلية الى الزواني وترك الرغبة في
الصالحات محرم على المؤمنين لان قوله الزاني لا ينكح الا زانية معناه ان الزاني لا يرغب الا في الزانية فهذا الحصر محرم
على المؤمنين ولا يلزم من حرمة هذا الحصر حرمة التزوج بالزانية • فهذا هو المعتمد في تفسير الاية • الوجه الثاني
ان الالف واللام في قوله الزاني • وفي قوله وحرم ذلك على المؤمنين وان كان للعموم ظاهرا لكنه ها هنا مخصوص بالاقوام
الذين نزلت هذه الاية فيهم قال مجاهد وعطا بن ابي رباح وقتادة قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء ليست لهم اموال
ولا عشائر وبالمدينة نساء بغايا يكرين انفسهن وهن يومئذ اخصب اهل المدينة ولكل واحدة منهن علامة على بابها كعلامة البيطار
ليعرف انها زانية وكان لا يدخل عليها الا زان او مشرك • فرغب في كسبهن ناس من فقراء المسلمين فقالوا نتزوج بهن الى ان
يغنينا الله عنهن • فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية فتقدير الاية اولئك الزواني لا ينكحون الا
الزانيات • وتلك الزانيات لا ينكحها الا اولئك الزواني • وحرم نكاحهن باعيانهن على المؤمنين • الوجه الثالث
ان قوله الزاني لا ينكح الا زانية وان كان خبرا في الظاهر لكن المراد النهي والمعنى كل من كان زانيا فلا ينبغي ان ينكح الا زانية وحرم
ذلك على المؤمنين • فهكذا كان الحكم في ابتداء الاسلام • وعلى هذا الوجه ذكروا قولين • احدهما ان ذلك الحكم باق الى الآن حتى
يحرم على الزاني والزانية التزوج بالعفيفة والعفيف وبالعكس ويقال هذا مذهب ابي بكر وعمر وعلي وابن مسعود وعائشة
ثم في هؤلاء من يسوي بين الابتداء والدوام فيقول كما لا يحل للمؤمن ان يتزوج بالزانية فكذلك لا يحل له اذا زنت تحته ان
يقيم عليها • ومنهم من يفصل لان في جملة ما يمنع من التزوج مما لا يمنع من دوام النكاح كالاحرام والعدة • والقول الثاني
ان هذا الحكم صار منسوخا • واختلفوا في ناسخه فعن الجبائي ان ناسخه هو الاجماع • وعن سعيد بن المسيب انه منسوخ
بعموم قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وانكحوا الايامى قال المحققون هذان الوجهان ضعيفان • اما الاول فلانه ثبت في
اصول الفقه ان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به • وايضا فالاجماع الحاصل عقيب الخلاف لا يكون حجة والاجماع في هذه المسئلة
مسبوق بمخالفة ابي بكر وعمر وعلي فكيف يصح • واما قوله فانكحوا ما طاب لكم فهو لا يصلح لان يكون ناسخا لانه لا بد من ان
يشترط فيه ان لا يكون هناك مانع من النكاح من سبب او نسب او غيرهما فللقائل ان يقول لا يدخل فيه تزوج الزانية من المؤمن
كما لا يدخل فيه تزوجها من الاخ وابن الاخ • ونقول ان للزنا تأثيرا في الفرقة ما ليس لغيره الا ترى انه اذا قذفها بالزنا يتبعها
بالفرقة على بعض الوجوه ولا يجب مثل ذلك في سائر ما يوجب الحد • ولان من حق الزنا ان يورث العار ويؤثر في الفراش
فيفارق غيره • ثم احتج هؤلاء الذين يدعون هذا النسخ بانه سئل ابن عباس عن رجل زنى بامرأة فهل له ان يتزوجها فاجازه
ابن عباس وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح
والحرام لا يحرم الحلال • الوجه الرابع ان يحمل النكاح على الوطء • والمعنى ان الزاني لا يطأ حين يزني الا زانية او مشركة وكذا
الزانية • وحرم ذلك على المؤمنين • وهذا تأويل ابي مسلم قال الزجاج هذا التأويل فاسد من وجهين • الاول انه ما
ورد النكاح في كتاب الله الا بمعنى التزويج ولم يرد البتة بمعنى الوطء • الثاني ان ذلك يخرج الكلام عن الفائدة لانا لو قلنا
المراد ان الزاني لا يطأ الا الزانية فالاشكال عائد لانا نرى الزاني قد يطأ العفيفة حين يتزوج بها • ولو قلنا المراد ان
الزاني لا يطأ الا الزانية حين يكون وطؤه زنا فهذا الكلام لا فائدة فيه • وهذا آخر الكلام في هذا المقام • السؤال الثاني
اي فرق بين قوله الزاني لا ينكح الا زانية وبين قوله الزانية لا ينكحها الا زان الجواب الكلام الاول يدل على ان الزاني
لا يرغب الا في نكاح الزانية وهذا لا يمنع من ان يرغب في نكاح الزانية غير الزاني فلا جرم بين ذلك بالكلام الثاني • السؤال
الثالث لم قدمت الزانية على الزاني في الآية المتقدمة وهاهنا بالعكس الجواب سيقت تلك الآية لعقوبتهما على جنايتهما
والمرأة هي المادة في الزنا واما الثانية فمسوقة لذكر النكاح • والرجل الاصل فيه لانه هو الراغب والطالب **الحكم الثالث
القذف** قوله تعالى **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم
شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم** اعلم ان ظاهر الآية

ان للزنا تاثيرا في الفرقة ما ليس لغيره

اقوال

يدل على الشيء الذي به رموا المحصنات وذكر الرمي لا يدل على الزنا إذ قد يرميها بسرقة وشرب خمر وكفر بل لا بد من قرينة
دالة على التعيين وقد اجمع العلماء على ان المراد الرمي بالزنا وفي الاية اقوال تدل عليه احدها تقدم ذكر الزنا • وثانيها
انه تعالى ذكر المحصنات وهن العفايف فدل على ان المراد بالرمي رميها بضد العفاف • وثالثها قوله ثم لم ياتوا باربعة
شهدا يعني على صحة ما رموها به • ومعلوم ان هذا العدد من الشهود غير مشروط • الا في الزنا • ورابعها انعقاد
الاجماع على انه لا يجب الجلد بالرمي بغير الزنا فوجب ان يكون المراد هو الرمي بالزنا اذا عرفت هذا فالكلام في هذه الاية
يتعلق بالرمي والرامي • البحث الاول في الرمي وفيه مسايل **المسألة الاولى** الفاظ القذف تنقسم الى صريح وكناية
وتعريض • والصريح ان يقول يا زانية او زنيت او زنى قبلك او دبرك ولو قال زنا بدنك فيه وجهان • احدهما
هو كناية كقوله زنا يدك لان حقيقة الزنا من الفرج فلا يكون من ساير البدن الا المعونة • والثاني وهو الاصح انه
صريح لان الفعل انما يصدر من جملة البدن والفرج آلة في الفعل • اما الكنايات فمثل ان يقول يا فاسقة يا فاجرة يا خبيثة
يا مؤاجرة يا ابن الحرام او امراتي لا ترد يد لامس • فهذا لا يكون قذفا الا ان يريده ولذلك لو قال لعربي يا نبطي الدار
واللسان وادعى المقذوف انه اراد القذف فالقول قوله مع يمينه • اما التعريض فليس بقذف وان اراده وذلك
مثل قوله يا ابن الحلال • اما انا فما زنيت وليست امي زانية • وهذا قول الشافعي وابي حنيفة وابي يوسف ومحمد وزفر
وابن شبرمة • والثوري والحسن بن صالح وقال مالك يجب الحد فيه • وقال احمد واسحق هو قذف في حال
الغضب دون حال الرضا • لنا ان التعريض بالقذف يحتمل القذف وغيره فوجب ان لا يجب الحد لان الاصل براءة الذمة
فلا يرجع عليه بالشك • وايضا فلقوله عليه الصلاة والسلام ادرؤوا الحدود بالشبهات ولان الحدود شرعت على خلاف النص
الثاني في الضرر والايذا الحاصل بالتصريح فوق الحاصل بالتعريض • واحتج المخالف بما روى الاوزاعي عن الزهري عن سالم عن ابن
عمر قال كان عمر يضرب الحد في التعريض • وروي ايضا ان رجلين استبا في زمن عمر بن الخطاب فقال احدهما للاخر
والله ما ابي بزان ولا امي بزانية فاستشار عمر الناس فقال قايل مدح اباه وامه وقال اخرون قد كان لابيه وامه
مدح غير هذا فجلده عمر ثمانين والجواب • ان في مشاورة عمر الصحابة في حكم التعريض دلالة على انه لم يكن عندهم
فيه توقيف وانهم قالوا رايا واجتهادا **المسألة الثانية** في تعدد القذف • اعلم انه اما ان يقذف شخصا واحدا
مرارا او يقذف جماعة • فان قذف واحدا مرارا نظر ان اراد بالكل زنية واحدة بان قال زنيت بعمرو قاله مرارا لم يجب
الا حد واحد • ولو انشا الثاني بعد ما حد الاول عزر للثاني • وان قذفها بزنيات مختلفة بان قال زنيت بزيد ثم قال
زنيت بعمرو فهل يتعدد الحدود ام لا فيه قولان • احدهما يتعدد اعتبارا باللفظ لانه من حقوق العباد فلا يقع فيه التداخل
كالديون • والثاني وهو الاصح يتداخل فلا يجب فيه الا حد واحد لانهما حدان من جنس واحد لمستحق واحد فوجب ان يتداخل
كحدود الزنا • ولو قذف زوجته مرارا فالاصح انه يكتفي بلعان واحد سوا قلنا يتعدد الحد او لا يتعدد • اما اذا قذف
جماعة معدودين نظر ان قذف كل واحد بكلمة يجب عليه حد كامل • وعند ابي حنيفة لا يجب عليه الا حد واحد • واحتج
ابو بكر الرازي على قول ابي حنيفة بالقرآن والسنة والقياس • اما القرآن فهو قوله تعالى والذين يرمون المحصنات والمعنى
ان كل احد يرمي المحصنات وجب عليه الجلد وذلك يقتضي ان قاذف جماعة من المحصنات لا يجلد اكثر من ثمانين • فمن اوجب
على قاذف جماعة المحصنات اكثر من حد واحد فقد خالف الاية • واما السنة فما روى عكرمة عن ابن عباس ان هلال بن امية
قذف امراته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحما فقال النبي عليه الصلاة والسلام البينة او حد في ظهرك فلم
يوجب النبي صلى الله عليه وسلم على هلال الا حدا واحدا مع قذفه لامراته ولشريك بن سحما الى ان نزلت اية اللعان فاقيم اللعان
في الزوجات مقام الحد في الاجنبيات • واما القياس فهو ان ساير ما يوجب الحد اذا وجد منه مرارا لم يجب الا حد واحد
كمن زنا مرارا او شرب مرارا او سرق مرارا فكذا ههنا والمعنى الجامع دفع مزيد الضرر والجواب عن الاول ان قوله والذين
صيغة جمع • وقوله المحصنات صيغة جمع • والجمع اذا قوبل بالجمع يقابل الفرد بالفرد فيصير المعنى كل من رمى محصنا
واحدا اوجب عليه الحد • وعند ذلك يظهر وجه تمسك الشافعي بالاية • ولان قوله والذين يرمون المحصنات
فاجلدوهم يدل على ترتيب الجلد على رمي المحصنات وترتب الحكم على الوصف لا سيما اذا كان مناسبا فانه مشعر بالعلية
فدلت الاية على ان رمي المحصن من حيث انه هذا المسمى يوجب الجلد اذا ثبت هذا فنقول اذا قذف واحدا صار ذلك
القذف موجبا للحد • فاذا قذف الثاني وجب ان يكون القذف الثاني موجبا للحد ايضا ثم موجب القذف الثاني لا يجوز
ان يكون هو الحد الاول لان ذلك قد وجب بالقذف الاول وايجاب الواجب محال فوجب ان يجب بالقذف الثاني حد ثاني
اقصى ما في الباب ان يورد على هذه الدلالة حدود الزنا لكنا نقول ترك العمل هناك بهذا الدليل لان حد الزنا اغلظ من
حد القذف • وعند ظهور الفارق يتعذر الجمع • واما السنة فلا دلالة فيها على هذه المسألة لانه قذفهما بلفظ

واحد ولنا

واحد ولنا في هذه المسألة تفصيل سياتي • واما القياس فقد سبق لان حد القذف حق الادمي بدليل انه لا يحد الا بمطالبة المقذوف
وحقوق الادمي لا تتداخل بخلاف حد الزنا فانه حق الله تعالى هذا كله اذا قذف جماعة كل واحد منهم بكلمة على حدة • اما اذا
قذفهم بكلمة واحدة فقال انتم زناة او زنيتم ففيه قولان اصحهما وهو قوله في الجديد يجب لكل واحد حد كامل لانه من حقوق العباد
فلا تتداخل ولانه ادخل على كل واحد منهم معرة فصار كما لو قذفهم بكلمات • وفي القديم لا يجب للكل الا حد واحد اعتبارا باللفظ
فان اللفظ واحد • والاول اصح لانه اوفق لمفهوم الاية • فعلى هذا لو قال لرجل يا ابن الزانيين يكون قذفا لابويه بكلمة واحدة
فعليه حدان **المسألة الثالثة** فيما يبيح القذف • القذف ينقسم الى محظور ومباح وواجب وجملته انه اذا لم يكن ثم
ولد يريد نفيه فلا يجب وهل يباح ام لا نظر ان راها بعينه تزني او اقرت هي على نفسها ووقع في قلبه صدقها او سمع ممن يثق
بقوله او لم يسمع لكنه استفاض فيما بين الناس ان فلانا يزني بفلانة وقد راه الزوج يخرج من بيتها او راه معها في بيت يباح
له القذف لتاكد التهمة • ويجوز ان يمسكها او يستر عليها • لما روي ان رجلا قال يا رسول الله ان امراتي لا ترد يد لامس
قال طلقها قال اني احبها قال فامسكها • اما اذا سمعه ممن لا يوثق بقوله او استفاض من بين الناس ولكن الزوج لم يره معها او ف
بالعكس لم يحل له قذفها لانه قد يذكره من لا يكون يستر ويدخل بيتها خوفا من قاصد او لسرقة او لطلب فجور فياتي المراة قال الله تعالى
ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم • اما اذا كان ثم ولد يريد نفيه نظر فان تيقن انه ليس منه بان لم يكن وطئها الزوج او وطئها لكنها
اتت به لاقل من ستة اشهر من وقت الوطي او لاكثر من اربع سنين يجب عليه نفيه باللعان لانه ممنوع من استلحاق نسب الغير كما هو
ممنوع من نفي نسبه • لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما امراة ادخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شي
ولن يدخلها جنته • فلما حرم على المراة ان تدخل على قوم من ليس منهم كان الرجل ايضا كذلك • اما ان احتمل ان يكون منه بان اتت به لاكثر
من ستة اشهر من وقت الوطي او ولد دون اربع سنين نظر ان لم يكن قد استبراها بحيضة او استبراها واتت به لدون ستة اشهر
من وقت الاستبراء لا يحل له القذف والنفي وان اتهمها بالزنا قال النبي صلى الله عليه وسلم ايما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب
الله منه يوم القيمة وفضحه على رؤس الاولين والاخرين • فان استبراها واتت به لاكثر من ستة اشهر من وقت الاستبراء يباح
له القذف والنفي • والاولى ان لا يفعل لانها قد ترى الدم على الحبل • وان اتت امراته بولد لا يشبهه • فان كانا ابيضين فاتت به
اسود نظر ان لم يتهمها بالزنا فليس له نفيه لما روى ابو هريرة ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان امراتي ولدت غلاما اسود
فقال هل لك من ابل قال نعم قال فما الوانها قال حمر قال فهل فيها اورق قال نعم قال فكيف ذاك قال نزعه عرق قال فلعل هذا نزعه
عرق • وان كان يتهمها بزنا او يتهمها برجل فاتت بولد يشبهه هل يباح له نفيه فيه وجهان • احدهما لا لان العرق نزاع
والثاني له ذلك لان التهمة قد تاكدت بالشبه • البحث الثاني عن الرامي وفيه مسائل **المسألة الاولى** اذا قذف
الصبي او المجنون فلا حد عليهما [illegible] لقوله عليه الصلاة والسلام رفع القلم
عن ثلاث [illegible] ولكن يعزران للتاديب ان كان لهما تمييز ولو لم يتفق اقامة التعزير على الصبي حتى بلغ قال القفال يسقط التعزير لانه كان
للزجر عن سوء الادب • وقد حصل الزجر بالبلوغ **المسألة الثانية** الاخرس اذا كانت له اشارة مفهومة
او كتابة معلومة فقذف بالاشارة او الكتابة لزمه الحد • وكذلك يلاعن بالاشارة والكتابة وعند ابي حنيفة لا يصح قذف
الاخرس ولا لعانه [illegible]
[illegible] **المسألة الرابعة** اختلفوا [illegible]
فقال الشافعي وابو حنيفة ومالك وابو يوسف ومحمد وزفر [illegible]
[illegible]
المسألة الخامسة [illegible]
[illegible]
المسألة الاولى [illegible]
ظاهر الاية يتناول جميع القذفة سواء كانت [illegible]
للاحصان خمسة • الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا • واما اعتبرنا الاسلام لقوله عليه

وعند ابي حنيفة لا يصح قذف الاخرس ولعانه

السلام من اشرك بالله فليس بمحصن • وانما اعتبرنا البلوغ والعقل لقوله عليه السلام رفع القلم عن ثلاث • وانما اعتبرنا
الحرية لان العبد ناقص الدرجة فلا يعظم عليه التعيير بالزنا • وانما اعتبرنا العفة عن الزنا لان الحد مشروع لتكذيب
القاذف • فاذا كان المقذوف زانيا فالقاذف صادق في القذف • وكذلك اذا كان المقذوف وطئ امراة بشبهة او نكاح
فاسد لان فيه شبهة الزنا كما فيه شبهة الحل • وكما ان احدى الشبهتين اسقطت الحد عن الواطئ فكذا الاخرى تسقط عن
قاذفه ايضا • ثم نقول من قذف كافرا او مجنونا او صبيا او مملوكا او من قد زنى مرة فلا حد عليه بل يعزر للاذى حتى لو زنى
في عنفوان شبابه مرة ثم تاب وحسنت حالته وشاخ في الصلاح لا يحد قاذفه • وكذلك لو زنى كافرا او رقيق ثم اسلم وعتق
وصلحت حاله فقذفه قاذف لا حد عليه بخلاف ما لو زنى في حال صغره او جنونه ثم بلغ او افاق فقذفه قاذف يحد لان فعل
الصبي والمجنون لا يكون زنا • ولو قذف محصنا فقبل ان يحد القاذف زنا المقذوف سقط الحد عن قاذفه لان صدور
الزنا يورث ريبة في حاله فيما مضى لان الله تعالى كريم لا يهتك ستر عبده في اول مرة يرتكب المعصية فبظهوره يعلم انه كان
متصفا به من قبل • روي ان رجلا زنا في عهد عمر فقال والله ما زنيت الا هذه فقال عمر كذبت ان الله لا يفضح عبده في اول
مرة • وقال المزني وابو ثور الزنا الطارئ لا يسقط الحد عن القاذف **المسئلة الثانية** قال الحسن البصري • قوله
والذين يرمون المحصنات يقع على الرجال والنساء • وسائر العلماء انكروا ذلك لان لفظ المحصنات جمع المؤنث فلا يتناول
الرجال بل الاجماع دل على انه لا فرق في هذا الباب بين المحصنين والمحصنات **المسئلة الثالثة** رمي غير المحصنات
لا يوجب الحد بل يوجب التعزير الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد هناك ولا تعزير • فهذا مجموع الكلام في
تفسير قوله والذين يرمون المحصنات • اما قوله سبحانه ثم لم ياتوا باربعة شهداء ففيه بحثان • البحث الاول اعلم ان الله تعالى
حكم في القاذف اذا لم يات باربعة شهداء بثلاثة احكام • احدها جلد ثمانين • وثانيها بطلان الشهادة • وثالثها الحكم
بفسقه الى ان يتوب • واختلف اهل العلم في كيفية ثبوت هذه الاحكام بعد اتفاقهم على وجوب الحد عليه بنفس القذف
عند عجزه عن اقامة البينة على الزنا فقال قائلون قد بطلت شهادته ولزمه سمة الفسق قبل اقامة الحد عليه وهو قول
الشافعي والليث بن سعد وقال ابو حنيفة ومالك وابو يوسف ومحمد وزفر شهادته مقبولة ما لم يحد قال ابو بكر الرازي
وهذا يقتضي من قولهم انه غير موسوم بسمة الفسق ما لم يقع به الحد لانه لو لزمته سمة الفسق لما جازت شهادته اذ كانت
سمة الفسق مبطلة لشهادة من وسم بها • ثم احتج ابو بكر على صحة قول ابي حنيفة بامور • احدها قوله سبحانه والذين
يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وهو ظاهر الاية يقتضي ترتب وجوب الجلد على مجموع القذف والعجز عن اقامة الشهادة
فلو اعملنا هذا الحكم على القذف وحده قدح ذلك في كونه معلقا وذلك بخلاف الاية وايضا فوجوب الجلد حكم مرتب على
مجموع امرين فوجب ان لا يحصل بمجرد حصول احدهما كما لو قال لامراته ان دخلت الدار وكلمت فلانا فانت طالق فاتت باحد
الامرين دون الاخر لا ينزل الجزاء فكذا ههنا • وثانيها ان القاذف لا يحكم عليه بالكذب بمجرد قذفه • واذا كان كذلك وجب
ان لا ترد شهادته بمجرد القذف بيان الاول من ثلاثة اوجه • الاول ان مجرد قذفه لو اوجب كونه كاذبا لوجب ان لا يقبل بعد
ذلك بينة على الزنا اذ قد وقع الحكم بكذبه في قذفه وحكم ببطلان شهادة من شهد بصدقه في كون المقذوف زانيا • ولما اجمعوا
على قبول بينته ثبت انه لم يحكم عليه بالكذب بمجرد قذفه • الثاني ان قاذف امراته بالزنا لا يحكم بكذبه بنفس قذفه والا لما جاز
اللعان بينه وبين امراته • ولما امر بان يشهد بالله انه لصادق فيما رماها به من الزنا مع الحكم بكذبه • ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم
بعدما لاعن بين الزوجين الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب • فاخبر ان احدهما بغير عينه هو الكاذب ولم يحكم بكذب
بكذب القاذف لا يوجب كونه كاذبا • الثالث قوله تعالى لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند
الله هم الكاذبون فلم يحكم بكذبهم بنفس القذف فقط فثبت بهذه الوجوه ان القاذف غير محكوم عليه بكونه كاذبا بمجرد
القذف • واذا كان كذلك وجب ان لا تبطل شهادته بمجرد القذف لانه كان عدلا ثقة والصادر عنه غير معارض لما كان يوجب
ان يبقى على عدالته فوجب ان يكون مقبول الشهادة • وثالثها قوله عليه الصلاة والسلام المسلمون عدول بعضهم على بعض
الا محدودا في قذف • اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ببقاء عدالة القاذف ما لم يحد • ورابعها ما روى عكرمة عن ابن عباس
في قصة هلال بن امية لما قذف امراته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله عليه السلام يجلد هلال ويبطل
شهادته في المسلمين فاخبر ان بطلان شهادته يتعلق بوقوع الجلد به وذلك يدل على ان مجرد القذف لا يبطل الشهادة وحكي
ان الشافعي زعم ان شهود القذف اذا جاؤا متفرقين قبلت شهادتهم فان كان نفس القذف قد ابطل شهادته فواجب ان لا يقبلها
بعد ذلك وان شهد معه ثلاثة لانه قد فسق بقذفه ووجب الحكم بكذبه • وفي قبول شهادتهم اذا جاؤا متفرقين ما يلزمه
ان تبطل شهادتهم بنفس القذف • واما وجه قول الشافعي فهو ان الله تعالى رتب على القذف مع عدم الاتيان بالشهداء
الاربع امورا ثلاثة معطوفا بعضها على بعض بحرف الواو وحرف الواو لا يقتضي الترتيب فوجب ان لا يكون بعضها

مرتبا على البعض

مرتبا على البعض فوجب ان لا يكون رد الشهادة مرتبا على اقامة الحد بل يجب ان يثبت رد الشهادة سواء اقيم الحد عليه او لم
يقم والله اعلم • البحث الثاني في كيفية الشهادة على الزنا قال الله تعالى واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا
عليهن اربعة منكم وقال تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء وقال سعد بن عبادة يا رسول الله ارايت
ان وجدت مع امراتي رجلا امهله حتى اتي باربعة شهداء قال نعم • ثم ههنا مسائل **المسئلة الاولى** الاقرار بالزنا هل يثبت
بشهادة رجلين فيه قولان • احدهما لا يثبت الا كفعل الزنا باربعة • والثاني يثبت بخلاف فعل الزنا لان الفعل يغمض الاطلاع
عليه فاحتيط فيه باشتراط الاربع والاقرار امر ظاهر فلا يغمض الاطلاع عليه **المسئلة الثانية** اذا شهدوا على
فعل الزنا يجب ان يذكروا الزاني ومن زنى بها لانه قد يراه على جارية ابيه فيظنه زنا ويجب ان يشهدوا انا رايناه ذكره يدخل
في فرجها دخول الميل في المكحلة فلو شهدوا مطلقا انه زنى لا يثبت لانهم ربما يرون المفاخذة زنا بخلاف ما لو قذف
انسانا فقال زنيت يجب الحد ولا يستفسر ولو اقر على نفسه بالزنا هل يشترط ان يستفسر فيه وجهان • احدهما
نعم كالشهود • والثاني لا يجب كما في القذف **المسئلة الثالثة** قال الشافعي لا فرق بين ان يجي الشهود متفرقين
او مجتمعين وقال ابو حنيفة اذا شهدوا متفرقين لا يثبت وعليهم حد القذف • حجة الشافعي من وجوه • الاول
ان الاتيان باربعة شهداء قدر مشترك بين الاتيان بهم مجتمعين او متفرقين واللفظ الدال على ما به الاشتراك
لا اشعار له بما به الامتياز فالاتيان بهم متفرقين يكون عاملا بالنص فوجب ان يخرج عن العهدة • الثاني كل حكم يثبت
بشهادة الشهود اذا جاؤا مجتمعين يثبت اذا جاؤا متفرقين كسائر الاحكام بل هذا اولى لانهم اذا جاؤا متفرقين
كان ابعد من التهمة ومن ان يلقن بعضهم من بعض • فلذلك قلنا اذا وقعت ريبة للقاضي في شهادة الشهود فرقهم ليظهر
على عورة ان كانت في شهادتهم • الثالث لا يشترط ان يشهدوا معا في حالة واحدة بل اذا اجتمعوا عند القاضي وكان
يقوم واحد بعد اخر ويشهد فانه تقبل شهادتهم فلذا اذا اجتمعوا على بابه ثم كان يدخل واحد بعد اخر • حجة ابي حنيفة
من وجهين • الاول ان الشاهد الواحد لما شهد فقد قذفه ولم يات باربعة من الشهداء فوجب عليه الحد لقوله تعالى
والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء اقصى ما في الباب انهم عبروا عن ذلك القذف بلفظ الشهادة ولكن
لا عبرة به لانه يؤدي الى اسقاط حد القذف راسا لان كل قاذف لا يعوزه لفظ الشهادة فيجعل ذلك وسيلة الى
اسقاط الحد عن نفسه ويحصل مقصوده من القذف • الثاني ما روي ان المغيرة بن شعبة شهد عليه بالزنا عند
عمر بن الخطاب اربعة ابو بكرة ونافع ونفيع وقال زياد وكان رابعهم • رايت استا تنبو ونفسا يعلو ورجلاها
على عاتقه كاذني حمار ولا ادري ما وراء ذلك فجلد عمر الثلاثة ولم يسال هل معهم شاهد اخر فلو قبل بعد ذلك شهادة
غيرهم لتوقف لان الحدود مما يتوقف فيها ويحتاط **المسئلة الرابعة** لو شهدوا على الزنا اقل من اربعة لا يثبت
الزنا وهل يجب حد القذف على الشهود فيه قولان • احدهما لا يجب لانهم جاؤا مجي الشهود ولانا لو حددنا لانسد
باب الشهادة على الزنا لان كل واحد لا يامن ان لا يوافقه صاحبه فيلزمه الحد والقول الثاني وهو الاصح وبه قال
ابو حنيفة يجب عليهم الحد والدليل عليه الوجهان اللذان ذكرناهما في المسئلة الثالثة **المسئلة الخامسة** اذا قذف
رجلا فجاء باربعة فساق فشهدوا على المقذوف بالزنا قال ابو حنيفة يسقط عن القاذف ولا يجب الحد على الشهود
وقال الشافعي في احد قوليه يحدون • وجه ابي حنيفة قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء
وهذا قد اتى باربعة شهداء فلا يلزمه الحد • ولان الفاسق من اهل الشهادة وقد وجدت شرائط شهادة الزنا من اجتماعهم
عند القاضي الا انه لم يقبل شهادتهم لاجل التهمة • فلما اعتبرنا التهمة في نفي الحد عن المشهود عليه • فكذلك وجب اعتبارها
في نفي الحد عنهم • وجه قول الشافعي انهم غير موصوفين بالشرائط المعتبرة في قبول الشهادة فخرجوا عن ان يكونوا شاهدين
فبقوا محض القاذفين • وها هنا اخر الكلام في تفسير قوله تعالى ثم لم ياتوا باربعة شهداء • اما قوله تعالى فاجلدوهم
ثمانين جلدة ففيه مسائل **المسئلة الاولى** المخاطب بقوله فاجلدوهم هو الامام على ما بيناه في اية الزنا
او المالك على مذهب الشافعي او رجل صالح بنصبه الناس عند فقد الامام **المسئلة الثانية** يخص من عموم هذه
الاية صور • احدها الوالد يقذف ولده او واحدا من نوافله فلا يجب عليه الحد كما لا يجب عليه القصاص بقتله
الثانية القاذف اذا كان عبدا • فالواجب جلد اربعين وكذا المكاتب وام الولد ومن بعضه حر وبعضه رقيق
لحدهم حد العبيد • الثالثة من قذف رقيقة عفيفة او من زنت في قديم الايام ثم تابت فهي بموجب اللغة محصنة
ومع ذلك لا يجب الحد بقذفها **المسئلة الثالثة** قالوا اشد الضرب في الحدود ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم
ضرب القاذف لان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض • وزجرا عن هتكها
المسئلة الرابعة قال مالك والشافعي حد القذف يورث • فاذا مات المقذوف قبل استيفاء الحد وقبل

لو شهدوا على الزنا اقل من اربعة

المقذوف يثبت لوارثه حد القذف وكذلك اذا كان الواجب بقذفه التعزير فانه يورث عنه وكذا لو انشأ القذف بعد
موت المقذوف يثبت لوارثه طلب الحد • وعند ابي حنيفة حد القذف لا يورث ويسقط بالموت • حجة الشافعي
ان حد القذف حق الادمي لانه يسقط بعفوه ولا يستوفى الا بطلبه ويحلف فيه المدعى عليه اذا انكر واذا كان
حق الادمي وجب ان يورث لقوله عليه الصلاة والسلام من ترك حقا فلورثته • حجة ابي حنيفة انه لو كان موروثا
لكان للزوج والزوجة فيه نصيب ولانه حق ليس فيه معنى المال والوثيقة فلا يورث كالوكالة والمضاربة والجواب
من الاولى ان الاصح عند الشافعية انه يرثه جميع الورثة كالمال وفيه وجه ثان انه يرثه كلهم الا الزوج والزوجة لان
الزوجية ترتفع بالموت ولان المقصود من الحد دفع العار عن النسب وذلك لا يلحق الزوج والزوجة المسئلة الخامسة
اذا قذف انسان انسانا بين يدي الحاكم او قذف امرأته برجل بعينه والرجل غايب فعلى الحاكم ان يبعث الى المقذوف ويخبره
بان فلانا قد قذفك وثبت لك حد القذف عليه كما لو ثبت له مال على آخر وهو لا يعلمه يلزمه اعلامه • وعلى هذا المعنى
بعث النبي صلى الله عليه وسلم انيسا ليخبرها بان فلانا قذفها بابنه ولم يبعثه ليتفحص عن زناها قال الشافعي وليس للامام
اذا رمي رجل بالزنا ان يبعث اليه فيسأله عن ذلك لان الله تعالى قال ولا تجسسوا واراد به اذا لم يكن القاذف معينا مثل
ان قال الرجل بين يدي الحاكم الناس يقولون ان فلانا زنا فلا يبعث الحاكم اليه فيسأله • اما قوله تعالى ولا تقبلوا لهم
شهادة ابدا • فاختلف الفقهاء فيه فقال اكثر الصحابة والتابعين انه اذا تاب قبلت شهادته وهو قول الشافعي
وقال ابو حنيفة واصحابه والثوري والحسن بن صالح لا تقبل شهادة المحدود في القذف اذا تاب وهذه
المسئلة مبنية على ان قوله الا الذين تابوا هل عاد الى جميع الاحكام المذكورة او اختص بالجملة الاخيرة فعند ابي حنيفة
الاستثناء المذكور عقيب الجمل الكثيرة يختص بالجملة الاخيرة وعند الشافعي يرجع الى الكل • وهذه المسئلة قد لخصناها
في اصول الفقه • ونذكر هاهنا ما يليق بهذا ان شاء الله تعالى • احتج الشافعي على ان شهادته مقبولة بوجوه • احدها
قوله عليه الصلاة والسلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له ومن لا ذنب له مقبول الشهادة فالتائب يجب ان يكون مقبول
الشهادة ايضا • وثانيها ان الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع • فالقاذف المسلم اذا تاب
عن القذف وجب ان تقبل شهادته لان القذف مع الاسلام اهون حالا من القذف مع الكفر • فان قيل المسلمون لا يعابون
بسب الكفار لانهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنان
ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين زجرا عن الحاق العار والشنار وايضا فالتائب
من الكفر لا يجب عليه الحد • والتائب من القذف لا يسقط عنه الحد • قلنا هذا الفرق ملغى بقوله عليه الصلاة والسلام
انبئهم ان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين • وثالثها اجمعنا على ان التائب عن الكفر والقتل والزنا مقبول
الشهادة • فكذا التائب عن القذف لان هذه الكبيرة ليست اكبر من نفس الزنا • ورابعها ان ابا حنيفة يقبل
شهادته اذا تاب قبل الحد مع ان الحد حق المقذوف فلا يزول بالتوبة فلان تقبل شهادته اذا تاب بعدما اقيم الحد وقد
حسنت حالته وزال اسم الفسق عنه كان اولى • وخامسها ان قوله الا الذين تابوا استثناء مذكور عقيب جمل فوجب
عوده اليها باسرها • ويدل عليه امور • احدها اجمعنا على انه لو قال عبده حر وامرأته طالق ان شاء الله فانه يرجع
الاستثناء الى الجميع فكذا فيما نحن فيه • فان قيل الفرق ان قوله ان شاء الله يدخل لرفع حكم الكلام حتى لا يثبت فيه شيء
والاستثناء المذكور بحرف الاستثناء لا يجوز دخوله لرفع حكم الكلام راسا الا ترى انه يجوز ان يقول انت طالق ان
شاء الله فلا يقع شيء • ولو قال انت طالق الا طالق كان الطلاق واقعا فالاستثناء باطل لاستحالة دخوله لرفع الكلام
بالكلية فثبت انه لا يلزم من رجوع قوله ان شاء الله جاز دخوله لرفع حكم الكلام بالكلية فلا جرم جاز رجوعه
الى جميع الجمل المذكورة • ولفظ الا جاز دخوله لرفع بعض الكلام فوجب جواز رجوعه الى جميع الجمل على هذا الوجه
حتى يقتضي ان يخرج من كل واحد من الجمل المذكورة بعضه • وثانيها ان الواو للجمع المطلق • فقوله فاجلدوهم ثمانين
جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون صار الجميع كانه ذكر معا لا تقدم للبعض على البعض
فلما دخل عليه الاستثناء لم يكن رجوع الاستثناء الى بعضها اولى من رجوعه الى الباقي اذ لم يكن لبعضها على بعض تقدم
في المعنى البتة فوجب رجوعه الى الكل • ونظيره على قول ابي حنيفة قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا
وجوهكم • فان حكم التعقيب ما دخلت على غسل الوجه بل على مجموع هذه الامور من حيث ان الواو لا تفيد الترتيب
فكذا هاهنا كلمة الا ما دخلت على واحد بعينه لان حرف الواو لا يفيد الترتيب بل دخلت على المجموع • فان قيل الواو
قد تكون للجمع على ما ذكرت وقد تكون للاستيناف وهي في قوله واولئك هم الفاسقون لانها انما تكون للجمع فيما لا يختلف
معناه ونظمه جملة واحدة فيصير الكل كالمذكور معا مثل اية الوضوء فان الكل امر كانه قال فاغسلوا هذه الاعضاء

فان الكل

فان الكل قد تضمنه لفظ الامر • واما اية القذف فان ابتداها امر واخرها خبر فلا يجوز ان ينتظمهما جملة واحدة فكان الواو
للاستيناف فيختص الاستثناء به • قلنا لم لا يجوز ان يجعل الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات
فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والفسق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا
فان الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين • وثالثها ان قوله واولئك هم الفاسقون عقيب
قوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا يدل على ان العلة في عدم قبول تلك الشهادة كونه فاسقا لان ترتيب الحكم على الوصف
مشعر بالعلية لاسيما اذا كان الوصف مناسبا وكونه فاسقا يناسب ان لا يكون مقبول الشهادة اذا ثبت ان العلة لرد الشهادة
ليست الا كونه فاسقا ودل الاستثناء على زوال الفسق فقد زالت العلة فوجب ان يزول الحكم لزوال العلة • ورابعها ان
مثل هذا الاستثناء موجود في القرآن قال الله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الى قوله الا الذين تابوا ولا خلاف
ان هذا الاستثناء راجع الى ما تقدم من اول الاية وان التوبة حاصلة لهؤلاء جميعا وكذلك قوله لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى
الى قوله فلم تجدوا ماء فتيمموا صار التيمم لمن وجب عليه الاغتسال كما انه لمن وجب عليه الوضوء وهذا الوجه ذكره ابو عبيد
في اثبات مذهب الشافعي • واحتج اصحاب ابي حنيفة على ان حكم الاستثناء يختص بالجملة الاخيرة بوجوه • احدها ان الاستثناء
من الاستثناء يختص بالجملة الاخيرة فكذا في جميع الصور طردا للباب • وثانيها ان المقتضي لعموم الجمل المتقدمة قائم والعارض
المعارض وهو الاستثناء يكفي في تصحيحه تعلقه بجملة واحدة لان بهذا القدر يخرج الاستثناء عن ان يكون لغوا فوجب تعليقه
بالجملة الواحدة فقط • وثالثها ان الاستثناء لو رجع الى كل الجمل المتقدمة لوجب انه اذا تاب لا يجلد وهذا باطل بالاجماع
فوجب ان يختص الاستثناء بالجملة الاخيرة والجواب عن الاول ان الاستثناء من النفي اثبات ومن الاثبات نفي فالاستثناء
عقيب الاستثناء لو رجع الى الاستثناء الاول والى المستثنى منه فبقدر ما نفي من احدهما اثبت في الآخر فينجبر الزائد بالناقص ويصير
الاستثناء الثاني عديم الفائدة • فلهذا الاستثناء من الاستثناء انه يختص بالجملة الاخيرة والجواب عن الثاني ما بينا ان واو
العطف لا يقتضي الترتيب فلم يكن بعض الجمل متأخرا في التقدير عن البعض فلم يكن تعليقه بالبعض اولى من تعليقه بالباقي
فوجب تعليقه بالكل • والجواب عن الثالث انه ترك العمل به في حق البعض فلم نترك العمل به في حق الباقي • واحتج اصحاب
ابي حنيفة في المسئلة بوجوه من الاخبار • احدها ما روى ابن عباس في قصة هلال بن امية حين قذف امرأته بشريك بن سحماء
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الان يقع الجلد بهلال ويبطل شهادته من غير شرط التوبة في قبولها • وثانيها ان قوله عليه الصلاة
والسلام المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدودا في قذف ولم يستثن فيه وجود التوبة منه • وثالثها ما روى عمرو بن شعيب عن
ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجوز شهادة محدود في الاسلام قالت الشافعية هذا معارض بوجوه • احدها
قوله عليه السلام اذا علمت مثل الشمس فاشهد والامر للوجوب فاذا علم المحدود وجب عليه الشهادة ولو لم تكن مقبولة لما وجب
لانها تكون عبثا • وثانيها قوله عليه الصلاة والسلام نحن نحكم بالظاهر وهاهنا حصل الظهور لان دينه وعقله وعفته الحاصلة
بالتوبة تقتضي كون ظنه صادقا • وثالثها ما روي عن عمر بن الخطاب انه ضرب الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة وهم ابو بكرة ونافع
وشبل ثم قال لهم من اكذب نفسه قبلت شهادته ومن لا يفعل لم اجز شهادته فاكذب نافع وشبل انفسهما وتابا وكان يقبل
شهادتهما واما ابو بكرة فكان لا تقبل شهادته وما انكر عليه احد من الصحابة فيه فهذا تمام الكلام في هذه المسئلة • اما قوله تعالى
فاولئك هم الفاسقون فاعلم انه يدل على امرين • الاول ان القذف من جملة الكبائر لان اسم الفسق لا يقع الا على صاحب الكبيرة
الثاني انه اسم لمن يستحق العقاب لانه لو كان مشتقا من فعله لكانت التوبة لا تمنع من دوامه كما لا تمنع من وصفه بانه ضارب
وبانه رام الى غير ذلك • واما قوله تعالى الا الذين تابوا فاعلم انهم اختلفوا في ان التوبة عن القذف كيف تكون قال
الشافعي التوبة منه اكذابه نفسه • واختلف اصحابه في معناه فقال الاصطخري يقول كذبت فيما قلت فلا اعود الى مثله
وقال ابو اسحق لا يقول كذبت لانه ربما يكون صادقا فيكون قوله كذبت كذبا والكذب معصية • والاتيان بالمعصية لا يكون
توبة عن معصية اخرى بل يقول القذف باطل ندمت على ما قلت ورجعت عنه ولا اعود اليه • اما قوله واصلحوا
فقال اصحابنا انه بعد التوبة لا بد من مضي مدة عليه في حسن الحال حتى تقبل شهادته وتعود ولايته ثم قدرت تلك المدة بسنة
حتى تمر عليه الفصول الاربع التي تتغير فيها الاحوال والطبايع كما يضرب للعنين اجل سنة وقد علق الشرع احكاما بالسنة
من الزكاة والجزية وغيرهما • اما قوله فان الله غفور رحيم • فالمعنى انه لكونه غفورا رحيما يقبل التوبة وهذا يدل
على ان قبول التوبة غير واجب عقلا اذ لو كان واجبا فهو انما يقبلها خوفا او قهرا لعلمه بانه لو لم يقبلها لصار سفيها ويخرج
عن حد الالهية اما اذا لم يكن واجبا فقبله فهناك تتحقق الرحمة والاحسان والله بالتوفيق الحكم الرابع حكم اللعان قوله تعالى
والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين
والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم

قال لا يجوز شهادة محدود في الاسلام

اعلم انه سبحانه لما ذكر احكام قذف الاجنبيات عقبه باحكام قذف الزوجات • ثم هذه الاية مشتملة على ابحاث
البحث الاول في سبب نزوله وذكروا فيه وجوها • احدها قال ابن عباس لما نزل قوله تعا والذين يرمون المحصنات
ثم لم ياتوا باربعة شهدا قال عاصم بن عدي الانصاري ان دخل منا رجل بيته فوجد رجلا على بطن امراته فان جا
باربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وان قتل قتل به • وان قال وجدت فلانا مع تلك
المراة ضرب • وان سكت سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وله امراة يقال لها خولة
بنت قيس فاتى عويمر عاصما وقال رايت شريك ابن السحما على بطن امراتي خولة فاسترجع عاصم واتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الجمعة الاخرى فقال يا رسول الله ما اسرع ما ابتليت بهذا في اهل بيتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وماذاك فقال اخبرني عويمر بن عمي انه راى شريك بن السحما على بطن امراته خولة • وكان عويمر وخولة وشريك
كلهم بنو اعمام عاصم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم جميعا وقال لعويمر اتق الله في زوجتك وابنة عمك
ولا تقذفها فقال يا رسول الله اقسم بالله اني رايت شريكا على بطنها واني ما قربتها منذ اربعة اشهر وانها حبلى
من غيري فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخبريني الا بما صنعت فقالت يا رسول الله ان عويمر رجل غيور
وانه راى شريكا يطيل النظر ويتحدث فحملته الغيرة على ما قال فانزل الله تعالى هذه الاية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى نودي الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم وقل اشهد بالله ان خولة لزانية واني لمن الصادقين • ثم
قال في الثانية قل اشهد بالله اني رايت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين • ثم قال في الثالثة قل اشهد بالله انها
حبلى من غيري واني لمن الصادقين • ثم قال في الرابعة قل اشهد بالله انها زانية واني ما قربتها منذ اربعة اشهر
واني لمن الصادقين • ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم قال اقعد وقال
لخولة قومي فقامت وقالت اشهد بالله ما انا زانية وان زوجي عويمر لمن الكاذبين • وقالت في الثانية اشهد بالله ما راى
شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين • وقالت في الثالثة اشهد بالله اني حبلى منه وانه لمن الكاذبين • وقالت في الرابعة
اشهد بالله انه ما راني على فاحشة وانه لمن الكاذبين وقالت في الخامسة غضب الله على خولة ان كان عويمر من الصادقين في
قوله ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما • وثانيها قال ابن عباس في رواية الكلبي ان عاصما ذات يوم رجع الى اهله
فوجد شريك بن السحما على بطن امراته فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث كما تقدم • وثالثها ما روى عكرمة عن
ابن عباس لما نزل والذين يرمون المحصنات قال سعد بن عبادة وهو سيد الانصار لو وجدت رجلا على بطنها فاني ان جئت
باربعة من الشهدا يكون قد قضى حاجته وذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الا تسمعون ما يقول
سيدكم فقالوا يا رسول الله لا تلمه فانه رجل غيور فقال سعد يا رسول الله والله اني لاعرف انها من الله وانها حق ولكني عجبت
منه فقال عليه الصلاة والسلام فان الله يابى الا ذلك قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جا ابن عم له يقال له هلال بن امية
وهو احد الثلاثة الذين تاب الله عليهم فقال يا رسول الله اني وجدت مع امراتي رجلا رايت بعيني وسمعت باذني
فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ما جاء به فقال هلال والله يا رسول الله اني لارى الكراهة في وجهك مما اخبرتك به
والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما البينة واما اقامة الحد عليك
فاجتمعت الانصار وقالوا ابتلينا بما قال سعد • فبينا هم كذلك اذ نزل عليه الوحي وكان اذا نزل عليه الوحي ربد وجهه
وجسده اي علته حمرة فلما سرى عنه قال عليه الصلاة والسلام ابشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجا قال قد كنت ارجو
ذلك من الله تعا فقرا عليهم هذه الايات فقال عليه الصلاة والسلام ادعوها فدعيت فكذبت هلالا فقال عليه السلام
الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تايب وامر بالملاعنة فشهد هلال اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال
عليه الصلاة والسلام له عند الخامسة اتق الله يا هلال فان عذاب الدنيا اهون من عذاب الاخرة فقال والله لا يعذبني
الله عليها كما لم يجلدني رسول الله وشهد الخامسة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدين فشهدت اربع شهادات
بالله انه لمن الكاذبين • فلما اخذت في الخامسة قيل لها اتق الله فان الخامسة هي الموجبة فتفكرت ساعة وهمت
بالاعتراف • ثم قالت والله لا افضح قومي وشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول
الله صلى الله عليه وسلم بينهما ثم قال ابصروها ان جاءت به اثيج اصهب حمش الساقين فهو لهلال • وان جاءت به خدلج الساقين
اورق جعدا فهو لصاحبه • فجاءت به اورق خدلج الساقين فقال عليه الصلاة والسلام لولا الايمان لكان لي ولها
شان قال عكرمة رايته بعد ذلك امير مصر من الامصار لا يدرى من ابوه • البحث الثاني فيما يتعلق بالقراءة
قرئ ولم يكن بالتا لان الشهدا جماعة ولانهم في معنى الانفس ووجه من قرا اربع ان ينصب لانه في حكم المصدر والعامل
فيه المصدر الذي هو فشهادة احدهم وهي مبتدا محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات

قرى

وقرئ ان لعنة الله وان غضب الله على تخفيف ان ورفع ما بعدها • وقرئ ان غضب الله على فعل الغضب • وقرئ بنصب
الخامستين على معنى ويشهد الخامسة • البحث الثالث فيما يتعلق بالاحكام والنظر فيه يتعلق باطراف • الطرف الاول
في موجب اللعان • وفيه مسايل **المسئلة الاولى** علم انه اذا رمى الرجل امراته بالزنا يجب عليه الحد ان كانت محصنة
والتعزير ان لم تكن محصنة كما في رمي الاجنبي لا يختلف موجبهما غير انهما يختلفان في المخلص ففي قذف الاجنبي لا يسقط
الحد عن القاذف الا باقرار المقذوف وبينة تقوم على زناها • وفي قذف الزوجة يسقط عنه الحد باحد هذين
الامرين وباللعان وانما اعتبر الشرع اللعان في هذه الصورة دون الاجنبيات لوجهين • الاول انه لا معرة عليه
في زنا الاجنبي والاولى له ستره • اما اذا زنى بزوجته فيلحقه العار والشنار والنسب الفاسد فلا يمكنه الصبر عليه
وتوقيفه على البينة كالمتعذر فلا جرم خص الشرع هذه الصورة باللعان • الثاني ان الغالب في المتعارف من احوال
الرجل مع امراته ان لا يقصدها بالقذف الا عن حقيقة • فاذا رماها فنفس الرمي يشهد بكونه صادقا الا ان شهادة الحال
ليست بكاملة فضم اليها ما يقويها من الايمان كشهادة المراة لما ضعفت قويت بزيادة العدد والشاهد الواحد يقوى
باليمين على قول كثير من الفقهاء **المسئلة الثانية** قال ابو بكر الرازي كان حد قاذف الاجنبيات والزوجات الجلد والدليل
عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم لهلال بن امية حين قذف امراته بشريك بن سحما ايتني باربعة يشهدون والا فحد في ظهرك
فثبت بهذا ان حد قاذف الزوجات كان كحد قاذف الاجنبيات الا انه نسخ عن الازواج الجلد باللعان وروي نحو ذلك
في الرجل الذي قال ارايتم لو ان رجلا وجد مع امراته رجلا فان تكلم جلدتموه وان قتل قتلتموه وان سكت سكت على غيظ
فدلت هذه الاخبار على ان حد قاذف الزوجة كان الجلد وان الله نسخه باللعان **المسئلة الثالثة** قال الشافعي اذا قذف
الزوج زوجته فالواجب هو الحد ولكن المخلص منه باللعان كما ان الواجب بقذف الاجنبية الحد والمخلص منه الشهود
فاذا نكل الزوج عن اللعان لزمه الحد للقذف • فاذا لاعن ونكلت عن اللعان يلزمها حد الزنا وقال ابو حنيفة اذا نكل
الزوج عن اللعان حبس حتى يلاعن وكذا المراة اذا نكلت حبست حتى تلاعن • حجة الشافعي وجوه • احدها ان الله تعالى قال في اول
السورة والذين يرمون المحصنات يعني الزوجات ثم لم ياتوا باربعة شهدا فاجلدوهم ثمانين جلدة • ثم عطف عليه حكم الازواج
فقال والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم • فشهادة احدهم الاية فكما ان مقتضى قذف الاجنبيات الاتيان
بالشهود او الحد فكذا موجب قذف الزوجات الاتيان باللعان او الحد • وثانيها قوله تعالى ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد
اربع شهادات بالله • والالف واللام الداخلان على العذاب لا يفيدان العموم لانه لم يجب عليها جميع انواع العذاب
فوجب صرفهما الى المعهود السابق • والمعهود السابق هو الحد لانه تعا ذكر في اول السورة وليشهد عذابهما طايفة من
المؤمنين • والمراد منه الحد اذا ثبت ان المراد من العذاب في قوله ويدرؤا عنها العذاب ثبت انها لو لم تلاعن لحدت وانها
دفعت الحد باللعان • فان قيل المراد من العذاب هو الحبس قلنا قد بينا ان الالف واللام للمعهود المذكور واقرب المذكورات
في هذه السورة العذاب بمعنى الحد وايضا فلو حملناه على الحد لا تصير الاية مجملة اما لو حملناه على الحبس تصير الاية مجملة
لان مقدار الحبس غير معلوم • وثالثها قال الشافعي ومما يدل على بطلان الحبس في حق المراة انها تقول ان كان الرجل صادقا
فحدوني وان كان كاذبا فخلوني فما بالي والحبس وليس حبسي في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا الاجماع ولا القياس • ورابعها
ان الزوج قذفها ولم يات بالمخرج من شهادة غيره او شهادة نفسه فوجب عليه الحد لقوله تعا والذين يرمون المحصنات
ثم لم ياتوا باربعة شهدا فاجلدوهم واذا ثبت ذلك في حق الرجل ثبت في حق المراة لانه لا قايل بالفرق • وخامسها
قوله عليه الصلاة والسلام لخولة والرجم اهون عليك من غضب الله وهو نص في الباب • حجة ابي حنيفة اما في حق
المراة فلانها ما فعلت سوى انها تركت اللعان وهذا النكول ليس ببينة على الزنا ولا اقرار منها به فوجب ان لا يجوز رجمها
لقوله عليه الصلاة والسلام لا يحل دم امرئ مسلم واذا لم يجب الرجم اذا كانت محصنة لم يجب الجلد في غير المحصن لانه لا قايل
بالفرق وايضا فالنكول ليس بصريح في الاقرار فلم يجز اثبات الحد به كاللفظ المحتمل للزنا ولغيره **المسئلة الرابعة** قال الجمهور
اذا قال لها يا زانية وجب اللعان • وقال مالك لا يلاعن الا ان يقول رايتك تزنين او ينفي حملها او ولدا منها • حجة الجمهور
ان عموم قوله والذين يرمون المحصنات يتناول الكل ولانه لا تفاوت في قذف الاجنبية بين الكل فكذا في قذف الزوجة • الطرف
الثاني في الملاعن قال الشافعي من صح نفيه صح لعانه فيجري اللعان بين الزوجين والذميين والمحدودين وكذلك اذا كان احدهما
رقيقا او كان الزوج مسلما والمراة ذمية وقال ابو حنيفة لا يصح في صورتين • احدهما ان تكون الزوجة ممن لا يجب
على قاذفها الحد اذا كان اجنبيا بجواز ان تكون الزوجة مملوكة او ذمية • والثاني ان يكون احدهما من غير اهل الشهادة
بان يكون محدودا في قذف وعبدا او كافرا • ثم زعم ان الفاسق والاعمى مع انهما ليسا من اهل الشهادة يصح لعانهما
وجه قول الشافعي ان ظاهر قوله تعالى والذين يرمون ازواجهم يتناول الكل فلا معنى للتخصيص والقياس ايضا ظاهر من

لا يفيدان العموم لانه لم يجب عليها جميع انواع العذاب

لو لم

بصريح

وجهين • الاول ان المقصود دفع العار عن النفس ودفع ولد الزنا عن النفس وكما يحتاج غير المحدود اليه فكذا المحدود يحتاج
اليه • الثاني اجمعنا على انه يصح لعان الفاسق والاعمى وان لم يكونا من اهل الشهادة فكذا القول في غيرهما والجامع وهو الحاجة
الى دفع عار الزنا • وجه قول ابي حنيفة النص والمعنى • اما النص فما روى عبد الله بن عمرو بن العاص انه عليه السلام قال اربع
من النساء ليس بينهن وبين ازواجهن ملاعنة • اليهودية والنصرانية تحت المسلم والحرة تحت المملوك والمملوكة تحت الحر • اما
المعنى فنقول • اما في الصورة الاولى فلانه كان الواجب على قاذف الزوجة والاجنبية الحد بقوله والذين يرمون المحصنات
ثم نسخ ذلك عن الازواج واقيم اللعان مقامه فلما كان اللعان في الازواج قايما مقام الحد في الاجنبيات لم يجب اللعان
على من لا يجب عليه الحد لو قذفها اجنبي • واما في الصورة الثانية فالوجه ان اللعان شهادة فوجب ان لا يصح الا من اهل الشهادة
وانما قلنا ان اللعان شهادة لوجهين • الاول لقوله تعالى ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات
بالله فسمى الله تعالى لعانهما شهادة كما قال واستشهدوا شهيدين من رجالكم وقال فاستشهدوا عليهن اربعة منكم • الثاني انه
عليه السلام حين لاعن بين الزوجين امرهما باللعان بلفظ الشهادة ولم يقتصر على لفظ اليمين اذا ثبت ان اللعان شهادة وجب ان لا يقبل
من المحدود في القذف لقوله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واذا ثبت ذلك في المحدود ثبت في العبد والكافر • اما الاجماع
على انهما ليسا من اهل الشهادة او لانه لا قايل بالفرق واجاب الشافعي بان اللعان ليس شهادة في الحقيقة بل هو يمين لانه لا يجوز
ان يشهد الانسان لنفسه • ولانه لو كان شهادة لكانت المراة تاتي بثمان شهادات لانها على النصف من الرجل ولانه يصح من الاعمى
والفاسق ولا يجوز شهادتهما • فان قيل الفاسق والفاسقة قد يتوبان • قلنا وكذلك العبد قد يعتق فتجوز شهادته
ثم اكد الشافعي ذلك بان العبد اذا اعتق تقبل شهادته في الحال • والفاسق اذا تاب لا تقبل شهادته في الحال • ثم الزم
ابا حنيفة ان شهادة اهل الذمة مقبولة بعضهم على بعض فينبغي ان يجوز اللعان بين الذمي والذمية هذا كله كلام الشافعي
ثم قال بعد ذلك ويختلف الحدود لمن وجبت له ومعناه ان الزوج ان لم يلاعن ينتصف الحد عليه برقه وان لاعن ولم تلاعن
اختلف حدها باحصانها وحريتها • ورتبها الطرف الثالث الاحكام المترتبة على اللعان قال الشافعي يتعلق باللعان
خمسة احكام • درء الحد • ونفي الولد • والفرقة والتحريم المؤبد • ووجوب الحد عليها • وكلها تثبت بمجرد لعانه ولا يفتقر
فيها الى لعانها ولا الى حكم الحاكم • فان حكم الحاكم به كان تنفيذا منه لا ايقاعا للفرقة • ولنتكلم في هذه المسايل **المسئلة
الاولى** اختلف المجتهدون في وقوع الفرقة باللعان على اربعة اقوال • احدها قال عثمان البتي لا اثر لملاعنة الزوج
امراته ينقص شيئا وانما اوجب ان يطلقها • وثانيها قال ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد لا تقع الفرقة بعد فراغهما
من اللعان حتى يفرق الحاكم بينهما • وثالثها قال مالك والليث وزفر اذا فرغا من اللعان وقعت الفرقة وان لم يفرق الحاكم
ورابعها قال الشافعي اذا اكمل الزوج الشهادة والالتعان فقد زال فراش امراته لا تحل له ابدا التعنت او لم تلتعن
حجة عثمان البتي وجوه • احدها ان اللعان ليس بصريح ولا كناية عن الفرقة فوجب ان لا يفيد الفرقة كساير الاقوال
التي لا اشعار لها بالفرقة لان اكثر ما فيه ان يكون الزوج صادقا في قذفه • وهذا لا يوجب تحريما الا ترى انه لو قامت
البينة عليها لم يوجب ذلك تحريما فاذا كان كاذبا والمراة صادقة تبين انه لا دلالة فيه على التحريم • وثانيها لو تلاعنا في حال
بعدهما لم يوجب الفرقة فكذا عند الحاكم • وثالثها ان اللعان قايم مقام الشهود في قذف الاجنبيات فكما انه لا فايدة
في احضار الشهود هنالك الا اسقاط الحد • فكذا اللعان لا تاثير له الا اسقاط الحدود • ورابعها اذا اكذب الزوج
نفسه في قذفه اياها ثم حد لم يوجب ذلك فرقة فكذا اذا لاعن لان اللعان قايم مقام ذلك الحد قال • واما تفريق النبي
صلى الله عليه وسلم بين المتلاعنين فكان ذلك في قصة العجلاني وقد كان طلقها ثلاثا بعد اللعان فلذلك فرق بينهما • واما
قول ابي حنيفة وهو ان الحاكم يفرق بينهما فلا بد فيه من بيان امرين • احدهما انه يجب على الحاكم ان يفرق بينهما ودليله ما روي
سهل بن سعد في قصة العجلاني فمضت السنة بعد المتلاعنين ان يفرق بينهما ثم لا يجتمعان ابدا • والثاني ان الفرقة
لا تحصل الا بحكم الحاكم • واحتجوا عليه بوجوه • احدها ما روي في قصة عويمر انهما لما فرغا قال عويمر كذبت
عليها يا رسول الله ان امسكتها هي طالق ثلاثا فطلقها قبل ان يامره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونفوذ الطلاق انما يكون لو لم تقع الفرقة بنفس اللعان • وثانيها قال سهل بن سعد في هذا الخبر فمضت السنة في
المتلاعنين ان يفرق بينهما ولا يجتمعان ابدا ولو كانت الفرقة واقعة باللعان استحال التفريق بعدها • وثالثها قال
ابو بكر الرازي قول الشافعي خلاف الاية لانه لو وقعت الفرقة بلعان الزوج للاعنت المراة وهي اجنبية وذلك
خلاف الاية لان الله تعالى انما اوجب اللعان بين الزوجين وان اللعان شهادة لا يثبت حكمه الا عند الحاكم فوجب
ان لا توجب الفرقة الا بحكم الحاكم كما لا يثبت المشهود به الا بحكم الحاكم • ورابعها اللعان يستحق به المراة نفسها
كما يستحق المدعي بالبينة فلما لم يجز ان يستحق المدعي ما ادعاه الا بحكم الحاكم وجب مثله في استحقاق المراة نفسها

وخامسها

وخامسها ان اللعان لا اشعار فيه بالتحريم لان اكثر ما فيه انها بريئة ولو قامت البينة على زناها او هي اقرت بذلك فذلك
لا يوجب التحريم فكذا اللعان فاذا لم يوجد فيها دلالة على التحريم وجب ان لا تقع الفرقة به فلا بد من احداث التفريق اما من قبل
الزوج او من قبل الحاكم • اما قول مالك وزفر فحجته انهما لو تراضيا على البقاء على النكاح لم يخليا بل يفرق بينهما فدل على ان
اللعان قد اوجب الفرقة • اما قول الشافعي فله دليلان • الاول قوله تعالى ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد الاية فدل
هذا على انه لا تاثير للعانها الا في دفع العذاب عن نفسها وان كل ما يجب باللعان من الاحكام فقد وقع بلعان الزوج • الثاني
ان لعان الزوج وحده مستقل بنفي الولد فوجب ان يكون مستقلا بوقوع الفرقة • بيان انه مستقل بنفي الولد ان
الاعتبار في الالحاق لا بقولها الا ترى انها في لعانها تلحق الولد به ونحن ننفيه عنه فيعتبر نفي الزوج لا الحاق المراة ولهذا
اذا اكذب الزوج نفسه لحق به الولد وما دام يبقى مصرا على اللعان فالولد منفي عنه • اذا ثبت ان لعانه مستقل
بنفي الولد وجب ان يكون مستقلا بوقوع الفرقة لان الفرقة لو لم تقع لم ينتف الولد لقوله عليه الصلاة والسلام الولد للفراش
فما دام يبقى الفراش التحق به • فلما انتفى الولد عنه بمجرد لعانه وجب ان يزول الفراش عنه بمجرد لعانه وجب ان يزول
الفراش عنه بمجرد لعانه • واما الاخبار التي استدل بها ابو حنيفة فالمراد ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن وقوع الفرقة
وحكم بها وذلك لا ينافي ان يكون المؤثر في الفرقة شيئا اخر • واما الاقيسة التي ذكروها فمدارها على ان اللعان شهادة
وليس الامر كذلك بل هو يمين على ما بينا • واما قوله ان اللعان لا اشعار فيه بوقوع الحرمة • قلنا بينة على نفي الولد معمول
ونفي الولد يتضمن نفي علقة النكاح والله اعلم **المسئلة الثانية** قال مالك والشافعي وابو يوسف والثوري واسحق
المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وهو قول علي وعمر وابن مسعود وقال ابو حنيفة ومحمد اذا اكذب نفسه وحد زال التحريم
العقد وحلت له بنكاح جديد • حجة الشافعي امور • احدها قوله عليه السلام للملاعن بعد اللعان لا سبيل لك عليها
ولم يقل حتى تكذب نفسك ولو كان الاكذاب غاية لهذه الحرمة لردها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هذه الغاية
كما قال في المطلقة الثلاث • فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره • وثانيها روي عن علي وعمر وابن مسعود
انهم قالوا لا يجتمع المتلاعنان ابدا وهذا قد روي ايضا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم • وثالثها ما روى
الزهري عن سهل بن سعد في قصة العجلاني فمضت السنة انهما اذا تلاعنا فرق بينهما ثم لا يجتمعان ابدا • حجة ابي حنيفة
قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم وقوله فانكحوا ما طاب لكم **المسئلة الثالثة** اتفق اهل العلم على ان الولد ينفى من
من الزوج باللعان وحكي عن بعض من شذ انه للزوج ولا ينتفي نسبه باللعان • واحتج بقوله عليه السلام الولد للفراش
وهذا ضعيف لان الاخبار الدالة على ان النسب ينتفي باللعان كالمتواترة فلا يعارضها هذا الواحد **المسئلة الرابعة**
قال الشافعي لو اتى احدهما ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم وقال ابو حنيفة اكثر كلمات اللعان تعمل عمل الكل اذا حكم به الحاكم
والظاهر مع الشافعي لانه لا يدل على انها لا تدرأ العذاب عن نفسها الا باتمام ما ذكره الله تعالى • ومن قال بخلاف ذلك فانما يقول
بدليل منفصل • الطرف الرابع في كيفية اللعان والاية دالة عليها صريحا • فالرجل يشهد اربع شهادات بالله بان يقول
اشهد انني لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا ثم يقول من بعد وعليه لعنة الله ان كان من الكاذبين • ويتعلق بلعان الرجل
بعد ذلك الاحكام الخمسة على قول الشافعي • ثم المراة اذا ارادت اسقاط حد الزنا عن نفسها عليها ان تلاعن ولا يتعلق بلعانها
الا هذا الحكم الواحد • ثم ههنا فروع • الاول اجمعوا على ان اللعان كالشهادة فلا يثبت الا عند الحاكم بحكمه • الثاني
قال الشافعي يقام الرجل حتى يشهد والمراة قاعدة • وتقام المراة حتى تشهد والرجل قاعد • ويامر الامام من يضع يده
على فيه عند الانتهاء الى اللعنة والغضب ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله • الثالث اللعان بمكة
بين الركن والمقام • والمدينة عند المنبر • وبيت المقدس في مسجده • والا في المواضع العظيمة • ولعان المشرك
في الكنيسة • واما الزمان فيوم الجمعة بعد العصر ولا بد من حضور جماعة من الاعيان اقلهم اربعة • الطرف الخامس في
ساير الفوايد • وفيه مسايل **المسئلة الاولى** احتج اصحابنا بهذه الاية على بطلان قول الخوارج في ان الزنا والقذف
كفر من وجهين • الاول ان الرامي ان صدق فهي زانية وان كذب فهو قاذف فلا بد على قولهم من وقوع الكفر من احدهما
وذلك يكون ردة فيجب على هذا ان تقع الفرقة ولا لعان اصلا وان يكون فرقة الردة حتى لا يتعلق بذلك توارث البتة • الثاني
ان الكفر اذا ثبت عليها باللعان • فالواجب ان تقتل لا ان تحد او ترجم لان عقوبة المرتد مباينة للحد في الزنا **المسئلة
الثانية** الاية دالة على بطلان قول من يقول ان وقوع الزنا يفسد النكاح وذلك لانه يجب اذا رماها بالزنا ان يكون قوله
هذا كانه معترف بفساد النكاح حتى يكون بمنزلة سبيل من يقر بانها اخته من الرضاع او بانها كافرة ولو كان كذلك لوجب ان تقع
الفرقة بنفس الرمي من قبل اللعان • وقد ثبت بالاجماع فساد ذلك **المسئلة الثالثة** قالت المعتزلة دلت الاية
على ان القاذف مستحق للعن الله تعالى اذا كان كاذبا وانه قد فسق • وكذلك الزاني والزانية يستحقان غضب الله تعالى وعقابه

اكثر كلمات اللعان تعمل عمل الكل

بنفس

والاثم يحسن منهما ان يلعنا انفسهما كما لا يجوز ان يدعوا احد ربه ان يلعن الاطفال والمجانين واذا صح ذلك فقد
استحق العقاب • والعقاب يكون دايما كالثواب ولا يجتمعان فثوابهما اذن محبط فلا يجوز اذ لم يتوبا ان يدخلا
الجنة لان الامة مجمعة على ان من دخل الجنة من المكلفين فهو مثاب على طاعاته وذلك يدل على خلود الفساق في
النار قال اصحابنا لا نسلم ان كونه مغضوبا عليه بفسقه ينافي كونه مرضيا عنه بجهة ايمانه • ثم لو سلمناه
فلا نسلم ان الجنة لا يدخلها الا مستحق الثواب والاجماع ممنوع **المسئلة الرابعة** انما خصصنا الملاعنة
بان تخمس بغضب الله تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة
في اية الجلد • واعلم انه لما بين حكم الرامي للمحصنات والازواج على ما ذكرنا وكان ذلك من الرحمة والنعمة ما
لا خفاء به لانه تعالى جعل باللعان له سبيلا الى مراده • ولها سبيل الى دفع العذاب عن نفسها ولهما السبيل الى التوبة
والانابة فلاجل هذا بين تعالى بقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته عظيم نعمه فيما بينه من هذه الاحكام وفيما امهل
وابقى ومكن من التوبة ولا شبهة في ان في الكلام حذفا اذ لا بد من جواب الا ان تركه يدل على انه امر عظيم لا يكتنه
ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به **الحكم الخامس** قصة الافك • قوله تعالى **ان الذين جاؤا
بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم
والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم** الكلام في هذه الاية من وجهين • احدهما تفسيرها • والثاني سبب نزولها
اما التفسير فاعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الاية ثلاثة اشيا • اولها انه حكى الواقعة وهو قوله ان الذين جاؤا
بالافك عصبة منكم • والافك ابلغ ما يكون من الكذب والافترا • وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجاك واصل
الافك وهو القلب لانه قول مافوك عن وجهه • واجمع المسلمون على ان المراد ما افك به على عايشه وانما وصف
الله تعالى ذلك الكذب بكونه افكا لان المعروف من حال عايشه خلاف ذلك لوجوه • احدها ان كونها زوجة للرسول
صلى الله عليه وسلم المعصوم يمنع من ذلك لان الانبيا مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب ان لا يكون
معهم ما ينفرهم عنهم • وكون الانسان بحيث تكون زوجته مسافحة من اعظم المنفرات • فان قيل كيف جاز ان تكون امراة
النبي صلى الله عليه وسلم كافرة كامراة نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة وايضا فلو لم يجز ذلك لكان الرسول اعرف الناس
بامتناعه ولو عرف ذلك لما ضاق قلبه ولما سال عايشة عن كيفية الواقعة • قلنا الجواب عن الاول ان الكفر ليس من
المنفرات • اما كونها فاجرة من المنفرات • والجواب عن الثاني انه عليه السلام كثيرا ما كان يضيق قلبه من اقوال
الكفار مع علمه بفساد تلك الاقوال قال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فكان هذا من هذا الباب
وثانيها ان المعروف من حال عايشه قبل تلك الواقعة انما هو التصون والبعد عن مقدمات الفجور ومن كان كذلك كان
اللائق احسان الظن به • وثالثها ان القاذفين كانوا من المنافقين ومن اتباعهم وقد عرف ان كلام العدو ضرب
من الهذيان • فلمجموع هذه القراين كان ذلك القول معلوم الفساد قبل نزول الوحي • اما العصبة فقيل انها الجماعة
من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة • واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي راس النفاق وزيد بن رفاعة
وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم • اما قوله منكم • فالمعنى ان الذين اتوا بالكذب
في امر عايشة جماعة منكم ايها المؤمنون لان عبد الله كان من جملة من حكم له بالايمان ظاهرا • وثانيها انه سبحانه شرح حال
المقذوفة • ومن يتعلق بها • فقوله لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم والصحيح ان هذا الخطاب ليس مع القاذفين بل مع من قذفوه
فاذوه • فان قيل هذا مشكل لوجهين • احدهما انه لم يتقدم ذكرهم • والثاني ان المقذوفين هم عايشة وصفوان وحدهما فكيف
تطلق صيغة الجمع عليهما في قوله لا تحسبوه شرا لكم والجواب عن الاول انه تقدم ذكرهم في قوله منكم • وعن الثاني
ان المراد من لفظ الجمع كل من تاذى بذلك الكذب واغتم • ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم تاذى بذلك • وكذلك ابو بكر
ومن يتصل به وبها • فان قيل فمن اي جهة يصير خيرا لهم مع انه مضرة في العاجل • قلنا لوجوه • احدها انهم
صبروا على ذلك الغم طلبا لمرضاة الله تعالى فاستوجبوا به الثواب وهذه طريقة المؤمنين عند وقوع الظلم
بهم • وثانيها انه لولا اظهارهم للافك كان يجوز ان تبقى التهمة كامنة في صدور البعض • وعند الاظهار انكشف كذب
القوم على الدهر • وثالثها انه صار خيرا لهم لما فيه من شرفهم • وبيان فضلهم من حيث نزلت ثماني عشرة اية كل
واحدة منها مستقلة ببراءة عايشة • وشهد الله تعالى بكذب القاذفين ونسبهم الى الافك واوجب عليهم اللعن
والذم وهذا غاية الشرف والفضل • ورابعها صيرورتها بحال تعلق الكفر والايمان بقدحها ومدحها فان الله
تعالى لما نص على كون تلك الواقعة افكا وبالغ في شرحه فكل من يشك فيه كان كافرا قطعا • وهذه درجة عالية
ومن الناس من قال قوله تعالى لا تحسبوه شرا لكم خطاب مع القاذفين وجعله الله تعالى خيرا لهم من وجوه • احدها

انه صار

انه صار ما نزل من القرآن مانعا لهم من الاستمرار عليه فصار مقطعة لهم عن ادامة هذا الافك • وثانيها صار خيرا لهم من حيث
كان هذا الذكر عقوبة معجلة كالكفارة • وثالثها صار خيرا لهم من حيث تاب بعضهم عنده • واعلم ان هذا القول ضعيف
لانه تعالى خاطبهم بالكاف • ولما وصف اهل الافك جعل الخطاب بالهاء بقوله تعالى لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم
وايضا فلا يليق ان يكون تسلية الله تعالى مع المظلومين لا مع الظالمين • والقسم الثالث من هذه الاية شرح حال
القاذفين وذلك بقوله ما اكتسب من الاثم • ومعلوم ان نفس ما اكتسبوه من العقاب في الاخرة والمذمة في الدنيا
ان قدر العقاب يكون مثل قدر الخوض • اما قوله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ففيه مسايل **المسئلة الاولى**
قرئ كبره بالضم والكسر وهو معظمه **المسئلة الثانية** قال الضحاك الذي تولى كبره حسان ومسطح فجلدهما صلى الله عليه وسلم
حين انزل الله عذرها • وجلد معهما امراة من قريش • وروي ان عايشة ذكرت حسانا وقالت ارجو له الجنة فقيل اليس هو الذي
تولى كبره فقالت اذا سمعت شعره في مدح الرسول رجوت له الجنة وقال عليه السلام ان الله يؤيد حسانا بروح
القدس في شعره • وفي رواية اخرى واي عذاب اشد من العمى ولعل الله يجعل ذلك العذاب ذهاب بصره والاشهر
في الرواية ان المراد به عبد الله بن ابي فانه كان منافقا طالبا لما يكون قدحا في الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره كانوا تابعين له
فيما كان ياتي وكان فيهم من لا يتهم بالنفاق **المسئلة الثالثة** المراد من اضافة الكبر اليه انه كان مبتديا بذلك القول
فلا جرم حصل له من العقاب مثل ما حصل لكل من قال ذلك لقوله عليه السلام ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من
عمل بها الى يوم القيمة • وقيل سبب تلك الاضافة شدة الرغبة في اشاعة تلك الفاحشة وهو قول ابي مسلم **المسئلة الرابعة**
قال الجبائي قوله تعالى لكل امرئ منهم ما اكتسب اي عقاب ما اكتسب ولو كانوا لا يستحقون على ذلك عقابا لما جاز ان
يقول تعالى ذلك وفيه دلالة على ان من لم يتب منهم صار الى العذاب الدايم في الاخرة لان مع استحقاق العذاب لا يجوز استحقاق
الثواب والجواب ان الكلام في المحابطة قد مر غير مرة فلا وجه للاعادة والله اعلم • اما سبب النزول فقد روى
الزهري عن ابي هريرة وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن ابي وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود كلهم
رووا عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسايه فايتهن خرج اسمها خرج بها
معه قالت فاقرع بيننا في غزوة غزاها قبل بني المصطلق فخرج فيها اسمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك بعد نزول اية الحجاب فحملت في هودج فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرب من المدينة نزل منزلا
ثم اذن بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني واقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقدي من جزع اظفار
قد انقطع فرجعت والتمست عقدي وحبسني طلبه واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون فحملوا هودجي وهم يحسبون اني
[illegible]

تحملوا هودجى وهم يحسبون انى فيه

من اخواننا من الخزرج فامرتنا فعلناه • فقام سعد بن عبادة وكان سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن اخذته الحمية
فقال لسعد بن معاذ كذبت والله لا تقدر على قتله فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ وقال كذبت
لعمر الله لنقتلنه وانك لمنافق تجادل عن المنافقين • فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول
الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا قالت ومكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع وابواي يظنان
ان البكاء فالق كبدي فبينما هما جالسان عندي وانا ابكي اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس قالت
ولم يجلس عندي منذ قيل فيما قيل • ولقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شاني شيء ثم قال اما بعد يا عائشة فانه بلغني
عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله تعالى وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد
اذا تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي ثم قلت لابي اجب عني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما ادري ما اقول فقلت وانا جارية حديثة السن ما اقرا من القران
كثيرا اني والله لقد عرفت انكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به • فان قلت لكم اني بريئة لا تصدقوني
وان اعترفت لكم بامر والله يعلم اني بريئة لتصدقوني والله لا اجد لي ولكم مثلا الا كما قال العبد الصالح ابو يوسف
ولم اذكر اسمه فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت ثم تحولت واضطجعت على فراشي وانا والله اعلم ان الله تعالى
يبرئني والله ما كنت اظن ان ينزل في شاني وحيا يتلى ولشاني كان احقر في نفسي من ان يتكلم الله في بامر يتلى ولكن كنت ارجو
ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت فوالله ما رام رسول الله مجلسه ولا خرج
من اهل البيت احد حتى انزل الله على نبيه فاخذه ما كان ياخذه من برحاء الوحي حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق
في اليوم الشاتي من ثقل الوحي فسجي بثوب ووضعت وسادة تحت راسه والله ما فزعت وما باليت لعلمي ببراءتي واما
ابواي فوالله ما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت ان نفس ابوي ستخرجان فرقا من ان ياتي الله
بتحقيق ما قال الناس • فلما سري عنه وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال ابشري يا عائشة اما والله لقد
براك الله فقلت بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد اصحابك فقالت امي قومي اليه فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله الذي
انزل براءتي فانزل الله تعالى ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم عشر ايات فقال ابو بكر والله لا انفق على مسطح بعد
هذا وكان ينفق عليه لقرابته منه وفقره فانزل الله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله الا تحبون ان يغفر
الله لكم فقال ابو بكر بلى والله اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى النفقة على مسطح قالت فلما نزل عذري قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وقرا القران • فلما نزل ضرب عبد الله بن ابي ومسطحا وحمنة وحسان الحد
واعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر القصة وذكر حال القاذفين والمقذوفين عقبها بما يليق بها من الاداب والزواجر
وهي انواع • الاول قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين وهذا
من جملة الاداب التي كانت يلزمهم الاتيان بها • ولولا معناه هلا وذلك كثير في اللغة اذا كان يلي الفعل كقوله
لولا اخرتني • وقوله فلولا كانت قرية امنت • فاما اذا ولي الاسم فليس كذلك لقوله لولا انتم لكنا مؤمنين ولولا
فضل الله عليكم ورحمته • والمراد كان الواجب على المؤمنين اذ سمعوا قول القاذف ان يكذبوه ويشتغلوا باحسان
الظن ولا يسرعوا الى التهمة فيمن عرفوا فيه الطهارة • وههنا سؤالات • السؤال الاول هلا قيل لولا اذ
سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم لم عدل عن الخطاب الى الغيبة • وعن المضمر الى الظاهر الجواب ليبالغ في التوبيخ
بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه يقتضي ان لا يظن بالمسلمين الا خيرا لان
ذنبه يكون بحكم المعصية منشا الضرر وعقله يهديه الى وجوب الاحتراز عن الضرر فهذا يوجب حصول
الظن باحترازه عن المعصية فاذا اوجدها هذا المقتضي للاحتراز ولم يوجد في مقابلته راجح يساويه
في القوة وجب احسان الظن وحرم الاقدام على الطعن • السؤال الثاني ما المراد من قوله بانفسهم الجواب
فيه وجهان • الاول المراد ان يظن بعضهم ببعض خيرا ونظيره قوله ولا تلمزوا انفسكم وقوله فاقتلوا
انفسكم وقوله اذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم ومعناه اي بامثالهم المؤمنين الذين هم كانفسهم • روي
ان ابا ايوب الانصاري قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان كنت تظن بحرمة رسول الله
سوءا قال لا قالت ولو كنت بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان
خير منك وقال ابن زيد ذلك معاتبة للمؤمنين اذ المؤمن لا يفجر بامه ولا الام بابنها وعائشة هي ام المؤمنين
الثاني انه جعل المؤمنين كالنفس الواحدة فيما يجري عليها من الامور فاذا جرى على احدهم مكروه فكانه جرى
على جميعهم عن النعمان ابن بشير قال عليه الصلاة والسلام مثل المؤمنين في تواصلهم وتراحمهم والذي جعل الله

بينهم كمثل الجسد

بينهم كمثل الجسد اذا وجع بعضه وجع كله بالسهر والحمى • وعن ابي هريرة قال عليه الصلاة والسلام المؤمنون للمؤمنين
كالبنيان يشد بعضه بعضا • السؤال الثالث ما معنى قوله هذا افك مبين • وهل يحل لمن سمع ما لا يعرفه ان يقول ذلك
الجواب من وجهين • الاول يجب ان يقول لكنه يخبر بذلك عن قول القاذف الذي لا يستند الى امارة لا عن حقيقة الشيء الذي
لا يعلمه • الثاني ان ذلك واجب في امر عائشة لانها لكونها زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم المعصوم عن جميع المنفرات كالدليل
القاطع في كون ذلك كذبا • قال ابو بكر الرازي هذا يدل على ان الواجب من كان ظاهره العدالة ان يظن به خيرا ويوجب ان
يكون عقود المسلمين وتصرفاتهم محمولة على الصحة والجواز ولذلك قال اصحابنا فيمن وجد مع امراة اجنبية فاعترفا
بالتزوج انه لا يجوز تكذيبهما بل يجب تصديقهما • وزعم مالك انه يحدهما ان لم يقيما بينة على النكاح • ومن ذلك ايضا ما
قال اصحابنا فيمن باع درهما ودينارا بدرهمين ودينارين انا نخالف بينهما لانا قد امرنا بحسن الظن بالمؤمنين توجب حمله
على ما يجوز وهو المخالفة بينهما وكذلك اذا باع سيفا محلى فيه مائة درهم بمائتي درهم انا نجعل المائة بالمائة والفضل بالسيف
وهو بناء ايضا على قول ابي حنيفة في ان المسلمين عدول ما لم يظهر منهم ريبة لانا كنا مامورين بحسن الظن وذلك يوجب قبول
الشهادة ما لم يظهر منه ريبة توجب التوقف عنها او ردها وقال تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئا • النوع الثاني قوله
لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون وهذا من باب الزواجر • والمعنى هلا اتوا
على ما ذكروه من الشهود يشهدون على معاينتهم فيما رموها به فاذ لم ياتوا بالشهادة بحين لم يقيموا بينة على ما قالوا
فاولئك عند الله اي في حكمه هم الكاذبون • فان قيل اليس اذا لم ياتوا بالشهداء فانه يجوز كونهم صادقين كما يجوز
كونهم كاذبين فلم جزم بكونهم كاذبين والجواب من وجهين • الاول ان المراد بذلك الذين رموا عائشة خاصة وهم
كانوا عند الله كاذبين • الثاني المراد فاولئك عند الله اي في حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف
اذا لم يات بالشهود فانه يجب زجره • فلما شابه الكاذب في الزجر والاستخفاف لا جرم اطلق عليه الكاذب مجازا • النوع
الثالث قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم وهذا من باب الزواجر ايضا لولا
ههنا لامتناع الشيء لوجود غيره • يقال افاض في الحديث واندفع وخاض • وفي المعنى وجهان • الاول ولولا
اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الاخرة بالعفو
والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك • والثاني ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم
فيما افضتم فيه عذاب عظيم في الدنيا والاخرة معا فيكون فيه تقديم وتاخير • والخطاب للقذفة وهو قول مقاتل
وهذا الفضل هو حكم الله تعالى وتاخير العذاب وحكمه بقبول التوبة لمن تاب • النوع الرابع قوله اذ تلقونه
بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وهذا ايضا من الزواجر قال صاحب
الكشاف اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه ياخذه بعضكم من بعض • يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه • ومنه قوله تعالى
فتلقى ادم من ربه كلمات • وقرئ على الاصل تتلقونه • واذ تلقونه بادغام الذال في التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه
وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب • وتلقونه محكية عن عائشة وعن
سفيان سمعت امي تقرا اذ تثقفونه • وكان ابوها يقرا بحرف عبد الله بن مسعود • واعلم ان الله تعالى وصفهم بارتكاب
ثلاثة اثام • وعلق مس العذاب العظيم بها • احدها تلقي الافك حتى شاع واشتهر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه
فكانهم سعوا في اشاعة الفاحشة وذلك من العظائم • وثانيها انهم يتكلمون بما لا علم لهم به • وذلك يدل على
انه لا يجوز الاخبار الا مع العلم • فاما الذي لا يعلم صدقه فالاخبار عنه كالاخبار عما علم كذبه في الحرمة • ونظيره قوله
ولا تقف ما ليس لك به علم • فان قيل ما معنى قوله بافواهكم • فالقول لا يكون الا بالفم • قلنا معناه ان الشيء المعلوم
يكون علمه في القلب فيترجم عنه باللسان • وهذا الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم من غير ان يحصل في القلب علم
به كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم • وثالثها انهم كانوا يستصغرون ذلك وهو عظيمة من العظائم ويدل
على ذلك امور ثلاثة • الاول يدل على ان القذف من الكبائر لقوله وهو عند الله عظيم • الثاني نبه بقوله
وتحسبونه هينا على ان عظم المعصية لا يختلف بظن فاعله وحسبانه بل ربما كان ذلك مؤكدا لعظمه من حيث
جهل كونه عظيما • الثالث الواجب على المكلف في كل محرم ان يستعظم الاقدام عليه اذ لا يامن انه من الكبائر
وقيل لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار • النوع الخامس قوله ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون
لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم • وهذا من باب الاداب اي هلا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم
بهذا وانما وجب عليهم الامتناع منه لوجوه • احدها ان المقتضي لكونهم تاركين لهذا الفعل قائم وهو العقل
والدين ولم يوجد ما يعارضه فوجب ان يكون ظن كونهم تاركين للمعصية اقوى من ظن كونهم فاعلين لها فلو

واعلم ان الله تعالى وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام

اخبر عن صدور المعصية لكان قد رجح المرجوح على الراجح وهو غير جائز • وثانيها وهو انه يتضمن ايذا الرسول
وذلك سبب للعن لقوله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله لعنوا في الدنيا والآخرة • وثالثها انه سبب لايذا
عايشة وابدا ابويها ومن يتصل بهم من غير سبب عرفا قدامهم عليه ولا اجابة عرف صدورها عنهم وذلك حرام
ورابعها انه اقدام على ما يجوز كونه سببا للضرر مع الاستغنا عنه والعقل يقتضي التباعد لان القاذف بتقدير
كونه صادقا لا يستحق الثواب على صدقه بل يستحق العقاب لانه اشاع الفاحشة • وبتقدير كونه كاذبا فانه يستحق
العقاب العظيم ومثل ذلك مما يقتضي صريح العقل الاحتراز عنه • وخامسها انه تضييع للوقت بما لا فايدة فيه
وقال عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه • وسادسها في اظهار محاسن الناس وستر
مقابحهم تخلق باخلاق الله تعالى وقال عليه السلام تخلقوا باخلاق الله فهذه الوجوه توجب على العاقل انه اذا
سمع القذف ان يسكت عنه وان يجتهد في الاحتراز عن الوقوع فيه • فان قيل كيف جاز الفصل بين لولا وبين قلتم
بالظرف • قلنا الفايدة فيه انه كان الواجب عليهم ان يحترزوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به • اما قوله سبحانك
هذا بهتان عظيم ففيه سوالات • الاول كيف يليق سبحانك بهذا الموضع الجواب من وجوه • الاول المراد منه التعجب
عن عظيم الامر وانما استعمل في معنى التعجب لانه يسبح الله عند روية العجب من صنايعه • ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب
منه • الثاني المراد تنزيه الله ان يكون زوجة نبيه فاجرة • الثالث انت منزه عن ان ترضى بظلم هولا القذفة
المفترين • الرابع انت منزه عن ان لا تعاقب هولا القذفة الظلمة • السوال الثاني لم اوجب عليهم ان يقولوا هذا
بهتان عظيم مع انهم كانوا غالمين بكونه كذبا قطعا فالجواب من وجهين • الاول انهم كانوا متمكنين من العلم بكونه
بهتانا لان زوجة الرسول لا يجوز ان تكون فاجرة • الثاني انهم لما جزموا مع انهم كانوا ظالمين له بالقلب كان
اخبارهم عن ذلك الجزم كذبا • ونظيره قوله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون • النوع السادس قوله تعالى
يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم • وهذا من باب الزواجر والمعنى
يعظكم الله بهذه المواعظ التي بها تعرفون عظم هذا الذنب فان فيه الحد والنكال في الدنيا والعذاب في الاخرة لكي
لا تعودوا لمثل هذا الفعل ابدا وابدا مدة حياتكم ما دمتم احيا مكلفين وقد دخل تحته ذلك القائل ومن سمع فلم ينكر لان
حالهما سوا في ان فعلا ما لا يجوز • وان كان من اقدم عليه اعظم ذنبا فبين ان الغرض بما عرفهم من هذه الطريقة ان لا يعودوا
لمثل ما تقدم منهم • وهاهنا مسايل المسئلة الاولى استدلت المعتزلة بقوله ان كنتم مومنين على ان ترك القذف
من الايمان وعلى ان فعل القذف لا يبقى معه الايمان لان المعلق على الشرط عدم عند عدم الشرط والجواب
هذا معارض بقوله ان الذين جاوا بالافك عصبة منكم اي ايها المومنون فدل ذلك على ان القذف لا يوجب الخروج من الايمان
واذا ثبت التعارض حملنا هذه الآية على التهييج في الاتعاظ والانزجار المسئلة الثانية قالت المعتزلة دلت هذه الآية
على انه تعالى اراد من جميع من وعظه مجانبة مثل ذلك في المستقبل وان كان فيهم من لا يطيع فمن هذا الوجه يدل على انه تعالى
يريد من كلهم الطاعة وان عصوا لان قوله تعالى يعظكم الله ان تعودوا معناه لكي لا تعودوا لمثله وذلك دلالة الارادة
والجواب عنه ما تقدم مرارا المسئلة الثالثة هل يجوز ان يسمى الله تعالى واعظا لقوله تعالى يعظكم الله ان تعودوا
والاظهر انه لا يجوز ان يسمى معلما لقوله الرحمن علم القرآن • اما قوله تعالى ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم
فالمراد من الآيات ما به يعرف المرء ما ينبغي ان يتمسك به ثم بين انه لكونه عليما حكيما ياتي بما يجب ان يبينه ويجب ان يطاع
لاجل ذلك لان من لا يكون عالما لا يجب قبول تكليفه لانه قد يامر بما لا ينبغي ولان المكلف اذا اطاعه فقد لا يعلم انه اطاعه
وحينئذ لا يبقى للطاعة فايدة • واما من كان عالما لكنه لا يكون حكيما فقد يامر بما لا ينبغي ولا يهمل جزا المستحقين
فلهذا ذكر هاتين الصفتين وخصهما بالذكر • وهاهنا سوالات • الاول الحكيم هو الذي لا ياتي بما لا ينبغي وانما يكون
كذلك لو كان عالما بقبح القبيح وعالما بكونه غنيا عنه فيكون العليم داخلا في الحكيم فكان ذكر الحكيم مغنيا عنه هذا
على قول المعتزلة • واما على قول اهل السنة فالحكمة هي العلم فقط فذكر العليم مع الحكيم يكون تكرارا محضا والجواب
يحمل ذلك على التاكيد • السوال الثاني قالت المعتزلة دلت الآية على انه انما يجب قبول بيان الله تعالى لمجرد كونه عليما حكيما
والحكيم هو الذي لا يفعل القبايح فدلت الآية على انه لو كان خالقا للقبايح لما جاز الاعتماد على قوله لكونه عالما بكل المعلومات
فان الجاهل لا اعتماد على قوله السنة • السوال الثالث قالت المعتزلة قوله يبين الله لكم لكي لا حكمهم وهذا يدل على ان افعاله
معللة بالاغراض وان قوله لكم لا يجوز حمله على ظاهره لانه ليس الغرض نفسه وانما المراد الغرض حصول انتفاعهم
وطاعتهم واتعاظهم فدل هذا على انه تعالى يريد الايمان من الكل والجواب المراد انه سبحانه فعل بهم ما لو
فعله غيره لكان ذلك لغرض • النوع السابع قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم

نقد

في الدنيا والآخرة

في الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون • اعلم انه سبحانه لما بين ما على اهل الافك وعلى من سمع منهم وما ينبغي ان يتمسكوا
به من آداب الدين اتبعه بقوله ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة ليعلم ان من احب ذلك فقد شارك في هذا الذم كما شارك
فيه من فعله ومن لم ينكره وليعلم ان اهل الافك كما عليهم العقوبة فيما اظهروه كذلك يستحقون العقاب بما اسروه من محبة
اشاعة الفاحشة في المومنين وذلك يدل على وجوب سلامة القلب للمومنين كوجوب كف الجوارح والقول عما يضر بهم
وهاهنا مسايل المسئلة الاولى معنى الاشاعة الانتشار يقال في هذا العقار سهم شايع اذا كان في الجميع ولم يكن
مفصلا وشاع الحديث اذا ظهر في العامة المسئلة الثانية لا شك ان ظاهر قوله ان الذين يحبون يفيد العموم
وانه يتناول كل من كان بهذه الصفة ولا شك ان هذه الآية نزلت في قذف عايشة الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب فوجب اجراوها على ظاهرها في العموم ومما يدل على انه لا يجوز تخصيصها بقذفة عايشة قوله في الذين آمنوا فانه
صيغة جمع ولو اراد عايشة وحدها لم يجز ذلك والذين خصصوه بقذفة عايشة • منهم من حمله على عبد الله بن ابي لانه
هو الذي سعى في اشاعة الفاحشة قالوا معنى الآية ان الذين يحبون • والمراد عبد الله ان تشيع الفاحشة اي الزنا في
الذين آمنوا اي في عايشة وصفوان المسئلة الثالثة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
اني لاعرف قوما يضربون صدورهم ضربا يسمعه اهل النار وهم الهمازون اللمازون الذين يلتمسون عورات المسلمين ويهتكون
ستورهم ويشيعون عليهم من الفواحش ما ليس فيهم وعنه عليه السلام لا يستر عبد مومن عبدا مومنا عورة الا ستره
الله يوم القيمة ومن اقال مسلما صفقته اقاله الله عثرته يوم القيمة ومن ستر عورته ستر عورته يوم القيمة
وعنه عليه السلام المسلم من سلم الناس من لسانه ويده • والمهاجر من هجر الله عنه • وعن عبد الله بن عمر عنه عليه السلام
قال من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتاته منيته وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله و
ان ياتي الى الناس بما يحب ان يوتى اليه • وعن انس قال قال عليه السلام لا يومن العبد حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه
من الخير المسئلة الرابعة اختلفوا في عذاب الدنيا فقال بعضهم اقامة الحد عليهم وقال بعضهم هو الحد
واللعن والعداوة من الله والمومنين ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان
لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقال الحسن عنى به المنافقين لانهم قصدوا ان يغموا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن اراد غم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر وعذابهم في الدنيا هو ما كانوا يتعبون فيه وينفقون لمقابلة اوليائهم
مع اعدائهم وقال ابو مسلم والذين يحبون هم المنافقون يحبون ذلك • فاوعدهم الله تعالى العذاب في الدنيا على يد
الرسول والمجاهدين لقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم والاقرب ان المراد بهذا العذاب ما استحقوه بما فعلوه [illegible]
وهو الحد واللعن والذم • واما عذاب الآخرة [illegible] عذاب القبر [illegible] عذاب النار • اما قوله
والله يعلم وانتم لا تعلمون فهو حسن الموقع بهذا الموضع لان محبة القلب كامنة ونحن لا نعلمها الا بالامارات اما الله
سبحانه فانه لا يخفى عليه شيء فصار هذا الذكر نهاية في الزجر لان من احب اشاعة الفاحشة وان بالغ في اخفاء تلك المحبة
فهو يعلم ان الله تعالى يعلم ذلك منه [illegible]
المسئلة الخامسة الآية تدل على [illegible]
الوعيد بمحبة اشاعة الفاحشة [illegible] المسئلة السادسة [illegible]
فلا ثواب له لان من يستحق هذا العذاب الدايم [illegible]
[illegible] في الوعيد [illegible] والجواب [illegible] وقد تقدم الكلام عليه المسئلة السابعة
قالت المعتزلة [illegible]
الفاحشة [illegible] على اشاعة الفاحشة [illegible]
[illegible] المسئلة الثامنة [illegible]
[illegible] لاشاعة الفاحشة • [illegible] النوع الثامن قوله تعالى ولولا فضل
الله عليكم ورحمته وان الله روف رحيم ففيه وجوه احدها ان جوابه محذوف وكانه قال لهلكتم
او لعذبكم الله واستاصلكم لكنه روف رحيم [illegible]
الخطاب عاما • والثاني ان جوابه في قوله ما زكى منكم من احد ابدا • والثالث ان الفاحشة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] النوع التاسع

لان محبة القلب كامنة ونحن لا نعلمها الا بالامارات

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشا
والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشا
والله واسع عليم قرى خطوات بفتح الطا وسكونها • الخطوات جمع خطوة وهو من خطا الرجل يخطو خطوا فاذا
اردت الواحدة قلت خطوة مفتوحة الاول • والجمع بفتح اوله وبضمه والمراد بذلك السيرة والطريقة والمعنى لا تتبعوا
اثار الشيطان ولا تسلكوا مسالكه في الاصغا الى الافك والتلقي له واشاعته في الذين امنوا والله تعالى وان خص بذلك
المومنين فهو نهي لكل المكلفين لان قوله ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشا والمنكر ومعلوم ان كل المكلفين
ممنوعون من ذلك وانما قلنا انه تعالى خص المومنين بذلك لانه توعدهم على اتباع خطواته لقوله ومن يتبع خطوات
الشيطان وظاهر ذلك انه لم يتبعوه • ولو كان المراد به الكفار لكانوا قد اتبعوه كانه سبحانه لما بين ما على اهل الافك
من الوعيد ادب المومنين ايضا بان خصهم بالذكر ليتشددوا في ترك المعصية ليلا يكون حالهم كحال اهل الافك والفحشا
والفاحشة ما افرط قبحه • والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه • اما قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته
ما زكى منكم من احد ابدا • فقرا يعقوب وابن محيصن ما زكى بالتشديد • واعلم ان الزكي من بلغ في طاعة الله مبلغ الرضا ومنه
يقال زكى الزرع فاذا بلغ المومن من الصلاح في الدين ما يرضاه تعالى سمي زكيا • ولا يقال زكى الا اذا وجد زاكيا كما لا يقال
لمن ترك الهدى هداه الله تعالى مطلقا بل يقال هداه الله فلم يهتد • واحتج اصحابنا في مسلة المخلوق بقوله ولكن الله
يزكي من يشا فقالوا التزكية كالتسويد والتحمير فكما ان التسويد يحصل بالسواد فكذلك يحصل الزكي في المحل قالت
المعتزلة هاهنا تاويلات • احدهما حمل التزكية على فعل الالطاف • والثاني حملها على الحكم بكون العبد زكيا قال
اصحابنا الوجهان على خلاف الظاهر • ثم يقيم الدلالة العقلية على بطلانهما ايضا اما الوجه الاول فيدل على فساده
وجهان • احدهما ان فعل اللطف هل يرجح الداعي او لا يرجحه فان لم يرجحه البتة لم يكن له تعلق فلا يكون لطفا وان
رجحه فنقول المرجح لا بد وان يكون منتهيا الى حد الوجوب فانه مع ذلك القدر من الترجيح اما ان يمتنع وقوع الفعل
عنه او يمكن او يجب فان امتنع كان مانعا لا داعيا وان امكن ان يكون وان لا يكون فكلما امكن لا يلزم من فرض وقوعه
محال فليفرض تارة واقعا واخرى غير واقع فامتياز وقت الوقوع عن وقت اللاوقوع اما ان يتوقف على انضمام قيد اليه
او لا يتوقف فان توقف كان المرجح هو المجموع الحاصل بعد انضمام هذا القيد فلا يكون الحاصل اولا مرجحا وان لم يتوقف
كان اختصاص احد الوقتين بالوقوع والاخر باللاوقوع ترجيحا للممكن من غير مرجح وهو محال • واما اذا كان اللطف
مرجحا موجبا كان فاعل اللطف فاعلا للملطوف فيه فكان تعالى فاعلا لفعل العبد • الثاني انه تعالى قال ولكن الله يزكي من
يشا علق التزكية على المشيئة وفعل اللطف واجب • والواجب لا يتعلق بالمشيئة • الثالث انه علق التزكية
على الفضل والرحمة • واما الوجه الثاني وهو الحكم بكونه زكيا فذلك واجب لانه لو لم يحكم به لكان كذبا والكذب
على الله تعالى محال فكيف يجوز تعليقه بالمشيئة فثبت ان قوله ولكن الله يزكي من يشا نص في الباب اما قوله والله سميع
عليم فالمراد سميع اقوالكم في القذف • واقوالكم في اثبات البراة • وعليم بما في قلوبكم من محبة اشاعة تلك الفاحشة ومن
كراهيتها • واذا كان كذلك وجب الاحتراز عن معصيته • قوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة
ان يوتوا اولي القربى واليتامى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله
لكم والله غفور رحيم اعلم انه تعالى لما ادب اهل الافك ومن سمع كلامهم بما قدمنا ذكره فكذلك ادب ابا بكر لما حلف
ان لا ينفع مسطحا ابدا قال المفسرون نزلت الاية في ابي بكر حيث حلف لا ينفق على مسطح وهو ابن خالة ابي بكر وقد كان
يتيما في حجره وكان ينفق عليه وعلى قرابته فلما نزلت الاية قال لهم ابو بكر قوموا فلستم مني ولست منكم ولا يدخلن على احد منكم
فقال مسطح انشدك الله الاسلام وانشدك القرابة والرحم ان لا تحوجنا الى احد فما كان لنا في اول الامر من ذنب فقال
لمسطح ان لم تتكلم فقد ضحكت فقال قد كان ذلك تعجبا من قول حسان فلم يقبل عذره وقال انطلقوا ايها القوم فان
الله لم يجعل لكم عذرا ولا فرجا فخرجوا لا يدرون اين يذهبون واين يتوجهون من الارض فبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخبره ان الله تعالى نزل على نبيا بنهاك فيه ان تخرجهم فكبر ابو بكر وسره • وقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاية عليه فلما وصل الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم قال بلى يا رب اني احب ان تغفر لي وقد تجاوزت عما كان
فذهب ابو بكر الى رحله وارسل الى مسطح واصحابه وقال قبلت ما انزل الله على الراس والعين وانما فعلت بكم ما فعلت
اذ سخط عليكم واذ عفا عنكم فمرحبا بكم وجعل له مثلي ما كان له قبل ذلك اليوم • وهاهنا مسايل المسلة الاولى
ذكروا في قوله ولا ياتل وجهين • الاول انه من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية والمعنى لا يحلف قال ابو مسلم
هذا ضعيف لوجهين • احدهما ان ظاهر الاية على هذا التاويل يقتضي المنع من الحلف على الاعطا وهم ارادوا

المنع من الحلف

المنع من الحلف على ترك الاعطا • فهذا المتاول قد اقام النفي مكان الايجاب وجعل المنهي عنه مامورا به • وثانيهما
انه قلما يوجد في الكلام افتعلت مكان افعلت وانما يوجد مكان فعلت وهنا الية من الالية افعلت فلا يقال اليت اكرمت
اكرمت ومن اعطيت اعتطيت ثم قال في تاويله ان اصله يا تلي ذهبت اليا للجزم لانه نهي وهو من قولك ما الوت فلانا
نصحا ولم ال في امري جهدا اي ما قصرت ولا يال ولا ياتل واحد • فالمراد لا تقصروا في ان تحسنوا اليهم • ويوجد
كثيرا افتعلت مكان فعلت او فعلت • تقول كسبت واكتسبت وصنعت واصطنعت ورضيت وارتضيت فهذا
فهذا التاويل هو الصحيح دون الاول • ويروى هذا التاويل ايضا عن ابي عبيدة اجاب الزجاج عن السوال الاول
بان لا يحنث في اليمين كثيرا قال الله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا يعني لا تبروا وقال امرو القيس
فقلت يمين الله ابرح قاعدا • ولو قطعوا راسي لديك واوصالي • اي لا ابرح واجابوا
عن السوال الثاني ان جميع المفسرين الذين كانوا قبل ابي مسلم فسروا اللفظ باليمين وواحد منهم حجة في اللغة فكيف
الكل ويعضده قراة الحسن ولا يتال • المسلة الثانية اجمع المفسرون على ان المراد من قوله اولوا الفضل وهذه
الاية تدل على انه كان افضل الناس بعد الرسول صلى الله عليه وسلم لان الفضل المذكور في الاية اما في
الدنيا واما في الدين • والاول باطل لانه تعالى ذكره في معرض المدح له • والمدح من الله تعالى بالدنيا غير جايز
لانه لو كان كذلك لكان قوله والسعة تكريرا فتعين ان يكون المراد منه الفضل في الدين فلو كان غيره
مساويا له في الدرجات في الدين لم يكن هو صاحب الفضل لان المساوي لا يكون فاضلا • فلما اثبت الله تعالى
له الفضل مطلقا غير مقيد لشخص دون شخص وجب ان يكون افضل ترك العمل به في حق الرسول صلى الله عليه وسلم فيبقى
معمولا به في حق الغير • فان قيل اجماع المفسرين على اختصاص هذه الاية بابي بكر • قلنا من طالع كتب التفسير
والحديث علم كون اختصاص هذه الاية بابي بكر بالغا الى حد التواتر فلو جاز منعه لجاز منع كل متواتر وايضا فهذه الاية
دالة على ان المراد منها افضل الناس • واجمعت الامة على ان الافضل اما ابو بكر او علي فاذا بينا انه ليس المراد عليا
تعينت الاية لابي بكر • وانما قلنا انه ليس المراد منه عليا لوجهين • الاول ان ما قبل هذه الاية وما بعدها يتعلق بابنة
ابي بكر فيكون القا حديث علي في البين سمجا • الثاني انه تعالى وصفه بانه من اولي السعة وان عليا لم يكن من اولي السعة في الدنيا
في ذلك الوقت فثبت ان المراد منه ابو بكر قطعا • واعلم ان الله تعالى وصف ابا بكر في هذه الاية بصفات عجيبة دالة على علو شانه
في الدين • احدها انه سبحانه كنى عنه بلفظ الجمع • والواحد اذا كني عنه بلفظ الجمع دل على علو شانه كقوله تعالى انا نحن
نزلنا الذكر انا نحن نزلنا الذكر انا اعطيناك الكوثر فانظر ان الشخص الذي كناه الله سبحانه مع جلاله بصيغة الجمع كيف
[illegible]

فكانت عطيته في الافضال اتم واكمل

فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة فيدل على الافضلية من هذه الجهة ايضا • وسابعها ان الظلم من ذوى القربى اشد
قال الشاعر • شعر • وظلم ذوى القربى اشد مضاضة • على المرء من وقع الحسام المهند •
وايضا فالانسان اذا احسن الى غيره فاذا قابله ذلك الغير بالاساءة كان ذلك اشد عليه مما اذا صدرت الاساءة من الاجنبى
والجهتان كانتا مجتمعتين فى حق مسطح ثم انه اذى ابا بكر بهذا النوع من الايذاء الذى هو اعظم انواع الايذاء فانظر الى مبلغ
ذلك الضرر فى قلب ابى بكر • ثم انه سبحانه امره بان لا يقطع عنه بره وان يرجع معه الى ما كان عليه من الاحسان وذلك من اعظم
انواع المجاهدات ولا شك ان هذا اصعب من مقاتلة الكفار لان هذا مجاهدة مع النفس وذلك مجاهدة مع الكافر ومجاهدة
النفس اشق ولهذا قال عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر • وثامنها ان الله تعالى لما امر ابا بكر
بذلك لقبه باولى الفضل واولى السعة كانه سبحانه يقول انت افضل من ان تقابل اساءته بشىء وانت اوسع قلبا من ان تقيم للدنيا
وزنا فلا يليق بفضلك وسعة قلبك ان تقطع برك عنه بسبب ما صدر منه من الاساءة • ومعلوم ان مثل هذا الخطاب يدل على
نهاية الفضل والعلو فى الدين • وتاسعها ان الالف واللام يفيدان العموم • فالالف واللام فى الفضل والسعة يدلان على ان كل الفضل
وكل السعة لابى بكر كما يقال فلان هو العالم يعنى قد بلغ فى الفضل الى ان صار كانه كل العالم وما عداه كالعدم وهذا ايضا منقبة
عظيمة • وعاشرها قوله وليعفوا وليصفحوا • وفيه وجوه منها ان العفو قرينة التقوى وكل من كان اقوى فى العفو
كان اقوى فى التقوى ومن كان كذلك كان افضل لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم • ومنها ان العفو والتقوى متلازمان
فلهذا السبب اجتمعا فيه • اما التقوى فلقوله تعالى وسيجنبها الاتقى • واما العفو فلقوله وليعفوا وليصفحوا • وحادى
عشرها انه سبحانه قال لمحمد صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال فى حق ابى بكر فليعفوا وليصفحوا فمن هذا الوجه
يدل على ان ابا بكر كان ثانى اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع الاخلاق حتى فى العفو والصفح • وثانى
عشرها قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم فانه سبحانه ذكر بكناية الجمع على سبيل التعظيم وايضا انه سبحانه علق غفرانه
له على اقدامه على العفو والصفح • فلما حصل الشرط منه وجب ترتب الجزاء عليه • ثم قوله يغفر الله لكم صيغة المستقبل
وانه غير مقيد بشىء دون شىء فدلت الاية على انه سبحانه قد غفر له فى مستقبل عمره على الاطلاق فكان من هذا الوجه
ثانى اثنين للرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ودليلا على صحة
امامته فان امامته لو كانت على خلاف الحق لما كان مغفورا له على الاطلاق ودليلا على صحة ما ذكره الرسول صلى
الله عليه وسلم فى خبر بشارة العشرة • بان ابا بكر فى الجنة • وثالث عشرها انه سبحانه لما قال الا تحبون ان
يغفر الله لكم وصف نفسه بكونه غفورا رحيما مبالغة فى الغفران فعظم ابا بكر حيث خاطبه بلفظ الجمع
الدال على التعظيم وعظم نفسه حيث وصفه بمبالغة الغفران والعظيم اذا عظم نفسه ثم عظم مخاطبه
فالعطية الصادرة منه لاجله لا بد وان تكون فى غاية العظمة • ولهذا قلنا انه سبحانه لما قال انا اعطيناك
الكوثر وجب ان تكون العطية عظيمة فدلت الاية على ان ابا بكر ثانى اثنين للرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه المنقبة
ايضا • ورابع عشرها انه سبحانه لما وصفه بانه اولى الفضل والسعة على سبيل المدح وجب ان يقال انه كان
خاليا عن المعصية لان الممدوح الى هذا الحد لا يجوز ان يكون من اهل النار • ولو كان عاصيا لكان كذلك لقوله تعالى
ومن يعص الله ورسوله يدخله نارا خالدا فيها واذا ثبت انه كان خاليا عن المعاصى فقوله يغفر الله لكم لا يجوز
ان يكون المراد غفران معصية لان المعصية التى لا تكون لا يمكن غفرانها • واذا ثبت انه لا يمكن حمل الاية
على ذلك وجب حملها على وجه اخر فكانه سبحانه قال والله اعلم الا تحبون ان يغفر الله لكم ولاجل تعظيمكم هولاء
القذفة العصاة فيرجع حاصل الاية الى انه سبحانه قال يا ابا بكر ان قبلت هولاء العصاة فانا ايضا اقبلهم
وان رددتهم فانا ايضا اردهم فكانه سبحانه اعطاه مرتبة الشفاعة فى الدنيا • فهذا ما حضرنا فى هذه الاية
فالله اعلم • فان قيل هذه الاية تقدح فى فضيلة ابى بكر من وجه اخر وذلك لانه نهاه عن هذا الحلف فدل
على صدور المعصية منه • قلنا الجواب عنه من وجوه • احدها ان النهى لا يدل على وقوعه قال الله
تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا تطع الكافرين والمنافقين ولم يدل ذلك على انه عليه الصلاة والسلام اطاعهم
بلى دلت الاخبار الظاهرة على صدور هذا الحلف منه ولكن على هذا التقدير لا تكون الاية دالة على قوله • وثانيها
هب انه صدر عنه ذلك الحلف فلم قلتم انه كان معصية وذلك لان الامتناع من التفضل قد يحسن خصوصا
فيمن يسىء الى من يحسن اليه او فى حق من تتخذه ذريعة الى الافعال المحرمة لا يقال فلو لم يكن معصية لما جاز
ان ينهى الله عنه بقوله ولا ياتل اولوا الفضل لانا نقول هذا النهى ليس نهى زجر وتحريم • بل هو نهى عن ترك
الاولى كانه سبحانه قال لابى بكر اللايق بفضلك وسعة همتك ان لا تقطع هذا فكان هذا ارشادا الى الاولى

منشاغ عن الحرم

منشاغ عن الحرم • المسئلة الثالثة • اجمعوا على ان المراد من قوله اولوا القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله
مسطح لانه كان قريبا لابى بكر ومن المساكين وكان من المهاجرين • واختلفوا فى الذنب الذى وقع منه فقال
بعضهم قذف كما فعله عبد الله بن ابى فانه عليه الصلاة والسلام حده وان تاب من ذلك وقال ابن عباس كان تاركا للنكير
ومظهرا للرضا واى الامرين كان فهو ذنب • المسئلة الرابعة • احتج اصحابنا بهذه الاية على بطلان المحابطة
وقالوا انه سبحانه وصفه بكونه من المهاجرين فى سبيل الله بعد اتيانه بالقذف وهذا صفة مدح فدل على ان ثواب
كونه مهاجرا لم يحبط باقدامه على القذف • المسئلة الخامسة • اجمعوا على ان مسطحا كان من البدريين
وثبت بالرواية الصحيحة انه عليه الصلاة والسلام قال لعل الله نظر الى اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم
فكيف صدرت الكبيرة منه اذا كان بدريا والجواب انه لا يجوز ان يكون المراد منه افعلوا ما شئتم من المعاصى فانا امر
بها او نقيم لانا نعلم بالضرورة ان التكليف كان باقيا عليهم • فلو حملناه على ذلك لاقتضى زوال التكليف عنهم ولانه
لو كان كذلك لما جاز ان يحد مسطح على ما فعل ويلعن فوجب حمله على احد امرين • الاول انه تعالى اطلع على اهل بدر
وقد علم توبتهم وانابتهم فقال افعلوا ما شئتم من النوافل من قلة او كثرة فقد غفرت لكم واعطيتكم الدرجات العالية
فى الجنة • الثانى يحتمل ان يكون المراد انهم يوافون بالطاعة فكانه قال قد غفرت لكم لعلمى بانكم تموتون على التوبة والانابة
فذكر حالهم فى الوقت واراد العاقبة • المسئلة السادسة • العفو والصفح عن المسىء حسن مندوب اليه • وربما
ذلك ولو لم يدل عليه الا هذه الاية لكفى الا ترى الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم فعلق الغفران بالعفو والصفح • وعنه
عليه الصلاة والسلام من لم يقبل عذر المتنصل كاذبا كان او صادقا لم يرد على حوضى يوم القيمة • وعنه عليه السلام
افضل اخلاق المسلمين العفو • وعنه ايضا ينادى مناد يوم القيمة الا من كان له على الله اجر فليقم فلا يقوم الا اهل العفو
ثم تلى فمن عفا واصلح فاجره على الله • وعنه عليه السلام لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطى
من حرمه • المسئلة السابعة • فى الاية دلالة على ان اليمين على الامتناع من الخير غير جائز وانما تجوز اذا جعلت داعية
للخير لا صارفا عنه • المسئلة الثامنة • مذهب جمهور الفقهاء ان من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها ينبغى له
ان ياتى الذى هو خير ثم يكفر عن يمينه وقال بعضهم انه ياتى بالذى هو خير وذلك كفارته • واحتج ذلك القائل بالاية
والخبر • اما الاية فهى ان الله تعالى امر ابا بكر بالحنث ولم يوجب عليه كفارة • واما الخبر فما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليات الذى هو خير وذلك كفارته • واما دليل قول الجمهور فامور
احدها قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته • وقوله ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم وذلك
عام فى الحانث فى الخير وغيره • وثانيها قوله تعالى فى شان ايوب حين حلف على امراته ان يضربها وخذ بيدك ضغثا
فاضرب به ولا تحنث وقد علمنا ان الحنث كان خيرا من تركه وامره الله بضرب لا يبلغ منها ولو كان الحنث فيها كفارتها لما امر
بضربها بل كان يحنث بلا كفارة • وثالثها قوله عليه السلام من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليات الذى هو
خير وليكفر عن يمينه اما الجواب عما ذكره اولا فهو انه تعالى لم يذكر امر الكفارة فى قصة ابى بكر لا نفيا ولا اثباتا
لان حكمه كان معلوما فى ساير الايات والجواب عما ذكره ثانيا ان قوله فليات الذى هو خير وذلك كفارته فمعناه تكفير
الذنب لا الكفارة المذكورة فى الكتاب وذلك لانه منهى عن نقض الايمان فامره هاهنا بالحنث والتوبة واخبر ان ذلك
تكفير ذنبه الذى ارتكبه بالحلف • المسئلة التاسعة • روى القسم بن محمد عن عايشة انها قالت فضلت ازواج النبى عليه السلام
بعشر خصال • تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرا دون غيرى • وابواى مهاجران • وجاء جبريل عم بصورتى
فى حريرة وامره ان يتزوجنى وكنت اغتسل معه فى اناء واحد • وجبريل ينزل عليه بالوحى وانا معه فى لحاف • وتزوجنى
فى شوال وبنى بى فى ذلك الشهر وقبض بين سحرى ونحرى وانزل الله تعالى عذرى من السماء ودفن فى بيتى وكل ذلك لم يساونى
غيرى فيه وقال بعضهم برأ الله اربعة باربعة • برأ يوسف عليه السلام بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها
وبرأ موسى عم من قول اليهود بالحجر الذى ذهب بثوبه • وبرأ مريم بانطاق ولدها • وبرأ عايشة بهذه الايات
العظام فى كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر • وروى انه لما قربت وفاة عايشة جاء ابن عباس يستاذن عليها فقالت تجى
الان فيثنى على فخبره ابن الزبير فقال ما ارجع حتى تاذن لى فاذنت له فدخل فقالت عايشة اعوذ بالله من النار فقال
ابن عباس يا ام المومنين ما لك وللنار فقد اعاذك الله منها وانزل براءتك تقرا فى المساجد وطيبك فقال الطيبون
للطيبات كنت احب نساء رسول الله اليه ولم يحب صلى الله عليه وسلم الا طيبا وانزل بسببك التيمم فقال فتيمموا
صعيدا طيبا • وروى ان عايشة وزينب تفاخرتا • فقالت زينب انا التى انزل تزوجى • وقالت عايشة انا التى
برانى ربى حين حملنى ابن المعطل على الراحلة فقالت لها زينب ما قلت حين ركبتيها قالت قلت حسبى الله ونعم الوكيل

من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها

فقالت قلت كلمة الموقنين • قوله تعالى إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة
ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق
ويعلمون أن الله هو الحق المبين وفيه مسائل المسألة الأولى اختلفوا في قوله إن الذين يرمون المحصنات
الغافلات هل المراد منه كل من كان بهذه الصفة أو المراد منه الخصوص • أما الأصوليون فقالوا الصيغة عامة
ولا مانع من إجرائها على ظاهرها فوجب حمله على العموم فيدخل فيه قذفة عائشة وقذفة غيرها ومن الناس من خالف فيه
وذكروا وجوها • أحدها أن المراد قذفة عائشة قالت عائشة رميت وأنا غافلة وإنما بلغني بعد ذلك فبينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عندي إذ أوحي إليه فقال أبشري وقرأ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات • وثانيها أن المراد
جملة أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهن لشرفهن خصصن بأن من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به • واحتج هؤلاء
بأمور • الأول أن قاذف سائر المحصنات تقبل توبته لقوله تعالى في أول السورة والذين يرمون المحصنات إلى قوله وأولئك
هم الفاسقون إلا الذين تابوا • وأما القاذف في هذه الآية فإنه لا تقبل توبته لأنه سبحانه قال لعنوا في الدنيا والآخرة
ولم يذكر الاستثناء وأيضا فهذه صفة المنافقين في قوله ملعونين أينما ثقفوا أخذوا • الثاني أن قاذف سائر المحصنات
لا يكفر والقاذف في هذه الآية يكفر لقوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وذلك صفة الكفار والمنافقين كقوله ويوم
يحشر أعداء الله إلى النار الآيات • الثالث أنه قال ولهم عذاب عظيم والعذاب العظيم يكون عذاب الكفر فدل على أن عقاب هذا
القاذف عقاب الكفر وعقاب قذفة سائر المحصنات لا يكون عقاب الكفر • الرابع روي عن ابن عباس أنه كان بالبصرة يوم عرفة
وكان يسأل عن تفسير القرآن فسئل عن تفسير هذه الآية فقال من أذنب ذنبا ثم تاب قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة
أجاب الأصوليون عنه بأن الوعيد المذكور في هذه الآية لا بد وأن يكون مشروطا بعدم التوبة لأن الذنب سواء كان كفرا
أو فسقا فإذا حصلت التوبة عنه صار مغفورا فزال السؤال • ومن الناس من ذكر فيه قولا آخر وهو أن هذه الآية نزلت
في مشركي مكة حين كان بينهم وبين رسول الله عهد فكانت المرأة إذا خرجت إلى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من أهل مكة
وقالوا إنما خرجت لتفجر فنزلت فيهم • والقول الأول هو الصحيح المسألة الثانية إن الله تعالى ذكر فيمن يرمي المحصنات
المؤمنات الغافلات ثلاثة أشياء • أحدها كونهم ملعونين في الدنيا والآخرة وهو وعيد شديد • واحتج الجبائي بأن
التقييد باللعن عام في جميع القذفة • ومن كان ملعونا في الدنيا فهو ملعون في الآخرة والملعون في الآخرة لا يكون من أهل
الجنة وصوبنا على المحافظة وقد تقدم القول فيه • وثانيها قوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون
ونظيره قوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا • وعندنا البنية ليست شرطا للحياة فيجوز أن يخلق الله تعالى في الجوهر الفرد علما
وقدرة وكلاما • وعند المعتزلة لا يجوز ذلك فلا جرم ذكروا في تأويل هذه الآية وجهين • الأول أنه سبحانه يخلق في هذه
الجوارح هذا الكلام • وعندهم المتكلم فاعل الكلام فتكون تلك الشهادة من الله تعالى في الحقيقة إلا أنه سبحانه أضافها
إلى الجوارح توسعا • الثاني أنه سبحانه يبني هذه الجوارح على خلاف ما هي عليها ويلجئها أن تشهد على الإنسان وتخبر عنه
بأعماله قال القاضي وهذا أقرب إلى الظاهر لأن ذلك يفيد أنها بفعل الشهادة • وثالثها قوله يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق
فلا شبهة في أن نفس دينهم هو المراد لأن دينهم هو عملهم بل المراد جزاء عملهم والدين بمعنى الجزاء مستعمل كقولهم كما تدين تدان
وقيل الدين هو الحساب كقوله ذلك الدين القيم أي الحساب الصحيح ومعنى قوله الحق أي الذي نوفيهم من الجزاء هو القدر المستحق
لأنه الحق وما زاد عليه هو الباطل • وقرئ الحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء • وبالرفع صفة لله • وأما قوله ويعلمون أن الله
هو الحق المبين • فمن الناس من قال إنه سبحانه إنما سمي بالحق لأن عبادته هي الحق دون عبادة غيره أو لأنه الحق فيما يأمر به دون غيره
ومعنى المبين يؤيد ما قلنا لأن المحق فيما يخاطب به هو المبين من حيث يبين الصحيح بكلامه دون غيره • ومنهم من قال الحق من أسماء
الله تعالى ومعناه الموجود لأن نقيضه الباطل وهو المعدوم • ومعنى المبين المظهر • ومعناه أن بقدرته ظهر وجود
الممكنات فمعنى كونه حقا أنه الموجود لذاته • ومعنى كونه مبينا أنه المعطي وجود غيره • قوله تعالى الخبيثات
للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق
كريم اعلم أن الخبيثات تقع على الكلمات التي هي القذف الواقع من أهل الإفك وتقع أيضا على الكلام الذي هو كالذم واللعن
ويكون المراد لا نفس الكلمة التي هي من قبل الله تعالى بل المراد مضمون الكلمة وتقع أيضا على الزواني من النساء وفي هذه الآية كل
هذه الوجوه محتملة • فإن حملناها على القذف الواقع من أهل الإفك كان المعنى الخبيثات من قول أهل الإفك للخبيثين من
الرجال وبالعكس • والطيبات من قول منكري الإفك للطيبين من الرجال وبالعكس وإن حملناها على الكلام الذي هو
كالذم واللعن فالمعنى أن الذم واللعن معدان للخبيثين من الرجال • والخبيثون منهم معرضون للعن والذم • وكذا القول
في الطيبات • وأولئك إشارة إلى الطيبين وأنهم مبرءون مما يقولون الخبيثون من خبيثات الكلم • وإن حملناه على الزواني

فالمعنى الخ

الحكم السادس

فالمعنى الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال وبالعكس على معنى قوله تعالى الزاني لا ينكح إلا زانية • والطيبات من النساء
للطيبين من الرجال والمعنى أن مثل ذلك الرمي الواقع من المنافقين لا يليق إلا بالخبيثات والخبيثين لا بالطيبات والطيبين
كالرسول صلى الله عليه وسلم وأزواجه • فإن قيل فعلى هذا الوجه يلزم أن لا يتزوج الرجل العفيف بالزانية والجواب
ما تقدم في قوله الزاني لا ينكح إلا زانية • وقوله أولئك مبرءون يعني الطيبات والطيبين مما يقوله أصحاب الإفك سوى
قول من حمله على الكلمات فكأنه قال الطيبون مبرءون مما يقوله الخبيثون ومتى حمل أولئك على هذا الوجه كان لفظه كمعناه
في أنه جمع ومتى حملته على عائشة وصفوان فقد قيل عليه فهما اثنان فكيف عبر عنهما بالجمع • فجوابه من وجهين • الأول أن ذلك
الرمي قد تعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم وبعائشة وصفوان • فبرأ الله تعالى كل واحد منهم من التهمة اللائقة به • الثاني
أن المراد به كل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى برأهن من هذا الجنس لكي لا يقدح فيهن أحد كما قدحوا في عائشة
ونزه الرسول عليه السلام بذلك عن أمثال هذا الأمر وهذا أبين كأنه تعالى بين أن الطيبات من النساء للطيبين من الرجال ولا
أحد أطيب وأطهر من الرسول صلى الله عليه وسلم فأزواجه إذا لا يجوز أن يكن إلا طيبات • ثم بين تعالى أن لهم مغفرة يعني من الله
ورزق كريم في الآخرة ويحتمل أن يكون ذلك خبرا مقطوعا به فيعلم بذلك أن أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام هن معه في الجنة
وقد وردت الأخبار بذلك • ويحتمل أن يكون المراد بشرط اجتناب الكبائر والتوبة • والأول أولى لأنا إنما نحتاج إلى الشرط إذا لم
يمكن حمل الآية عليه • أما إذا أمكن فلا وجه لطلب الشرط وهذا يدل على أن عائشة تصير إلى الجنة بخلاف مذهب الرافضة الذين يكفرونها
بسبب حرب الجمل فإنهم يردون بذلك نص القرآن • فإن قيل القطع بأنها من أهل الجنة إغراء لها بالقبيح • قلنا أليس الرسول
صلى الله عليه وسلم قد علمه الله تعالى أنه من أهل الجنة ولم يكن ذلك إغراء بالقبيح وكذا العشرة المبشرة بالجنة فكذا هاهنا والله أعلم
تمت قصة أهل الإفك الحكم السادس في الاستئذان • قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا
وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا
فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون اعلم أنه تعالى عدل عما يتصل بالرمي والقذف وما يتعلق بهما من الحكم إلى ما يليق به لأن أهل الإفك إنما وجدوا السبيل إلى بهتانهم
من حيث اتفقت الخلوة فصارت كأنها طريق إلى التهمة فأوجب تعالى أن لا يدخل المرء بيت غيره إلا بعد الاستئذان والسلام لأن في
الدخول على هذا الوجه وقوع الفتنة • وفي ذلك من المضرة ما لا خفاء به • فقال يا أيها الذين آمنوا الخ • وفي الآية سؤالات
السؤال الأول الاستئناس عبارة عن الأنس الحاصل من جهة المجالسة قال تعالى ولا مستأنسين لحديث وإنما يحصل ذلك بعد
الدخول والسلام فكان الأولى تقديم السلام على الاستئناس فلم جاء على العكس من ذلك • والجواب عن هذا من وجوه • أحدها
ما روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير [illegible] حتى تستأنسوا [illegible]
[illegible]
[illegible] القرآن [illegible] بالتواتر [illegible]
بالتواتر • وفتح هذين البابين [illegible] • وثانيها ما روي عن الحسن البصري [illegible]
[illegible] حتى تسلموا على أهلها [illegible]
[illegible] الاستئناس وجوه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] السؤال الثاني [illegible] الجواب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] السؤال الثالث [illegible] الجواب [illegible]

وفتح هذين البابين يطرق الشك إلى كل القرآن

الرجل فقالها فقال ادخل فدخل وسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء وكان يجيب فقال هل في العلم ما
لا يعلمه فقال عليه السلام لقد اتاني الله خيرا كثيرا وان من العلم ما لا يعلمه الا الله • وتلا ان الله عنده علم الساعة
الخ وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب
الرجل مع امراته في لحاف واحد فصد الله تعالى عن ذلك وعلم الاحسن والاجمل • وعن مجاهد حتى تستانسوا هو
التنحنح والتنخع وقال عكرمة هو التسبيح والتكبير ونحوه **السؤال الرابع** كم عدد الاستيذان **الجواب**
روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستيذان ثلث • فالاولى تستنصتون • والثانية
تستصلحون • والثالثة تاذنون او تردون • وعن جندب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اذا استاذن احدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع • وعن ابي سعيد الخدري قال كنت جالسا في مجلس من مجالس
الانصار فجاء ابو موسى فزعا فقلنا له ما افزعك فقال امرني عمر ان اتيه فاتيته فاستاذنت ثلثا فلم يؤذن لي فرجعت
فقال ما منعك ان تاتيني فقلت قد جئت فاستاذنت ثلاثا فلم يؤذن لي وقد قال عليه السلام اذا استاذن احدكم ثلاثا
فلم يؤذن له فليرجع فقال لتاتيني على هذا بالبينة او لاعاقبنك فقال ابي لا يقوم معك الا اصغر القوم فقام ابو سعيد
فشهد له وفي بعض الاخبار ان عمر قال لابي موسى اني لم اتهمك ولكني خشيت ان يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن قتادة الاستيذان ثلاثة • الاول يسمع الحي • الثاني ليتاهبوا • والثالث ان شاؤا اذنوا وان شاؤا ردوا • واعلم
ان هذا من محاسن الاداب • لان في اول مرة ربما منعهم بعض الاشتغال من الاذن • وفي المرة الثانية ربما كان هناك
ما يمنع او يقتضي التساوي فاذا لم يجب في الثالثة يستدل بفقد الاذن على مانع ثابت • وربما اوجب ذلك كراهة قربه
من الباب فلذلك يسن له الرجوع • ولذلك يقول يجب في الاستيذان ثلاثا ان لا يكون متصلا بل يكون بين كل واحدة والاخرى
وقتا • فاما قرع الباب بعنف والتصيح بصاحب الدار فذلك حرام لانه يتضمن الايذاء والايحاش وكفى بقصة بني اسد
زاجرة وما نزل للناس من قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون **السؤال الخامس** كيف يقف على الباب
الجواب روي ان سعيدا استاذن على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو مستقبل الباب فقال عليه السلام لا تستاذن
وانت مستقبل الباب • وروي انه عليه الصلاة والسلام كان اذا اتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه
الايمن والايسر فيقول السلام وذلك لان الدور لم يكن عليها يومئذ ستور **السؤال السادس** ان كلمة حتى للغاية والحكم بعد الغاية
يكون بخلاف ما قبلها • فقوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا يقتضي جواز الدخول بعد الاستيذان وان لم يكن من صاحب
البيت اذن فما قولكم فيه **الجواب** من وجوه • احدها ان الله تعالى جعل الغاية الاستيناس لا الاستيذان والاستيناس لا يحصل
الا اذا حصل الاذن بعد الاستيذان • وثانيها انا قد علمنا بالنص ان الحكمة في الاستيذان ان لا يدخل الانسان على غيره بغير اذنه
فان ذلك مما يسوءه • وعلمنا ان هذا المقصود لا يحصل الا بعد حصول الاذن علمنا ان الاستيذان ما لم يتصل به الاذن وجب ان لا يكون
كافيا • وثالثها ان قوله تعالى فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حظر الدخول الا باذن فدل على ان الاذن مشروط
في اباحة الدخول في الاية الاولى • فان قيل اذا ثبت انه لا بد من الاذن فهل يقوم مقامه غيره ام لا • قلنا روى ابو هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال رسول الرجل الى الرجل اذنه • وعن ابي هريرة عنه عليه السلام اذا دعي احدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن
وهذا الخبر يدل على معنيين • احدهما ان الاذن محذوف من قوله حتى تستانسوا وهو المراد منه • والثاني ان الدعاء اذن اذا جاء مع الرسول
وانه لا يحتاج الى استيذان ثان • وقال بعضهم ان من قد جرت العادة له باباحة الدخول فهو غير محتاج الى الاستيذان
السؤال السابع ما حكم من اطلع في دار غيره بغير اذنه **الجواب** قال الشافعي لو فقأت عينه فهي هدر وتمسك بما روى سهل
ابن سعد قال اطلع رجل في حجرة من حجر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه مدرى يحك بها راسه فقال لو علمت انك تنظر الي لطعنت بها
في عينك انما الاستيذان من النظر • وروى ابو هريرة انه عليه السلام قال من اطلع في دار قوم بغير اذنهم ففقأوا عينه فقد
هدرت عينه • قال ابو بكر الرازي هذا الخبر يرد لوروده على خلاف القياس في الاصول فانه لا خلاف انه لو دخل داره بغير اذنه
ففقا عينه كان ضامنا وكان عليه القصاص ان كان عامدا والارش ان كان مخطئا ومعلوم ان الداخل قد اطلع وزاد على الاطلاع
فظاهر الحديث مخالف لما حصل عليه الاتفاق • فان صح فمعناه من اطلع في دار قوم ونظر الى حرمهم ونسائهم فمونع فلم
يمتنع فذهبت عينه في حال الممانعة فهي هدر فاما اذا لم يكن الا النظر ولم يقع فيه ممانعة ولا نهي ثم جاء انسان ففقا عينه فهذا
جان يلزمه حكم جنايته بظاهر قوله تعالى العين بالعين الى قوله والجروح قصاص • واعلم ان التمسك بقوله تعالى العين
بالعين في هذه المسئلة ضعيف لانا اجمعنا على ان هذا النص مشروط بما اذا لم تكن العين مستحقة فانها لو كانت مستحقة
لم يلزم القصاص فلم قلت ان من اطلع في دار انسان لم تكن عينه مستحقة وهذا اول المسئلة • اما قوله انه لو دخل لم يجز فقا عينه
فكذا اذا نظر • قلنا الفرق بين الامرين ظاهر لانه اذا دخل علم القوم دخوله عليهم فاحترزوا عنه وتستروا واما اذا نظر فقد لا يكون

عالمين بذلك فيطلع منهم على ما لا يجوز الاطلاع عليه فلا يبعد في حكمة الشرع ان يسوغ ها هنا في الزجر حسما لباب هذه المفسدة وبالجملة
فرد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا القدر من الكلام غير جائز **السؤال الثامن** لما بينتم انه لا بد من الاذن فهل يكفي
الاذن كيف كان او لا بد من اذن مخصوص **الجواب** ظاهر الاية يقتضي قبول الاذن مطلقا سواء كان الاذن صبيا او امراة او
عبدا او ذميا وانه لا يعتبر في هذا الاذن صفات الشهادة ولذلك قبلوا اخبار هؤلاء في الهدايا ونحوها **السؤال التاسع**
هل يعتبر الاستيذان على المحارم **الجواب** نعم عن عطاء بن يسار ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال استاذن على امي فقال
نعم اتحب ان تراها عريانة • وسال رجل حذيفة أأستاذن على اختي فقال ان لم تستاذن عليها رايت ما يسوءك وقال
عطاء سالت ابن عباس أأستاذن على اختي ومن انفق عليها قال نعم ان الله تعالى يقول واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما
استاذن الذين من قبلهم ولم يفرق بين من كان اجنبيا او ذا رحم محرم • واعلم ان الاستيذان على المحارم وان كان غير جائز
الا انه يستحب لجواز النظر الى شعرها وصدرها وساقها ونحوها من الاعضاء والتحقيق فيه ان المنع من الهجوم على الغير ان كان
لاجل ان ذلك الغير ربما كان منكشف الاعضاء فهذا دخل فيه الا الزوجات وملك اليمين وان كان لاجل انه ربما كان مشتغلا
بامر يكره اطلاع الغير عليه وجب ان يعم في الكل حتى لا يكون له ان يدخل على الزوجة والامة الا باذن **السؤال العاشر**
اذا عرض امر في دار من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر فهل يجب الاستيذان **الجواب** كل ذلك مستثنى بالدليل • فهذا
جملة الكلام في الاستيذان • واما السلام فهو من سنة المسلمين التي امروا بها • واما للقوم فهو تحية اهل الجنة ومجلبة
للمودة ونافٍ للحقد والضغينة عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى ادم عم ونفخ فيه الروح عطس فقال
الحمد لله فحمد الله باذن الله تعالى فقال له ربه يرحمك ربك يا ادم اذهب الى هؤلاء الملائكة فذهب الى ملأ منهم جلوس فقال
السلام عليكم فلما فعل ذلك رجع الى ربه تعالى فقال هذه تحيتك وتحية ذريتك • عن علي بن ابي طالب عليه السلام قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم حق المسلم على المسلم ست • يسلم عليه اذا لقيه • ويجيبه اذا دعاه • وينصح له بالغيب • ويشمته
اذا عطس • ويعوده اذا مرض • ويشهد جنازته اذا مات • وعن ابن عمر ان سركم ان يسل الغل من صدوركم فافشوا السلام
بينكم • اما قوله تعالى ذلكم خير لكم فالمعنى فيه ظاهر اذ المراد ان فعل ذلك خير لكم واولى بكم من الهجوم بغير اذن لعلكم تذكرون اي
لكي تذكروا هذا التاديب فتتمسكوا به • ثم قال فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها لان العلة في الصورتين
واحدة وهي جواز ان يكون هناك احوال مكتومة يكره اطلاع الداخل عليها • ثم قال وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا
وذلك لانه كما يكون الدخول قد يكرهه صاحب الدار فكذا الوقوف على الباب قد يكرهه فلا جرم كان الاولى والازكى له
ان يرجع ازالة للايحاش والايذاء • ولما ذكر الله تعالى حكم الدور المسكونة ذكر بعده حكم الدور التي هي غير مسكونة فقال ليس عليكم جناح ان
تدخلوا بيوتا غير مسكونة وذلك لان المانع من الدخول الا باذن زائل فيها • واختلف المفسرون في المراد من قوله بيوتا
غير مسكونة على اقوال • احدها وهو قول محمد بن الحنفية انها الخانات والرباطات وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة
كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشري والبيع • يروى ان ابا بكر قال يا رسول الله ان الله قد انزل عليك اية في
الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات فلا ندخلها الا باذن • فنزلت هذه الاية • وثانيها انها الخربات يتبرز
فيها والمتاع التبرز • وثالثها الاسواق • ورابعها انها الحمامات • والاولى ان يقال انه لا يمتنع دخول الجميع تحت الاية فيحمل
على الكل والعلة في ذلك انها اذا كانت كذلك فهي ماذون بدخولها من جهة العرف فذلك يقول انها لو كانت غير مسكونة ولكنها
كانت مغصوبة فانه لا يجوز للداخل ان يدخل فيها لكن الظاهر من حال الخانات انها موضوعة لدخول الداخل • واما قوله والله يعلم
ما تبدون وما تكتمون فهو وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من اهل الريبة **الحكم السابع** حكم النظر • قوله تعالى
**قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من
ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن
الا لبعولتهن او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او
ما ملكت ايمانهن والتابعين غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن
ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون** اعلم ان قوله تعالى قل للمؤمنين وانما
خصهم بذلك لان غيرهم لا يلزمه غض البصر عما لا يحل وحفظ الفرج عما لا يحل لكن لان هذه الاحكام كالفروع للاسلام
والمؤمنون مامورون بها ابتداء والكفار مامورون قبلها بما تصير هذه الاحكام تابعة وان كان حالهم كحال المؤمنين في
استحقاق العقاب على تركها لكن المؤمن يتمكن من هذه الطاعة من دون مقدمة والكافر لا يتمكن الا بتقديم مقدمة من قبله
وذلك لا يمنع من لزوم التكليف له • واعلم انه سبحانه امر الرجال بغض البصر وحفظ الفرج • وامر النساء بمثل ما امر به
الرجال وزاد فيهن ان لا يبدين زينتهن الا لاقوام مخصوصين • اما قوله تعالى يغضوا من ابصارهم ففيه مسائل **المسئلة الاولى**

لكن الظاهر من حال الخانات انها موضوعة لدخول الداخل

قال الاكثرون من ههنا للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل • وجوز الاخفش ان تكون مزيدة
ونظيره قوله ما لكم من اله غيره وما منكم من احد عنه حاجزين • وأباه سيبويه • فان قيل كيف دخلت في غض البصر دون
حفظه • قلنا دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وصدورهن • وكذا الجواري
المستعرضات • واما امر الفروج فمضيق • وكفاك فرقا ان ابيح النظر الا ما استثني منه وحظر الجماع الا ما
استثني منه • ومنهم من قال يغضوا من ابصارهم اي يغضوا من نظرهم فالبصر اذا لم يمكن من عمله فهو مغضوض
موضوع عنه وعلى هذا من ليست بزايدة ولا هي للتبعيض بل هي من صلة الغض • يقال غضضت من فلان اذا انقصت
من قدره • **المسئلة الثانية** اعلم ان العورات على اربعة اقسام • عورة الرجل مع الرجل • وعورة
المراة مع المراة • وعورة المراة مع الرجل • وعورة الرجل مع المراة • فاما الرجل مع الرجل فيجوز ان ينظر
الى جميع بدنه الا الى عورته • وعورته ما بين السرة والركبة • والسرة والركبة ليستا بعورة • وعند ابي حنيفة
الركبة عورة وقال مالك الفخذ ليست بعورة • والدليل على انها عورة ما روي عن جرهد ان النبي صلى الله عليه وسلم
مر به في المسجد وهو كاشف فخذه فقال عليه السلام غط فخذك فانها من العورة • وقال لعلي عليه السلام
لا تبرز فخذك ولا تنظر الى فخذ حي ولا ميت فان كان في نظره الى وجهه او سائر بدنه شهوة او خوف فتنة بان
كان امرد لا يحل النظر اليه • ولا يجوز للرجل مضاجعة الرجل وان كان كل واحد منهما في جانب الفراش لما روى
ابو سعيد الخدري انه عليه السلام قال لا يفضي الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المراة الى المراة
في الثوب الواحد • وتكره المعانقة وتقبيل الوجه الا لولده شفقة وتستحب المصافحة لما روى انس قال رجل
يا رسول الله الرجل منا يلقى اخاه او صديقه ينحني له قال لا قال افيلتزمه ويقبله قال لا قال افياخذ بيده
ويصافحه قال نعم • اما عورة المراة مع المراة فكالرجل مع الرجل • فلها النظر الى جميع بدنها الا ما بين
السرة والركبة • وعند خوف الفتنة لا يجوز ولا تجوز المضاجعة • والمراة الذمية هل يجوز لها النظر
الى بدن المسلمة قيل يجوز لانها عورة كالمسلمة • والاصح انه لا يجوز لانها اجنبية في الدين والله تعالى يقول او نسائهن
وليست الذمية من نسائنا • اما عورة المراة مع الرجل فالمراة اما ان تكون اجنبية او ذات محرم او مستمتعة فان كانت اجنبية
فاما ان تكون حرة او امة فان كانت حرة فجميع بدنها عورة ولا يجوز له ان ينظر الى شيء منها الا الوجه والكفين لانها تحتاج
الى ابراز الوجه للبيع والشرا والى اخراج الكف للاخذ والاعطا ونعني بالكف ظهرها وبطنها الى الكوعين • وقيل ظهر الكف
عورة • واعلم انا ذكرنا انه لا يجوز النظر الى شيء من بدنها ويجوز النظر الى وجهها وكفها وفي كل واحد من القولين استثنا
اما قوله يجوز النظر الى وجهها وكفها فاعلم انه على ثلاثة اقسام لانه اما ان لا يكون فيه غرض ولا فيه فتنة واما ان يكون فيه
فتنة ولا غرض فيه • اما القسم الاول فاعلم انه لا يجوز ان يتعمد النظر الى وجه الاجنبية لغير غرض فان وقع بصره عليها بغتة
فليغض بصره لقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم • وقيل يجوز مرة واحدة اذا لم يكن محل فتنة وبه قال ابو حنيفة
ولا يجوز ان يكون النظر اليها لعموم قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ولقوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل
اولئك كان عنه مسؤلا ولقوله عليه السلام يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الآخرة • وعن جابر قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاة فامرني ان اصرف بصري ولان الغالب ان الاحتراز عن الاولى
لا يمكن فوقع عفوا قصد او لم يقصد • اما القسم الثاني وهو ان يكون فيه غرض ولا فتنة فيه فذاك امور • احدها
احدها ان يريد نكاح امراة فينظر الى وجهها وكفيها • روى ابو هريرة ان رجلا اراد ان يتزوج امراة من
الانصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان في اعين الانصار شيئا • روى ابو حميد
قال قال عليه السلام اذا خطب احدكم المراة فلا جناح ان ينظر اليها اذا كان انما ينظر اليها للخطبة وقال المغيرة بن
شعبة خطبت امراة فقال عليه السلام نظرت اليها فقلت لا قال فانظر فانه احرى ان يؤدم بينكما فكل ذلك يدل على جواز النظر
الى وجهها وكفيها للشهوة اذا اراد ان يتزوجها ويدل عليه ايضا قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج
ولو اعجبك حسنهن ولا يعجبه حسنهن الا بعد رؤية وجوههن • وثانيها اذا اراد شرا جارية فله ان ينظر الى ما ليس
بعورة منها • وثالثها انه عند المبايعة ينظر الى وجهها متاملا حتى يعرفها عند الحاجة اليه • ورابعها ينظر
اليها عند تحمل الشهادة ولا ينظر الى غير الوجه لان المعرفة تحصل به • اما القسم الثالث وهو ان ينظر اليها للشهوة
فذاك محظور قال عليه الصلاة والسلام العينان تزنيان • وعن جابر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة
الفجاة فامرني ان اصرف بصري • وقيل مكتوب في التوراة النظرة تزرع في القلب الشهوة ورب شهوة اورثت حزنا طويلا
اما الكلام الثاني وهو انه لا يجوز للاجنبي النظر الى الاجنبية فقد استثنوا منه صورا • احدها يجوز للطبيب الامين ان ينظر اليها

للمعالجة

للمعالجة كما يجوز للختان ان ينظر الى فرج المختون لانه موضع ضرورة • وثانيها يجوز ان يتعمد النظر الى فرج الزانيين لتحمل
الشهادة على الزنا وكذلك ينظر الى فرجها لتحمل شهادة الولادة • والى ثدي المرضعة لتحمل الشهادة على الرضاع نقبل شهادة
النسا فلا حاجة الى نظر الرجال للشهادة • وثالثها لو وقعت في غرق او حرق فله ان ينظر الى بدنها ليخلصها اما اذا كانت الاجنبية
امة فقال بعضهم عورتها ما بين السرة والركبة وقال اخرون عورتها ما بين المهنة فخرج منه راسها وعنقها وساعدها
وساقها ونحوها وصدرها ليس بعورة • وفي ظهرها وبطنها وما فوق ساعدها الخلاف المذكور ولا يجوز لمسها ولا لها
لمسه بحال لا لحجامة ولا اكتحال ولا غيره لان اللمس اقوى من النظر بدليل ان الانزال باللمس يفطر الصايم وبالنظر لا يفطر
وقال ابو حنيفة يجوز ان يمس من الامة ما يحل النظر اليه • اما اذا كانت المراة ذات محرم له بنسب او رضاع او صهرية
فعورتها معه ما بين الركبة والسرة كعورة الرجل وقال اخرون بل عورتها ما لا يبدو عند المهنة وهو قول ابي حنيفة
فاما سائر التفاصيل فسياتي ان شا الله في تفسير الاية • اما اذا كانت المراة مستمتعة كالزوجة والامة التي يحل له
الاستمتاع بها فيجوز له ان ينظر الى جميع بدنها حتى فرجها غير انه يكره ان ينظر الى الفرج وكذا الى فرج نفسه لانه يروى
انه يورث الطمس • وقيل لا يجوز النظر الى فرجها ولا فرق بين ان تكون الامة قنة او مدبرة او ام ولد او مرهونة فان كانت
مجوسية او مرتدة او وثنية او مشتركة بينه وبين غيره او مزوجة او مكاتبة فهي كالاجنبية • وروى عن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا زوج احدكم جاريته عبده او اجيره فلا ينظر الى ما دون السرة
وفوق الركبة • واما عورة الرجل مع المراة نظران كان اجنبيا منها فعورته ما بين السرة والركبة وقيل جميع بدنه الا الوجه
والكفين كهي معه والاول اصح بخلاف المراة في حق الرجل لان بدن المراة في ذاته عورة بدليل انه لا تصح صلاتها مكشوفة
البدن • وبدن الرجل بخلافه • ولا يجوز لها قصد النظر عند خوف الفتنة ولا تكرير النظر الى وجهه لما روي عن ام سلمة
انها كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم وميمونة اذ اقبل ابن ام مكتوم فدخل عليه فقال عليه السلام احتجبا منه فقلت
يا رسول الله اليس هو اعمى لا يبصرنا قال فعميا وان انتما الستما تبصرانه • وان كان محرما لها فعورته معها ما بين السرة
والركبة وان كان زوجها او سيدها الذي يحل له وطيها فله ان ينظر الى جميع بدنها غير انه يكره النظر الى الفرج كهو معها
ولا يجوز للرجل ان يجلس عاريا في بيت خال وله ما يستر عورته لانه روي انه عليه الصلاة والسلام سيل عنه فقال
الله احق ان يستحيى منه • وروي انه عليه السلام قال اياكم والتعري فان معكم من لا يفارقكم الا عند الغايط وحين يفضي الرجل
الى اهله والله اعلم • **المسئلة الثالثة** سيل الشبلي عن قوله يغضوا من ابصارهم فقال ابصار الرؤس عن المحرمات
وابصار القلوب عما سوى الله تعالى • واما قوله تعالى ويحفظوا فروجهم فالمراد به عما لا يحل • وعن ابي العالية
انه قال كل اية في القرآن يحفظوا فروجهم ويحفظن فروجهن من الزنا الا التي في النور يحفظوا فروجهم ويحفظن
فروجهن ان لا ينظر اليها احد وهذا ضعيف لانه تخصيص بلا دلالة • والذي يقتضيه الظاهر ان يكون المعنى حفظها
عن ساير ما حرم عليه من الزنا والمس والنظر وعلى انه ان كان المراد حظر النظر فالمس والوطي ايضا مرادان بالاية اذ هما
اغلظ من النظر فلو نص الله تعالى على النظر لكان في مفهوم الخطاب ما يوجب حظر الوطي والمس كما ان قوله تعالى ولا
تقل لهما اف اقتضى حظر ما فوق ذلك من السب والضرب • اما قوله تعالى ذلك ازكى لهم اي تمسكهم بذلك ازكى لهم
واطهر لانه من باب ما يزكون به ويستحقون الثنا والمدح ويمكن ان يقال انه تعالى خص في الخطاب المؤمنين لما اراده
من تزكيتهم بذلك ولا يليق ذلك بالكافر • اما قوله تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن
فالقول فيه على ما تقدم • فان قيل فلم قدم غض الابصار على حفظ الفروج • قلنا لان النظر بريد الزنا ورايد
الفجور والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه • اما قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر
منها فمن الاحكام التي تختص بالنسا في الاغلب لانه يحرم على الرجل ان يبدي زينته حليا ولباسا الى غير ذلك للنسا
الاجنبيات لما فيه من الفتنة • وههنا مسايل • **المسئلة الاولى** اختلفوا في المراد بزينتهن • واعلم ان الزينة اسم يقع على
محاسن الخلق التي خلقها الله تعالى وعلى ما يتزين به الانسان من فضل لباس او حلي او غير ذلك • وانكر بعضهم وقوع اسم الزينة على
الخلقة لانه لا يكاد يقال في الخلقة انها من زينتها • وانما يقال ذلك فيما يكتسبه من كحل وخضاب وغيره والاقرب
ان الخلقة داخلة في الزينة ويدل عليه وجهان • الاول ان الكثير من النسا ينفردن بخلقتهن عن ساير
ما يعد زينة • فاذا حملناه على الخلقة وفينا العموم حقه ولا يمنع دخول ما عدا الخلقة فيه ايضا
الثاني ان قوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن يدل على ان المراد بالزينة ما يعم الخلقة وغيرها فكانه
تعالى منعهن من اظهار محاسن خلقتهن بان اوجب سترها بالخمار • اما الذين قالوا الزينة عبارة عما سوى الخلقة
فقد حصروه في امور ثلاثة • احدها الاصباغ كالكحل والخضاب بالوسمة في حاجبيها والغمرة في خديها

ابصار الرؤس عن المحرمات وابصار القلوب عما سوى الله تعالى

والحنا في كفيها وقدميها • وثانيها الحلي كالخاتم والسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط
وثالثها الثياب قال الله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد واراد الثياب **المسئلة الثانية** اختلفوا
في المراد من قوله الا ما ظهر منها • اما الذين حملوا الزينة على الخلقة فقال القفال معنى الاية الا ما يظهره
الانسان في العادة الجارية وذلك في النسا الوجه والكفان • وفي الرجل الاطراف من الوجه واليدين والرجلين
فامروا بستر ما لا يؤدي الضرورة الى كشفه ورخص لهم في كشف ما اعتيد كشفه وادت الضرورة الى اظهاره اذ
كانت شرايع الاسلام حنيفية سمحة • ولما كان ظهور الوجه والكفين كالضروري لا جرم اتفقوا على انهما ليسا
بعورة • اما القدم فليس ظهوره بضروري فلا جرم اختلفوا في انه هل هو من العورة ام لا فيه وجهان الاصح
انه عورة كظهر القدم • وفي صوتها وجهان اصحهما ليس بعورة لان نسا النبي صلى الله عليه وسلم كن يروين الاخبار
للرجال • واما الذين حملوا الزينة على ما عدا الخلقة قالوا انه سبحانه انما ذكر الزينة لانه لا خلاف انه يحل
النظر اليها حالما لم تكن متصلة باعضا المراة • فلما حرم الله سبحانه النظر اليها حال اتصالها ببدن المراة
كان ذلك مبالغة في حرمة النظر الى اعضا المراة • وعلى هذا القول يحل النظر الى زينة وجهها من الوسمة
والغمرة وزينة يديها من الخضاب والخواتيم • وكذا الثياب • والسبب في تجويز النظر اليها ان سترها
فيه حرج لان المراة لا بد لها من مزاولة الاشيا بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها في الشهادة والمحاكمة
والنكاح **المسئلة الثالثة** اتفقوا في تخصيص قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها بالحراير دون الاما
والمعنى فيه ظاهر وهو ان الامة مال فلا بد من الاحتياط في بيعها وشراها وذلك لا يمكن الا بالنظر اليها
على الاستقصا بخلاف الحرة • اما قوله تعالى وليضربن بخمرهن على جيوبهن • فالخمر واحدها خمار وهي المقانع قال
المفسرون ان نسا الجاهلية كن يسدلن خمرهن من خلفهن وان جيوبهن كانت تكون من قدام فكان ينكشف نحورهن
وقلايدهن • فامرن ان يضربن مقانعهن على الجيوب ليتغطى بذلك اعناقهن ونحورهن وما يحيط به من
شعر وزينة من الحلي في الاذن والنحر وموضع العقدة منها • وفي لفظة الضرب مبالغة في الالقا التي هي
بالالصاق • وعن عايشة رضي الله عنها ما رايت خيرا من نسا الانصار لما نزلت هذه الاية قامت كل واحدة منهن الى
مرطها فصدعت منه صدعة فاختمرت بها فاصبحن على رؤسهن الغربان • وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل اليا
وكذلك بيوتا غير بيوتكم • فاما قوله تعالى ولا يبدين زينتهن • فاعلم انه سبحانه لما تكلم في مطلق الزينة
تكلم بعد ذلك في الزينة الخفية التي نهاهن عن ابدايها للاجانب • وبين ان هذه الزينة الخفية يجب اخفاؤها
عن الكل ثم استثنى اثنتي عشرة صورة • احدها ازواجهن • وثانيها اباوهن وان علوا من جهة الذكران
والاناث كابا الابا وابا الامهات • وثالثها ابا ازواجهن • ورابعها ابناوهن وان سفلوا ويدخل فيه
اولاد الاولاد وان سفلوا من الذكران والاناث كبني البنين وبني البنات • وخامسها اخوانهن سوا
كانوا من الاب او من الام او منهما • وسادسها بنو اخوانهن • وسابعها بنو اخواتهن • وهولا كلهم
محارم • وها هنا سوالات • الاول فيحل للذي المحرم في المملوكة والكافرة ما لا يحل في المؤمنة
الجواب اذا ملك المراة وهي من محارمه فله ان ينظر منها الى بطنها وظهرها لا على وجه التشهي لامر
يرجع الى ضرورة الملك على خلاف بين الناس في ذلك • السوال الثاني في العم والخال الجواب
القول الظاهر انهما كساير المحارم في جواز النظر وهو قول الحسن البصري قال لان الاية لم يذكر فيها الرضاع
وهو كالنسب وقال في سورة الاحزاب لا جناح عليهن في ابايهن الاية ولم يذكر فيها البعولة ولا ابناهم
وقد ذكروا ها هنا وقد يذكر البعض لينبه على الجملة وقال الشعبي لم يذكرهما لئلا يصفها العم عند ابنه
والخال كذلك ومعناه ان ساير القرابات تشترك الاب والابن في المحرمية الا العم والخال وابناهما
فاذا راها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيقرب تصوره لها بالوصف من نظره اليها وهذا ايضا
من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر • السوال الثالث ما السبب في اباحة
نظر هولا الى زينة المراة الجواب لانهم مخصوصون بالحاجة الى مداخلتهن ومخالطتهن ولقلة
توقع الفتنة من جهاتهن ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرايب وتحتاج المراة الى صحبتهم في
الاسفار للنزول والركوب • وثامنها قوله تعالى او نسايهن وفيه قولان • احدهما المراد النسا
اللواتي على دينهن • وهذا قول اكثر السلف قال ابن عباس ليس للمسلمة ان تتجرد بين نسا اهل الذمة
ولا تبدي للكافرة الا ما تبدي للاجانب الا ان تكون امة لها لقوله او ما ملكت ايمانهن • وكتب عمر الى

ابي عبيدة

ابي عبيدة ان يمنع نسا اهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات • والثاني المراد بنسايهن جميع النسا وهذا هو المذهب
وقول السلف محمول على الاستحباب والاولى وعاشرها قوله او ما ملكت ايمانهن • وظاهر الكلام يشمل العبيد والاما
واختلفوا • فمنهم من اجرى الاية على ظاهرها فزعم انه لا باس عليهن في ان يظهرن لعبيدهن من زينتهن ما يظهرن
لذوي ارحامهن وهو مروي عن عايشة وام سلمة رضي الله عنهما • واحتجوا بهذه الاية وهو ظاهر وبما روى انس انه عليه
السلام اتى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ راسها
فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وعن مجاهد كن امهات
المؤمنين لا يحتجبن عن مكاتبهن ما بقي عليه درهم • وعن عايشة انها قالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر
وروي ان عايشة كانت تمتشط والعبد ينظر اليها وقال ابن مسعود ومجاهد والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب
ان العبد لا ينظر الى شعر مولاته وهو قول ابي حنيفة واحتجوا عليه بامور • احدها قوله عم لا يحل لامراة تؤمن
بالله واليوم الاخر ان تسافر سفرا فوق ثلاث الا مع ذي محرم والعبد ليس بذي محرم منها فلا يجوز ان يسافر بها
واذا لم يجز له السفر بها لم يجز النظر الى شعرها كالحر الاجنبي • وثانيها ان ملكها العبد لا يحلل ما يحرم عليه
قبل ذلك وذلك ان ملك النسا للرجال ليس كملك الرجال للنسا فانهم لم يختلفوا في انها لا تستبيح بملك العبد منه
شيا من التمتع كما يملكه الرجل من الامة • وثالثها ان العبد وان لم يجز له ان يتزوج بمولاته الا ان ذلك تحريم
عارض كمن عنده اربع نسوة فانه لا يجوز له التزوج بغيرهن فاذا لم تكن هذه الحرمة مؤبدة كان العبد بمنزلة ساير
الاجانب • اذا ثبت هذا ظهر ان المراد من قوله او ما ملكت ايمانهن الاما • فان قيل الاما دخلن في قوله نسايهن
فاي فايدة في الاعادة فاما الظاهر انه عنى بنسايهن وما ملكت ايمانهن من صحبتهن من الحراير والاما • وبيانه
انه سبحانه ذكر اولا احوال الرجال بقوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن الى اخر ما ذكر فجاز ان يظن ظان
ان الرجال مخصوصون بذلك اذا كانوا ذوي محارم فابان تعالى باباحة النظر الى هذه المواضع لنسايهن سوا كن
ذوات محارم او غير ذوات محارم • ثم عطف على ذلك قوله او ما ملكت ايمانهن لئلا يظن ان الاباحة مقصورة
على الحراير من النسا اذ كان ظاهر قوله او نسايهن يقتضي الحراير دون الاما كقوله شهيدين من رجالكم يدل على
الاحرار لاضافتهم الينا لذلك قوله نسايهن يدل على الحراير • ثم عطف عليهن الاما فاباح لهن مثل ما اباح للحراير
وحادي عشرها قوله او التابعين غير اولي الاربة من الرجال • وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قيل هم الذين
يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة بهم الى النسا لانهم بله لا يعرفون من امرهن شيا او شيوخ صلحا
اذا كانوا معهن غضوا ابصارهم او كان عنينا ومعلوم من الخصي والعنين ومن شاكلهما قد لا يكون له اربة في نفس الجماع
ويكون له الهمة القوية فيما سواه من التمتع وذلك يمنع من ان يكون هو المراد فيجب ان يحمل المراد على ذلك المعلوم منه انه لا اربة
له في ساير وجوه التمتع اما لفقد الشهوة واما لفقد المعرفة • واما للضر والمسكنة فعلى هذه الوجوه الثلاثة
اختلف العلما فقال بعضهم هم الفقرا الذين بهم الفاقة • وقال بعضهم المعتوه والابله والصبي • وقال بعضهم
الشيخ وساير من لا شهوة له ولا يمتنع دخول الكل في ذلك • روى هشام عن عروة عن زينب بنت ام سلمة ان النبي صلى الله
عليه وسلم دخل عليها وعندها مخنث فاقبل على اخي ام سلمة فقال يا عبد الله ان فتح الله لكم غدا الطايف دللتك على بنت
غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان فقال عليه السلام لا يدخل عليكم هذا فاباح النبي عليه السلام دخول المخنث عليهن حين ظن انه
من غير اولي الاربة • فلما علم انه يعرف احوال النسا واوصافهن علم انه من اولي الاربة فحجبه • وفي الخصي والمجبوب
ثلاثة اوجه • احدها استباحة الزينة الباطنة معهما • والثاني تحريمها عليهما • والثالث تحريمها على الخصي دون
المجبوب **المسئلة الثانية** الاربة فعلة من الارب كالمشية والجلسة من المشي والجلوس • والاربة
الحاجة والولوع بالشي والشهوة والاربة الحاجة في النسا والاربة العقل ومنه الاريب **المسئلة الثالثة**
فيه قرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم وابو جعفر غير بالنصب على الاستثنا او الحال يعني والتابعين عاجزين عنهن
والقراة الثانية بالخفض على الوصفية • وثاني عشرها قوله او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النسا
وفيه مسايل **المسئلة الاولى** الطفل اسم للواحد لكنه وضع ها هنا موضع الجمع لانه يفيد الجنس وما بعده
يدل على انه يراد به الجمع ونظيره قوله ثم يخرجكم طفلا **المسئلة الثانية** الظهور على الشي على وجهين • احدهما
العلم به كقوله تعالى انهم ان يظهروا عليكم اي يشعروا بكم • والثاني الغلبة له والعلو عليه كقوله تعالى فاصبحوا
ظاهرين فعلى الوجه الاول يكون المعنى او الطفل الذين لم يتصوروا عورات النسا ولم يدروا ما هي من الصغر
وهو قول ابن قتيبة وعلى الثاني الذين لم يبلغوا ان يطيقوا اتيان النسا وهو قول الفرا والزجاج **المسئلة الثالثة**

عن زينب بنت ام سلمة
هشام ن

وفي الخصي والمجبوب ثلاثة اوجه

ان الصغير اذا لم يتنبه لصغره على عورة النسا فلا عورة للنسا معه وان تنبه مع صغره لزم ان تستتر منه
المراة ما بين سرتها وركبتها وفي لزوم ستر ما سواه وجهان • احدهما لا يلزم لان القلم غير جار عليه • والثاني
يلزم كالرجل لانه يشتهي والمراة قد تشتهيه وهو معنى قوله او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النسا واسم
الطفل شامل له الى ان يحتلم • واما الشيخ ان بقيت له شهوة فهو كالشاب فان لم يبق له شهوة ففيه وجهان
احدهما ان الزينة الباطنة معه مباحة والعورة معه ما بين السرة والركبة • والثاني ان جميع البدن معه
عورة للزينة الظاهرة • وها هنا اخر الصور التي استثناها الله تعالى قال الحسن هولاء وان اشتركوا في جواز
روية الزينة الباطنة فهم على اقسام ثلاثة • اولهم الزوج وله حرمة ليست لغيره يحل له كل شي منها والحرمة
الثانية الاب والابن والاخ والجد وابو الزوج وكل ذي محرم والرضاع كالنسب يحل لهم ان ينظروا الى الشعر
والصدر والساقين والذراع واشباه ذلك • والحرمة الثالثة هي التابعون غير اولي الاربة • وكذا مملوك
المراة فلا باس ان تقوم المراة الشابة بين يدي هولاء في درع وخمار صغير بغير ملحفة ولا يحل لهولاء ان يروا منهن
شعرا ولا بشرا والاستر في هذا كله افضل ولا يصلح للشابة ان تقوم بين يدي الغريب حتى تلبس الجلباب • فهذا
ضبط هذه المراتب • اما قوله ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن فقال ابن عباس وقتادة كا
كانت المراة تمر بالناس وتضرب برجلها ليسمع قعقعة خلخالها • ومعلوم ان الرجل الذي يغلب عليه شهوة النسا
اذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعية له زائدة في مشاهدتهن وقد علل تعالى ذلك بان قال ليعلم فنبه به
على ان الذي لاجله نهي عنه ان يعلم به زينتهن من الحلي وغيره • وفي الاية فوائد • الفائدة الاولى لما نهي عن استماع
الصوت الدال على وجود الزينة فلان تدل على المنع من اظهار الزينة اولى • الثانية ان المراة منهية عن رفع صوتها
بالكلام بحيث يسمع ذلك الاجانب اذ كان صوتها اقرب الى الفتنة من صوت خلخالها • ولذلك كرهوا اذان النسا
لانه يحتاج فيه الى رفع الصوت والمراة منهية عن ذلك • الثالثة الاية تدل على حظر النظر الى وجهها بالشهوة
اذ كان اقرب الى الفتنة • اما قوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون • ففيه مسايل

المسئلة الاولى في التوبة وجهان • احدهما ان تكاليف الله تعالى في كل باب لا يقدر العبد الضعيف عن
مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا ينفك من تقصير يقع منه • فلذلك وصى المومنين جميعا بالتوبة
والاستغفار وتامين الفلاح اذا تابوا واستغفروا • والثاني قول ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية
لعلكم تسعدون في الدنيا والاخرة فان قيل كيف صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة
قلنا قال بعض العلما ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما ذكره ان يجدد عنه توبة لانه يلزمه ان يستمر على
ندمه الى ان يلقى ربه • **المسئلة الثانية** قرى ايه المومنون بضم الهاء ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها
قبل الالف فلما سقط الالف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها • **المسئلة الثالثة** تفسير لعل
قد تقدم في سورة البقرة في قوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون • **الحكم الثامن**
ما يتعلق بالنكاح • قوله تعالى **وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم** [وامايكم] **ان يكونوا فقرا
يغنهم الله من فضله والله واسع عليم** • اعلم انه تعالى لما امر من قبل بغض الابصار وحفظ الفروج
بين من بعد ان الذي امر به انما هو فيما لا يحل فبين تعالى بعد ذلك طريق الحل فقال وانكحوا الايامى وها هنا
مسايل • **المسئلة الاولى** قال صاحب الكشاف الايامى واليتامى اصلهما ايايم ويتايم فقلبتا وقال
النضر بن شميل الايم في كلام العرب كل ذكر لا انثى معه وكل انثى لا ذكر معها وهو قول ابن عباس في رواية الضحاك
يقال زوجوا اياماكم بعضكم من بعض وقال الشاعر • شعر • فان تنكحي انكح وان تتايمي • وان كنت افتى
منكم اتايم • **المسئلة الثانية** قوله تعالى وانكحوا الايامى امر وظاهر الامر للوجوب على ما بيناه مرارا
فيدل على ان الولي يجب عليه تزويج موليته واذا ثبت هذا وجب ان لا يجوز النكاح الا بولي لان كل من اوجب ذلك
على الولي حكم بانه لا يصح من المولية اما لو فعلت ذلك لفوتت على الولي المكنة لهذا الواجب وانه غير جائز ومما يطابق
هذه الاية من الحديث قوله عليه السلام اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد
عريض قال ابو بكر الرازي هذه الاية وان اقتضى ظاهرها الايجاب الا انه اجمع السلف على انه لم يرد به الايجاب ويدل
عليه امور • احدها انه لو كان ذلك واجبا لورد النقل بفعله عن النبي صلى الله عليه وسلم مستفيضا شايعا لعموم الحاجة
اليه فلما وجدنا عصر النبي صلى الله عليه وسلم وساير الاعصار بعده وقد كان في الناس ايامى من الرجال والنسا
ولم ينكروا ترك تزوجهم ثبت انه ما اريد به الايجاب • وثانيها اجمعنا على ان الايم الثيب لو ابت التزوج لم يكن للولي اجبارها

عليه وثالثها

عليه • وثالثها اتفاق الكل على انه لا يجبر على تزويج عبده وامته وهو معطوف على الايامى فدل على انه غير واجب في
الجميع بل ندب في الجميع • ورابعها ان الايامى اسم ينتظم الرجال والنسا وهو في الرجال ما اريد به الاولياء دون غيرهم
وكذلك في النسا والجواب جميع ما ذكرته تخصيصات تطرقت الى الاية والعام بعد التخصيص يبقى حجة فوجب
ان يبقى حجة فيما اذا التمست المراة الايم من الولي التزويج وحينيذ ينتظم وجه الكلام • **المسئلة الثالثة**
قال الشافعي الاية تقتضي جواز تزويج البكر البالغة بغير رضاها لان الاية والحديث يدلان على امر الولي
بتزويجها • ولولا قيام الدلالة على انه لا تتزوج الثيب الكبيرة بغير رضاها لكان جايزا له تزويجها ايضا بغير رضاها
لعموم الاية • قال ابو بكر الرازي وانكحوا الايامى لا يختص بالنسا دون الرجال على ما بينا فلما كان الامر شاملا للرجال
والنسا وقد اضمر في الرجال تزويجهم باذنهم فوجب استعمال ذلك الضمير في النسا وايضا فقد امر النبي صلى الله عليه وسلم
باستيمار البكر فقال البكر تستامر في نفسها واذنها صماتها وذلك امر وان كان في صورة الخبر فثبت انه لا يجوز تزويجها
الا باذنها والجواب اما الاول فهو تخصيص النص وهو لا يقدح في كونه حجة • والفرق ان الايم من الرجال
هو امير نفسه فلا يجب على الولي تعهد امره بخلاف المراة لان احتياجها الى من يصلح امرها في التزويج اظهر وايضا
لفظ الايامى وان تناول الرجال والنسا واذا اطلق لم يتناول الا النسا وانما تناول الرجال تبعا • واما الثاني
فهو تخصيص الاية بخبر الواحد كلام مشهور • **المسئلة الرابعة** قال ابو حنيفة العم والاخ يليان تزويج
البنت الصغيرة ووجه الاستدلال بالاية كما تقدم • **المسئلة الخامسة** قال الشافعي الناس في النكاح
قسمان • منهم من تتوق نفسه الى النكاح فيستحب ان ينكح ان وجد اهبته سواء كان مقبلا على العبادة او لم يكن
ولكن لا يجب ان ينكح وان لم يجد اهبته يكسر شهوته بالصوم لما روى عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج • ومن لم يستطع فعليه بالصوم
فان الصوم له وجاء • اما الذي لا تتوق نفسه الى النكاح فان كان ذلك لعلة من كبر او مرض او عجز يكره له ان ينكح
لانه يلتزم ما لا يمكنه القيام بحقه وكذلك اذا كان القيام بحقه لا يقدر على النفقة وان لم يكن به عجز وكان قادرا
على القيام بحقه لم يكره النكاح لكن الافضل ان يتخلى لعبادة الله تعالى وقال ابو حنيفة النكاح افضل من التخلي
للعبادة • حجة الشافعي وجوه • احدها قوله تعالى وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين مدح يحيى بكونه
حصورا والحصور الذي لا ياتي النسا مع القدرة عليهن ولا يقال هو الذي لا ياتي النسا مع العجز لان مدح
الانسان بما يكون عيبا غير جائز واذا ثبت انه مدح في حق يحيى فوجب ان يكون مشروعا في حقنا لقوله تعالى اولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده [illegible] فوجب حمله على الفروع
[illegible] واعلموا ان افضل اعمالكم الصلوة [illegible]
[illegible]
والمباح ما استوى طرفاه في الثواب والعقاب • والمندوبات [illegible]
ان النكاح ليس بعبادة [illegible]
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] والجامع بينهما ان كل واحد منهما سبب لبقاء هذا العالم [illegible]

واعلموا ان افضل اعمالكم الصلوة

وتاسعها اجمعنا على انه يقدم واجب العبادة على واجب النكاح فيقدم مندوبها على مندوبه لاتحاد النسبة
وعاشرها ان النكاح اشتغال بتحصيل اللذات الحسية الداعية الى الدنيا والنافلة قطع العلائق الجسمانية
واقبال على الله فاين احدهما من الآخر ولذلك قال عليه السلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت
قرة عينى فى الصلاة رجح الصلاة على النكاح حجة ابى حنيفة من وجوه احدها ان النكاح يتضمن صون النفس
عن الزنا فيكون ذلك دفعا للضرر عن النفس والنافلة جلب النفع ودفع الضرر اولى من جلب النفع والثانى
ان النكاح يتضمن العدل والعدل افضل من العبادة لقوله عم عدل ساعة خير من عبادة ستة والثالث ان النكاح سنة
موكدة وقال عليه السلام من رغب عن سنتى فليس منى وقال فى الصلاة انها خير موضوع فمن شاء فليكثر ومن شاء فليقلل فوجب
ان يكون النكاح افضل المسئلة السادسة قوله تعالى وانكحوا الايامى يتناول جميع الايامى بحسب الظاهر لكنهم اجمعوا على
انه لا بد فيها من شروط وقد تقدم شرحها فى قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم اما قوله تعالى منكم فقد حمله كثير من المفسرين على
ان المراد من الاضافة الاحرار لينفصل الحر من العبد وقال بعضهم بل المراد بذلك من يكون تحت ولاية المامور من الولد
والقريب ومنهم من قال الاضافة تفيد الحرية والاسلام اما قوله تعالى والصالحين من عبادكم وامائكم ففيه مسائل
المسئلة الاولى ظاهر انه امر للسادة بتزويج هذين الفريقين اذا كانوا صالحين وانه لا فرق بين هذا الامر وبين
الامر بتزويج الايامى من باب الوجوب لكنهم اتفقوا على انه اباحة او ترغيب فاما ان يكون واجبا فلا وذكر قوله فى
تزويج الايامى بان تزويج العبد التزام مؤونته وتعطيل خدمته وذلك ليس بواجب على السيد وفى تزويج الامة استفادة
مهر وسقوط نفقة وليس ذلك بلازم للمولى المسئلة الثانية انما خص الصالحين بالذكر لوجوه الاول ليحصن دينهم ويحفظ
صلاحهم الثانى ان الصالحين من الارقاء الذين مواليهم مشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد فى المودة
وكانوا مظنة للوصية لشانهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم واما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس
ذلك الثالث ان يكون المراد بالصلاح الامر بالنكاح حتى يقوم بما يلزم لها وتقوم الامة بما يلزم للزوج الرابع ان يكون
المراد الصلاح فى نفس النكاح بان لا يكون صغيرا لا يحتاج الى النكاح المسئلة الثالثة ظاهر الاية يدل على ان العبد
لا يزوج نفسه وانما يجوز ان يتولى المولى تزويجه لكن ثبت بالدليل بانه اذا امره بان يتزوج جاز ان يتولى تزويج نفسه
فيكون توليته باذنه بمنزلة ان يتولى ذلك بنفس السيد واما الاماء فلا شبهة فى ان المولى يتولى تزويجهن خصوصا
على قول من لا يجوز النكاح الا بولى اما قوله تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ففيه مسائل المسئلة الاولى
الاصح انه ليس وعدا من الله تعالى باغناء من يتزوج بل المعنى لا تنظروا الى فقر من يخطب اليكم او فقر من تريدون تزويجها
ففى فضل الله ما يغنيهم فالمال غاد ورائح وليس فى الفقر ما يمنع من الرغبة فى النكاح فهذا معنى صحيح وليس فيه
ان الكلام قصد به وعد الغنى حتى لا يجوز ان يقع فيه خلف وروى عن قدماء الصحابة ما يدل على انهم رأوا
ذلك وعدا عن ابى بكر رضى الله عنه اطيعوا الله فيما امركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى وعن عمر
وابن عباس مثله قال ابن عباس التمسوا الرزق بالنكاح وشكى رجل الى رسول الله الحاجة فقال عليك بالباءة
وقال طلحة بن مصرف تزوجوا فانه اوسع لكم فى رزقكم واوسع فى اخلاقكم ويزيد الله فى مروتكم فان قيل فنحن نرى من كان غنيا
فتزوج فصار فقيرا الجواب من وجوه احدها ان هذا الوعد مشروط بالمشيئة فى قوله تعالى وان خفتم عيلة
فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم والمطلق محمول على المقيد وثانيها ان اللفظ وان كان عاما الا انه يكون
خاصا فى بعض المذكورين دون بعض وهو فى الايامى من الاحرار الذين يملكون فيستغنون بما يملكون وثالثها ان يكون
المراد بالغنى العفاف فيكون المعنى وقوع الغنى بما يملكه لاستغنائه عن الوقوع فى الزنا المسئلة الثانية من الناس
من استدل بهذه الاية على ان العبد والامة يملكان لان ذلك راجع الى كل ما تقدم فتقتضى الاية ان العبد قد يكون فقيرا او غنيا
فان دل ذلك على ان الملك ثبت لهما يملكان ولكن المفسرين تاولوه على الاحرار خاصة فكانهم قالوا هو راجع الى الايامى
اما اذا فسرنا الغنى بالعفاف فالاستدلال به على ذلك ساقط اما قوله والله واسع عليم فالمعنى انه سبحانه فى
الافضال لا ينتهى الى حد تنقطع قدرته عن الافضال دونه لانه قادر على المقدورات التى لا نهاية لها وهو مع ذلك عليم
بمقادير ما يصلحهم من الافضال والرزق قوله تعالى وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من
فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم
ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم
اعلم انه سبحانه لما ذكر تزويج الحرائر والاماء ذكر حال من يعجز عن ذلك فقال وليستعفف وليجتهد فى العفة كان
المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه واما قوله لا يجدون نكاحا فالمعنى لا يتمكنون من الوصول اليه

يقال الا

يقال لا يجد المرء الشئ اذا لم يتمكن منه قال الله تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين والمراد به بالاجماع من لم يتمكن
ويقال فى احدنا هو غير واجد للمال وان كان موجودا اذا لم يمكنه ان تستتر به ويجوز ان يقال المراد بالنكاح ما ينكح
به من المال فبين سبحانه وتعالى ان من لا يتمكن من ذلك فليطلب التعفف ولينتظر الى ان يغنيه الله من فضله ثم يصل الى
بغيته من النكاح فان قيل افليس ملك اليمين يقوم مقام النكاح قلنا لكن من لم يجد المهر والنفقة فانه لا يجد ثمن الجارية
الحكم التاسع فى الكتابة قوله تعالى والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا
وآتوهم من مال الله الذى آتاكم اعلم انه تعالى لما بعث السيد على تزويج الصالحين من العبيد والاماء مع الرق
رغبهم فى ان يكاتبوهم اذا طلبوا ذلك ليصيروا احرارا فيتصرفون فى انفسهم كالاحرار فقال والذين يبتغون الكتاب
وههنا مسائل المسئلة الاولى قوله والذين يبتغون الكتاب مرفوع على الابتداء او منصوب بفعل مضمر
يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط المسئلة الثانية الكتاب والكتابة
كالعتاب والمعاتبة وفى اشتقاق لفظ الكتابة وجوه احدها ان اصل الكلمة من الكتب وهو الضم والجمع ومنه
الكتيبة سميت بذلك لانها تضم الحروف بعضها الى بعض وثانيها يحتمل ان يكون اللفظ ماخوذ من الكتاب ومعناه
كتبت ذلك على نفسى ان تعتق منى اذا وفيت المال وكتبت على نفسك ان تفى بذلك او كتبت عليك الوفا بالمال او كتبت على العتق
وهذا ما ذكره الازهرى وثالثها انما سمى بذلك لما يقع فيه التاجيل بالمال المعقود عليه لانه لا يجوز ان يقع على مال
هو فى يد العبد حتى يكاتب لان ذلك مال السيد اكتسبه فى حال ما كانت يد السيد غير مقبوضة عن كسبه فلا يجوز لهذا
المعنى ان يقع هذا العقد حالا ولكنه يقع بان تكتب على من عليه المال الموجل كتاب فسمى لهذا المعنى هذا العقد
كتابا لما يقع فيه من الاجل بالمال الموجل كتاب المسئلة الثالثة قال يحيى السنة فى الكتابة ان يقول لمملوكه
كاتبتك على كذا ويسمى مالا معلوما تؤديه فى نجمين او اكثر وتبين عدد النجوم وما يؤدى فى كل نجم ويقول اذا اديت
ذلك المال فانت حر وينوى ذلك بقلبه ويقول العبد قبلت وفى هذا الضبط ابحاث البحث الاول
قال الشافعى ان لم يقل بلسانه او لم ينو بقلبه اذا اديت ذلك المال فانت حر لم يعتق قال ابو حنيفة ومالك وابو
يوسف ومحمد وزفر لا حاجة الى ذلك حجة ابى حنيفة قوله تعالى فكاتبوهم خال عن هذا الشرط فوجب ان تصح الكتابة
بدون هذا الشرط واذا صحت الكتابة وجب ان يعتق عند الاداء بالاجماع حجة الشافعى ان الكتابة ليست عقد
معاوضة محضة لان ما فى يد العبد فهو ملك السيد والانسان لا يمكنه بيع ملكه بملكه بل قوله كاتبتك
كانه فى العتق ولا بد فيه من لفظ التعليق او نيته البحث الثانى لا تجوز الكتابة الحالة عند الشافعى وتجوز عند ابى حنيفة
وجه قول الشافعى ان العبد لا يتصور له ملك يؤديه فى الحال واذا عقد حالا توجهت المطالبة عليه فى الحال فاذا عجز
عن الاداء لم يحصل مقصود الاصل كما لو اسلم فى شئ لا يوجد عند المحل لا يصح بخلاف ما لو اسلم الى معسر فانه يجوز لانه
حين يتصور ان يكون له فى الباطن ملك فالعبد لا يعتق عن ادائه وجه قول ابى حنيفة ان قوله تعالى فكاتبوهم مطلق
يتناول كتابة الحالة والموجلة وايضا لما كان مال الكتابة بدلا عن الرقبة كان بمنزلة اثمان السلع المبيعة فيجوز
عاجلا وآجلا وايضا اجمعوا على جواز العتق عاجلا وآجلا وايضا اجمعوا على جواز العتق على مال حال فوجب ان تكون الكتابة
مثله لانه يدل على العوض فى الحالين الا ان فى احدهم العتق معلق على شرط الاداء وفى الاخر موجل فوجب ان لا يختلف حكمه
البحث الثالث قال الشافعى لا تجوز الكتابة على اقل من نجمين يروى ذلك عن على وعثمان وابن عمر وروى ان عثمن غضب على
عبده فقال لا ضيقن عليك الامر ولا كاتبنك على نجمين ولو جاز على اقل من ذلك لكاتبه على الاقل لان التضييق فيه اشد
وانما شرطنا التنجيم لانه عقد ارفاق ومن الارفاق التنجيم ليتيسر عليهم الاداء وقال ابو حنيفة تجوز الكتابة على نجم
واحد لان ظاهر قوله فكاتبوهم ليس فيه تقييد المسئلة الرابعة تجوز كتابة المملوك عبدا كان او امة ويشترط عند
الشافعى ان يكون بالغا عاقلا فان كان صبيا او مجنونا لا تصح كتابته لان الله تعالى قال والذين يبتغون الكتاب ولا يتصور
الابتغاء من الصبى والمجنون وعند ابى حنيفة تجوز كتابة الصبى ويقبل عنه الولى المسئلة الخامسة يشترط
ان يكون المولى مكلفا مطلقا فان كان صبيا او مجنونا او محجورا عليه بالسفه لا تصح كتابته كما لا يصح بيعه ولان قوله
فكاتبوهم خطاب ولا يتناول غير العاقل وعند ابى حنيفة تصح كتابة الصبى باذن الولى المسئلة السادسة
اختلف العلماء فى ان قوله فكاتبوهم امر ايجاب او امر استحباب فقال قائلون هو امر ايجاب فيجب على الرجل ان
يكاتب مملوكه اذا سأله ذلك بقيمته واكثر اذا علم فيه خيرا ولو كان يرون قيمته لم يلزمه وهذا قول عمرو بن دينار وعطا
واليه ذهب داود بن على ومحمد بن جرير واحتجوا عليه بالاية والاثر اما الاية فقوله فكاتبوهم امر وهو للايجاب
ويدل عليه ايضا سبب نزول الاية فانه نزل فى غلام لحويطب بن عبد العزى يقال له صبيح سال مولاه ان يكاتبه

الكتيبة

واجمعوا على جواز العتق على مال حال

فاتى عليه فنزلت فكاتبه على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا • واما الاثر فما روى عن عمر انه امر انس ان
يكاتب سيرين ابا محمد بن سيرين فابى فرفع عمر عليه الدرة وضربه وقال فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وحلف
عليه ليكاتبنه ولو لم يكن ذلك واجبا لكان ضربه بالدرة ظلما وما انكر على عمر احد من الصحابة فجرى ذلك
مجرى الاجماع وقال اكثر الفقهاء انه امر استحباب وهو ظاهر قول ابن عباس والحسن والشعبي واليه ذهب
مالك وابو حنيفة والشافعي والثوري واحتجوا بقوله عم لا يحل مال امرء مسلم الا بطيبة من نفسه ولانه لا فرق
بين ان يطلب الكتابة وبين ان يطلب منه ان يعتقه في الكفارة • وهذه طريقة المعاوضات اجمع • وهاهنا
سؤالات • السؤال الاول كيف صح ان يبيع ماله بماله الجواب قلنا اذا ورد الشرع به فيجب قبوله ويكون كما
كما اذا علق عتقه على مال يكتسبه فيؤديه او يؤدى عنه فصار سببا لعتقه • السؤال الثاني هل يستفيد العبد
بعقد الكتابة ما لا يملكه لولا الكتابة • قلنا نعم لانه لو دفع اليه الزكاة ولم يكاتب لم يحل له ان ياخذه • واذا صار
مكاتبا حل له واذا دفعه الى مولاه حل له سواء ادى فعتق او عجز فعاد الى الرق • ويستفيد ايضا بالكتابة حرصه على
الجد والاجتهاد في الكسب • ولولاها لم يكن ليفعل ذلك • ويستفيد ايضا الولاء لانه لو عتق من قبل غيره لم يكن له
ولاء • واذا اعتق بالكتابة كان الولاء له • وورد الشرع بجواز الكتابة لما ذكرناه من الفوائد • اما قوله تعالى ان علمتم فيهم خيرا
فذكروا في الخير وجوها • احدها ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان علمتم فيهم خيرا اي علمتم فيهم حرفة لا تدعوهم
كلا على الناس • وثانيها قال عطا الخير المال وتلا كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا اي ترك مالا قال
ويبلغني ذلك عن ابن عباس وابن سيرين قال اذا صلى • والنخعي قال وفا وصدقا • وقال الحسن صلاحا في الدين
وثالثها قال الشافعي المراد بالخير الدين والامانة والقوة على الكسب لان مقصود الكتابة ما يحصل بهما فانها
ينبغي ان يكون كسوبا يحصل المال ويكون امينا يصرفه في نجومه ولا يضيعه • واذا فقد الشرطان او احدهما
لا يستحب ان يكاتبه والاقرب انه لا يجوز حمله على المال لوجهين • الاول ان المفهوم من كلام الناس اذا قالوا
فلان فيه خير انهم يريدون به الصلاح في الدين • ولو اراد المال لقال ان علمتم لهم خيرا انما يقال للعلان ان له مال ولا
يقال فيه مال • الثاني ان العبد لا مال له انما المال لسيده • فالاولى ان يحمل على ما يعود على كتابته بالتمام
وهو الذي ذكره الشافعي وهو ان يتمكن من الكسب ويوثق بحفظ ذلك لان كل ذلك مما تعود كتابته بالتمام
وقيل في تفسيره عليه السلام الخير لانه عليه السلام فسره بالكسب وهو داخل في تفسير الشافعي • اما
قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ففيه مسايل **المسئلة الاولى** اختلفوا في المخاطب بقوله وآتوهم
على وجوه • احدها انه هو المولى يحط عنه مما شاء من نجم وذلك يختلف بكثرة المال وقلته • ومنهم من
قال يحط ربع المال • روى عطا بن السايب عن ابي عبد الرحمن انه كاتب غلاما له فترك له ربع مكاتبته وقال
ان عليا كان يامر بذلك ويقول هو قول الله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم • فان لم يفعل فالسبع • لما روي
عن ابن عمر انه كاتب عبدا بخمسة وثلاثين الفا • ووضع عنه خمسة الاف • وروي ان عمر كاتب عبدا له فجاء
بنجمه فقال اذهب فاستعن به على اداء مال الكتابة • فقال المكاتب لو تركته الى اخر نجم فقال اني اخاف
ان لا ادرك ذلك ثم قرا هذه الاية • وكان ابن عمر يؤخره الى اخر النجوم مخافة ان يعجز • وثانيها المراد
وآتوهم سهمهم الذي جعل الله لهم من الصدقات في قوله وفي الرقاب • وعلى هذا الخطاب لغير السادة وهو
قول الحسن والنخعي ورواية عطا عن ابن عباس • واجمعوا على انه لا يجوز للسيد ان يدفع حقوق الله المفروضة
الى عبده بنفسه • وثالثها ان هذا امر من الله للسادة والناس ان يعينوا المكاتب على كتابته بما يمكنهم وهذا قول
الكلبي وعكرمة ومقاتل والنخعي وقال عليه السلام من اعان مكاتبا في فك رقبته اظله الله في ظل عرشه • وروي ان رجلا
قال للنبي صلى الله عليه وسلم علمني عملا يدخلني الجنة فقال لئن اعتق النسمة وفك الرقبة فقال اليست واحدا
فقال العتق النسمة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها • قالوا ويؤكد هذا القول وجوه
احدها انه امر باعطائه من مال الله وما اطلق عليه هذه الاضافة فهو ما كان سبيله الصدقة وصرفه
في وجوه البر • وثانيها ان قوله من مال الله الذي آتاكم هو الذي قد صح ملكه للمالك وامر باخراج بعضه
ومال الكتابة ليس بدين صحيح لانه على عبده • والمولى لا يثبت له على عبده دين صحيح • وثالثها انما آتاه الله هو
الذي يحصل في يده ويمكنه التصرف فيه وما يسقط عقيبا لعقد لم يحصل له عليه يد فلا يستحق الصفة بانه
من مال الله • فان قيل هاهنا وجهان يقدحان في صحة هذا التاويل • احدهما انه كيف يحل للمولاه اذا كان غنيا
ان ياخذ ما تصدقوا به عليه • والثاني ان قوله وآتوهم معطوف على قوله فكاتبوهم فيجب ان يكون المخاطب

في الموضعين واحدا وعلى هذا التاويل يكون المخاطبة في الاية الاولى السادات وفي الاية الثانية سائر المسلمين
قلنا اما الجواب على الاول ان تلك الصدقة تحل لمولاه وكذلك ان لم يف الصدقة بجميع البدل وعجز عن اداء
الباقي طاب للمولى ما اخذه لانه لم ياخذ بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير
او ورثها منه • ومنه قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية • والجواب عن الثاني انه قد
يفتتح الخطاب لقوم ثم يعطف عليهم بمثل لفظه خطابا لغيرهم كقوله تعالى واذا طلقتم النساء فالخطاب للازواج
ثم خاطب الاولياء بقوله ولا تعضلوهن • وقوله مبرؤن مما يقولون • والقايلون غير المبرئين • وكذا هاهنا
قال السادة فكاتبوهم وقال لغيرهم وآتوهم او قال لهم ولغيرهم **المسئلة الثانية** قال الشافعي يجب
على ايتاء المكاتب وهو ان يحط عنه جزءا من مال الكتابة او يدفع اليه جزءا مما اخذه منه وقال مالك وابو حنيفة
واصحابه انه مندوب اليه لكنه غير واجب • حجة الشافعي ظاهر قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم والامر
للوجوب فقيل عليه ان قوله فكاتبوهم وقوله وآتوهم امران وردا في صورة واحدة فلم جعلتم الاول ندبا والثاني
ايجابا وايضا فقد ثبت ان قوله وآتوهم من مال الله ليس خطابا مع المولى بل مع عامة المسلمين • حجة ابي حنيفة
من جهة السنة والقياس اما السنة فما روي عن عمرو انه عليه السلام قال ايما عبد كاتب على مائة اوقية فاداها
الا عشر اواق فهو عبد فلو كان الحط واجبا لاسقط عنه بقدره • وعن عروة عن عائشة قالت جاءتني بريرة فقالت
يا عائشة اني قد كاتبت اهلي على تسع اواق في كل عام اوقية فاعينيني ولم تكن قضت من كتابتها شيئا فقالت عائشة
ارجعي الى اهلك فان احبوا ان اعطيهم ذلك جميعا ويكون ولاؤك لي فعلت فابوا فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله
فقال لا يمنعك ذلك منها • ابتاعي واعتقي فانما الولاء لمن اعتق • ووجه الاستدلال انها ما قضت من كتابتها شيئا
وارادت عائشة ان تؤدي عنها كتابتها بالكلية وذكرت ذلك لرسول الله وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
النكير عليها ولم يقل انها تستحق ان يحط عنها بعض كتابتها فثبت قولنا • واما القياس فمن وجهين • الاول لو كان الايتاء
واجبا لكان وجوبه متعلقا بالعقد • فيكون العقد موجبا ومسقطا وذلك محال لتنافي الاسقاط والايجاب
الثاني لو كان الحط واجبا لما احتاج الى ان يضع عنه بل كان يسقط القدر المستحق كمن له على انسان دين • ثم حصل
لذلك الاخر على الاول مثله فانه يصير قصاصا • ولو كان كذلك لكان قدرا لا القا اما ان يكون معلوما او مجهولا فان
كان معلوما وجب ان يكون الكتابة مما بقي فيعتق اذا ادى ثلاثة الاف والكتابة اربعة الاف وذلك باطل لان اداء الجميع
مشروط فلا يعتق باداء البعض ولانه عم قال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم وان كان مجهولا صارت الكتابة مجهولة لان الباقي
بعد الحط مجهول فتصير بمنزلة من كاتب عبده على العبد درهم الا وذلك غير جايز والله اعلم **الحكم العاشر**
الاكراه على الزنا **قوله تعالى** ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن
غفور رحيم اعلم انه تعالى لما بين ما يلزم من تزويج العبيد والاماء وكتابتهم اتبع ذلك بالمنع من اكراه الاماء على الفجور وفيه
مسائل **المسئلة الاولى** اختلفوا في سبب نزولها بوجوه • احدها كان لعبد الله بن ابي ست جوار • معاذة
ومسيكة • واميمة • وعمرة • واروى • وقتيلة • يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم • فنزلت هذه الاية • وثانيها ان عبد الله بن ابي اسر رجلا فاراد الاسير جارية عبد الله
وكانت مسلمة فامتنعت الجارية لاسلامها واكرهها ابن ابي على ذلك رجاء ان تحمل من الاسير فيطلب فداء ولده فنزلت
وثالثها روى ابو صالح عن ابن عباس قال جاء عبد الله بن ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جارية من اجمل النساء
تسمى معاذة وقال يا رسول الله هذه لايتام فلان افلا نامرها بالزنا فيصيبون من منافعها فقال عليه السلام لا فاعاد
الكلام فنزلت الاية • قال جابر بن عبد الله جاءت جارية لبعض الناس فقالت ان سيدي يكرهني على البغاء فنزلت الاية
المسئلة الثانية الاكراه انما يحصل من مثل التخويف مما يقتضي تلف النفس • فاما بما دونه من الخوف فلا تصير
مكرهة فحال الاكراه على الزنا كحال الاكراه على كلمة الكفر والنص وان كان مختصا بالاماء الا ان حال الحراير كذلك
المسئلة الثالثة العرب تقول للمملوك فتى وللمملوكة فتاة قال تعالى فلما جاوزا قال لفتاه وقال تعالى تراود فتاها
وقال فيما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات • ولا تقول عبدي وامتي والله اعلم **المسئلة الرابعة** البغاء الزنا
يقال بغت تبغي بغاء وهي بغي **المسئلة الخامسة** الذي نقول به ان المعلق بكلمة ان على الشيء عدم عند عدم
ذلك الشيء والدليل عليه اتفاق اهل اللغة ان كلمة ان للشرط واتفاقهم على ان الشرط ما ينتفي الحكم عند انتفائه ومجموع
هاتين المقدمتين يوجب الحكم بان المعلق بكلمة ان على الشيء عدم عند عدم ذلك الشيء واحتج المخالف بهذه الاية
تعالى انه سبحانه علق المنع من الاكراه على البغاء على ارادة التحصن بكلمة ان فلو كان الامر كما ذكرتموه لزم انه لا ينتفي المنع

جاءت جارية لبعض الناس فقالت ان سيدي يكرهني على البغاء

من الاكراه على الزنا اذا لم توجد ارادة التحصن ولم توجد فان المنع من الاكراه على الزنا حاصل والجواب
لا نزاع ان ظاهر الاية يقتضي جواز الاكراه على الزنا عند عدم ارادة التحصن ولكنه قيد ذلك لامتناعه في
نفسه لانه متى لم توجد ارادة التحصن في حقها لم يكن كارهة للزنا وحال كونها غير كارهة للزنا يمتنع اكراهها
على الزنا فامتنع ذلك لامتناعه في نفسه ۞ ومن الناس من ذكر فيه جوابا اخر وهو ان غالب الحال ان الاكراه لا يحصل
الا عند ارادة التحصن والكلام الوارد على سبيل الغالب لا يكون له مفهوم الخطاب كما ان الخلع يجوز في غير حالة الشقاق
ولكن كان الغالب وقوع الخلع في حالة الشقاق لا جرم لم يكن لقوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما
افتدت به تخصيص ۞ ومن هذا القبيل واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم
والقصر لا يختص بحال الخوف ولكنه سبحانه وتعالى اجراه على سبيل الغالب ۞ وكذا ههنا والجواب عن الثالثة
معناه اذا اردن تحصنا لان القصة التي وردت فيها الاية كانت كذلك على ما روينا ان جارية عبد الله بن ابي اسلمت
وامتنعت عنه طلبا للعفاف ۞ فلما اكرهها نزلت الاية موافقة لذلك ۞ ونظيره قوله تعالى وان كنتم في ريب

المسئلة السادسة انه تعالى كما منع من اكراههن ففيه ما يدل على ان لهم اكراههن على النكاح وليس لها ان تمتنع
على السيد اذا زوجها بل له ان يكرهها على ذلك ۞ وبهذه الدلالة دلالة دليل الخطاب ۞ اما قوله ان اردن تحصنا
اي تعففا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا يعني كسبهن واولادهن ۞ اما قوله ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن
غفور رحيم فاعلم انه ليس في الاية انه تعالى غفور رحيم للمكره او للمكرهة فلا جرم ذكروا فيه وجهين
احدهما فان الله غفور رحيم للمكره بشرط التوبة وهذا ضعيف لان على التفسير الاول لا حاجة الى هذا الاضمار
وعلى التفسير الثاني يحتاج اليه ۞ **قوله تعالى ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات ومثلا من الذين
خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين** اعلم انه تعالى لما ذكر في هذه السورة هذه الاحكام وصف القرآن بصفات
ثلاث ۞ احدها قوله ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات اي مفصلات ۞ وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر مبينات
بكسر الياء بمعنى انها تبين للناس كما قال بلسان عربي مبين او يكون من بين بمعنى تبين ۞ ومنه المثل ۞ قد بين الصبح
لذي عينين ۞ وفيه وجهان ۞ احدهما انه تعالى يريد بالمثل ما ذكر في التوراة والانجيل من اقامة الحدود
فانزل في القرآن مثله وهو قول الضحاك ۞ وثانيها قوله ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ۞ قوله ومثلا
اي شبها من حالهم بحالكم في تكذيب الرسل يعني بينا لكم ما احللنا بهم من العقاب لتمردهم على الله فجعلنا ذلك
مثلا لكم لتعلموا انكم اذا شاركتموهم في المعصية كنتم مثلهم في استحقاق العقاب وهو قول مقاتل ۞ وثالثها
قوله وموعظة للمتقين ۞ والمراد به الوعد والوعيد والتحذير من فعل المعاصي ۞ ولا شك انه موعظة للكل لكنه
تعالى خص المتقين بالذكر للعلة التي ذكرناها في قوله هدى للمتقين ۞ وههنا اخر الكلام في الاحكام

القول في الالهيات

اعلم انه تعالى مثل مثلين ۞ احدهما في بيان ان دلائل الايمان في غاية الظهور ۞ والثاني
في بيان ان اديان الكفرة في نهاية الظلمة والخفاء **اما المثل الاول فهو قوله تعالى الله نور السموات
والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري
يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على
نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم**

اعلم ان الكلام في هذه الاية مرتب على فصول **الفصل الاول** في اطلاق اسم النور على الله سبحانه اعلم
ان لفظ النور موضوع في اللغة لهذه الكيفية الفائضة من الشمس والقمر والنار على الارض والجدار
وغيرهما وهذه الكيفية يستحيل ان يكون الها لوجوه ۞ احدها ان هذه الكيفية ان كان جسما كان الدليل الدال
على حدوث الجسم دالا على حدوثها ۞ وان كانت عرضا فمتى حدوث الجسم لزم حدوث جميع الاعراض القائمة به
لكن هذه المقدمة انما تثبت بعد اقامة الدلالة على ان الحلول على الله محال ۞ وثانيها قولنا النور جسم او
حال في الجسم فهو منقسم لانه ان كان جسما فلا شك فيه انه منقسم وان كان حالا فيه فالحال في المنقسم
منقسم فعلى التقديرين النور منقسم وكل منقسم فهو مفتقر في تحققه الى تحقق اجزائه وكل واحد من
اجزائه غيره وكل مفتقر فهو في تحققه مفتقر الى غيره والمفتقر الى الغير ممكن لذاته محدث ۞ فالضوء والنور
محدث فلا يكون الها ۞ وثالثها ان هذا النور المحسوس لو كان هو الله لوجب ان لا يزول هذا النور
لامتناع الزوال على الله تعالى ۞ ورابعها ان هذا النور المحسوس يقع بطلوع الشمس والكواكب
وذلك في الله محال ۞ وخامسها ان هذه الانوار لو كانت ازلية لكانت اما ان تكون متحركة او ساكنة لا جائز

ان تكون متحركة

سبيها

ان تكون متحركة لان الحركة معناها الانتقال من مكان الى مكان والحركة مسبوقة بالحصول في المكان الاول والازلي
يمتنع ان يكون مسبوقا بالغير فالحركة الازلية محال ۞ ولا جائز ان تكون ساكنة لان السكون لو كان ازليا لكان يمتنع
الزوال لكن السكون محال لانا نرى انه ينتقل من مكان الى مكان فدل ذلك على حدوث الانوار ۞ ورابعها ان النور
اما ان يكون جسما او كيفية قائمة بالجسم والاول محال لانا قد نعقل الجسم جسما مع الذهول عن كونه نيرا ولان الجسم
قد يستنير بعد ان كان مظلما فثبت الثاني لكن الكيفية القائمة بالجسم محتاجة الى الجسم والمحتاج الى الغير لا يكون
الها ومجموع هذه الدلائل يبطل قول المانوية الذين يقولون ويعتقدون ان الاله سبحانه هو النور الاعظم
واما المجسمة المعترفون بصحة القرآن يحتج على فساد قولهم بوجوه ۞ الاول انه تعالى ليس كمثله شيء ۞ ولو كان نورا
لبطل ذلك لان الانوار كلها متماثلة ۞ الثاني ان قوله تعالى مثل نوره صريح في ان ذاته ليست نفس النور لان النور
مضاف اليه ۞ وكذا قوله تعالى يهدي الله لنوره من يشاء ۞ فان قيل قوله الله نور السموات والارض يقتضي
ظاهره انه في ذاته نور وبينهما تناقض ۞ قلنا نظير هذه الاية قولك زيد كرم وجود ۞ ثم تقول نعش الناس بكرمه
وجوده وعلى هذا الطريق لا تناقض ۞ وثانيها قوله سبحانه وجعل الظلمات والنور مجعولة لله تعالى فيستحيل
ان يكون الاله نورا فثبت انه لا بد من التاويل ۞ والعلماء ذكروا فيه وجوها ۞ احدها ان النور سبب للظهور
والهداية لما شاركت النور في هذا المعنى صح اطلاق اسم النور على الهداية وهو كقوله تعالى الله ولي الذين
امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ۞ وقوله افمن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وقال
ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ۞ فقوله الله نور السموات والارض اي ذو نور السموات والنور
هو الهداية ۞ ثم الهداية لا تحصل الا لاهل السموات والارض فالحاصل ان المراد ان الله هادي اهل السموات
والارض بحكمه بالغة ۞ وحجة باهرة ۞ وثانيها المراد انه مدبر السموات والارض من وصف نفسه بذلك كما يوصف
الرئيس العالم بانه نور البلد وانه اذا كان يدبرهم تدبيرا حسنا فهو لهم كالنور الذي يهتدى به الى مسالك الطرق
قال جرير ۞ وانت لنا نور وغيث وعصمة ۞ وهذا اختيار الاصم والزجاج ۞ وثالثها المراد ناظم
السموات والارض على الترتيب الاحسن فانه قد يعبر بالنور عن النظام ۞ يقال ما ارى لهذا الامر نورا ۞ ورابعها
معناه منور السموات والارض ۞ ثم ذكروا في هذا القول ثلاثة اوجه ۞ احدها انه نور السماء بالملائكة والارض
بالانبياء ۞ وثانيها نورها بالشمس والقمر والكواكب ۞ وثالثها انه زين السماء بالشمس والقمر والكواكب ۞ وزين
الارض بالانبياء والعلماء وهو مروي عن ابي بن كعب والحسن وابي العالية والاقرب هو القول الاول لان قوله
في اخر الاية يهدي الله لنوره من يشاء فدل على ان المراد بالنور الهداية الى العلم والعمل ۞ واعلم ان الشيخ الغزالي
رحمه الله صنف في تفسير هذه الاية كتابا سماه مشكاة الانوار وزعم ان الله نور في الحقيقة بل ليس
النور الا هو ۞ وانا انقل محصل ما ذكره مع زوائد كثيرة تقوي كلامه ثم ننظر في صحته وفساده على سبيل الايجاز
فقال اسم النور انما وضع للكيفية الفائضة من الشمس والقمر والنار على ظواهر الاجسام الكثيفة فيقال
فيما استنارت الارض وقع نور الشمس على التراب ونور السراج على الحائط ومعلوم ان هذه الكيفية انما اختصت
بالفضيلة والشرف لان المرئيات تصير بسببها ظاهرة جلية ۞ ثم من المعلوم انه كما يتوقف ادراك هذه المرئيات
على كونها مستنيرة ۞ وكذلك يتوقف ادراكها على العين الباصرة اذ المرئيات بعد استنارتها لا تكون ظاهرة في حق العميان
فقد ساوى الروح الباصرة النور الظاهر في كونه ركنا لا بد منه للظهور ثم رجح عليه في ان الروح الباصرة هي المدركة
وبها الادراك ۞ والنور الخارج ليس بمدرك ولا به الادراك بل عنده الادراك فكان وصف الاظهار بالنور
الباصر احق منه بالنور المبصر فلا جرم اطلقوا اسم النور على نور العين المبصرة فقالوا في الخفاش ان نور عينه
ضعيف ۞ وفي الاعمش انه ضعف نور بصره ۞ وفي الاعمى انه فقد نور بصره ۞ اذا ثبت هذا فنقول للانسان
بصر وبصيرة والبصر هو العين الظاهرة المدركة للصور والالوان ۞ والبصيرة هي القوة العاقلة وكل واحد
[illegible]
سبعة ۞ ونحن نجعلها عشرة ۞ الاول ان القوة الباصرة لا تدرك نفسها ولا ادراكها ولا تدرك
آلتها ۞ اما انها لا تدرك نفسها ولا ادراكها [illegible]
بالعين [illegible]
وهي القلب او الدماغ فثبت ان نور العقل اكمل من نور البصر ۞ الثاني ان القوة الباصرة لا تدرك الكليات
والقوة العاقلة تدركها ۞ ومدرك الكليات اشرف من مدرك الجزئيات ۞ اما ان القوة الباصرة لا تدرك

ان الشيخ الغزالي صنف تفسير السمى مشكاة الانوار

لا تدرك الكليات فلان القوة الباصرة لو ادركت كل ما في الوجود فهي ما ادركت الكل لان الكل عبارة عن كل ما يمكن
دخوله في الوجود في الماضي والحاضر والمستقبل • واما ان القوة العاقلة تدرك الكليات فلانا نعرف
ان الاشخاص مشتركة في الانسانية ومتباينة بخصوصياتها • وما به المشاركة غير ما به المباينة فالانسانية
من حيث هي انسانية امر مغاير لهذه المشخصات فقد عقلنا الماهية الكلية • واما ان ادراك الكليات اشرف
فلان ادراك الكليات ممتنع التغير وادراك الجزئيات واجب التغير • ولان ادراك الكلي يتضمن ادراك الجزئيات الد
الواقعة فيه لانه ما ثبت للماهية ثبت لجميع افرادها ولا ينعكس فثبت ان الادراك العقلي اشرف • الثالث
الادراك الحسي غير منتج والادراك العقلي منتج فوجب ان يكون العقلي اشرف • اما ان الادراك الحسي غير
منتج فلان من احس بشيء لا يمكن ذلك الاحساس سببا لحصول احساس آخر بل لو استعمل الحس مرة اخرى
لاحس به مرة اخرى ولكن ذلك لا يكون انتاجا لاحساس آخر • واما ان الادراك العقلي منتج فلانا اذا عقلنا
امورا ثم ركبناها في عقلنا توسلنا بتركيبها الى ايجاب علوم اخر وهكذا كل تعقل حاصل يمكن التوسل به الى تحصيل
تعقل آخر لا الى نهاية فثبت ان الادراك العقلي اشرف • الرابع الادراك الحسي لا يتسع لامور كثيرة والادراك
العقلي يتسع لها فوجب ان يكون الادراك العقلي اشرف • اما ان الادراك الحسي لا يتسع لها فلان البصر اذا
اذا توالى عليه انوار كثيرة عجز عن تمييزها فادرك لونا كانه حاصل من الاختلاط في تلك الالوان والسمع
اذا توالت عليه كلمات كثيرة التبست عليه تلك الكلمات ولم يحصل التمييز • واما ان ادراك العقل يتسع لها
ولان كل من كان تحصيله للعلوم اكثر كانت قدرته على كسب الجديد اسهل وبالعكس وذلك يوجب الحكم بان
الادراك العقلي اشرف • الخامس القوة الحسية اذا ادركت المحسوسات القوية ففي ذلك الوقت تعجز
عن ادراك الضعيفة فان من سمع الصوت الشديد ففي تلك الحالة لا يمكنه ان يسمع الصوت الضعيف والقوة
العقلية لا يشغلها معقول عن معقول • السادس القوى الحسية تضعف بعد مضي الاربعين وتضعف من كثرة
الافكار التي هي موجبة لاستيلاء النفس على البدن الذي هو موجب لخراب البدن • والقوى العقلية تقوى بعد
الاربعين • وتقوى عند كثرة الافكار الموجبة لخراب البدن فدل ذلك على استغنا القوة العقلية عن هذه
واحتياج القوى الحسية اليها • السابع القوى الباصرة لا تدرك المرئي مع القرب ولا مع البعد البعيد
والقوة العقلية لا يختلف حالها بحسب القرب والبعد فانها ترقى فوق العرش وتنزل الى ما تحت الثرى في اقل
من لحظة واحدة بل تدرك ذات الله وصفاته مع كونه منزها عن القرب والبعد والجهة فكانت القوة العقلية
اشرف • الثامن القوة الحسية لا تدرك من الاشيا الا ظواهرها فاذا ادركت الانسان فهي في الحقيقة ما ادركت
الانسان لانها ما ادركت الا السطح الظاهر من جسمه والا اللون القائم بذلك السطح • وبالاتفاق ليس الانسان
عبارة عن مجرد السطح واللون فالقوة الباصرة عاجزة عن النفوذ في الباطن • اما القوة العاقلة فان
باطن الاشيا وظاهرها بالنسبة اليها واحدة فتدرك البواطن والظواهر وتغوص فيها وفي اجزائها فكانت
القوة العاقلة نورا بالنسبة الى البواطن والظواهر • اما القوة الباصرة فهي بالنسبة الى الظواهر
نور وبالنسبة الى البواطن ظلمة فكانت القوة العاقلة اشرف من القوة الباصرة • التاسع ان مدرك القوة
العاقلة هو الله سبحانه وجميع افعاله • ومدرك القوة الباصرة هو الالوان والاشكال فوجب ان يكون
نسبة شرف القوة العاقلة الى القوة الباصرة كنسبة شرف ذات الله تعالى الى شرف الالوان والاشكال
العاشر القوة العاقلة تدرك جميع الموجودات والمعدومات والماهيات التي هي مفروضات الموجودات
والمعدومات ولذلك قد احاط بجميع الامور من بعض الوجوه • اما القوة الباصرة فانها لا تدرك الا
الاضواء والالوان وهما من اخس عوارض الاجسام والاجسام اخس من الجواهر الروحانية فكان متعلق
القوة الباصرة اخس الموجودات • واما متعلق القوة العاقلة فهو جميع الموجودات والمعدومات
فكانت القوة العاقلة اشرف • الحادي عشر القوة العاقلة تقوى على توحيد الكثير وتكثير الواحد • والقوة
الباصرة لا تقوى على ذلك • اما ان القوة العاقلة تقوى على توحيد الكثير فذاك لانها تضم الجنس الى
الفصل فيستحدث منها طبيعة نوعية واحدة • واما انها تقوى على تكثير الواحد فلانها تاخذ الانسان
وهو ماهية واحدة فتقسمها الى مفهوماتها والى عوارضها اللازمة وعوارضها المفارقة ثم يقسم مفهوماتها
الى الجنس والفصل • وفصل الفصل • وجنس الفصل • وفصل الجنس والى سائر الاجزا المفهومة
التي لا تعد من الاجناس ولا من الفصول • ثم لا يزال يأتي بهذا التقسيم في كل واحد من هذه الاقسام

حتى ينتهي من تلك المركبات الى البسائط الحقيقية • ثم يعتبر في العوارض اللازمة لتلك العوارض مفردة او مركبة
او لازمة بوسائط او بغير وسائط والقوة العاقلة كانها نفذت في اعماق الماهيات وتغلغلت فيها وميزت كل واحد
من اجزائها عن صاحبه وانزلت كل واحد منها في المكان اللائق به • واما القوة الباصرة فلا تطلع على احوال الماهيات
بل لا ترى الا امرا واحدا ولا تدري ما هو ولا كيف هو فظهر ان القوة العاقلة اشرف • الثاني عشر القوة العاقلة
تقوى على ادراكات غير متناهية • والقوة الحسية لا تقوى على ذلك • بيان الاول من وجوه • الاول ان القوة العاقلة
يمكنها ان تتوسل بالمعارف الحاضرة الى استنتاج المجهولات • ثم انها تجعل تلك النتائج مقدمات الى نتائج اخر لا الى
نهاية • وقد عرفت ان القوة الحساسة لا تقوى على الاستنتاج اصلا • الثاني ان القوة العاقلة تقوى على تعقل
مراتب الاعداد ولا نهاية لها • الثالث ان القوة العاقلة يمكنها ان تعقل نفسها وان تعقل انها عقلت وكذا الى غير النهاية
الرابع النسب والاضافات غير متناهية وهي معقولة لا محسوسة • فظهر ان القوة العاقلة اشرف • الثالث عشر
الانسان بقوته العاقلة يشارك الله سبحانه في ادراك الحقائق • وبقوته الحساسة يشارك البهائم • والنسبة
معتبرة فكانت القوة العاقلة اشرف • الرابع عشر العاقلة غنية في ادراكها العقلي عن وجود المعقول في الخارج
والقوة الحساسة محتاجة في ادراكها الحس الى وجود المحسوس في الخارج • والغني اشرف من المحتاج • الخامس عشر
هذه الموجودات الخارجة ممكنة لذواتها محتاجة الى الفاعل والفاعل لا يمكنه الايجاد على سبيل الاتفاق والا بعد
تقدم العلم فاذا وجود هذه الاشيا في الخارج تابع للادراك العقلي • واما الاحساس بها فلا شك انه تابع لوجودها
في الخارج فاذن القوة الحساسة تبع للقوة العاقلة • السادس عشر القوة العاقلة غير محتاجة في التعقل الى الآلات
بدليل ان الانسان لو اختلت حواسه الخمس فانه يعقل ان الواحد نصف الاثنين • وان الاشيا المساوية لشي واحد متساوية
واما القوة الحساسة فانها محتاجة الى الآلات الكثيرة والغني افضل من المحتاج • السابع عشر الادراك البصري لا يحس
الا بالشي الذي في الجهات • ثم انه غير متصرف في كل الجهات بل لا بد وان يكون مقابلا او ما هو في حكم المقابل • واحترزنا
بقولنا في حكم المقابل عن امور اربعة • الاول العرض فانه ليس بمقابل لانه ليس في المكان ولكنه في حكم المقابل لاجل كونه
قائما بالجسم الذي هو مقابل • الثاني رؤية الوجه في المرآة فان الشعاع يخرج من العين الى المرآة ثم يرتد منها الى الوجه
فيصير الوجه هو من هذا الاعتبار كالمقابل لنفسه • الثالث رؤية الانسان قفاه اذا جعل احدى المرآتين محاذية
لوجهه والاخرى لقفاه • والرابع رؤية ما لا يرى يتقابل بسبب انعطاف الشعاع في الرطوبات كما هو مشروح
في كتب المناظر • واما القوة العاقلة فانها مبراة عن الجهات فانها تعقل الاشيا التي ليست في الجهة • وكذلك تعقل
ان الشي اما ان يكون في الجهة او لا يكون في الجهة • وهذا الترديد لا يصح الا بعد تعقل قولنا ليس في الجهة
الثامن عشر القوة الباصرة تعجز عن الحجاب • واما القوة العاقلة كالامير والحساسة كالخادم • والامير اشرف
من الخادم • التاسع عشر القوة الباصرة فانها تدرك المتحرك ساكنا وبالعكس كالجالس في السفينة فانه قد
يدرك السفينة المتحركة ساكنة • والشط الساكن متحركا • ولولا العقل لما تميز خطا البصر عن صوابه • والعقل
حاكم والحس محكوم فثبت بما ذكرنا ان الادراك العقلي اشرف من الادراك البصري وكل من الادراك تقتضي قسمين
احدهما واجب الحصول عند سلامة الاحوال عند التعقلات النظرية • والثاني ما يكون مكتسبا وهي التعقلات
النظرية • اما النظرية ليست هي من لوازم جوهر الانسان لانه حال الطفولية لم يكن عالما البتة بهذه الانوار
النظرية حصلت بعد ان لم تكن فلا بد من سبب • واما النظريات فمعلوم ان الانسان فطرته الانسانية قد لا
تعرفها السامع في الاكثر • واذا كان كذلك فلا بد من هاد مرشد فوق كلام الله تعالى وفوق ارشاد الانبياء
فيكون منزلة آيات القرآن عند العقل بمنزلة نور الشمس عند العين الباصرة اذ به يتم الابصار فالحري ان يسمى
القرآن نورا كما يسمى نور الشمس • فنور القرآن يشبه نور الشمس ونور العقل يشبه نور العين • وبهذا
يظهر معنى قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا • وقوله قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم
نورا مبينا • واذا ثبت ان بيان الرسول اقوى من نور الشمس وجب ان يكون نفسه القدسية اعظم في النورانية
من الشمس وكما ان الشمس في عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها فكذا نفس النبي تفيد النور
العقلي لسائر الانفس البشرية ولا تستفيد النور العقلي من شي من الانفس البشرية فلذلك وصف الله تعالى
الشمس بانها سراج حيث قال وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا • ووصف محمدا بانه سراج منير اذا عرفت
هذا فنقول ثبت بالشواهد العقلية والنقلية ان الانوار الحاصلة في ارواح الانبيا مقتبسة من الانوار
الحاصلة في ارواح الملائكة قال تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشا من عباده وقال نزل به الروح الامين

الانسانية

كالمقابل

العقل حاكم والحس محكوم الادراك العقلي اشرف

حتى ينتهي من تلك

على قلبك وقال علمه شديد القوى وقال ان هو الا وحي يوحى • والوحي لا يكون الا بواسطة الملائكة • فاذا جعلنا ارواح الانبياء اشد استنارة من الشمس فارواح الملائكة التي هي كالمعادن لانوار نفوس الانبياء لا بد وان يكون اعظم من انوار ارواح الانبياء لان السبب لا بد وان يكون اقوى من المسبب • ثم نقول ثبت ايضا بالشواهد العقلية والنقلية ان الارواح السماوية مختلفة فبعضها مستفيدة وبعضها مفيدة قال تعالى في وصف جبرئيل مطاع ثم امين • واذا كان هو مطاع في الملائكة فالمطيعون له لا بد وان يكونوا تحته ومنه وقال وما منا الا له مقام معلوم • واذا ثبت هذا فالاولى ان يكون نورا من المفيد للعلة المذكورة • ولنذكر لبيان الانوار في عالم الارواح مثالا وهو ان ضوء الشمس وصل الى القمر ثم دخل في كوة بيت ووقف على مرآة منصوبة على حائط ثم انعكس منها الى حائط آخر نصب عليه مرآة اخرى • ثم انعكس منها الى طشت مملو من الماء قد وضع على الارض ثم انعكس منه الى سقف البيت • فالنور الاعظم في الشمس التي هي المعدن وثانيا في القمر وثالثا ما وصل الى المرآة الاولى ورابعا ما وصل الى المرآة الثانية • وخامسا ما وصل الى الماء • وسادسا ما وصل الى السقف وكلما كان اقرب الى المنبع الاول فانه اقوى مما هو ابعد منه فكذا الانوار السماوية لما كانت مرتبة لا جرم كان نور المفيد اشد اشراقا من نور المستفيد • ثم تلك الانوار لا تزال تكون مترقية حتى تنتهي الى النور الاعظم • والروح الذي هو اعظم الارواح منزلة عند الله وهو المراد من قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا • ثم نقول لا شك ان هذه الانوار الحسية سفلية كانت كانوار النيران او علوية كانوار الشمس والقمر والكواكب وكذا الانوار العقلية سفلية كانت كالارواح السفلية التي للانبياء والاولياء او علوية كالارواح التي هي للملائكة فانها باسرها ممكنة لذواتها والممكن لذاته يستحق العدم من ذاته • والوجود من غيره • والعدم هو الظلمة الخالصة والوجود هو النور وكل ما سوى الله مظلم لذاته مستنير بانارة الله تعالى وكذا جميع معارفها فهو وجود حاصل من وجود الله تعالى فالحق سبحانه هو الذي اظهرها بالوجود بعد ان كانت في ظلمات الجهالة فلا ظهور لشيء من الاشياء الا باظهاره • وخاصة النور اعطاء الاظهار والتجلي والانكشاف وعند هذا يظهر ان النور المطلق هو الله سبحانه وان اطلاق النور على غيره مجاز اذ كل ما سواه من حيث هو هو ظلمة محضة لانه من حيث هو عدم محض بل الانوار اذا نظر اليها من حيث هي هي فهي ظلمات لانها من حيث هي هي ممكنات • والممكن من حيث هو هو معدوم • والمعدوم مظلم والنور اذا نظر اليه من حيث هو هو فهو ظلمة اما اذا التفت الى جهة ان الحق فاض عليها نور الوجود فبهذا الاعتبار صارت انوارا فثبت انه سبحانه هو النور وان كل ما سواه فليس بنور الا على سبيل المجاز • ثم انه رحمه الله تكلم بعد هذا في امرين الاول انه سبحانه لم اضاف النور الى السموات والارض واجاب وقال قد عرفت ان السموات والارض مشحونة بالانوار العقلية والحسية • اما الحسية فما نشاهده في السموات من الكواكب والشمس والقمر وما نشاهده في الارض من الاشعة المنبسطة على سطوح الاجسام حتى ظهرت به الالوان المختلفة ولولاها لم يكن للالوان ظهور بل وجود • اما الانوار العقلية فالعالم الاعلى مشحون بها وهي جواهر الملائكة والعالم الاسفل مشحون بها وهي جواهر الملائكة القوة النباتية والحيوانية والانسانية • وبالنور الانساني السفلي ظهر نظام العالم السفلي كما بالنور الملكي ظهر نظام العالم العلوي وهو المعنى بقوله استخلفكم في الارض وقال ويجعلكم خلفاء الارض • فاذا عرفت هذا عرفت ان العالم باسره مشحون بالانوار الظاهرة والباطنة البصرية والعقلية • ثم عرفت ان السفلية فايضة بعضها من بعض فيضان النور من السراج فان الروح النبوي ثم ان الانوار النبوية القدسية مقتبسة من الانوار العلوية اقتباس السراج من النور وان العلويات مقتبسة بعضها من بعض وان بينها ترتيبا في المقامات ثم ترتقي جملتها الى نور الانوار ومعدنها ومنبعها الاول فان ذلك هو الله وحده لا شريك له فاذن الكل نوره • فلهذا قال الله نور السموات والارض • الثاني لما كان الله سبحانه هو النور فلم احتيج في اثباته الى البرهان اجاب فقال ان معنى كونه نورا للسموات والارض تعرفه بالنسبة الى النور الظاهر البصري فاذا رايت خضرة الربيع في ضياء النهار فلا تشك في انك ترى الالوان فربما ظننت انك لا ترى مع الالوان غيرها فانك تقول لست ارى مع الخضرة غير الخضرة الا انك عند غروب الشمس تدرك بمعرفة ضرورية تميز اللون حال وقوع الضوء عليه وحال عدم وقوعه عليه فلا جرم يدرك ان النور معنى غير الالوان تدرك مع الالوان الا انه كان لشدة اتحاده لا تدرك • ولشدة ظهوره يختفي فقد يكون الظهور سبب الخفاء اذا عرفت هذا فاعلم انه كما ظهر كل شيء للبصر بالنور الظاهر فقد يظهر كل شيء للبصيرة الباطنة بالله

ونوره الحا

ونوره الحاصل مع كل شيء لا يفارقه ولكن بقي ها هنا تفاوت وهو ان النور الظاهر يتصور ان يذهب بغروب الشمس ويحتجب فحينئذ يظهر انه غير اللون • واما النور الالهي الذي ظهر بنوره كل شيء لا يتصور غيبته لا نهدت السموات والارض ولا درك عنده من التفرقة ما يحصل العلم الضروري ولكنه لما تساوت الاشياء كلها على نمط واحد في الشهادة على وجود خالقها اذ كل شيء يسبح بحمده لا بعض الاشياء وفي جميع الاوقات لا في بعض الاوقات ارتفعت التفرقة وخفي الطريق اذ الطريق الظاهر معرفة الاشياء بالاضداد كما لا ضد له ولا يعتريه فرق • متشابه الاحوال فلا يبعد ان يخفى ويكون خفاؤه لشدة جلائه فسبحان من اختفى عن الخلق لشدة ظهوره • واحتجب عنهم باشراق نوره • واعلم ان هذا الكلام الذي رويناه عن الشيخ الغزالي رحمه الله كلام مستطاب ولكن يرجع حاصله بعد التحقيق الى معنى كونه سبحانه نورا انه خالق القوى الدراكة وهو المعنى من قولنا معنى كونه نور السموات والارض لا تفاوت بين ما قاله وبين الذي نقلناه عن المفسرين في المعنى والله اعلم **الفصل الثاني** في تفسير قوله ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما ادرك بصره • وفي بعض الروايات سبعمائة • وفي بعضها سبعون الفا • فاقول لما ثبت ان الله سبحانه متجل في ذاته لذاته كان الحجاب بالاضافة الى المحجوب لا محالة والمحجوب لا بد وان يكون محجوبا • اما الحجاب مركب من نور وظلمة • واما حجاب من نور فقط • اما المحجوب بالظلمة عرفنا ان ما سوى الله فهو من حيث هو هو مظلم وانما كان مستنيرا من حيث استنار النور من حضرة الله • ثم اشتغل بالجسمانيات من حيث هي هي وصار ذلك الاشتغال حائلا له عن الالتفات الى جانب النور كان حجابه محض الظلمة • ولما كان انواع الاشتغال بالعلائق البدنية خارجة عن الحد والحصر فكذا انواع الحجب الظلمانية خارجة عن الحد والحصر فكذا انواع الحجب الظلمانية خارجة • القسم الثاني المحجوبون بالحجب الممزوجة من النور والظلمة • فاعلم ان من نظر الى هذه المحسوسات فاما ان يعتقد فيها انها غنية عن المؤثر او يعتقد فيها انها محتاجة • فان اعتقد فيها انها غنية فهذا حجاب ممزوج من نور وظلمة • اما النور فلانه يتصور ماهية الاستغناء عن الغير وذلك من صفات جلال الله وهو من صفات النور • واما الظلمة فلانه اعتقد حصول ذلك الوصف في هذه الاجسام مع ان ذلك الوصف لا يليق بهذا الموصوف وهذا ظلمة فثبت ان هذا حجاب ممزوج من نور وظلمة • ثم اصناف هذا القسم كثيرة فان في الناس من يعتقد ان الممكن غني عن المؤثر ومنهم من يسلم ذلك لكنه يقول المؤثر فيها طبايعها او حركاتها او اجتماعها او افتراقها او نسبها الى حركاتها فاولئك او الى حركاتها وكل هؤلاء من هذا القسم • القسم الثالث الحجب النورية المحضة • واعلم انه لا سبيل الى معرفة الحق سبحانه الا بواسطة الصفات الثلاثية والاضافة ولا نهاية لهذه الصفات ولمراتبها • فالعقل لا يزال يكون مترقيا فيها فان وصل الى درجة وبقي فيها كان استقراره في مشاهدة تلك الدرجة حجابا عن الترقي الى ما فوقها • ولما كان لا نهاية لهذه الدرجات كان لا نهاية لهذه الحجب في السير والانتقال • واما حقيقة الحجب المخصوصة فهي محتجبة عن كل فقد اشرنا الى الكيفية مراتب الحجب **الفصل الثالث** في كيفية التمثيل اعلم ان الذي في التشبيه من امرين المشبه والمشبه به • واختلف الناس في ان هذا المشبه اي شيء وذكروا وجوها الاول هو قول جمهور المتكلمين في نصره القاضي ان المراد الهدى التي هو الدلائل البينات والمعنى ان هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلاء الى اقصى الغايات • وصارت في ذلك بمنزلة المشكاة يكون فيها زجاجة صافية • وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء • فان قيل لم شبهه بذلك وقد علمنا ان ضوء الشمس ابلغ من ذلك بكثير قلنا انه سبحانه اراد ان يصف الضوء الكامل الذي يلوح وسط الظلمة لان الغالب على اوهام الخلق وخيالاتهم انما هي الشبهات التي هي كالظلمات وهداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل الذي يظهر فيما بين الظلمات • وهذا المقصود لا يحصل من ضوء الشمس لان ضوءها اذا ظهر امتلأ العالم من النور الخالص • واذا غاب امتلأ العالم من الظلمة فلا جرم كان ذلك المثل ها هنا اليق واوفق • واعلم ان الامور التي اعتبرها الله في هذا المثال توجب كمال النور فاولها المصباح لان المصباح اذا لم يكن في المشكاة تفرقت اشعته اما اذا وضع في المشكاة اجتمعت اشعته فكانت اكثر انارة والذي يحقق ذلك ان المصباح اذا كان في بيت صغير فانه يظهر من ضوئه اكثر مما يظهر في البيت الكبير • وثانيها المصباح اذا كان في زجاجة صافية فان الاشعة المنفصلة عن المصباح تنعكس من بعض جوانب الزجاجة الى البعض لما في الزجاجة من الصفاء والشفافية وبسبب ذلك يزداد الضوء والنور والذي يحقق ذلك ان شعاع الشمس اذا وقع على الزجاجة الصافية تضاعف الضوء الظاهر حتى انه يظهر فيما يقابله مثل ذلك الضوء فاذا انعكست تلك الاشعة من كل واحد من جوانب الزجاجة الى الجانب الآخر كثرت الانوار والاضواء وبلغت النهاية الممكنة وثالثها ان ضوء المصباح يختلف بحسب اختلاف ما يتقد به فاذا كان ذلك الدهن صافيا خالصا كانت حالته

اعلم انه لا بد في التشبيه من امرين المشبه والمشبه به

بخلاف حالها اذا كان كدرا وليس في الادهان التي توقد بها يظهر فيه من الصفا مثل الذي يظهر في الزيت فربما يبلغ في
الصفا والرقة مبلغ الماء مع زيادة بياض فيه وشعاع يتردد في اجزائه ۞ ورابعها ان هذا الزيت يختلف باختلاف
شجره فاذا كانت لا شرقية ولا غربية بمعنى انها كانت بارزة للشمس في كل حال فانه يكون زيتونه اشد نضجا
وكان زيته اشد صفا واقرب الى ان يتميز صفوه من كدره لان زيادة الشمس تؤثر في ذلك ۞ واذا اجتمعت
هذه الامور الاربعة وتعاضدت صار ذلك الضوء خالصا كاملا فيحمل ان يجعل مثلا لهداية الله ۞ وثانيها ان
المراد هو الرسول لانه المرشد ولانه قال في وصفه وسراجا منيرا وهذان القولان داخلان في القول
الاول لان من جملة انواع الهداية انزال الكتب وبعثة الرسل قال الله تعالى في صفة الكتب ۞ وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقال في صفة الرسل رسلا مبشرين ومنذرين
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ۞ ورابعها ان المراد منه ما في قلب المؤمن من معرفة الله ومعرفة الشرايع
ويدل عليه ان الله تعالى وصف الايمان بانه نور من ربه وقال تعالى يخرج الناس من الظلمات الى النور وحاصله حمل الهدى
على الاهتدا والمقصود من التمثيل ان ايمان المؤمن قد بلغ في الصفا النهاية وامتاز عن ظلمات الضلالة لانه مبلغ
السراج المذكور وهو قول ابي بن كعب وابن عباس قالا في مثل نور المؤمنين وهكذا كان يقرا ۞ وقيل انه كان يقرا مثل نور
من امن به وقال ابن عباس مثل نوره في قلب المؤمن ۞ وخامسها ما ذكره الغزالي رحمه الله وهو انا بينا ان للقوى
الدراكة انوارا ومراتب القوى المدركة الانسانية خمس ۞ احدها القوة الحساسة وهي التي تتلقى ما يدركه
الحواس الخمس ۞ وكانها اصل الروح الحيواني واوله اذ به يصير الحيوان حيوانا وهو موجود ۞ وثانيها القوة الخيالية
وهي التي تستثبت ما يورده الحواس وتحفظه لتعرضه على القوة العقلية التي فوقه عند الحاجة اليه ۞ وثالثها
القوة العقلية المدركة للحقايق الكلية ۞ ورابعها القوة الفكرية وهي التي تاخذ المعارف العقلية فتالفها تاليفات
تستنتج من تاليفها علم المجهول ۞ وخامسها القوة القدسية التي تختص بها الانبيا وبعض الاوليا وتلوح فيها لوايح
الغيب واسرار الملكوت ۞ واليها الاشارة بقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشا من عبادنا ۞ واذا عرفت هذه القوى وتحملها الانوار فهي نظير المشكاة
والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت ۞ اما الروح الحساس فاذا نظرت الى خاصيته وجدت انواره خارجة
من ثقب كالعينين والاذنين والمنخرين واوفق مثال له من عالم الاجسام المشكاة ۞ واما الثاني وهو الروح الخيالي
فيجد له خواص ثلاثة ۞ الاولى انه من طينة العالم السفلي الكثيف لان الشي المتخيل ذو قدر وشكل وحيز ۞ ومن
شان العلايق الجسمانية ان تحجب عن الانوار العقلية المحضة التي هي التعقلات الكلية المجردة ۞ الثانية ان هذا
الخيال الكثيف اذا رقق وصفي وهذب صار موازيا للمعاني العقلية ومؤديا لانوارها ۞ وغير حايل عن اشراق نورها
ولذلك فان المعبر يستدل بالصور الخيالية على المعاني العقلية كما يستدل بالشمس على الملك وبالقمر على الوزير وبمن
يختم فروج الناس وافواههم انه يؤذن قبل الصبح ۞ الثالث ان الخيال في بداية الامر يحتاج اليه جدا لينضبط بها
المعارف العقلية ولا تضطرب فنعم المعين المثالات الخيالية للمعارف العقلية وانك لا تجد شيا من الاجسام يشبه
الخيال في هذه الصفات الثلاث الا الزجاجة فانها في الاصل من جوهر كثيف ولكن صفي ورقق حتى صار لا يحجب نور
المصباح بل يؤديه على وجهه ثم يحفظه عن الانطفا بالرياح العاصفة ۞ واما الثالث وهو القوة العقلية القوية
على ادراك الماهيات الكلية والمعارف الالهية ولا يخفى عليك وجه تمثيله بالمصباح وقد عرفت هذا حيث بينا كون
الانبيا سراجا منيرة ۞ واما الرابع وهو القوة الفكرية فمن خاصيتها انها تاخذ ماهية واحدة ثم تقسمها الى قسمين
كقولنا الموجود واجب وممكن وتجعل كل قسم مرة اخرى قسمين وهكذا الى ان يكثر الشعب بالتقسيمات العقلية ثم يفضي
بالاخرة الى نتايج هي ثمراتها ثم تعود فتجعل تلك الثمرات بذورا لامثالها حتى تتادى الى ثمرات لا نهاية لها ۞ فبالحرى
ان يكون مثاله من هذا العالم الشجرة ۞ واذا كانت ثمارها مادة لتزايد انوار المعارف وثباتها فبالحرى ان لا يمثل بشجرة
التفاح بل بشجرة الزيتون خاصة لان لب ثمرتها هذا الزيت الذي هو مادة المصباح وله من بين ساير الادهان خاصية
بزيادة الاشراق وقلة الدخان ۞ واذا كانت الماشية التي يكثر دهنها ونسلها والشجرة التي يكثر ثمرها مباركة ۞ فالذي
لا يتناهى الى حد محدود اولى ان يسمى شجرة مباركة ۞ واذا كانت شعب الاركان العقلية المحضة مجردة عن لواحق الاجسام
فبالحرى ان لا تكون شرقية ولا غربية ۞ واما الخامس وهو القوة القدسية النبوية فهي في نهاية الشرف والصفا
فان القوة الفكرية تنقسم الى ما يحتاج الى تعلم وتنبيه والى ما لا يحتاج اليه ولا بد من وجود هذا القسم قطعا للتسلسل
فبالحرى ان نعبر عن هذا القسم لكماله وصفايه وشدة استعداده بانه يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار فهذا المثال موافق لهذا

الخامس من الثالث

القسم ولما كانت هذه الانوار مرتبة بعضها على بعض فالحس الذي هو الاول هو كالمقدمة للخيال والخيال كالمقدمة
للعقل ۞ فبالحرى ان تكون المشكاة كالظرف للزجاجة التي هي كالظرف للمصباح ۞ وسادسها ما ذكره ابو علي بن سينا
فانه قد نزل هذه الامثلة الخمسة على مراتب ادراكات النفس الانسانية التي هي قابلة للمعارف الكلية والادراكات
المجردة ۞ ثم انها في اول الامر تكون خالية عن جميع هذه المعارف فهناك تسمى عقلا هيولانيا وهي المشكاة ۞ وفي المرتبة
الثانية تحصل فيها العلوم البديهية التي يمكن التوصل بتركيبها الى اكتساب العلوم النظرية ۞ ثم ان امكنه الانتقال
ان كانت ضعيفة فهي الشجرة وان كانت اقوى من ذلك فهي الزيت ۞ وان كانت شديدة القوة جدا فهي الزجاجة التي
تكون كالكوكب الدري وان كانت في النهاية القصوى فهي النفس القدسية وهي التي يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه
نار ۞ وفي المرتبة الثالثة تكتسب من العلوم الضرورية العلوم النظرية الا انها لا تكون حاضرة بالفعل ولكنها تكون بحيث
متى شا صاحبها استحضارها قدر عليه ۞ وهذا المصباح يسمى عقلا بالفعل ۞ وفي المرتبة الرابعة ان تكون تلك المعارف
الضرورية والنظرية حاضرة بالفعل ويكون صاحبها كانه ينظر اليها ۞ وهذا يسمى عقلا مستفادا وهو نور على نور لان
الملايكة نور وحضور ما عليه الملايكة نور اخر ۞ ثم زعم ان هذه العلوم التي تحصل في الارواح البشرية انما تحصل من جوهر
روحاني يسمى بالعقل الفعال وهو مدبر ما تحت كرة النار ۞ وسابعها قول بعض الصوفية وهو انه سبحانه شبه
الصدر بالمشكاة والقلب بالزجاجة ۞ والمعرفة بالمصباح وهذا المصباح انما توقد من شجرة مباركة وهي الهام
الملايكة لقوله تعالى ينزل الملايكة بالروح من امره على من يشا من عباده ۞ وقوله نزل به الروح الامين على قلبك
وانما شبه الملايكة بالشجرة المباركة لكثرة منافعهم وانما وصفهم بانهم لا شرقية ولا غربية لانها روحانية وانما
وصفهم بقوله يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار لكثرة علومها وشدة اطلاعها على اسرار ملكوت الله فظهر ههنا
ان المشبه غير المشبه به ۞ وثامنها قال مقاتل مثل نوره اي مثل الايمان في قلب محمد كمشكاة فيها المصباح فنظير
المشكاة صلب عبد الله ۞ والزجاجة نظير اسمعيل عليه السلام والمصباح نظير جسد محمد عليه الصلاة والسلام
والشجرة النبوة والرسالة ۞ وتاسعها ان قوله مثل نوره راجع الى المؤمن وهو قول ابي بن كعب وكان يقرا مثل نور
المؤمنين وهو قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك ۞ واعلم ان القول الاول هو المختار لان الله تعالى ذكر قبل
هذه الاية ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات ۞ واذا كان المراد مثل نوره اي مثل هداه وبيانه كان ذلك مطابقا لما قبله
ولانا لما فسرنا قوله الله نور السموات بانه هادي اهل السموات فاذا فسرنا مثل نوره بان المراد مثل هداه كان ذلك
مطابقا لما قبله ۞ الفصل الرابع في بقية المباحث في هذه الاية ۞ وفيه مسايل المسئلة الاولى المشكاة
الكوة في الجدار غير النافذة هذا القول المشهور وذكروا فيه وجوها ۞ احدها قال ابن عباس وابو موسى الاشعري المشكاة
القنديل وهو قول مجاهد والقرظي ۞ والثاني قول الزجاج هي قصبة القنديل من الزجاجة التي توضع فيها الفتيلة
والثالث قال الضحاك هي الحلقة التي يعلق بها القنديل والاول هو الاصح المسئلة الثانية زعموا ان المشكاة
هي الكوة بلغة الحبشة قال الزجاج والمشكاة من كلام العرب ومثلها الشكوة وهي الزق الصغير المسئلة الثالثة
قال بعضهم هذه الاية من المقلوب ۞ والتقدير مثل نوره في مشكاة لان المشبه به هو ان يكون معدنا للنور ومنبعا له
وذلك هو المصباح لا المشكاة المسئلة الرابعة المصباح السراج واصله من الضوء ومنه الصبح المسئلة الخامسة
في زجاجة بضم الزاي والفتح والكسر ۞ واما دري فقرئ من غير همز وهو القراة المعروفة ومعناه انه يشبه الدر بصفايه
ولمعانه وقال عليه السلام انكم ترون اهل العلى كما ترون الكواكب ۞ والثاني كذلك الا انهم اظهروا الهمزة وهو قراة حمزة
وعاصم في رواية ابي بكر فصار بعض اهل العربية الى انه كسر قال سيبويه وهذا اضعف اللغات وهو ماخوذ من
الضوء بتلالاؤ وليس بمنسوب الى الدر قال ابو علي وجه هذه القراة انه فعيل من الدر وهو الدفع وانه صفة وانه
في الصفة مثل المريق في الاسم ۞ الثالث ضم الدال وتخفيف الراء والياء من غير مد قال الفرا هو فعيل من الدرء وهو
الدفع اي كان ضوؤه يدفع بعضه بعضا من لمعانه ۞ الرابع بكسر الدال وتشديد الراء من غير همز ولا مد وهو قراة ابن خليد
وعتبة بن حماد عن نافع ۞ اما القراة فيها وجوه اربعة ۞ الاول بفتح الدال وتشديد الراء والمد والهمز عن الاعمش والثاني
بفتح الدال وتشديد الراء من غير مد ولا همز عن الحسن ومجاهد وقتادة ۞ الثالث بفتح الدال وتخفيف الراء مهموز عن غير مد
ولايا عن عاصم ۞ الرابع كذلك الا انه غير مهموز وتخفيفه بدل الهمزة ۞ اما قوله توقد فالقراة المعروفة بانفتاح الاربعة
وتشديد القاف بوزن تفعل ۞ وعن الحسن ومجاهد وقتادة كذلك الا انهم يضمون الدال ويشددون القاف ۞ وذكر
صاحب الكشاف يوقد بفتح اليا بنقطتين من تحتها والواو والقاف وتشديدها ۞ ورفع الدال وحذف التا لاجتماع
حرفين زايدين وهو غريب ۞ وعن سعيد بن جبير يا مضمومة واسكان الواو وفتح القاف مخففة ورفع الدال ۞ وعن

المصباح السراج واصله من الضوء ومنه الصبح

بيان
نفتح الدال وتخفيف الراء مهموز

نافع وحفص كذلك الا انه بالتاء • وعن طلحة توقد بتا مضمومة وواو ساكنة وكسر القاف وتحقيقها المسئلة
السادسة كانها كوكب دري اي نجم مضي ودراري النجوم عظامها • واتفقوا على ان المراد به كوكب من الكواكب
المضيية كالزهرة والمشتري • والثوابت التي في القدر الاول المسئلة السابعة قوله من شجرة مباركة
اي من زيت شجرة مباركة اي كثيرة البركة والنفع • وقيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقد بارك فيها سبعون نبيا
منهم الخليل عم • وقيل المراد زيتون الشام لانها هي الارض المباركة • فلهذا جعل الله هذه الشجرة مباركة المسئلة الثا[منة]
اختلف في معنى وصف الشجرة بانها لا شرقية ولا غربية على وجوه • احدها قال الحسن انها شجرة الزيت من الجنة
اذ لو كانت من شجر الدنيا لكانت اما شرقية او غربية وهذا ضعيف لانه تعا ضرب المثل بما شاهدوه وهم ما
شاهدوا شجر الجنة • وثانيها ان المراد شجر الزيتون في الشام لان الشام وسط الدنيا فلا يوصف شجرها
بانها شرقية ولا غربية • وهذا ايضا ضعيف لان من قال الارض كرة لم يثبت المشرق والمغرب موضعين بل الكل
يوم مشرق ومغرب على حدة ولان المثل مضروب لكل من يعرف الزيت وقد يوجد في غير الشام لوجوده فيها • وثالثها
انها شجرة يلتف بها الاشجار فلا تصيبها الشمس في شرق ولا غرب • ومنهم من قال هي شجرة يلتف بها ورقها التفافا
شديدا فلا تصل اليها الشمس سوا كانت الشمس شرقية او غربية بما نورق من اوله الى اخره مثل الزيتون والرمان
وهذا ايضا ضعيف لان الغرض صفا الزيت وهذا لا يحصل الا بكمال نضج الزيتون • وذلك انما يحصل في العادة
بوصول اثر الشمس اليه لا بعدم وصوله • ورابعها قال ابن عباس المراد الشجر الذي يبرز على شجر عال او صحرا
واسعة فتطلع عليها الشمس حالتي الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة واختيار
الفرا والزجاج قالا ومعناه لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها ولكنها شرقية وغربية وهذا كما يقال فلان
لا مسافر ولا مقيم اذا كان مسافرا ومقيما وهذا القول هو المختار لان الشجرة متى كانت كذلك كان زيتها في نهاية الصفا
وحينئذ يكون مقصود التمثيل اكمل واتم • وخامسها المشكاة صدر محمد والمصباح ما في قلب محمد من الدين توقد من شجرة
مباركة يعني واتبع ملة ابيكم ابرهيم فقال لا شرقية ولا غربية اي لم يكن يصلي قبل المشرق ولا قبل المغرب كاليهود والنصارى
بل كان عليه الصلاة والسلام يصلي الى الكعبة المسئلة التاسعة وصف الله زيتها بانه يكاد يضي ولو لم تمسسه
نار لان الزيت اذا كان صافيا خالصا ثم رئي من بعيد يرى كان له شعاعا واذا مسه النار ازداد ضوءا على ضوء كذلك قلب
المؤمن يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد نورا على نور وهدى على هدى قال يحيى بن سلام قلب
المؤمن يعرف الحق قبل ان يتبين له بالفراسة وهو المراد من قوله عليه الصلاة والسلام اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر
بنور الله قال كعب الاحبار المراد من الزيت نور محمد عليه السلام اي يكاد نوره يتبين قبل ان يتكلم وقال الضحاك
يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحي قال عبد الله بن الزبير لو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر
المسئلة العاشرة قوله نور على نور المراد ترادف هذه الانوار واجتماعها قال ابي بن كعب المؤمن بين اربع خلال
ان اعطي شكر • وان ابتلي صبر • وان قال صدق • وان حكم عدل • فهو في سائر الناس كالرجل الحي يتقلب في خمس
من النور • كلامه نور • وعلمه نور • ومدخله نور • ومخرجه نور • ومصيره الى النور يوم القيمة قال الربيع
سالت ابا العالية عن مدخله ومخرجه قال سره وعلانيته المسئلة الحادية عشر قال الجبائي دلت الآية
على ان من جهل فمن قبله اتي والا فالادلة واضحة • ولو نظروا فيها لعرفوا قال اصحابنا هذه الاية صريح مذهبنا
فانه سبحانه تعالى بين ان هذه الدلائل التي بلغت في الظهور والوضوح الى هذا الحد الذي لا يمكن الزيادة عليه قال
يهدي الله لنوره من يشا يعني وضوح هذه الدلائل لا يكفي ولا ينفع ما لم يخلق الله الايمان ولا يمكن ان يكون المراد
من قوله يهدي الله لنوره ايضاح الادلة لانا لما حملنا النور على ايضاح الادلة لم يجز حمل الهدى عليه ايضا
والا لخرج الكلام عن الفائدة فلم يبق الا حمل الهدى على خلق العلم اجاب ابو مسلم عنه من وجهين • الاول
ان قوله يهدي الله لنوره محمول على زيادات الهدى الذي هو كالضد للخذلان الحاصل • الثاني انه سبحانه
يهدي لنوره الى طريق هو طريق الجنة من يشا وشبهه بقوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم
جنات • وزيف القاضي عبد الجبار هذين الجوابين • اما الاول فلان الكلام المتقدم في ذكر الايات المنزلة فاذا
حملناه على الهدى دخل الكل فيه • واذا حملناه على الزيادة لم يدخل الا البعض • واما الثاني فلانا اذا حملنا
على طريق الجنة لم يكن له اختلاف فيه اصلا لا من حيث المعنى ولا من حيث اللفظ • ولما زيف هذين الجوابين
قال الاولى ان يقال انه تعا هدى بذلك البعض دون البعض وهم الذين بلغهم حد التكليف • واعلم ان هذا
القول اضعف من الجوابين الاولين لان قوله يهدي الله لنوره من يشا يفهم منه ان هذه الايات مع وضوحها

لا يكفي

لا يكفي وهذا لا يتناول الصبي والمجنون فيسقط ما قالوه المسئلة الثانية عشر قوله ويضرب الله الامثال للناس
فالمراد به المكلفون من الناس وهم النبي ومن بعث اليه وانه ذكر ذلك في معرض النعمة العظيمة وقد استدل به المعتزلة
فقالوا انما يكون ذلك نعمة عظيمة لو امكنهم الانتفاع به ولو كان الكل بخلق الله لما تمكنوا من الانتفاع به وجوابه ما تقدم
ثم بين انه سبحانه بكل شي عليم وذلك وعيد لمن لا يعتبر ولا يتفكر في اثاره ولا ينظر في ادلته فيعرف وضوحها وبعدها
من الشبهات • قوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا
تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتا الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار
ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشا بغير حساب اعلم ان في الاية مسايل المسئلة الاو[لى]
قوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع يقتضي محذوفا يكون فيها وذكروا وجوها • احدها ان التقدير كمشكاة فيها مصباح
في بيوت اذن الله وهو اختيار كثير من المحققين اعترض ابو مسلم ابن بحر الاصفهاني عليه من وجهين • احدهما ان المقصود
من ذكر المصباح المثل وكون المصباح في بيوت لا يزيد في هذا المقصود لان ذلك لا يزيد المصباح انارة واضاة • الثاني
ان ما تقدم ذكره فيه يقتضي كونه واحدا كقوله كمشكاة • وقوله فيها مصباح • وقوله في زجاجة • وقوله كانها
كوكب دري • ولفظ البيوت جمع ولا يصح كون الواحد في كل البيوت الجواب عن الاول ان المصباح الموضوع في
الزجاجة الصافية اذا كان في المساجد كان اعظم واضوا وكان اضوا فكان التمثيل به اتم واكمل فيدخل تحته كل مشكاة
فيها مصباح في زجاجة توقد من الزيت وتكون الفائدة في ذلك ان ضوءها يظهر في هذه البيوت بالليالي عند الحاجة الى
عبادة الله تعالى فلو ان رجلا قال الذي يصلح لخدمتي رجل يرجع الى علم وكفاية وقناعة يلزم بيته لكان وان ذكر بلفظ
الواحد فالمراد النوع فكذا ما ذكره الله سبحانه في هذه الاية • وثانيها التقدير توقد من شجرة مباركة في بيوت اذن الله
وثالثها وهو قول ابي مسلم انه راجع الى قوله ومثلا من الذين خلوا من قبلكم في بيوت اذن الله ان ترفع ويكون المراد بالذين
خلوا الانبيا والمومنين والبيوت المساجد وقد اقتص الله اخبار الانبيا وذكر مساكنهم فسماها محاريب بقوله اذ
تسوروا المحراب • دخل عليها زكريا المحراب فيقول ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات • وانزلنا اقاصيص من بعث من
قبلكم من الانبيا والمومنين في بيوت اذن الله ان ترفع • ورابعها وهو قول الكسائي انه كلام مستانف لا تعلق له بما تقدم
والتقدير صلوا في بيوت اذن الله ان ترفع • وخامسها قول الفرا والزجاج انه لا حذف في الاية بل فيه تقديم وتاخير كانه قال
تسبح في بيوت اذن الله ان ترفع رجال صفتهم كيت وكيت • واما قول ابي مسلم فقد اعترض القاضي عليه من وجهين • الاول
ان قوله ومثلا من الذين خلوا من قبلكم المراد منه حال المكذبين للرسل لتعلقه بما تعلق من الاكراه على الزنا ابتغا الدنيا فلا
يليق ذلك بوصف هذه البيوت بانها بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه • الثاني ان هذه الاية صارت منقطعة عن تلك
الاية بما حال بينها من قوله تعالى الله نور السموات والارض • واما قول الجبائي فقبول الاضمار لا يجوز المصير اليه الا عند الضرورة
وعلى التاويل الذي ذكره الفرا والزجاج لا حاجة اليه ولا يجوز المصير اليه • فان قيل قول الزجاج يتوجه عليه اشكال
ايضا لان على قوله يصير المعنى في بيوت اذن الله ان يسبح له فيها فيكون قوله فيها تكرارا من غير فايدة فلم قلتم ان تحمل هذه الزيادة
اولى من تحمل ذلك النقصان • قلنا الزيادة لاجل التاكيد كثيرة فكان المصير اليه اولى المسئلة الثانية اكثر المفسرين قالوا المراد
من قوله في بيوت المساجد • وعن عكرمة في بيوت قال هي البيوت كلها • والاول اولى لوجهين • الاول ان في البيوت ما لا يمكن
ان يوصف باذن الله ان ترفع • الثاني انه تعا وصفها بالذكر والتسبيح والصلاة وذلك لا يليق الا بالمساجد ثم للقايلين
بان المراد هو المساجد قولان • احدهما ان المراد اربع مساجد الكعبة بناها ابرهيم واسمعيل عليهما السلام • وبيت المقدس
بناه داود وسليمان عليهما السلام • ومسجد المدينة بناه النبي عليه الصلاة والسلام • ومسجد قبا الذي اسس على التقوى
بناه النبي صلى الله عليه وسلم • وعن الحسن هو بيت المقدس يسرج فيه عشرة الاف قنديل • والثاني ان المراد هو جميع المسا[جد]
قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الارض وهي تضي لاهل السما كما تضي النجوم لاهل الارضين المسئلة الثالثة
اختلفوا في المراد من قوله ان ترفع على اقوال • احدها المراد من رفعها بناؤها لقوله بناها رفع سمكها واذ يرفع ابرهيم
القواعد من البيت عن ابن عباس هي المساجد امر الله ان تبنى • وثانيها ترفع اي تعظم وتطهر عن الانجاس وعن اللغو من
الافعال عن الزجاج • وثالثها المراد مجموع الامرين • والقول الثاني اولى لان قوله في بيوت اذن الله ان ترفع ظاهره
انها كانت بيوتا قبل الرفع فاذن الله ان ترفع المسئلة الرابعة اختلفوا في المراد من قوله ويذكر فيها اسمه • فالقول الاول
انه عام في كل ذكر • والثاني انه يتلى فيها كتابه عن ابن عباس • والثالث لا يتكلم فيها بما لا ينبغي • والاول اولى لعموم اللفظ
المسئلة الخامسة قرا عاصم وابن عامر يسبح بفتح البا والباقون بكسرها فقيل القراة بالفتح اولى لتقدير ان يكون الفعل مسندا الى احد
الظروف الثلاثة اعني له فيها بالغدو • ثم قال الزجاج رجال مرفوع لانه فاعل كانه قال يسبح له فيها فكانه قيل من يسبح قيل رجال

بيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام

المسئلة السادسة اختلفوا فى هذا التسبيح فالاكثرون حملوه على نفس الصلاة • ثم اختلفوا فمنهم من حمله
على كل الصلاة الخمس • ومنهم من حمله على صلاة الصبح والعصر فقال كانتا واجبتين فى بدو الحال • ومنهم من حمله على
كل صلاة حيث قال عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وهذا الوجه اظهر المسئلة السابعة الاصال جمع
اصيل • والاصل جمع اصال وهو العشى وانما وحد الغدو لانه فى الاصل مصدر لا يجمع والاصيل اسم فجمع قال
صاحب الكشاف وارباب الغدو اى بالغدوات • وقرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل • يقال آصل كاعصر
واظهر قال ابن عباس ان صلاة الضحى لفى كتاب الله • وقرا هذه الاية • وروى ابو هريرة عن النبى عليه السلام قال
ما من احد يغدو ويروح الى المسجد يؤثره على ما سواه الا وله عند الله نزل يعد له فى الجنة • وفى رواية سهل بن سعد
مرفوعا من غدا الى المسجد وراح ليتعلم خيرا او يعلمه كان كالمجاهد فى سبيل الله رجع غانما المسئلة الثامنة
اختلفوا فى قوله لا تلهيهم تجارة فقال بعضهم نفى كونهم تجارا او باعة اصلا وقال بعضهم بل اثبتهم تجارا وباعة
ومن انهم مع ذلك لا يشغلهم عنها شاغل من ضروب منافع التجارات وهذا قول الاكثرين • وقال الحسن اما والله ان
كانوا ليتجرون ولكن اذا جاءت فرايض الله لم يلهيهم عنها شى فقاموا بالصلاة والزكاة • وعن سالم نظر الى قوم من اهل السوق
فذكر ابتياعاتهم وابتاعاتهم الى الصلاة فقال هم الذين قال فيهم الله تعالى لا تلهيهم تجارة • وعن ابن مسعود مثله • واعلم
ان هذا القول اولى من الاول لانه لا يقال ان فلانا لا يلهيه التجارة عن كيت وكيت الا وهو تاجر • وان احتمل الوجه الاول
وها هنا سؤالات • السؤال الاول لما قال لا تلهيهم تجارة دخل البيع فلم اعاد ذكر البيع • قلنا الجواب عنه من
وجوه • الاول ان التجارة جنس يدخل تحته الشرا والبيع الا انه سبحانه خص البيع بالذكر لانه فى الالهاء ادخل لان
الربح الحاصل فى البيع يقين وناجز • والربح الحاصل فى الشرى شك ومستقبل • الثانى ان البيع يقتضى تبديل
العرض بالنقد • والشرا بالعكس والرغبة فى تحصيل النقد اكثر من العكس • الثالث قال الفرا التجارة
لاهل الجلب يقال تجر فلان فى كذا اذا جلبه من غير بلده • والبيع ما باعه على يده • السؤال الثانى لم خص الرجال
بالذكر الجواب لان النسا ليس من اهل الجماعات المسئلة التاسعة اختلفوا فى المراد بذكر الله فقال
قوم المراد الثناء على الله والدعوات وقال اخرون المراد الصلوات • فان قيل ما معنى قوله واقام الصلاة
قلنا عنه جوابان • احدهما قال ابن عباس المراد باقام الصلاة اقامتها لمواقيتها • والثانى يجوز ان يكون
قوله الصلاة تفسيرا لذكر الله فهم يذكرون الله قبل الصلاة وفى الصلاة المسئلة العاشرة قد ذكرنا
فى اول سورة البقرة فى قوله ويقيمون الصلاة اقام الصلاة هو القيام بحقها على شروطها • والوجه فى
حذف الهاء ما قال الزجاج • يقال اقمت الصلاة اقامة • وكان الاصل اقواما ولكن قلبت الواو الفا فاجتمعت
الفان فحذفت احداهما لالتقا الساكنين فبقى اقمت الصلاة اقاما فادخلت الهاء عوضا عن المحذوف
وقامت الاضافة ها هنا فى التعويض مقام الهاء المحذوفة قال وهذا اجماع من النحويين المسئلة
الحادية عشر اختلفوا فمنهم من قال هى الفرايض • ومنهم من ادخل النفل فيه على ما جاء فى صلاة الضحى عن ابن عباس
والاول اقرب لانه الى العرف اقرب • وكذلك القول فى الزكاة لان المراد من الزكاة طاعة الله والاخلاص
وكذا فى قوله وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة • وقوله ما زكى منكم • وقوله يطهرهم ويزكيهم وهذا ضعيف
لما تقدم ولانه تعالى علق الزكاة بالايتا وهذا لا يحتمل الا ما يعطى من حقوق المال المسئلة الثانية عشر انه
سبحانه بين ان هولا الرجال وان سدوا فى ذكر الله والطاعات فانهم مع ذلك موصوفون بالوجل والخوف
فقال يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار وذلك الخوف انما كان لعلمهم بانهم ما عبدوا الله حق
عبادته • واختلفوا فى المراد بتقلب القلوب والابصار • والقول الاول ان القلوب تضطرب من الهول
والفزع وتشخص الابصار كقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر • الثانى انه تتغير احوالها
فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعة عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت لا تبصر وكانهم انقلبوا من
الشك الى اليقين • ومن اليقين الى المعاينة كقوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون • وقوله لقد كنت
فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك • الثالث ان القلوب تتقلب فى ذلك اليوم من طمع فى النجاة وحذر
من الهلاك • والابصار تتقلب من اى ناحية يوخذ بهم من ناحية اليمين او من ناحية الشمال ومن اى ناحية
يعطون كتابهم من قبل الايمان او من قبل الشمايل • والمعتزلة لا يرضون بهذا التاويل لانهم قالوا ان اهل الثواب
لا خوف عليهم البتة فى ذلك اليوم • واهل العقاب لا يرجون العفو لما بينا فساد هذا المذهب غيرة • الرابع
ان القلوب تزول عن اماكنها فتبلغ الحناجر والابصار تصير زرقا قال الضحاك يحشر الكافر وبصره حديد وتزرق

عيناه

عيناه ثم يعمى ويتقلب القلب فى الجوف من حيث لا يجد مخلصا حتى يقع فى الحنجرة فهو قوله اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين
الخامس قال الجبائى المراد بتقلب القلوب والابصار تغيرها بسبب ما ينالها من العذاب فتكون مرة بهيئة ما انضج بالنار
ومرة بهيئة ما احرق قال ويجوز ان يريد نقلها على جمر جهنم وهو معنى قوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا
به اول مرة المسئلة الثالثة عشر قوله ليجزيهم الله اى يفعلون هذه التقلبات ليجزيهم الله احسن ما عملوا وفيه
وجوه • الاول ان المراد بالاحسن الحسنات الخ وهى الطاعات فرضها ونفلها قال مقاتل انما ذكر والاحسن بنا
على انه لا يجازيهم على مساوى عملهم بل يغفرها لهم • الثانى انه سبحانه يجزيهم جزا احسن ما عملوا على الواحد
عشرا الى سبعماية • الثالث قال القاضى المراد بذلك ان يكون الطاعات منهم مكفرة لمعاصيهم فانما يجزيهم الله تعالى
باحسن الاعمال وهذا مستقيم على مذهبه فى الاحباط والموازنة • اما قوله ويزيدهم من فضله • فالمعنى انه تعالى
يجزيهم باحسن الاعمال ولا يقتصر على قدر استحقاقهم بل يزيدهم من فضله على ما ذكره تعالى فى ساير الايات من
التضعيف • فان قيل هذا يدل على ان لفعل الطاعة اثرا فى استحقاق الثواب لانه تعالى ميز الجزا عن الفضل وانتم
لا تقولون بذلك فان عندكم العبد لا يستحق على ربه شيا • قلنا نحن نثبت الاستحقاق لكن بالوعد • فذلك القدر
هو المستحق والزايد عليه هو الفضل • ثم قال والله يرزق من يشا بغير حساب فدل به على كمال قدرته وكمال جوده
ونفاذ مشيته وسعة احسانه فكانه سبحانه لما وصفهم بالجد والاجتهاد فى الطاعة ومع ذلك يكونون فى نهاية
الخوف فالحق سبحانه يعطيهم الثواب العظيم على طاعاتهم ويزيدهم الفضل الذى لا حد له فى مقابلة خوفهم • قوله تعالى
والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيا ووجد الله عنده فوفاه
حسابه والله سريع الحساب او كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق
بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اعلم انه سبحانه لما بين حال المومن انه
فى الدنيا يكون آتيا بالعمل الصالح • ثم بين انه فى الاخرة يكون فايزا بالنعيم المقيم والثواب العظيم اتبع ذلك بان بين ان الكافر
يكون فى الاخرة فى اشد الحسرات • وفى الدنيا فى اشد الظلمات وضرب لكل منهما مثلا • اما المثل الدال على خيبته
فى الاخرة فهو قوله والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة قال الازهرى السراب ما يتراى بالعين وقت الضحى الاكبر
فى الفلوات شبيها بالماء الجارى وليس بما ولكن الذى ينظر اليه من بعيد يظن انه ما جاريا • يقال سرب الما يسرب
سروبا اذا جرى فهو سارب • واما الال فهو ما يتراى للعين فى اول النهار فيرى الناظر الصغير كبيرا وظاهر كلام
الخليل ان الال والسراب واحد • واما القيعة فقال الفرا هو جمع قاع مثل جار وجيرة • والقاع المنبسط
المستوى من الارض وقال صاحب الكشاف القيعة بمعنى القاع وقال الزجاج الظمان قد يخفف همزه وهو الشديد
العطش • ثم وجه التشبيه ان الذى ياتى به الكافر ان كان من افعال البر فهو لا يستحق عليه ثوابا مع انه يعتقد ان له
ثوابا عليه وان كان من افعال الاثم يستحق عليه عقابا مع انه يعتقد انه يستحق عليه ثوابا فكيف كان فهو يعتقد
ان له ثوابا عند الله فاذا وافى عرصة القيمة ولم يجد الثواب بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى
غمه فيشبه حاله حال الظمان الذى تشتد حاجته الى الماء فينظر الى السراب فيحسبه ماء • وهذا المثال فى غاية
الحسن قال مجاهد هذا السراب عمل الكافر واتيانه اياه وزخارف الدنيا • فان قيل قوله حتى اذا جاءه يدل على كونه
شيا • ثم قال لم يجده شيا فنفى ما اثبت وهو متناقض • قلنا الجواب عنه من ثلاثة اوجه • احدها انه لم
يجده شيا نافعا كما يقال فلان ما عمل شيا وان كان قد اجتهد • وثانيها حتى اذا جاءه اى جا موضع السراب لم يجد السراب
شيا فاكتفى بذكر السراب عن ذكر موضعه • وثالثها ان السراب لانه ضباب وهبا • واذا قرب منه رق وانتفش
وصار كالهواء • اما قوله ووجد الله عنده اى وجد عقاب الله الذى توعد الكافر فتغير ما كان فيه من ظن النفع
العظيم الى تيقن الضرر العظيم • او وجد زبانية الله تعالى عنده ياخذونه فيقبلون به الى جهنم فيسقونه الحميم
والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة ويحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل
وقيل نزلت فى عتبة بن ربيعة بن امية كان قد تعبد ولبس المسوح والتمس الدين فى الجاهلية ثم كفر فى
الاسلام • اما قوله والله سريع الحساب فذاك لانه سبحانه عالم بجميع المعلومات فلا يشق عليه الحساب وقال
بعض المتكلمين معناه لا يشغله محاسبة عن محاسبة • ولو كان يتكلم بالة كما يقوله المشبهة لما صح ذلك • واما
قوله او كظلمات • ففى لفظ او ها هنا وجوه • احدها ان اعمال الكفار ان كانت حسنة فهى كسراب وان كانت قبيحة
فهى كالظلمات • وثانيها تقدير الكلام ان اعمال الكفار كسراب بقيعة وذلك فى الاخرة • وكالظلمات فى بحر وذلك
فى الدنيا • وثالثها الاية الاولى فى ذكر اعمالهم وانهم لا يحصلون منها على شى • والاية الثانية فى ذكر عقايدهم

السراب ما يتراى بالعين وقت الضحى الاكبر

وانها تشبه الظلمات كما قال يخرجهم من الظلمات الى النور اى من الكفر الى الايمان يدل عليه قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور . واما البحر اللجي فهو ذو اللجة التي هي معظم الماء الغمر البعيد القعر . وفي اللجي لغتان كسر اللام وضمها . واما تقرير المثل فهو ان البحر اللجي يكون قعره مظلما جدا بسبب غمورة الماء فاذا ترادفت عليه الامواج ازدادت الظلمة . فاذا كان فوق الامواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى . والواقع في هذا البحر يكون في نهاية شدة الظلمة ولما كانت في العادة الاحوال اليد اقرب ما يراها ومن بعدها يظن انه لا يراها فقال تعالى لم يكد يراها . وبين سبحانه وتعالى بهذا بلوغ تلك الظلمة الى اقصى النهايات . ثم شبه به الكافر في اعتقاده وهو ضد المؤمن في قوله تعالى نور على نور وفي قوله يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم . ولهذا قال ابي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه وعمله ومدخله ومخرجه ومصيره الى النار . وفي كيفية هذا التشبيه وجوه احدها ان الله تعالى ذكر ثلاثة انواع من الظلمات . ظلمة البحر . وظلمة الامواج . وظلمة السحاب . كذا الكافر له ظلمات ثلاث ظلمة الاعتقاد . وظلمة القول . وظلمة العمل . عن الحسن . وثانيها شبهوا قلبه وبصره وسمعه بهذه الظلمات الثلاث عن ابن عباس . وثالثها ان الكافر لا يدري ولا يدري انه لا يدري ويعتقد انه يدري فهذه الظلمات الثلاثة تشبه تلك الظلمات . ورابعها ان هذه الظلمات متراكمة فكذا الكافر لشدة احرازه على كفره قد تراكمت عليه الظلمات حتى ان اظهر الدلائل اذا ذكر عنده لا يفهمه . وخامسها قلب مظلم في صدر مظلم في جسد مظلم . اما قوله ظلمات بعضها فوق بعض . وروى عن ابن كثير انه قرا سحاب ظلمات كما يقال سحاب رحمة وسحاب عذاب على الاضافة . وقرا الباقون سحاب ظلمات كلاهما بالرفع والتنوين وتمام الكلام عند قوله سحاب . ثم ابتدا ظلمات اي ما تقدم ذكره ظلمات بعضها فوق بعض . اما قوله لم يكد يراها ففيه قولان . احدهما ان كاد نفيه اثبات . واثباته نفي فقوله وما كادوا يفعلون نفي في اللفظ ولكنه اثبات في المعنى لانهم فعلوا ذلك . وقوله عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا اثبات في اللفظ ولكنه نفي في المعنى لانه لم يكفر فكذا هاهنا قوله لم يكد يراها معناه انه راها . والثاني ان كاد معناه المقاربة فقوله لم يكد معناه المقاربة لم تقارب الوقوع . ومعلوم ان الذي لم يقارب الوقوع لم يقع ايضا وهذا القول هو المختار . والاول ضعيف لوجهين . الاول ان ما يكون اقل من هذه الظلمات فانه لا يرى فيه شيء فكيف مع هذه الظلمات . الثاني ان المقصود من هذا التمثيل المبالغة في جهالة الكفار وذلك انما يحصل اذا لم توجد الرؤية البتة مع هذه الظلمات . اما قوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فقال اصحابنا انه لما وصف هداية المؤمن بانها في نهاية الجلاء والظهور عقبه بان قال يهدي الله لنوره من يشاء . ولما وصف ضلالة الكفار بانها في نهاية الظلمة عقبه بقوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور والمقصود من ذلك ان يعرف الانسان ان ظهور الدلائل لا تفيد الايمان وظلمة الطريق لا تمنع منه فان الكل مربوط بخلق الله وهدايته وتكوينه . وقالت المعتزلة المراد ومن لم يجعل الله له نورا في الدنيا بالالطاف فما له من نور اي لا يهتدي فيجوا(?) . ويحتمل ومن لم يجعل الله له نورا اي مخلصا في الاخرة ونورا بالثواب فما له من نور . والكلام عليه ترتيبا وتقريرا معلوم . قوله تعالى **الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير** اعلم انه سبحانه لما وصف انوار قلوب المؤمنين وظلمات قلوب الجاهلين اتبع ذلك بدلائل التوحيد . فالنوع الاول ما ذكره في هذه الاية ولا شبهة في ان المراد الم تعلم لان التسبيح لا يتناوله الرؤية بالبصر ويتناوله العلم بالقلب . وهذا الكلام وان كان ظاهره استفهاما . فالمراد منه التقرير والبيان فدل تعالى على ما يلزم من تعظيمه فان من في السموات يسبح له وكذلك من في الارض . واعلم انه اما ان يكون المراد من التسبيح دلالة هذه الاشيا على كونه تعالى منزها عن النقايص موصوفا بنعوت الجلال واما ان يكون المراد منه في حق البعض النطق باللسان . والقسم الاول اقرب لان القسم الثاني متعذر لان في الارض من لا يكون مكلفا لا يسبح بهذا المعنى . والمكلفون منهم من لا يسبح ايضا بهذا المعنى كالكفار . واما القسم الثالث وهو ان يقال ان من في السموات وهم الملايكة يسبحون باللسان . واما الذين في الارض فمنهم من يسبح باللسان ومنهم من يسبح على سبيل الدلالة فهذا يقتضي استعمال اللفظ الواحد في الحقيقة والمجاز معا وهو غير جائز فلم يبق الا القسم الاول وذلك لان هذه الاشيا مشتركة في ان اجسامها وصفاتها دالة على تنزيه الله تعالى سبحانه وعلى قدرته والهيته وتوحيده وعدله فسمي ذلك تسبيحا على سبيل التوسع . فان قيل فالتسبيح بهذا المعنى حاصل لجميع المخلوقات . فما وجه تخصيصه هاهنا بالعقلاء . قلنا لان خلقة العقلاء اشد دلالة على وجود الصانع سبحانه لان العجايب والغرايب في خلقتهم اكثر وهي العقل والنطق والفهم . اما قوله تعالى

والطير صافات

والطير صافات . فللقائل ان يقول ما وجه اتصال هذا بما قبله والجواب انه سبحانه لما ذكر ان اهل السموات يسبحون واهل الارض يسبحون ذكر ان الذين استقروا في الهواء الذي هو بين السماء والارض وهو الطير يسبحون وذلك لان اعطاء الجرم الثقيل القوة التي بها قوي على الوقوف في جو السماء صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط من اعظم الدلائل على قدرة الصانع المدبر سبحانه وجعل طيرانها سجودا منها له سبحانه . وذلك يؤكد ما ذكرنا ان المراد من التسبيح دلالة هذه الاحوال على التنزيه لا النطق اللساني . اما قوله كل قد علم صلاته وتسبيحه ففيه ثلاثة اوجه . الاول كل قد علم الله صلاته وتسبيحه ويدل عليه قوله والله عليم بما يفعلون . وهذا اختيار جمهور المتكلمين . والثاني ان يعود الضمير في التسبيح والصلاة الى لفظ كل اي انهم يعلمون ما يجب عليهم من الصلاة والتسبيح . والثالث ان يكون الهاء راجعة الى ذكر الله اي قد علم كل مسبح ومصل صلاة الله التي كلفه اياها وعلى هذا التقدير والله عليم استيناف . ويروى عن ابي ثابت قال كنت جالسا عند ابي جعفر الباقر فقال لي اتدري ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قال فانهن يقدسن ربهن ويسالنه قوت يومهن واستبعد المتكلمون ذلك وقالوا الطير لو كانت عالمة بالله لكانت كالعقلاء الذين يفهمون كلامنا واشاراتنا لكنها ليست كذلك لانا نعلم بالضرورة انها اشد نقصانا من الصبي الذي لا يعرف هذه الامور فان يمتنع ذلك فيها اولى . واذا ثبت انها لا تعرف الله تعالى استحال كونها مسبحة له بالنطق فثبت انها لا تسبح الله الا بلسان الحال على ما تقدم تقريره . قال بعض العلماء انا نشاهد ان الله سبحانه الهم الطيور وساير الحشرات اعمالا لطيفة يعجز عنها اكثر العقلاء واذا كان كذلك لم لا يجوز ان يلهمها معرفته ودعاءه وتسبيحه . بيان انه سبحانه الهمها الاعمال اللطيفة وجوه . احدها حالها في كيفية الاصطياد . فتامل في العنكبوت كيف ياتي بالحيل اللطيفة في اصطياد الذباب . ويقال ان الذيب يستلقي في ممر الثور فاذا رام نطحه تشبث في ذراعيه بقرنيه ولا يزال ينهش ما بين ذراعيه حتى يثخنه وانه لا يرمي بالحجارة ويأخذ العصا ويضرب الانسان حتى يتوهم انه مات فيتركه فربما عاد يتشممه ويتجسس بنفسه ويصعد الشجر اخف صعود ويهشم الجوز بين كفيه نصبا للواحدة وصدما بالاخرى ثم ينفخ فيه فيذرو قشره ويستف لبه . ويحكى عن الفار في شربه امور عجيبة . وثانيها امر النحل وما الهمها من الرياسة وبناء البيوت مسدسة التي لا يتمكن من مثلها افاضل المهندسين . وثالثها انتقال الكراكي من طرف من اطراف العالم الى الطرف الاخر طلبا لما يوافقها من الاهوية . ويقال من خواص الخيل ان كل واحد منها يعرف صوت الفرس الذي قاتله والكلاب تتعالج بالعشبة المعروفة لها والفهد اذا سقي او سم من الدواء المعروف بخانق الفهد عمد الى زبل الانسان فاكله . والتماسيح تفتح افواهها لطاير يقع عليها كالعقعق ينظف ما بين اسنانها وعلى راس ذلك الطير كالشوك فاذا هم التمساح بالتقام ذلك الطير تاذى من ذلك الشوك فيفتح فاه فيخرج الطاير . والسلحفاة تتناول بعد اكل الحية صعترا جبليا ثم تعود وقد شوهد ذلك . وحكى بعض الثقات المجربين للصيد انه شاهد حبارى تقاتل الافعى وتنهزم عنه الى بقلة تتناول منها ثم تعود ولا تزال ذلك دابه . وكان ذلك الشيخ قاعدا في كن نحل القصبة وكانت البقلة قريبة من كنه فلما اشتغل الحبارى قلع البقلة فعادت الحبارى الى منبتها ففقدتها واخذت تدور حول منبتها دورانا حتى خرت ميتة فعلم الشيخ انه كان يتعالج باكلها من اللسعة وتلك البقلة كانت هي البري(?) . واما ابن عرس فيستظهر في قتال الحية باكل السذاب . فان النكهة السذابية مما يشمئز عنها الافعى والكلاب اذا دودت بطونها اكلت سنبل القمح واذا اجرحت اللقالق بعضها بعضا داوت الجراحة بالصعتر الجبلي . ورابعها القنافذ تحس بالشمال والجنوب قبل الهبوب فتغير المدخل الى جحرها . وكان بالقسطنطينية رجل قد اثرى بسبب انه ينذر بالرياح قبل هبوبها وانتفع الناس بانذاره وكان السبب فيه قنفذ في داره يفعل الصنع المذكور فيستدل منه والخطاف صناع جدا في اتخاذ العش من الطين وقطع الخشب فاذا اعوزه الطين ابتل وتمرغ في التراب ليحمل جناحاه قدرا من الطين فاذا فرخ بالغ في تعاهد الفرخ وياخذ ذرقها بمنقارها ويرميها من العش ثم تعلمها القاء الذرق . واذا دنا الصياد من مكان فراخ القبجة ظهرت له القبجة وقربت منه مطمعة له ليتبعها ثم تذهب الى جانب اخر سوى جانب فراخها . وناقر الخشب قلما يقع على الارض بل على الشجر ينقر الموضع الذي يعلم ان فيه دودا . والغرانيق تصعد في الجو جدا عند الطيران فان حجب بعضها عن البعض ضباب او سحاب احدثت عن اجنحتها حفيفا مسموعا يلزم منه بعضها بعضا فاذا نامت نامت على فرد رجل وقد اضطجعت الرؤس الا القايد فانه ينام مكشوف الراس فيسرع انتباهه واذا سمع جرسا صاح . وحال النمل في الذهاب الى مواضعها على خط مستقيم يحفظ بعضها بعضا امر عجيب . واعلم ان الاستقصاء في هذا الباب مذكور في كتاب طبايع الحيوان . والمقصود ان الاكياس من العقلاء يعجزون عن مثل هذه الحيل فاذا جاز ذلك فلم لا يجوز ان يقال انها ملهمة من عند الله سبحانه بمعرفته والثناء عليه وان كانت غير عارفة بساير الامور التي يعرفها

والتماسيح تفتح افواهها لطاير يقع عليها

الناس ولله در شهاب الاسلام السمعاني حيث قال جل جلال الجبار الجلال عن ان يوزن بميزان الاعتزال • اما قوله
سبحانه ولله ملك السموات والارض والى الله المصير فهو مع وجازته دلالة على تمام علم المبدا والمعاد فقوله ولله ملك
السموات والارض تنبيه على ان الكل منه لان كل ما سواه ممكن والممكن والمحدث لا يوجدان الا عند الانتهاء الى القديم
الواجب الوجود فدخل في هذه القضية جميع الاجرام والاعراض وافعال العباد واقوالها وخواطرهم • واما قوله
والى الله المصير فهو عبارة ناطقة حقة في معرفة المعاد وهو انه لا بد من مصير الكل اليه وله وجه آخر وهو ان الوجود
ابتدا من الاشرف فالاشرف نازلا الى الاخس فالاخس • ثم ياخذ من الاخس فالاخس مترقيا الى الاشرف فالاشرف فما يكون
جسما ثم يصير موصوفا بالنباتية ثم الحيوانية ثم الانسانية ثم الملكية ثم ينتهي الى واجب الوجود لذاته • فالاعتبار الاول
هو قوله ولله ملك السموات والارض • والثاني قوله والى الله المصير • قوله تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا ثم
يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه
عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار
اعلم ان هذا هو النوع الثاني من الدلايل وفيه مسايل المسئلة الاولى قوله الم تر يعني الم تر بعين عقلك • والمراد
التدبر • والازجا السوق قليلا قليلا • ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل احد • وكذلك السير من الابل الرفق لحاجين
تسيير سيرا يسيرا • ثم يؤلف بينه قال الفراء بين لا يصلح الا مضافا الى اسمين فما زاد • وانما قال بينه لان السحاب واحد
في اللفظ ومعناه الجمع والواحد سحابة قال الله تعالى وينشئ السحاب الثقال • والتاليف ضم شي الى شي اي يجمع بين
قطع السحاب فيجعلها سحابا واحدا • ثم يجعله ركاما اي مجتمعا • والركم جعل شي فوق شي حتى يجعله مركوما • والودق
المطر قاله ابن عباس • وعن مجاهد القطر • وعن ابي مسلم الاصفهاني من خلاله من فتوقه ومخارقه جمع خلل كجبال في جبل
وقرئ من خلله المسئلة الثانية اعلم ان قوله يزجي سحابا يحتمل انه سبحانه ينشئه شيا بعد شي • ويحتمل ان يصيره
في ساير الاجسام لا في حالة واحدة فعلى الوجه الاول يكون نفس السحاب محدثا • ثم انه سبحانه يؤلف بين اجزايه • وعلى
الثاني يكون المحدث من قبل الله سبحانه تلك الصفات التي باعتبارها صارت تلك الاجسام سحابا • وفي قوله ثم يؤلف بينه
دلالة على وجودها متقدما متفرقا اذ التاليف لا يصح الا بين موجودين • ثم انه سبحانه يجعله ركاما وذلك بتركيب
بعضها على البعض وهذا مما لا بد منه لان السحاب انما يحمل الكثير من الما اذا كان بهذه الصفة وكل ذلك من عجايب خلقه ودلالة
على ملكه واقتداره قال اهل الطبايع تكون السحاب والمطر والثلج والبرد والطل والصقيع في اكثر الامر من تكاثف البخار
وفي الاقل من تكاثف الهوا • اما الاول فالبخار الصاعد ان كان قليلا وكان في الهوا من الحرارة ما يحلله • فلذلك الابخرة
المتصاعدة اما ان تبلغ في صعودها الى الطبقة الباردة من الهوا او لا تبلغ فان بلغت فاما ان يكون البرد هناك قويا تكاثف
ذلك البخار بذلك القدر من البرد واجتمع وتقاطر فالمجتمع هو السحاب والمتقاطر هو المطر والديمة والوابل
انما يكون من امثال هذه الغيوم • واما ان كان البرد شديدا فلا يخلو اما ان يصل البرد الى الاجزا قبل اجتماعها وانحلالها
حبا كبارا او بعد صيرورتها كذلك وان كان على الوجه الاول نزل ثلجا • وان كان على الوجه الثاني نزل بردا • واما اذا لم
تبلغ الابخرة الى الطبقة الباردة فهي اما ان تكون كثيرة او تكون قليلة فان كانت كثيرة فهي قد تنعقد سحابا ماطرا وقد لا تنعقد
اما الاول فذاك لاحد اسباب خمسة • احدها اذا منع هبوب الرياح عن تصاعد تلك الابخرة • وثانيها ان تكون الرياح
ضاغطة اياها الى الاجتماع بسبب وقوف جبال قدام الريح • وثالثها ان يكون هناك رياح متقاومة متصادمة فتمنع
صعود الابخرة حينئذ • ورابعها ان تعرض للجز المتقدم وقوف لثقله وبطو حركته ثم يلتصق به ساير الاجزا الكثيرة
المدد • وخامسها لشدة برد الهوا القريب من الارض • وقد يشاهد البخار يصعد في بعض الجبال صعودا يسيرا حتى كانه
مكبة موضوعة على وهدة • ويكون الناظر اليها تحت تلك الغمامة • والذين يكونون فوقها يكونون في الشمس
اما اذا كانت الابخرة القليلة الارتفاع قليلة لطيفة • فاذا ضربها برد الليل وعقدها ماء محسوسا فنزل
نزولا متفرقا لا يحس به الا عند اجتماع شي يعتد به فان لم يجمد كان طلا وان جمد كان صقيعا ونسبة الصقيع
الى الطل نسبة الثلج الى المطر • واما ان يكون السحاب من انقباض الهوا فذلك عندما يبرد الهوا وينقبض
وحينئذ يحصل منه الاقسام المذكورة والجواب انا لما دللنا على حدوث الاجسام لم يمكنا القطع بما ذكرتموه
لاحتمال انه سبحانه خلق اجزاء السحاب دفعة لا بالطريق التي ذكرتموه • وايضا فهب ان الامر كما ذكرتم ولكن الاجسام
بالاتفاق ممكنة في ذواتها فلا بد لها من مؤثر بالاتفاق • وانها متماثلة • فاختصاص كل واحد منها بصفته المعينة
من الصعود والهبوط واللطافة والكثافة والحرارة والبرودة لا بد له من مخصص فاذا كان هو سبحانه خالقا
لتلك الطبايع • وتلك الطبايع مؤثرة في هذه الاحوال • وخالق السبب خالق للمسبب فكان سبحانه هو الذي

يزجي سحابا

يزجي سحابا لانه هو الذي خلق تلك الطبايع المحركة لتلك الابخرة • ومن باطن الارض الى جو الهوا ثم ان تلك
الابخرة اذا ترادفت في صعودها والتصق بعضها بالبعض فهو سبحانه هو الذي جعلها ركاما فثبت ان على جميع
التقديرات فوجه الاستدلال بهذه الاشيا على القدرة والحكمة ظاهر بين • اما قوله سبحانه وينزل من السما من
جبال فيها من برد فيه مسيلتان المسئلة الاولى في هذه الاية قولان • احدهما ان في السما جبالا من برد
خلقها الله تعالى كذلك • ثم ينزل منها ما يشا وهذا القول عليه اكثر المفسرين قال مجاهد والكلبي جبال من برد في السما
والقول الثاني ان السما هو الغيم المرتفع على روس الناس سمي بذلك لسموه وارتفاعه وانه تعالى انزل من هذا
الغيم الذي هو سما البرد واراد بقوله من جبال السحاب المظلم لانها اذا عظمت شبهت بالجبال كما يقال فلان مالك جبال
من جمال وصفت بذلك توسعا • وذهبوا الى ان البرد ما جامد خلقه الله في السحاب ثم انزله الى الارض وقال
بعضهم انما سمي الله ذلك الغيم جبالا لانه سبحانه جعلها من البرد وكل جسم شديد مستحجر فهو من الجبال • ومنه
قوله هو الذي خلقكم والجبلة الاولين ومنه فلان مجبول على كذا قال المفسرون والاول اولى لان السما اسم لهذا الجسم
المخصوص فجعله اسما للسحاب بطريق الاشتقاق مجاز • وكما يصح ان يجعل الله في السحاب ما ثم ينزله بردا فكذلك يصح
ان يكون في السما جبال من برد • واذا صح في القدرة كلا الامرين فلا وجه لترك الظاهر المسئلة الثانية
قال ابو علي الفارسي من السما من جبال فيها من برد فمن الاولى لابتدا الغاية لان ابتدا الانزال من السما • والثانية
للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السما • والثالثة للجنس لان جنس تلك الجبال جنس البرد • ثم قال
ومفعول الانزال محذوف حذف للدلالة • والتقدير ينزل من السما من جبال البرد من بردا الا انه حذف للدلالة عليه
اما قوله فيصيب به من يشا ويصرفه عن من يشا فالظاهر انه راجع الى البرد ومعلوم من حاله انه قد يضر ما يقع عليه من حيوان
ونبات • فبين سبحانه انه يصيبه من يشا على وفق المصلحة ويصرفه اي يصرف ضرره عمن يشا بان لا يسقط عليه • ومن
الناس من حمل البرد على الحجر وجعل نزوله جاريا مجرى عذاب الاستيصال وذلك بعيد • اما قوله يكاد سنا برقه يذهب
بالابصار • ففيه مسايل المسئلة الاولى قرئ يكاد سنا برقه على الادغام • وقرئ برقه جمع برقة وهي المقدار
الكثير من البرق وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات • وسنا برقه على المد المقصور بمعنى
الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع • من قولك سنا للمرتفع • ويذهب بالابصار على زيادة البا كقوله ولا تلقوا
بايديكم عن ابي جعفر المدني المسئلة الثانية وجه الاستدلال بقوله يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ان البرق
الذي يكون صفته كذلك لا بد وان يكون نارا عظيمة خالصة • والنار ضد الما والبرد وظهوره من البرد يقتضي
ظهور الضد من الضد وذلك لا يمكن الا بقدرة قادر حكيم المسئلة الثالثة [illegible] اما قوله يقلب الله الليل
والنهار فقيل فيه وجوه منها انه ياتي بهما ويعاقب بينهما • ومنها يولج احدهما
في الاخر • وياخذ احدهما من الاخر • ومنها تغيير احوالهما في البرد والحر وغيرهما • ولا يمتنع في مثل ذلك ان يريد الكل
لانه في الانعام • والاعتبار اقوى • ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار والمعنى ان فيما تقدم ذكره دلالة لمن يرجع الى بصيرة
على ان الواجب على العاقل المنزل في هذه الامور • قوله تعالى والله خلق
كل دابة من ما فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشا ان الله على كل
شي قدير لقد انزلنا ايات مبينات والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم هذا هو النوع الثالث من الدلايل على الوحدانية
وذلك لانه استدل اولا باحوال السما والارض • وثانيا بالاثار العلوية • وثالثا باحوال الحيوانات
واعلم ان في هذه الاية سؤالات • السؤال الاول لم قال خلق كل دابة من ما مع ان كثيرا من الحيوانات غير مخلوقة
من الما • اما الملايكة فهم اعظم الحيوانات عددا فانهم مخلوقون من النور • واما الجن فهم مخلوقون من النار وخلق
ادم من التراب لقوله خلقه من تراب • وخلق عيسى من الروح لقوله فنفخنا فيها من روحنا وايضا نرى كثيرا من الحيوانات
يتولد لا عن النطفة الجواب من وجوه • احدها ان احسن ما قاله القفال وهو ان قوله من ما صلة كل دابة
وليس هو صلة لخلق والمعنى ان كل دابة متولدة من الما • فهي مخلوقة لله تعالى • وثانيها ان اصل جميع المخلوقات
الما على ما روي اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فصارت ما ثم من ذلك الما خلق النار والهوا
والنور • ولما كان المقصود من هذه الاية بيان اصل الخلقة فكان الاصل الاول هو الما لا جرم ذكره على هذا
الوجه • وثالثها ان المراد من الدابة التي يدب على وجه الارض ومسكنهم هناك فيخرج عنه الملائكة والجن ولما
كان الغالب جدا من هذه الحيوانات كونهم مخلوقين من الما • اما لانها متولدة من النطفة • واما لانها لا تعيش الا بالما

قوله جماع

اما الملايكة فهم مخلوقون من النور

لاجرم اطلق لفظ الكل تنزيلا للغالب منزلة الكل • السوال الثاني لم نكر الما في قوله من ماء • وجا معرفا في قوله وجعلنا من الماء كل شي حي • والجواب انما جا هاهنا منكرا لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع من الما يختص بتلك الدابة وانما جا معرفا في قوله وجعلنا من الما كل شي حي لان المقصود هاهنا كونهم مخلوقين من هذا الجنس وهاهنا بيان ان ذلك الجنس منقسم الى انواع كثيرة • السوال الثالث قوله فمنهم ضمير العقلا وكذلك قوله من فلم استعمله في غير العقلا والجواب انه تعالى ذكر ما لا يعقل مع من يعقل وهم الملايكة والانس والجن فغلب اللفظ اللايق بمن يعقل لان جعل الشريف اصلا والخسيس تبعا اولى من العكس ويقال في الكلام من المقبلان للرجل وبعيره • السوال الرابع لم سمي الزحف على البطن مشيا • وبيان صحة هذا السوال ان الصبي يوصف بانه يزحف ولا يقال يمشي فان زحف على حد ما تزحف الحية • والجواب هذا على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستقر قد مشى هذا الامر • ويقال فلان لا يتمشى له امر على طريق المشاكلة ذكر الزاحف مع الماشين • السوال الخامس انه لم يستوف القسمة لانا نجد ما يمشي على اكثر من اربع مثل العناكب والعقارب والرتيلات بل مثل الحيوان الذي له اربعة واربعون رجلا الذي يسمى دخال الاذن • والجواب القسم الذي ذكرتم كالنادر فكان ملحقا بالعدم • ولان الفلاسفة يقولون بان ما له قوايم كثيرة فاعتماده اذا اراد ان يمشي على اربع جهات لا غير فكانه يمشي على اربع • ولان قوله يخلق الله ما يشاء كالتنبيه على ساير الاقسام • السوال السادس لم جات الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب • والجواب قدم ما هو اعجب وهو الماشي على بطنه بغير آلة من ارجل وقوايم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع • واعلم ان قوله يخلق الله ما يشاء تنبيه على ان الحيوانات كما اختلفت بحسب كيفية المشي فكذلك هي مختلفة بحسب امور اخر فلنذكرها هاهنا بعض التقسيمات • التقسيم الاول الحيوانات قد تشترك في اعضا وقد تتباين باعضا • اما المشتركة فمثل اشتراك الانسان والفرس في ان لهما لحما وعصبا وعظما • واما التباين فاما ان يكون في نفس العضو او في صفته • اما التباين في نفس العضو فعلى وجهين • احدهما ان لا يكون العضو حاصلا للآخر وان كانت اجزاؤه حاصلة للثاني كالفرس والانسان فان الفرس ليس له ذنب والانسان ليس له ذنب ولكن اجزاء الذنب ليست الا العظم والعصب واللحم والجلد والشعر وكل ذلك حاصل للانسان • والثاني ان لا يكون ذلك العضو حاصلا للآخر لا باجزائه ولا باجزائه مثل ان للسلحفاة صدفة ليس للانسان • وكذا السمك فلوس وللقنفذ شوك وليس شي منها للانسان • واما التباين في صفة العضو فاما ان يكون من باب الكمية او الكيفية او الوضع او الفعل والانفعال • اما الذي في الكم فاما ان يتعلق بالمقدار مثل ان عين البوم كبيرة وعين العقاب صغيرة او بالعدد مثل ان ارجل ضرب من العناكب ستة وارجل ضرب آخر ثمانية او عشرة • والذي في الكيف فكاختلافها في الالوان والاشكال والصلابة واللين • والذي في الوضع فمثل اختلاف وضع يدي الفيل فلانه يكون قريبا من الصدر • ويدي الفرس فانه عند السرة • واما الذي في الفعل فمثل كون اذن الزنبيل صالحا للذب مع كونه آلة للسمع وليس كذلك في الانسان وكون انفه آلة للقبض دون انف غيره • واما الذي في الانفعال فمثل كون عين الخفاش سريعة التحير في الضو وعين الخطاف بخلاف ذلك • التقسيم الثاني الحيوانات اما ان يكون مائيا بمعنى ان مسكنه الاصلي هو الما او ارضيا او يكون مائيا ثم يصير ارضيا • اما الحيوانات المائية فتغير احوالها من وجوه • الاول ان منها ما يكون مكانه وغذاؤه وتنفسه مائيا بدل التنفس التسمي تنشقا فهو يقبل الما الى باطنه ثم يرده ولا يعيش اذا فارقه والسمك كله كذلك • ومنه ما مكانه وغذاؤه مائي ولكنه يتنفس من الهوا مثل السلحفاة المائية • ومنه ما مكانه وغذاؤه مائي وليس يتنفس ولا يستنشق مثل اصناف من الصدف لا يظهر للهوا ولا يستدخل الما الى اصدافها • الوجه الثاني الحيوانات المائية بعضها ماؤها مياه البحر • الوجه الثالث منها بحرية ومنها شطية ومنها طينية ومنها صخرية • الوجه الرابع الحيوان المستقر في الما منه ما يعتمد في غوصه على راسه وفي السباحة على اجنحته كالسمك • ومنه ما يعتمد في السباحة على رجليه كالضفادع • ومنه ما يمشي في قعر الما كالسرطان • ومنه ما يزحف مثل ضرب من السمك لا اجنحة له وكالدود • اما الحيوانات البرية فتعتبر احوالها ايضا من وجهين • الاول ان منها ما يتنفس من طريق واحد كالفم والخيشوم ومنه ما لا يتنفس كذلك بل على نحو آخر من مسامه مثل الزنبور والنحل • الثاني ان الحيوانات الارضية منها ما له ماوى معلوم • ومنه ما ماواه كيف اتفق الا ان يلد فيقيم للحضانة • واللواتي لها ماوى فبعضها ماواه شق وبعضها ماواه حجر • وبعضها ماواه قلة رابية • وبعضها ماواه وجه الارض • الثالث البري كل طاير منه ذو جناح فانه يمشي برجليه • ومن جملة ذلك ما مشيه صعب عليه كالخطاف الكبير الاسود والخفاش واما الذي جناحه جلد او غشا فقد يكون عديم الرجل كضرب من الحيات بالحبشة تطير • الرابع الطير يختلف فبعضها

يتعايش معا كالكراكي وبعضها يوثر التفرد كالعقاب وجميع الجوارح التي تتنازع على الطعم لاحتياجها الى الاحتيال لتصيد ما كفاها فيه • ومنها ما يتعايش زوجا ويكون معا كالقطا • ومنها ما يجتمع تارة وينفرد اخرى • والحيوانات المنفردة قد تكون مدنية وقد تكون برية صرفة وقد تكون بستانية • والانسان من بين الحيوان هو الذي لا يمكنه ان يعيش وحده فان اسباب حياته ومعيشته تلتيم بالمشاركة المدنية • والنحل وبعض الغرانيق يشارك الانسان في ذلك لكن النحل والكركي يطيع رئيسا واحدا والنمل له اجتماع ولا رئيس • والخامس الطير منه آكل لحم ومنه لاقط حب ومنه آكل عشب • وقد يكون لبعض الطير طعم معين كالنحل فانه غذاؤه زهري • والعنكبوت فان غذاءه الذباب وقد يكون بعضه متعين الطعم • اما القسم الثالث وهو الحيوان الذي يكون تارة مائيا واخرى بريا فقالوا انه حيوان يكون في البحر ويعيش فيه ثم انه يبرز الى البر ويبقى فيه • التقسيم الثالث الحيوان منه ما هو انسي بالطبع كالانسان ومنه ما هو انسي بالمولد كالهرة • ومنه ما هو انسي بالقهر كالفهد • ومنه ما لا يانس كالنمر • والمستانس بالقسر منه ما يسرع استيناسه ويبقى مستانسا كالفيل • ومنه ما يبطى كالاسد ويشبه ان يكون من كل نوع صنف انسي وصنف وحشي حتى من الناس • التقسيم الرابع من الحيوان ما هو مصوت ومنه ما لا صوت له وكل مصوت فانه يصير عند الاغتلام وحركة شهوة الجماع اشد تصويتا الا الانسان • وايضا بعض الحيوان شبق يسفد كل وقت كالديك ومنه ضعيف له وقت معين • التقسيم الخامس بحسب الاختلاف في الاخلاق في بعض الحيوانات • هادي الطبع قليل الغضب مثل البقرة • وبعضه شديد الجهل حاد الغضب كالخنزير البري • وبعضها حليم جزوع كالبعير • وبعضها ردي الحركات مغتال غضوب • شديد الغضب سفيه الا انه ملق متودد كالكلب • وبعضها حسود تياه كالطاووس • وبعضها شديد الحقد كالجمل • وبعضها شديد الجهل محتاله كالحمار • التقسيم السادس من الحيوانات ما تناسله بان يلد حيوانا اشباه جنسها • وبعضها ما تناسله بان يلد اشباه دود كالنحل والعنكبوت فانها تلد دودا ثم ان اعضاءه تتشكل بعد • وبعضها تناسله بان تبيض اناثه بيضا • واعلم ان العقول قاصرة عن الاحاطة باحوال الحيوانات على سبيل الكمال ووجه الاستدلال بها على الصانع ظاهر لانه لو كان الامر بتركيب الطبايع الاربعة فذاك بالنسبة الى الكل على السوية فاختصاص كل واحد من هذه الحيوانات باعضائها وقواها ومقادير ابدانها واعمارها واخلاقها لا بد وان يكون بتدبير مدبر قاهر حكيم تعالى عما يقول الجاحدون واحسن كلام في هذا الموضع قوله سبحانه يخلق ما يشاء ان الله على كل شي قدير لانه هو القادر على الكل والعالم بالكل فهو المطلع على احوال هذه الحيوانات فاي عقل يقف عليها واي خاطر يصل الى ذرة من اسرارها بل هو الذي يخلق ما يشا كما يشا ولا يمنعه مانع ولا دافع • اما قوله ولقد انزلنا آيات مبينات • فالاولى حمله على كل آية وحجة • ولما كان القرآن كالمشتمل على كل ذلك صح ان يكون هذا المراد • اما قوله والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم فاستدلال اصحابنا به كما تقدم واجاب القاضي عنه بان المراد انه يهدي من بلغه حد التكليف دون غيره او يكون المراد من اطاعه واستحق الثواب فيهديه الى الجنة على ما تقدم في نظايره • وجوابنا عن هذا الجواب ايضا كما تقدم في نظايره والله اعلم • قوله تعالى ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمومنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون اعلم انه سبحانه لما ذكر دلايل التوحيد اتبعه بذم قوم اعترفوا بالدين بالسنتهم ولكنهم لم يقبلوه بقلوبهم • وفيه مسايل المسئلة الاولى قال مقاتل نزلت الآية في بشر المنافق وكان قد خاصم يهوديا في ارض فكان اليهودي يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهما وجعل المنافق يجره الى كعب بن الاشرف • ويقول ان محمدا يحيف علينا وقد مضت قصتهما في سورة النسا • وقال الضحاك نزلت في المغيرة ابن وايل كان بينه وبين علي ابن ابي طالب عليه السلام ارض فاقتسماها فوقع الى علي منها ما لا يصيبه الما الا بمشقة فقال المغيرة بعني ارضك فباعها اياه • وتقابضا فقيل للمغيرة اخذت سبخة لا ينالها الما فقال لعلي اقبض ارضك فانما اشتريتها ان رضيتها ولم ارضها فانها لا ينالها الما فقال علي بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها وعرفت حالها لا اقبلها منك ودعاه الى ان يخاصمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي فنزلت الآية • وقال الحسن نزلت هذه الآية في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر • المسئلة الثانية قوله ويقولون آمنا بالله تعالى الى قوله وما اولئك بالمومنين يدل على ان الايمان لا يكون بالقول اذ لو كان به لما صح نفي كونهم مومنين وقد فعلوا ما هو ايمان في الحقيقة • فان قيل انه تعالى حكى عن كلهم انهم يقولون آمنا ثم حكى عن فريق منهم هذا القول فكيف يصح في جميعهم ان يقول وما اولئك بالمومنين • قلنا قوله وما اولئك بالمومنين راجع الى الذين تولوا لا الى الجملة الاولى وايضا فلو رجع الى الاولى صح ويكون معنى قوله ثم يتولى فريق منهم اي يرجع هذا الفريق الى الباقين منهم فيظهر بعضهم لبعض الرجوع

الحيوان

واعلم ان العقول قاصرة عن الاحاطة باحوال الحيوانات

عما اظهروه ثم بين سبحانه انهم اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون اى ترك الرضا بحكم الرسول ودل بقوله
وان يكن لهم الحق على انهم انما يعرضون متى عرفوا الحق لغيرهم او شكوا فيه ۔ اما اذا عرفوه لانفسهم عدلوا عن الاعراض بل
سارعوا الى الحكم واذعنوا ببذل الرضا وفى ذلك دلالة على انه ليس بهم اتباع الحق وانما يريدون النفع المعجل وذلك ايضا
نفاق ۔ اما قوله تعالى افى قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله ففيه سؤالات ۔ السؤال الاول
الكلام استفهام وهو غير جائز على الله الجواب اللفظ استفهام ومعناه الخبر كما قال جرير ۔ الستم خير من ركب المطايا
السؤال الثانى انهم لو خافوا ان يحيف الله عليهم فقد ارتابوا فى الدين واذا ارتابوا ففى قلوبهم مرض فالكل واحد فاى
فايدة فى التكرير الجواب قوله فى قلوبهم اشارة الى النفاق ۔ وقوله ارتابوا اشارة الى انه حدث هذا الشك والريب
بعد تقرير الاسلام فى القلب ۔ وقوله يخافون ان يحيف الله عليهم اشارة الى انهم بلغوا فى حب الدنيا الى حيث يتركون الدين
بسببه ۔ السؤال الثالث هب ان هذه الثلاثة متغايرة ولكنها متلازمة فكيف ادخل عليها كلمة ام الجواب الاقرب
انه تعالى نبه على كل واحد من قلوبهم هذه الاوصاف فكان فى قلوبهم مرض هو النفاق وكان فيها شك وارتياب وكانوا
يخافون الحيف من الرسول وكل واحد من ذلك كفر ونفاق ۔ ثم بين تعالى بقوله بل اولئك هم الظالمون بطلان ما هم عليه لان
الظلم يتناول كل معصية كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم اذ لم يخلو فيه ان يكون ظالما لنفسه او ظالما لغيره ويمكن ان يقال
ايضا لما ذكر تعالى فى الاقسام كونهم خايفين عن الحيف ابطل ذلك بقوله اولئك هم الظالمون اى لا يخافون ان يحيف الرسول
عليهم لمعرفتهم باما نته وصيانته وانما هم الظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شئ لا يستطيعون
فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثم يأبون المحاكمة اليه ۔ قوله تعالى **انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون
واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل اطيعوا الله واطيعوا
الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين**
اعلم انه تعالى لما حكى قول المنافقين وما قالوه وفعلوه اتبعه بذكر ما كان يجب ان يفعلوه وما يجب ان يفعله المؤمنون
فقال تعالى انما كان قول المؤمنين ۔ وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قرا الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب اولى
لان اولى الاسمين ان يكون اسما لكان اوغلهما فى التعريف وان يقولوا اوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين
المسئلة الثانية قوله انما كان قول المؤمنين كذلك يجب ان يكون قولهم وطريقتهم فيقولوا اذا دعوا الى حكم كتاب الله
ورسوله ان يقولوا سمعنا واطعنا فيكون مرادهم اليه وانقيادهم له سمعا وطاعة ۔ ومعنى سمعنا اجبنا على تاويل قول المصلى
سمع الله لمن حمده اى قبل واجاب ۔ ثم قال ومن يطع الله ورسوله اى فيما ساءه وسره ويخش الله فيما صدر عنه من الذنوب
ويتقه فيما بقى من عمره فاولئك هم المفلحون ۔ وهذه الاية على ايجازها حاوية لكل ما ينبغى للمؤمن ان يفعله ۔ اما قوله
واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن فقال مجاهد من حلف بالله فقد اجهد فى اليمين ۔ ثم قال لما بين تعالى كراهية
المنافقين لحكم رسول الله فقالوا والله لئن امرتنا ان نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا وان امرتنا بالجهاد
جاهدنا ۔ ثم انه تعالى امر رسوله ان ينهاهم عن هذا القسم بقوله قل لا تقسموا ۔ ولو كان قسمهم كما يجب لم يجز النهى عنه
لان من حلف على القيام بالبر والواجب لا يجوز ان ينهى عنه ۔ واذا ثبت ذلك ثبت ان قسمهم كان لنفاقهم ۔ وكان باطنهم
غير ظاهرهم ۔ ومن نوى الغدر لا الوفا فقسمه لا يكون الا قبيحا ۔ اما قوله طاعة معروفة ۔ فهو اما خبر مبتدا محذوف
اى طاعة معروفة امثل من قسمكم بما لا يصدقون فيه ۔ وقيل معناه دعوا القسم ولا تعتدوا به عليكم طاعة معروفة فتمسكوا
بها ۔ وقرا اليزيدى طاعة معروفة بالنصب على معنى اطيعوا طاعة والله خبير بما تعملون وتضمرون ولا يخفى عليه شئ من
سرائركم وانه محضركم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم ۔ اما قوله قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل
وعليكم ما حملتم فاعلم انه تعالى صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ فى تبكيتهم فان تولوا
يعنى فان تولوا عن طاعة الله وطاعة رسوله فانما على الرسول ما حمل من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم من الطاعة وان
تطيعوه تهتدوا الى نصيبوا الحق وان عصيتموه فما على الرسول الا البلاغ المبين بمعنى التبليغ ۔ والمبين الواضح والموضح
لما تاتيه الحاجة ۔ وعن نافع انه قرا فانما عليه ما حمل بفتح الحا والتخفيف اى فعليه اثم ما حمل من المعصية ۔ قوله تعالى
**وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن
لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك
هم الفاسقون** اعلم ان تقدير النظم قيل اطيعوا الرسول واطيعوه ايها المؤمنون فقد وعد الله الذين امنوا منكم اى
جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ان يستخلفهم فى الارض فيجعلهم الخلفاء والغالبين والمالكين كما استخلف عليها من

الغيبة

قبلهم من

قبلهم من زمن داود وسليمان وغيرهما وانه مستمكن لهم دينهم وتمكينه ذلك هو بالنصرة والاعوان ويبدلهم من بعد خوفهم من
العدو امنا بان ينصرهم عليهم فيقتلوهم ويامنوا بذلك شرهم ۔ يعبدوننى امنين لا يشركون بى شيئا ولا يخافون ومن كفر
اى بعد هذا الوعد وارتدوا فاولئك هم الفاسقون ۔ واعلم ان هذه الاية مشتملة على اكثر المسايل الاصولية الدينية فلنشر
الى معاقدها ۔ وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قوله وعد الله الذين امنوا منكم يدل على انه سبحانه متكلم لان الوعد
نوع من انواع الكلام ۔ والموصوف بالنوع موصوف بالجنس لانه سبحانه ملك مطاع والملك المطاع لا بد وان يكون بحيث
يمكنه وعد اوليائه ووعيد اعدائه فثبت انه سبحانه متكلم **المسئلة الثانية** الاية تدل على انه سبحانه يعلم
الاشيا قبل وقوعها خلافا لهشام بن الحكم فانه قال لا يعلمها قبل وقوعها ووجه الاستدلال انه سبحانه اخبر عن وقوع شئ
فى المستقبل اخبارا على التفصيل وقد وقع المخبر مطابقا للخبر ومثل هذا الخبر لا يصح الا مع العلم **المسئلة الثالثة**
الاية تدل على انه سبحانه قادر على جميع الممكنات لانه قال ليستخلفنهم فى الارض وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم
من بعد خوفهم امنا وقد فعل كل ذلك ۔ وصدور هذه الاشيا لا يصح الا من القادر على كل المقدورات **المسئلة الرابعة**
الاية تدل على انه سبحانه هو المستحق للعبادة لانه قال يعبدوننى ۔ وقالت المعتزلة الاية تدل على ان فعل العبد
معلل بالغرض لان المعنى لكى يعبدوننى ۔ وقالوا ايضا الاية دالة على انه سبحانه يريد العبادة من الكل لان من فعل فعلا
لغرض فلا بد وان يكون مريدا لذلك الغرض **المسئلة الخامسة** دلت الاية على انه منزه عن الشريك لقوله لا يشركون
بى شيئا ۔ وذلك يدل على نفى الاله الثانى وعلى انه لا يجوز عبادة غير الله سبحانه سوا كان كوكبا كما يقوله الصابئة
او وثنا كما يقوله عبدة الاوثان **المسئلة السادسة** دلت الاية على صحة نبوة محمد عليه الصلاة والسلام لانه
اخبر عن الغيب فى قوله ليستخلفنهم فى الارض وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا
وقد وجد هذا المخبر موافقا للخبر ۔ ومثل هذا الخبر معجز والمعجز دليل الصدق فدل على صدق محمد عليه السلام
المسئلة السابعة دلت الاية على ان العمل الصالح خارج عن مسمى الايمان خلافا للمعتزلة لانه عطف العمل الصالح
على الايمان والمعطوف خارج عن المعطوف عليه **المسئلة الثامنة** دلت الاية على امامة الائمة الاربعة
وذلك لانه تعالى وعد الذين امنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين فى زمان محمد صلى الله عليه وسلم وهو المراد
بقوله منكم بانه يستخلفهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وان يمكن دينهم المرتضى وان يبدلهم بعد الخوف امنا
ومعلوم بان المراد بهذا الوعد بعد الرسول لان استخلاف غيره لا يكون الا بعده ۔ ومعلوم ان بعده لا نبى لانه خاتم الانبيا
فاذا المراد بهذا الاستخلاف طريقة الامامة ومعلوم ان بعد الرسول الاستخلاف الذى هذا وصفه انما كان فى
ايام ابى بكر وعمر وعثمان لان فى ايامهم كانت الفتوح العظيمة وحصل التمكين وظهور الدين والامن ولم يحصل
ذلك فى ايام على عليه السلام لانه لم يتفرغ للجهاد لاجل محاربة من خالفه من اهل الصلاة ۔ فثبت بهذا دلالة الاية على
صحة خلافة هؤلاء ۔ فان قيل الاية متروكة الظاهر لانها تقتضى حصول الخلافة لكل من امن وعمل صالحا ولم يكن
الامر كذلك نزلنا عنه لكن لم لا يجوز ان يكون المراد من قوله ليستخلفنهم هو انه تعالى يسكنهم فى الارض ويمكنهم من
التصرف لان المراد منه خلافة الله ومما يدل عليه قوله كما استخلف الذين من قبلهم واستخلاف من كان قبلهم لم يكن
بطريق الامامة فوجب ان يكون الامر فى حقهم كذلك ايضا نزلنا عنه ولكن ههنا ما يدل على انه لا يجوز حمله على خلافة
النبى لان من مذهبكم انه عليه السلام لم يستخلف احدا ۔ ومروى عن على عليه السلام انه قال اترككم كما ترككم
رسول الله نزلنا عنه لكن لم لا يجوز ان يكون المراد منه عليا عليه السلام ۔ والواحد قد يعبر عنه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم
كقوله تعالى والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون نزلنا عنه لكن نحمله على الائمة الاثنى عشر والجواب
عن الاول ان كلمة من للتبعيض ۔ فقوله منكم يدل على ان المراد من هذا الخطاب بعضهم ۔ وعن الثانى ان الاستخلاف بالمعنى
الذى ذكرتموه حاصل لجميع الخلق فالمذكور ههنا فى معرض البشارة لا بد وان يكون مغايرا له ۔ واما قوله تعالى كما استخلف
الذين من قبلهم فالذين كانوا قبلهم قد كانوا خلفا تارة بسبب النبوة واخرى بسبب الوصية والخلافة حاصلة فى الصورتين
وعن الثالث انه وان كان من مذهبنا انه عليه السلام لم يستخلف احدا بالتعيين ولكنه قد استخلف بذكر الوصف والامر
بالاختيار فلا يمتنع فى هؤلاء الائمة انه تعالى استخلفهم بان امر الرسول ليستخلفهم ۔ وعلى هذا الوجه قالوا فى ابى بكر رضى
الله عنه يا خليفة رسول الله ۔ والذى قيل انه عليه السلام لم يستخلفه يريد به على وجه التعيين ۔ واذا قيل استخلف
فالمراد على طريقة الوصف والامر ۔ وعن الرابع ان حمل لفظ الجمع على الواحد مجاز وهو خلاف الاصل ۔ وعن الخامس انه
باطل لوجهين ۔ احدهما قوله تعالى منكم يدل على ان الخطاب كان مع الحاضرين ۔ الثانى انه تعالى وعدهم القوة والشوكة
والنفاذ فى العالم ولم يوجد ذلك فيهم فثبت بهذا صحة امامة الائمة الاربعة ۔ وبطل قول الرافضة الطاعنين على ابى بكر وعمر

دلت الاية على امامة الائمة الاربعة

وعثمان وعلي وعلى بطلان قول الخوارج الطاعنين على عثمن وعلي ولنرجع الى التفسير اما قوله ليستخلفنهم فللقايل ان يقول
ان القسم المتلقي باللام والنون في ليستخلفنهم جوابه هو محذوف تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او
نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كانه اقسم الله ليستخلفنهم ، اما قوله كما استخلف الذين
من قبلهم يعني كما استخلف هرون ويوشع وداود وسليمان ، وتقدير النظم ليستخلفنهم استخلافا كاستخلاف من قبلهم
من هولا الانبيا ، وقرى كما استخلف بضم التا وكسر اللام ، وقرى بالفتح اما قوله وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم فالمعنى
انه يثبت لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام ، اما قوله وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا اى بان يكون الغلبة لهم ، فقرا ابن كثير
وعاصم ويعقوب وليبدلنهم من الابدال ، والباقون بالتشديد ، وقد ذكرنا الفرق بينهما في قوله بدلناهم جلودا غيرها
اما قوله يعبدونني لا يشركون بي شيا ففيه دليل على ان الذين عناهم لا يتغيرون عن عبادة الله تعالى الى الشرك قال
الزجاج يجوز ان يكون في موضع الحال على معنى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات في حال عبادتهم واخلاصهم لله
ليفعلن بهم كيت وكيت ، ويجوز ان يكون استينافا على طريق الثنا عليهم اما قوله تعالى ومن كفر بعد ذلك اى جحد حق هذه النعم
فاولئك هم الفاسقون ، قوله تعالى واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن
الذين كفروا معجزين في الارض وماواهم النار ولبيس المصير تعتبر اقامة الصلاة وايتا الزكاة ولفظة لعل ولفظة الرحمة
فالكل قد تقدم مرارا ، واما قوله لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض فالمعنى لا تحسبن يا محمد الذين كفروا سابقين فايتين
يعجزونني عن ادراكهم ، وقرى لا يحسبن بالياء المعجمة من تحتها ، وفيه اوجه ، احدها ان يكون معجزين في الارض هما المفعولان
والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك ، وثانيها ان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم
ذكره في قوله واطيعوا الرسول ، والمعنى ولا يحسبن الرسول الذين كفروا معجزين ، وثالثها ان يكون الاصل ولا يحسبنهم
الذين كفروا معجزين على حذف الضمير الذي هو المفعول الاول ، اما قوله وماواهم النار ولبيس المصير لا يحتمل ان يكون
متصلا بقوله ولا يحسبن لان ذلك نفي وهذا ايجاب فهو اذن معطوف بالواو على مضمر قبله تقديره لا يحسبن
الذين كفروا معجزين في الارض بل هم مقهورون وماواهم النار ، قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين
ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة
ومن بعد صلاة العشا ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم
على بعض كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين
من قبلهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم والقواعد من النسا اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن
جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم اعلم ان في الايات مسايل
المسئلة الاولى قال القاضي قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم وان كان ظاهره الرجال فالمراد
به الرجال والنسا لان التذكير مغلب على التانيث اذا لم يتميز فدخل تحت قوله يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الكل ، ويبين
ذلك قوله تعالى الذين ملكت ايمانكم لان الملك يقال في النسا والرجال ، والاولى عندي الحكم ثابت في النسا بقياس جلي
وذلك لان النسا في باب حفظ العورة اشد حالا من الرجال ، فهذا الحكم كما يثبت في الرجال فثبوته في النسا
بطريق الاولى ، كما انا نثبت حرمة الضرب بالقياس الجلي على حرمة التافيف المسئلة الثانية ظاهر قوله والذين
ملكت ايمانكم يدخل فيه البالغون والصغار ، وحكي عن ابن عباس ان المراد الصغار ، واحتجوا بان الكبير من المماليك
ليس له ان ينظر من المالكة الا الى ما يجوز للحر ان ينظر اليه قال ابن المسيب لا يغرنكم قوله وما ملكت ايمانكم لا ينبغي
ان ينظر عبدها الى قرطها وشعرها وشي من محاسنها ، وقال اخرون بل البالغ من المماليك له ان ينظر الى شعر مالكته
وما شاكله ، وظاهر الاية يدل على اختصاص عبيد المومنين ، والاطفال اولى لاحرار باباحة ما حظر الله من قبل
على جماعة المومنين بقوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم فانه اباح لهم الدخول الا في الاوقات الثلاثة وجوز دخول من لم
يبلغ بغير اذن ودخول الموالي عليهم بقوله تعالى لا جناح عليكم بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض اى يطوف بعضكم
على بعض فيما عدا الاوقات الثلاثة ، واكد ذلك بان اوجب على من بلغ الحلم الجرى على سنن من قبلهم من البالغين في الاستيذان
في ساير الاوقات ، والخطاب لمن دخل تحت قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها المسئلة الثالثة
قوله ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم ان اريد به العبيد والاما اذا كانوا بالغين فغير ممتنع ان يكون امرا لهم ، وان اريد
الذين لم يبلغوا الحلم يجب ان يكون امرا لنا بان نامرهم بذلك ونبعثهم عليه كما امرنا ان نامر الصبي وقد عقل الصلاة ان
يفعلها لا على وجه التكليف لهم لكنه تكليف لنا لما فيه من المصلحة لنا ولهم بعد البلوغ ولا يبعد ان يكون لفظ الامر وان
كان في الظاهر متوجها عليهم الا انه يكون في الحقيقة متوجها على المولى كقولك للرجل ليخفك اهلك ولذلك فظاهر

متوجها

الامر لهم

الامر لهم وحقيقة الامر له بفعل ما يخافون عنده المسئلة الرابعة قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث غلاما من الانصار الى عمر ليدعوه فوجده نايما في البيت فدفع الباب وسلم ولم يستيقظ فعاد ورد الباب وقام من خلفه
وحركه فلم يستيقظ فقال الغلام اللهم ايقظه لي ودفع الباب ثم ناداه فاستيقظ وجلس ودخل الغلام فانكشف من عمر شي وعرف
عمر ان الغلام راى ذلك منه فقال وددت ان الله نهى ابناءنا ونساءنا وخدمنا ان يدخلوا علينا في هذه الساعات الا باذن
ثم انطلق معه الى رسول الله فوجده قد نزل عليه يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم فحمد الله عمر عند ذلك فقال
عليه السلام وما ذاك يا عمر فاخبره بما فعل الغلام فتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنيعه وتعرف اسمه ومدحه وقال
ان الله يحب الحليم الحيي العفيف ، ويبغض البذي الجري ، والسايل الملحف فهذه الاية منزلة بسبب عمر وقال بعضهم
نزلت في اسما بنت ابي مرثد قالت انا لندخل على الرجل والمراة ولعلهما يكونا في لحاف واحد ، وقيل دخل عليها غلام لها كبير
في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها فنزلت المسئلة الخامسة
قال عمر رضي الله عنه ومجاهد قوله ليستاذنكم عني الذكور دون الاناث لان قوله الذين ملكت ايمانكم صيغة الذكور لا
صيغة الاناث ، وعن ابن عباس هي في الرجال والنسا يستاذنون على كل حال بالليل والنهار والصحيح انه يجب اثبات هذا
الحكم في النسا لان الانسان كما يكره اطلاع الذكور على احواله فقد يكره ايضا اطلاع النسا عليها ولكن الحكم يثبت في النسا
بالقياس لا بظاهر اللفظ على ما قدمناه المسئلة السادسة من العلما من قال الامر في قوله ليستاذنكم على الندب
والاستحباب ، ومنهم من قال على الايجاب وهذا اولى لما ثبت ان ظاهر الامر للوجوب ، اما قوله والذين لم يبلغوا الحلم منكم
ففيه مسايل المسئلة الاولى قرا ابن عمر الحلم بالسكون المسئلة الثانية اتفق الفقها على ان الاحتلام بلوغ
واختلفوا اذا بلغ خمسة عشر سنة ولم يحتلم قال ابو حنيفة لا يكون الغلام بالغا حتى يبلغ ثماني عشرة سنة ويستكملها
وفي الجارية سبع عشرة سنة ، وقال الشافعي وابو يوسف ومحمد في الغلام والجارية خمس عشرة سنة قال ابو بكر الرازي
قوله تعالى والذين لم يبلغوا الحلم منكم يدل على بطلان من جعل حد البلوغ خمس عشرة سنة اذا لم يحتلم لان الله تعالى لم
يفرق بين من بلغها وبين من قصر عنها بعد ان لا يكون قد بلغ الحلم ، وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام من جهات كثيرة
رفع القلم عن ثلاث ، عن النايم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق ، وعن الصبي حتى يحتلم ، ولم يفرق بين من بلغ خمسة عشر سنة
وبين من لم يبلغها ، فان قيل فهذا الكلام يبطل التقدير ايضا بثماني عشرة سنة اجاب بان قد علمنا ان البلوغ خمس عشر
وكلما كان مبنيا على طريق العادات فقد تجوز الزيادة فيه والنقصان منه ، وقد وجدنا من بلغ في ثنتي عشرة سنة ، وقد بينا
ان الزيادة على المعتاد جايزة كالنقصان منه ، فجعل ابو حنيفة الزيادة كالنقصان وهي ثلاث سنين ، وقد حكى عن
ابي حنيفة تسع عشرة سنة للغلام وهو محمول على استكمال ثماني عشرة والدخول في التاسع عشر ، حجة الشافعي ما روى عن ابن عمر
انه عرض على النبي عم يوم احد وله اربع عشرة سنة فلم يجزه ، وعرض عليه يوم الخندق وهو له خمسة عشر سنة فاجازه
واعترض ابو بكر الرازي عليه فقال هذا الخبر مضطرب لان احد كان في سنة ثلاث ، والخندق في سنة خمس
فكيف يكون بينهما سنة ، ثم مع ذلك فان الاجازة في القتال لا تعلق لها بالبلوغ لانه قد يرد البالغ لضعفه ويؤذن لغير
البالغ لقوته ولطاقته لحمل السلاح ، ويدل على ذلك انه عم ما ساله عن الاحتلام والسن ، البحث الثاني اختلفوا
في الانبات هل يكون بلوغا ، فابو حنيفة واصحابه ما جعلوه بلوغا ، والشافعي جعله بلوغا قال ابو بكر الرازي ظاهر
قوله والذين لم يبلغوا الحلم منكم ينفي ان يكون الانبات بلوغا اذا لم يحتلم كما ينفي كون خمس عشرة بلوغا ، وكذلك قوله عم
عليه السلام ، وعن الصبي حتى يحتلم ، حجة الشافعي ما روى عن عطية القرظي ان النبي عليه الصلاة والسلام امر بقتل من انبت
من قريظة واستحيا من لم ينبت ، قال فنظروا الي فلم اكن قد انبت فاستبقاني قال ابو بكر الرازي هذا الحديث
لا يجوز اثبات الشرع بمثله لوجوه ، احدها ان عطية هذا مجهول لا يعرف الا من هذا الخبر لا سيما مع اعتراضه على
الاية والخبر في نفي البلوغ بالانبات ، وثانيها انه مختلف الالفاظ ، ففي بعضها انه امر بقتل من جرت عليه المواسي
وفي بعضها من اخضر ازاره ، ومعلوم انه لا يبلغ هذه الحال الا وقد تقدم بلوغه ولا يكون قد جرت عليه المواسي الا
وهو رجل كبير فجعل الانبات وجري المواسي عليه عبارة عن بلوغ القدر الذي ذكرت من السن وهي ثماني عشرة سنة
واكثر ، وثالثها ان الانبات يدل على القوة البدنية ، فالامر بالقتل لذلك لا للبلوغ ، قال الشافعي هذه الاحاديث
مردودة بما روى عن عثمن رضي الله عنه انه سيل عن غلام فقال هل اخضر ازاره ، وهذا يدل على ان ذلك كان كالامر
المتفق عليه فيما بين الصحابة ، البحث الثالث روى عن قوم من السلف انهم اعتبروا في البلوغ ان يبلغ الانسان
في طوله خمسة اشبار ، روى عن علي عليه السلام انه قال اذا بلغ الغلام خمسة اشبار فقد وقعت عليه الحدود
ويقتص له ويقتص منه ، وعن ابن سيرين عن انس قال اتي ابو بكر بغلام قد سرق فامر به فشبر فنقص انملة فخلي

صيغة

سن البلوغ عند ابي حنيفة ثماني عشرة سنة وفي الجارية سبع عشرة سنة

عنه • وهذا المذهب اخذ به الفرزدق في قوله شعر • ما زال مذ عقدت عليه ازاره • فسما فادرك خمسة الاشبار
واكثر الفقها لا يقولون بهذا المذهب لان الانسان قد يكون دون البلوغ ويكون طويلا او فوق البلوغ ويكون قصيرا
فلا عبرة به **المسألة الثالثة** قال ابو بكر الرازي دلت هذه الاية على ان من لم يبلغ وقد عقل يومر بفعل الشرايع
وينهى عن ارتكاب القبايح فان الله امرهم بالاستيذان في هذه الاوقات وقال عليه الصلاة والسلام مروهم
بالصلاة وهم ابنا سبع واضربوهم عليها وهم ابنا عشر • وعن ابن عمر يعلم الصبي الصلاة اذا عرف يمينه من شماله
وعن زين العابدين انه كان يامر الصبيان ان يصلوا الظهر والعصر جميعا والمغرب والعشا جميعا فقيل له يصلون
الصلاة لغير وقتها فقال هذا خير من ان يتناموا عنها • وعن ابن مسعود اذا بلغ الصبي عشر سنين كتبت له الحسنات
ولا تكتب عليه السيئات حتى يحتلم • ثم قال ابو بكر الرازي انما يومر بذلك على وجه التعليم ليعتاده ويتمرن عليه فيكون
اسهل عليه بعد البلوغ واولى ان لا ينفر منه • وكذلك يجتنب شرب الخمر واكل لحم الخنزير • وينهى عن ساير المحظورات
لانه لو لم يمنع منه في الصغر لصعب عليه الامتناع بعد الكبر • وقال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا قيل في تفسيره
ادبوهم وعلموهم والله اعلم **المسألة الرابعة** قال الاخفش يقال من الحلم حلم الرجل بفتح اللام يحلم حلما بضم الحا
ومن الحلم حلم الرجل بضم اللام يحلم حلما بكسر الحا • اما قوله تعالى ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون
ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشا ثلاث عورات لكم • ففيه مسايل **المسألة الاولى** قوله ثلاث مرات
يعني ثلاث اوقات لانه تعالى فسرهن بالاوقات • وانما قيل ثلاث مرات للاوقات لانه اراد مرة في كل وقت من هذه الاوقات
لانه يكفيهم في كل واحد من هذه الاوقات ان يستاذنوا مرة واحدة • ثم بين تلك الاوقات فقال من قبل صلاة الفجر وحين
تضعون ثيابكم من الظهيرة • ومن بعد صلاة العشا يعني الغالب في هذه الاوقات الثلاثة ان يكون متجردا عن الثياب
مكشوف العورة **المسألة الثانية** قوله ثلاث عورات قرا اهل الكوفة ثلاث بالنصب على البدل من قوله
ثلاث مرات او كانه قال في اوقات ثلاث عورات لكم فلما حذف المضاف اعرب المضاف اليه باعرابه • وقرا الباقون
بالرفع اي هي ثلاث عورات فارتفع لانه خبر مبتدا محذوف قال القفال وكان المعنى هي ثلاث انكشافات • والمراد
وقت الانكشاف **المسألة الثالثة** العورة الخلل ومنه اعور الفارس واعور المكان ونحوه المختل
المعيب فسمى الله تعالى كل واحدة من تلك الاحوال عورة لان الناس يختل تحفظهم وتسترهم فيها **المسألة الرابعة**
الاية دالة على ان الواجب اعتبار العلل في الاحكام اذا امكن لانه تعالى نبه على العلة في هذه الاوقات الثلاثة
من وجهين • احدهما بقوله ثلاث عورات لكم • والثاني بالتنبيه على الفرق بين هذه الاوقات الثلاثة وبين ما عدا
بانه ليس ذلك الا لعلة التكشف في هذه الاوقات الثلاثة وانه لا يومن وقوع التكشف فيها وليس كذلك ما
عدا هذه الاوقات الثلاثة والله اعلم **المسألة الخامسة** من الناس من قال ان قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها وهذا يدل على ان الاستيذان واجب في كل حال
فصار ذلك منسوخا بهذه الاية في غير هذه الاحوال الثلاثة • ومن الناس من قال الاية الاولى اريد بها المكلف
لانه خطاب لمن امن وما ذكره الله تعالى في هذه الاية فهو فيمن ليس بمكلف • وقيل فيه ان في بعض الاحوال لا
يدخل الا باذن • وفي بعضها بغير اذن فلا وجه لحمل ذلك على النسخ لان من يتناوله الاية الاولى من المخاطبين لم يتناوله
الاية الثانية اصلا • فان قيل بتقدير ان يكون قوله تعالى الذين ملكت ايمانكم يدخل فيه من قد بلغ فالنسخ لازم • قلنا
لا يجب ذلك ايضا لان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم لا يدخل فيه الا من يملك البيوت بحق
هذه الاضافة واذا صح ذلك لم يدخل تحته العبيد والاما فلا يجب النسخ ايضا على هذا القول • فاما ان حمل الكلام على
صغار المماليك • فالقول فيه ابين والله اعلم **المسألة السادسة** قال ابو عبيد لم يصر احد من العلما الى
ان الامر بالاستيذان منسوخ • وروى عطا عن ابن عباس انه قال ثلاث ايات من كتاب الله تركهن الناس ولا ارى
احدا يعمل بهن قال عطا حفظت اثنتين ونسيت واحدة • وقرا هذه الاية وقوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من
ذكر وانثى وذكر سعيد بن جبير ان الاية الثالثة قوله واذا حضر القسمة اولو القربى الاية • اما قوله تعالى ليس
عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض ففيه سؤالات • السؤال الاول تقولون ان في قوله
ليس عليكم ولا عليهم جناح انه يقتضي الاباحة على كل حال الجواب قد بينا ان ذلك هو في الصغار خاصة
فمباح لهم الدخول للخدمة بلا اذن في غير الاوقات الثلاثة ومباح لنا تمكينهم من ذلك والدخول عليهم ايضا • السؤال
الثاني فهل يقتضي ذلك اباحة كشف العورة لهم الجواب لا وانما اباح تعالى ذلك من حيث كانت العادة ان لا تكشف
العورة في غير تلك الاوقات فمتى تكشفت المراة مع ظن دخول الخدم اليها • فذلك يحرم عليها • فان كان الخادم مميزا وله

التكليف

التكليف فحرم عليه الدخول ايضا اذا ظن ان هناك كشف عورة • فان قيل اليس في الناس من جوز للبالغ من المماليك
ان ينظر الى شعر مولاته • قلنا من جوز ذلك اخرج الشعر من ان يكون عورة لحق الملك كما يخرج من ان يكون عورة لحق الرحم
اذ العورة تنقسم فمنه ما يكون عورة على كل حال • ومنه ما يختلف حاله بالاضافة فيكون عورة مع الاجنبي غير عورة
مع غيره على ما تقدم ذكره • السؤال الثالث اتقولون بهذه الاباحة مقصورة على الخدم دون غيرهم الجواب نعم
وفي قوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن دلالة على ان هذا الحكم يختص الصغار دون البالغين على ما تقدم ذكره وقد نص
تعالى على ذلك من بعد فقال واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم • والمراد من تجدد فيه البلوغ
يجب ان يكون بمنزلة من تقدم بلوغه في وجوب الاستيذان فهذا معنى قوله كما استاذن الذين من قبلكم وقد يجوز ان يظن ظان
ان من خدم في حال الصغر فاذا بلغ يجوز له ان لا يستاذن ويفارق حاله حال من لم يخدم ولم يملك فبين تعالى انه لما حظر الدخول
على البالغين الا بالاستيذان • فلذلك على هؤلاء اذا بلغوا وان تقدمت لهم خدمة او ثبت فيهم ملك عين • السؤال الرابع الامر
بالاستيذان هل هو مختص بالمملوك من لم يبلغ الحلم او يتناول الكل من ذوي الارحام والاجنبي وايضا لو كان المملوك من ذوي الرحم
هل يجب عليه الاستيذان الجواب اما في الصورة الاولى فنعم • اما العموم قوله لا تدخلوا بيوتا حتى تستانسوا او بالقياس
على المملوك ومن لم يبلغ الحلم بطريق الاولى • واما الصورة الثانية فيجب عليه الاستيذان لعموم الاية السؤال الخامس ما محل
ليس عليكم جناح الجواب اذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف المعنى هي ثلاث عورات مخصوصة
بالاستيذان • واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقصورا للامر بالاستيذان في تلك الاحوال الخاصة • السؤال السادس
ما معنى قوله طوافون عليكم الجواب قال الفرا والزجاج انه كلام مستانف كقولك في الكلام انما هم خدمكم وطوافون
عليكم • والطوافون الذين يكثرون الدخول والخروج والتردد • واصله من الطوف • والمعنى يطوف بعضكم على بعض بغير اذن
السؤال السابع بم ارتفع بعضكم الجواب بالابتدا وخبره على بعض على معنى طايف على بعض وحذف لان طوافون يدل
عليه • اما قوله تعالى والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا ففيه مسايل **المسألة الاولى** قال ابن السكيت
امراة قاعد اذا قعدت عن الحيض • والجمع قواعد • واذا اردت القعود قلت قاعدة وقال المفسرون القواعد هن اللواتي
قعدن عن الحيض من الكبر ولا يطمع لهن في الازواج • والاولى ان يعتبر قعودهن عن الحيض لان ذلك ينقطع والرغبة فيهن
باقية • والمراد قعودهن عن طلب الازواج وذلك لا يكون الا اذا بلغن في السن بحيث لا يرغب فيهن الرجال **المسألة الثانية**
قوله تعالى في النسا يرجون كقوله الا ان يعفون **المسألة الثالثة** لا شبهة في انه تعالى لم ياذن في ان يضعن
ثيابهن اجمع لما فيه من كشف كل عورة فلذلك قال المفسرون المراد من الثياب ها هنا الجلباب والردا والقناع الذي
فوق الخمار • روي عن ابن عباس انه قرا ان يضعن جلابيبهن • وعن السدي عن شيوخه ان يضعن خمرهن عن رؤوسهن
وعن بعضهم انه قرا ان يضعن من ثيابهن • وانما خصهن الله بذلك لان التهمة مرتفعة عنهن وقد بلغن هذا المبلغ فلو
غلب على ظنهن خلاف ذلك لم يحل لهن وضع الثياب • ولذلك قال وان يستعففن خير لهن وانما جعل ذلك افضل من حيث
هو ابعد عن المظنة وذلك يقتضي ان عند الظن يلزمهن ان لا يضعن ذلك كما يلزم مثله في الشابة **المسألة الرابعة**
حقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه • من قولهم سفينة بارج اي لا غطا عليها والبرج سعة العين بحيث يرى
بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شي الا انه اختص بان تنكشف المراة للرجال بابراز زينتها واظهار محاسنها • قوله تعالى
**ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوت ابايكم او بيوت
امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم
او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا
فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون**
اعلم ان في هذه الاية مسايل **المسألة الاولى** اختلفوا في رفع الحرج عن الاعمى والاعرج والمريض فقال ابن زيد
المراد انه لا اثم عليهم ولا حرج في ترك الجهاد وقال الحسن نزلت الاية في ابن ام مكتوم وضع الله الجهاد عنه وكان اعمى
وهذا القول ضعيف لانه تعالى عطف عليه قوله ان تاكلوا فنبه بذلك على انه انما رفع الحرج في ذلك • وقال الاكثرون
المراد منه ان القوم كانوا يتحرجون عن الاكل مع هولا الثلاثة • وفي هذه المنازل والله تعالى رفع الحظر وازاله • واختلفوا
في انهم لاي سبب اعتقدوا ذلك الحظر • اما في حق الاعمى والاعرج والمريض فذكروا وجوها • احدها انهم كانوا لا ياكلون
مع الاعمى لانه لا يبصر الطعام الجيد فلا ياخذه ولا مع الاعرج لانه لا يتمكن من الجلوس فالوا ان اكل لقمة نحن ناكل لقمتين
وكذا المريض لانه لا يتاتى له ان ياكل كما ياكل الصحيح قال الفرا فعلى هذا التاويل يكون على بمعنى في يعني ليس في مواكلة
هولاء حرج • وثانيها ان العميان والعرجان والمرضى تركوا مواكلة الاصحا • اما الاعمى فقال اني لا ارى شيئا فربما اخذت

المراد من الثياب ههنا الجلباب والرداء

الاجود وأترك الأردى • وأما الأعرج والمريض فخافا أن يفسدا الطعام على الأصحاء لأمور تعتري المريض ولأجل
أن الأصحاء يستقذرون منهم • ولأجل أن المريض بما حمله الشره على أن يتعلق نظره وقلبه بلقمة الغير وذلك مما يكرهه
ذلك الغير • فلهذه الأسباب احترزوا من مواكلة الأصحاء فالله تعالى أطلق لهم في ذلك • وثالثها روى الزهري
عن سعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله في هذه الآية أن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يسلمون
إليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون لهم قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا وكانوا يتحرجون من ذلك وقالوا لا ندخلها
وهم غايبون فنزلت هذه الآية رخصة لهم وهذا قول عايشة تعني هذا معنى الآية نفي الحرج عن الزمنى في الأكل من بيت
من يدفع إليهم المفتاح إذا خرج إلى الغزو • ورابعها نقل عن ابن عباس ومقاتل بن حيان نزلت هذه الآية في الحرث بن عمرو
وذلك أنه خرج مع رسول الله عليه الصلاة والسلام غازيا وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجده مجهودا فسأله عن
حاله فقال تحرجت أن آكل من طعامك بغير إذنك • أما في حق ساير الناس فذكروا وجهين • الأول كان المؤمنون يذهبون
بالضعفاء وذوي العاهات إلى بيوت أزواجهم وأولادهم وقراباتهم وأصدقايهم فيطعمونهم منها فلما نزل قوله تعالى
ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة أي بيعا فعند ذلك امتنع الناس أن يأكل بعضهم من طعام بعض فنزلت
هذه الآية • الثاني قال قتادة كانت الأنصار في أنفسها قزازة فكانت لا تأكل من هذه البيوت إذا استغنوا قال
السدي كان الرجل يدخل بيت أبيه أو بيت أخيه أو أخته فتتحفه المرأة بشيء من الطعام فيتحرج أنه ليس ثم رب البيت فأنزل
الله تعالى الرخصة **المسئلة الثانية** قال الزجاج الحرج في اللغة الضيق ومعناه في الدين الإثم **المسئلة الثالثة**
أنه تعالى أباح الأكل للناس من هذه المواضع • فظاهر الآية يدل على أن إباحة الأكل لا تتوقف على الاستيذان فاختلف
العلماء فيه فنقل عن قتادة أن الأكل مباح ولكن لا يحمل • وجمهور العلماء أنكروا ذلك • ثم اختلفوا على وجوه • الأول
كان ذلك في صدر الإسلام ثم نسخ ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام لا يحل مال امرء مسلم إلا عن طيب من نفسه • ومما
يدل على هذا النسخ قوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه • وكان في أزواج الرسول
من لهن الآباء والإخوة والأخوات • وعمم بالنهي عن دخول بيوتهن إلا بعد الإذن في الدخول وفي الأكل • فإن قيل
إنما أذن تعالى في هذا لأن المسلمين لم يكونوا يمنعون قراباتهم هؤلاء من أن يأكلوا من بيوتهم حضروا أو غابوا فجاز أن
يرخص في ذلك • قلنا لو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص هؤلاء الأقارب بالذكر معنى لأن غيرهم كهم في ذلك
الثاني قال أبو مسلم الأصفهاني المراد من هؤلاء الأقارب إذا لم يكونوا مؤمنين وذلك لأنه تعالى نهى من قبل عن مخالطتهم
بقوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله • ثم إنه سبحانه أباح في هذه الآية
ما حظر هنالك قال ويدل عليه أن في هذه السورة أمر بالتسليم على أهل البيوت فقال حتى تستأنسوا وتسلموا
على أهلها • وفي بيوت هؤلاء المذكورين لم يأمر بذلك بل أمر أن يسلموا على أنفسهم • والحاصل أن المقصود من
هذه الآية إثبات الإباحة في جميع الأوقات • الثالث أنه لما علم بالعادة أن هؤلاء القوم تطيب أنفسهم
بأكل من يدخل عليهم • فالعادة كالإذن في ذلك • فيجوز أن يقال خصهم الله بالذكر لأن هذه العادة في الغالب
توجد فيهم ولذلك ضم إليهم الصديق • ولما علمنا أن هذه الإباحة إنما حصلت في هذه الصور لأجل حصول
الرضا فيها فلا حاجة إلى القول بالنسخ **المسئلة الرابعة** أن الله تعالى ذكر إحدى عشر موضعا في هذه الآية
أولها قوله ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم وفيه سؤال وهو أن يقال أي فايدة في إباحة أكل الإنسان
طعامه في بيته • وجوابه المراد في بيوت أزواجكم وعيالكم أضافه إليهم لأن بيت المرأة كبيت الزوج هذا
قول الفراء وقال ابن قتيبة أراد بيوت أولادهم فنسب بيوت الأولاد إلى الآباء لأن بيت الولد كبيت والده
وماله كماله قال عليه السلام إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه والدليل على هذا أنه تعالى
عدد الأقارب ولم يذكر الأولاد لأنه إذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو أقرب منهم أولى • وثانيها
بيوت الآباء • وثالثها بيوت الأمهات • ورابعها بيوت الإخوان • وخامسها بيوت الأخوات • وسادسها بيوت
الأعمام • وسابعها بيوت العمات • وثامنها بيوت الأخوال • وتاسعها بيوت الخالات • وعاشرها قوله تعالى
أو ما ملكتم مفاتحه • وقرئ مفتاحه وفيه وجوه • الأول قال ابن عباس وكان الرجل يبعث قيم في ضيعته وماشيته
لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته • ويشرب من لبن ماشيته • وملك المفاتح كونها في يده • الثاني قال الضحاك
يريد الزمنى الذين كانوا يخلفون للغزاة • الثالث المراد بيوت المماليك لأن مال العبد لمولاه • قال المفضل
المفاتح واحدها مفتح بفتح الميم • وواحد المفاتيح مفتح بالكسر • الحادي عشر قوله أو صديقكم • والمعنى أو بيوت
أصدقايكم • والصديق يكون واحدا وجمعا • وكذلك الخليط والقطين والعدو • ويحكى عن الحسن أنه دخل داره

واذا حلقه

وإذا حلقة من أصدقايه وقد أخرجوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الأطعمة وهم مكبون عليها يأكلون
فتهللت أسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة • وعن ابن عباس الصديق أكبر من الوالدين
لأن أهل جهنم لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأمهات بل بالأصدقاء فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم • وحكي
أن أخا للربيع في الله دخل منزله في حال غيبته فانبسط إلى جاريته حتى قدمت إليه ما أكل فلما عاد أخبرته بذلك فاستبشر
وقال إن صدقت فأنت حرة **المسئلة الخامسة** احتج أبو حنيفة بهذه الآية على أن من سرق من ذي رحم محرم
لا يقطع لإباحة الله لهم بهذه الآية الأكل من بيوتهم ودخولها بغير إذنهم فلا يكون ماله محرزا منهم • فإن قيل فيلزم
أن لا يقطع إذا سرق من صديقه • قلنا من أراد سرقة ماله لا يكون صديقا له • أما قوله تعالى ليس عليكم جناح أن
تأكلوا جميعا أو أشتاتا فقال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية في بني ليث بن بكر وهم حي من كنانة كان الرجل منهم لا يأكل
وحده يمكث يومه فإن لم يجد من يواكله لا يأكل شيئا وربما كانت معه الإبل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه
فأعلم الله تعالى أن الرجل إذا أكل وحده لا حرج عليه هذا قول ابن عباس وقال عكرمة وأبو صالح كانت الأنصار إذا نزل
بواحد منهم ضيف لم يأكل ضيفه حتى يأكل معه فرخص لهم أن يأكلوا كيف شاءوا مجتمعين ومتفرقين وقال الكلبي كانوا إذا
اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للأعمى طعاما على حدة • وكذلك الزمن والمريض فبين الله لهم أن ذلك غير واجب وقال
آخرون كانوا لا يأكلون مجتمعين خوفا من أن يحصل عند الجمعية ما ينفر منه أو يؤذي فبين الله تعالى أنه غير واجب
وقوله جميعا نصب على الحال • وأشتاتا جمع شتيت وشتات ومنه شت قال المفضل • وقيل الشت مصدر بمعنى التفرق
ثم يوصف به الجمع • أما قوله تعالى فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم فالمعنى أنه تعالى جعل أنفس المسلمين كالنفس الواحدة
على مثال قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم قال ابن عباس فإن لم يكن أحد فعلى نفسه ليقل السلام علينا من قبل ربنا • وإذا
دخل المسجد فليقل السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلينا من قبل ربنا قال قتادة وحدثنا أن الملائكة ترد
عليهم قال القفال وإن كان في البيت أهل الذمة فليقل السلام على من اتبع الهدى • وقوله تحية نصب على المصدر كأنه
قال فحيوا تحية من عند الله أي مما أمركم الله به أن تقولوا السلام عليكم • وقوله مباركة طيبة قال الضحاك
معنى البركة فيه تضعيف الثواب وقال الزجاج أعلم الله سبحانه أن السلام مبارك ثابت لما فيه من الأجر والثواب
وأنه إذا أطاع الله فيه أكثر خيره وأجزل أجره لذلك يبين الله لكم الآيات أي يفصل شرايعه لكم لعلكم تعقلون لتفهموا
عن الله أمره ونهيه • روى حميد عن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين فما قال لي في شيء فعلته لم
فعلته ولا قال لي في شيء كسرته لم كسرته وكنت واقفا على رأس الرسول أصب الماء على يديه فرفع رأسه وقال ألا أعلمك
ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال من لقيت من أمتي فسلم عليه يطل عمرك • وإذا دخلت بيتك
فسلم عليهم يكثر خير بيتك • وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين • قوله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله
ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون
بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين
يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ألا إن لله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه
ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم في هذه الآيات مسايل **المسئلة الأولى** قرئ على أمر
جميع ثم ذكروا في قوله على أمر جامع وجوها • أحدها أن الأمر الجامع هو الأمر الموجب لاجتماعهم عليه فوصف
الأمر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو أو تشاور في خطب مهم [illegible] والأمر الذي يعم بضرره ونفعه
[illegible] الخطب جليل فلا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أرباب التجارب والآراء [illegible]
[illegible] • وثانيها عن الضحاك أنه الجمعة والأعياد وكل شيء تكون فيه الخطبة
• وثالثها أنه الجهاد [illegible] **المسئلة الثانية** اختلفوا في سبب نزوله قال الكلبي كان
صلى الله عليه وسلم يعرض في خطبته بالمنافقين ويعيبهم فينظر المنافقون يمينا وشمالا فإذا لم يرهم أحد انسلوا وخرجوا
[illegible] فنزلت هذه الآية [illegible] لا يخرج المؤمن لحاجة حتى
يستأذن رسول الله [illegible] **المسئلة الثالثة** قال الجبائي وهذا يدل على أن استيذانهم
الرسول من الإيمان ولولا ذلك لجاز أن يكونوا كاملي الإيمان • وإن تركوا الاستيذان [illegible]
[illegible]
[illegible] إن الله غفور رحيم [illegible] مسايل **المسئلة الأولى**

فما قال لي في شيء فعلته لم فعلته ولا قال لي في شيء كسرته لم كسرته

المعنى ان الذين يستأذنونك تعظيما لك ورعاية للادب اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله اى يعملون بموجب الايمان ومقتضاه قال الضحاك ومقاتل المراد عمر بن الخطاب وذلك انه استأذن في غزوة تبوك في الرجوع الى اهله فاذن له وقال انطلق فوالله ما انت بمنافق يريد بذلك اسماع المنافقين ان ذلك الكلام فلما سمعوا ذلك قالوا ما بال محمد اذا استأذنه اصحابه اذن لهم ... واما استيذانه لما ذكروا لونهم ... وقال ابن عباس ان عمر استأذن رسول الله في العمرة فاذن له ثم قال يا ابا حفص لا تنسنا من صالح دعائك وفي قوله واستغفر لهم الله وجهان احدهما ان يستغفر لهم تنبيها على ان الاولى ان لا يقع الاستيذان منهم وان اذن لان الاستغفار يدل على الذنب وثانيها انه ...

المسئلة الثانية ...

المسئلة الثالثة ...

المسئلة الاولى ...

المسئلة الثانية ...

المسئلة الثالثة ...

الحذر عن العذاب اقتضى بما في الكتاب انه وركا لامر به لكن لم قلتم ان الامر للوجوب • وهذا اول المسئلة • فان قلت هب انه لا يدل على وجوب الحذر لكن لا بد وان يدل على حسن الحذر وحسن الحذر انما يكون بعد قيام المقتضي لنزول العذاب • قلت لا نسلم ان حسن الحذر شرط لقيام المقتضي لنزول العذاب بل الحذر يحسن عند نزول العذاب وهذا يحسن الاحتياط وعندنا بمجرد الاحتمال قايم لان هذه المسئلة احتمالية لا قطعية سلمنا دلالة الاية على وجود ما يقتضي نزول العذاب لكن لا في كل امر بل في امر واحد لان قوله عن امره لا يفيد الا امرا واحدا • وعندنا ان امرا واحدا يفيد الوجوب فلم قلتم ان كل امر كذلك سلمنا ان كل امر كذلك لكن الضمير في قوله عن امره يحتمل عوده الى الله تعالى وعوده الى الرسول فالاية لا تدل الا على ان الامر للوجوب في حق احدهما فلم قلتم انه في حق الاخر كذلك الجواب قوله لم قلتم ان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه • قلنا الدليل عليه ان العبد اذا امتثل امر السيد حسن ان يقال هذا العبد موافق للسيد ويجري على امره ولو لم يمتثل امره حسن ان يقال انه ما وافقه بل خالفه وحسن هذا الاطلاق معلوم بالضرورة من اهل اللغة فثبت ان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه • وقوله الموافقة عبارة عن الاتيان بما يقتضيه الامر على الوجه الذي يقتضيه الامر • قلنا لما سلمتم ان موافقة الامر لا تحصل الا عند الاتيان بمقتضى الامر • فنقول لا شك ان مقتضى الامر هو الفعل لان قوله افعل لا يدل الا على اقتضاء الفعل • واذا لم يوجد الفعل لم يوجد مقتضى الامر فلا توجد الموافقة فوجب حصول المخالفة لانه ليس بين الموافقة والمخالفة واسطة • قوله الموافقة عبارة عن اعتقاد كون ذلك الامر حقا واجب القبول • قلنا هذا لا يكون موافقة الامر بل يكون موافقة الدليل الدال على ان ذلك الامر حق فان موافقة عبارة عن الاتيان بما يقتضيه تقرير مقتضاه فاذا دل الدليل على حقيقة الشيء كان الاعتراف بحقيته يقتضي تقرير مقتضى ذلك الدليل • اما الامر فلما اقتضى دخول الفعل في الوجود كانت موافقته عبارة عن فعل مقتضاه • قوله لو كان كذلك لكان تارك المندوب مخالفا فوجب ان يستحق العقاب • قلنا هذا الالزام انما يصح لو كان المندوب مأمورا به وهو ممنوع • قوله لم لا يجوز ان يكون قوله فليحذر امرا بالحذر عن المخالف بالحذر • قلنا لو كان كذلك لصار التقدير فليحذر المتسللون لواذا عن الذين يخالفون امره وحينئذ يصير قوله ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم ضايعا لان الحذر ليس فعلا يتعدى الى مفعولين • قوله كلمة عن ليس زايدة قلنا ذكرنا اختلاف الناس فيها في المسئلة الاولى • قوله لم قلتم ان قوله فليحذر يدل على وجوب الحذر عن العقاب • قلنا لا ندعي وجوب الحذر ولكن لا اقل من جواز الحذر وذلك مشروط بوجود ما يقتضي وقوع العقاب • قوله لم قلتم ان الاية تدل على ان كل مخالف الامر مستحق العقاب • قلنا لانه تعالى رتب نزول العقاب على المخالفة فوجب ان يكون معللا به فيلزم عمومه لعموم العلة • قوله هب ان امر الله او امر رسوله للوجوب • فلم قلتم ان الامر كذلك • قلنا لا قايل بالفرق المسئلة الرابعة من الناس من قال لفظ الامر مشترك بين الامر القولي وبين الشأن والطريق كما يقال امر فلان مستقيم • واذا ثبت ذلك كان قوله تعالى عن امره يتناول قول الرسول وفعله وطريقته • وذلك يقتضي ان كل ما فعله عليه السلام يجب ان يكون واجبا علينا • وهذه المسئلة مبنية على ان الكناية في قوله عن امره راجعة الى النبي عليه الصلاة والسلام • اما لو كانت راجعة الى الله فالوجوب ساقط بالكلية وتمام تقريره ذكرناه والله اعلم • اما قوله تعالى ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة • وانما ردد الله تعالى حال ذلك المخالف بين هذين الامرين لان ذلك المخالف قد يموت من دون عقاب الدنيا وقد يعرض له ذلك في الدنيا • فلهذا السبب ورده الله تعالى على سبيل الترديد • ثم قال الحسن الفتنة هي ظهور نفاقهم وقال ابن عباس القتل • وقيل الزلازل والاهوال • وعن جعفر بن محمد يسلط الله عليهم سلطانا جابرا • اما قوله تعالى الا ان لله ما في السموات والارض فذلك كالدلالة على قدرته تعالى عليهما وعلى ما بينهما وفيهما • واقتداره على المكلف بما يعامل به من المجازاة بثواب او بعقاب • وعلمه بما يخفيه ويعلنه وكل ذلك كالزجر عن مخالفة امره • اما قوله قد يعلم ما انتم عليه فانما ادخل قد لتوكيد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق • ويرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد • وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير كما في قوله • فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود • والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات • ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين • وقد تقدم في غير موضع ان الرجوع اليه هو الرجوع الى حيث لا يحكم الا الله فلا شيء من الممكنات الا تحت قدرته • والله اعلم • تم تفسير سورة النور

سورة الفرقان مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده

ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شي فقدره تقديرا

اعلم انه سبحانه وتعالى لما تكلم في هذه السورة في التوحيد والنبوة واحوال القيمة ثم ختمها بذكر صفات العباد المخلصين الموقنين ولما كان اثبات الصانع واثبات صفات جلاله يجب ان يكون مقدما على الكل لاجرم افتتح الله هذه السورة بذلك فقال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده وفيه مسايل

المسئلة الاولى قال الزجاج تبارك تفاعل من البركة والبركة كثرة الخير وزيادته وفيه معنيان احدهما تزايد خيره وتكاثر وهو المراد من قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والثاني تزايد عن كل شي وتعالى عنه في ذاته وفي صفاته وافعاله وهو المراد من قوله ليس كمثله شي اما تعاليه عن كل شي في ذاته فيحتمل ان يكون المعنى جل بوجوب وجوده وقدمه عن جواز الفناء والتغير عليه وان يكون جل بتفرده ابديته عن مشابهة شي من الممكنات واما تعاليه عن كل شي في صفاته فيحتمل ان يكون المعنى جل في قدرته وعلمه ان يخرج عنها شي من المعلومات والمقدورات وان يكون المعنى جل ان يكون علمه ضروريا او نسبيا او تصورا او تصديقا وفي قدرته ان يحتاج الى مادة ومدة ومثال وجل عن عرض واحتيال واما في افعاله فجل ان يكون الوجود والبقاء وصلاح حال الوجود الا من قبله وقال اخرون اصل الكلمة تدل على البقاء وهو ماخوذ من بروك البعير ومن بروك الطير على الماء وسميت البركة بركة لثبوت الخير فيها والمعنى انه باق في ذاته ازلا وابدا ممتنع التغير باق في صفاته ممتنع التبدل ولما كان هو سبحانه الخالق لوجوه المنافع والمصالح والمبقي لها وجب وصفه سبحانه بانه تبارك وتعالى

المسئلة الثانية قال اهل اللغة كلمة الذي موضوعة للاشارة الى الشي عند محاولة تعريفه بقصة معلومة وعند هذا يتوجه الاشكال وهو ان القوم ما كانوا عالمين بانه سبحانه هو الذي نزل الفرقان فكيف حسن هاهنا لفظ الذي وجوابه انه لما قامت الدلالة على كون القرآن معجزا ظهر بصحة الدليل كونه من عند الله فلقوة الدليل وظهوره اجراه سبحانه مجرى المعلوم

المسئلة الثالثة لا نزاع في ان الفرقان هو القرآن ووصف بذلك من حيث انه فرق به بين الحق والباطل في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبين الحلال والحرام ولانه فرق في النزول كما قال وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث وهذا التاويل اقرب لانه قال نزل الفرقان ولفظ نزل يدل على التفريق واما لفظة انزل فتدل على الجمع ولذلك قال في سورة آل عمران نزل عليك الكتاب بالحق وانزل التوراة والانجيل واعلم انه سبحانه لما قال اولا تبارك ومعناه كثرة الخير والبركة ثم ذكر عقيبه امر القرآن دل ذلك على ان القرآن منشا اعظم الخيرات واعم البركات لكن القرآن ليس الا منبعا للعلوم والمعارف والحكم فدل هذا على ان العلم اشرف المخلوقات واعظم الاشياء خيرا وبركة

المسئلة الرابعة لا نزاع ان المراد من العبد هاهنا محمد صلى الله عليه وسلم وعن ابن الزبير هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته كما قال لقد انزلنا اليكم فقولوا آمنا بالله وما انزل الينا وقوله ليكون للعالمين نذيرا ليكون هذا العبد نذيرا للعالمين وقول من قال انه راجع الى الفرقان واضاف الانذار اليه كما اضاف الهداية اليه في قوله ان هذا القرآن يهدي ويقص فبعيد وذلك لان المنذر والنذير من صفات الفاعل للتخويف واذا وصف القرآن به فهو مجاز وحمل الكلام على الحقيقة اذا امكن هو الواجب ثم قالوا هذه الاية تدل على احكام الاول ان العالم كل ما سوى الله فيتناول جميع المكلفين من الجن والانس والملائكة لكنا اجمعنا انه عم لم يكن رسولا الى الملائكة فوجب ان يبقى رسولا الى الجن والانس جميعا فبطل بهذا قول من قال انه كان رسولا الى البعض الثاني ان لفظ العالمين يتناول جميع المخلوقات فتدل الاية على انه رسول الى الخلق الى يوم القيمة فوجب ان يكون خاتم الانبيا والرسل الثالث قالت المعتزلة دلت الاية على انه سبحانه اراد الايمان والطاعات من الكل لانه انما بعثه الى الكل ليكون نذيرا للكل وانما يصح كونه نذيرا للكل لو اراد من الكل الاشتغال بالحسن والاعراض عن القبيح وعارضهم اصحابنا بقوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم الرابع لقائل ان يقول ان قوله تبارك لما دل على كثرة الخير والبركة لا بد وان يكون المذكور عقيبه ما يكون سببا لكثرة الخيرات والمنافع والانذار يوجب الغم والخوف فكيف يليق ذكره بهذا الموضع وجوابه ان هذا الانذار يجري مجرى تاديب الولد فكلما كانت المبالغة في تاديب الولد اكثر كان الاحسان اليه اكثر لما كان ذلك يؤدي في المستقبل الى المنافع العظيمة فكذا هاهنا كلما كان الانذار اكثر كان رجوع الخلق الى الله اكثر فكانت السعادات الاخروية اتم واكثر وهذا كالتنبيه على انه لا التفات الى المنافع العاجلة وذلك لانه سبحانه لما وصف نفسه بانه الذي يعطي الخيرات الكثيرة لم يذكر الا منافع الدين ولم يذكر البتة شيئا من منافع الدنيا ثم انه سبحانه وصف ذاته باربعة انواع من صفات الكبريا اولها قوله الذي له ملك السموات والارض وهذا كالتنبيه على الدلالة على وجوده سبحانه لانه لا طريق الى اثباته الا بواسطة احتياج افعاله اليه وكان تقديم ذكر هذه الصفة على سائر الصفات كالامر الواجب وقوله له ملك السموات والارض اشارة الى احتياج هذه المخلوقات اليه سبحانه في زمان حدوثها وزمان بقائها

في ماهياتها

في ماهياتها وفي وجودها فانه سبحانه هو المتصرف كيف يشا وثانيها قوله ولم يتخذ ولدا فبين سبحانه انه هو المعبود ابدا ولا يصح ان يكون غيره معبودا او وارثا للملك عنه فتكون هذه الصفة كالمؤكد لقوله تعالى تبارك الذي له ملك السموات والارض وهذا كالرد على النصارى وثالثها قوله ولم يكن له شريك في الملك والمراد انه هو المنفرد بالالهية وهذا كالرد على الثنوية والقائلين بعبادة النجوم والقائلين بعبادة الاوثان ورابعها قوله وخلق كل شي فقدره تقديرا وفيه سؤالات السؤال الاول هل في قوله وخلق كل شي دلالة على انه سبحانه خالق لافعال العباد الجواب نعم من وجهين الاول ان قوله وخلق كل شي يتناول جميع الاشيا فيتناول افعال العباد والثاني هو انه تعالى بعد ان نفى الشريك ذكر الخلق والتقدير وذلك لانه سبحانه لما نفى الشريك كان قايلا قال هذه الافعال فيكون الكلام معه في الرد عليه قال القاضي الاية لا تدل عليه لوجوه الاول انه سبحانه تمدح بذلك فلا يجوز ان يريد به خلق الفساد وثانيها انه سبحانه تمدح بانه قدره تقديرا ولا يجوز ان يريد الا الحسن والحكمة دون غيره فثبت بهذه الوجوه انه لا بد من التاويل لو دلت الاية بظاهرها عليه فكيف ولا دلالة فيها البتة لان الخلق عبارة عن التقدير فقوله لا يتناول الا ما يظهر فيه التقدير وذلك انما يظهر في الاجسام لا في الاعراض الجواب اما قوله واذ تخلق وقوله احسن الخالقين فهما معارضان بقوله الله خالق كل شي وبقوله هل من خالق غير الله واما قوله لا يجوز التمدح بخلق الفساد قلنا لم لا يجوز التمدح به نظرا الى نفاذ القدرة والى ان صفة الايجاد من العدم والاعدام من الوجود ليست الا له واما قوله لا يجوز التمدح الخلق لا يتناول الا الاجسام فنقول لو كان كذلك لكان قوله خالق كل شي خطا لانه يقتضي اضافة الخلق الى جميع الاشيا مع انه لا يصح في العقل اضافته اليها السؤال الثاني في الخلق معنى التقدير فقوله خلق كل شي فقدره تقديرا معناه وقدر كل شي فقدره تقديرا الجواب المعنى احدث كل شي احداثا راعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهياه لما يصلح له مثاله خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي نراه فقدره للتكليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بامثلة الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة ما مطابقا لما قدر له غير متجاف عنه السؤال الثالث هل في قوله فقدره تقديرا دلالة على مذهبكم الجواب نعم وذلك من وجوه احدها ان التقدير معناه يرجع الى الظن والحسبان اما في حقه سبحانه فلا معنى له الا العلم به والاخبار عنه وذلك متفق عليه بيننا وبين المعتزلة فما علم في الشي الفلاني انه لا يقع فلو وقع ذلك الشي انقلب علمه جهلا وخبره الصدق كذبا وذلك محال والمفضي الى المحال محال فاذن وقوع ذلك الشي محال والمحال غير مراد فذلك الشي غير مراد وانه مامور به فظهر ان الامر والارادة لا يتلازمان وظهر ان السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه وثانيها ان عند حصول القدرة والداعية الخالصة ان وجب الفعل كان فعل العبد موجب فعل الله تعالى وحينئذ يبطل قول المعتزلة وان لم يجب فان استغنى عن المرجح فقد وقع الممكن لا عن مرجح وتجويزه يسد باب اثبات الصانع وان لم يستغن عن المرجح فالكلام يعود الى ذلك المرجح ولا ينقطع الا عند الانتهاء الى واجب الوجود وثالثها ان فعل العبد لو وقع بقدرته لما وقع الا الشي الذي اراد تكوينه وايجاده لكن الانسان لا يريد الا العلم والحق ولا يحصل له الا الجهل والباطل فلو كان الامر بقدرته لما كان كذلك فان قيل ذلك انما كان لانه اعتقد شبهة اوجبت له ذلك الجهل قلنا ان اعتقد تلك الشبهة لشبهة اخرى لزم التسلسل وهو محال فلا بد من الانتهاء الى جهل اول وقع في قلب الانسان لا بسبب جهل سابق بل الانسان احدثه ابتداء من غير موجب وذلك محال لان الانسان قط لا يرضى لنفسه بالجهل ولا يحاول تحصيل الجهل لنفسه بل لا يحاول الا العلم فوجب ان لا يحصل الا ما قصده واراده وحيث لم يكن كذلك علمنا ان الكل بقضاء سابق وقدر ازلي وهو المراد من قوله وخلق كل شي فقدره تقديرا

قوله تعالى واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا

اعلم انه سبحانه لما وصف نفسه بصفات الجلال والعزة والعلو اردف ذلك بتزييف مذهب عبدة الاوثان وبين نقصانها من وجوه احدها انها ليست خالقة للاشيا والاله يجب ان يكون قادرا على الخلق والايجاد وثانيها انها مخلوقة والمخلوق محتاج والاله يجب ان يكون غنيا وثالثها انها لا تملك لانفسها ضرا ولا نفعا ومن كان كذلك فهو لا يملك موتا ولا حياة ولا نشورا اي لا يقدر على الاحيا والاماتة في زمان التكليف ورابعها في زمان المجازاة ومن كان كذلك كيف يسمى الها وكيف يحسن عبادته مع ان حق من يحق له العبادة ان ينعم بهذه النعم المخصوصة وهاهنا سؤالات السؤال الاول قوله واتخذوا من دون الله آلهة هل يختص بعبدة الاوثان او يدخل فيه النصارى وعبدة الكواكب وعبدة الملائكة الجواب قال القاضي يبعد ان يدخل فيه النصارى لانهم ما اتخذوا من دون الله آلهة واللفظ يدل على الجمع فالاقرب ان المراد به عبدة الاصنام ويجوز ان يدخل فيه من عبد الملائكة لان معبودهم كثير ولقائل ان يقول واتخذوا صيغة جمع وقوله آلهة جمع والجمع اذا قوبل بالجمع تقابل الفرد بالفرد فلم يكن كون معبود النصارى واحدا مانعا من دخوله تحت هذا اللفظ السؤال

ان السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه

الثاني احتج بعض اصحابنا بقوله واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى قال ان الله تعالى عاب هؤلاء
الكفار من حيث عبدوا ما لا يخلق شيئا وذلك يدل على ان من خلق يستحق ان يعبد فلو كان العبد خالقا لكان معبودا الها اجاب
الكعبي عنه بانا لا نطلق اسم الخالق الا على الله تعالى ثم قال بعض اصحابنا في الخلق انه الاحداث لا بعلاج وفكر وتعب ولا يكون
ذلك الا لله ثم قال وقد قال تعالى الهم ارجل يمشون بها في وصف الاصنام فيدل ذلك على ان كل من له رجل يستحق ان يعبد فاذا قالوا لا
يلزم فكذلك ما ذكرتم وقال تعالى فتبارك الله احسن الخالقين هذا كله كلام الكعبي والجواب قوله لا يطلق اسم الخالق
على العبد قلنا بل يجب ذلك لان الخلق في اللغة هو التقدير والتقدير يرجع الى الظن والحسبان فوجب ان يكون اسم الخالق
حقيقة في العبد مجازا في الله تعالى فكيف يمكنكم منع اطلاق الخالق على العبد اما قوله الهم ارجل يمشون بها فالعيب انما وقع
عليهم بالعجز فلا جرم كل من تحقق العجز في حقه من بعض الوجوه لم يحسن عبادته واما قوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين
فقد تقدم الكلام عليه واعلم ان هذه الآية لا تقوى استدلال اصحابنا الا ان الاحتمال العيب انما حصل بمجموع امرين احدهما
انهم ليسوا خالقين والثاني انهم مخلوقون والعبد وان كان خالقا الا انه مخلوق فلم يلزم ان يكون الها معبودا السؤال
الثالث تعلق الآية بالبعث الجواب نعم لانه تعالى ذكر النشور ومعناه ان المعبود يجب ان يكون قادرا على ايصال
الثواب الى المطيعين والعقاب الى العصاة فمن لا يكون كذلك وجب ان لا تصلح الهيته قوله تعالى وقال الذين كفروا
ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي
تملى عليه بكرة واصيلا قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقالوا ما لهذا
الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة
ياكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا
اعلم انه تعالى تكلم اولا في التوحيد وثانيا في الرد على عبدة الاوثان وثالثا في هذه الآية في مسئلة النبوة وحكى
شبههم في انكار نبوة محمد عليه السلام الشبهة الاولى قوله ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون ونظيره
قوله تعالى انما يعلمه بشر واعلم انه يحتمل انهم يريدوا انه كذب في نفسه ويحتمل انهم يريدوا انه كذب في اضافته الى الله
تعالى ثم ههنا بحثان الاول قال ابو مسلم الافتراء افتعال من فريته وقد يقال في تقدير الاديم فريت الاديم فاذا
اريد قطع الافساد قيل افريت وافتريت وخلقت واختلقت ويقال فيمن شتم انسانا بما ليس فيه افترى عليه الثاني
قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث فهو الذي قال هذا القول واعانه عليه قوم آخرون يعني عداس مولى حويطب
بن عبد العزى ويسار غلام عامر بن الحضرمي وجبر مولى عامر وهؤلاء الثلاثة كانوا من اهل الكتاب وكانوا يقرؤن التوراة
ويحدثون احاديث منها فاسلموا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعهدهم فمن اجل ذلك قال النضر ما قال واعلم ان الله تعالى
اجاب عن هذه الشبهة بقوله فقد جاءوا ظلما وزورا وفيه ابحاث الاول ان هذا القدر انما كفى جوابا عن الشبهة
المذكورة لانه قد علم كل عاقل انه عليه السلام تحداهم بالقرآن وهم النهاية في الفصاحة وقد بلغوا في الحرص على ابطال امره
كل غاية حتى اخرجهم ذلك الى ما وصفوه به في هذه الآيات فلو امكنهم ان يعارضوه لفعلوا ولكان ذلك اقرب الى ان
يبلغوا مرادهم فيه مما اوردوه في هذه الآيات وغيرها ولو استعان محمد عليه الصلاة والسلام في ذلك بغيره لامكنهم ان يستعينوا
بغيرهم لان محمدا عليه السلام كاولئك المنكرين في معرفة اللغة وفي المكنة من الاستعانة فلما لم يفعلوا ذلك والحالة هذه علم
ان القرآن قد بلغ النهاية وانتهى الى حد الاعجاز ولما تقدمت هذه الدلالة في القرآن مرات وكرات وظهر بسببها سقوط
هذا السؤال ظهر ان اعادة هذا السؤال بعد تقدم هذه الدلالة الواضحة لا يكون الا للتمادي في الجهل والعناد فلذلك اكتفى
الله في الجواب بقوله فقد جاءوا ظلما وزورا البحث الثاني قال الكسائي قوله تعالى لقد جاءوا ظلما وزورا اي اتوا
ظلما وكذبا وهو كقوله لقد جئتم شيئا ادا فانتصب لوقوع المجيء عليه وقال الزجاج انتصب بنزع الخافض اي
جاءوا بالظلم والزور البحث الثالث ان الله تعالى وصف كلامهم بانه ظلم وبانه زور اما انه ظلم فلانهم نسبوا
هذا الفعل القبيح الى من كان مبرأ عنه فقد وضعوا الشيء في غير موضعه الشبهة الثانية لهم قوله تعالى وقالوا
اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا وفيه ابحاث الاول اساطير الاولين ما سطره
المتقدمون كاحاديث رستم واسفنديار جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة اكتتبها انتسخها محمد من اهل الكتاب
جبر ويسار ومعنى اكتتبها هنا امر ان يكتب له كما يقال احتجم وافتصد اذا امر بذلك فهي تملى عليه
اي تقرأ عليه والمعنى انها كتبت له وهو امي فهي تملى عليه من كتابه ليحفظها لان صورة الاملاء على الكاتب اما
قوله بكرة واصيلا قال الضحاك ما يملى عليه بكرة يقرأه عليكم اصيلا وما يملى عليه اصيلا يقرأه عليكم بكرة
البحث الثاني قال الحسن قوله فهي تملى عليه بكرة واصيلا كلام الله ذكره جوابا عن قولهم كانه قال ان هذه الآيات

تملى عليه بالوحي حالا بعد حال فكيف ينسب الى انه اساطير الاولين واما جمهور المفسرين فقد اتفقوا على ان ذلك
من كلام القوم وارادوا به ان اهل الكتاب املوا عليه في هذه الاوقات هذه الاشياء ولا شك ان هذا القول اقرب لوجوه
احدها لشدة تعلق هذا الكلام بما قبله فكانهم قالوا اكتتب الاساطير فهي تملى عليه وثانيها ان هذا هو المراد بقولهم
واعانه عليه قوم آخرون وثالثها انه تعالى اجاب بعد ذلك عن كلامهم بقوله قل انزله الذي يعلم السر
قال صاحب الكشاف وقول الحسن انما يستقيم ان لو فتحت همزة الاستفهام الذي في معنى الانكار وحق الحسن
ان يقف على الاولين اجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض
انه كان غفورا رحيما وفيه ابحاث البحث الاول في بيان ان هذا كيف يصلح ان يكون جوابا عن تلك الشبهة
وتقريره ما قدمناه انه عليه السلام تحداهم بالمعارضة وظهر عجزهم عنها ولو كان عليه السلام انما اتى بالقرآن
لانه استعان باحد لكان من الواجب عليهم ايضا ان يستعينوا باحد ليأتوا بمثل هذا القرآن فلما عجزوا عنه ثبت
انه وحي الله وكلامه فلهذا قال قل انزله الذي يعلم وذلك لان القادر على تركيب الفاظ القرآن لا بد وان يكون عالما
بكل المعلومات ظاهرها وخفيها من وجوه احدها ان مثل هذه الفصاحة لا يتاتى الا من العالم بكل المعلومات وثانيها
ان القرآن يشتمل على الاخبار عن الغيوب وذلك لا يتاتى الا من العالم بكل المعلومات وثالثها ان القرآن مبرأ عن التناقض
وذلك لا يتاتى الا من العالم بكل المعلومات على ما قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ورابعها
اشتماله على الاحكام التي هي مقتضية لمصالح العالم ونظام العباد وذلك لا يكون الا من العالم بكل المعلومات وخامسها
اشتماله على كل العلوم وذلك لا يتاتى الا من العالم بكل المعلومات فلما دل القرآن من هذه الوجوه على انه ليس الا
كلام العالم بكل المعلومات لا جرم اكتفى في جواب شبهتهم بقوله قل انزله الذي يعلم السر البحث الثاني اختلفوا
في المراد بالسر فمنهم من قال المعنى ان العالم بكل سر في السموات والارض هو الذي يمكنه انزال مثل هذا الكتاب
وقال ابو مسلم المعنى انه انزله الذي يعلم السر فلو كذب لانتقم منه كقوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا
منه باليمين وقال آخرون المعنى انه يعلم كل ما يخفى في السموات والارض ومن جملته ما تسرونه انتم
من الكيد لرسول الله على علم منكم بان ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراءته عن كل
ما يبهتونه وهو سبحانه يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه البحث الثالث انما ذكر الغفور الرحيم في هذا الموضع
لوجهين الاول قال ابو مسلم المعنى انه يوجب ان يكون غفورا رحيما يمهل ولا يعاجل الشبهة الثالثة وهي في نهاية
الركة وذكروا فيه ستة اشياء وزعموا انها تخل بالرسالة احدها قوله ما لهذا الرسول ياكل الطعام وثانيها
قوله ويمشي في الاسواق يعني انه لما كان كذلك فمن اين له الفضل علينا وهو مثلنا في هذه الامور وثالثها قوله لولا
انزل عليه ملك ليكون معه نذيرا فيصدقه ويشهد له ويرد على من خالفه ورابعها قوله او يلقى اليه كنز من السماء
فينفقه فلا يحتاج الى التردد في طلب المعيشة وخامسها قوله او تكون له جنة ياكل منها قرأ حمزة والكسائي نأكل
بالنون وقرأ الباقون بالياء والمعنى ان لم يكن لك كنز فلا اقل من ان يكون كواحد من الدهاقين فيكون لك بستان
تاكل منه وسادسها قوله ان تتبعون الا رجلا مسحورا وقد تقدمت هذه القصة في آخر سورة بني اسرائيل فاجاب
الله عن هذه الشبهة من وجوه احدها قوله انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وفيه ابحاث
البحث الاول ان هذا كيف يصلح ان يكون جوابا عن تلك الشبهة وبيانه ان الذي يتميز به الرسول عن غيره هو المعجز وهذه
الاشياء التي ذكروها لا يقدح شيء منها في المعجز فلا يكون شيء منها قادحا في النبوة وكانه تعالى قال انظر كيف اشتغل القوم بضرب
هذه الامثال التي لا فائدة فيها لاجل انهم لما ضلوا وارادوا القدح في نبوتك لم يجدوا الى القدح فيه سبيلا البتة اذ الطعن
عليه انما يكون بما يقدح في المعجزات التي ادعاها لا بهذا الجنس من القول وفيه وجه وهو انهم لما ضلوا لم يبق فيهم استطاعة
قبول الحق وهذا انما يصح على مذهبنا وتقريره بالعقل ظاهر وذلك لان الانسان اما ان يكون مستوي الداعي الى الحق والباطل
واما ان يكون داعيه الى احدهما ارجح من داعيته الى الثاني فان كان الاول فحال الاستواء يمتنع الرجحان فيمتنع الفعل وان
كان الثاني فحال رجحان احد الطرفين يكون حصول الطرف الثاني ممتنعا فثبت ان حال رجحان الضلال في قلبه استحال منه
قبول الحق وما كان محالا لم يكن عليه قدرة فثبت انهم لما ضلوا ما بقوا مستطيعين للحق قوله تعالى تبارك الذي
ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب
بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين
دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اعلم ان هذا هو الجواب الثاني عن تلك
الشبهة فقوله تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك اي من الذي ذكروه من نعم الدنيا كالكنز والجنة وفسر ذلك بقوله

جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا فنبه بذلك على انه سبحانه قادر على ان يعطي الرسول كل ما ذكروه
ولكنه تعالى يدبر عباده بحسب المصالح او على وفق المشيئة ولا اعتراض لاحد عليه في شيء من افعاله فيفتح على واحد
ابواب المعارف والعلوم ويسد عليه ابواب الدنيا • وفي حق اخر بالعكس وما ذاك الا انه فعال لما يريد وههنا
مسايل **المسئلة الاولى** قال ابن عباس خيرا من ذلك اي مما عيروك بفقده لانهم عيروك بفقد الجنة الواحدة
وهو سبحانه قادر على ان يعطيك جنات كثيرة وقال في رواية عكرمة خيرا من ذلك اي من المشي في الاسواق وابتغاء
المعاش **المسئلة الثانية** قوله ان شاء معناه انه سبحانه قادر على ذلك لا انه شاك لانا لا شك لا يجوز
على الله وقال قوم ان شاء ههنا بمعنى اراد اي قد جعلنا لك في الاخرة جنات وبنينا لك قصورا • وانما
ادخل ان تنبيها للعباد على انه لا ينال ذلك الا برحمته وانه معلق على محض مشيئته وانه ليس لاحد من العباد
حق على الله تعالى لا في الدنيا ولا في الاخرة **المسئلة الثالثة** القصور جماعة القصر وهو المسكن الرفيع
ويحتمل ان يكون لكل جنة قصر فيكون مسكنا ومتنزها ويجوز ان تكون القصور مجموعة والجنات مجموعة وقال
مجاهد ان شاء جعل لك جنات في الاخرة وقصورا في الدنيا **المسئلة الرابعة** اختلف القراء في قوله
ويجعل فرفع ابن كثير وابن عامر وعاصم اللام وجزمه الاخرون • فمن جزم فلان المعنى ان يشا يجعل لك جنات تجري
ويجعل لك قصورا • ومن رفع فعلى الاستيناف • والمعنى سيجعل لك قصورا هذا قول الزجاج قال الواحدي
وبين القراءتين فرق في المعنى فمن جزم فالمعنى ان شاء جعل لك قصورا في الدنيا ولا يحسن الوقف على الانهار ومن
رفع حسن الوقف على الانهار واستانف ويجعل اي ويجعل لك قصورا في الاخرة • وفي مصحف ابي وابن مسعود
تبارك الذي ان شاء يجعل **المسئلة الخامسة** عن طاوس عن ابن عباس قال بينما رسول الله جالس
وجبريل عليه السلام معه فقال جبريل هذا ملك قد نزل من السماء استاذن ربه في زيارتك فلم يلبث الا قليلا
حتى جاء الملك وسلم على رسول وقال ان الله يخيرك بين ان يعطيك مفاتيح كل شيء لم يعطه احدا قبلك ولا يعطيه
احدا بعدك من غير ان ينقصك مما ادخر لك شيئا فقال عليه السلام بل يجمعها لي جميعا في الاخرة فنزل تبارك الذي ان
شاء الاية • وعن ابن عباس قال عليه السلام عرض على جبريل بطحاء مكة ذهبا فقلت بل شبعة وثلاث جوعات
وذلك اكثر لذكري ومسالتي لذلك • وفي رواية صفوان بن سليم عن عبد الوهاب قال عليه السلام اشبع يوما
واجوع ثلاثا فاحمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت قال الضحاك لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالفاقة حزن رسول الله لذلك فنزل جبريل عليه السلام معزيا له فقال ان الله يقريك السلام ويقول وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام الاية فبينا النبي وجبريل عليهما السلام يتحدثان اذ افتتح باب من السماء
لم يكن فتح قبل ذلك اليوم • ثم قال ابشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة قد اتاك بالرضا من ربك فسلم عليه وقال
ان ربك خيرك بين ان تكون نبيا ملكا وبين ان تكون نبيا عبدا ومعه سفط من نور يتلالا • ثم قال هذه مفاتيح
خزاين الدنيا فاقبضها من غير ان ينقصك الله مما اعد لك في الاخرة جناح بعوضة فنظر النبي الى جبريل عليهما
السلام كالمستشير فاومى بيده ان تواضع فقال رسول الله بل اكون نبيا عبدا قال وكان عليه السلام لم ياكل متكيا
حتى فارق الدنيا • اما قوله تعالى بل كذبوا بالساعة • فهذا جواب ثالث عن تلك الشبهة كانه سبحانه قال ليس ما
تعلقوا به شبهة علمية في نفس الامر • وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قال ابو مسلم واعتدنا اي جعلناها
عتيدا او معدا لهم • والسعير النار الشديدة الاستعار • وعن الحسن انه اسم من اسماء جهنم **المسئلة الثانية**
اجمع اصحابنا على ان الجنة مخلوقة بقوله تعالى اعدت للمتقين • وعلى ان النار التي هي دار العقاب مخلوقة
بهذه الاية • وبقوله واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا • وقوله اعتدنا اخبار عن فعل وقع في الماضي فدلت
الاية على ان دار العقاب مخلوقة قال الجبائي يحتمل واعتدنا النار في الدنيا وبها نعذب الكفار والفساق في
قبورهم • ويحتمل نار الاخرة • ومعنى واعتدنا اي سنعتدها لهم كقوله • ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار
واعلم ان هذا السؤال في نهاية السقوط لان المراد من السعير اما نار الدنيا واما نار الاخرة • فان كان الاول فاما
ان يكون المراد انه تعالى يعذبهم في الدنيا بنار الدنيا او يعذبهم في الاخرة بنار الدنيا • والاول باطل لانه تعالى
ما عذبهم بالنار في الدنيا • والثاني ايضا باطل لانه لم يقل احد من الامة ان الله تعالى يعذب الكفرة في الاخرة
بنيران الدنيا فثبت ان المراد نار الاخرة فثبت انها معدة وحمل الاية على انه تعالى سيجعلها معدة ترك للظاهر
من غير دليل وعلى ان الحسن قال السعير اسم من اسماء جهنم فقوله واعتدنا سعيرا صريح في انه تعالى اعد جهنم
المسئلة الثالثة اجمع اصحابنا بهذه الاية على ان السعيد من سعد في بطن امه فقالوا ان الذين اعد الله

لهم السعير

لهم السعير واخرجوا عن ذلك وحكم به ان صاروا مومنين من اهل الثواب انقلب حكم الله بكونهم من اهل السعير كذبا وانقلب
علمه بذلك جهلا • وهذا الانقلاب محال • وموجب المحال محال بالضرورة فاولئك مومنين من اهل الثواب محال ثبت
ان السعيد لا ينقلب شقيا • والشقي لا ينقلب سعيدا • ثم انه سبحانه وصف السعير بصفات • احدها قوله
اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا • وههنا مسايل **المسئلة الاولى** السعير مذكر لكن جاء ههنا
مونثا لانه تعالى قال راتهم وقال سمعوا لها وانما جاء مونثا على معنى النار **المسئلة الثانية** مذهب اصحابنا ان
البنية ليست شرطا في الحياة فالنار على ما هي عليه يجوز ان يخلق الله الحياة والعقل والنطق فيها • وعند المعتزلة
ذلك غير جايز وهولاء المعتزلة ليس لهم في هذا الباب حجة الا استقرار العادات • ولو صدق هذا لوجب التكذيب
بانخراق العادات في حق الرسل • ولهذا قولهم متناقض • بل انكار انخراق العادات لا يليق الا باصول الفلاسفة
فعلى هذا قال اصحابنا قول الله تعالى في صفة النار اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا يجب اجراوه على ظاهره
فانه لا امتناع في ان تكون النار حية رايية متغاظة على الكفار • اما المعتزلة فقد احتاجوا الى التاويل • وذكروا فيه
وجوها • احدها قالوا معنى راتهم ظهرت لهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر وقال عليه الصلاة والسلام ان المومن
والكافر لا تتراءى ناراهما اي تتقابل لما يجب على المومن من مجانبة المشرك • ويقال دور فلان متناظرة اي متقابلة • وثانيها
ان النار لشدة اضطرامها وغليانها صارت كانها ترى الكفار وتطلبهم وتتغاظ عليهم • وثالثها قال الجبائي ان الله
تعالى ذكر النار واراد الخزنة الموكلة بتعذيب اهل النار لان الروية تصح منهم ولا تصح من اهل النار فهو كقوله واسئل
القرية واراد اهلها **المسئلة الثالثة** لقايل ان يقول التغيظ عبارة عن شدة الغضب وذلك لا يكون مسموعا
فكيف قال تعالى سمعوا لها تغيظا والجواب عنه من وجوه • احدها ان التغيظ لم يسمع فانه قد سمع ما دل عليه من
الصوت وهو كقولك رايت غضب الامير على فلان اذا رايت ما يدل عليه • وكذلك يقال تحلمت عليه في المحبة كذا
ههنا • والمعنى سمعوا لها صوتا متغيظا وهو قول الزجاج • وثانيها المعنى علموا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا وهذا
قول قطرب كقوله متقلدا سيفا ورمحا • وثالثها المراد تغيظ الخزنة **المسئلة الرابعة** قال عبيد بن عمير
ان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى احد الا ترعد فرايصه حتى ان ابراهيم عليه السلام يجثو على ركبتيه فيقول لا املك الا نفسي
الصفة الثانية للسعير قوله تعالى واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا • اعلم انه سبحانه لما وصف
حال الكفار حين ما يكونون بالبعد من جهنم وصف حالهم عندما يلقون فيه نعوذ بالله منه بالاشياء ابلغ منه • وههنا
مسايل **المسئلة الاولى** تغلظ في تفسير الضيق امور قال قتادة نقل لنا عن عبد الله بن عمرو قال ان جهنم لتضيق
على الكافر كضيق الزج على الرمح • وسئل النبي عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره
الوتد في الحايط قال الكلبي الاسفلون يرفعهم اللهب • والاعلون يخفضهم الداخلون فيزدحمون في تلك الابواب
الضيقة قال صاحب الكشاف الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة • ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها
السموات والارض وجاء في الحديث ان لكل مومن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على اهل النار انواع
البلاء حيث ضم الى العذاب الشديد الضيق الشديد **المسئلة الثانية** قالوا في تفسير قوله مقرنين في
الاصفاد ان اهل النار مع ما هم فيه من العذاب الشديد والضيق الشديد مقرنين في السلاسل قرنت ايديهم
الى اعناقهم • وقيل تقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة • وفي ارجلهم الاصفاد • ثم انه سبحانه حكى عن اهل
النار انهم حين ما شاهدون هذا النوع من العقاب الشديد دعوا هنالك ثبورا • والثبور الهلاك ودعاوه ان يقول واثبوراه
اي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك • روى انس مرفوعا • اول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه
ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبوراه • وينادون يا ثبورهم حتى يردوا النار • اما قوله لا تدعوا اليوم
ثبورا واحدا اي يقال لهم ذلك وهم احقا بان يقال لهم ذلك وان لم يكن ثم قول • وادعوا ثبورا كثيرا اي فانه ليس ثبوركم فيه واحدا
انما هو ثبور كثير على انهم كلما دخلوا نارا نزلوا غيرها او لان ذلك العذاب دايم خالص عن الشوب • فلهم في كل وقت
من الاوقات التي لا نهاية لها ثبورا او لانهم ربما يجدون بسبب ذلك القول نوعا من الخفة • فان المعذب اذا
صاح وبكى وجد بسببه نوعا من الخفة فيزجرون عن ذلك ويخبرون بان هذا الثبور يزداد كل يوم ليزداد
حزنهم وغمهم نعوذ بالله منه قال الكلبي نزل هذا كله في ابي جهل والكفار الذين ذكروا تلك الشبهات قوله تعالى
**قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاءون كان على ربك
وعدا مسئولا** وههنا مسايل **المسئلة الاولى** اعلم انه تعالى لما وصف حال العقاب المعد للمكذبين
بالساعة اتبعه بما يوكد الحسرة والندامة فقال لرسوله قل اذلك خير ام جنة الخلد وهل يجوز ان يقول العاقل

تغليظ

الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة

السكر احلى من الصبر قلنا هذا يحسن في معرض التقريع كما اذا اعطى السيد عبده مالا فتمرد وابى
واستكبر فيضربه ضربا وجيعا ويقول هذا اطيب ام ذاك **المسئلة الثانية** احتج اصحابنا بقوله وعد
المتقون على ان الثواب غير واجب على الله لان من قال ان السلطان وعد فلانا ان يعطيه كذا فانه يحمل ذلك
على التفضل فاما لو كان ذلك الاعطا واجبا لا يقال انه وعده به اما المعتزلة فقد احتجوا به ايضا على
مذهبهم لانه اثبت ذلك الوعد للموصوفين بصفة التقوى وترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية فدل هذا
على ان ذلك الوعد للموصوفين بصفة التقوى وترتيب الحكم على الوصف انما حصل معللا بصفة التقوى
والفضل غير مختص بالمتقين فوجب ان يكون المختص بهم واجبا **المسئلة الثالثة** قال ابو مسلم جنة الخلد
التي لا ينقطع نعيمها والخلد والخلود سوا كالشكر والشكور قال تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فان قيل
الجنة اسم لدار الثواب وهي مخلدة فاي فائدة في قوله الخلد قلنا الاضافة قد تكون للتمييز وقد تكون
لبيان صفتها كما يقال الله الخالق البارى وهذا من هذا الباب اما قوله كانت لهم جزاء ومصيرا ففيه
مسايل **المسئلة الاولى** المعتزلة احتجوا على اثبات الاستحقاق من وجهين الاول ان اسم الجزا لا يتناول
الا المستحق فاما الموعود بمحض التفضل فانه لا يسمى جزاء والثاني لو كان المراد من الجزا الامر الذي يصير
اليه بمجرد الوعد فحينئذ لا يبقى بين قوله جزا وبين قوله مصيرا تفاوت فيصير ذلك تكرارا من غير فايدة قال
اصحابنا لا نزاع في كونه جزا انما النزاع في ان كونه جزا ثبت بالوعد او بالاستحقاق وليس في الاية ما يدل
على التعيين **المسئلة الثانية** قالت المعتزلة الاية تدل على ان الله تعالى لا يعفو عن صاحب الكبيرة من وجهين
الاول لان صاحب الكبيرة يستحق العقاب فوجب ان لا يكون مستحقا للثواب لان الثواب هو النفع الدايم الخالص عن
شوب الضرر والعقاب هو الضرر الدايم الخالص عن شوب النفع والجمع بينهما محال وما كان ممتنع الوجود امتنع
ان يحصل استحقاقه فاذن متى ثبت استحقاق العقاب وجب ان يزول استحقاق الثواب فنقول لو عفى الله عن
صاحب الكبيرة لكان اما ان يخرجه من النار ولا يدخله الجنة وذلك باطل بالاجماع لانهم اجمعوا على ان المكلفين يوم القيمة
اما ان يكونوا من اهل الجنة او من اهل النار ولانه تعالى قال فريق في الجنة وفريق في السعير واما ان يخرجه من النار
ويدخله الجنة وذلك ايضا باطل لان الجنة حق المتقين لقوله تعالى كانت لهم جزا ومصيرا فجعل الجنة لهم ومختصة بهم
وانما كانت لهم لكونها جزا على عملهم فكانت حقا لهم واعطا حق الانسان لغيره لا يجوز ولما بطلت الاقسام ثبت
ان العفو غير جائز اجاب الاصحاب لم لا يجوز ان يقال المتقون يرضون بادخال الله اهل العفو الجنة
فحينئذ لا يمتنع دخولهم فيها الوجه الثاني قالوا المتقي في عرف الشرع مختص بمن اتقى الكفر والكباير فانا وان اختلفنا
في ان صاحب الكبيرة هل يسمى مؤمنا ام لا لكنا اتفقنا على انه لا يسمى متقيا ثم قال في وصف الجنة انها كانت لهم
جزاء ومصيرا وهذا للحصر فالمعنى انها مصير للمتقين لا لغيرهم واذا كان كذلك وجب ان لا يدخلها صاحب
الكبيرة قلنا اقصى ما في الباب ان هذا عموم صرح في باب الوعيد فيخصه بباب الوعد **المسئلة الثالثة**
لقايل ان يقول ان الجنة ستصير للمتقين جزا ومصيرا لكنها بعد ما صارت كذلك فلم قال الله كانت لهم جزا ومصيرا
جوابه من وجهين الاول ان ما وعد الله في تحققه كانه قد كان والثاني انه كان مكتوبا قبل ان خلقهم الله
بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم اما قوله لهم فيها ما يشاؤن خالدين فهو نظير قوله
ولكم فيها ما تشتهي الانفس وفيه مسايل **المسئلة الاولى** لقايل ان يقول اهل الدرجات النازلة
اذا شاهدوا الدرجات العالية لا بد وان يريدوها فاذا سالوها ربهم فان اعطاهم اياها لم يبق بين الناقص
والكامل تفاوت في الدرجة وان لم يعطها قدح ذلك في قوله لهم فيها ما يشاؤن وايضا فالاب اذا كان ولده
في دركات النيران واشد العذاب لا بد وان يسال ربه ان يخرجه عن ذلك العذاب فان فعل الله ذلك قدح
في ان عذاب الكافر مخلد وان لم يفعل قدح ذلك في قوله ولكم فيها ما تشتهي الانفس وفي قوله لهم فيها ما يشاؤن
جوابه انه تعالى يزيل ذلك الخاطر عن قلوب اهل الجنة بل يكون اشتغال كل واحد منهم بما هو فيه من اللذات
شاغلا عن الالتفات الى حال غيره **المسئلة الثانية** شرط نعيم الجنة ان يكون دايما اذ لو انقطع لكان مشوبا
بضرب من الغم ولذلك قال المتنبي شعر اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا
فلذلك اعتبر الخلود فيه فقال لهم فيها ما يشاؤن خالدين **المسئلة الثالثة** قوله تعالى لهم فيها ما يشاؤن
كالتنبيه على ان حصول المرادات بأسرها لا يكون الا في الجنة فاما في غيرها فلا يحصل ذلك بل لا بد في الدنيا
من ان يكون راحاتها مشوبة بالمتاعب ولذلك قال عليه السلام من طلب ما لم يخلق اتعب نفسه ولم يرزق

نقبل ياهو

نقيل ما هو يا رسول الله قال سرور يوم اما قوله كان على ربك وعدا مسئولا ففيه مسايل **المسئلة الاولى**
كلمة على تدل على الوجوب قال عليه السلام من نذر وسمى فعليه الوفا بما سمى فقوله كان على ربك يفيد ان ذلك واجب
على الله تعالى والواجب هو الذي لو لم يفعل لاستحق تاركه بفعله الذم او الذي يكون عدمه ممتنعا فان كان الوجوب
على التفسير الاول كان تركه محالا لان تركه لما استلزم استحقاق الذم واستحقاق الله تعالى الذم محال ومستلزم
المحال محال كان ذلك الترك محالا والمحال غير مقدور فلم يكن الله قادرا على ان لا يفعل فيلزم ان يكون ملجا الى الفعل
والملجا الى الفعل لا يكون قادرا ولا يكون مستحقا للثنا والمدح هذا تمام السؤال وجوابه ان فعل الشي متقدم
على الاخبار عن فعله وعلى العلم بفعله فيكون ذلك الفعل فعلا على سبيل الالجا فكان قادرا مستحقا للثنا والمدح
والله اعلم **المسئلة الثانية** قوله وعدا يدل على ان الجنة حصلت بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق وقد تقدم
تقريره **المسئلة الثالثة** قوله مسئولا ذكروا فيه وجوها احدها ان المكلفين سالوه بقوله ربنا واتنا ما وعدتنا
على رسلك وثانيها ان المكلفين سالوه بلسان الحال لانهم لما تحملوا المشقة الشديدة في طاعة الله كان ذلك قايما
مقام السؤال قال المتنبي شعر وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي كلام عندها وخطاب
وثالثها الملائكة سالوا الله تعالى ذلك بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ورابعها وعدا مسئولا اي واجبا
يقال لاعطينك الفا وعدا مسئولا اي واجبا وان لم يسال قاله الفرا وهو مجاز وخامسها مسئولا اي من حقه
ان يكون مسئولا لانه حق اما بحكم الاستحقاق على قول المعتزلة او بحكم الوعد على قول اهل السنة قوله تعالى
**ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك
ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما
تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما ارسلنا قبلك من المرسلين
الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا**
اعلم ان قوله ويوم يحشرهم راجع الى قوله واتخذوا من دونه آلهة ثم ها هنا مسايل **المسئلة الاولى** يحشرهم
فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين **المسئلة الثانية** ظاهر قوله وما يعبدون انها الاصنام
وظاهر قوله فيقول أأنتم اضللتم انه من عبد من الاحيا كالملائكة والمسيح وغيرهما لان الاضلال وخلافه فيهم يصح
فلاجل هذا اختلفوا فمن الناس من حمله على الاوثان ثم لما قيل لهم ان الوثن جماد فكيف خاطبه الله تعالى فكيف قدر على
الجواب فعند ذلك ذكروا وجهين احدهما انه يخلق الحياة فيها فعند ذلك يخاطبهم فيذكروا الجواب وثانيهما
ان يكون ذلك الكلام لا بالقول باللسان بل بلسان الحال كما ذكر بعضهم في تسبيح الموات وكلام الايدي والارجل وكما
قيل سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا واما الاكثرون فزعموا
ان المراد هو الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام قالوا ويتاكد هذا القول بقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة
أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون فان قيل لهم لفظة ما لا تستعمل في العقلا اجابوا عنه من وجهين احدهما لا نسلم
ان كلمة ما لا تستعمل في العقلا بدليل انهم قالوا من لما يعقل والثاني اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم وقوله تعالى والسماء
وما بناها ولا انتم عابدون ما اعبد لا يستقيم الا على احد هذين الوجهين وكيف كان فالسؤال ساقط **المسئلة الثالثة**
حاصل الكلام ان الله حشر المعبودين ثم يقول لهم أأنتم اوقعتم عبادي في الضلال عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم
قالت المعتزلة وفيه كسر بين لقول من يقول ان الله يضل عباده في الحقيقة لانه لو كان الامر كذلك لكان الجواب الصحيح ان يقولوا
الهنا ها هنا قسم ثالث غيرهما هو الحق وهو انك انت اضللتهم فلما لم يقولوا ذلك بل نسبوا ضلالهم الى انفسهم علمنا
ان الله تعالى لا يضل احدا من عباده فان قيل لا نسلم ان هؤلاء المعبودين ما تعرضوا لهذا القسم بل ذكروه فانهم قالوا
بل متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا وهذا تصريح بان ضلالهم انما حصل لاجل ما فعل الله بهم
وانه سبحانه متعهم واباءهم بنعيم الدنيا قلنا لو كان الامر كذلك لكان يلزم ان يصير الله محجوجا في يد اولئك
المعبودين ومعلوم انه ليس الغرض ذلك بل الغرض ان يصير الكافر محجوجا مفحما ملزما هذا تمام تقرير كلام
المعتزلة في الاية اجاب اصحابنا بان القدرة على الضلال ان لم تصلح للاهتدا فالاضلال من الله وان
صلحت له لم يترجح فيصدر منها الضلال على صدور منها الاهتدا الا بمرجح من الله وعند ذلك يعود السؤال
واما ظاهر هذه الاية فهو وان كان لهم لكنه معارض بسائر الظواهر المطابقة لقولنا **المسئلة الرابعة**
ظاهر الاية يدل على ان هذا السؤال من الله تعالى ويحتمل ان يكون ذلك من الملائكة بامر الله تعالى بقي على الاية سؤالان
السؤال الاول لما فايدة انتم وهم وهلا قيل اضللتم عبادي هؤلاء ام ضلوا السبيل الجواب ليس السؤال

الوثن جماد فكيف خاطبه الله تعالى

عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن فاعله فلابد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم انه المسؤول عنه • السؤال الثاني انه سبحانه كان عالما في الازل بحال المسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال الجواب هذا استفهام على سبيل التقريع للمشركين كما قال لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله • ولان اولئك المعبودين لما برؤوا انفسهم واحالوا ذلك الضلال عليهم صار تبرؤ المعبودين عنهم اشد في حسرتهم • السؤال الثالث قال تعالى ام هم ضلوا السبيل • والقياس ان يقال ضل عن السبيل الجواب الاصل ذلك الا ان الانسان اذا كان متناهيا في التفريط وقلة الاحتياط يقال ضل السبيل • اما قوله قالوا سبحانك فاعلم انه سبحانه حكى جوابهم • وفي قوله سبحانك وجوه • احدها انه تعجب منهم فقد تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملائكة وانبياء معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه • وثانيها انهم نطقوا بسبحانك ليدل على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده • وثالثها قصدوا به تنزيهه عن الانداد سواء كان نبيا او وليا او ملكا • ورابعها قصدوا تنزيهه ان يكون مقصوده من هذا السؤال استفادة علم او انكار من كان بريا عن الجرم بل انه انما سألهم تقريعا للكفار وتوبيخا لهم • اما قوله ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء • ففيه مسائل المسألة الاولى القراءة المعروفة ان نتخذ بفتح النون وكسر الخاء • وعن ابي جعفر وابن عامر برفع النون وفتح الخاء على ما لم يسم فاعله قال الزجاج اخطأ من قرأ نتخذ بضم النون لان من انما تدخل في هذا الباب في الاسماء اذا كانت مفعوله اولا ولا تدخل على مفعول الحال • تقول ما اتخذت من احد وليا • ولا يجوز ما اتخذت احدا من ولي قال صاحب الكشاف اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا • والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا • فالقراءة الاولى من المتعدي الى واحد وهو من اولياء • والاخرى ان نتخذ اولياء فزيدت من لتاكيد معنى النفي • والثانية من المتعدي الى مفعولين • فالاول ما بني له الفعل • والثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء • وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام [illegible]
المسألة الثانية في تفسير هذه الاية وجوه • الاول وهو الاصح الاقوى ان المعنى اذا كنا لا نرى ان نتخذ من دونك اولياء فكيف ندعو غيرنا الى ذلك • وثانيها ما كان ينبغي لنا ان نكون امثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان يريد الكفرة • والحاصل انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه • ورابعها قالت الملائكة انا وهم عبيدك ولا ينبغي لعبيدك ان يتخذوا من دونك وليا ولا حبيبا فضلا عن ان يتخذ عبد عبدا آخر الها لنفسه • وخامسها ان على قراءة ابي جعفر الاشكال زائل • فان قيل هذه القراءة غير جائزة لانه لا يحل لهم ان يتخذهم غيرهم اولياء • قلنا المراد لا يصلح لذلك فكيف يدعوهم الى عبادتنا وسادسها ان هذا قول الاصنام • وانها قالت لا يصح منا ان نكون من العابدين فكيف يصح ادعانا ان نكون من المعبودين
المسألة الثالثة الاية تدل على انه لا يجوز الولاية والعداوة الا باذن الله • فكل ولاية مبنية على محبة الطبع وميل النفس فذلك على خلاف الشرع • اما قوله تعالى ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا ففيه مسائل المسألة الاولى معنى الاية انك يا الهنا اكثرت عليهم وعلى ابائهم من النعم وهي توجب الشكر والايمان • لا الاعراض والكفران • والمقصود من ذلك بيان انهم ضلوا من عند انفسهم لا باضلالنا فانه لولا عنادهم الظاهر والا فمع ظهور هذه الحجة لا يمكن الاعراض عن طاعة الله • وقال اخرون هذا الكلام كان من الملائكة كما صرح به موسى في قوله ان هي الا فتنتك وذلك لان المجيب قال الهي انت الذي اعطيته جميع مطالبه في الدنيا حتى صار كالغريق في بحر الشهوات واستغراقه فيها صار مانعا له عن التوجه الى طاعتك والاشتغال بخدمتك فان هي الا فتنتك المسألة الثانية الذكر ذكر الله والايمان به او القرآن والشرائع او ما فيه حسن ذكرهم في الدنيا والاخرة المسألة الثالثة قال ابو عبيدة رجل بور ورجلان بور ورجال بور • وكذلك للانثى ومعناه هالك • وقد يقال رجل بائر وقوم بور وهو مثل هائر وهور ومنه وكانوا من الذين حكم عليهم في الاخرة بالعذاب والهلاك • والذي حكم الله عليه بعذاب الاخرة وعلم ذلك واثبته في اللوح المحفوظ واطلع الملائكة عليه لو صار مؤمنا لصار الخبر الصدق كذبا ولصار العلم جهلا ولصارت الكتابة المثبتة في اللوح المحفوظ باطلة ولصار اعتقاد الملائكة جهلا وكل ذلك محال ومستلزم المحال محال فصدور الايمان منهم محال فثبت ان السعيد لا يمكنه ان ينقلب شقيا • والشقي لا يمكنه ان ينقلب سعيدا ومن وجه آخر هو انهم ذكروا ان الله تعالى آتاهم اسباب الضلال وهو اعطاء المرادات في الدنيا واستغراق النفس فيها • ودلت الاية على ان ذلك

السبب بالغ مثلما يوجب البوار فان ذلك البوار عقيب ذلك السبب يدل على ان البوار انما حصل لاجل ذلك السبب فرجع حاصل الكلام الى انه تعالى فعل بالكافر ما صار معه بحيث لا يمكنه ترك الكفر وحينئذ يظهر ان السعيد لا ينقلب شقيا والشقي لا ينقلب سعيدا • اما قوله تعالى فقد كذبوكم بما تقولون فاعلم انه قرئ بالياء والتاء • فمن قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولهم انهم آلهة • ومن قرأ بالياء المنقوطة من تحت • فالمعنى انهم كذبوهم بقولهم سبحانك • ومثاله قولك كتبت بالقلم • اما قوله فلا تستطيعون صرفا ولا نصرا • فاعلم انه قرئ يستطيعون بالياء والتاء ايضا يعني فما تستطيعون انتم يا كفار صرف العذاب عنهم • وقيل الصرف التوبة • وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال او فما تستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم او ان يحتالوا لكم • اما قوله تعالى ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا ففيه مسائل المسألة الاولى قرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله او ضمير مصدر يظلم المسألة الثانية ان المعتزلة تمسكوا بهذه الاية في القطع بوعيد اهل الكبائر • قالوا ثبت ان كلمة من في معرض الشرط للعموم وثبت ان الكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم • والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون فثبت بهذه الاية ان الفاسق لا يعفى عنه بل يعذب لا محالة والجواب اما لا نسلم ان كلمة من في معرض الشرط للعموم والكلام فيه مذكور في اصول الفقه • سلمنا انه للعموم ولكن قطعا بانه اما ظاهر ودعوى القطع ممنوع فانا نرى في العرف العام المشهور استعمال صيغ العموم مع ان المراد هو الاكثر او لان المراد اقوام معينون • والذي يدل عليه قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون • ثم ان كثيرا من الذين كفروا قد آمنوا فلا دافع لهذا الا ان يقال قوله ان الذين كفروا وان كان يفيد العموم لكن المراد منه الغالب او المراد منه اقوام مخصوصون وعلى التقديرين ثبت ان استعمال الفاظ العموم في الاغلب عرف ظاهر واذا كان كذلك كانت دلالة هذه الصيغ على العموم دلالة ظاهرة لا قاطعة • وذلك لا ينفي تجويز العفو سلمنا دلالته قطعا ولكنا اجمعنا على ان قوله ومن يظلم منكم مشروط بان لا يزيل ذلك الظلم بتوبة او بطاعة هي اعظم من ذلك الظلم فرجع حاصل الامر الى ان قوله ومن يظلم منكم مشروط بان لا يوجد ما يزيله وعند هذا نقول هذا مسلم ولكن لم قلت بانه لم يوجد ما يزيله فان العفو عندنا احد الامور التي تزيله وذلك هو اول المسألة سلمنا دلالته على ما قال ولكنه معارض بآيات الوعد لقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا • فان قيل آيات الوعيد اولى لان السارق يقطع على سبيل التنكيل ومن لم يكن مستحقا للعقاب لا يجوز قطع يده على سبيل التنكيل • واذا ثبت انه مستحق العقاب ثبت ان استحقاق الثواب محبط لما بينا ان الجمع بين الاستحقاقين محال • قلنا لا نسلم ان السارق يقطع على سبيل التنكيل بل على سبيل المحنة فكذا هاهنا بتقدير ان الله عفى عنه • وعلى هذا التقدير لا يقطع على احد من السراق بانه يقطع على سبيل التنكيل نزلنا عن هذه المقامات ولكن قوله تعالى ومن يظلم منكم خطاب مع قوم معينين فهب انه لا يعفو عنهم فلم قلت انه لا يعفو عن غيرهم • اما قوله تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق • ففيه مسائل المسألة الاولى هذا جواب عن قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق بين تعالى ان هذه عادة مستمرة من الله في كل رسله فلا وجه لهذا الطعن المسألة الثانية حق الكلام ان يقال الا انهم بفتح الالف لانه متوسط • والمكسورة لا تليق الا بالابتداء فلاجل هذا ذكروا وجوها • احدها قال الزجاج الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف • والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين • وانما حذف لان في قوله من المرسلين ما يدل عليه • ونظيره قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا احد • وثانيها قال الفراء انهم صلة لاسم متروك اكتفى عن المرسلين بتقديره الا من انهم كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي من له مقام معلوم • وكذلك قوله وان منكم الا واردها اي الا من يردها فعلى قول الزجاج الموصوف المحذوف • وعلى قول الفراء الموصول المحذوف وسفه الصلة عند البصريين • وثالثها قال ابن الانباري كسرت بعد الا للاستيناف باضمار واو على تقدير الا وانهم • ورابعها قال بعضهم الا قيل انهم المعنى فقيل انهم المسألة الثالثة قرئ يمشون على البناء للمفعول اي تمشيهم حوائجهم • ولو قرئ يمشون لكان اوجه لولا الرواية اما قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ففيه مسائل المسألة الاولى فتنة فيه اقوال • احدها ان هذا في رؤساء المشركين وفقراء الصحابة • واذا رأى الشريف الوضيع قد اسلم قبله انف ان يسلم فاقام على كفره لئلا يكون للوضيع السابقة والفضل عليه • ودليله قوله تعالى قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وهذا قول الكلبي والفراء والزجاج • وثانيها ان هذا عام في جميع الناس • روى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ويل للعالم من الجاهل وويل للسلطان من الرعية • وويل للرعية من السلطان • وويل للمالك من المملوك • وويل للمملوك من المالك

لا نسلم ان السارق يقطع على سبيل التنكيل

وويل للشديد من الضعيف • وويل للضعيف من الشديد • بعضهم لبعض فتنة • وقرا هذه الاية • وثالثها ان هذا في اصحاب البلاء والعافية • هذا يقول لم لم اجعل مثله في الخلق وفي العقل وفي الرزق وفي الاجل وهذا قول ابن عباس والحسن • ورابعها هذا احتجاج عليهم في اختصاص محمد بالرسالة مع مساواته اياهم في البشرية وصفاتها فابتلى المرسلين بالمرسل اليهم بانواع الاذى على ما قال ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا • والمرسل اليهم ايضا يتاذون بالرسل بسبب الحسد وصيرورته مكلفا بالخدمة وبذل النفس والمال بعد ان كان مساويا • والاولى حمل الاية على الكل لان بين الجميع قدرا مشتركا **المسألة الثانية** قال اصحابنا الاية يدل على القضا والقدر لانه تعالى قال وجعلنا بعضكم لبعض فتنة وقال الجبائي هذا الجعل هو بمعنى التعريف كما يقال فيمن بين ان فلانا لص جعله لصا • وهذا التاويل ضعيف لانه تعالى اضاف الجعل الى نفسه ووصفه بكونه فتنة لا الى الحكم بكونه كذلك فان العقل يدل على ان المراد غير ما ذكره وذلك لان فاعل السبب فاعل المسبب ثم خلقه الله تعالى على مزاج الصفرا والحدة والحرارة وخلق الغضب فيه ثم خلق فيه الادراك الذي يطلعه على الشي المغضب • ثم فعل هذا المجموع كان هو الفاعل للغضب لا محالة • وكذا القول في الحسد وساير الاخلاق والافعال وعند هذا يظهر انه سبحانه هو الذي جعل البعض فتنة للبعض سلمنا ان المراد ما قاله الجبائي ان المراد من الجعل هو الحكم ولكن المحكوم ان انقلب لزم من انقلابه انقلاب حكم الله الصدق الى الكذب • وذلك محال فانقلاب ذلك الجعل محال فانقلاب المجعول ايضا محال • وعند ذلك يظهر القول بالقضا والقدر **المسألة الثالثة** الوجه في تعلق هذه الاية بما قبلها ان القوم لما طعنوا في الرسول عليه الصلاه والسلام بانه ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وبانه فقير وكانت هذه الكلمات تجري مجرى الجوابات • فانه لما قامت الدلالة على النبوة لم يكن لشي من هذه الاشيا اثر في القدح فيها وكان النبي عليه الصلاة والسلام يتاذى منهم من حيث انهم كانوا يشتمونه ومن حيث انهم كانوا يذكرون الكلام المعوج الفاسد وما كانوا يفهمون الكلام الجيد فلا جرم صبره الله تعالى على تحمل تلك الاذية وبين بانه جعل البعض فتنة للبعض اما قوله تعالى اتصبرون وكان ربك بصيرا ففيه مسايل **المسألة الاولى** قالت المعتزلة لو كان المراد من قوله وكذلك جعلنا بعضكم لبعض فتنة للخبر لما ذكر عقيبه اتصبرون لان امر العاجز غير جايز **المسألة الثانية** المعنى اتصبرون على البلا فقد علمتم ما وعد الصابرين وكان ربك بصيرا اي هو العالم بمن يصبر ومن لا يصبر • فيجازي كلا منهم بما يستحقه من ثواب وعقاب **المسألة الثالثة** قوله اتصبرون استفهام والمراد التقرير وموقعه بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد الابتلا في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا • قوله تعالى **وقال الذين لا يرجون لقانا لولا انزل علينا الملئكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملئكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هبا منثورا اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا** اعلم ان قوله وقال الذين لا يرجون لقانا لولا انزل علينا الملايكة او نرى ربنا هو الشبهة الرابعة لمنكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم • وحاصلها لم لم ينزل الله الملئكة حتى يشهدوا ان محمدا محق في دعواه او نرى ربنا حتى يخبرنا بانه ارسله الينا وتقرير هذه الشبهة ان من اراد تحصيل شي وكان له الى تحصيله طريقان • احدهما يفضي اليه قطعا والاخر قد يفضي وقد لا يفضي فالحكيم يجب عليه في حكمته ان يختار في تحصيل ذلك المقصود الطريق الاول الذي يفضي الى المقصود فلو اراد تعالى تصديق محمد لفعل ذلك وحيث لم يفعل ذلك علمنا انه ما اراد تصديقه هذا حاصل الشبهة • ثم ها هنا مسايل **المسألة الاولى** قال الفرا قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقانا معناه لا يخافون لقانا ووضع الرجا موضع الخوف لغة تهامية اذا كان معه جحد [illegible] [illegible] ووعدنا على الطاعة من الثواب والجنة • ومعلوم انه من لا يرجو ذلك لا يخاف العقاب ايضا فالخوف تابع لهذا الرجا **المسألة الثانية** المجسمة تمسكوا بقوله تعالى لقانا على انه تعالى جسم وجوابه يقال هذا [illegible] المرئي فسمى اللقا جنس احد انواعه الرؤية والنوع الاخر الابصار والماسة فدلت الاية من هذا الوجه على جواز الرؤية • الطريق الثاني وهو كلام المعتزلة قال القاضي تفسير اللقا برؤية البصر جهل باللغة

يقال في الدعا

يقال في الدعا لقاك الله الخير ويقول القايل لم القى الامير وان راه من بعيد اذا حجب عنه • ويقال في الضرير لقي الامير اذا اذن له ولم يحجب وقد يلقاه في الليلة الظلما ولا يراه بل المراد من اللقا ها هنا هو المصير الى حكمه حيث لا حكم الى غيره في يوم لا تملك نفس لنفس شيا لا انه رؤية البصر • واعلم ان هذا الكلام ضعيف لانا لا نفسر اللقا برؤية البصر بل نفسره بمعنى مشترك بين رؤية البصر وبين الابصار والماسة وهو الوصول الى الشي وقد بينا ان الرائي يصل برؤيته الى المرئي واللفظ الموضوع لمعنى مشترك بين معاني كثيرة يطلق على كل واحد من تلك المعاني فيصح قوله لقاك الخير ويصح قول الاعمى لقيت الامير ويصح قول البصير لقيته بمعنى رايته • وما لقيته بمعنى ما وصلت اليه • واذا ثبت هذا فنقول قوله وقال الذين لا يرجون لقانا مذكور في معرض الذم لهم فوجب ان يكون رجا اللقا وهو مسمى اللقا مشتركا بين الوصول المكاني وبين الوصول بالرؤية وقد تعذر الاول فتعين الثاني وقوله المراد من اللقا الوصول الى حكمه صرف للفظ عن ظاهره فثبت دلالة الاية على صحة الرؤية [illegible] بل على انكارها ليس الا **المسألة الثانية** قوله لولا انزل معناه هلا انزل قال الكلبي ومقاتل نزلت هذه الاية في ابي جهل والوليد واصحابهما الذين كانوا منكرين للنبوة والبعث • اما قوله تعالى لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا فاعلم ان هذا هو الجواب عن تلك الشبهة • وفيه مسايل **المسألة الاولى** في تقرير كونه جوابا وذلك من وجوه • احدها ان القران لما ظهر كونه معجزا فقد تمت دلالة نبوة محمد عليه السلام فبعد ذلك كون اقتراح امثال هذه الايات لا لمحض الاستكبار والعنت • وثانيها نزول الملايكة لو حصل لكان ايضا من جملة المعجزات ولا يدل على الصدق لخصوص كونه نزول الملك بل لعموم كونه معجزا فيكون قبول ذلك المعجز ورد المعجز الاخر ترجيحا لاحد المثلين على الاخر من غير مرجح وهو محض الاستكبار والعنت • وثالثها انهم بتقدير ان يروا الرب ويسالوه عن صدق محمد عليه الصلاة والسلام وهو سبحانه يقول نعم هو رسولي فذاك لا يزيد في التصديق على اظهار المعجز على يد محمد صلى الله عليه وسلم لانا بينا ان المعجز يقوم مقام التصديق بالقول اذ لا فرق فيمن ادعى النبوة بين ان يقول اللهم ان كنت صادقا فاحي هذا الميت فيحييه الله تعالى وبين ان يقول له صدق • واذا كان التصديق الحاصل بالقول والحاصل بالمعجز بيانه واحد في كونه تصديقا للمدعي كان تعيين احدهما محض الاستكبار والعنت • ورابعها وهو انا اما ان نعتقد انه تعالى يفعل بحسب المصالح على ما يقول المعتزلة • او نقول انه تعالى يفعل بحسب المشيئة على ما يقوله اصحابنا • فان كان الاول لم يجز لهم ان يعينوا المعجز اذ ربما كان اظهار ذلك مصلحة ثم من قال ذلك فقد اعتقد في نفسه انه عالم بكل المعلومات • وذلك الاقتراح يكون استكبارا وعتوا وخروجا عن حد العبودية الى تمام المنازعة والمعارضة • وخامسها وهو ان المقصود من بعثة الانبيا الاحسان الى الخلق والملك الكبير اذا احسن الى الضعيف رحمة عليه فاخذ ذلك الضعيف في اللجاج والنزاع • ويقول لا اريد ذلك حسن انيقا لهذا المكدي قد استكبر في نفسه وعتا عتوا شديدا من حيث لا يعرف قدر نفسه ومنتهى درجته فكذا ها هنا • وسادسها يمكن ان يكون المراد ان الله تعالى قال لو علمت انهم ما ذكروا هذا السوال لاجل الاستكبار والعتو لاعطيتهم ما سالوا ولكني علمت انهم ذكروا هذا الاقتراح لاجل الاستكبار والتعنت ولو اعطيتهم مقترحهم لما انتفعوا به فلا جرم ما اعطيتهم ذلك وهذا التاويل شديد القرب من اللفظ وسابعها لعلهم سمعوا من اهل الكتاب ان الله لا يرى في الدنيا وانه تعالى لا ينزل الملايكة في الدنيا على عوام الخلق ثم انهم علقوا ايمانهم على ذلك على سبيل العتاب وعلى سبيل الاستهزا **المسألة الثالثة** قالت المعتزلة دلت الاية على انه تعالى لا يجوز رؤيته لان رؤيته لو كانت جائزة لما كان سوالها عتوا واستكبارا قالوا ولو كانوا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا ليس الا لاجل سوال الرؤية حتى انهم لو اقتصروا على نزول الملايكة لما خوطبوا بذلك والدليل عليه ان الله تعالى ذكر امر الرؤية في اية اخرى على حده وذكر الاستعظام وهو قوله ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم [illegible] انزل الينا الملايكة او نرى الملايكة فثبت بهذا ان الاستكبار انما حصل لاجل سوال الرؤية • واعلم ان الكلام على ذلك قد تقدم في سورة البقرة والذي نزيده ها هنا انا بينا ان قوله وقال الذين لا يرجون لقانا يدل على الرؤية • واما الاستكبار والعتو فلا يمكن ان يدل ذلك على ان الرؤية مستحيلة لان من طلب شيا محالا لا يقال انه عتا واستكبر • الا ترى انهم لما قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة لم يثبت لهم بطلب هذا المحال عتوا واستكبارا بل قال انكم قوم تجهلون بل العتو والاستكبار لا يثبت الا اذا طلب الانسان ما لا يليق به بل يليق بمن فوقه وان كان لا يقابله ولكنه يطلبه على سبيل التعنت • وبالجملة فقد ذكرنا وجوها كثيرة في تحقيق معنى الاستكبار والعتو سوا كانت الرؤية ممتنعة او ممكنة • ومما يدل عليه ان موسى لما سال الرؤية ما وصفه

وبذل

انه تعالى يفعل بحسب المشيئة على ما يقوله اصحابنا

هلا

الله بالاستكبار والعتو لانه عليه السلام طلب الرؤية شوقا ۰ وهولا لما طلبوها احتجاجا وتعنتا لاجرم وصفهم بذلك ۰ فثبت فساد ما قاله المعتزلة المسئلة الثالثة انما قال في انفسهم لانهم اضمروا الاستكبار في قلوبهم واعتقدوه كما قال تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه ۰ وقوله وعتوا اى تجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا فلان وقد وصف العتو بالكبير مبالغة في افراطه يعني انهم لم يجترؤا على هذا القول العظيم الا انهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو ۰ اما قوله تعالى لا بشرى يومئذ للمجرمين ۰ ويقولون حجرا محجورا فبين تعالى ان الذى سالوه سيوجد ولكنهم يلقون منه ما يكرهون ۰ وههنا مسايل المسئلة الاولى ذكروا في انتصاب يوم وجهين ۰ الاول ان العامل ما دل عليه لا بشرى اى يوم الملايكة يمنعون البشرى ۰ ويومئذ للتقرير والثاني التقدير اذكر يوم يرون الملايكة والله اعلم المسئلة الثانية اختلفوا في ذلك اليوم فقال ابن عباس يريد عند الموت ۰ وقال الباقون يريد يوم القيمة المسئلة الثالثة انما قال للكافر لا بشرى لان الكافر وان كان رضا لا مضلا الا انه كان يعتقد في نفسه انه كان زاهدا مهديا وكان يطمع ان يحصل له ذلك الثواب العظيم ولانهم ربما عملوا ما يرجوا فيه النفع كنصرة المظلوم وعطية الفقير وصلة الرحم ولكنه ابطله بكفره فبين سبحانه انهم يشافهون في اول الامر بما يدل على نهاية الياس والخيبة وذلك هو النهاية في الايلام وهو المراد من قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون المسئلة الرابعة حق الكلام ان يقال يوم يرون الملايكة لا بشرى لهم لكنه قال لا بشرى للمجرمين وفيه وجهان ۰ احدهما انه ظاهر في موضع ضمير ۰ والثاني انه عام فقد تناولهم بعموم ۰ قالت المعتزلة تدل الاية على القطع بوعيد الفساق وعدم العفو لان قوله لا بشرى للمجرمين نكرة في سياق النفي فتعم جميع انواع البشرى في جميع الاوقات بدليل ان من اراد تكذيب هذه القضية قال بل له بشرى في الوقت الفلاني ۰ فلما كان ثبوت البشرى في وقت من الاوقات لا لتكذيب هذه القضية علمنا ان قوله لا بشرى يقتضي نفي جميع انواع البشرى في كل الاوقات ۰ ثم انه سبحانه وتعالى اكد هذا النفي بقوله حجرا محجورا والعفو من اعظم البشرى والخلاص من النار بعد دخولها من اعظم البشرى وشفاعة الرسول لهم من اعظم البشرى فوجب ان لا يثبت ذلك لاحد من المجرمين ۰ والكلام على التمسك بصيغ العموم قد تقدم غير مرة وقال المفسرون المراد بالمجرمين ههنا الكفار بدليل قوله انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة المسئلة الخامسة في تفسير قوله تعالى حجرا محجورا ذكر سيبويه في باب المصادر المنصوبة بافعال متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقا عدو وهجوم نازلة ونحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل يفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه فلا يلحقه وكان المعنى ان يمنع ذلك منعا ويحجر حجرا ومجيئه فعل او فعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد فان قيل لما ثبت انه من باب المصادر فما معنى وصفه محجورا ۰ قلنا جاءت هذه الصفة لتاكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذايل والذل الهوان ۰ وموت مايت ۰ وحرام محرم ۰ المسئلة السادسة اختلفوا في الذين يقولون حجرا محجورا من هم على ثلاثة اقوال ۰ القول الاول هم الكفار وذلك لانهم كانوا يطلبون نزول الملايكة ويقترحونهم ثم اذا راوهم عند الموت او يوم القيمة كرهوا لقاهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون فيقولون عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقا العدو ولقا الشدة ۰ والقول الثاني ان القايلين هم الملايكة ۰ ومعناه حراما محرما عليكم الغفران او الجنة او البشرى اى جعل الله ذلك حراما عليكم ۰ ثم اختلفوا على هذا القول قال بعضهم الكفار اذا خرجوا من قبورهم قالت الحفظة لهم حجرا محجورا وقال الكلبي الملايكة على ابواب الجنة يبشرون المومنين بالجنة ويقولون للمشركين حجرا محجورا وقال عطية اذا كان يوم القيمة تلقى الملايكة المومنين بالبشرى فاذا راى الكفار ذلك قالوا لهم بشرونا فيقولون حجرا محجورا ۰ والقول الثالث وهو قول القفال والواحدي ومروى عن الحسن ان الكفار يوم القيمة اذا شاهدوا ما يخافون فيتعوذون منه ۰ ويقولون حجرا ۰ فتقول الملايكة محجورا اى تعوذ من شر هذا اليوم ۰ اما قوله تعالى وقدمنا استدلت المجسمة بقوله وقدمنا وذلك لان القدوم لا يصح الا على الاجسام وجوابه انه لما قامت الدلالة على امتناع القدوم عليه لان القدوم حركة والموصوف بالحركة محدث ۰ ولذلك فان الخليل عليه السلام استدل بافول الكواكب على حدوثها وثبت ان الله لا يجوز ان يكون محدثا وجب تاويل لفظ القدوم وهو من وجوه ۰ احدها وقدمنا الى ما عملوا اى وقصدنا الى اعمالهم فان القادم الى الشى قاصد له فالقصد هو المؤثر في القدوم فاطلق اسم المسبب على المسبب مجازا ۰ والثاني المراد قدوم الملايكة الى موضع الحساب في الاخرة ۰ ولما كانوا بامره يقدمون جاز ان يقول وقدمنا على سبيل التوسع ونظيره قوله فلما اسفونا ۰ وثالثها ان الملوك اذا دخلوا

قرية افسدوها

قرية افسدوها فلما ابطل الله اعمالهم وافسدها بالكلية صارت شبيهة بالموضع الذى تقدم فيه الملك فلاجرم قال وقدمنا اما قوله الى ما عملوا من عمل يعني الاعمال التي اعتقدوها برا وظنوا انها تقربهم الى الله تعالى ۰ والمعنى الى ما عملوا من اى الاعمال كان اما قوله فجعلناه هباء منثورا فالمراد ابطلناه وجعلناه بحيث لا يمكن الانتفاع به كالهباء المنثور الذى لا يمكن القبض عليه ونظيره قوله كسراب بقيعة كرماد اشتدت به الريح كعصف ماكول قال ابو عبيدة والزجاج الهباء مثل الغبار يدخل من الكوة مع ضوء الشمس وقال مقاتل انه الغبار الذى يسطع من حوافر الدواب ۰ اما قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ۰ فاعلم انه سبحانه لما بين حال الكفار في الخسران الكلي والخيبة التامة شرح وصف اهل الجنة منبها على ان الحظ كل الحظ في طاعة الله ۰ وههنا سوالات ۰ السوال الاول كيف يكون اصحاب الجنة خير مستقرا من اهل النار ولا خير في النار ۰ ولا يقال في العسل اهو احلى من الخل والجواب من وجوه ۰ الاول ما تقدم في قوله اذلك خير ام جنة الخلد ۰ والثاني يجوز ان يريد انهم في غاية الخير لا ان مستقرهم خير من النار كقول الشاعر ان الذى سمك السما بنا لنا ۰ بيتا دعايمه اعز واطول ۰ والثالث التفاضل الذى ذكر بين المنزلتين انما يرجع الى الموضع والموضع من حيث هو موضع لا شر فيه ۰ الرابع هذا التفاضل وقع على سبيل التقدير اى لو كان لهم مستقر فيه خير لكان مستقر اهل الجنة خيرا منه ۰ السوال الثاني الاية تدل على ان مستقرهم غير مقيلهم فكيف ذلك الجواب من وجوه الاول ان مقيلهم في اطيب زمان ۰ الثاني ان مستقر اهل الجنة غير مقيلهم فانهم يقيلون في الفردوس ثم يعودون الى مستقرهم ۰ الثالث ان بعد الفراغ من المحاسبة والذهاب الى الجنة يكون وقت القيلولة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار من يوم القيمة حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ۰ وقرا ابن مسعود ثم ان مقيلهم لالى الجحيم وقال سعيد بن جبير ان الله تعالى اذا اخذ في فصل القضا قضى بينهم كقدر ما بين صلاة الغداة الى انتصاف النهار فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وقال مقاتل يخفف الحساب على اهل الجنة حتى يكون بمقدار نصف يوم من ايام الدنيا يقيلون من يومهم ذلك في الجنة ۰ السوال الثالث كيف القيلولة في الجنة والنار وعندكم اهل الاخرة لا ينامون ۰ واهل النار ابدا في عذاب لا يفارقونه ۰ واهل الجنة في نعيم لا يفارقونه الجواب قال الله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ۰ وليس في الجنة بكرة وعشي لقوله لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ولانه اذا لم يكن هناك شمس لم يكن هناك نصف نهار ولا وقت قيلولة بل المراد منه ان ذلك الموضع اطيب المواضع واحسنها كما ان موضع القيلولة يكون اطيب المواضع ۰ قوله تعالى ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا ۰ اعلم ان هذا الكلام مبني على ما استدعوه من انزال الملايكة ۰ فبين سبحانه ان ذلك يحصل في يوم له صفات ۰ الصفة الاولى لذلك اليوم قوله يوم تشقق السما بالغمام ۰ وفيه مسايل المسئلة الاولى قوله اذا يدل على انشقاق ۰ وقوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام يدل على الغمام فقوله تشقق السما بالغمام جامع لمعنى تلك الايتين ۰ ونظيره قوله تعالى وفتحت السما فكانت ابوابا ۰ وقوله فهي يومئذ واهية المسئلة الثانية قرا ابو عمرو واهل الكوفة بتخفيف الشين ههنا ۰ وفي سورة ق ۰ والباقون بالتشديد قال ابو عبيد والاختيار التخفيف كما خفف يتساءلون ۰ ومن شدد فمعناه يتشقق المسئلة الثالثة قال الفرا المراد من قوله بالغمام اى عن الغمام لان السما لا تنشق بالغمام بل عن الغمام وقال القاضي لا يمتنع ان يجعل الغمام بحيث تشقق السما باعتماده عليه كقوله والسما منفطر به المسئلة الرابعة لا بد ان يكون هذا التشقق لتعلق نزول الملايكة ۰ فقيل الملايكة في ايام الانبيا كانوا ينزلون من مواضع مخصوصة والسما على اتصالها ۰ ثم في ذلك اليوم تشقق السما ۰ فاذا تشقق خرج من ان يكون حايلا بين الملايكة وبين الارض فنزلت الملايكة الى الارض المسئلة الخامسة قوله ونزل الملايكة صيغة عموم فتناول الكل ولان السما مقر الملايكة ۰ فاذا تشقق وجب ان ينزلوا الى الارض وقال مقاتل تشقق سما الدنيا فنزل اهلها ۰ ثم تنشق السما الثانية فنزل اهلها وهم اكثر من سكان السما الدنيا ۰ ثم كذلك حتى تنشق سما سما ۰ ثم تنزل الكروبيون وحملة العرش ۰ ثم ينزل الرب تعالى ۰ وروى الضحاك عن ابن عباس قال تتشقق كل سما وتنزل سكانها فيحيطون بالعالم سبع صفوف حول العالم ۰ واعلم ان نزول الرب بالذات باطل قطعا لان النزول حركة والموصوف بالحركة محدث ۰ والاله لا يكون محدثا ۰ اما نزول الملايكة الى الارض فعليه سوال وذلك لانه ثبت ان الارض بالقياس الى السما كحلقة في فلاة ۰ فكيف بالقياس الى الكرسي والعرش فملايكة هذه المواضع باسرها كيف تسع الارض لهم جميعا ۰ والجواب لعل الله يزيد في طول الارض وعرضها ويبلغها مبلغا تتسع لكل هولاء

السما

ومن المفسرين من قال الملائكة يكونون في الغمام ويبقون فيه والله تعالى يمسك الغمام فوق اهل القيمة ويكون ذلك
الغمام مقر الملائكة قال الحسن والغمام يسير بين السماء والارض تعرج الملائكة فيه بنسخ اعمال بني ادم والحاسبة تكون في
الارض **المسئلة السادسة** اما نزول الملائكة فظاهر ومعنى تنزيلا توكيد للنزول ودلالة على اسراعهم فيه **المسئلة السابعة**
واللام في الغمام ليس للتعريف فهو للمعهود والمراد ما ذكرناه في قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من
الغمام والملائكة **المسئلة الثامنة** قرئ ونزل الملائكة ونزلت الملائكة وانزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف
النون من ننزل وهي قراءة اهل مكة • الصفة الثانية لذلك اليوم قوله الملك يومئذ الحق للرحمن قال الزجاج
الحق صفة للملك • وتقديره ان الملك يومئذ للرحمن • ويجوز الحق بالنصب ولم يقرا به الا على معنى وصفه كونه
حقا انه لا يزول ولا يتغير • فان قيل مثل هذا الملك لم يكن قط الا للرحمن فما الفائدة في قوله يومئذ
قلنا لان في ذلك اليوم لا مالك سواه لا في الصورة ولا في المعنى فتخضع له الملوك وتعنو له الوجوه وتذل له الجبابرة
بخلاف ساير الايام • واعلم ان هذه الاية دالة على فساد قول المعتزلة في انه يجب على الله الثواب والعفو وذلك
لانه لو وجب لاستحق الذم بتركه فكان خايفا من ان لا يفعل فلم يكن ملكا مطلقا وايضا فقوله الملك يومئذ الحق
للرحمن يفيد انه ليس لغيره ملك وذلك لا يتم على قول المعتزلة لان كل من استحق على عمله شيا فانه يكون مالكا له
ولا يكون هو سبحانه مالكا لذلك المستحق ولانه سبحانه اذا استحق على اخر شيا امكنه ان يعفو عنه • اما غيره اذا
استحق عليه شيا فانه لا يصح ابراؤه عنه • وكان لنا العبودية ها هنا ولان من كفر بالله الى اخر عمره وعرف الله سخطه
ومات فهو سبحانه لو اعطاه الف الف سنة انواع الثواب واراد ان لا يعطيه سخطة واحدة صار سفيها وهذا
نهاية العبودية والذل • فكيف يليق بمن هذا حاله ان يكون له ملك • فلهذا قال الملك يومئذ الحق للرحمن وايضا
فكل من فعل فعلا لو لم يفعله لكان مستوجبا للذم كان بذلك الفعل مكتسبا للكمال وبتركه مكتسبا للنقصان
فلم يكن ملكا بل فقيرا محتاجا فثبت ان قوله سبحانه الملك يومئذ الحق للرحمن غير لايق باصول المعتزلة • الصفة
الثالثة • قوله وكان يوما على الكافرين عسيرا • فالمعنى ظاهر لانه تعالى عالم باحوال الكل قادر على كل ما يريده
واما غيره فالكل في ربقة العجز • وكمال القهر فكان في نهاية العسر على الكافر • الصفة الرابعة قوله ويوم
يعض الظالم على يديه • ففيه مسايل **المسئلة الاولى** الالف واللام في الظالم فيه قولان • احدهما للعموم
والثاني للمعهود • والقايلون بالمعهود على قولين • احدهما قال ابن عباس المراد عقبة بن ابي معيط بن امية
ابن عبد شمس كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما فدعا اليه جيرته من اهل مكة ويكثر مجالسة الرسول واعجبه حديثه
فصنع طعاما ودعا الرسول فقال ما انا باكل من طعامك حتى تاتي بالشهادتين ففعل فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعامه
وبلغ ذلك ابية بن خلف فقال صبوت يا عقبة وكان خليله قال لا انما دخل ذلك لياكل من طعامي فقال
لا ارضى بذلك حتى تاتيه فتبزق في وجهه وتطا على عنقه ففعل فقال عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت
راسك بالسيف • فنزل ويوم يعض الظالم على يديه ندامة يعني عقبة يقول يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا • لقد
اضلني اي صرفني عن الذكر وهو القران والايمان بعد اذ جاءني اي مع محمد عليه السلام • فاسر عقبة يوم بدر فقتل
صبرا ولم تقتل من الاسارى غيره وغير النضر بن الحارث • الثاني قالت الرافضة هذا الظالم هو رجل بعينه
وان المسلمين غيروا اسمه وكتموه وجعلوه فلانا بدلا من اسمه وذكروا فاضلين من اصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام
واعلم ان اجرا اللفظ على العموم ليس لنفس اللفظ لانا بينا في اصول الفقه ان الالف واللام اذا دخلا على الاسم
المفرد لا يفيد العموم بل انما نفيده بالقرينة من حيث ان ترتيب الحكم على الوصف مشعر بعلية الوصف فدل ذلك
على ان المؤثر في العموم انما يفيده للقرينة فيدل العض على اليدين على كونه ظالما وحينئذ يعم الحكم لعموم علته
وهذا القول اولى من التخصيص بصورة واحدة لان هذا الذي ذكرناه يقتضي العموم ونزوله في واقعة خاصة
لا ينافي ان يكون المراد هو العموم حتى تدخل فيه تلك الصورة وغيرها • ولان المقصود من الاية زجر الكل عن الظلم
وذلك لا يحصل الا بالعموم • اما قول الرافضة فانه لا يتم الا بالطعن في القران واثبات انه غير وبدل ولا
نزاع في انه كفر **المسئلة الثانية** استدلت المعتزلة بقوله ويوم يعض الظالم على يديه قالوا الظالم يتناول
الكافر والفاسق فيدل على ان الله تعالى لا يعفو عن صاحب الكبيرة • والكلام عليه قد تقدم **المسئلة الثالثة**
قوله يعض الظالم على يديه قال الضحاك ياكل يديه الى المرفق ثم تنبت فلا يزال هكذا ياكلها ثم تنبت وقال
اهل التحقيق هذه اللفظة مشعرة بالتحير والغم • يقال عض انامله وعض على يديه **المسئلة الرابعة**
لما بينا ان الظالم غير مخصوص بشخص واحد بل يعم جميع الظلمة • فكذا المراد بقوله فلانا ليس المراد شخصا واحدا

بل كل من اطاع

بل كل من اطاع في معصية الله تعالى • واستشهد القفال بقوله وكان الكافر على ربه ظهيرا ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا
يعني به جماعة الكفار **المسئلة الخامسة** قرئ يا ويلتي بالياء وهو الاصل لان الانسان ينادي ويلته وهي هلكته يقول
لها تعالي فهذا اوانك • وانما قلبت الياء الفا كما في صحارى ومدارى **المسئلة السادسة** قوله عن الذكر اي عن ذكر الله او
القران او موعظة الرسول • ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام • والشيطان اشارة الى خليله سماه
شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة • او اراد ابليس لانه هو الذي حمله على ان صار خليلا
لذلك المضل ومخالفة الرسول • ثم خذله او اراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس • ويحتمل ان يكون وكان الشيطان
حكاية لكلام الظالم وان يكون كلام الله • قوله تعالى وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا اعلم ان الكفار لما اكثروا من
الاعتراضات الفاسدة ووجوه التعنت ضاق قلب الرسول وشكاهم الى الله تعالى فقال يا رب • وها هنا مسايل
المسئلة الاولى اكثر المفسرين على انه قول واقع من الرسول • وقال ابو مسلم بل المراد ان الرسول يقوله
في الاخرة وهو كقوله فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولاء شهيدا • والاول اولى لانه موافق
للفظ ولان ما ذكره الله تعالى من قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين تسلية للرسول ولا يليق الا
اذا كان وقع ذلك القول منه **المسئلة الثانية** ذكروا في المهجور قولين • الاول انه من الهجران اي تركوا
الايمان ولم يقبلوه • واعرضوا عن استماعه • الثاني انه من الهجر اي هجروا فيه • ثم حذف الجار • ويؤكده
قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون • ثم هجرهم فيه انهم يقولون هو سحر وكذب وشعر • والهجر اي هذيان
روى انس عن النبي عليه الصلاة والسلام من تعلم القران ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جا يوم القيمة متعلقا
به يقول يا رب العالمين ان عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه • ثم انه تعالى قال تسلية لرسوله
ومواساة له • وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين بين بذلك ان له اسوة بساير الانبيا فليصبر على ما يلقاه
من قومه كما صبروا • ثم فيه مسايل **المسئلة الاولى** احتج اصحابنا بهذه الاية على انه تعالى خالق الخير
والشر لان قوله جعلنا لكل نبي عدوا يدل على ان تلك العداوة من جعل الله ولا شك ان تلك العداوة كفر
قال الجبائي المراد من الجعل التبيين بان الله تعالى لما بين انهم اعداء جاز ان يقول جعلناهم اعداء كما اذا
بين الرجل ان فلانا لص • يقال جعله لصا • وكما يقال في الحاكم عدل فلانا وفسق فلانا وجرحه • وقال الكعبي
ان الله تعالى امر الانبيا بعداوة الكفرة • وعداوتهم الكفار تقتضي عداوة الكفار لهم • فلذلك جاز ان
يقول وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا والانه سبحانه هو الذي خلاه ودعاه الى ما يستعقب تلك العداوة وقال
ابو مسلم يحتمل في العداوة انه البعيد القريب اذ المعاداة المباعدة كما ان النصرة للقرب والمظاهرة وقد
باعد الله بين المؤمنين والكافرين والجواب عن الاول التبيين لا يسمى البتة جعلا لان من بين لغيره وجود
الصانع وقدمه لا يقال انه جعل الصانع وجعل قدمه والجواب عن الثاني ان امر الله هل له تاثير في وقوع
العداوة في قلوبهم او ليس له تاثير • فان كان الاول فقد تم الكلام لان عداوتهم الرسول كفر فاذا امر الله الرسول
بما له اثر في تلك العداوة فقد امر بما له اثر في وقوع الكفر وان لم يكن له فيه تاثير البتة كان منقطعا عنه بالكلية
فيمتنع اشارة الله اليه • وهذا هو الجواب عن قول ابي مسلم **المسئلة الثانية** لقايل ان يقول ان قول
محمد عليه الصلاة والسلام يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا في المعنى كقول نوح عليه السلام
رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاي الا فرارا كما ان المقصود من هذا انزال العذاب فكذا هاهنا فكيف
يليق هذا بمن وصفه الله بالرحمة في قوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين • جوابه ان نوحا عليه السلام
لما ذكر ذلك دعا عليهم • واما محمد عليه السلام لما ذكر هذا ما دعا عليهم بل انتظر • فلما قال الله تعالى وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا كان ذلك كالامر بالصبر على ذلك وترك الدعاء عليهم فظهر الفرق **المسئلة الثالثة** قوله جعلنا
صيغة التعظيم والعظيم اذا ذكر نفسه بصيغة التعظيم وذكر انه يعطي فلا بد وان تكون تلك العطية عظيمة كقوله
ولقد اتيناك سبعا من المثاني • وقوله انا اعطيناك الكوثر فكيف يليق هذه الصيغة ان تكون تلك العطية
هي العداوة التي هي منشا الضرر في الدين والدنيا • جوابه خلق العداوة سبب لازدياد المشقة التي هي موجبة
لمزيد الثواب **المسئلة الرابعة** يجوز ان يكون العدو واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لي • وجا في
التفسير ان عدو الرسول ابو جهل • اما قوله وكفى بربك هاديا ونصيرا فقال الزجاج الباء زايدة
يعني كفى ربك هاديا ونصيرا على الاعداء • ونظيره قوله يا ايها النبي حسبك الله • قوله تعالى وقال الذين

احتج اصحابنا بهذه الاية على انه تعالى خالق الخير والشر

كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل
الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا
اعلم ان هذا هو الشبهة الخامسة لمنكري نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وهو ان اهل مكة قالوا لو انك رسول
من عند الله لم لا اتيتنا بالقرآن جملة واحدة كما انزل التوراة جملة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود بل
على التدريج بين اوله وآخره نيف وثلاث وعشرين سنة ● واجاب الله تعالى عنه بقوله تعالى كذلك لنثبت
به فؤادك ● وبيان هذا الجواب من وجوه ● احدها انه عليه السلام لم يكن من اهل القراءة والكتابة ● فلو نزل
ذلك عليه جملة واحدة كان لا يضبطه ● ولجاز عليه الغلط والسهو وانما نزلت التوراة جملة لانها كانت مكتوبة يقرؤها
موسى ● وثانيها ان من كان الكتاب عنده فربما اعتمد على الكتاب وتساهل في الحفظ ● فالله تعالى ما اعطاه الكتاب
دفعة واحدة بل كان ينزل عليه وظيفة وظيفة ليكون حفظه له اكمل فيكون ابعد عن المساهلة وقلة التحصيل
وثالثها انه تعالى لو انزل الكتاب جملة واحدة لنزلت الشرايع بأسرها دفعة واحدة على الخلق فكان يثقل عليهم ذلك
اما لما نزل مفرقا منجما لا جرم نزلت التكاليف قليلا قليلا فكان تحملها اسهل ● ورابعها انه اذا شاهد جبريل
حالا بعد حال يقوى قلبه بمشاهدته فكان اقوى على اداء ما حمل وعلى الصبر على عوارض النبوة وعلى احتمال اذية قومه
وعلى الجهاد ● وخامسها انه لما شرط الاعجاز فيه مع كونه منجما ثبت كونه معجزا فانه لو كان ذلك في مقدور البشر
لوجب ان يأتوا بمثله منجما مفرقا ● وسادسها كان القرآن ينزل بحسب اسولتهم والوقايع الواقعة لهم وكانوا ذوي
بصيرة فبسبب ذلك كان ينضم الى الفصاحة الاخبار عن الغيوب ● وسابعها ان القرآن لما نزل مفرقا منجما
وهو عليه السلام كان يتحداهم من اول الامر فكأنه كان يتحداهم بكل واحد من نجوم القرآن فلما عجزوا عنه كان عجزهم
عن معارضة الكل اولى فبهذا الطريق ثبت في فؤاده ان القوم عاجزون عن المعارضة لا محالة ● وثامنها ان السفارة
بين الله تعالى وبين انبيائه وتبليغ كلامه الى الخلق منصب عظيم فيحتمل ان يقال انه تعالى لو انزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم
دفعة واحدة لبطل المنصب على جبريل عليه السلام ● فلما انزله مفرقا منجما ثبت ذلك المنصب العالي عليه فلأجل
ذلك جعل الله سبحانه القرآن مفرقا منجما ● اما قوله كذلك ففيه وجهان ● احدهما انه من تمام كلام المشركين اي جملة
واحدة كذلك اي كالتوراة والانجيل وعلى هذا يحتاج الى اضمار في الآية وهو ان نقول انزلناه مفرقا لنثبت به فؤادك
الثاني انه كلام الله تعالى ذكره جوابا لهم اي كذلك انزلناه مفرقا ● فان قيل ذلك في كذلك يجب ان يكون اشارة الى شيء تقدم
والذي تقدم هو انزاله جملة فكيف فسرته بكذلك انزلناه مفرقا ● قلنا لان قولهم لولا انزل عليه جملة معناه
لم انزل مفرقا ● فكذلك اشارة اليه ● اما قوله ورتلناه ترتيلا ● فمعنى الترتيل في الكلام ان يأتي بعضه على
اثر بعض على تؤدة وتمهيل ● واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها ● يقال ثغر رتل ومرتل وهو ضد المتراص
ثم انه سبحانه لما بين فساد قولهم بالجواب الواضح قال ولا يأتونك بمثل من الجنس الذي تقدم ذكره من الشبهات
الا جئناك بالحق الذي يدفع قولهم كما قال تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وبين بان الذي يأتي
به احسن تفسيرا لانه ما فيه كالتفسير في البيان ● ولما كان التفسير هو التكشيف عما دل عليه الكلام وضع موضع
معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا ● اما قوله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم
ففيه مسائل المسئلة الاولى عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس على ثلاثة اصناف
صنف على الدواب ● وصنف على الاقدام ● وصنف على الوجوه ● وعنه عليه الصلاة والسلام ان الذي امشاهم
على ارجلهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم المسئلة الثانية الاشبه انه صفة القوم الذين اوردوا هذه
الاسولة [illegible] المسئلة الثالثة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] شرع في ذكر القصص
قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم
الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا [illegible]

من الانبيا وعرفه ما نزل بمن كذب من اممهم فقال ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا
والمعنى لنثبت يا محمد باول من ارسلناه وكذب ● وآتيناه الايات ثم ذكر آتينا موسى التوراة وقوينا عضده باخيه هرون
ومع ذلك فقد ردوه وهاهنا مسائل المسئلة الاولى كونه وزيرا يمنع من كونه شريكا له في النبوة فلا وجه لقول من
قال في قوله فقلنا اذهبا انه خطاب لموسى عليه السلام وحده بل يجري مجرى قوله اذهبا الى فرعون انه طغى فان
قيل ان كونه وزيرا كالمنافي لكونه شريكا بل يجب ان يقال انه لما صار شريكا خرج عن كونه وزيرا ● قلنا لا منافاة
بين الصفتين اذ يشركه في النبوة ويكون ظهيرا له ومعينا المسئلة الثانية قال الزجاج الوزير في اللغة
الذي يرجع اليه ويتحصن برأيه ● والوزر ما يعتصم به ومنه كلا لا وزر اي لا منجا ولا ملجأ ولذلك لا يوصف
تعالى بأنه وزير ولا يقال فيه انصاره وزراء لان الالتجاء اليه في المشاورة والرأي على هذا الحد لا يصح
والله اعلم المسئلة الثالثة دمرناهم اهلكناهم اهلاكا ● فان قيل الفاء للتعقيب والاهلاك لم يحصل
عقيب ذهاب موسى وهرون اليهم الا بعد مدة مديدة ● قلنا التعقيب محمول هاهنا على الحكم لا على الوقوع وقيل
انه تعالى اراد اختصار القصة فذكر منها اولها وآخرها لانهما المقصود من القصة نظرا لها على الزام الحجة
ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم المسئلة الرابعة قوله تعالى اذهبا الى القوم الذين كذبوا
باياتنا ان حملناه على تكذيب الايات الالهية فلا اشكال وان حملناه على تكذيب آيات النبوة فاللفظ وان كان للماضي
الا ان المراد هو المستقبل ● القصة الثانية قوله تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم
وجعلناهم للناس آية واعتدنا للظالمين عذابا اليما واعلم انه تعالى انما قال كذبوا الرسل اما لانهم كانوا من البراهمة
المنكرين لكل الرسل او لانه كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع لان تكذيب الواحد منهم لا يمكن الا بالقدح في المعجز
وذلك يقتضي تكذيب الكل ● او لان المراد بالرسل وان كان نوحا عليه السلام وحده لكنه كما قال فلان يركب الدواب
اما قوله اغرقناهم فقال الكلبي امطر الله عليهم السماء اربعين يوما واخرج ماء الارض في تلك الاربعين فصارت
الارض بحرا واحدا موجا ● وجعلناهم اي جعلنا اغراقهم او قصتهم آية للظالمين اي لكل من سلك سبيلهم في
تكذيب الرسل عذابا اليما ويحتمل ان يكون المراد قوم نوح القصة الثالثة قوله تعالى وعادا وثمودا واصحاب
الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا وهاهنا مسائل المسئلة الاولى
عطف عادا على هم في جعلناهم ● او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين المسئلة الثانية قرئ
وثمودا بالنصب ● وثمود على تأويل القبيلة ● واما المنصوب فعلى تأويل الحي ● او لانه اسم الاب الاكبر
المسئلة الثالثة قال ابو عبيدة الرس هو البئر غير المطوية قال ابو مسلم في البلاد موضع يقال له الرس
فجاز ان يكون ذلك الوادي سكناهم ● والرس عند العرب الدفن ● ويسمى به الحفر ● يقال رس الميت اذا دفن وغيب
في الحفرة ● وفي التفسير انه البئر واي شيء كان فقد اخبر الله عن اهله بالهلاك المسئلة الرابعة ذكر
المفسرون في اصحاب الرس وجوها ● احدها كانوا قوما من عبدة الاصنام اصحاب ابل ومواشي فبعث
الله اليهم نبيا فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائه فبينا هم حول الرس خسف الله بهم وبدارهم
وثانيها الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود ● وثالثها هم اصحاب النبي حنظلة بن صفوان
كانوا مبتلين بالعنقاء وهي اعظم ما يكون من الطير سميت بذلك لطول عنقها كانت تسكن جبلهم وهي تنقض على
صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا
ورابعها هم اصحاب الاخدود ● والرس هو الاخدود ● وخامسها الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار ● وقيل
كذبوه ورسوه في بئر اي دسوه فيها ● وسادسها عن علي عليه السلام انهم كانوا قوما يعبدون شجرة الصنوبر وانما
سموا اصحاب الرس لانهم رسوا نبيهم في الارض ● وسابعها اصحاب الرس قوم كانت قراهم على شاطئ نهر يقال
له الرس من بلاد المشرق فبعث الله اليهم نبيا من ولد يهوذا بن يعقوب فكذبوه فلبث فيهم زمانا فشكى الى الله منهم
فحفروا بئرا فرسوه فيها وقالوا نرجو ان ترضى عنا آلهتنا ● وكانوا عامة يومهم يسمعون انين نبيهم وهو يقول
سيدي ترى ضيق مكاني وشدة كربي وقلة حيلتي فعجل قبض روحي حتى مات فارسل الله تعالى ريحا عاصفة شديدة الحمرة
وصارت الارض من تحتهم كبريتا يتوقد واظلتهم سحابة سوداء فذابت ابدانهم كما يذوب الرصاص ● وثامنها روى
ابن جرير عن الرسول عليه السلام ان الله بعث نبيا الى اهل قرية فلم يؤمن به احد من اهلها الا عبد اسود ثم عدوا
على رسول الله فحفروا له بئرا فالقوه فيها ثم اطبقوا عليه بحجر ضخم ● وكان ذلك العبد يحتطب فيشتري له طعاما
وشرابا ويرفع الصخرة ويدليه اليه وكان كذلك ما شاء الله فاحتطب يوما فلما اراد ان يحملها وجد نوما فاضطجع فضرب

صَاد

والرس عند العرب الدفن يقال رس الميت

الله على ذنبه سبع سنين باتمام اشته وتمطي في تحول لشعه الاخر فنام سبع سنين اخر ثم بعثه الله فاحمل حزمته وتطن
انه نام ساعة من نهار فجا الى القرية وباع حزمته واشترى طعاما وشرابا وذهب الى الحفرة فلم يجد احدا وكان قوم
استخرجوه فامنوا به وصدقوه وكان ذلك النبي يسئلهم عن الاسود فيقولون ما ندري حاله حتى قبض الله النبي وقبض
ذلك الاسود فقال عليه السلام ان ذلك الاسود لاول من يدخل الجنة • واعلم ان القول ما قال ابو مسلم وباقي هذه
الروايات غير معلومة بالقرآن ولا بحديث قوي الاسناد ولكنهم كيف كانوا فقد اخبر الله عنهم انهم اهلكوا بسبب كفرهم
المسئلة الخامسة قال النخعي القرن اربعون سنة وقال عليه السلام سبعون سنة • وقيل مائة وعشرون
المسئلة السادسة قوله بين ذلك اشارة الى المذكور وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير • ويحسب الحاسب
اعدادا متكاثرة ثم تقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب او المعدود • اما قوله وكلا ضربنا له الامثال
والمراد بيناهم وازحنا عللهم فلما كذبوا تبرناهم تتبيرا وكلا ضربنا له الامثال بان بينا لهم عما اوردوه من
الشبه في تكذيب الرسل كما اورده قومك يا محمد فلما لم ينجع عليهم تبرناهم فحذر تعالى بذلك قوم محمد صلى الله عليه وسلم
في الاستمرار على تكذيبه لئلا ينزل بهم مثل ما نزل بالقوم عاجلا واجلا المسئلة السابعة كلا الاول منصوب
بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا • والثاني تبرنا لانه فارغ له المسئلة الثامنة
التتبير التفتيت والتكسير • ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج والله اعلم القصة الرابعة
قوله تعالى ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا
واعلم انه تعالى اراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط كانت خمسا اهلك الله اربعا باهلها وبقيت واحدة • ومطر السوء
الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت بالحجارة من السماء افلم يكونوا في
مرورهم ينظرون الى اثار عذاب الله ونكاله بل كانوا قوما كفرة لا يرجون نشورا • وذكروا في تفسير يرجون وجوها
احدها هو الذي قاله القاضي وهو الاقوى انه محمول على حقيقة الرجا لان الانسان لا يتحمل متاعب التكاليف ومشاق
النظر والاستدلال الا لرجا ثواب الاخرة فاذا لم يؤمن بالاخرة لم يرج ثوابها فلا يتحمل تلك المشاق والمتاعب • وثانيها
معناه لا يتوقعون نشورا فوضع الرجا موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن • وثالثها لا يخافون على اللغة
التهامية وهو ضعيف • والاول هو الحق • قوله تعالى واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث
الله رسولا ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل
سبيلا ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون
ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا اعلم انه سبحانه لما بين مبالغة المشركين في انكار نبوته • وفي ايراد
الشبهات بين بعد ذلك انهم اذا راوا الرسول اتخذوه هزوا فلم يقتصروا على ترك الايمان به بل زادوا عليه بالاستهزاء
والاستخفاف • ويقول بعضهم لبعض اهذا الذي بعث الله رسولا • وفيه مسائل المسئلة الاولى قال
صاحب الكشاف ان الاولى نافية • والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما المسئلة الثانية
جواب اذا هو ما اضمر من القول يعني واذا راوك مستهزئين قالوا اهذا الذي بعث الله رسولا • وقوله ان يتخذونك
جملة اعترضت بين اذا وجوابها المسئلة الثالثة اتخذه هزوا في معنى استهزا به • والمعنى اتخذه موضع
هزء المسئلة الرابعة اعلم ان الله تعالى اخبر عن المشركين انهم متى راوه اتوا بنوعين من الافعال • احدهما
انهم يستهزئون به ويفسرون ذلك الاستهزاء بقولهم اهذا الذي بعث الله رسولا وذلك جهل عظيم لان الاستهزاء اما
ان يقع بصورته او بصفته • اما الاول فباطل لانه عليه الصلاة والسلام كان احسن منهم صورة وخلقة • وبتقدير
انه لم يكن كذلك لكنه عليه السلام ما كان يدعي التمييز عنهم بالصورة بل بالحجة • واما الثاني فباطل لانه عليه السلام
ادعى التمييز عنهم في ظهور المعجزة عليه دونهم وانهم ما قدروا على القدح في حجته ودلالته ففي الحقيقة هم الذين
يستحقون ان يهزء بهم • ثم انهم لوقاحتهم قلبوا القصة واستهزؤا بالرسول وذلك يدل على انه ليس للمبطل
في كل الاوقات الا السفاهة والوقاحة • وثانيهما انهم كانوا يقولون فيه ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا
عليها وذلك يدل على امور • الاول انهم سموا ذلك ضلالا وذلك يدل على انهم كانوا مبالغين في تعظيم الهتهم
وفي استعظام صنعه صلى الله عليه وسلم في صرفهم عنه • وذلك يدل على انهم كانوا يعتقدون ان هذا هو الحق
فمن هذا الوجه يبطل قول اصحاب المعارف في انه لا يكفر الا من يعرف الدليل لانهم جهلوا ثم نسبهم الله الى الكفر
والضلال • وقولهم لولا ان صبرنا عليها يدل ايضا على ذلك • الثاني يدل ذلك القول منهم على جد الرسول عليه
الصلاة والسلام واجتهاده في صرفهم عن عبادة الاوثان • ولولا ذلك لما قالوا ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا

ان صبرنا عليها

التاسع من الثالث

ان صبرنا عليها وهكذا كان عليه الصلاة والسلام فانه في اول الامر بالغ في ايراد الدلائل والجواب عن الشبهات وتحمل
ما كانوا يفعلونه من انواع السفاهة وسوء الادب • الثالث ان هذا يدل على اعتراف القوم بانهم لم يعترضوا
البتة على دلائل الرسول وما عارضوها الا بمحض الجحود والتقليد لان قولهم لولا ان صبرنا عليها اشارة الى الجحود
والتقليد ولو ذكروا اعتراضا على دلائل الرسول لكان ذكر ذلك اولى من ذكر مجرد الجحود والاصرار الذي هو داب
الجهال وذلك يدل على ان القوم كانوا منهورين تحت حجته عليه الصلاة والسلام وما كان في ايديهم الا مجرد الوقاحة
الرابع الاية تدل على ان القوم صاروا في ظهور حجته عليه السلام عليهم كالمجانين لانهم استهزؤا به اولا ثم وصفوه
بانه كاد يضلنا عن الهتنا لولا ان قابلناه بالجحود والاصرار • فهذا الكلام الاخير يدل على ان القوم اعترفوا له بقوة
الحجة وكمال العقل • والكلام الاول وهو السخرية والاستهزاء لا يليق الا بالجاهل الفاجر • فالقوم لما جمعوا بين
هذين الكلامين دل ذلك على انهم كانوا كالمتحيرين في امره • فتارة بالوقاحة يستهزؤن منه • وتارة يصفونه
بما لا يليق الا بالعقل الكامل • ثم انه سبحانه لما ذكر عنهم هذا الكلام زيف طريقتهم في ذلك من ثلاثة اوجه • اولها
قوله وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا لانهم لما وصفوه بالضلال في قولهم ان كاد ليضلنا عن الهتنا
بين تعالى انهم سيظهر لهم من المضل ومن الضال عند مشاهدة العذاب الذي لا مخلص لهم منه • فهو وعيد شديد
لهم على التعامي والاعراض عن الاستدلال والنظر • وثانيها قوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا
والمعنى انه سبحانه لما بين ان بلوغ هؤلاء في جهالتهم واعراضهم عن الدلائل انما كان لاستيلاء التقليد عليهم وانهم اتخذوا
اهواءهم الهة لانفسهم فكلما دعاهم الهوى اليه انقادوا له سواء منع الدليل منه او لم يمنع • ثم ها هنا ابحاث • الاول
قوله ارايت يصلح للاعلام والسؤال • وها هنا تعجب من جهل من هذا وصفه ونعته • الثاني قوله اتخذ الهه هواه
معناه اتخذ الهه ما يهواه او الها يهواه • وقيل هو مقلوب معناه اتخذ هواه الهه • وهذا ضعيف لان قوله اتخذ
الهه هواه يفيد الحصر اي لم يتخذ لنفسه الها الا هواه • وهذا المعنى لا يحصل عند القلب قال ابن عباس الهوى
اله يعبد • وقال سعيد بن جبير كان الرجل من المشركين يعبد الصنم فاذا راى احسن منه رماه واخذ الاخر وعبده
الثالث قوله افانت تكون عليه وكيلا اي حافظا تحفظه عن اتباع هواه اي لست كذلك • الرابع نظير هذه الاية قوله
تعالى لست عليهم بمسيطر وقوله وما انت عليهم بجبار وقوله لا اكراه في الدين قال الكلبي نسختها اية القتال • وخامسها
قوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون • ام هذه منقطعة بمعنى بل تحسب وذلك يدل على ان هذه المذمة
اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم عديمي الاسماع والعقول لانهم لشدة عنادهم لا يصغون
الى الكلام • واذا سمعوه لا يتفكرون فيه فكانهم ليس لهم سمع ولا عقل البتة فعند ذلك شبههم بالانعام في عدم
انتفاعهم بالكلام • وعدم اقدامهم على التدبر والتفكر • واقبالهم على اللذات الحسية الحاضرة • واعراضهم
عن طلب السعادات الباقية العقلية • وها هنا سؤالات • السؤال الاول لم قال ام تحسب ان اكثرهم فحكم بذلك
على الاكثر دون الكل الجواب لانه كان فيهم من يعرف الله ويعقل الحق الا انه ترك الاسلام لمجرد حب الرياسة
لا للجهل • السؤال الثاني لم جعلوا اضل من الانعام لوجوه • احدها ان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها
وتتعهدها • وتميز بين من يحسن اليها وبين من يسيء • وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون
لربهم ولا يميزون بين احسانه اليهم وبين اساءة الشيطان اليهم الذي هو عدو لهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم
المنافع • ولا يحترزون من العقاب الذي هو اعظم المضار • وثانيها ان قلوب الانعام كما انها تكون خالية
عن العلم فهي خالية عن الجهل الذي هو اعتقاد المعتقد على خلاف ما هو عليه مع التصميم • واما هؤلاء فقلوبهم
كما خلت عن العلم فقد اتصفت بالجهل فانهم لا يعلمون انهم لا يعلمون بل هم مصرون على انهم يعلمون • وثالثها
ان عدم علم الانعام لا يضر لاحد وجهل هؤلاء منشأ للضرر العظيم لانهم يصدون الناس عن سبيل الله ويبغونها عوجا
ان عدم علم الانعام لا يضر لا جل ان الانعام لا تعرف شيئا ولكنهم عاجزون عن طلب المراتب العالية والعاجز
عن الطلب اذا عجز لا يكون في استحقاق الذم كالقادر عليه التارك له بسوء اختياره • ورابعها ان البهائم لا تستحق
عقابا على عدم العلم • اما هؤلاء فانهم يستحقون عليه اعظم العقاب • وسادسها ان البهائم تسبح الله على مذهب
بعض الناس على ما قال وان من شيء الا يسبح بحمده وقال الم تر ان الله يسجد له من في السموات الى قوله والدواب
وقال والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه • واذا كان كذلك فضلال الكفار اشد واعظم من ضلال
هذه الانعام • السؤال الثالث انه سبحانه لما نفى عنهم السمع والعقل فكيف ذمهم على الاعراض عن الدين وكيف
بعث الرسول اليهم فان شرط التكليف العقل الجواب ما ذكرنا انهم لا يعقلون بل انهم لم ينتفعوا بذلك
العقل فهو كقول الرجل لغيره اذا لم يفهمه انما انت اعمى واصم • قوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل

واقبالهم على اللذات الحسية الحاضرة

انا جعلوا هؤلاء هم منشأ الضرر العظيم لانهم يصدون الناس عن سبيل الله ويبغونها عوجا

ورابعها

ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذي ارسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا اعلم انه سبحانه وتعالى لما بين جهل المعرضين عن دلايل الله تعالى وفساد طريقتهم في ذلك ذكر بعده انواعا من الدلايل الدالة على وجود الصانع **النوع الاول** الاستدلال بحال الظل في زيادته ونقصانه وتغيره من حال الى حال • وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قوله الم تر فيه وجهان احدهما انه من روية العين • والثاني انه من روية القلب يعني العلم • فان حملناه على روية العين فالمعنى الم تر الى الظل كيف مده ربك وان كان مخرج لفظه على عادة العرب افصح • وان حملناه على العلم وهو اختيار الزجاج • فالمعنى الم تعلم وهذا اولى لانا نعلم ان الظل اذا جعلناه من المبصرات فتاثير قدرة الله تعالى في تمديده غير مرئي بالاتفاق ولكنه معلوم من حيث ان كل متغير جايز فله موثر فحمل هذا اللفظ على روية القلب اولى من هذا الوجه **المسئلة الثانية** المخاطب بهذا الخطاب الرسول عليه السلام بحسب ظاهر اللفظ ولكن الخطاب عام في المعنى لان المقصود بالاية بيان نعم الله بالظل وجميع المكلفين مشتركون في انه يجب ان ينبههم لهذه النعمة ويمكنهم من الاستدلال بها على وجود الصانع **المسئلة الثالثة** الناس اكثروا في تاويل هذه الاية والكلام المخلص يرجع الى وجهين • الاول ان الظل هو الامر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة وهو ما بين ظهور الشمس وكذلك الكيفيات الحاصلة من السقف وافنية الجدران • وهذه الحالة اطيب الاحوال لان الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها الحس واما الضوء الخالص وهو الكيفية الفايضة من الشمس وهي لقوتها تبهر الحس البصري وتفيد السخونة القوية وهي موذية • فاذن اطيب الاحوال هو الظل ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود • واذا ثبت هذا فنقول انه سبحانه بين انه من النعم العظيمة • والمنافع الجليلة • ثم ان الناظر الى الجسم الملون وقت الظل كانه لا يشاهد شيا سوى الجسم وسوى اللون • ونقول الظل ليس امرا ثالثا ولا نعرفه ولا نعترف به الا انه اذا طلعت الشمس ووقع ضوءها على جسم زال ذلك الظل • فلولا الشمس ووقوع ضوءها على الاجرام لما عرف ان للظل وجودا وماهية لان الاشيا انما تعرف باضدادها • فلولا الشمس لما عرف الظل • ولولا الظلمة لما عرف النور • فكانه سبحانه وتعالى لما اطلع الشمس على الارض • وزال الظل فحينيذ ظهر للعقول ان الظل كيفية زايدة على الجسم واللون • فلهذا قال سبحانه ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اي جعلنا الظل اولا بما فيه من المنافع واللذات • ثم انا هدينا العقول الى معرفة وجوده بان اطلعنا الشمس فكانت الشمس دليلا على وجود هذه النعمة • ثم قبضناه اي الظل لا دفعة بل يسيرا يسيرا فانه كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الاظلال وذلك لا يكون دفعة بل يسيرا يسيرا ولان قبض الظل لو حصل دفعة لاختلت المصالح ولكن قبضها يسيرا يسيرا يحصل معه انواع مصالح العالم • والمراد بالقبض الازالة والاعدام • هذا احد التاويلات • التاويل الثاني وهو انه سبحانه لما خلق الارض والسماء وخلق الكواكب والشمس والقمر وقع الظل على الارض • ثم انه سبحانه خلق الشمس دليلا عليه وذلك لان بحسب حركات الضوء تتحرك الاظلال • فانهما يتعاقبان متلازمان لا واسطة بينهما فبمقدار ما يزداد احدهما ينقص الاخر وكما ان المهتدي يهتدي بالهادي والدليل ويلازمه • فكذا الاظلال كانها مهتدية وملازمة للضوء • فلهذا جعل الشمس دليلا عليه • واما قوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا • فاما ان يكون المراد منه انتهاء الاظلال يسيرا يسيرا الى غاية نقصاناتها فسمي ازالة الاظلال قبضا لها او يكون المراد من قبضها يسيرا قبضها عند قيام الساعة وذلك بقبض اسبابها وهي الاجرام التي تلقي الاظلال • وقوله يسيرا فهو كقوله ذلك حشر علينا يسير • فهذا التاويل المخلص **المسئلة الرابعة** وجه الاستدلال به على وجود الصانع المختار ان حصول الظل امر نافع للاحيا والعقلاء • واما حصول الضوء الخالص او الظلمة الخالصة فهو ليس من باب المنافع فحصول ذلك الظل اما ان يكون من الواجبات او الجايزات • والاول باطل والا لما تطرق التغير اليه لان الواجب لا يتغير فوجب ان يكون من الجايزات فلا بد له في وجوده بعد العدم وعدمه بعد الوجود من مدبر يحسن تقديره بالوجه النافع وما ذاك الا من يقدر على تحريك الاجرام العلوية وتدوير الاجسام الفلكية وترتيبها على الوصف الاحسن والترتيب الاكمل وما هو الا الله سبحانه وتعالى • فان قيل الظل عبارة عن عدم الضوء عما من شانه ان يضيء فكيف استدل بالامر العدمي على ذاته • وكيف عده من النعم • قلنا الظل ليس عدما محضا بل هو الضوء المخلوط بالظلم • والتحقيق ان الظل عبارة عن الضوء الثاني وهو امر وجودي وفي تحقيقه كلام دقيق يرجع الى كتبنا العقلية • **النوع**

[illegible]

الثاني قوله

الثاني قوله وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا واعلم انه تعالى شبه الليل من حيث انه يستر الكل ويغطي باللباس الساتر للبدن • ونبه على ما لنا فيه من النفع بقوله والنوم سباتا والسبات هو الراحة وجعل النوم سباتا لانه سبب للراحة قال ابو مسلم السبات الراحة ومنه يوم السبت لما جرت به العادة من الاستراحة فيه • ويقال للعليل اذا استراح من تعب العلة مسبوت قال صاحب الكشاف السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة قال وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل • وانما قلنا ان تفسيره بالموت اولى من تفسيره بالراحة لان النشور في مقابلته يا باه قال ابو مسلم وجعل النهار نشورا هو بمعنى الانتشار والحركة كما سمى تعالى نوم الانسان وفاة فقال الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها • كذلك وفق بين القيام من الموت في التسمية وبين النشور • وهذه الاية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار النعمة على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوايد دينية ودنيوية • والنوم واليقظة شبههما بالموت والحياة وعن لقمان انه قال لابنه كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر **النوع الثالث** قوله وهو الذي ارسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وقد تقدم تفسيره في سورة الاعراف • ثم فيه مسايل **المسئلة الاولى** قرى الريح والرياح قال الزجاج في نشرا ستة اوجه بفتح النون وبضمها • وبضم النون والشين • وبالياء مونث • ونشرا بالتنوين • قال ابو مسلم من قرا بشرا المراد جمع بشير مثل قوله تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات • فاما بالنون فهو في معنى والناشرات نشرا وهو الرياح والرحمة الغيث والماء والمطر **المسئلة الثانية** قوله وانزلنا من السماء ماء طهورا نص في انه تعالى ينزل من السماء لا من السحاب وقول من يقول السحاب سما ضعيف لان ذلك بحسب الاشتقاق • اما بحسب وضع اللغة • فالسماء اسم لهذا السقف المعلوم فصرفه عنه الى غيره ترك للظاهر **المسئلة الثالثة** اختلفوا في ان الطهور ما هو قال كثير من العلماء الطهور ما يتطهر به كالفطور ما يفطر به والسحور ما يتسحر به وهو مروي ايضا عن ثعلب • وانكر صاحب الكشاف ذلك وقال ليس فعول من التفعيل في شيء • والطهور على وجهين في العربية • صفة واسم غير صفة • فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر • والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به النار • حجة القول الاول انه عليه السلام قال التراب طهور المومن ولو لم يجد الماء عشر حجج • ولو كان معنى الطهور الطاهر لكان معناه التراب طاهر المومن وحينيذ لا ينتظم الكلام فلانه تعالى قال وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به بين ان المقصود من الماء انما هو المطهر به • فوجب ان يكون المراد من كونه طهورا هو المتطهر به ولانه تعالى ذكره في معرض الانعام فوجب حمله على الوصف الاكمل ولا شك ان المطهر اكمل من الطاهر **المسئلة الرابعة** اعلم انه تعالى ذكر من منافع الماء امرين • احدهما ما يتعلق بالنبات والثاني ما يتعلق بالحيوان • اما امر النبات فقوله لنحيي به بلدة ميتا • وفيه سوالات • السوال الاول لم قال لنحيي بلدة ميتا ولم يقل ميتة • الجواب لان البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت • السوال الثاني ما المراد بحياة البلدة [illegible] الجواب يسمون [illegible] من الارض مواتا وسقيها المقتضي لعمارتها احياءها • السوال الثالث ان جماعة الطبيعيين [illegible] وكذا الكعبي من المعتزلة قالوا [illegible] تحصل النبات • وتمسكوا بقوله لنحيي به بلدة ميتا • [illegible] الجواب الظاهر وان اعلى لكن المتكلمين تركوه لقيام الدلايل على فساد الطبع • واما امر الحيوان فقوله ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا وفيه سوالات • السوال الاول لم خص الانسان والانعام هاهنا بالذكر دون الطير والوحش مع انتفاع الكل بالماء • الجواب لان الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام لانها قنية الاناسي وعامة منافعهم متعلقة بها • فكان الانعام عليهم بسقي انعامهم كالانعام عليهم بسقيهم • السوال الثاني ما معنى تنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة • الجواب معناه ان اكثر الناس يجتمعون في البلاد القريبة من الاودية والانهار ومنابع المياه فهم في غنية عن شرب ماء المطر وكثير منهم نازلون في البوادي فلا يجدون المياه للشرب الا عند نزول المطر • وكذا قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هولاء المتباعدين عن مظان الماء • [illegible] ما دام حيا • السوال الثالث لم قدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي • الجواب لان حياة الاناسي بحياة ارضهم وحياة انعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم ومعيشتهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم • [illegible] الاحكام [illegible] وانزلنا من السماء ماء طهورا [illegible] • فنقول ههنا نظران • احدهما ان المطهر

بيان لا مطهر

اعلم انه تعالى ذكر في منافع الماء امرين

[illegible]

والثاني ان تغير الماء هل هو مطهر ام لا • النظر الاول ان نقول الماء اما ان يتغير او لا يتغير • القسم الاول وهو الذي
لا يتغير فهو طاهر في ذاته مطهر لغيره الا الماء المستعمل فانه عند الشافعي طاهر وليس بمطهر وقال مالك
والثوري يجوز الوضوء به وقال ابو حنيفة في رواية ابي يوسف انه نجس ولنا ههنا مسايل **المسئلة الاولى**
في بيان انه ليس بمطهر ودليلنا قوله عليه الصلاة والسلام لا يغتسل احدكم بالماء الدائم وهو جنب • ولو بقي الماء
الماء كما كان طاهرا مطهرا لما كان للمنع منه معنى • ومن جهة القياس ان الصحابة كانوا يتوضؤون في الاسفار
وما كانوا يجمعون تلك المياه مع علمهم باحتياجهم بعد ذلك الى الماء ولو كان ذلك الماء مطهرا لجمعوه ليوم
الحاجة • واحتج مالك بالاية والخبر والقياس • اما الاية فمن وجهين • الاول قوله تعالى وانزلنا
من السماء ماء طهورا • وقوله وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فدلت الاية على ان وصف المطهر به قايم
والاصل في الثابت بقاؤه فوجب الحكم ببقاء هذه الصفة للماء مع كونه مستعملا • وايضا فقوله طهور يقتضي
جواز التطهر به مرة بعد اخرى • والثاني انه امر بالغسل مطلقا في قوله فاغسلوا او باستعماله لكل الماء ايجاب
غسل لانه لا معنى للغسل الا امرار المايع على العضو قال الشاعر • فيا حسنها اذ يغسل الدمع كحلها •
فمن اغتسل بالماء المستعمل فقد اتى بالغسل فوجب ان يكون مجزيا له لانه اتى بما امر به فوجب ان يخرج عن العهدة
اما السنة فما روي عنه عليه السلام توضا فمسح براسه بفضل ما في يده • وعنه عليه الصلاة والسلام انه
توضا واخذ من بلل لحيته فمسح به راسه • وعن ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام اغتسل فراى لمعة من جسده
لم يصبها الماء فاخذ شعرة عليها بلل فامرها على تلك اللمعة • واما القياس فانه ماء طاهر لقي جسدا طاهرا فاشبه
ما اذا لقي حجارة او حديدا • وكذا الماء المستعمل في الكرة الرابعة او المستعمل في التبرد والتنظف ولانه
لا خلاف انه اذا وضع الماء على وجهه وسقط به فرض ذلك الموضع ثم نزل ذلك الماء بعينه الى بقية الوجه فانه
يجزيه مع ان ذلك الماء صار مستعملا في اعلى الوجه ~~وسقط به فرض ذلك الموضع~~ **المسئلة الثانية** الدليل على
ان الماء المستعمل طاهر قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا ومن السنة انه عليه الصلاة والسلام اخذ من بلل
لحيته ومسح به راسه وقال خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه او ريحه وقال الشافعي ولانه توضا ولا شك
انه قد اصابه ما تساقط منه ولم ينقل انه غير ثوبه ولا انه غسله ولا احد من المسلمين فعل ذلك فثبت انهم اجمعوا
على انه ليس بنجس ولانه ماء طاهر لقي جسما طاهرا فاشبه ما اذا لاقى حجارة **المسئلة الثالثة** الماء المستعمل
اما ان يكون مستعملا في اعضاء الوضوء او في غسل الثياب • اما المستعمل في اعضاء الوضوء فاما ان يكون مستعملا فيما
كان فرضا وعبادة او فيما كان فرضا ولا يكون عبادة او فيما كان عبادة ولا يكون فرضا او فيما لا يكون فرضا ولا يكون
عبادة اما القسم الاول وهو المستعمل فيما كان فرضا وعبادة فهو غير مطهر باتفاق اصحاب الشافعي • واما
الثاني فهو كالماء الذي استعملته الذمية التي تحت الزوج المسلم لتحل للزوج وطيها • واما القسم الثالث فهو كالماء
المستعمل في الكرة الثانية والثالثة والماء المستعمل في تجديد الوضوء والماء المستعمل في الاغسال المسنونة
فلاصحاب الشافعي في هذين القسمين وجهان • واما القسم الرابع فهو كالماء المستعمل في الكرة الرابعة او في
التبرد والتنظف فذاك باتفاق اصحاب الشافعي غير مستعمل وهو طاهر مطهر • اما الماء المستعمل في غسل الثياب
فاذا غسل ثوبا عن نجاسته وطهر بغسله واحدة يستحب ان يغسله ثلاثا فالمنفصل في الكرة الثانية والثالثة
مطهر على الاصح • القسم الثاني الماء الذي يتغير • فنقول الماء اذا تغير • فاما ان يتغير بنفسه او بغيره • اما
الاول فكالتغير بطول المكث فيجوز الوضوء به لانه عليه الصلاة والسلام كان يتوضا من بير بضاعة وكان ماؤها كانه
نقاعة الحناء • واما المتغير بسبب غيره • فذلك الغير اما ان يكون منفصلا به او يكون متصلا به • فاما الذي
لا يكون متصلا به فكما لو وقع بقرب الماء جيفة • ولان الطهورية تثبت بقوله وانزلنا من السماء ماء طهورا والاصل
في الثابت بقاؤه • واما المتغير بسبب شيء يخالطه فذلك اما ان لا يمكن صون الماء عنه او يمكن • اما الذي لا يمكن
فكالمتغير بالتراب والحماة والاوراق التي تقع فيه والطحلب الذي يتولد فيه وهذا ايضا مطهر لان الطهورية تثبت بالاية
والاحتراز عن ذلك عسر فيكون مرفوعا لقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج • وكذا لو جرى الماء في طريقه على
معدن زرنيخ او نورة او كحل او دفع شيء منها فيه او يقع من معادنها اما اذا تغير الماء بسبب مخالطة ما يستغني
الماء عن جنسه نظر ان كان التغير قليلا بحيث لا يضاف اليه مثل ان وقع فيه زعفران فاصفر قليلا او دقيق فابيض
قليلا جاز الوضوء به على الصحيح من المذهب لانه لم يسلب اطلاق اسم الماء • فاما ان كان التغير كثيرا • فان استحدث
اسما جديدا كالمرقة لم يجز الوضوء به بالاتفاق وان لم يستحدث اسما جديدا فعند الشافعي لا يجوز الوضوء به

وعند ابي حنيفة

وعند ابي حنيفة يجوز • حجة الشافعي من وجوه • احدها انه عليه الصلاة والسلام توضا ثم قال هذا وضوء لا يقبل
الله الصلاة الا به وبالاتفاق انه لو لم يكن الماء كذلك فثبت انه كان بماء غير متغير وهو المطلوب • وثانيها انه اذا خلط
ماء الورد بالماء ثم توضا الانسان يحتمل ان بعض الاعضاء قد انغسل بماء الورد دون الماء واذا كان كذلك فقد وقع الشك
في حصول الوضوء وكان يقين الحدث باقيا والشك لا يعارض اليقين فوجب ان يبقى على الحدث بخلاف ما اذا كان
قليلا لا يظهر اثره فانه يصير كالمعدوم • اما اذا ظهر اثره عيانا فلنا فيه وجه ذكرناه • وثالثها ان الوضوء تعبد لا يعقل
معناه فانه لو توضا بماء الورد لا يصح وضوءه • ولو توضا بالماء الكدر المبيض صح وضوءه • وما لا يعقل معناه
وجب الاعتماد فيه على مورد النص وترك القياس • حجة ابي حنيفة وجوه • احدها قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء
طهورا دلت الاية على ان الماء مطهر والاصل في الثابت بقاؤه فوجب بقاء هذه الصفة بعد التغير بالمخالطة • وثانيها
قوله فاغسلوا امر بمطلق الغسل وقد اتى به فوجب ان يخرج عن العهدة وقد بينا تقرير هذا الوجه فيما تقدم • وثالثها
فان لم تجدوا ماء فتيمموا يدل على جواز التيمم لعدم وجدان الماء • وواجد هذا الماء المتغير واجد للماء لان الماء المتغير
ماء مع صفة التغير والموصوف موجود حال وجود الصفة فوجب ان لا يجوز التيمم • ورابعها قوله عليه السلام
في البحر هو الطهور ماؤه يقتضي جواز الطهارة به وان خالطه غيره لان النبي عليه السلام اطلق ذلك • وخامسها
انه عليه السلام اباح الوضوء بسور الهرة وسور الحايض وان خالطه شيء من لعابهما • وسادسها لا خلاف في
جواز الوضوء بماء المد والسيول مع تغير لونه بمخالطة الطين وما يكون في الصحاري من الحشيش والنبات ومن اجل
ذلك يرى ماؤه مرة متغيرا الى السواد واخرى الى الحمرة والصفرة فصار ذلك اصلا في جميع ما خالط الماء
القسم الثاني اذا كان المخالط للماء شيئا نجسا من الناس من زعم ان الماء لا ينجس ما لم يتغير بالنجاسة سواء كان قليلا
او كثيرا وهو قول الحسن البصري والنخعي وداود واليه ميل الشيخ الغزالي في كتاب الاحياء • وقال ابو بكر الرازي
مذهب اصحابنا ان كل ما يتيقن فيه جزء من النجاسة او غلب على الظن ذلك لم يجز استعماله ولا يختلف في هذا الحد
ماء البحر وماء البير والغدير والراكد والجاري لان ماء البحر لو وقعت فيه نجاسة لم يجز الذي فيه النجاسة • وكذا
الماء الجاري • واما اعتبار اصحابنا الغدير الذي اذا حرك احد طرفيه لم يتحرك الطرف الاخر فانما هو كلام من جهة ما
يغلب على الظن عدم بلوغ النجاسة الواقعة في احد طرفيه الى الطرف الاخر وليس هو كلام في ان بعض المياه الذي
فيه النجاسة قد يجوز استعماله وبعضها لا يجوز استعماله وهذا كله كلام ابي بكر • وقوله ومن الناس من فرق
بين القليل والكثير فعن عبد الله بن عمرو اذا كان الماء اربعين قلة لم ينجسه شيء • وعن ابن عباس الحوض لا يغتسل
فيه جنب الا ان يكون اربعين قلة وهو قول محمد بن كعب القرظي وقال مسروق وابن سيرين اذا كان الماء راكدا
لم ينجسه شيء اذا كان قدر ثلاث قلال • وقال الشافعي اذا كان الماء قلتين بقلال هجر لم ينجسه الا ما غير طعمه او ريحه
او لونه وان كان اقل ينجس • واعلم انه يمكن التمسك لنصرة قول مالك بوجوه • احدها قوله تعالى وانزلنا من السماء
ماء طهورا • ترك العمل به في الماء الذي تغير لونه او طعمه او ريحه لظهور النجاسة فيه فيبقى فيما عداه على الاصل • وثانيها
قوله عليه السلام خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير لونه او طعمه او ريحه وهو نص في الباب • وثالثها قوله تعالى
فاغسلوا وجوهكم فالمتوضي بهذا الماء قد غسل وجهه فيكون اتيا بما امر به فيخرج عن العهدة • ورابعها ان من شان
كل مختلطين اذا كان احدهما غالبا على الاخر ان تكيف المغلوب بكيفية الغالب فالقطرة من الخل لو وقعت في الماء
الكثير بطلت صفة الخلية عنها واتصفت بصفة الماء وكون احدهما غالبا على الاخر انما يعرف بغلبة الخواص والاثار الحسية
وهي الطعم او اللون او الريح فلا جرم مهما ظهر طعم النجاسة او لونها او ريحها كانت النجاسة غالبة على الماء
مستهلكا فيها فلا جرم تغلب حكم النجاسة فاما اذا لم يظهر شيء من ذلك كان الغالب هو الماء وكانت النجاسة مستهلكة
فيه فيغلب حكم الطهارة • وخامسها ما روي ان عمر توضا من جرة نصرانية مع ان نجاسة اواني النصارى
معلومة بظن قريب من العلم وذلك يدل على ان عمر لم يعول الا على عدم التغير • وسادسها ان تقدير الماء بمقدار
معلوم لو كان معتبرا كالقلتين عند الشافعي وعشر في عشر عند ابي حنيفة لكان اولى المواضع بالطهارة مكة والمدينة
لانه لا يكثر الماء هناك لا الجارية ولا الراكدة الكثيرة • ومن اول عصر الرسول الى اخر عصر الصحابة لم ينقل انهم خاضوا
في تقدير المياه بالمقادير المعينة ولا انهم سالوا عن كيفية حفظ المياه عن النجاسات وكانت اواني مياههم يتعاطاها
الصبيان والاماء الذين لا يحترزون عن النجاسات • وسابعها اصغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء للهرة وعدم
منعهم الهرة من شرب الماء من الاواني وانهم بعد ان كانوا يرون انها تاكل الفارة ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السباع فيها
وكانت لا تنزل الى الابار • وثامنها ان الشافعي رضي الله عنه نص على ان النجاسات طاهرة ما دام متغيرة • نجسة

خ تعيين

استعماله صح

فانما هو كلام من جهة ما يغلب على الظن

نجاسة صح

اذا تغيرت واى فرق بين ان يلاقى الما النجاسة بالورود عليها او بورودها عليه واى معنى لقول القايل ان قوة الورود تدفع
النجاسة مع ان قوة الورود لو يمنع المخالطة • وتاسعها انهم كانوا يستنجون على اطراف المياه الجارية القليلة ولا
خلاف ان مذهب الشافعى انه اذا وقع بول في ماجار لم يتغير انه يجوز الوضوء به وان كان قليلا واى فرق بين الجارى
والراكد وليت شعري الحوالة على عدم التغير اولى او على قوة الما بحسب الجريان • وعاشرها اذا وقع من البول في
قلتين • ثم فرقنا فكل كوز يوخذ منه فهو طاهر على قول الشافعى ومعلوم ان البول منتشر فيه واى فرق بينه وبين ما اذا
وقع ذلك القليل في ذلك القدر من الماء او بعينه وبين ما اذا وصل اليه عند ايصال الغرم • وحادى عشرها ان الحمامات
لم تزل في الاعصار الخالية يتوضا فيها المتقشفون ويمسون الايدى والاواني في تلك الحياض مع علمهم بان الايدى
الطاهرة والنجسة كانت تتوارد عليها ولو كان التقدير بالقلتين معتبرا لاشتهر ذلك وبلغ الى حد التواتر لان الامر
الذى يشتد حاجة الجمهور اليه وجب بلوغ نقله الى حد التواتر • ولما لم يكن كذلك علمنا انه غير معتبر • وثانى عشرها
انا لو حكمنا بنجاسة الما فلا يمكننا ان نحكم بنجاسة الما وان كان في غاية الكثرة مثل ما الاودية العظيمة
والغدران الكبار • فان ذلك بالاجماع باطل فلابد من التقدير بمقدار معين وقد نقلنا عن الناس تقديرات مختلفة
فليس بعضها اولى من بعض فوجب التعارض والتساقط • اما تقدير ابى حنيفة بعشر في عشر انه بحرد التحكم • واما
تقدير الشافعى بالقلتين بنا على قوله عليه السلام اذا بلغ الما قلتين لم يحمل خبثا فضعيف ايضا لان الشافعى رحمه الله لما
روى هذا الخبر قال اخبرني رجل فيكون الراوى مجهولا ويكون الحديث مرسلا وهو غير حجة وايضا زعم كثير من المحدثين
انه موقوف على ابن عمر سلمنا ان كون القلة معلومة لكن في متن الخبر اضطراب فانه روى اذا بلغ الما قلتين • وروى اذا
بلغ الما قلة • وروى اربعين قلة • وروى اذا بلغ قلتين او ثلثا • وروى اذا بلغ كرين سلمنا صحة المتن ولكنه متروك
الظاهر لان قوله لم يحمل خبثا لا يمكن اجراؤه على ظاهره فان الخبث اذا ورد عليه فليله حمله • سلمنا امكان اجرايه على ظاهره
لكن الخبث على قسمين خبث حقيقى وخبث شرعى والاسم اذا دار بين المسمى اللغوى والمسمى الشرعى كان حمله على المسمى اللغوى
اولى لان الاسم حقيقة في المسمى اللغوى مجاز في المسمى الشرعى دفعا للاشتراك والنقل واذا كان كذلك وجب
حمله عليه • والمسمى اللغوى للخبث المستقذر بالطبع قال عليه السلام ما استخبثته العرب فهو حرام اذا ثبت
هذا فنقول معنى قوله لم يحمل خبثا اى لا يصير مستقذرا طبعا ونحن نقول بموجبه لكن لم قلتم انه لا ينجس شرعا
سلمنا ان المراد من الخبث النجاسة الشرعية لكن قوله لم يحمل خبثا اى ضعف عن حمله ومعنى الضعف تاثره به فيكون
هذا دليلا على صيرورته نجسا لا على بقايه طاهرا لا يقال الجواب عن هذه الاسولة ان يقال ان الشافعى وان
لم يذكر اسم الراوى في بعض المواضع فقد ذكره في ساير المواضع فخرج عن كونه مرسلا • ولان ساير المحدثين قد
عينوا اسم الراوى • قوله انه موقوف على ابن عمر • قلنا لا نسلم فان يحيى بن معين قال انه جيد الاسناد • فقيل
له ان ابن علية وقفه على ابن عمر فقال ان كان ابن علية وقفه فحماد بن سلمة رفعه • قوله القلة مجهوله • قلنا
لا نسلم لان ابن جريج قال في رواية بقلال هجر • ثم قال وقد شاهدت قلال هجر فكانت القلة تسع قربتين
او قربتين وشيئا • قوله في متنه اضطراب • قلنا لا نسلم فانا وانتم توافقنا على ان ساير المقادير غير معتبرة
فبقى ما ذكرنا معتبرا • قوله متروك الظاهر • قلنا اذا حملناه على الخبث الشرعى اندفع ذلك وذلك اولى لان حمل
الكلام الشرعى على الفايدة الشرعية اولى من حمله على المعنى اللغوى لاسيما وفي حمله على المعنى اللغوى يلزم التعطيل
قوله المراد انه يضعف عن حمله • قلنا صح في بعض الروايات انه قال اذا كان الما قلتين لم ينجس ولانه عليه السلام
جعل القلتين شرطا لهذا الحكم • والمعلق على الشرط عدم عند عدم الشرط وعلى ما ذكروه لا يبقى للقلتين فايدة لانا
نقول لا نشك ان هذا الخبر بتقدير الصحة يقتضى تخصيص عموم قوله تعالى وانزلنا من السما ما طهورا وعموم قوله
ولكن يريد ليطهركم به وعموم قوله فاغسلوا وجوهكم وعموم قوله خلق الما طهورا لا ينجسه شى وهذا المخصص
لابد وان يكون بعيدا عن الاجمال والاشتباه • وقلال هجر مجهوله • وقول ابن جريج القلة تسع قربتين او قربتين وشيئا
ليس بحجة • لان القلة كما انها مجهولة فكذا القربة مجهولة فلانها قد تكون كبيرة وقد تكون صغيرة ولان الروايات
مختلفة • فتارة اذا بلغ الما قلتين وتارة اربعين قلة • وتارة كرين فاذا اندفعت وتعارضت لم يجز تخصيص
عموم الكتاب والسنة البعيدة عن الاجمال بمثل هذا الخبر • هذا تمام الكلام في نصرة قول مالك رحمه الله • واحتج
من حكم بنجاسة الماء الذى تقع النجاسة فيه بوجوه • اولها قوله تعالى ويحرم عليهم الخبايث والنجاسات من الخبايث
وقال تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم وقال في الخمر رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه • ومر عليه السلام بقبرين
فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير • اما احدهما كان لا يستبرى من البول والاخر كان يمشى بالنميمة فحرم الله هذه

الاشياء

الاشياء تحريما مطلقا ولم يفرق بين حال انفرادها واختلاطها بالما فوجب تحريم استعمال كل ما يبقى فيه جزء من النجاسة الكلى
ما في الباب ان الدلايل الدالة على كون الما مطهرا يقتضى جواز الطهارة به ولكن تلك الدلايل مبيحة والدلايل التى ذكرناها
حاظرة والمبيح والحاظر اذا اجتمعا فالحكم للحاظر • الا ترى ان الجارية بين رجلين لو كان لاحدهما فيها مائة جزء ولاخر
جزء واحد ان جهة الحظر فيها اولى من جهة الاباحة وانه غير جائز لواحد منهما وطيها وكذا ههنا • وثانيها قوله عليه
السلام لا يبولن احدكم في الما الدايم ولا يغتسل فيه من جنابة ذكره على الاطلاق من غير فرق بين القليل والكثير • وثالثها
قوله عليه السلام اذا استيقظ احدكم من منامه فليغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلها في الانا فانه لا يدرى اين باتت
يده • فامر بغسل اليد احتياطا من نجاسة قد اصابته من موضع الاستنجاء ومعلوم ان مثلها اذا دخلت الما لم تغيره
ولو انها لم تفسده لما جاز الامر بالاحتياط • ورابعها قوله عليه السلام اذا بلغ الما قلتين لم يحمل خبثا فدل بمفهومه
على انه اذا لم يحمل قلتين وجب ان يحمل الخبث • اجاب مالك رحمه الله عن الوجه الاول فقال الاجماع في انه يحرم استعمال
النجاسة ولكن الجزء القليل من النجاسة المايعة اذا وقعت في الماء ولم يظهر فيه لونه ولا طعمه ولا رايحته فلم قلتم ان
تلك النجاسة بقيت ولم لا يجوز ان يقال انها انقلبت عن صفتها • وتقريره ما قدمناه • واما قوله عليه السلام لا
يبولن احدكم في الما الدايم • فلم قلتم ان هذا النهى ليس الا لما ذكرتموه بل لعل النهى انما كان لانه ربما شربه انسان وذلك
مما ينفر طبعه • وليس الكلام في نفرة الطبع • واما قوله اذا استيقظ من منامه فليغسل يده ثلاثا فقد اجمعنا على
ان هذا امر استحباب فالمرتب عليه كيف يكون امر ايجاب • ثم بتقدير ان يكون امر ايجاب فلم قلتم انه يوجد ذلك
الايجاب الا لما ذكرتموه • اما قوله عليه السلام اذا بلغ الما قلتين فقد سبق الكلام عليه • ثم بعد التنزل عن كل ما قلنا
فهو تمسك بالمفهوم والنصوص التى ذكرناها نصوص • والمنصوص راجح على المفهوم • المسئلة الثانية في ان غير الما
هل هو طهور ام لا فقال الاصم والاوزاعى يجوز الوضوء بجميع المايعات وقال ابو حنيفة يجوز الوضوء بنبيذ التمر
في السفر وقال ايضا يجوز ازالة النجاسات وقال الشافعى الطهورية مختصة بالما على الاطلاق ودليله في صورة
الحدث قوله تعالى فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا اوجب التيمم عند عدم الما • ولو جاز الوضوء بالخل او بنبيذ التمر
لما وجب التيمم عند عدم الما • واما في صورة الخبث فلان الخل لو افاد طهارة الخبث لكان طهورا لانه لا معنى للطهور
الا المطهر ولو كان طهورا لوجب ان يجوز به طهارة الحدث لقوله عليه السلام لا يقبل الله صلاة احدكم حتى يضع
الطهور مواضعه وكلمة حتى لانتهاء الغاية فوجب انتهاء عدم القبول عند استعمال الطهور وانتهاء عدم القبول بكون
لحصول القبول فلو كان الخل طهورا لحصل باستعماله قبول الصلاة وحيث لم يحصل علمنا ان الطهورية في الخبث ايضا
مختصة بالما • قوله تعالى ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا ولو شئنا لبعثنا
في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا اعلم انهم اختلفوا في الهاء في قوله ولقد
صرفناه الى شى يرجع • وذكروا ثلاثة اوجه • احدها وهو الذى عليه الجمهور انه يرجع الى المطر ثم منهم من قال
معنى صرفناه انا اجريناه في الانهار حتى انتفعوا به بالشرب • وبالزراعة • وانواع المعاش • وقال اخرون
معناه انه سبحانه تارة في مكان دون مكان • وفي عام دون عام فانه ربما وقع في العام الثانى بخلاف ما وقع في العام
الاول قال ابن عباس ما عام باكثر مطرا من عام ولكن الله يصرفه في الارض ثم قرا هذه الاية • وروى ابن
مسعود عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال ما من عام بامطر من عام ولكن اذا عمل قوم بالمعاصى حول الله
ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافى • وثانيها وهو قول ابى مسلم ان قوله صرفناه راجع
الى المطر والرياح والاظلال وساير ما ذكره الله من الادلة • وثالثها ولقد صرفنا هذا القرآن بين الناس
يعنى القرآن وساير الكتب والصحف التى انزلت على الرسل وهو ذكر انشا السحاب وانزال القطر ليتفكروا ويستدلوا
به على الصانع • والوجه الاول اقرب لانه اقرب المذكورات الى الضمير المسئلة الثانية قال الجبائى
قوله تعالى ليذكروا يدل على انه تعالى يريد من الكل ان يتذكروا ويشكروا ولو اراد منهم ان يكفروا ويعرضوا لما صح ذلك
وذلك يبطل قول من قال ان الله يريد الكفر ممن يكفر قال • وقوله فابى اكثر الناس الا كفورا على قدرتهم
على فعل هذا التذكر اذ لو لم يقدروا لما جاز ان يقال ابوا ان يفعلوه كما لا يقال في الزمن ابى ان يسعى وقال الكعبى
قوله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا حجة على من زعم ان القرآن وبال على الكافرين وانه لم يرد بانزاله ان يؤمنوا
لان قوله ليذكروا عام في الكل وقوله فابى اكثر الناس يقتضى ان يكون هذا الاكثر داخلا في ذلك العام لانه
لا يجوز ان يقال انزلناه على قريش ليؤمنوا فابى اكثر بنى تميم الا كفورا • واعلم ان الكلام عليه قد تقدم مرارا المسئلة
الثالثة قوله فابى اكثر الناس الا كفورا المراد هو ان الله نعمه وجحودها من حيث لا يتفكرون فيها ولا يستدلون

مبيحه

انهم

ربما وقع في العام الثانى بخلاف ما وقع في العام الاول
كما شاهدنا ما وقع الثلج في قسطنطينية في سنة
وخمس والف

كوز

مع

بها على وجود الصانع وقدرته واحسانه • وقيل المراد من الكفور الكفر وذلك انما حصل لانهم يقولون مطرنا بنوء
كذا لانهم جحدوا كون النعم صادرة من المنعم واضافوا مثل هذه النعمة الى الافلاك والكواكب فكفروا • واعلم
ان التحقيق ان من جعل الافلاك والكواكب مستقلة باقتضاء هذه الاشيا فلا شك في كفره • اما من قال الصانع تعالى
جبلها على خواص وصفات تقتضي هذه الحوادث فلعله لا يبلغ خطاؤه الى حد الكفر **المسئلة الرابعة** دلت
الاية على ان خلاف معلوم الله مقدور لانه كلمة لو دلت على انه تعالى ما شا ان يبعث في كل قرية نذيرا ثم انه تعالى اخبر
عن كونه قادرا على ذلك فدل على ان خلاف معلوم الله مقدور له • اما قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل
قرية نذيرا • فالاقوى ان المراد من ذلك تعظيم النبي عليه السلام وذلك لوجوه • احدها كانه تعالى بين له انه مع
القدرة على بعثه نذيرا ورسولا في كل قرية خصه بالرسالة وفضله بها على الكل ولذلك اتبعه بقوله ولا تطع الكافرين
اي لا تنقاد لهم • وثانيها المراد ولو شئنا لخففنا عنك اعبا الرسالة الى كل العالمين ولبعثنا في كل قرية نذيرا
ولكنا قصرنا الامر عليك واجللناك وفضلناك على الرسل فقابل هذا الاجلال بالتشدد في الدين • وثالثها
ان الاية تقتضي مزج اللطف بالعنف لانها تدل على قدرته على ان يبعث الله في كل قرية نذيرا مثل محمد
وانه لا حاجة بالحضرة الالهية الى محمد البتة • ولو يدل على انه سبحانه ما اراد ذلك فبالنظر الى الاول يحصل
التاديب • وبالنظر الى الثاني يحصل الاعزاز • اما قوله فلا تطع الكافرين • فالمراد نهيه عن طاعتهم ودلت
هذه الاية على ان النهي عن الشي لا يقتضي كون المنهي عنه مشتغلا به • اما قوله وجاهدهم به جهادا كبيرا
فقال بعضهم المراد الجهاد بالحجة وقال بعضهم كلاهما والاقرب الاول لان السورة مكية والامر بالقتال
ورد بعد الهجرة وانما قال جهادا كبيرا لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول
الله تلك المجاهدات فكثر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذيرا جهادا كبيرا اي جامعا
لكل مجاهدة • قوله تعالى **وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما
برزخا وحجرا محجورا** اعلم ان هذا النوع الرابع من دلايل التوحيد اي خلاهما وارسلهما • يقال مرجت الدابة
اي خليتها ترعى • واصل المرج الارسال والخلط • ومنه قوله فهم في امر مريج • سمى الماين الكبيرين الواسعين
بحرين قال ابن عباس مرج البحرين اي ارسلهما في مجاريهما كما يرسل الخيل في المرج وهما يلتقيان • وقوله هذا
عذب فرات • والعذب الفرات البليغ العذوبة حتى يصير الى الحلاوة • والاجاج نقيضه • والمراد انه
سبحانه بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره برزخا حايلا من قدرته وهاهنا سوالات
السوال الاول ما معنى قوله وحجرا محجورا • الجواب هي الكلمة التي يقولها المتعوذ • وقد فسرناها وهي
هاهنا واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول حجرا محجورا كما قال لا يبغيان
اي لا يبغي احدهما على صاحبه بالممازجة • فانتفا البغي ثم كالتعوذ هاهنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي
على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من احسن الاستعارات • السوال الثاني لا وجود للبحر العذب فكيف
ذكره الله هاهنا لا يقال هذا مدفوع من وجهين • الاول ان المراد منه الاودية العظام كالنيل وجيحون
الثاني لعله حصل في البحار موضع يكون احدهما بينه عذبا والاخر ملحا لانا نقول اما الاول فضعيف لان
موضع الاستدلال لا بد وان يكون معلوما فاما محض التجويز فلا يجوز الاستدلال به الجواب
من البحر العذب هذه الاودية • ومن الملح الاجاج البحار الكبار • وجعل بينهما برزخا حايلا من الارض
ووجه الاستدلال هاهنا باق لان العذوبة والملوحة كانت بسبب طبيعة الارض والما فلا بد من الاستوا
وان لم يكن كذلك فلا بد من قادر حكيم خص كل واحد من الاجسام بصفة خاصة معينة • قوله تعالى
وهو الذي خلق من الما بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا واعلم ان هذا هو النوع
الخامس من دلايل التوحيد • وفيه بحثان • البحث الاول ذكروا في هذا الما قولين • احدهما انه الما الذي
خلق منه اصول الحيوان وهو الذي عناه بقوله والله خلق كل دابة من ما • الثاني ان المراد النطفة كقوله
من ما مهين • البحث الثاني المعنى انه قسم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكور ينسب اليهم يقال فلان بن فلان
وفلانة بنت فلان • وذوات صهر اي اناث يصاهر بهن • ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى
وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر الذكر والانثى • قوله تعالى **ويعبدون
من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا
قل ما اسئلكم عليه من اجر الا من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى**

به بذنوب عباده خبيرا اعلم انه تعالى لما شرح دلايل التوحيد عاد الى تهجين سيرتهم في عبادة الاوثان • وفي الاية مسايل
المسئلة الاولى قيل المراد بالكافر ابو جهل لان الاية نزلت فيه • والاولى حمله على العموم لان خصوص السبب
لا يقدح في عموم اللفظ • ولانه اوفق لظاهر قوله ويعبدون من دون الله **المسئلة الثانية** ذكروا في الظهير
وجوها • احدها الظهير بمعنى المظاهر كالعوين والمعاون • وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز • والمعنى ان الكافر يظاهر
على ربه بالعداوة • فان قيل كيف يصح في الكافر ان يكون معونا للشيطان على ربه • قلنا انه تعالى ذكر نفسه واراد رسوله
لقوله ان الذين يوذون الله ورسوله • وثانيها ان يريد بالظهير الجماعة كقوله والملايكة بعد ذلك ظهير كما جا الصديق
والخليل • وعلى هذا التفسير يكون المراد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفا نور الله قال تعالى واخوانهم
يمدونهم في الغي • وثالثها قال ابو مسلم الاصفهاني الظهير من قولهم ظهر فلان بحاجتي اذا نبذها وراء ظهره وهو من قوله
واتخذتموه وراكم ظهريا • ويقال فيمن يرمي بالشي نبذه وراء ظهره وقياس العربية ان يقال مظهور اي هو مستخف به
متروك وراء الظهر • وقيل فيه ظهير في معنى مظهور ومعناه هين على الله ان يكفر الكافر • اما قوله وما ارسلناك الا
مبشرا ونذيرا فتعلق ذلك بما تقدم وهو ان الكفار يطلبون العون على الله ورسوله والله تعالى بعث رسوله لنفعهم
لانه تعالى بعثه ليبشرهم على الطاعة وينذرهم على المعصية فيستحقوا الثواب • ويحترزوا عن العقاب ولا جهل اعظم
ممن يستفرغ جهده في اصلاح مهماته دينا ودنيا ولا يسالهم عن ذلك البتة اجرا • اما قوله الا من شا فذكروا فيه وجوها
متقاربة • احدها لا اسالكم عن الادا والدعا اجرا الا ان تشاوا وان تتقربوا بالانفاق في الجهاد وغيره فتتخذوا به سبيلا
الى رحمة ربهم ونيل ثوابه • وثانيها قال القاضي معناه لا اسالكم اجرا لنفسي واسالكم ان تطلبوا الاجر لانفسكم
باتخاذ السبيل الى ربكم • وثالثها قال صاحب الكشاف مثال قوله الا من شا والمراد الا فعل من شا واستثناه
عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال
ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره بصورة الثواب • وسماه باسمه فافاد فايدتين
احدهما قلع شبهة الطمع في الثواب من اصله كانه يقول لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب • والثاني
اظهار الشفقة البالغة • وان حفظك لمالك يجري مجرى الثواب الذي توصله الي • ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا
تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة • وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله • اما
قوله وتوكل على الحي الذي لا يموت فالمعنى انه سبحانه لما بين ان الكفار متظاهرون على ايذايه وامره بان لا يطلب منهم
اجرا البتة امره بان يتوكل عليه في دفع جميع المضار وفي جلب جميع المنافع وانما قال على الحي الذي لا يموت لان من توكل على الحي الذي
يموت فاذا مات المتوكل عليه فصار التوكل ضايعا • اما هو سبحانه فانه حي لا يموت فلا يضيع التوكل عليه البتة • اما
قوله وسبح بحمده • فمنهم من حمله على نفس التسبيح • ومنهم من حمله على الصلاة • ومنهم من حمله على التنزيه لله عما لا يليق به
في توحيده وعدله • وهذا هو الظاهر ثم قال وكفى به بذنوب عباده خبيرا • وهذه كلمة يراد بها المبالغة يقال كفى
بالعلم جمالا • وكفى بالادب مالا وهو بمعنى حسبك اي لا يحتاج معه الى غيره لانه خبير باحوالهم قادر على مكافاتهم
وذلك وعيد شديد كانه قال ان اقدمتم على مخالفة امره كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة • قوله تعالى
**الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فسيل به خبيرا واذا قيل
لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا** اعلم انه سبحانه لما امر الرسول
بان يتوكل على الله وصف نفسه بامور • اولها انه حي لا يموت وهو قوله وتوكل على الحي الذي لا يموت • وثانيها
انه عالم بجميع المعلومات وهو قوله وكفى به بذنوب عباده خبيرا • وثالثها انه قادر على كل الممكنات وهو المراد من قوله
الذي خلق السموات والارض • فقوله الذي خلق متصل بقوله الحي الذي لا يموت لانه سبحانه هو الذي خلق السموات
والارضين وكل ما بينهما فثبت انه هو القادر على جميع وجوه المنافع ودفع المضار وان النعم كلها من جهته فحينيذ
لا يجوز التوكل الا عليه • وفي الاية سوالات • السوال الاول • الايام عبارة عن حركات الشمس في السموات فقبل
السموات لا ايام فكيف قال خلقها في ستة ايام الجواب يعني في مدة مقدارها هذه المدة لا يقال الشي الذي
يتقدر بمقدار محدود ويقبل الزيادة والنقصان والتجزية لا يكون عدما محضا بل لا بد وان يكون موجودا فيلزم من
وجود مدة قبل وجود العالم وذلك يقتضي قدم الزمان لانا نقول هذا معارض بنفس الزمان لان المدة المتوهمة
المحتملة لعشرة ايام لا تحتمل خمسة ايام • والمدة المتوهمة التي تحتمل خمسة ايام لا تحتمل عشرة ايام فيلزم ان يكون للمدة
مدة اخرى • فلما لم يلزم هذا لم يلزم ما قلتموه • وعلى هذا نقول لعل الله سبحانه خلق المدة اولا ثم خلق السموات
والارض فيها بمقدار ستة ايام • ومن الناس من قال في ستة من ايام الاخرة كل يوم الف سنة وهو بعيد لان التعريف

ومنهم من حمله على التنزيه لله عما لا يليق به

لا بد وأن يكون بأيام معلومة لا بأيام مجهولة ● السؤال الثاني لم قدر الخلق والإيجاد بهذا التقدير الجواب أما على قولنا فالمشيئة والقدرة كافية في التخصيص قالت المعتزلة بل لا بد من داعي حكمة وهو أن تخصيص خلق العالم بهذا المقدار أصلح للمكلفين ● وهذا بعيد لوجهين ● أحدهما أن حصول تلك الحكمة إما أن يكون واجبا لذاته أو جائزا فإن كان واجبا وجب أن لا يتغير فيكون حاصلا في كل الأزمنة فلا يصلح أن يكون سببا لتخصيص زمان معين وإن كان جائزا افتقر حصول الحكمة في ذلك الوقت إلى مخصص آخر ويلزم التسلسل ● والثاني أن التفاوت بين كل واحد من الأزمنة مما لا يصل إليه خاطر المكلف فحصول ذلك التفاوت لما لم يكن مشعورا به كيف يقدح في حصول المصالح واعلم أنه يجب على المكلف سواء كان على قولنا أو على قول المعتزلة أن يقطع الطمع عن أمثال هذه الأسولة فإنه بحر لا ساحل له من ذلك تقدير الملائكة الذين هم أصحاب النار بتسعة عشر وحملة العرش بالثمانية ● والشهور باثني عشر ● والسماء بالسبع ● وكذا القول في مقادير الحدود والكفارات فالإقرار بأن كل ما قاله الله حق هو الدين وترك البحث عن هذه الأشياء هو الواجب ● وقد نص الله عليه في قوله وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ● ثم قال وما يعلم جنود ربك إلا هو وهو الجواب أيضا عن أنه لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك ● وعن سعيد بن جبير إنما خلقها في ستة أيام وهو قادر على أن يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت ● ثم قيل تم خلقها في يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين السؤال الثالث ما معنى قوله ثم استوى على العرش ولا يجوز حمله على الاستيلاء لأن الاستيلاء والقدرة في أوصاف الله لم تزل فلا يصح دخول ثم فيه الجواب الاستقرار غير جائز لأنه يقتضي التغير الذي هو دليل الحدوث ويقتضي التركيب والبعضية وكل ذلك على الله محال بل المراد ثم خلق العرش ورفعه وهو مستول عليه كقوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم فإن المراد حتى يجاهد المجاهدون ونحن بهم عالمون ● فإن قيل فعلى هذا التفسير يلزم أن يكون خلق العرش بعد خلق السموات وليس كذلك لقوله تعالى وكان عرشه على الماء ● قلنا كلمة ثم ما دخلت على خلق العرش بل على رفعه على السموات السؤال الرابع كيف إعراب قوله فاسأل به خبيرا الجواب الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره وهو صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ محذوف ● ولهذا أجاز الزجاج وغيره أن يكون الوقف على قوله على العرش ثم يبتدأ الرحمن أي هو الرحمن الذي لا ينبغي السجود والتعظيم إلا له ● ويجوز أن يكون الرحمن مبتدأ وخبره قوله فاسأل به خبيرا الجواب ذكروا فيه وجوها ● أحدها قال الكلبي معناه فاسأل خبيرا به ● فقوله به يعود إلى ما ذكرنا من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش ● والباء من صلة الخبير وذلك الخبير هو الله عز وجل لأنه لا دليل في العقل على كيفية خلق السموات والأرض فلا يعلمها أحد إلا الله عز وجل ● عن ابن عباس أن ذلك الخبير هو جبريل عليه السلام ● وإنما قدم لرؤوس الآي وحسن النظم ● وثانيها قال الزجاج قوله به معناه عنه والمعنى فاسأل عنه خبيرا وهو قول الأخفش ونظيره قوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع قال علقمة بن عبدة ● شعر ● فإن تسألوني بالنساء فإنني ● بصير بأدواء النساء طبيب ● وثالثها قال ابن جرير الباء في قوله به صلة ● والمعنى فاسأله خبيرا وخبيرا نصب على الحال ● ورابعها أن قوله به يجري مجرى القسم كقوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام قالوا وما الرحمن فهو خبر عن قوم قالوا هذا القول ● ويحتمل أنهم جهلوا الله تعالى ويحتمل أنهم وإن عرفوه لكنهم جهلوا أن هذا الاسم من أسماء الله وكثير من المفسرين على هذا القول الأخير قالوا الرحمن اسم من أسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة والعرب ما عرفوه قال مقاتل إن أبا جهل قال إن الذي يقوله محمد شعر فقال عليه الصلاة والسلام الشعر غير هذا إن هذا كلام الرحمن قال أبو جهل بخ بخ والله إنه لكلام الرحمن الذي باليمامة هو يعلمك فقال عليه السلام الرحمن هو إله السماء ومن عنده يأتيني الوحي فقال يا آل غالب من يعذرني من محمد يزعم أن الله واحد وهو يقول الله يعلمني والرحمن ألستم تعلمون أنهما إلهان ثم قال نعلم الله الذي خلق هذه الأشياء أما الرحمن فهو مسيلمة قال القاضي والأقرب أن المراد إنكارهم لله لا للاسم لأن هذه اللفظة عربية وهم يعلمون أنها تفيد المبالغة في الإنعام ● ثم إن قلنا بأنهم كانوا منكرين لله كان قولهم وما الرحمن سؤالا عن الاسم طالبا للحقيقة وهو يجري مجرى قول فرعون وما رب العالمين ● وإن قلنا إنهم كانوا مقرين بالإله لكنهم جهلوا كونه تعالى مسمى بهذا الاسم كان قولهم وما الرحمن سؤالا عن الاسم ● أما قوله أنسجد لما تأمرنا فالمعنى للذي تأمرنا بسجوده على قوله أمرتك الخير أو لأمرك لنا ● وقرئ بالياء وقال بعضهم أنسجد لما يأمرنا محمد ويأمر بالسجود للمسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وزادهم نفورا أي زادهم الأمر نفورا وكان حقه أن يكون باعثا على

الفعل والقبول قال الضحاك فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعثمان بن مظعون وعمرو بن عبسة فلما رآهم المشركون يسجدون تباعدوا في ناحية المسجد مستهزئين فهذا هو المراد من قوله وزادهم نفورا أي فزادهم سجودهم نفورا ● قوله تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا اعلم أنه سبحانه لما حكى عن الكفار مزيد النفرة عن السجود ذكر ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود والعبادة للرحمن فقال تبارك الذي جعل في السماء بروجا أما تبارك فقد تقدم القول فيه ● وأما البروج فهي منازل السيارات وهي مشهورة سميت بالبروج التي هي القصور العالية لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها ● واشتقاق البروج من التبرج لظهوره وفيه قول آخر عن ابن عباس أن البروج هي الكواكب العظام ● والأول أولى لقوله تعالى وجعلنا في السماء بروجا ● فإن قيل لم لا يجوز أن يكون قوله فيها راجعا إلى السماء دون البروج ● قلنا لأن البروج أقرب فعود الضمير إليها أولى ● والسراج الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا ● وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار منها ● وقرأ الحسن والأعمش وقمرا منيرا وهو جمع ليلة قمراء كأنه قيل وذا قمر منيرا لأن الليالي تكون قمرا بالقمر وأضافه إليها ولا يبعد أن يكون القمر بمعنى القمر كالرشد بمعنى الرشد والعرب والعرب ● وأما الخلفة ففيها قولان ● الأول أنها عبارة عن كون الشيئين بحيث أحدهما يخلف الآخر ويأتي خلفه ● واختلف إذا اختلف كثيرا إلى منزله والمعنى جعلهما ذوي خلفة أي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك وذلك هذا قال ابن عباس جعل كل واحد منهما يخلف صاحبه فيما يحتاج أن يعمل فيه فمن فرط في عمل في أحدهما قضاه في الآخر قال أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب وقد فاتته قراءة القرآن بالليل يا ابن الخطاب لقد أنزل الله فيك آية وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر ما فاتك من النوافل في الليل فاقضه في نهارك وما فاتك في النهار فاقضه في ليلك ● القول الثاني وهو قول مجاهد وقتادة والكلبي يقال لكل شيئين اختلفا هما خلفان فقوله خلفة أي مختلفين هذا أسود وهذا أبيض ● وهذا طويل وهذا قصير ● والقول الأول أقرب ● أما قوله أن يذكر فقراءة العامة بالتشديد ● وقرأ حمزة بالتخفيف ● وعن أبي بن كعب يتذكر ● والمعنى لينظر الناظر في اختلافهما فيعلم أنه لا بد في انتقالهما من حال إلى حال من ناقل ومغير ● أما قوله أن يذكر راجع إلى كل ما تقدم من النعم بين تعالى أن الذين قالوا وما الرحمن لو تفكروا في هذه النعم وتذكروها ● ويستدل بذلك على عظيم قدرته ● ويشكر الشاكر على النعمة فيهما ● من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله أو ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين ● ومن فاته في أحدهما ورد من العبادة قام به في الآخر ● والشكور مصدر شكر يشكر شكورا ● قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقرا ومقاما والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما اعلم أن قوله وعباد الرحمن مبتدأ وخبره في آخر السورة كأنه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم أولئك يجزون الغرفة ● ويجوز أن يكون خبره الذين يمشون ● واعلم أنه سبحانه وتعالى خص اسم العبودية بالمشتغلين بالعبودية فدل ذلك على أن هذه الصفة من أشرف مقامات المخلوقات ● وقرئ وعباد الرحمن ● واعلم أنه سبحانه وصفهم بتسعة أنواع من الصفات ● الصفة الأولى قوله الذين يمشون على الأرض هونا وهذا وصف سيرتهم بالنهار ● وقرئ يمشون ● هونا حال أو صفة للمشي بمعنى هينين أو مشيا هينا إلا أن في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة ● والهون الرفق واللين ● ومنه الحديث أحبب حبيبك هونا ما ● وقوله المؤمنون هينون لينون ● والمعنى أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا ولا يتبخترون لأجل الخيلاء كما قال ولا تمش في الأرض مرحا ● وعن زيد بن أسلم التمست تفسير هونا فلم أجده فرأيت في النوم فقيل لي هم الذين لا يريدون أن يفسدوا في الأرض ● وعن ابن زيد لا يتكبرون ولا يتجبرون ولا يريدون علوا في الأرض ● الصفة الثانية قوله وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما معناه لا نجاهلكم ولا خير بيننا ولا شر أي نتسلم منكم تسليما فأقيم السلام مقام التسليم ● ويحتمل أن يكون المراد التنبيه على سوء طريقتهم لكي يمتنعوا ● ويحتمل أن يكون مرادهم العدول عن طريق المقابلة ● ويحتمل أن يكون المراد طلب السلامة والسكون ● ويحتمل أن يكون المراد الحلم في مقابلة الجهل قال الأصم سلاما أي سلام توديع لا تحية كقول إبراهيم لأبيه سلام عليك ● ثم قال الكلبي وأبو العالية نسختها آية القتال ولا حاجة إلى ذلك لأن الإغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في العقل والشرع ● وسبب لسلامة العرض والورع ● الصفة الثالثة

قوله والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما • واعلم انه تعالى لما ذكر سيرتهم في النهار من وجهين • احدهما
ترك الايذا وهو المراد من قوله يمشون على الارض هونا • والاخر احتمال الاذى وهو المراد من قوله واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما • وكانه لما شرح سيرتهم مع الخلق بالنهار فبين في هذه الاية سيرتهم في الليالي عند الاشتغال
بخدمة الخالق وهو كقوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع • ثم قال الزجاج كل من ادركه الليل قيل بات وان لم ينم
كما قيل بات فلان قلقا ومعنى يبيتون لربهم اي يكونوا في لياليهم مصلين • ثم اختلفوا فقال بعضهم من قرا
شيا من القران في صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقايما • وقيل ركعتان بعد المغرب واربع بعد العشا
الاخرة والاولى انه وصف لهم باحيا الليل او اكثره • يقال فلان يظل صايما ويبيت قايما • قال الحسن
يبيتون لله على اقدامهم ويفرشون له وجوههم تجري دموعهم على خدودهم خوفا من ربهم • الصفة الرابعة
قوله والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها سات مستقرا ومقاما قال
ابن عباس يقولون في سجودهم وقيامهم هذا القول • وقال الحسن خشعوا بالنهار وتعبوا بالليل فرقا من عذاب
جهنم • وقوله غراما اي هلاكا وخسرانا ملحا لازما • ومنه ملازمة الغريم لا لحاجة والزامه • ويقال
فلان مغرم بالنسا اذا كان مولعا بهن • وسال ابن عباس نافع بن الازرق عن الغرام فقال هو الموجع عن محمد بن كعب
في غراما انما انه سال الكفار ثمن نعمه فما ادوها اليه فاغرمهم فادخلهم النار • واعلم انه تعالى وصفهم باحيا الليل
ساجدين وقايمين • ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خايفون مبتهلون الى الله في صرف
العذاب عنهم لقوله والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة • اما قوله تعالى انها سات مستقرا ومقاما فقوله
سات في حكم بيست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه سات مستقرا ومقاما هي
ومستقرا حال او تمييز • فان قيل دلت الاية على انهم سالوا الله ان يصرف عنهم عذاب جهنم لعلتين • احديهما
ان عذابها كان غراما • وثانيهما انها سات مستقرا ومقاما فما الفرق بين الوجهين • وايضا فما الفرق بين المستقر
والمقام • قلنا المتكلمون ذكروا ان عذاب الكافر يجب ان يكون مضرة خالصة عن شوايب النفع دايمة فقوله
ان عذابها كان غراما اشارة الى كونها مضرة خالصة عن شوايب النفع دايمة ولا شك في المغايرة • اما الفرق
بين المستقر والمقام فيحتمل ان يكون المستقر للعصاة من اهل الايمان فانهم مستقرون في النار لا يقيمون فيها واما
الاقامة فللكفار • واعلم ان قوله سات مستقرا ومقاما يمكن ان يكون كلام الله تعالى • ويحتمل ان يكون حكاية لقولهم
الصفة الخامسة قوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما • قرئ يقتروا بضم
التا وكسرها • ويقتروا بضم اليا وتخفيف القاف وكسر التا وتشديدها وكلها لغات • والقتر والاقتار والتقتير
التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة وذكر المفسرون في الاسراف والتقتير
وجوها • احدها وهو الاقوى ان يقال وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال وهيب بن الورد لعالم
ما المال الذي لا سرف فيه قال ما سترك عن الشمس واكنك من المطر فقال له فما الطعام الذي لا سرف فيه قال
ما سد الجوعة قال له ففي اللباس قال ما ستر عورتك ووقاك من البرد • وروي ان رجلا صنع طعاما في املاك
فارسل الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال حق فاجيبوا • ثم صنع الثانية فارسل فقال الخلق فمن شا فليجب والا
فليقعد • ثم صنع الثالثة فارسل اليه • فقال ريا ولا خير فيه • وثانيها وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة
والضحاك ان الاسراف النفقة في معصية الله • والاقتار منع حق الله • قال مجاهد لو انفق رجل مثل ابي قبيس
ذهبا في طاعة الله لم يكن سرفا ولو انفق صاعا في معصية الله كان سرفا • وقال الحسن لم ينفقوا في معاصي الله ولم
يمسكوا عما ينبغي وذلك قد يكون في الامساك عن حق الله وهو اقبح التقتير وقد يكون عما لا يجب مندوبا مثل
الرجل الغني الكثير المال اذا اقتر منع الفقرا من اقاربه • وثالثها المراد بالسرف مجاوزة الحد في التنعم والتوسع في
الدنيا وان كان من حلال فان ذلك مكروه لانه يودي الى الاختلال • والاقتار هو التضييق فالاكل فوق الشبع بحيث
يمنع النفس عن العبادة سرف وان اكل بقدر الحاجة فذاك اقتار وهذه الصفة صفة اصحاب محمد كانوا لا ياكلون
طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون الثياب للجمال والزينة • ولكن كانوا ياكلون ما يسد جوعتهم ويلبسون ما يستر
عوراتهم ويصونهم من الحر والبرد • وها هنا مسايل المسئلة الاولى القوام قال ثعلب القوام بالفتح
العدل والاستقامة وبالكسر ما يدوم عليه الامر ويستقر قال صاحب الكشاف القوام العدل بين الشيين
لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة مثل السوا من الاستوا • وقرئ قواما

بالكسر وهو

بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال انت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص المسئلة الثانية المنصوب
اعني بين ذلك قواما جايزان يكونا خبرين معا وان يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف خبرا • وقواما
حال موكدة قال الفرا وان شيت جعلت بين ذلك اسم كان كما تقول كان دون هذا كافيا تريد اقل من ذلك فيكون معنى
بين ذلك اي كان الوسط من ذلك قواما اي عدلا • وهذا التاويل ضعيف لان القوام هو الوسط فيصير التاويل
وكان الوسط وسطا وهذا لغو الصفة السادسة قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة
ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا
رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا اعلم انه سبحانه وتعالى ذكر بعد ذلك حكم من يفعل ذلك من
العقاب • ثم استثنى من جملتهم التايب • وها هنا سوالات • السوال الاول قبل ذكر هذه الصفة نزه عباد الرحمن
عن الامور الخفيفة • فكيف يليق بعد ذلك ان يطهرهم عن الامور العظيمة مثل القتل والشرك والزنا اليس انه لو كان
في الترتيب بالعكس منه كان اولى الجواب ان الموصوف بتلك الصفات السالفة قد يكون متمسكا بالشرك تدينا
ومقدما على قتل المووده تدينا وعلى الزنا تدينا فبين تعالى ان المرء لا يصير بتلك الخصال وحدها من عباد
الرحمن حتى ينضاف الى كونه مجانبا لهذه الكباير • واجاب الحسن رحمه الله من وجه اخر فقال المقصود من ذلك
التنبيه على الفرق بين سيرة المسلمين وسيرة الكفار كانه قال وعباد الرحمن هم الذين لا يدعون مع الله الها اخر
وانتم تدعون • ولا يقتلون النفس وانتم تقتلون المووده • ولا يزنون وانتم تزنون • السوال الثاني ما معنى قوله
ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق • ومعلوم ان من يحل قتله لا يدخل في النفس المحرمة فكيف يصح هذا الاستثنا
الجواب المقتضي لحرمة القتل قايم ابدا • وجواز القتل انما يثبت بالمعارض • فقوله حرم الله اشارة الى
المقتضي • وقوله الا بالحق اشارة الى المعارض • السوال الثالث ما السبب الذي يحل القتل الجواب بالردة
وبالزنا بعد الاحصان • وبالقتل قودا على ما في الحديث • وقيل وبالمحاربة والظلم وبالبينة اذا لم يكن لها شهد به حقيقة
السوال الرابع منهم من فسر قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق بالردة فهل يصح ذلك الجواب
لفظ القتل عام فيتناول الكل • وعن ابن مسعود قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك
قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان ياكل معك قلت ثم اي قال ان تزني بحليلة جارك فانزل الله تصديقه
السوال الخامس ما الاثام الجواب فيه وجوه • احدها ان الاثام جزا الاثم بوزن الوبال والنكال • وثانيها وهو قول
ابي مسلم ان الاثام والاثم واحد • والمراد هنا جزا الاثم فاطلق اسم الشيء على جزائه • وثالثها قال الحسن الاثام
اسم من اسما جهنم • ورابعها اثاما اي شديدا • وقرأ ابن مسعود اياما اي شدائد
اما قوله يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا ففيه مسايل المسئلة الاولى يضاعف بدل من يلق
لانهما في معنى واحد • وقرئ يضعف • ونضعف له العذاب بالنون • ونصب العذاب • وقرئ بالرفع على الاستيناف
او على الحال • وكذا يخلد • ويخلد على البنا للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد • وقرئ وتخلد بالتا على
الالتفات المسئلة الثانية سبب تضعيف العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصي مع الشرك عذب على الشرك
وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه • وهذا يدل على ان الكفار مخاطبون بفروع
الشرايع المسئلة الثالثة قال القاضي بين الله تعالى ان المضاعفة والزيادة يكون حالها في الدوام كحال الاصل فقوله ويخلد فيه
اي ويخلد في ذلك التضعيف • ثم ان ذلك التضعيف انما حصل بسبب العقاب على المعاصي فوجب ان يكون عقاب هذه
المعاصي في حق الكافر دايما واذا كان كذلك وجب ان يكون في حق المومن كذلك لان حاله فيما يستحق به لا يتغير سوا
فعل مع غيره او منفردا • والجواب لم لا يجوز ان يكون للاتيان بالشيء مع غيره اثر في مزيد القبح الا ترى ان الشيين
يكون كل واحد منهما في نفسه حسنا • واذا كان الجمع بينهما قبيحا وقد يكون كل واحد قبيحا ويكون الجمع بينهما اقبح
فكذا هنا المسئلة الرابعة قوله ويخلد فيه مهانا اشارة الى ما ثبت ان العقاب هو المضرة الخالصة المقرونة بالاهانة
اما قوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ففيه مسايل المسئلة الاولى
دلت الاية على ان التوبة مقبولة والاستثنا لا يدل على ذلك لانه اثبت انه لا يضاعف له العذاب ضعفين • واما
الدال عليه فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات • المسئلة الثانية نقل عن ابن عباس انه قال توبة القاتل
غير مقبولة وزعم ان هذه الاية منسوخة بقوله ومن يقتل مومنا متعمدا وقالوا نزلت الغليظة بعد اللينة
بمدة يسيرة • وعن الضحاك ومقاتل بثمان سنين • وقد تقدم الكلام في ذلك في سورة النسا المسئلة الثالثة

والمراد هنا جزا الاثم فاطلق اسم الشيء على جزائه

فان قيل العمل الصالح يدخل فيه التوبة والايمان فكان ذكرهما قبل ذكر العمل الصالح حشوا قلنا افردهما بالذكر لعلو شانهما
ولما كان لا بد منهما من سائر الاعمال لا جرم ذكرهما وعقبهما العمل الصالح **المسئلة الرابعة** اختلفوا في المراد بقوله
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات على وجوه احدها قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ان التبديل
انما يكون في الدنيا فيبدل الله تعالى بقبائح اعمالهم في الشرك محاسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل
المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وكانه تعالى يبشرهم بانه يوفقهم لهذه الاعمال الصالحة فيستوجبوا
بها الثواب وثانيها قال الزجاج السيئة بعينها لا تصير حسنة ولكن التاويل ان السيئة تمحى بالتوبة وتكتب الحسنة
مع التوبة والكافر يحبط الله عمله ويثبت عليه السيئات وثالثها قال قوم ان الله يمحو السيئة عن العبد ويثبت
له بدلها الحسنة بحكم هذه الاية وهذا قول سعيد بن المسيب ومكحول يحتجون بما روى ابو هريرة عن النبي عليه السلام
انه قال ليتمنين اقوام انهم اكثروا من السيئات قيل من هم يا رسول الله قال الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات وعلى
هذا القول التبديل في الاخرة ورابعها قال القفال والقاضي انه تعالى يبدل العقاب بالثواب فذكرهما واراد
ما يستحق بهما واذا حمل على الحقيقة ذلك كانت الاضافة الى الله حقيقة لان الاثابة لا تكون الا من الله اما
قوله ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا ففيه سوالات السوال الاول ما فائدة هذا التكرير الجواب
من وجهين الاول ان هذا ليس بتكرير لان الاول لما كان في تلك الخصال بين تعالى ان جميع الذنوب بمنزلتها في
صحة التوبة منه الثاني ان التوبة الاولى رجوع عن الشرك والمعاصي والتوبة الثانية رجوع الى الله تعالى
للجزاء والمكافاة كقوله تعالى عليه توكلت واليه متاب اي مرجعي السوال الثاني هل تكون التوبة الا الى الله فما فائدة
قوله فانه يتوب الى الله متابا الجواب من وجوه الاول ما تقدم من ان التوبة الاولى رجوع عن المعصية والثانية
رجوع الى حكم الله وثوابه الثاني معناه ان من تاب الى الله فقد اتى بتوبة واية توبة توبة مرضية الى الله مكفرة
للذنوب محصلة للثواب العظيم الثالث قوله ومن تاب يرجع الى الماضي كانه سبحانه بين ان من اتى بهذه التوبة
في الماضي على سبيل الاخلاص فقد وعده بانه يوفقه بالتوبة في المستقبل وهذا من اعظم البشارات **الصفة
السابعة والثامنة والتاسعة** قوله تعالى **والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما والذين يقولون
ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما** ففيه مسائل **المسئلة الاولى**
الزور يحتمل اقامة الشهادة الباطلة ويكون المعنى انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه ويحتمل حضور مواضع الكذب كقوله تعالى فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ويحتمل
حضور كل موضع يجري فيه ما لا ينبغي ويدخل فيه اعياد المشركين ومجامع الفساق لان من خالط اهل الشر
ونظر الى افعالهم وحضر مجامعهم فقد شاركهم في تلك المعصية لان الحضور والنظر دليل الرضا به بل هو سبب
الزيادة فيه لان الذي حملهم على فعله استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه وقال ابن عباس المراد مجالس
الزور التي يقولون فيها الزور على الله وعلى رسوله وقال محمد بن الحنفية الزور الغناء واعلم ان كل هذه الوجوه
محتملة ولكن استعماله في الكذب اكثر **المسئلة الثانية** الاصح ان اللغو كل ما يجب ان يلغى ويترك ومنهم من
قال اللغو كل ما ليس بطاعة وهو ضعيف لان المباحات لا تعد لغوا وقوله واذا مروا باللغو اي باهل اللغو
المسئلة الثالثة فان قيل ما معنى قوله مروا كراما قلنا لا شبهة في ان قوله مروا كراما معناه انهم
يكرمون انفسهم عن مثل حال اللغو واكرامهم لها لا يكون الا بالاعراض وبالانكار وبترك المعاونة والمساعدة
ويدخل فيه الشرك واللغو في القرآن وشتم الرسول والخوض فيما لا ينبغي واصل الكلمة من قولهم ناقة كريمة
اذا كانت تعرض عند الحلب تكرما لانها لا تبالي بما يحلب منها للغزارة فاستعير ذلك في الصفح عن الذنب وقال
الليث يقال تكرم فلان عما يشينه اذا تنزه واكرم نفسه عنها ونظير هذه الاية قوله واذا سمعوا اللغو
اعرضوا وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن لم تسفههم المعاصي
وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه **قوله** والذين اذا
ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قال صاحب الكشاف قوله لم يخروا عليها صما وعميانا
ليس بنفي للخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للاسلام
لا للقاء والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكور بها
وهم في اكبابهم عليها سامعون باذن واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها
فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكرهم بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم والعميان

والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ط

حيث

حيث لا يفقهون ولا يبصرون بما فيها كالعميان **الصفة التاسعة قوله والذين يقولون ربنا هب
لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما** وفيه مسائل **المسئلة الاولى** قرأ اهل الكوفة
وذريتنا والباقون بالالف والذرية تكون واحدا وجمعا **المسئلة الثانية** لا شبهة ان المراد ان يكونوا
قرة اعين لهم في الدين لا في الدنيا من المال والجمال ثم ذكروا فيه وجهين احدهما انهم سالوا الزوج
والذرية في الدنيا يشتغلون بطاعة الله فاحبوا ان يكونوا معهم في التمسك بطاعة الله
فيحصلوا معهم في الجنة فيتكامل سرورهم في الدنيا بهذا الطمع وفي الاخرة عند حصول الثواب والثاني
انهم سالوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذريتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم **المسئلة الثالثة** فان قيل من في قوله
من ازواجنا ما هي قلنا يحتمل ان تكون بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا
وهو من قولهم رايت منك اسدا اي انت اسد وان تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا
من طاعة وصلاح فان قيل لم قال قرة اعين فنكر وقلل قلنا اما التنكير فلاجل تنكير القرة لانه مضاف ولا
سبيل الى تنكير المضاف الا بتنكير المضاف اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا واما التقليل فلان المراد اعين
المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم **المسئلة الرابعة** قال الزجاج
اقر الله عينك اي صادف فؤادك ما يحبه وقال المفضل في قرة العين ثلاثة اقوال احدها برد دمعها وهي
التي تكون مع الضحك والسرور ودمعة الحزن حارة والثاني نومها لانه يكون مع ذهاب الحزن والثالث
حصول الرضا **المسئلة الخامسة** قوله واجعلنا للمتقين اماما الاقرب انهم سالوا ان يبلغهم في الطاعة
المبلغ الذي يشار اليهم ويقتدى بهم قال بعضهم في الاية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب ويرغب
فيها قال الخليل واجعل لي لسان صدق في الاخرين وقيل نزلت هذه الايات في العشرة المبشرين بالجنة
المسئلة السادسة احتج اصحابنا بهذه الاية على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى قالوا لان الامامة في الدين
لا تكون الا بالعلم والعمل وانما تكون بجعل الله وخلقه قال القاضي المراد من السوال الالطاف التي اذا كثرت صاروا
مختارين لهذه الاشياء فيصيرون ايمة الجواب ان تلك الالطاف مجعولة لا محالة فيكون سوالها عبثا
المسئلة السابعة قال الفراء قال اماما ولم يقل ايمة كما قال للاثنين انا رسول رب العالمين ويجوز
ان يكون المعنى اجعل كل واحد منا اماما كما قال يخرجكم طفلا وقال الاخفش الامام جمع واحده ام كصايم وصيام
وعندي ان الامام اذا ذهب به مذهب الاسم وحد كانه قيل واجعلنا للمتقين قبله والقبلة البينة تقال
هولاء بينة فلان قوله تعالى **اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين
فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما**
واعلم انه سبحانه وتعالى لما عدد صفات المتقين المخلصين بين بعد ذلك انواع احسانه اليهم وهي مجموعة في
امرين المنافع والتعظيم اما المنافع فقوله اولئك يجزون الغرفة بما صبروا والمراد اولئك يجزون الغرفات
والدليل عليه قوله وهم في الغرفات آمنون وقال لهم غرف من فوقها غرف والغرفة في اللغة
العلية وكل بناء عال غرفة والمراد به الدرجات العالية وقال المفسرون الغرفة اسم الجنة فالمعنى يجزون الجنة
وهي جنات كثيرة وقرا بعضهم اولئك يجزون في الغرفة وقوله بما صبروا فيه بحثان الاول احتج بالاية
من ذهب الى ان الجنة بالاستحقاق فقال الباء في قوله بما صبروا يدل على ذلك ولو كان حصولها بالوعد لما
صدق ذلك البحث الثاني ذكر الصبر ولم يذكر المصبور عنه فيشمل كل نوع فيدخل فيه صبرهم على مشاق
التفكر والاستدلال في معرفة الله وعلى مشاق الطاعات وعلى مشاق ترك الشهوات وعلى مشاق اذى
المشركين وعلى مشاق الجهاد والفقر ورياضة النفس فلا وجه لقول من يقول المراد الصبر على الفقر خاصة
لان هذه الصفات اذا حصلت مع الغنا استحق من يختص بها الجنة كما يستحقه الفقير وثانيهما التعظيم وهو
قوله تعالى ويلقون فيها تحية وسلاما والتحية الدعاء بالتعمير والسلام الدعاء بالسلامة فيرجع حاصل
التحية الى كون نعيم الجنة باقيا غير منقطع ويرجع السلام الى كون ذلك النعيم خالصا عن شوائب الضرر ثم هذه
التحية والسلام يمكن ان يكون من الله كقوله سلام قولا من رب رحيم ويمكن ان يكون من الملائكة كقوله
والملائكة بعد ذلك التطهير يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ويمكن ان يكون من بعضهم على بعض اما
قوله تعالى خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما فالمراد انه سبحانه لما وعد بالمنافع اولا وبالتعظيم ثانيا
بين ان من صفتها الدوام وهو المراد من قوله خالدين فيها ومن صفتها الخلوص ايضا وهو المراد من قوله

ان تلك الالطاف مجعولة لا محالة

حسنت مستقرا ومقاما وهذا في مقابلة قوله ساءت مستقرا ومقاما اى ما اسوا ذلك وما احسن هذا • ايما
تعالى قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم فدل ذلك على انه تعالى غنى عن عبادتهم وانه تعالى انما كلفهم لينتفعوا
بطاعتهم • وفيه مسائل المسئلة الاولى قال الخليل ما اعبا بفلان اى ما اصنع به كانه يستقله ويستحقره
وقال ابو عبيدة ما اعبؤ به اى وجوده وعدمه عندي سوا وقال الزجاج معناه اى وزن لكم عند
ربكم • والعبء في اللغة الثقل وقال ابو عمرو بن العلا ما يبالي بكم ربي المسئلة الثانية في ما قولان
احدهما انها متضمنة بمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل اى عبء يعبا بكم
لولا دعاؤكم • والثاني ان تكون نافية المسئلة الثالثة ذكروا في قوله لولا دعاؤكم وجهين • احدهما
لولا دعاؤكم اياكم الى الدين والطاعة • والدعا على هذا مصدر مضاف الى المفعول • وثانيهما ان الدعا
مضاف الى الفاعل • وعلى هذا التقدير وجوه • احدها لولا دعاؤكم لولا ايمانكم • وثانيها لولا عبادتكم
وثالثها لولا دعاؤكم اياه في الشدائد كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين • ورابعها لولا دعاؤكم
يعني لولا شكركم له على احسانه كقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم • وخامسها ما خلقتكم ولي
اليكم حاجة الا ان تسئلوني فاعطيكم • وتستغفروني فاغفر لكم • اما قوله فقد كذبتم فالمعنى اني اذا اعلمتكم
ان حكمي اني لا اعبا بعبادي الا لعبادتهم • فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم جزاء تكذيبكم وهو عقاب
الآخرة • ونظيره ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي ان احسن الى من يطيعني فقد عصيت فسوف
ترى ما احل بك بسبب عصيانك • فان قيل الى من يتوجه هذا الخطاب • قلنا الى الناس على الاطلاق ومنهم
عابدون ومكذبون عاصون • فخوطبوا بما في جنسهم من العبادة والتكذيب • وقرئ فقد كذب الكافرون
فسوف يكون العذاب لزاما • وقرئ لزاما بالفتح على معنى اللزوم كالثبات والثبوت • والوجه ان
ان ترك اسم كان غير منطوق به بعدما علم انه مما توعد به لاجل الابهام • وتناول ما لا يحيط به الوصف
ثم هذا العذاب في الآخرة • وقيل كان يوم بدر وهو قول مجاهد • والله اعلم بالصواب

سورة الشعراء مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله تعالى طسم تلك آيات الكتاب
المبين لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ان نشا ننزل عليهم من السما آية فظلت
اعناقهم لها خاضعين الطا اشارة الى طرب قلوب العارفين • والسين سرور المحبين • والميم
مناجاة المريدين وهاهنا مسائل المسئلة الاولى قرا قتادة باخع نفسك على الاضافة • وقرئ
فظلت اعناقهم لها خاضعة المسئلة الثانية البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو الخرم النافذ في ثقب الفقار
وذلك اقصى حد الذابح • ولعل للاشفاق المسئلة الثالثة قوله طسم تلك آيات الكتاب المبين
معناه آيات هذه السورة وتمام تقريره ما مر في الم ذلك الكتاب ولا شبهة في ان المراد بالكتاب هو القرآن
والمبين وان كان في الحقيقة هو المتكلم فقد يضاف الى الكلام من حيث يتبين به عند النظر فيه • فان قيل القوم
لما كانوا كفارا فكيف تكون آيات القرآن مبينة لهم ما يلزمهم وانما يتبين بذلك الاحكام • قلنا الفاظ القرآن
من حيث تعذر عليهم ان ياتوا بمثله يمكن ان يستدلوا به على ان فاعله يخالف لهم كما يستدل بسائر ما لا يقدر العباد
على مثله فهو دليل التوحيد من هذا الوجه ودلالة النبوة من حيث الاعجاز ويعلم به بعد ذلك انه اذا كان من
عند الله فهو دلالة الاحكام اجمع • واذا ثبت هذا صارت آيات القرآن كافية في كل الاصول والفروع اجمع
ولما ذكر تعالى انه بين الامور قال بعده لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين • منبها بذلك على ان الكتاب
وان بلغ في البيان كل غاية فغير مدخل لهم في الايمان لما انه سبق كلام الله بخلافه فلا تبالغ في الحزن والاسف
على ذلك لانك ان بالغت فيه كنت بمنزلة من يقتل نفسه ثم لا ينتفع بذلك اصلا فصبره وعزاه وعرفه
ان غمه وحزنه لا ينفع فيه كما ان وجود الكتاب على بيانه ووضوحه لا ينفع لهم فيه • ثم بين تعالى انه قادر على
ان ينزل آية يذلون لها ويخضعون • فان قيل كيف صح نصب خاضعين خبرا عن الاعناق • قلنا اصل
الكلام فظلوا لها خاضعين فذكر الاعناق لبيان موضع الخضوع ثم ترك الكلام على اصله فلما وصفت بالخضوع
الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله لي ساجدين • وقيل اعناق الناس روساؤهم ومقدموهم شبهوا

بالاعناق

بالاعناق كما يقال لهم الرؤس والصدور • وقيل جماعات الناس • يقال جانا عنق من الناس لفوج منهم المسئلة الرابعة
نظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الكهف فلعلك باخع نفسك وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
قوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسياتيهم
انبا ما كانوا به يستهزؤن اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان في
ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وهاهنا مسائل المسئلة الاولى
ان قوله ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين من تمام قوله ان نشا ننزل عليهم فنبه تعالى انه مع
قدرته على ان يجعلهم مؤمنين بالالجاء رحيم بهم من حيث ياتيهم حالا بعد حال بالقرآن وهو الذكر قد كرره عليهم
وهم مع ذلك على حد واحد في الاعراض والتكذيب والاستهزاء ثم عند ذلك زجر وتوعد لان المراد انه اذا استمر
على كفره فليس ينفع فيه الا الزجر الشديد فلذلك قال فقد كذبوا اى بلغوا النهاية في رد آيات الله فسياتيهم انبا
ما كانوا به يستهزؤن • وذلك اما عند نزول العذاب عليهم في الدنيا او عند المعاينة او في الآخرة وهو
كقوله تعالى ولتعلمن نباه بعد حين • وقد جرت العادة فيمن يسى ان يقال له ستري حالك من بعد على وجه
الوعيد • ثم انه تعالى بين انه اجرى مع انزاله القرآن فقال اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم
الزوج هو الصنف • والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد • يقال وجه كريم اذا كان مرضيا في حسنه وجماله وكتاب
كريم اذا كان مرضيا في فوائده ومعانيه • والنبات الكريم هو المرضي فيما يتعلق به من المنافع • وفي وصف
الزوج بالكريم وجهان • احدهما ان النبات على نوعين نافع وضار فذكر سبحانه كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف
النبات النافع وترك ذكر الضار • والثاني ان يعم جميع النبات لانه لا نبات الا وفيه فائدة وان غفل عنها الغافلون
اما قوله ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين فهو كقوله هدى للمتقين • والمعنى ان في ذلك دلالة لمن
يتفكر ويتدبر وما كان اكثرهم مؤمنين اى مع ذلك يستمر اكثرهم على كفرهم ثانيا • قوله وان ربك لهو العزيز الرحيم
وانما قدم ذكر العزيز على ذكر الرحيم لانه لو لم يقدمه لكان ربما قيل انه رحمهم لعجزه عن عقوبتهم فازال هذا الوهم
بذكر العزيز وهو الغالب القاهر ومع ذلك فانه رحيم بعباده فان الرحمة اذا كانت عن القدرة الكاملة كانت
اعظم وقعا • والمراد انهم مع كفرهم وقدرة الله على ان يعجل عقابهم لا يترك رحمتهم بما تقدم ذكره من خلق كل زوج
كريم من النبات ثم من اعطا الصحة والعقل والهداية المسئلة الثانية انه تعالى وصف الكفار بالاعراض
اولا وبالتكذيب ثانيا وبالاستهزاء ثالثا وهذه درجات من اخذ يترقى في الشقاوة فانه يعرض اولا ثم يصرح
بالتكذيب ثانيا • ثم يبلغ في التكذيب والانكار الى حيث يستهزئ به ثالثا المسئلة الثالثة فان قلت ما معنى
الجمع بين كم وكل ولو قيل كم انبتنا فيها من زوج كريم • قلت قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل
وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة • فهذا معنى الجمع وبه نبه على كمال قدرته • فان قلت فحين ذكر الازواج
ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لآية وهلا
قال لآيات • قلت فيه وجهان • احدهما ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال ان في ذلك الانبات
لآية اي آية • والثاني ان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لآية المسئلة الرابعة احتجت المعتزلة
على خلق القرآن بقوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث فقالوا الذكر هو القرآن لقوله تعالى هذا ذكر
مبارك وبين في هذه الآية ان الذكر محدث فيلزم من هاتين الآيتين ان القرآن محدث • وهكذا الاستدلال
بقوله تعالى الله نزل احسن الحديث • وبقوله فباي حديث واذا ثبت انه محدث فله خالق فيكون مخلوقا لا محالة
والجواب ان كل ذلك راجع الى هذه الالفاظ ونحن نسلم حدوثها انما ندعي قدم امر آخر وراء هذه الحروف
وليس في الآية دلالة على ذلك • قوله تعالى واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا
يتقون اختلف اهل السنة في النداء الذي سمعه من الله تعالى هل هو الكلام القديم او هو ضرب من الاصوات
فقال ابو الحسن الاشعري المسموع هو الكلام القديم • وكما ان ذاته تعالى لا تشبه سائر الاشيا مع ان الدليل
دل على انها معلومة ومرئية فكذا كلامه منزه عن مشابهة الحروف والصوت مع انه مسموع • وقال ابو منصور
الماتريدي الذي سمعه موسى عليه السلام كان نداء من جنس الحروف والاصوات وذلك لان الدليل ما دل على انا نرى
الجسم بلازم العرض ولابد من علة مشتركة بينهما لصحة اللزوم ولا علة الا الوجود فحكمنا بان كل موجود يصح ان يرى
اما لم يثبت عندنا انما نسمع الاصوات حتى نحكم بانه لا بد من مشترك بين الجسم والعرض فلم يلزم كون كل موجود
مسموعا فظهر الفرق • اما المعتزلة فقد اطبقوا على ان ذلك المسموع ما كان الا حروفا واصواتا فعندهم هذا

قالوا ان ذلك النداء وقع على وجه علم به موسى انه من قبل الله تعالى فصار معجزا علم به ان الله تعالى مخاطب له
فلم يحتج مع ذلك الى الواسطة وكفى في الوقت ان حمله الرسالة التي هي ان ائت القوم الظالمين لان في بدو البعثة
يجب ان يأمر بالدعاء الى التوحيد • ثم يأمر بعده بالاحكام ولا يجوز ان يأمر تعالى بذلك الا وقد عرفه انه سيظهر
عليه المعجزات اذا طولب بذلك • اما قوله تعالى ان ائت القوم الظالمين • فالمعنى انه تعالى سجل عليهم بالظلم
وقد استحقوا هذا الاسم من وجهين من جهة ظلمهم انفسهم بكفرهم • ومن جهة ظلمهم لبني اسرائيل اما قوله
تعالى قوم فرعون فقد عطف قوم فرعون على القوم الظالمين عطف بيان كان القوم الظالمين وقوم فرعون
لفظان يدلان على معنى واحد • اما قوله الا يتقون • فقرئ الا يتقون بكسر النون بمعنى الا يتقونني فحذف
النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة • وقوله الا يتقون كلام مستأنف اتبعه تعالى ارساله
اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم في الظلم والعسف • ومن امنهم العواقب
وقلة خوفهم • ويحتمل ان الا يتقون حال من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة
الانكار على الحال • ووجه ثالث وهو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقوا كقوله الا يسجدوا • واما من قرأ الا تتقون
على الخطاب فعلى طريقة الالتفات اليهم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جنايته
والجاني حاضر • واذا اندفع في الشكاية حمي غضبه قطع مباثته صاحبه • واقبل على الجاني يوبخه ويعنف به
ويقول له الم تتق الله الم تستحي من الناس فان قلت ما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام
في وقت المناجاة • والملتفت اليهم غائبون لا يشعرون قلت اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم في معنى اجرائه
اليهم تحضيضهم واجراه في مسامعهم لانه مبلغهم ومنهيه اليهم وله فيه لطف حث على زيادة التقوى وكم من اية
نزلت في شان الكافرين • وفيها اوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا بمواردها • قوله تعالى قال رب
اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون ولهم علي ذنب فاخاف ان
يقتلون اعلم ان الله تعالى لما امر موسى عليه السلام بالذهاب الى قوم فرعون طلب موسى عليه السلام ان يبعث معه

المسئلة الاولى

هرون عليه السلام اليهم ثم ذكر الامور الداعية له الى ذلك السؤال • وحاصلها انه لو لم يكن هرون لاختلت المصلحة
المطلوبة من بعثة موسى وذلك من وجهين • الاول ان فرعون ربما كذبه • والتكذيب سبب لضيق القلب وضيق القلب
سبب لتعسر الكلام على من يكون في لسانه حبسة لان عند ضيق القلب ينقبض الروح والحرارة الغريزية الى باطن
القلب فاذا انقبضا الى الداخل وخلا الخارج ازدادت الحبسة في اللسان • فالتأذي من التكذيب سبب لضيق
القلب وضيق القلب سبب للحبسة • فهذا السبب بدأ بخوف التكذيب • ثم ثنى بضيق الصدر • ثم ثلث بعدم
انطلاق اللسان • واما هرون فهو افصح لسانا مني وليس في حقه هذا المعنى فكان ارساله اولى • الثاني ان
لهم عندي ذنبا فاخاف ان يبادروا بقتلي وحينئذ لا يحصل المقصود من البعثة • واما هرون فليس كذلك ٥
فيحصل المقصود من البعثة المسئلة الثانية قرئ ويضيق وينطلق بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان وبالنصب
لعطفهما على صلة ان والمعنى اخاف ان يكذبون واخاف ان يضيق صدري واخاف ان لا ينطلق لساني • والفرق
ان الرفع يفيد ثلاث علل في طلب ارسال هرون • والنصب يفيد علة واحدة وهي الخوف من هذه الامور الثلاثة •
فان قلت الخوف غم يحصل لتوقع مكروه سيقع • وعدم انطلاق اللسان كان حاصلا فكيف جاز تعليق الخوف
به قلنا قد بينا ان التكذيب الذي سيقع يوجب ضيق القلب • وضيق القلب يوجب زيادة الاحتباس فتلك
الزيادة ما كانت حاصلة في الحال بل كانت متوقعة فجاز تعلق الخوف عليه • اما قوله تعالى فارسل الى هرون
فليس في الظاهر ذكر من يرسل اليه • وفي الخبر ان الله تعالى ارسل موسى اليه قال الراوي ان موسى عليه السلام
لما سار باهله الى مصر والتقى بهرون وهو لا يعرفه فقال انا موسى فتعارفا وامره ان ينطلق معه الى فرعون
لاداء الرسالة فصارت بينهما واعظم الخوف اتقاعليهما فذهبا اليه • ويحتمل ان يكون المراد ارسل الله جبريل
لان رسول الله تعالى الى الانبياء جبريل عليه السلام فلما كان هو متعينا لهذا الامر حذف ذكره لكونه معلوما
وايضا فليس في الظاهر انه يرسله اذا لكن فحوى الكلام يدل على انه طلبه للمعونة فيما سأل كما يقال اذا نابت نائبة
فارسل الى فلان يعينك فيها • وليس في الظاهر انه التمس ان يكون هرون نبيا معه لكن قوله فقولا انا رسول
رب العالمين يدل عليه • واما قوله ولهم علي ذنب فاراد بالذنب قتله القبطي وقد ذكر الله تعالى هذه القصة
مشروحة في سورة القصص • واعلم انه ليس في التماس موسى عليه السلام ان يضم اليه هرون ما يدل على انه استعفى
من المضي الى فرعون بل مقصوده فيما سأل ان يقع ذلك الذهاب على اقوى الوجوه في الوصول الى المراد واختلفوا

فقال بعضهم

فقال بعضهم انه وان كان نبيا فهو غير عالم بانه يبقى حتى يؤدي الرسالة لانه انما [illegible] شرط التمكين وهذا قول
الكعبي وغيره من البغداديين لانهم يجوزون دخول الشرط في تكليف الله والذي [illegible] الاكثرون ان ذلك لا يجوز
لانه تعالى اذا امر فهو عالم بما يتمكن منه المأمور وباوقات تمكنه فاذا علم انه غير [illegible] فانه لا يأمره به • واذا صح
ذلك فالاقرب في الانبياء انهم يعلمون اذا حملهم الله تعالى الرسالة انه تعالى [illegible] اداءها وانهم سيبقون الى ذلك
الوقت • ومثل ذلك لا يكون اغراء في الانبياء وان جاز ان يكون اغراء في غيرهم [المسئلة] الثالثة قال قول موسى ولهم
علي ذنب هل يدل على صدور الذنب منه جوابه لا • والمراد لهم علي ذنب في زعمهم • قوله تعالى قال كلا
فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون فاتيا فرعون فقولا انا رسول [رب العا]لمين ان ارسل معنا بني اسرائيل
اعلم ان موسى عليه السلام طلب امرين • الاول انه يدفع عنه شرهم • والثاني [ان يرسل م]عه هرون • فاجابه الله تعالى الى
الى الاول بقوله كلا ومعناه ارتدع يا موسى عما تظن • واجابه الى الثاني [بقوله ف]اذهبا اي اذهب انت والذي طلبته
وهو هرون • فان قيل علام عطف قوله فاذهبا • قلنا على الفعل ال[ذي يدل عليه] كلا كانه قال ارتدع يا موسى
عما تظن فاذهب انت وهرون • واما قوله انا معكم مستمعون فمن [illegible] نريد انا لكما ولعدوكما كالناصر
الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما فانصركما عليه واكسر[illegible] وانما جعلنا الاستماع مجازا لان
الاستماع عبارة عن الاصغاء وذلك على الله تعالى محال • واما قو[له انا رس]ول رب العالمين ففيه سؤال وهو انه
هلا ثنى الرسول كما ثنى في قوله انا رسولا ربك جوابه من وجوه [الاول] ان الرسول اسم للماهية من غير بيان
ان تلك الماهية واحدة او كثيرة والالف واللام لا يفيدان الا [illegible] ولا الاستغراق بدليل انك تقول الانسان
هو الضحاك ولا تقول كل انسان هو الضحاك ولا ايضا هذا الا[نسان هو] الضحاك • واذا ثبت ان لفظ الرسول
لا يفيد الا الماهية وثبت ان الماهية محمولة على الواحد وعلى الا[ثنين ثبت] صحة قوله انا رسول رب العالمين • وثانيها
ان الرسول قد يكون بمعنى الرسالة قال [illegible] لقد كذب الو[اشون ما فه]ت عندهم بشيء ولا ارسلتهم برسول •
فيكون المعنى انا ذو رسالة رب العالمين • وثالثها انه[ما] [illegible] على شريعة واحدة واتحادهما بسبب الاخوة
كانهما رسول واحد • ورابعها المراد كل واحد منا رسول • وخامسها ما قاله بعضهم انه انما قال ذلك لان لفظ
التثنية لكونه هو اصل الرسالة خاصة • وقوله انا كما في قوله تعالى انا انزلناه وهو ضعيف • واما قوله ان
ارسل معنا بني اسرائيل فالمراد من هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك ارسل البازي يريد خلهم معنا • قوله تعالى
قال الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين
اعلم ان في الكلام حذفا وهو انهما اتياه وقالا ما امر الله تعالى به فعند ذلك قال فرعون ما قال روي انهما انطلقا الى
باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان هنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له
لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى فعدد عليه نعمه اولا ثم اساءه موسى ثانيا • اما النعم فهي قوله
الم نربك فينا وليدا • والوليد الصبي لقرب عهده من الولادة • ولبثت فينا من عمرك • وعن ابي عمرو بسكون
الميم سنين قيل لبث عندهم ثلاثين سنة • وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم والله اعلم بصحيح ذلك
وعن الشعبي فعلتك بالكسر وهو قتله القبطي لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل • واما الفعلة فلانها
وكزة واحدة • عدد عليه نعمه من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال واكد ذلك بما جرى على يده من قتل خازنه وعظم
ذلك بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت • اما قوله وانت من الكافرين ففيه وجوه • احدها يجوز ان يكون حالا
اي قتلته وانت اذ ذاك من الكافرين بنعمتي • وثانيها وانت اذ ذاك [في ز]عمهم الساعة وقد افترى عليه
او جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية • فان الكفر غير جائز على الانبياء قبل النبوة • وثالثها وانت من
الكافرين معناه وانت ممن عادته كفران النعم • ومن كان هذا حاله لم يستبعد منه قتل خواص ولي نعمته • ورابعها
وانت من الكافرين لفرعون والهيته • او من الذين يكفرون في دينهم فقد كانت لهم الهة يعبدونها ولذلك قال
ويذرك والهتك • قوله تعالى قال فعلتها اذا وانا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي
ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اعلم ان فرعون لما ذكر التربية
وذكر القتل وقد كانت تربيته له معلومة ظاهرة • ولا جرم ان موسى عليه السلام ما انكرها ولم يشتغل بالجواب
عنها لانه تقرر في العقول ان الرسول الى الغير اذا كان معه معجز وحجة لم يتغير حاله [لا]ن يكون المرسل اليه انعم
عليه او لم يفعل ذلك فصار قول فرعون لما قاله غير مؤثر البتة • ومثل هذا الكلام الاعراض عنه
اولى لكن اجاب عن القتل بما لا شيء ابلغ منه في الجواب وهو قوله فعلتها اذا وانا من الضالين

واما الفعلة فلانها وكزة واحدة

والمراد بذلك الذاهبين عن معرفة ما يوول اليه من القتل لان فعل الوكزة كان على وجه التاديب • ومثل
ذلك ربما حسن وانما ادى الى القتل فبين له انه فعله على وجه لا يجوز معه ان يواخذ به او يعد معه كافرا او
كافرا للنعمة • واما قوله ففررت منكم لما خفتكم • والمراد اني فعلت ذلك الفعل وانا ذاهل عن كونه مهلكا
وكان مني في حكم السهو فلم استحق التخويف الذي يوجب الفرار ومع ذلك ففررت منكم لما خفتكم عند قولكم ان الملا
ياتمرون بك ليقتلوك فبين بذلك انه لا نعمة له عليه في باب تلك الفعلة بل ان يكون مسيئا فيه اقرب من حيث
خوف تخويفا اوجب الفرار ثم بين نعمة الله عليه بعد الفرار وكانه قال اساتم واحسن الله الي بان وهب لي حكما
وجعلني من المرسلين • واختلفوا في الحكم • والاقرب انه غير النبوة لان المعطوف غير المعطوف عليه والنبوة
مفهومة من قوله وجعلني من المرسلين • والمراد بالحكم العلم ويدخل في العلم العقل والراي • والعلم بالدين الذي
هو التوحيد • وهذا اقرب اذ لا [يجوز] ان يبعثه تعالى الا مع كماله في العقل والراي والعلم بالتوحيد • وقوله
فوهب لي ربي حكما كالتنصيص على [ان] الحكم من خلق الله تعالى • وقالت المعتزلة المراد منه الالطاف وهو
ضعيف جدا لان الالطاف مفعولة في حق كل من غير تخصيص ولا نقصان فالتخصيص لا بد له من فايدة • اما قوله وتلك
نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرايل فهو جواب [عن] قوله الم نربك فينا وليدا • يقال عبدت الرجل واعبدته اذا اتخذته
عبدا • فان قيل كيف يكون ذلك جوابه و[ما التعلق] بين الامرين • قلنا بيان التعلق من وجوه • احدها انه لما وقع
في يده وفي تربيته لانه قصد تعبيد بني اسر[ايل و]ذبح ابناهم وكانه عليه السلام قال له كنت مستغنيا عن تربيتك
لو لم يكن منك ذلك الظلم المتقدم علينا وعلى اسلافنا • وثانيها ان هذا الانعام المتاخر صار معارضا بذلك
الظلم العظيم على اسلافنا • واذا تعارضا [تس]اقطا • وثالثها قال الحسن انك استعبدتهم واخذت اموالهم ومنها
انفقت علي فلا نعمة لك بالتربية • ورابعها المراد ان الذي تولى تربيتي هم الذين قد استعبدتهم فلا نعمة لك علي لان
التربية كانت من قبل امي ومن سائر من هو من قومي … الا انك ما قتلتني وهذا لا يعد انعاما • وخامسها انك كنت
تدعي ان بني اسرايل عبيدك ولا منة للمولى على العبد [في ا]ن يطعمه ويعطيه ما يحتاج اليه • واعلم ان في هذه الاية دلالة
على ان كفر الكافر لا يبطل نعمته على من يحسن اليه ولا يبطل منته لان موسى عليه السلام انما ابطل ذلك بوجه اخر على ما بينا
واختلف العلما فقال بعضهم اذا كان كافرا لا يستحق الشكر على نعمه على الناس لانه يستحق الاهانة بكفره فلو استحق الشكر
والشكر لا يوجد الا مع التعظيم فيلزم كونه مستحقا للاهانة والتعظيم معا واستحقاق الجمع بين الضدين محال • وقال
اخرون لا يبطل الشكر بالكفر وانما يبطل بالكفر الثواب والمدح الذي يستحقه على الايمان • والاية تدل على القول
الثاني **المسئلة الثانية** قال صاحب الكشاف انما جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في تمنها وعبدت لان
الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملايه المتوامرين بقتله بدليل قوله ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك
واما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد • فان قلت تلك اشارة الى ماذا وان عبدت ما محلها من الاعراب قلت
تلك اشارة الى خصلة شنعة مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها وهي ان عبدت • فان عبدت عطف بيان لتلك ونظيره
قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولاء مقطوع • والمعنى تعبيدك بني اسرايل نعمة تمنها علي قال الزجاج
ويجوز ان يكون ان في موضع نصب المعنى انما صارت نعمة علي ان عبدت بني اسرايل اذ لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي
قوله تعالى **قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب اباءكم الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لين اتخذت الها غيري لاجعلنك
من المسجونين قال اولو جيتك بشي مبين قال فات به ان كنت من الصادقين** اعلم ان فرعون لم يقل لموسى وما
رب العالمين الا وقد دعاه موسى الى طاعة رب العالمين يبين ذلك ما تقدم من قوله فاتيا فرعون فقولا انا
رسول رب العالمين فلا بد عند دخولهما عليه ان يقولا ذلك فعند ذلك قال فرعون وما رب العالمين • ثم هاهنا
بحثان • الاول ان فرعون يحتمل ان يقال كان عارفا بالله وانما قال ما قال طلبا للملك والرياسة وقد ذكر الله
تعالى في كتابه ما يدل على انه كان عارفا بالله وهو قوله تعالى فقال لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض
فاقري بفتح التاء من علمت فالمراد ان فرعون علم ذلك • وذلك يدل على انه كان عارفا بالله لكنه كان يلبس على قومه
بما يظهر من الهيته • و[القراءة] الاخرى بضم التاء من علمت فهي تقتضي ان موسى هو الذي عرف ذلك • وايضا فان
فرعون ان لم يكن عاقلا لم يجز من الله تعالى بعثة الرسول اليه • وان كان عاقلا فهو يعلم بالضرورة انه ما كان موجودا
ولا حيا ولا عاقلا ثم صار كذلك • وبالضرورة يعلم ان كل ما كان كذلك فلا بد له من موثر فلا بد ان يتولد له من هذين

العلمين علم

العلمين علم ثالث بالافتقار في تركيبه وفي حياته وعقله الى موثر موجد ويحتمل ان يقال انه كان على مذهب الدهرية
من ان الافلاك واجبة الوجود في ذواتها ومتحركة لذواتها وان حركاتها اسباب لحصول [الحوادث] في هذا العالم او يقال
انه كان من الفلاسفة القايلين بالعلة الموجبة لا بالفاعل المختار ثم اعتقد انه … لا قبليه من حيث استعبدهم
وملك زمام امرهم ويحتمل ان يقال انه كان على مذهب الحلولية القايلين بان ذات الاله سبحانه يتدرع بجسد انسان معين حتى
يكون الاله سبحانه لذلك الجسد بمنزلة روح كل انسان بالنسبة الى جسده • وبهذه التقديرات كان يسمي نفسه الها
البحث الثاني وهو انه قال لموسى عليه السلام وما رب العالمين • واعلم ان السوال [يطلب] تعريف حقيقة الشي وتعريف حقيقة الشي
اما ان يكون بتعيين تلك الحقيقة او بشي من اجزايها او بما هو خارج عنها او بما يتركب … [من الداخل] والخارج • اما تعريفها بنفسها
فمحال لان المعرف معلوم قبل المعرف فلو عرف الشي بعينه لزم ان يكون معلوما قبل … [ان يكون م]علوما وهو محال • واما تعريفها
بالامور الداخلة فيها فهاهنا في حق واجب الوجود محال لان التعريف بالا[مور الداخلة في]ه لا يمكن الا اذا كان المعرف
مركبا وواجب الوجود يستحيل ان يكون مركبا لان كل مركب فهو محتاج الى … [كل واحد] من اجزايه وكل واحد من اجزايه
فهو غيره فكل مركب محتاج الى غيره وكل محتاج الى غيره فهو ممكن لذاته وكل مركب … [ف]ما ليس بممكن يستحيل ان يكون مركبا
فواجب الوجود ليس بمركب فاذا لم يكن مركبا استحال تعريفه باجزايه ولما بطل … [القس]مان ثبت انه لا يمكن تعريف ماهية
واجب الوجود الا بلوازمه واثاره • ثم ان اللوازم قد تكون خفية وقد تكون … [فلا ي]جوز تعريف الماهية باللوازم الخفية
بل لا بد من تعريفها باللوازم الجلية واظهر اثار ذات واجب الوجود هو هذا العالم المحسو[س وه]و السموات والارض وما
بينهما فثبت انه لا جواب البتة لقول فرعون وما رب العالمين الا ما قاله موسى عم وهو انه رب السموات والارض وما بينهما
فاما قوله ان كنتم موقنين فمعناه اي ان كنتم موقنين باسناد هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود فاعرفوا انه لا يمكن
تعريفه الا بما ذكرته لانكم سلمتم انتهاء هذه المحسوسات الى الواجب لذاته … مطلق وثبت ان الفرد المطلق لا يمكن تعريفه
الا باثاره وثبت ان تلك الاثار لا بد وان تكون اظهر اثاره وابعدها عن الخفا … ذلك الا السموات والارض وما بينهما
فان ايقنتم بذلك لزمكم ان تقطعوا بانه لا جواب عن ذلك السوال الا … • ولما ذكر موسى عليه السلام هذا الجواب
الحق قال فرعون لمن حوله الا تستمعون وانما ذكر ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى يعني انا اطلب منه الماهية وخصوصية
الحقيقة وهو يجيبني بالفاعلية والموثرية • وتمام الاشكال ان تعريف الماهية بلوازمها لا يفيد الوقوف على نفس تلك
الماهية وذلك لانا اذا قلنا في الشي انه الذي لزمه اللازم • واللازم اما ان يكون لذات الماهية او لخصوصية
تلك الماهية التي عرضت لها هذه الملزومية • والاول محال لان كونه امرا يلزمه ذلك الالزام جعلناه كاشفا فلو كان
المكشوف هو هذا التعدد لزم كون الشي معرفا لنفسه وهو محال • والثاني محال لان العلم بانه امر ما يلزمه … لوازم الكل
لا يفيد العلم بخصوصية تلك الماهية الملزومة لانه لا يمتنع في العقل اشتراك الماهيات المختلفة في لوازم
متساوية فثبت ان التعريف بالوصف الخارجي لا يفيد معرفة نفس الحقيقة فاجاب موسى عليه السلام بان قال
ربكم ورب اباءكم الاولين وكانه عليه السلام عدل عن التعريف بكونه تعالى خالقا لنا ولابائنا وذلك لانه لا يمتنع
ان يعتقد احد ان السموات والارض واجبة لذواتها فهي غنية عن الخالق والموثر ولكن لا يمكن ان يعتقد العاقل
في نفسه • وفي ابائه واجداده كونهم واجبين لذواتهم لان المشاهدة دلت على انهم وجدوا بعد العدم وعدموا
بعد الوجود وما كان كذلك استحال ان يكون واجبا لذاته وما لم يكن واجبا لذاته استحال الوجود الا لموثر وكان
التعريف بهذا الاثر اظهر • فقال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون يعني المقصود من سوال ما طلب الماهية وخصوصية الحقيقة • والتعريف بهذه الاثار الخارجية لا يفيد
البتة تلك الخصوصية • فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون لانه لم يفهم السوال فضلا عن ان يجيب عنه • قال
موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون • فعدل الى طريق اوضح من الثاني • وذلك لانه
اراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار واراد بالمغرب غروب الشمس وزوال النهار • والامر ظاهر في ان هذا
التدبير المستمر على الوجه العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر وهذا بعينه طريقة ابرهيم عليه السلام مع نمروذ فانه استدل
اولا بالاحياء والاماتة وهو الذي ذكره موسى عليه السلام هاهنا بقوله ربكم ورب اباءكم الاولين فاجابه نمروذ
بقوله انا احيي واميت • فقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وهو الذي ذكره
موسى عليه السلام هاهنا بقوله رب المشرق والمغرب • واما قوله ان كنتم تعقلون • فكانه عليه السلام قال ان كنت من العقلا
عرفت انه لا جواب عن سوالك الا ما ذكرت لانك طلبت مني تعريف حقيقته بنفس حقيقته … فلم يبق الا ان
اعرف حقيقته باثار حقيقته وانا قد عرفت حقيقته • فقد ثبت ان كل من كان عاقلا قطع بانه لا جواب عن هذا السوال

وكان التعريف بهذا الاثر اظهر

الا ما ذكرته • واعلم انا قد بينا في سورة الانعام في تفسير قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده ان حقيقة الاله سبحانه
من حيث انها هي غير معقولة للبشر • واذا كان كذلك استحال من موسى عليه السلام ان يذكر ما يعرف به تلك الحقيقة الا ان عدم
العلم بتلك الخصوصية لا يقدح في صحة المسئلة • وكان حاصل كلام موسى عليه السلام ان ادعاء رسالة رب العالمين
تتوقف صحته على اثبات ان للعالمين ربا والها ولا يتوقف على العلم بخصوصية الرب تعالى وماهيته المعينة • وكان موسى
عليه السلام يقيم الدلالة على اثبات القدر المحتاج اليه في صحة دعوى الرسالة • وفرعون يطالبه ببيان الماهية • وموسى
كان يعرض عن سؤاله لعلمه بانه لا تعلق لذلك السؤال نفيا ولا اثباتا في هذا المطلوب • فهذا تمام القول في هذا البحث
ثم ان موسى عليه السلام ختم اخر هذا الكلام بقوله ان كنتم تعقلون فعند ذلك قال فرعون لئن اتخذت الها غيري
لاجعلنك من المسجونين فانه لما عجز عن الحجاج عدل الى التخويف • فعند ذلك ذكر موسى عم كلاما مجملا ليقوي قلبه به
فيعدل عن وعيده فقال أولو جئتك بشيء مبين اي هل تستجيز ان تسجنني مع اقتداري على ان اتيك بامر بين في باب
الدلالة على وجود الله وعلى اني رسوله فعند ذلك قال فأت به ان كنت من الصادقين • وههنا فروع • الفرع الاول
الاية تدل على انه تعالى ليس بجسم لانه لو كان جسما وله صورة لكان جواب موسى بذكر صفته ولكان كلام فرعون لازما له
لعدوله عن الجواب الحق • الثاني الواجب على من يدعو غيره الى الله تعالى ان لا يجيب عن السفاهة لان موسى عليه السلام
لما قال له فرعون انه لمجنون لم يعدل عن ذكر الدلالة • وكذلك لما توعده ان يسجنه • الثالث انه يجوز للمسؤول ان
يعدل عن حجته من مثال الى مثال لانتقال الكلام ولا يدل ذلك على الانقطاع • الرابع كيف قطع الكلام لما لا تعلق له بالاول
وهو قوله أولو جئتك بشيء مبين والمعجز لا يدل على الله كدلالة سائر ما تقدم • قلنا لانه لما اراد ان يظهر من انقلاب
العصا حية على الله وعلى توحيده وعلى انه صادق في الرسالة فالذي ختم به كلامه اقوى من كل ما تقدم واجمع • الخامس
فان قيل كيف قال رب السموات والارض وما بينهما على التثنية والمرجع اليه مجموع جوابه ان يريد ما بين الجنسين
فان قيل ذكر السموات والارض وما بينهما قد استوعب الخلائق كلهم فما معنى ذكرهم وذكر ابائهم بعد ذلك • وذكر المشرق
والمغرب جوابه قد عمم اولا ثم خصص من العام للبيان انفسهم واباءهم لان اقرب الاشياء الى العاقل نفسه ومن ولد منه
وما شاهد من انتقاله من وقت ميلاده الى وقت وفاته من حالة الى حالة اخرى ثم خصص المشرق والمغرب
لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الاخر على تقدير مستقيم في فصول السنة من اظهر الدلائل • السادس
فان قيل لم قال لاجعلنك من المسجونين ولم يقل لاسجننك الجواب قوله لاسجننك لا يفيد الا صيرورته
مسجونا • اما قوله لاجعلنك من المسجونين فمعناه اني اجعلك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته
ان يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في بئر عميقة فردا لا يبصر فيه ولا يسمع وكان ذلك اشد من القتل • السابع الواو
في قوله أولو جئتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي جائيا
بالمعجزة • قوله تعالى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال للملا حوله
ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه وابعث في
المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم • فيه مسائل • المسئلة الاولى قرا الاعمش بكل سحار عليم
المسئلة الثانية اعلم ان قوله أولو جئتك بشيء مبين يدل على ان الله تعالى قبل ان القى العصا عرفه بانه يصيره
ثعبانا • ولولا ذلك لما قال لما قال • فلما القى عصاه ظهر ما وعده الله به فصار ثعبانا مبينا • والمراد ابه تبين
للناظرين انه ثعبان بحركاته وبسائر العلامات • روي انها لما انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت
مقبلة الى فرعون • وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت • ويقول فرعون اسألك بالذي ارسلك الا اخذتها
فعادت عصا • فان قيل كيف قال ثعبان مبين • وفي اية اخرى فاذا هي حية تسعى • وفي اية ثالثة كانها جان
والجان مائل الى الصغر والثعبان مائل الى الكبر • جوابه • اما الحية فهي اسم الجنس • ثم انها لكبرها كانت ثعبانا
وشبهها بالجان لسرعتها وخفتها فيصح الكلامان • ويحتمل انه شبهها بالشيطان لقوله تعالى والجان خلقناه من
قبل من نار السموم • ويحتمل انها كانت اولا صغيرة كالجان • ثم عظمت فصارت ثعبانا • ثم ان موسى عليه السلام
لما اتى بهذه الاية فقال له فرعون هل غيرها قال نعم فاراه يده • ثم ادخلها جيبه ثم اخرجها فاذا هي بيضاء يضيء
الوادي من شدة بياضها من غير برص • لها شعاع كشعاع الشمس • فعند هذا اراد فرعون تعمية هذه الحجة
على قومه فذكر فيها امورا ثلاثة • احدها قوله ان هذا الساحر عليم وذلك لان الزمان كان زمان سحر وكان عند كثير منهم
ان الساحر قد يجوز ان ينتهي بسحره الى هذا الحد • فلهذا روج عليهم هذا القول • وثانيها قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره • وهذا يجري مجرى التنفير عنه لئلا يقبلوا قوله • والمعنى يريد ان يخرجكم من ارضكم بما يلقيه بينكم من العداوة

قال

فيفرق

فيفرق جمعكم ومعلوم ان مفارقة الوطن اصعب الامور فبلغ بهم بعضه بذلك • وهذا نهاية ما يفعله المبطل في
التنفير من المحق • وثالثها قوله فماذا تأمرون اي ما رأيكم فيه وما الذي اعمله يظهر من نفسه انه متبع لرأيكم • ومنقاد
لقولكم • ومثل هذا الكلام يوجب جذب القلوب وانصرافها عن العدو • فعند هذه الامور اتفقوا على جواب
واحد وهو قوله ارجه وارجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال ارجأته وارجيته اذا اخرته • والمعنى اخره
ومناظرته لوقت اجتماع السحرة • وقيل احبسه وذلك محتمل اذا حبست الرجل عن حاجته فقد اخرته • روي
ان فرعون اراد قتله ولم يصل اليه فقالوا له لا تفعل فانك ان قتلته ادخلت على الناس في امره شبهة ولكن
ارجه واخاه الى ان تحشر السحرة ليقاوموه فلا يثبت له عليك حجة • ثم اشاروا عليه بانفاذ حاشرين يجمعون
السحرة ظنا منهم بانهم اذا كثروا غلبوه وكشفوا حاله وعارضوا قوله ان هذا لساحر عليم بقولهم بكل سحار عليم
فجاؤا بكلمة الاحاطة وبصيغة المبالغة ليطيبوا قلبه وليسكنوا بعض قلقه • قال صاحب الكشاف فان قلت قوله
تعالى قال للملا حوله ما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين • نصب في اللفظ ونصب في المحل
فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف • والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال • قوله تعالى
فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين
فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين
وفيه مسائل المسئلة الاولى اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم
موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به اي حدد
من مكان وزمان • ومنه مواقيت الاحرام المسئلة الثانية اعلم ان القوم لما اشاروا باجرامهم وبان تجمع
له السحرة ليظهر عند حضورهم فساد قول موسى رضي فرعون بما قالوه وعمي عما شاهده وحب الشيء يعمي ويصم
فجمع السحرة ثم اراد ان تقع تلك المناظرة يوم عيد لهم ليكون ذلك بمحضر الخلق العظيم • وكان موسى عليه السلام
يطلب ذلك ليظهر حجته عليهم عند الخلق العظيم وكان هذا ايضا من لطف الله في ظهور امر موسى عليه السلام • اما قوله
وقيل للناس هل انتم مجتمعون • فالمراد انهم بعثوا على الحضور ليشاهدوا ما يكون من الجانبين • واما قوله لعلنا
نتبع السحرة فالمراد انا نرجوا ان يكون الغلبة لهم فنتبعهم • فلما جاء السحرة ابتدؤا بطلب الجزاء وهو المال او الجاه • فبذل
لهم ذلك واكده بقوله وانكم اذا لمن المقربين لان نهاية مطلوبهم البذل ورفع المنزلة فبذل كلا الامرين • قوله تعالى
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى
موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون فالقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون
اعلم انهم لما اجتمعوا كان لا بد من ان يبتدأ موسى او يبتدؤا ثم انهم تواضعوا له فقدموه على انفسهم • وقالوا اما ان
تلقي واما ان نكون اول من القى فلما تواضعوا له تواضع هو ايضا لهم فقدمهم على نفسه فقال القوا ما انتم ملقون
فان قيل كيف جاز لموسى عليه السلام ان يأمر السحرة بالقاء الحبال والعصي وذلك سحر وتلبيس وكفر والامر بمثله لا يجوز
الجواب لا شبهة في ان ذلك ليس بامر لان مراد موسى عليه السلام منهم كان ان يؤمنوا به ولا يقدموا على ما يجري
مجرى المغالبة • واذا ثبت هذا وجب تاويل صيغة الامر • وفيه وجوه • احدها ان ذلك الامر كان مشروطا والتقدير
القوا ما انتم ملقون ان كنتم محقين كما في قوله فاتوا بسورة من مثله ان كنتم صادقين • وثانيها لما تعين ذلك طريقا
الى كشف الشبهة صار جائزا • وثالثها ان هذا ليس بامر بل هو تهديد اي ان فعلتم ذلك اتينا بما يبطله كقول القائل
لان رميتني لافعلن ولاضعن • ثم يفوق له السهم فيقول ارم • فيكون ذلك منه تهديدا • ورابعها ما ذكروا انهم
لما تواضعوا له وقدموه على انفسهم فهو قدمهم على نفسه على رجاء ان يصير ذلك التواضع سببا لقبول الحق ولقد
حصل ببركة التواضع ذلك المطلوب • وهذا تنبيه على انه يجب على المسلم في كل الاحوال التواضع لان مثل موسى
عليه السلام لما لم يترك التواضع مع اولئك السحرة فبان يفعله الواحد منا كان اولى • اما قوله فالقوا حبالهم وعصيهم
فروي عن ابن عباس انهم لما القوا حبالهم وعصيهم • وقد كانت الحبال مطلية بالزيبق والعصي مملوءة من الزيبق
فلما حميت اشتدت حركتها فصارت كانها حيات تدب من كل جانب من الارض فهاب موسى عليه السلام ذلك فقيل
له الق ما في يمينك • فالقى عصاه فاذا هي ثعبان • ثم فتحت فاها فابتلعت كل ما رموه من حبالهم وعصيهم • ثم اخذ
موسى عصاه فاذا هي كما كانت فلما رأت السحرة ذلك قالوا لفرعون كنا نساحر الناس فاذا غلبناهم بقيت الحبال والعصي
وكذلك ان غلبونا ولكن هذا حق فسجدوا وامنوا برب العالمين • واعلم ان في الاثر اختلافا • فمنهم من كثر الحبال
والعصي • ومنهم من توسط والله اعلم بعدد ذلك • والذي يدل القران عليه انها كثيرة من حيث انهم حشروا من كل بلد

وحب الشيء يعمي ويصم

التواضع

فاذا

ولان الامر بلغ عند فرعون وقومه من العظم مبلغا يبعد ان يخرج عنه ما يمكن من جمع السحرة • اما قوله وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالمراد انهم اظهروا ما يجرى مجرى القطع على انهم يغلبون وكل ذلك لما ظهر كان اقوى لامر موسى عليه السلام • اما قوله فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يافكون • فالمراد من قوله ما يافكون ما كانوا يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او تسمى تلك الاشياء افكا مبالغة • اما قوله فالقى السحرة ساجدين فالمراد خروا سجدا لانهم كانوا في الطبقة العالية من علم السحر فلا جرم كانوا عالمين بمنتهى السحر • فلما راوا ذلك وشاهدوه خارجا عن حد السحر علموا انه ليس بسحر وما كان في ذلك الاكثر لتحقيقهم في علم السحر ثم عند ذلك لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم خروا وطرحوا اطراحا • فان قيل فاعل الالقاء ما هو لو صرح به • وجوابه هو الله تعالى بما حصل في قلوبهم من الدواعى الجازمة الخالية عن المعارضات • ولكن الاولى ان لا يقدر فاعلا لان القى بمعنى خر وسقط • اما قوله رب موسى وهرون فهو عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعى الربوبية فارادوا عزله • ومعنى اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذى يدعو اليه موسى وهرون عليهما السلام والله اعلم • قوله تعالى قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين اعلم انهم لما آمنوا باجمعهم لم يامن فرعون ان يقول الناس ان هؤلاء السحرة على كثرتهم وتظاهرهم انهم لم يؤمنوا الا عن معرفة بصحة امر موسى عم • فلبس على القوم وبالغ في التنفير عن موسى عليه السلام من وجوه • اولها قوله آمنتم له قبل ان آذن لكم • وهذا فيه ايهام ان مسارعتكم الى الايمان به دالة على انكم كنتم مائلين اليه وذلك يطرق التهمة اليهم فلعلهم قصروا في السحر حيالة • وثانيها انه لكبيركم الذى علمكم السحر • وهذا التصريح بما رمز به اولا وغرضه منهم انهم فعلوا ذلك عن مواطاة بينهم وبين موسى وقصروا في السحر ليظهر امر موسى والا ففي قوة السحرة ان يفعلوا مثل ما فعل موسى • وهذه شبهة قوية في تنفير من يقول بقوله • وثالثها قوله فلسوف تعلمون وهو وعيد مطلق وتهديد شديد • ورابعها قوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل وهذا هو الوعيد المفصل وقطع اليد والرجل من خلاف هو قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى • والصلب معلوم وليس في الاهلاك اقوى من ذلك وليس في الاية انه فعل ذلك او لم يفعل • ثم انهم اجابوا عن هذه الكلمات من وجهين الاول قولهم لا ضير انا الى ربنا منقلبون وليس المراد ان ذلك وقع لم يضر • وانما عنوا بالاضافة الى ما عرفوه من دار الجزا • واعلم ان قولهم الى ربنا منقلبون فيه نكتة شريفة وهى انهم قد بلغوا في حب الله انهم ما ارادوا شيئا سوى الوصول الى حضرته • وانهم ما آمنوا رغبة في ثواب او رهبة من عقاب • وانما مقصودهم محض الوصول الى مرضاته • والاستغراق في انوار معرفته وهو اعلى درجات الصديقين • الجواب الثانى قوله انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا انهم اشارة منهم الى الكفر والسحر وغيرهما والطمع في هذا الموضع يحتمل اليقين كقول ابرهيم والذى اطمع ويحتمل الظن لان المرء لا يعلم ما سيجى من بعد • اما قوله ان كنا اول المؤمنين • فالمراد لان كنا اول المؤمنين من الجماعة الذين حضروا ذلك الموقف او يكون المراد من السحرة خاصة او من رعية فرعون او من اهل زمانهم وقرئ ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذى يجى به المدل • ونظيره قول القائل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفنى حقى • قوله تعالى وأوحينا الى موسى ان اسر بعبادى انكم متبعون فارسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حذرون فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم [crossed out: ونعمة كانوا فيها فاكهين] كذلك واورثناها بنى اسرائيل فاتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين قرئ اسر بقطع الهمزة ووصلها وسر لما ظهر امر موسى عليه السلام بما شاهدوه من الاية امره الله تعالى بان يخرج بنى اسرائيل لما كان في المعلوم من تدبير الله تعالى في موسى وتخليصه من القوم وتمليكه بلادهم واملاكهم واموالهم ولم يامن وقد جرت تلك الغلبة الظاهرة ان يقع من فرعون ببنى اسرائيل ما يؤدى الى الاستيصال • فلذلك امره الله تعالى ان يسرى ببنى اسرائيل وهم الذين آمنوا وكانوا من قوم موسى عم ولا شبهة ان في الكلام حذفا وهو انه اسرى بهم كما امره الله تعالى ثم ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا ثم استعاروا منهم حليهم وحللهم بهذا السبب • ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جانب البحر • فلما سمع فرعون ذلك ارسل في المدائن حاشرين ثم انه قوى نفسه ونفس قومه بان وصف قوم موسى بصفة من اوصاف الذم ووصف قوم نفسه بصفة المدح • اما وصف قوم موسى

بالذم • فالصفة الاولى قوله ان هؤلاء لشرذمة قليلون • والشرذمة الطائفة القليلة • ومنه قولهم ثوب شراذم للذى بلى وتقطع قطعا • ذكرهم بالاسم الدال على القلة • ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذى هو للقلة • ويجوز ان يريد بالقلة الذلة لا قلة العدد • والمعنى انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم • ثم اختلف المفسرون في عدد ذلك الشرذمة فقال ابن عباس كانوا ستمائة الف وسبعين الفا لا شاب فيهم دون عشرين سنة • ولا شيخ يوفى على الستين سوى الحشم • وفرعون يقللهم لكثرة من معه • وهذا الوصف انما يستقيم اذا كان كثيرا عند الاضافة الى ما هو اكثر منه • وروى ان فرعون خرج على ادهم حصان وفي عسكره على لونه ثمانمائة الف • الصفة الثانية قوله وانهم لنا لغائظون يعنى يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق قلوبنا • واختلفوا في تلك الافعال على وجوه • احدها ما تقدم من امر الحلى وغيره • وثانيها خروجهم بانفسهم • وثالثها انهم خالفونا في الدين • اما الصفة الثالثة التى وصف بها فرعون قومه فهو قوله وانا لجميع حذرون • وفيه ثلاث قراآت حذرون وحاذرون وحادرون بالدال الغير المعجمة • واعلم ان الصفة اذا كانت جارية على الفعل وهى اسم الفاعل والمفعول كالضارب والمضروب افادت الحدوث • واذا لم تكن كذلك وهى المشبهة افادت الثبوت • فمن قرا حذرون ذهب الى انا قوم من عادتنا الحذر واستعمال الحزم • ومن قرا حاذرون ذهب الى انا قوم ما عهدنا ان نحذر الا عصرنا هذا • واما من قرا حادرون بالدال الغير المعجمة فكانه ذهب الى نفى الحذر اصلا لان الحادر هو المشمر وارادوا انا مدججون في السلاح والغرض من هذه المعاذير لا يكون هم اهل المدائن انه منكسر من قوم موسى • اما قوله فاخرجناهم • فالمراد انا جعلنا في قلوبهم داعية الخروج فاستوجبت الداعية الفعل وكان الفعل مضافا الى الله تعالى لا محالة • واما قوله من جنات وعيون وكنوز فقال مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا في طاعة الله • والمقام الكريم يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية • والمعنى انا اخرجناهم من بساتينهم التى فيها عيون الماء وكنوز الذهب والفضة والمواضع التى كانوا يتنعمون فيها • اما قوله كذلك فيحتمل ثلاثة اوجه • النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذى وصفنا • والجر على انه وصف لمقام اى مقام كريم مثل ذلك المقام الذى كان لهم • والرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى الامر كذلك • اما قوله فاتبعوهم اى فلحقوهم • وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت الشروق • من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت • اما قوله فلما تراءى الجمعان اى تقاربا بحيث صار كل واحد منهما يرى الاخر قال اصحاب موسى انا لمدركون اى لملحقون • وقالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا • هذا يدركونا في هذه الساعة فيقتلونا • وقرئ لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك الشى اذا تتابع ففنى • ومنه قوله تعالى بل ادارك علمهم في الاخرة وقال الحسن جهلوا علم الاخرة • والمعنى انا نتتابع في الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد • فعند ذلك قال كلا • وذلك كالمنع مما توهموه • ثم قوى نفوسهم بامرين احدهما ان معى ربى وهذا دلالة النصرة والتكفل بالمعونة • والثانى قوله سيهدين • والهدى هو طريق النجاة والخلاص فاذا دله على طريق نجاته واهلاك اعدائه فقد بلغ النهاية في النصرة • قوله تعالى فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وازلفنا ثم الاخرين وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اعلم انه تعالى لما حكى عن موسى قوله ان معى ربى سيهدين بين بعده كيف هداه ونجاه واهلك اعداءه بذلك التدبير الجامع لنعم الدين والدنيا فقال فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق • ولا شبهة في ان المراد فضرب فانفلق لانه كالمعلوم من الكلام • ولا يجوز ان ينفلق من غير ضرب • ومع ذلك يامر بالضرب لانه لا فائدة فيه • ولانه تعالى جعله من معجزاته التى ظهرت بالعصا • ولان انفلاقه بضربه اعظم من النعمة عليه واقوى لعلمهم ان ذلك انما حصل لمكان موسى عليه السلام • واختلفوا في البحر • روى عن ابن عباس ان موسى عليه السلام لما انتهى الى البحر مع بنى اسرائيل امرهم بخوض البحر فامتنعوا الا يوشع بن نون فانه ضرب دابته وخاض في البحر حتى عبر ثم رجع اليهم فابوا ان يخوضوا فقال موسى للبحر تفرق لى فقال لما امرت بذلك ولا يعبر على الا فاجر فقال موسى يا رب قد ابى البحر ان يتفرق فقيل له اضرب بعصاك البحر فضربه فانفرق فكان كل فرق كالطود العظيم اى كالجبل العظيم وصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط منهم طريق فقال كل سبط قتل اصحابنا فعندها دعا موسى عليه السلام ربه فجعل فيها قناطر كهيئة الطاقات حتى نظر بعضهم الى بعض على ارض يابسة

وصل المجلس الثامن عشر

وعن عطاء بن السائب ان جبريل كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون وكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم باولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم • روي ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء فاما قوله فكان كل فرق كالطود العظيم فالفرق الجزء المتفرق منه • وقرئ كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل المتطاول في السماء اي المرتفع • وهذا معجز من وجوه • احدها ان تفرق ذلك الماء معجز • وثانيها ان اجتماع ذلك الماء فوق كل طرف منه حتى صار كالجبل من المعجزات ايضا لانه كان لا يمتنع في الماء الذي ازيل بذلك التفريق ان يبدده الله حتى يصير كانه لم يكن فلما جمع على الطرفين كان مؤكدا لهذا الاعجاز • وثالثها ان ثبت ما روي في الخبر انه تعالى ارسل على فرعون وقومه من الرياح والظلمة ما حيرهم فاحتبسوا القدر الذي تكامل معه عبور بني اسرائيل فهو معجز ثالث • ورابعها ان جعل الله تعالى في تلك الجدران المائية كوى ينظر منها بعضهم الى بعض فهو معجز رابع • وخامسها ان ابقى الله تعالى تلك المسالك حتى قرب منها آل فرعون وطمعوا ان يتخلصوا من البحر كما تخلص قوم موسى فهو معجز خامس • اما قوله وازلفنا ثم الآخرين ففيه بحثان • البحث الاول قال ابن عباس وابن جريج وقتادة والسدي وازلفنا اي قربنا • ثم ان عند انفلاق البحر الآخرين ثم فيه ثلاثة اوجه • احدها قربناهم من بني اسرائيل • وثانيها قربنا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد • وثالثها قدمناهم الى البحر • ومن الناس من قال ازلفنا اي حبسنا فرعون وقومه عند طلبهم موسى عليه السلام بان اظلمنا عليهم الدنيا بسحابة وقفت عليهم فوقفوا حيارى • وقرئ وازلقنا بالقاف اي ازللنا اقدامهم والمعنى اذهبنا عزهم ويحتمل ان يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني اسرائيل يبسا فزلقهم فيه • البحث الثاني انه تعالى اضاف ذلك الازلاف الى نفسه مع ان اجتماعهم هنالك في طلب موسى كفر فاجاب الجبائي عنه من وجهين • الاول انما فعلوا ذلك بامر الله تعالى فلما كان مسيرهم بتدبيره وهم لا يشعرون بذلك اضافه الى نفسه توسعا • وهذا كما لو سعى احدنا في طلب غلام له فيجوز ان يقول اتعبني الغلام لما حدث ذلك عند فعله • الثاني قيل وازلفناهم اي ازلفناهم الى الموت لاجل انهم في ذلك الوقت قربوا من اجلهم • وانشد • شعر •

• وكل يوم مضى او ليلة سلفت • فيها النفوس الى الآجال تزدلف •

واجاب الكعبي عنه من وجهين • الاول انه تعالى لما حلم عنهم وترك البحر لهم يبسا وطمعوا في عبورهم فيه جازت الاضافة كالرجل يسفه عليه صاحبه مرارا فيحلم عنه فاذا تمادى في غيه واراد قدرته عليه قال انا اخرجتك الى هذا وصيرتك اليه بحلمي لا انه يريد بذلك انه اراد ما فعل • الثاني يحتمل انه ازلفهم الى الجنة لتغرقهم عند ذلك ولكي لا يصلوا الى موسى وقومه • الجواب عن الاول ان الذي فعله بنو اسرائيل هل له اثر في استجلاب داعية قوم فرعون الى الذهاب خلفهم او ليس لهم اثر فيه • فان كان الاول فقد حصل المقصود لان فعل الله تعالى اثرا في حصول الداعية المستلزمة لذلك الازلاف وان لم يكن له اثر فيه البتة فقد زال المتعلق فوجب ان لا يحسن الاضافة • فاما تعب احدنا في طلب غلام له فانما يجوز ان يقول اتعبني هذا الغلام لما ان فعل ذلك الغلام صار كالمؤثر في حصول ذلك التعب لانه متى فعل ذلك الفعل فالظاهر انه يصير معلوما للسيد • ومتى علمه صار علمه داعيا له الى ذلك الطلب ومؤثرا فيه فحسنت الاضافة • وبالجملة فعندنا القادر لا يمكنه الفعل الا بالداعي فالداعي مؤثر في صيرورة القادر مؤثرا في ذلك الفعل فلا جرم وجبت الاضافة • والجواب عن الثاني وهو انه ازلفهم ليغرقهم فهو انه تعالى ما ازلفهم بل هم بانفسهم ازلفوا ثم حصل الغرق بعده فكيف تجوز اضافة هذا الازلاف الى الله • اما على قولنا فانه جائز لانه تعالى هو الذي خلق الداعية المستلزمة لذلك الازلاف والجواب عن الثالث وهو انه تعالى حلم عنهم حلمهم على ذلك فنقول ذلك الحلم هل له اثر في استجلاب هذه الداعية ام لا • ويأتي التقرير كما تقدم • والجواب عن الرابع هو بعينه الجواب عن الثاني • اما قوله تعالى وانجينا موسى ومن معه اجمعين • ثم اغرقنا الآخرين • فالمعنى انه تعالى جعل البحر يبسا في حق موسى وقومه حتى خرجوا منه • واغرق فرعون وقومه لانه لما تكامل دخولهم البحر انطبق الماء عليهم فغرقوا في ذلك الماء • اما قوله ان في ذلك لآية فالمعنى ان الذي حدث في البحر آية عجيبة من الآيات العظام الدالة على قدرته لان احدا من البشر لا يقدر عليه وعلى حكمته من حيث وقع ما كان مصلحة في الدين والدنيا وعلى صدق موسى من حيث كان معجزة له وعلى اعتبار المعتبرين به ابدا فيصير تحذيرا من الاقدام على مخالفة امر الله وامر رسوله • ويكون فيه اعتبار لمحمد عليه السلام فانه قال عقيب ذلك وما كان اكثرهم مؤمنين • وفي ذلك تسلية له بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات عليه فنبه تعالى بهذا الذكر على ان له اسوة بموسى وغيره فان الذي ظهر على موسى من هذه المعجزات العظام التي تبهر العقول لم يمنع من ان اكثرهم كذبوا وكفروا

بهم مع مشاهدتهم

به مع مشاهدتهم لما شاهدوه في البحر وغيره • وكذلك انت يا محمد لا تعجب من تكذيب اكثرهم لك واصبر على ايذائهم فلعلهم ان يصلحوا ويكون في هذا الصبر تأكيد الحجة عليهم • واما قوله وان ربك لهو العزيز الرحيم فتعلقه بما قبله ان القوم مع مشاهدة الآيات الباهرة كفروا ثم انه تعالى كان عزيزا قادرا على ان يهلكهم • ثم انه تعالى ما اهلكهم بل افاض عليهم انواع رحمته فدل على كمال رحمته وسعة جوده وفضله • القصة الثانية قصة ابرهيم عليه السلام

قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين • اعلم انه تعالى ذكر في اول السورة شدة حزن محمد عليه السلام بسبب كفر قومه • ثم ذكر قصة موسى عليه السلام ليعرف محمدا ان مثل تلك المحنة كانت حاصلة لموسى • ثم ذكر عقيبها قصة ابرهيم عليه السلام ليعرف محمدا ان حزن ابرهيم عليه السلام بهذا السبب كان اشد من حزنه لان من عظيم المحنة على ابرهيم عليه السلام ان يرى اباه وقومه في النار وهو لا يتمكن من انقاذهم الا بقدر الدعاء والتنبيه فقال لهم ما تعبدون • وكان ابرهيم عليه السلام يعلم انهم عبدة اصنام ولكن سألهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء كما تقول لتاجر الرقيق ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق • ثم تقول الرقيق جمال وليس بمال • فاجابوا ابرهيم بقولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين والعكوف الاقامة على الشيء وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل • واعلم انه كان يكفيهم في الجواب ان يقولوا نعبد اصناما ولكنهم ضموا اليه زيادة على الجواب وهو قولهم فنظل لها عاكفين • وانما ذكروا هذه الزيادة اظهارا لما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار بعبادة الاصنام فقال ابرهيم عليه السلام منبها على فساد مذهبهم هل يسمعونكم على تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم • وقرأ قتادة هل يسمعونكم اي هل يسمعون الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك • وتقرير هذه الحجة التي ذكرها ابرهيم عليه السلام ان الغالب من حال من يعبد غيره ان يلتجئ اليه في المسألة وان يعرف مراده وان يسمع دعاءه ثم يستجيب له في بذل منفعة ودفع مضرة فقال لهم فاذا كان من تعبدونه لا يسمع دعاءكم حتى يعرف مقصودكم ولو عرف ذلك لما صح ان يبذل النفع او يدفع الضرر فكيف يستجيز ان تعبدوا ما هذا وصفه • فعند هذه الحجة القاهرة لم يجد ابوه وقومه ما يدفعون به هذه الحجة فعدلوا الى ان قالوا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وهذا من اقوى الدلائل على فساد التقليد ووجوب التمسك بالاستدلال اذ لو قلبنا الامر فمدحنا التقليد وذممنا الاستدلال لكان ذلك مدحا لطريقة الكفار التي ذمها الله وذما لطريقة ابرهيم عليه السلام التي مدحها الله • فاجابهم ابرهيم عليه السلام بقوله افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون ومراده به ان الباطل لا يتغير بان يكون قديما او حديثا ولا بان يكون في فاعليه كثرة او قلة • اما قوله فانهم عدو لي الا رب العالمين ففيه اسئلة • السؤال الاول كيف يكون الصنم عدوا وانه جماد • جوابه من وجوه احدها انه تعالى قال في سورة مريم في صفة الاصنام كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا فقيل في تفسيره ان الله يحيي ما عبدوه من الاصنام حتى يقع منهم التوبيخ لهم والبراءة منهم • فعلى هذا الوجه الاوثان حقيقة اعداء لهؤلاء الكفار في الآخرة فاطلق ابرهيم عليه السلام لفظ العداوة عليهم على هذا التأويل • وثانيها ان الكفار لما عبدوها وعظموها ورجوا اليها في طلب المنافع ودفع المضار نزلت منزلة العقلاء في اعتقاد الكفار • ثم انها صارت اسبابا لانقطاع الانسان عن السعادة ووصوله الى الشقاوة فلما نزلت هذه الاصنام منزلة الاحياء • وجرت مجرى الدافع للمنفعة والجالب للمضرة لا جرم جرت مجرى الاعداء فلا جرم اطلق ابرهيم عليه السلام لفظ العداوة • وثالثها المراد من قوله فانهم عدو لي عداوة من يعبدها • وقيل لم يقل ان من يعبد الاصنام عدو لي ليكون الكلام حقيقة جوابه لان تقدم ذكر ما عبدوه دون العابدين • السؤال الثاني لم قال فانهم عدو لي ولم يقل فانها عدو لكم جوابه انه عليه السلام صور المسألة في نفسه على معنى اني فكرت في امري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها • فاراهم انها نصيحة نصح بها نفسه • فاذا تفكروا قالوا ما نصحنا ابرهيم الا بما نصح به نفسه فيكون ذلك ادعى للقبول • السؤال الثالث لم لم يقل انهم اعداء جوابه العدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجماعة قال • شعر •

وقوم علي ذوي مرة • اراهم عدوا وكانوا صديقا •

ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو • وتحقيق القول فيه ما تقدم في قوله انا رسول رب • السؤال الرابع ما هذا الاستثناء • جوابه استثناء منقطع كانه قال لكن رب العالمين • قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي اطمع ان يغفر لي

خطيئتي يوم الدين اعلم انه تعالى لما حكى عنه انه استثنى رب العالمين حكى عنه ايضا ما وصفه به مما يستحق العبادة
لاجله ثم حكى عنه ما سأله عنه اما الاوصاف فاربعة اولها قوله الذي خلقني فهو يهدين واعلم ان الخلق والهداية
بهما يحصل جميع المنافع لكل من يصح الانتفاع عليه فلنتكلم في الانسان فنقول انه مخلوق فمنهم من قال هو من عالم
الخلق والجسمانيات ومنهم من قال هو من عالم الامر والروحانيات وتركيب البدن الذي هو عالم الخلق مقدم على
اعضا القلب الذي من عالم الامر على ما اخبر عنه سبحانه فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فالتسوية اشارة
الى تعديل المزاج وتركيب الامشاج ونفخ الروح اشارة الى اللطيفة الربانية التي هي من عالم الامور وايضا
قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ولما تمم مراتب تغيرات الاجسام قال ثم انشاناه خلقا آخر وذلك اشارة
الى الروح الذي هو من عالم الملائكة ولا شك ان الهداية لا تحصل الا من الروح فقد ظهر بهذه الآيات ان الخلق مقدم على
الهداية واما الحقيقة بحسب المباحث الحقيقية فهو ان بدن الانسان انما يتولد عند امتزاج المني بدم الطمث
وهما يتولدان من الاغذية المتولدة من تركيب العناصر الاربعة وتفاعلها فاذا امتزج المني بالدم فلا يزال بما فيهما
من الحار والبارد والرطب واليابس منفعلة وما في كل واحد منها من القوى كاسر سورة كيفية الاخرى فحينئذ
يحصل من تفاعلها كيفية متوسطة يستسخن بالقياس الى البارد ويستبرد بالقياس الى الحار وكذا القول في
الرطب واليابس وحينئذ يحصل الاستعداد لقبول قوى مدبرة لذلك المركب فبعضها قوى نباتية وهي التي تجذب
الغذا ثم تمسكه ثم تهضمه ثم تدفع الفضلة المؤذية ثم تقسم تلك الاجزاء بدل ما يتحلل منها ثم تزيد في جوهر
الاعضا طولا وعرضا ثم تفصل عن تلك المواد فضلة يمكن ان يتولد عنها مثل ذلك ومنها قوى حيوانية
بعضها مدركة وهي الحواس الخمسة والخيال والحفظ والذكر وبعضها فاعلة اما آمرة كالشهوة والغضب او مأمورة
كالقوى المذكورة في العضلات ومنها قوى انسانية وهي اما مدركة او عاملة والقوى المدركة وهي القوى القوية
على ادراك حقائق الاشيا الروحانية والجسمانية والعلوية والسفلية ثم انك اذا فتشت عن كل واحد من مركبات
هذا العالم الجسماني ومفرداتها وجدت لها اشيا تلائمها وتكمل حالها واشيا تنافرها وتفسد حالها ووجدت
فيها قوى جذابة للملايم دفاعة للمنافي فقد ظهر ان صلاح الحال في هذه الاشيا لا يتم الا بالخلق والهداية اما
الخلق فليصير موجودا بعد ان كان معدوما واما الهداية فبتلك القوى الجذابة للمنافع الدفاعة للمضار فثبت
ان قوله خلقني فهو يهدين كلمة حاوية لجميع المنافع في الدنيا والدين ثم ها هنا دقيقة وهي انه قال
خلقني فذكره بلفظ الماضي وقال فهو يهدين ذكره بلفظ المستقبل والسبب في ذلك ان خلق الذات لا يتجدد
في الدنيا بل ما وقع بقي الى الابد المعلوم اما هدايته تعالى فهي مما يتكرر كل حين واوان سوا كان ذلك هدايته في المنافع
الدنياوية وذلك بان يحكم الحواس بتمييز المنافع عن المضار او في المنافع الدينية وذلك بان يحكم العقل بتمييز
الحق عن الباطل والخير عن الشر فبين بذلك انه سبحانه هو الذي خلقه كسائر ما تكامل خلقه في الماضي دفعة واحدة
وانه يهديه الى مصالح الدنيا والدين بضروب الهدايات في كل لحظة وثانيها قوله والذي هو يطعمني ويسقين
وقد دخل فيه كل ما يستقل بمنافع الرزق وذلك بانه سبحانه اذا خلق له الطعام وملكه فلم يكن معه ما يتمكن به من اكله
والاغتذا به نحو الشهوة والقوة والتمييز لم تكمل هذه النعمة وذكر الطعام والشراب ونبه بذكرهما على ما عداه وثالثها
قوله واذا مرضت فهو يشفين وفيه سؤال وهو انه لم قال مرضت ولم يقل امرضني جوابه من وجوه الاول
ان كثيرا من المرض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت الحكما لو قيل لاكثر الموتى
ما سبب آجالكم قالوا التخم الثاني ان المرض انما يحدث باستيلاء بعض الاخلاط على بعض وذلك الاستيلا انما يحصل
بسبب ما بينها من التنافر الطبيعي اما الصحة فهي انما تحصل عند بقاء الاخلاط على اعتدالها وذلك انما يحصل بقاهر
يقهرها على العود الى الاجتماع والاعتدال بعد ان كانت بطباعها مشتاقة الى التفرق والنزاع فلهذا السبب اضاف
الشفا اليه سبحانه وتعالى وما اضاف المرض اليه وثالثها ان الشفا محبوب وهو من اصول النعم والمرض
مكروه وليس من النعم وكان مقصود ابرهيم عليه السلام تعديد النعم ولما لم يكن المرض نعمة لا جرم لم يضفه اليه
فان نقضته بالاماتة فجوابه ان الموت ليس بضرر لان شرط كونه ضررا وقوع الاحساس به وحال حصول الموت
لا يقع الاحساس به انما الضرر في مقدماته وذلك هو عين المرض وايضا فانك قد عرفت ان الارواح اذا احكمت
في العلوم والاخلاق كان بقاؤها في هذه الاجساد عين الضرر وخلاصها عنها عين السعادة بخلاف المرض ورابعها
قوله والذي يميتني ثم يحيين والمراد منه الاماتة في الدنيا والتخلص عن آفاتها وعقوباتها والمراد من الاحيا المجازاة
وخامسها قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فهو اشارة الى ما هو مطلوب كل عاقل من الخلاص عن العذاب

والفوز بالثواب

والفوز بالثواب واعلم ان ابرهيم عليه السلام جمع في هذه الالفاظ جميع نعم الله تعالى من اول الخلق الى آخر الابد في الدار الآخرة
ثم ها هنا اسولة السوال الاول لم قال والذي اطمع والطمع عبارة عن الظن والرجا وانه عليه السلام كان قاطعا بذلك
جوابه ان هذا الكلام لا يستقيم الا على مذهبنا حيث قلنا لا يجب على الله لاحد شي وانه يحسن منه كل شي ولا اعتراض
لاحد عليه في فعله واجاب الجبائي عنه من وجهين الاول ان قوله والذي اطمع ان يغفر لي اراد به سائر المؤمنين
لانهم الذين يطمعون ولا يقطعون به الثاني المراد من الطمع اليقين وهو مروي عن الحسن واجاب صاحب الكشاف
بانه انما ذكره على هذا الوجه تعليما منه لامته كيفية الدعا واعلم ان هذه الوجوه ضعيفة اما الاول فلان الله تعالى
حكى عنه الثنا اولا والدعا ثانيا ومن اول المدح الى آخر الدعا كلام ابرهيم عليه السلام فجعل الشي الواحد وهو قوله والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين كلام غيره مما يبطل نظم الكلام ويفسده واما الثاني وهو ان الطمع هو اليقين
فهذا على خلاف اللغة واما الثالث وهو ان الغرض منه تعليم الامة فباطل ايضا لان حاصله يرجع الى انه كذب على
نفسه لاجل تعليم الامة وهو باطل قطعا السوال الثاني لم اسند الى نفسه الخطيئة مع ان الانبيا منزهون عن الخطا
وفي جوابه وجوه ثلاثة احدها انه محمول على كذب ابرهيم عليه السلام في قوله بل فعله كبيرهم واني سقيم وقوله لسارة
انها اختي وهو ضعيف لان نسبة الكذب اليه غير جائز وثانيها انه ذكره على سبيل التواضع وهضم النفس وهذا
ضعيف لانه ان كان صادقا في هذا التواضع فقد لزم الاشكال وان كان كاذبا فيه فحينئذ يرجع حاصل الجواب الى الحاق
المعصية لاجل تنزيهه عن المعصية وثالثها وهو الجواب الصحيح ان يحمل ذلك على ترك الاولى وقد يسمى ذلك خطيئة
امكنه ان يثيبهم بالف دينار فاقتصر على دينار قيل انه اخطا وترك الاولى على الانبيا جائز السوال الثالث لم علق مغفرة
الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر في الدنيا جوابه ان اثرها يظهر يوم الدين وهو الآن خفي لا يعلم السوال الرابع
ما فائدة لي في قوله يغفر لي خطيئتي جوابه من وجوه احدها ان الاب اذا عفى عن ولده والسيد عن عبده والزوج عن
زوجته فذلك في اكثر الامر انما يكون طلبا للثواب وهربا عن العقاب وطلبا لحسن الثنا والمحمدة ودفعا للالم
الحاصل من الرقة الجنسية واذا كان كذلك لم يكن المقصود من ذلك العفو رعاية جانب المعفو عنه بل رعاية نفسه
اما لتحصيل ما ينبغي او لدفع ما لا ينبغي اما الاله سبحانه فانه كامل لذاته فيستحيل ان يحصل له صفات كمال لم تكن او يزول
عنه نقصان كان واذا كان كذلك لم يكن عفوه الا رعاية لجانب المعفو عنه فقوله والذي اطمع ان يغفر لي يعني هو الذي
اذا غفر كان غفرانه لي ولاجلي لا لاجل امر عايد اليه البتة وثانيها كانه قال خلقتني لا لي فانك حين خلقتني ما كنت موجودا
واذا لم اكن موجودا استحال تحصيل شي لاجلي ثم مع هذا فانت خلقتني اما لو عفوت كان ذلك العفو لاجلي فلما خلقتني
[illegible]
رب هب لي حكما والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعل لي من ورثة جنة النعيم واغفر لابي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم
[illegible]

الاول قوله رب هب لي حكما والحقني بالصالحين وقد اجابه الله حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين وفيه مطالب
احدها انه لا يجوز تفسير الحكم بالنبوة لان النبوة كانت حاصلة فلو طلب النبوة لكانت النبوة المطلوبة اما عين
النبوة الحاصلة او غيرها والاول محال لان تحصيل الحاصل محال والثاني محال لانه يمتنع ان يكون الشخص
الواحد نبيا مرتين بل المراد من الحكم ما هو كمال القوة النظرية وذلك بادراك الحق ومن قوله والحقني بالصالحين
كمال القوة العملية وذلك بان يكون عاملا بالخير وان كمال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به وانما
قدم قوله هب لي حكما على قوله والحقني بالصالحين لان القوة النظرية مقدمة على القوة العملية بالشرف وبالذات
ايضا فانه يمكنه ان يعلم الحق وان لم يعمل الخير وعكسه غير ممكن ولان العلم صفة الروح والعمل صفة البدن ولما
كان الروح اشرف من البدن كان العلم افضل من العمل وانما فسرنا معرفة الاشيا بالحكم وذلك لان الانسان لا يعرف
حقائق الاشيا الا اذا استحضر في ذهنه صور الماهيات ثم نسب بعضها الى بعض بالنفي او بالاثبات وتلك
النسبة هي الحكم ثم ان كانت النسب الذهنية مطابقة للنسب الخارجة كانت النسب الذهنية ممتنعة التغير وكانت
مستحكمة قوية فمثل ذلك الادراك يسمى حكمة وحكما وهو المراد من قوله عليه الصلاة والسلام ارنا الاشيا كما هي
واما الصلاح فهو ان تكون القوة العملية متوسطة بين رذيلتي الافراط والتفريط وذلك لان الافراط في احد الجانبين
تفريط في الجانب الآخر وبالعكس فالصلاح لا يحصل الا بالاعتدال ولما كان الاعتدال الحقيقي شيا واحدا لا يقبل
القسمة البتة والافكار البشرية في هذا العالم قاصرة عن ادراك امثال هذه الاشيا لا جرم لا ينفك البشر عن الخروج
عن ذلك الحد وان قل الا ان خروج المقربين عنه يكون في القلة بحيث لا يحس به وخروج العصاة عنه يكون متفاحشا
جدا فقد ظهر من هذا التحقيق ما قيل حسنات الابرار سيات المقربين وظهر احتياج ابرهيم عليه السلام الى ان يقول
والحقني بالصالحين المطلب الثاني لما ثبت ان المراد من الحكم العلم ثبت انه عليه السلام طلب من الله ان يعطيه العلم بالله
تعالى وبصفاته وهذا يدل على ان معرفة الله تعالى لا تحصل في قلب العبد الا بخلق الله تعالى وقوله والحقني بالصالحين
تدل على ان يكون العبد صالحا ليس الا بخلق الله تعالى وحمل هذه الاشيا على الالطاف بعيد لان عند الخصم كل ما قدره الله تعالى
من الالطاف فقد فعله فلو صرفنا الدعا اليه لكان ذلك طلبا لتحصيل الحاصل وهو فاسد المطلب الثالث
ان الحكم المطلوب في الدعا اما ان يكون هو العلم بالله او بغيره والثاني باطل لان الانسان حال كونه مستحضرا العلم
بالشي لا يمكنه ان يكون مستحضرا للعلم بشي آخر فلو كان المطلوب بهذا الدعا العلم بغير الله لكان ذلك شاغلا
عن الاستغراق فاذا المطلوب بهذا الدعا هو العلم بالله ثم ذلك العلم اما ان يكون هو العلم بالله الذي هو
شرط صحة الايمان او غيره والاول باطل لانه لما وجب ان يكون حاصلا لكل المومنين فكيف لا يكون حاصلا عند
ابرهيم واذا كان حاصلا عنده امتنع طلب تحصيله فثبت ان المطلوب بهذا الدعا درجات في معرفة الله
تعالى ازيد من العلم بوجوده وبانه ليس بمتحيز ولا حال في المتحيز وبانه عالم قادر حي وما ذاك الا الوقوف على
صفات الجلال او الوقوف على حقيقة الذات وظهور نور تلك المعرفة في القلب ثم هناك احوال لا يعبر عنها المقال
ولا يشرحها الخيال ومن اراد ان يصل اليها فليكن من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر المطلب
الرابع قوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين وفيه ثلاث تاويلات التاويل الاول انه عليه السلام ابتدا
بما هو الكمال الذاتي للانسان في الدنيا والآخرة وهو طلب الحكم الذي هو العلم ثم طلب بعده كمالات الدنيا
وبعد ذلك طلب كمالات الآخرة اما كمالات الدنيا فبعضها داخلية وبعضها خارجية اما الداخلية فهي الخلق الظاهر
والخلق الباطن اشد والخلق الظاهر اشد جسمانية والخلق الباطن اشد روحانية فترك ابرهيم عليه السلام
الامر الجسماني وهو الخلق الظاهر وطلب الامر الروحاني وهو الخلق الباطن وهو المراد بقوله والحقني بالصالحين
اما الخارجية فهي المال والجاه والمال اشد جسمانية والجاه اشد روحانية فترك ابرهيم الامر الجسماني وهو
المال وطلب الامر الروحاني وهو الجاه والذكر الجميل الباقي على وجه الدهر وهو المراد بقوله واجعل لي لسان صدق
في الآخرين قال ابن عباس وقد اعطاه ذلك بقوله وتركنا عليه في الآخرين فان قيل واي غرض له في ان يثني عليه ويمدح
فجوابه من وجهين الاول وهو لسان الجهال ان الارواح البشرية قد بينا انها موثرة في الجملة الا ان بعضها قد يكون ضعيفا
فيعجز عن التاثير فاذا اجتمعت طايفة منها فربما قوي مجموعها على ما عجز الاحاد عنه وهذا المعنى شاهد في الموثرات
الجسمانية اذا ثبت هذا فالانسان الواحد اذا كان بحيث يثني عليه الجم العظيم ويمدحونه فربما صار انصراف هممهم
عند الاجتماع اليه سببا لحصول زيادة كمال له الثاني وهو على لسان الكمال ان من صار ممدوحا فيما بين الناس بسبب
ما عنده من الفضايل فانه يصير ذلك المدح وتلك الشهرة داعيا لغيره الى اكتساب تلك الفضايل التاويل الثاني

انه سال ربه

انه سال ربه ان يجعل من ذريته في آخر الزمان من يكون داعيا الى الله تعالى وذلك هو محمد عليه الصلاة والسلام
فالمراد من قوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين بعثة محمد صلى الله عليه وسلم التاويل الثالث قال بعضهم المراد
اتفاق اهل الاديان على حبه ثم ان الله اعطاه ذلك لانك لا ترى اهل دين الا ويتولون ابرهيم عليه السلام وقدح
بعضهم فيه وذلك لانه لا تقوى الرغبة في مدح الكافر وجوابه انه ليس المقصود مدح الكافر من حيث
هو كافر بل المقصود ان يكون ممدوح كل لسان ومحبوب كل قلب المطلوب الثالث قوله واجعلني من ورثة جنة النعيم
اعلم انه لما طلب سعادة الدنيا طلب بعدها سعادة الآخرة وهي جنة النعيم وشبهها بما يورث لانه الذي يغتنم في
الدنيا فشبه نعيم الدنيا المطلوب الرابع قوله واغفر لابي انه كان من الضالين اعلم انه لما فرغ من طلب السعادات
الدنيوية والاخروية لنفسه طلبها لاشد الناس التصاقا به وهو ابوه فقال واغفر لابي ثم فيه وجهان الاول
ان المغفرة مشروطة بالاسلام وطلب المشروط متضمن لطلب الشرط فقوله واغفر لابي ترجع حاصله الى انه دعا له
بالاسلام الثاني ان اباه وعده الاسلام كما قال تعالى وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه
فالدعا بهذا الشرط جائز للكافر فلو كان دعاؤه مشروطا لما منعه الله عنه الثالث ان اباه قال له انه على دينه
باطنا وعلى دين نمرود ظاهرا تقية وخوفا فدعا له لاعتقاده ان الامر كذلك فلما تبين له خلاف ذلك تبرا منه ولذلك قال
في دعايه انه كان من الضالين فلولا اعتقاده فيه انه في الحال ليس بضال لما قال ذلك المطلوب الخامس قوله ولا
تخزني يوم يبعثون قال صاحب الكشاف الاخزا من الخزي وهو الهوان او من الخزاية وهي الحيا وههنا ابحاث
احدها ان قوله ولا تخزني يدل على انه لا يجب على الله شي على ما بيناه في قوله والذي اطمع ان يغفر لي وثانيها ان لقايل ان
يقول لما قال اولا واجعلني من ورثة جنة النعيم ومتى حصلت الجنة امتنع حصول الخزي فكيف قال بعده ولا تخزني
يوم يبعثون وايضا فقد قال ان الخزي اليوم والسو على الكافرين فما كان نصيب الكافر فقط فكيف يخافه المعصوم جوابه
كما ان حسنات الابرار سيات المقربين فكذا درجات الابرار دركات المقربين وخزي كل احد ما يليق به وثالثها قال
صاحب الكشاف في يبعثون ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين اما قوله الا من اتى الله بقلب سليم فاعلم ان الله
تعالى اكرمه بهذا الوصف حيث قال وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ثم في هذا الاستثنا وجوه احدها
اذا قيل لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب
له بدلا عن ذلك فكذا في هذه الآية وثانيها ان تحمل الكلام على المعنى ويجعل المال والبنون في معنى الغنى كانه قيل
يوم لا ينفع غنى الاغنيا الا من اتى الله بقلب سليم اي غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه (بماله)
وثالثها ان تجعل من مفعولا لينفع اي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث
ارشدهم الى الدين ويجوز على هذا الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين اما السليم ففيه ثلاثة اوجه الاول
وهو الاصح ان المراد منه سلامة القلب عن الجهل والاخلاق الرذيلة وذلك لانه كما ان صحة البدن وسلامته عبارة
عن حصول ما ينبغي من المزاج والتركيب والاتصال ومرضه عبارة عن زوال احد تلك الامور فكذلك سلامة القلب
عبارة عن حصول ما ينبغي له وهو العلم والخلق الفاضل ومرضه عبارة عن زوال احدهما فقوله الا من اتى الله بقلب
سليم اي يكون خاليا عن العقايد الفاسدة والميل الى شهوات الدنيا ولذاتها فان قيل ظاهر هذه الآية يقتضي ان
من سلم قلبه كان ناجيا وانه لا حاجة فيه الى سلامة اللسان واليد جوابه ان القلب موثر واللسان والجوارح (اللسان)
تبع فلو كان القلب سليما لكانا سليمين لا محالة وحيث لم يسلما ثبت عدم سلامة القلب التاويل الثالث ان السليم
هو الذي سلم وسلم واسلم وسالم واستسلم والله اعلم قوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم
للغاوين وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون
وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما
اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو ان لنا كرة فنكون من المومنين ان في ذلك لآية وما
كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اعلم ان ابرهيم عليه السلام ذكر في وصف هذا اليوم امورا احدها
قوله وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين والمعنى ان الجنة قد تكون قريبة من موقف السعدا ينظرون اليها
ويفرحون بانهم المحشورون اليها والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقيا بمراى منهم يتحسرون على انهم المسوقون اليها
قال الله تعالى في صفة اهل الثواب وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال في صفة اهل العقاب فلما راوه زلفة
سيت وجوه الذين كفروا وانما يفعل الله تعالى ذلك ليكون سرورا معجلا للمومنين وغيظا عظيما للكافرين وثانيها
قوله وقيل لهم اينما كنتم الى قوله وجنود ابليس اجمعون والمعنى هل الهتكم ينفعونكم بنصرهم او هل ينفعون انفسهم

بانتصارهم لانهم والهتهم وقود النار وهو قوله فكبكبوا فيها هم والغاوون وعبدتهم الذين برزت
لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة
بعد مرة حتى يستقر في قعرها • وجنود ابليس متبعوه من عصاة الانس والجن • وثالثها قوله قالوا وهم فيها
يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين • واعلم ان ظاهر ذلك من عبدة خاصم المعبود
وخاطبه بهذا الكلام فليس يخلو حال الاصنام من وجهين اما ان يخلقها تعالى في الاخرة جمادا يعذب بها اهل النار
فحينئذ يصح ان يخاطب ويجب حمل قولهم اذ نسويكم على انه ليس يخاطب فيهم او يقال انه تعالى يحييها في النار • وذلك
ايضا غير جائز لانه لا ذنب لها بان عبدها غيرها • فالاقرب انهم ذكروا ذلك لما راوا صورها على وجه الاعتراف
بالخطا العظيم • وعلى وجه الندامة لا على سبيل المخاطبة والذي يحمل على انه خطاب في الحقيقة قولهم وما اضلنا
الا المجرمون وارادوا بذلك من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وهو قوله ربنا انا اطعنا سادتنا
وكبراءنا فاضلونا السبيلا • فاما قولهم فما لنا من شافعين كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ولا
صديق كما نرى لهم اصدقاء لانه لا يتصادق في الاخرة الا المؤمنون • واما اهل النار فبينهم التعادي والتباغض
قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين • فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم
شفعاء اصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في اصنامهم انهم شفعاء عند الله • وكان لهم الاصدقاء من شياطين
الانس وارادوا انهم لما وقعوا في مهلكة علموا ان الشفعاء والاولياء الاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصد
بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم العدم • والحميم من الاحمام وهو الاهتمام وهو الذي
يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص • وانما جمع الشفعاء ووحد الصديق لكثرة الشفعاء
في العادة وقلة الصديق • فان الرجل الممتحن بارهاق ظالم قد نهض جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته رحمة
له • واما الصديق وهو الصادق في ودادك فاعز من بيض الانوق • ويجوز ان يريد بالصديق الجمع • ثم حكى
تعالى عنهم قولهم فلو ان لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير • ويجوز ان يكون على اصلها
ويحذف الجواب • وهو لفعلنا كيت وكيت قال الجبائي ان قولهم فنكون من المؤمنين ليس بخبر عن ما لهم
لكنه خبر عن عزمهم لانه لو كان خبرا عن ما لهم لوجب ان يكون صدقا لان الكذب لا يقع من اهل الاخرة • وقد
اخبر الله تعالى بخلاف ذلك في قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد تقدم في سورة الانعام فساد هذا
الكلام • ثم بين سبحانه ان فيما ذكره من قصة ابرهيم عليه السلام لاية لمن اراد ان يستدل بذلك ثم قال وما كان
اكثرهم مؤمنين • والاكثرون من المفسرين حملوه على قوم ابرهيم عليه السلام بين تعالى انه مع كل هذه الدلائل
فاكثر قومه لم يؤمنوا به • فيكون هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم • واما قوله وان ربك لهو العزيز الرحيم
فمعناه انه قادر على تعجيل الانتقام لكنه رحيم بالامهال لكي يؤمنوا والله اعلم

القصة الثالثة قصة نوح عليه السلام

قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون اني
لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
فاتقوا الله واطيعون ~~وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين~~ فاتقوا الله واطيعون
قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون
وما انا بطارد المؤمنين ان انا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب
ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون
ثم اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
اعلم انه تعالى لما اقتص على محمد صلى الله عليه وسلم خبر موسى وابرهيم تسلية له فيما يلقاه من قومه اقتص عليه
ايضا نبا نوح فقد كان نباه اعظم من نبا غيره لانه كان يدعوهم الف سنة الا خمسين عاما ومع ذلك كذبه
قومه فقال كذبت قوم نوح • وانما قال كذبت لان القوم مؤنثة • وتصغيرها قويمة • وانما حكى
عنهم انهم كذبوا المرسلين لوجهين • احدهما انهم وان كذبوا نوحا لكن تكذيبه في المعنى يتضمن تكذيب غيره
لان طريق معرفة الرسل لا يختلف • فمن حيث المعنى حكى عنهم انهم كذبوا المرسلين • وثانيهما ان قوم نوح كذبوا
بجميع رسل الله اما لانهم كانوا من الزنادقة او من البراهمة • واما قوله اخوهم فلانه كان منهم من قول العرب
يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم • ثم انه سبحانه حكى عن نوح عليه السلام انه اولا خوفهم • وثانيا انه
وصف نفسه • اما التخويف فهو قوله الا تتقون • واعلم ان القوم ما قبلوا تلك الاديان للتقليد • والمقلد

اذا خوف خاف وما لم يحصل الخوف في قلبه لا يشتغل بالاستدلال • فلهذا السبب قدم على جميع كلامه قوله الا تتقون
واما وصفه نفسه فذلك بامرين • احدهما قوله اني لكم رسول امين وذلك لانه كان فيهم مشهورا بالامانة كمحمد
عليه الصلاة والسلام في قريش فكانه قال كنت امينا قبل فكيف تتهموني اليوم • وما اسئلكم عليه من اجر اي على ما انا
فيه من ادعاء الرسالة لئلا يظن به انه دعاهم للرغبة • فان قيل ولم ذكر الامر بالتقوى • جوابه لانه في الاول
اراد الا تتقون مخالفتي وانا رسول الله • وفي الثاني الا تتقون مخالفتي ولست اخذ منكم اجرا فهو في المعنى مختلف
ولا تكرار فيه • وقد يقول الرجل لغيره الا تتقي الله في عقوقي وقد ربيتك صغيرا الا تتقي الله في عقوقي وقد علمتك
كبيرا • وانما قدم الامر بتقوى الله على الامر بطاعته لان تقوى الله علة لطاعته فقدم العلة على المعلول • ثم
ان نوحا عليه السلام لما قال ذلك اجابوا بقولهم انؤمن لك واتبعك الارذلون قال صاحب الكشاف قرئ واتباعك
الارذلون جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال • والواو للحال وحقها ان يضمر بعدها قد في واتبعك
وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في قوله الذين هم اراذلنا • والرذالة والنذالة الخسة • وانما استرذلوهم
لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا • وقيل كانوا من اهل الصناعات الخسيسة كالحياكة والحجامة • واعلم ان
هذه الشبهة في نهاية الركاكة لان نوحا عليه السلام بعث الى الخلق كافة ولا يختلف الحال في ذلك بسبب الفقر والغنى وشرف
المكاسب ودناءتها • فاجابهم نوح عليه السلام بالجواب الحق وهو قوله وما علمي بما كانوا يعملون وهذا الكلام يدل
على انهم نسبوهم مع ذلك الى انهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما امنوا بالهوى والطمع كما حكى الله تعالى عنهم
في قولهم الذين هم اراذلنا بادي الراي ثم قال ان حسابهم الا على ربي معناه لا يعتبر الا الظاهر من امرهم دون
ما يخفى • ولما قال ان حسابهم الا على ربي وكانوا لا يصدقون بذلك اردفه بقوله لو تشعرون • ثم قال وما انا
بطارد المؤمنين وذلك كالدلالة على ان القوم سالوا ابعادهم لكي يتبعوه وليكونوا اقرب الى ذلك فبين
ان الذي يمنعه عن طردهم انهم امنوا به • ثم بين ان عرضه بما حمل من الرسالة يمنع من ذلك بقوله ان انا الا نذير
مبين • والمراد اني اخوف من كذبني ولم يقبل مني • فمن قبل فهو القريب ومن رد فهو البعيد • ثم ان نوحا لما
تمم هذا الجواب لم يكن منهم الا التهديد فقالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين • والمعنى انهم خوفوه
بان تقتل بالحجارة فعند ذلك حصل الياس لنوح من فلاحهم وقال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا وليس الغرض
منه اخبار الله بالتكذيب لعلمه انه عالم الغيب والشهادة ولكنه اراد اني لا ادعوك عليهم لما اذوني وانما ادعوك
لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك فافتح بيني وبينهم فتحا اي فاحكم • والفتاحة الحكومة
والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق • والمراد من هذا الحكم انزال العقوبة عليهم لانه قال عقيبه ونجني ولو لم
يكن المراد انزال العقوبة [illegible] وقد تقدم القول في قصته مشروحا في سورة الاعراف
وسورة هود • ثم قال تعالى فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون قال صاحب الكشاف الفلك السفينة وجمعه
فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر • فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد • والمشحون المملوء [illegible]
[illegible]

القصة الرابعة قصة هود عليه السلام

[illegible]

لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا او تشبه حالكم حال من يخلد • وفي حرف ابي كانكم • وقرئ تخلدون بضم التا
مخففا ومشددا • واعلم ان الاول انما صار مذموما لدلالته اما على السرف او على الخلا • والثاني انما صار مذموما
لدلالته على طول الامل والغفلة عن ان الدنيا دار ممر لا دار مقر • وثالثها قوله واذا بطشتم بطشتم جبارين
فبين انهم مع ذلك السرف والحرص • فان معاملتهم معاملة الجبارين • وقد بينا في غير هذا الموضع ان هذا الوصف
في العباد ذم وان كان في وصف الله تعالى مدحا وكل من يقدم على الغير لا على طريق الحق ولكن على طريق الاستعلا
يوصف بان بطشه بطش جبار • وحاصل الامر في هذه الامور الثلاثة ان اتخاذ الابنية العالية تدل على حب
العلو واتخاذ المصانع تدل على حب البقا والجبارية تدل على حب التفرد بالعلو وهذه صفات الهية ممتنعة
الحصول للعبد • تدل ذلك على ان حب الدنيا قد استولى عليهم بحيث استغرقوا فيه وخرجوا عن حد العبودية
وحاموا حول ادعا الربوبية وكل ذلك ينبه على ان حب الدنيا راس كل خطيئة وعنوان كل كفر ومعصية • ثم
لما ذكر هود عليه السلام هذه الاشيا قال فاتقوا الله واطيعون زيادة في دعائهم الى الآخرة وزجرا لهم عن حب
الدنيا والاشتغال بالسرف في الحرص والتجبر ثم وصل بهذا الوعد بما يؤكد القبول وهو التنبيه على نعم الله عليهم
بالاجمال اولا • ثم بالتفصيل ثانيا ليما يوقظهم عن سنة غفلتهم عنها حتى قال امدكم بما تعلمون • ثم فصلها من بعد
بقوله امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم فبلغ في دعائهم بالوعظ والترغيب
والتخويف • والبيان النهاية • وكان جوابهم سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين اظهروا قلة اكتراثهم
بكلامه واستخفافهم بما اورده • فان قيل لو قال اوعظت ام لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد • وجوابه
ليس المعنى بواحد لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ او لم تكن اصلا من اهله ومباشرته
فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك او لم تعظ • ثم احتجوا على قلة اكتراثهم بكلامه بقولهم ان هذا
الا خلق الاولين • فمن قرا الا خلق الاولين بالفتح فمعناه ان ما جئت به اختلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا
اساطير الاولين وما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية نحيي كحياتهم ونموت كمماتهم ولا بعث ولا حساب
ومن قرا خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه
ونحن بهم مقتدون • او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر وما
وما هذا الذي جئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه • ثم قالوا وما نحن بمعذبين
اظهروا بذلك تقوية نفوسهم مما تمسكوا به من انكار المعاد فعند هذا بين الله تعالى انه اهلكهم وقد سبق شرح كيفية
الهلاك في سائر السور • القصة الخامسة قصة صالح عليه السلام • قوله تعالى كذبت ثمود المرسلين
اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين اتتركون فيما هاهنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من
الجبال بيوتا فرهين فاتقوا الله واطيعون ~~وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري~~ ولا تطيعوا امر المسرفين
الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا انما انت من المسحرين ما انت الا بشر مثلنا فات باية ان كنت
من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم
عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم اعلم ان صالحا عليه السلام خاطب قومه بامور • احدها قوله اتتركون فيما هاهنا آمنين
اي تظنون انكم تتركون في دياركم آمنين وتطمعون في ذلك وان لا دار للمجازاة • وقوله فيما هاهنا آمنين
في الذي استقر في هذا المكان من النعيم • ثم فسره بقوله في جنات وعيون • وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل •
فان قيل لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل • جوابه من وجهين • الاول ان يخص النخل
بافراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على فضله على سائر الاشجار • والثاني ان يريد بالجنات غيرها
من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل • والطلع هو الذي يطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه
شماريخ • والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم • وقيل الهضيم اللين النضيج كانه قال ونخل قد ارطب
ثمره • وثانيها قوله وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين • قرا الحسن وتنحتون بفتح الحا • وقرئ فرهين وفارهين
والفراهة الكيس والنشاط • فقوله فارهين حال عن الناحتين • واعلم ان ظاهر هذه الآيات تدل على ان الغالب
على قوم هود هو اللذات الخيالية وهي طلب الاستعلا والبقا والتفرد والتجبر • والغالب على قوم صالح هو اللذات
الحسية وهي طلب الماكول والمشروب والمساكن الطيبة الحصينة • وثالثها قوله ولا تطيعوا امر المسرفين

الدنيا دار ممر لا دار مقر

ان حب الدنيا راس كل خطيئة وعنوان كل كفر ومعصية

وهذا الثاني

وهذا اشارة الى انه يجب الاكتفا من الدنيا بقدر الكفاف ولا يجوز التوسع في طلبها والاكثار من لذاتها وشهواتها
فان قيل ما فائدة قوله ولا يصلحون وجوابه فائدته بيان ان فسادهم فساد خالص ليس معه شي من الصلاح • ثم ان
القوم اجابوه من وجهين • الاول قوله انما انت من المسحرين • وفيه وجوه • احدها المسحر هو الذي سحر كثيرا
حتى غلب على عقله • وثانيها من المسحرين اي ممن له سحر وكل دابة تاكل مسحر والسحر اعلى البطن • وعن الفرا المسحر من له
جوف اراد وانك تاكل الطعام والشراب • وثالثها عن المورخ المسحر المخلوق بلغة بجيلة • وثانيهما قولهم ما انت
الا بشر مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين • وهذا يحتمل امرين • الاول انك بشر مثلنا فكيف تكون نبيا وهذا
بمنزلة ما كانوا يذكرون في الانبيا انهم لو كانوا صادقين لكانوا من جنس الملائكة • الثاني ان يكون مرادهم انك بشر
مثلنا فلا بد لك في اثبات نبوتك من الدليل فقال صالح عليه السلام هذه ناقة لها شرب • وقرئ بالضم • روي
انهم قالوا نريد ناقة عشرا تخرج من هذه الصخرة تلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل عليه السلام صل
ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم وحصل لها سقب مثلها في العظم • ووصاهم صالح
عليه السلام بامرين • الاول قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم • قال قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم
كله وشربهم في اليوم الذي لا تشرب فيه • والثاني قوله ولا تمسوها بسوء اي بضرب او عقر او غيرهما فياخذكم
عذاب يوم عظيم • عظم اليوم لحلول العذاب فيه • ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم
بسببه كان موقعه من العظم اشد • ثم انه سبحانه حكى عنهم انهم عقروها • روي ان مسطعا الجاها الى مضيق في ماء
بينهم فسقطت • ثم ضربها قدار • فان قيل لم اخذهم العذاب وقد ندموا • جوابه من وجهين • الاول
انه لم يكن ندمهم ندم التائبين لكن ندم الخائفين من العقاب العاجل • الثاني ان الندم وان كان ندم التائبين ولكن
كان ذلك في غير وقت التوبة بل عند معاينة العذاب • قال تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية
واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم • القصة السادسة قصة لوط عليه السلام • قوله تعالى
كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم
من ازواجكم بل انتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال اني لعملكم من القالين رب
نجني واهلي مما يعملون فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم اما قوله تعالى اتاتون الذكران من العالمين فيحتمل عوده الى الآتي اي من جملة العالمين [illegible]

[illegible]

مصدع

فلان من العلماء ابلغ من قولك فلان عالم

علم وقوع هذه الاشيا فعدمها محال لان عدمها مستلزم انقلاب العلم جهلا وهو محال والمفضي الى المحال محال
واذا كان عدمها محالا كان التكليف بالترك تكليفا بالمحال • الثاني ان القادر لما كان قادرا على الضدين امتنع
ترجيح المقدورين على الاخر الا لمرجح وهو الداعي والارادة • وذلك المرجح محدث فله موثر وذلك الموثر ان
كان هو العبد لزم التسلسل وهو محال • وان كان هو الله تعالى فذاك الجبر على قولك • فثبت بهذين البرهانين
القاطعين سقوط ما قاله • القصة السابعة قصة شعيب عليه السلام • قوله تعالى كذب اصحاب
الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس
المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة
الاولين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا
من السما ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم
عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قرى اصحاب الايكة بالهمز
وتخفيفها على الاضافة وهو الوجه • ومن قرا بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط
المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير الف لكن قد كتبت في سائر القران على الاصل والقصة
واحدة على ان ليكة اسم لا يعرف • وروي ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف • فكانت الشجرة هي الدوم المقل
فان قيل هلا قال اخوهم شعيب كما في سائر المواضع جوابه ان شعيبا لم يكن من اصحاب الايكة • وفي الحديث ان
شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة • ثم ان شعيبا عليه السلام امرهم باشيا • احدها قوله اوفوا الكيل
ولا تكونوا من المخسرين • وذلك لان الكيل على ثلاثة اضرب • واف • وتطفيف • وزائد • فامر بالواجب
الذي هو الايفاء بقوله اوفوا الكيل ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف بقوله ولا تكونوا من المخسرين • ولم يذكر
الزائد لانه ان فعله فقد احسن • وان لم يفعله فلا عليه • ثم كما امر بالايفاء بين انه كيف يفعل فقال وزنوا
بالقسطاس المستقيم • قرى بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان • وقيل القرسطون • وثانيها
قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم • يقال بخسه حقه اذا نقصه اياه • وهذا عام في كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم
وفي كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا شرعيا • وثالثها قوله ولا تعثوا في الارض
مفسدين • يقال عثى في الارض وعثي وعاث • وذلك نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع
وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع الفساد • فنهوا عن ذلك • ورابعها قوله واتقوا الذي خلقكم والجبلة
الاولين • وقرئ الجبلة بوزن الابلة • والجبلة بوزن الخلقة • ومعناهما واحد اي ذوي الجبلة • والمراد
انه المتفضل بخلقهم وخلق من تقدمهم ممن لولا خلقهم لما كانوا مخلوقين فلم يكن للقوم جواب الا ما لو تركوه
لكان اولى بهم • وهو من وجهين • الاول قولهم انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا • فان قيل هل اختلف
المعنى بادخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود جوابه اذا ادخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف
للرسالة وهي التسحير والبشرية • واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا • ثم قرره بكونه
بشرا مثلهم • الثاني قولهم وان نظنك لمن الكاذبين • ومعناه ظاهر • ثم ان شعيبا عليه السلام كان توعدهم
بالعذاب ان استمروا على التكذيب • فقالوا فاسقط علينا كسفا من السما • قرى كسفا بالسكون والحركة وكلاهما
جمع كسفة وهي القطعة • والسما السحاب او المظلة • وهم انما طلبوا ذلك لاستبعادهم وقوعه • فظنوا
انه اذا لم يقع ظهر كذبه فعنده قال شعيب ربي اعلم بما تعملون فلم يدع عليهم بل فوض الامر فيه الى الله فلما
استمروا على التكذيب انزل الله عليهم العذاب على نحو ما اقترحوه من عذاب الظلة ان ارادوا بالسما السحاب
وان ارادوا الظلة فقد خالف عن مقترحهم • يروى انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الرمل فاخذ
بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ما فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما
فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا • وروي ان شعيبا بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب
الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة • وههنا اخر الكلام في هذه القصص
السبعة التي ذكرها الله في هذه السورة تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم فيما ناله من الغم الشديد بقي ههنا
سؤالان • الاول لم لا يجوز ان يقال ان العذاب النازل بعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ما كان
ذلك من كفرهم وعنادهم بل كان بسبب قرانات الكواكب • وايضا لانها على ما اتفق عليه اهل النجوم • واذا

قام هذا

قام هذا الاحتمال لم يحصل الاعتبار بهذه القصص لان الاعتبار انما يحصل اذا لو علمنا ان نزول هذا العذاب
كان بسبب كفرهم وعنادهم • الثاني ان الله تعالى قد ينزل العذاب محنة للمكلفين • وابتلاهم على ما قال
ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين • ولانه تعالى قد ابتلى المومنين بالبلاء العظيم في مواضع كثيرة
واذا كان كذلك لم يدل نزول البلاء بهم على كونهم مبطلين • الجواب ان الله تعالى انزل هذه القصص
على محمد صلى الله عليه وسلم ان الامر كذلك تسلية له وازالة للحزن عن قلبه • فلما اخبر تعالى انه هو الذي انزل
العذاب عليهم وانه انما انزله جزاء على كفرهم على محمد صلى الله عليه وسلم ان الامر كذلك لا محالة حصل
به التسلي والفرج له عليه السلام • واحتج بعض الطاعنين على القدح في علم الاحكام بان قال المؤثر في هذه
الاشيا • اما الكواكب والبروج او كون الكواكب في البروج المعينة والاول باطل والا لحصلت هذه الاثار
ان حصل الكواكب • والثاني ايضا باطل لان الفلك على قولهم بسيط لا مركب فيكون طبع كل برج مساويا لطبع
البرج الاخر في تمام الماهية فيكون حال الكوكب وهو في برجه كحاله وهو في برج اخر فيلزم ان يدوم ذلك
الاثر بدوام الكوكب • ~~وللقوم ان يقولوا لم لا يجوز ان يكون صدور الاثر بدوام الكواكب~~ • وللقوم ان يقولوا
لم لا يجوز ان يكون صدور الاثر عن الكوكب المعين موقوفا على كونه مسامتا مسامتة مخصوصة لكواكب اخر
فاذا فقدت تلك المسامتة فقد فقد شرط التاثير فلا يحصل التاثير • ولهم ان يقولوا هذه الدلالة انما تدل
على انها ليست موثرة بحسب ذواتها وطبايعها ولكنها لا تدل على انها ليست موثرة بحسب جري العادة • فاذا اجرى
الله عادته بحسب تاثيرات مخصوصة عقيب اتصالات الكواكب وقراناتها وادوارها لم يلزم من حصول هذه
الاثار القطع بان الله تعالى ما خلقها لاجل زجر الكفار بل لعله تعالى خلقها تكريرا لتلك العادات • القول فيما
ذكره الله تعالى من احوال محمد صلى الله عليه وسلم • قوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح
الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين اعلم انه تعالى لما ختم ما اقتص من
خبر الانبيا ذكر بعد ذلك ما يدل على نبوته • وهو من وجهين • الاول قوله وانه لتنزيل رب العالمين وذلك
لانه لفصاحته معجز فيكون ذلك من رب العالمين او لانه اخبار عن القصص الماضية من غير تعلم البتة فلا يكون
ذلك الا بوحي من الله تعالى • وقوله بعده وانه لفي زبر الاولين من غير تفاوت اصلا مع انه لم يشتغل بالتعليم
البتة ولا بالاستفادة دل ذلك على انه ليس الا من عند الله تعالى • فهذا هو المقصود من الاية • فاما قوله
وانه لتنزيل رب العالمين • والمراد بالتنزيل المنزل • ثم قد كان يجوز في القران وهذه القصص ان يكون نزلا
من الله الى محمد صلى الله عليه وسلم بلا واسطة فقال نزل به الروح الامين • ثم قال تعالى نزل به الروح
جعل الله الروح نازلا به على قلبك • ومعنى نزل به الروح الامين جعل الله الروح نازلا به على قلبك اي حفظه
اثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى • والروح جبريل عليه السلام وسماه روحا لانه
مؤتمن على ما يؤديه الى الانبيا عليهم السلام والى غيرهم • واما قوله على قلبك ففيه قولان • الاول انه انما قال على
قلبك وان كان انما انزله عليه ليؤكد به ان ذلك المنزل محفوظ للرسول متمكن في قلبه لا يجوز عليه التغيير
ولان القلب هو المخاطب في الحقيقة لانه موضع التمييز والاختيار • واما سائر الاعضا فمسخرة له والدليل عليه القران
والحديث • اما القران فايات • احدها قوله في سورة البقرة فانه نزله على قلبك • وقال ههنا نزل به الروح الامين
على قلبك وقال ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب • وثانيها انه ذكر ان استحقاق الجزا ليس الا على ما في القلب من المساعي
فقال لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم • وقال لن ينال الله لحومها ولا دماؤها
ولكن يناله التقوى منكم • والتقوى في القلب لانه تعالى قال اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقال
وحصل ما في الصدور • وثالثها قوله تعالى حكاية عن اهل النار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير
ومعلوم ان العقل في القلب والسمع معدا اليه وقال ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ومعلوم
ان السمع والبصر والفؤاد لا يستفاد منهما الا ما يؤديانه الى القلب • وكان السؤال عنهما في الحقيقة سؤالا
عن القلب وقال تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ولم تخن الاعين الا بما تضمر القلوب عند التحديق
بها • ورابعها قوله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون فخص هذه الثلاثة بالزام الحجة منها
واستدعا الشكر عليها • وقوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد
والحكم عليه • وقال ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا

والكيل على ثلاثة اضرب

بل انه بسبب قرانات الكواكب

الثاني

جعل الله الروح نازلا به على قلبك

ابصارهم ولا افئدتهم من شيء فجعل هذه الثلاثة تمام ما الزمهم من الحجة والمقصود من ذلك هو الفؤاد القاضي
فيما يؤدي اليه السمع والبصر ● وخامسها قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم فجعل العذاب
لازما على هذه الثلاثة وقال لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ● ولهم اذان لا يسمعون
بها وجه الدلالة انه قصد الى نفي العلم عنهم راسا ● فلو ثبت العلم في غير القلب كثبوته في القلب لم يتم الغرض
فهذه الايات وما شاكلها ناطقة باجمعها ان القلب هو المقصود بالزام الحجة ● وقد بينا ان ما قرن بذكره من ذكر
السمع والبصر فذلك لانهما السبب في تادية صور المحسوسات والمسموعات ● واما الحديث فما روى نعمان
بن بشير قال سمعته عليه الصلاة والسلام يقول الا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت
فسد الجسد كله الا وهي القلب ● واما المعقول فوجوه ● احدها ان القلب اذا غشي عليه فلو قطع سائر
الاعضاء لم يحصل الالم فدل ذلك على ان سائر الاعضاء تبع للقلب ● ولذلك كان القلب اذا فرح او حزن فانه
يتغير حال الاعضاء عند ذلك ● وكذا القول في سائر الاعراض النفسانية ● وثانيها ان القلب منبع الشهوات
الباعثة على الافعال الصادرة من سائر الاعضاء ● واذا كانت المشتهيات مبادي للافعال ومنبعها هو القلب
كان الامير المطلق هو القلب ● وثالثها ان معدن العقل هو القلب واذا كان كذلك كان الامير المطلق هو القلب
اما المقدمة الاولى ففيها النزاع ● فان طائفة من القدماء ذهبوا الى ان معدن العقل هو الدماغ ● والذي
يدل على قولنا وجوه ● الاول قوله تعالى افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ● وقوله لهم قلوب
لا يفقهون بها ● وقوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي عقل ● اطلق عليه اسم القلب لما انه معدنه ● الثاني
انه تعالى اضاف اضداد العلم الى القلب فقال في قلوبهم مرض ختم الله على قلوبهم ● وقالوا قلوبنا غلف بل طبع
الله عليها بكفرهم ● يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم ● يقولون بالسنتهم ما ليس في
قلوبهم كلا بل ران على قلوبهم ● افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها ● فانها لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التي في الصدور ● فدلت هذه الايات على ان موضع الجهل والغفلة هو القلب فوجب ان يكون
موضع العقل والفهم ايضا هو القلب ● الثالث انا اذا جربنا انفسنا وجدنا علومنا حاصلة في ناحية
القلب ● ولذلك فان الواحد منا اذا امعن في الفكر واكثر منه احس من قلبه ضيقا وضجرا حتى كانه يتالم
بذلك ● وكل ذلك يدل على ان موضع العقل هو القلب ● واذا ثبت ذلك وجب ان يكون المكلف هو القلب
لان التكليف مشروط بالعقل والفهم ● الرابع وهو ان القلب اول الاعضاء تكونا واخرها موتا وقد ثبت
ذلك بالتشريح ولانه متمكن في الصدر الذي هو اوسط البدن ● ومن شان الملوك المحتاجين الى الخدم ان يكونوا
في وسط المملكة لتكتنفهم الخدم من الجوانب فيكونوا ابعد من الافات ● واحتج من قال العقل في الدماغ بوجوه
احدها ان الحواس تؤدي اثارها الى الدماغ لا الى القلب ● وثانيها ان الاعصاب التي هي الالات في الحركات
الاختيارية نافذة من الدماغ دون القلب ● وثالثها ان الافة اذا دخلت في الدماغ اختل العقل ● ورابعها
ان في العرف كل من اريد وصفه بقلة العقل قيل انه خفيف الدماغ خفيف الراس ● وخامسها ان العقل
اشرف فيكون مكانه اشرف ● والاعلى هو الاشرف ● وذلك هو الدماغ لا القلب فوجب ان يكون محل
العقل هو الدماغ ● والجواب عن الاول لم لا يجوز ان يقال الحواس تؤدي اثارها الى الدماغ ثم ان
الدماغ يؤدي تلك الاثار الى القلب ● فالدماغ الة قريبة للقلب والحواس الة بعيدة ● فالحس يخدم الدماغ
والدماغ يخدم القلب ● وتحقيقه انا ندرك من نفسنا انا اذا عقلنا ان الامر الفلاني يجب فعله او يجب تركه
فان الاعضاء تتحرك عند ذلك ونحن نجد التعقلات من جانب القلب لا من جانب الدماغ ● وعن الثاني انه
لا يبعد ان يتادى الامر من القلب الى الدماغ ● ثم ان الدماغ يحرك الاعضاء بواسطة الاعصاب النابتة
منه ● وعن الثالث لا يبعد ان يكون سلامة الدماغ شرطا لوصول تاثير القلب الى سائر الاعضاء ● وعن الرابع
ان ذلك العرف انما كان لان القلب لا يعتدل مزاجه بما يستمد من الدماغ من برودته فاذا لحق الدماغ خروج
عن الاعتدال خرج القلب عن الاعتدال ايضا اما لازدياد حرارته عن القدر الواجب او للنقصان
حرارته عن ذلك القدر فحينئذ يختل العقل ● وعن الخامس انه لو صح ما قالوه لوجب ان يكون موضع العقل
هو القحف ● ولما بطل ذلك ثبت فساد قولهم والله اعلم ● فروع ● اعلم ان المعاني التي بينا كونها مختصة
بالقلوب ● وقد تضاف الى الصدر تارة والى الفؤاد اخرى ● اما الصدر فقوله تعالى وحصل ما في الصدور
وقوله وليبتلي الله ما في صدوركم ● وقوله انه عليم بذات الصدور ● ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه ● فاما

الا وهي القلب

معدن العقل هو القلب

معدن العقل الدماغ

الفؤاد فقوله

والفؤاد ● فقوله ونقلب افئدتهم وابصارهم ● ومن الناس من فرق بين القلب والفؤاد فقال القلب هو العلقة
السوداء في جوف الفؤاد دون ما يتبعها من اللحم والشحم ومجموع ذلك هو الفؤاد ● ومنهم من قال جملة العضو المسمى
قلبا وفؤادا موضعا هو الموضع في الحقيقة للعقل والاختيار وان معظم جرم هذا العضو مسخر لذلك الموضع
كما ان سائر الاعضاء مسخرة للقلب ● فان العضو اجزاؤه من غير ازدياد ● والمعاني المنسوبة اليه اعني العقل
والفرح والحزن ● وقد ينتقص من غير نقصان في تلك المعاني فيشبه ان يكون اسم القلب اسما للاجزاء التي
تحل فيها هذه المعاني بالحقيقة واسم الفؤاد يكون اسما لمجموع العضو ● وهذا هو الكلام في هذا الباب
والله اعلم ● واما قوله لتكون من المنذرين فيدخل تحته الانذار والدعاء الى كل واجب من علم وعمل والمنع من كل قبيح
لان الوجهين جميعا يدخل الخوف من العقاب ● واما قوله تعالى بلسان عربي مبين ● فالباء اما ان تتعلق
بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل
ومحمد صلى الله عليه وسلم ● واما ان تتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لينذر به لانه لو نزله باللسان
الاعجمي لقالوا له ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به ● وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك
ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه ويفهمه قومك ● ولو كان عجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك
لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها ● واما قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين فيحتمل هذه الاخبار خاصة
ويحتمل ان يكون المراد صفة محمد صلى الله عليه وسلم ● ويحتمل ان يكون المراد وجوه التخويف لا ان ذكر هذه الايات
باسرها قد تقدم ● قوله تعالى او لم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه
عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم
فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون ● اعلم ان قوله تعالى او لم يكن لهم اية ان يعلمه علماء
بني اسرائيل المراد منه ذكر الحجة الثانية على نبوته عليه الصلاة والسلام وصدقه وتقريره ان جماعة من علماء بني اسرائيل
اسلموا ونصوا على مواضع من التوراة والانجيل ذكر فيها الرسول بصفته ونعته وقد كان مشركو قريش يذهبون
الى اليهود ويتعرفون منهم هذا الخبر ● وهذا يدل دلالة ظاهرة على نبوته لانه تطابقت الكتب الالهية على
نعته ووصفه فيدل قطعا على نبوته ● واعلم انه قرئ يكن بالتذكير ● واية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم
وقرئ تكن بالتانيث وجعلت اية اسما وان يعلمه خبرا وليست كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا ● ويجوز مع
نصب الاية تانيث تكن كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا ● واما قوله ولو نزلناه على بعض الاعجمين ● فاعلم
انه تعالى لما بين بالدليلين المذكورين نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وصدق لهجته بين بعد ذلك ان هؤلاء الكفار
لا تنفعهم الدلائل ولا البراهين فقال ولو نزلناه على بعض الاعجمين يعني انا انزلنا هذا القران على رجل عربي بلسان
عربي مبين فسمعوه وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام مثله ● وانضم الى ذلك تناصر كتب الله
السالفة فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه مفترى تارة ● وسحرا اخرى فلو نزلناه على بعض الاعجمين الذي لا يحسن
العربية لكفروا به ايضا ولجعلوا لجحودهم عذرا ● ثم قال كذلك سلكناه اي مثل ذلك السلك سلكناه في قلوبهم
وهكذا مكناه وقررناه فيها فكيفما فعل بهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من الجحود والانكار ● وهذا ايضا
مما يفيد تسلية الرسول عليه الصلاة والسلام لانه اذا عرف اصرارهم على الكفر وانه جرى القضاء الازلي
بذلك حصل الياس ● وفي المثل الياس احدى الراحتين ● قال اصحابنا قوله تعالى كذلك سلكناه في قلوب المجرمين
يدل على ان الكل بقضاء الله وخلقه ● قال صاحب الكشاف اراد به انه صار ذلك التكذيب متمكنا في قلوبهم
اشد التمكن فصار ذلك كالشيء الجبلي ● والجواب انه اما ان يكون قد فعل الله فيهم ما يقتضي رجحان التكذيب
على التصديق او ما فعل ذلك فيهم ● فان كان الاول فقد دللنا في سورة الانعام على ان الترجيح لا يتحقق
ما لم ينته الى حد الوجوب وحينئذ يحصل المقصود وان لم يفعل فيهم ما يقتضي الترجيح البتة امتنع قوله
كذلك سلكناه كما ان طيران الطائر لما لم يكن له تعلق بكفرهم امتنع اسناد الكفر الى ذلك الطيران ● قال
صاحب الكشاف ● فان قلت ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه في قلوب المجرمين ● قلت موقعه منه
موقع الموضح والمبين لانه مسوق لبيانه مؤكد للجحود في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون
على التكذيب به جاحدين له حتى يعاينوا الوعيد والله اعلم ● قوله تعالى فيقولوا هل نحن منظرون افبعذابنا
يستعجلون افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون
وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين ● اعلم انه تعالى لما بين انهم لا يؤمنون به حتى

الياس احدى الراحتين

يروا العذاب الاليم وانه يأتيهم العذاب بغتة اتبعه بما يكون منهم عند ذلك على وجه الحسرة فقال فيقولوا
هل نحن منظرون كما يستغيث المرء عند تعذر الخلاص لانهم يعلمون في الآخرة ان لا ملجأ لكنهم يذكرون ذلك استرواحا
اما قوله تعالى أفبعذابنا يستعجلون فالمراد انه تعالى بين انهم كانوا في الدنيا يستعجلون العذاب مع ان حالهم عند
نزول العذاب طلب النظرة ليعرف تفاوت الطريقين فيعتبر به ثم بين تعالى ان استعجال العذاب على وجه التكذيب
انما يقع منهم ليتمتعوا في الدنيا الا ان ذلك جهل لان مدة التمتع في الدنيا متناهية قليلة ومدة العذاب الذي
يحصل بعد ذلك غير متناهية وليس في العقل ترجيح لذات متناهية قليلة على آلام غير متناهية وعن ميمون
ابن مهران انه لقي الحسن في الطواف فقال له عظني فلم يزد على تلاوة هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فابلغت
وقرئ يمتعون بالتخفيف ثم بين انه لم يهلك قرية الا وهناك نذر يقيم عليهم الحجة اما قوله تعالى ذكرى فقال صاحب
الكشاف ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة اما لان انذر وذكر متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة واما لانها حال
من الضمير في منذرون اي ينذرونهم ذوي تذكرة او لانهم ذوو تذكرة واما لانها مفعول له على معنى انهم ينذرون
لاجل الموعظة والتذكرة واما مرفوعة على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية بمعنى منذرون
ذوو ذكرى وجعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة ووجه آخر وهو ان يكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما
اهلكنا من قرية ظالمين الا بعدما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا
مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول فان قلت كيف عزلت الواو
عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها في قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قلنا الاصل عزل الواو لان الجملة
صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف قوله تعالى وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي
لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين اعلم انه تعالى لما احتج
على صدق محمد عليه الصلاة والسلام بكون القرآن تنزيل رب العالمين وانما يعرف ذلك لوقوعه في الفصاحة في النهاية
القصوى ولانه مشتمل على قصص المتقدمين من غير تفاوت مع انه عليه السلام لم يشتغل بالتعلم والاستفادة وكان الكفار
يقولون لم لا يجوز ان يكون هذا من القاء الجن والشياطين كسائر ما ينزل على الكهنة فاجاب الله تعالى عنه بان ذلك
لا يتمكن منه الشياطين لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل السماء ولقائل ان يقول العلم بكون الشياطين
ممنوعين عن ذلك لا يحصل الا بواسطة خبر النبي الصادق فاذا اثبتنا كون محمد صلى الله عليه وسلم صادقا بفصاحة القرآن
واخباره عن الغيب ولا يمكن اثبات كون الفصاحة والاخبار عن الغيب معجزا الا اذا ثبت كون الشياطين ممنوعين عن ذلك
لزم الدور وهو باطل وجوابه لا نسلم ان العلم بكون الشياطين ممنوعين عن ذلك لا يستفاد الا من قول النبي صلى الله عليه
وذلك لانا نعلم بالضرورة ان الاهتمام بشأن الصديق اقوى من الاهتمام بشأن العدو ونعلم بالضرورة ان محمدا
عليه الصلاة والسلام كان يلعن الشياطين ويأمر الناس بلعنهم فلو كان هذا الغيب انما حصل من القاء الشياطين
لكان الكفار اولى بان يحصل لهم مثل هذا العلم وكان يجب ان يكون اقدار الكفار على مثله اولى فلما لم يكن كذلك علمنا
ان الشياطين ممنوعين عن ذلك وانهم معزولون عن تعريف الغيوب ثم انه تعالى لما ذكر هذا الجواب ابتدأ بخطاب
الرسول عليه الصلاة والسلام فقال ولا تدع مع الله الها آخر وذلك في الحقيقة خطاب لغيره لان من شأن
الحكيم اذا اراد ان يؤكد خطاب الغير ان يوجهه الى الرؤساء في الظاهر وان كان المقصود بذلك هم الاتباع ولانه
تعالى اراد ان يتبعه بما يليق بذلك فلهذه العلة افرده بالمخاطبة قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم
الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم اعلم انه سبحانه لما بالغ في تسلية رسول
الله صلى الله عليه وسلم اولا ثم اقام الحجة على نبوته ثانيا ثم اورد سؤال المنكرين واجاب عنه ثالثا امره
بعد ذلك بما يتعلق بباب التبليغ والرسالة وهو ههنا امور ثلاثة الاول قوله تعالى وانذر وذلك لانه تعالى
بدأ بالرسول فتوعده ان دعا مع الله الها آخر ثم امره بدعوة الاقرب فالاقرب وذلك لانه اذا تشدد على
نفسه اولا ثم بالاقرب فالاقرب ثانيا لم يكن لاحد فيه طعن البتة وكان قوله انفع وكلامه انجع
وروي انه لما نزلت هذه الآية صعد الصفا فنادى الاقرب فالاقرب وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني
عبد مناف يا عباس عم النبي اني لا املك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم وروي انه جمع بني عبد المطلب
وهم يومئذ اربعون رجلا على رجل شاة وقعب من لبن وكان الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس فاكلوا
وشربوا ثم قال يا بني عبد المطلب لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين

يدي عذاب

يدي عذاب شديد الثاني قوله واخفض جناحك واعلم ان الطائر اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه
واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب فان قيل
المتبعون للرسول هم المؤمنون وبالعكس فلم قال لمن اتبعك من المؤمنين جوابه لا نسلم ان المتبعين للرسول هم المؤمنون
فان كثيرا منهم كانوا يتبعونه للقرابة والنسب لا للدين فاما قوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون فمعناه ظاهر
قال الجبائي هذا يدل على انه عليه السلام كان بريئا من معاصيهم وذلك يوجب ايضا ان الله بريء من عملهم كالرسول والا
كان مخالفا لله كما لو رضي عمن سخط الله عليه لكان ذلك واذا كان تعالى بريئا من عملهم فكيف يكون فاعلا له ومريدا له
والجواب انه تعالى بريء من المعاصي بمعنى انه ما امر بها بل نهى عنها فاما بمعنى انه لا يريدها فلا نسلم والدليل عليه
انه علم وقوعها وعلم ان ما هو معلوم الوقوع فهو واجب الوقوع والا لانقلب علمه جهلا وهو محال وعلم ان ما هو واجب
الوقوع فانه لا يراد عدم وقوعه فثبت ما قلناه الثالث قوله تعالى وتوكل على العزيز الرحيم والتوكل عبارة عن تفويض
الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره على العزيز الذي يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته
ثم اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو كالسبب لتلك الرحمة وهو قيامه وتقلبه في الساجدين وفيه وجوه احدها
المراد ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح احوال المجتهدين ليطلع على سرائرهم كما يحكى انه
حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه على ما يوجد منهم من الطاعات فوجدها
كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والمراد بالساجدين المصلين وثانيها المعنى يراك حين تقوم للصلاة
بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا كان اماما لهم وثالثها
انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية امور الدين ورابعها المراد تقلب بصره فيمن يصلي خلفه
من قوله اتموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم من خلفي ثم قال انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه
وتعمله وهذا يدل على كونه سميعا امرا مغايرا لعلمه بالمسموعات والا لكان لفظ العليم مفيدا فائدته واعلم ان الرافضة
ذهبوا الى ان آباء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين وتمسكوا بهذه الآية وبالخبر اما هذه الآية فقالوا قوله تعالى
وتقلبك في الساجدين يحتمل الوجوه التي ذكرتم ويحتمل ان يكون المراد ان الله تعالى نقل روحه من ساجد الى ساجد كما نقول
نحن واذا احتمل كل هذه الوجوه وجب حمل الآية على الكل ضرورة انه لا منافاة ولا رجحان اما الخبر فقوله عليه السلام
لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وكل من كان كافرا فهو نجس لقوله تعالى انما المشركون نجس قالوا فان
تمسكتم على فساد المذهب بقوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر قلنا الجواب عنه ان الاب قد يطلق على العم كما قال
ابناء يعقوب له نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق فسموا اسمعيل ابا له مع انه كان عما له وقال عليه السلام
ردوا علي ابي يعني العباس ويحتمل ايضا ان يكون جده من قبل امه فان هذا قد يقال له الاب قال تعالى ومن ذريته
داود وسليمان الى قوله وعيسى فجعل عيسى من ذرية ابراهيم مع ان ابراهيم كان جده من قبل الام واعلم انا نتمسك بقوله
تعالى لابيه وما ذكروه صرف للفظ عن ظاهره واما حمل قوله وتقلبك في الساجدين على جميع الوجوه فغير جائز
لما بينا ان حمل اللفظ المشترك على كل معانيه غير جائز واما الحديث فهو خبر واحد فلا يعارض القرآن والله اعلم
قوله تعالى هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون
اعلم انه تعالى اعاد الشبهة المتقدمة واجاب عنها من وجهين الاول قوله تنزل على كل افاك اثيم وذلك هو الذي
قررناه فيما تقدم ان الكفار يدعون الى طاعة الشيطان ومحمد عليه الصلاة والسلام كان يدعو الى لعن الشيطان
والبراءة منه وهذا يقتضي ان لا يغشى الشيطان الا من يدعو اليه لا من يدعو الى اللعن عليه والبراءة منه
والثاني قوله يلقون السمع واكثرهم كاذبون والمراد انهم كانوا يقيسون حال النبي على حال سائر الكهنة وكانه
قيل لهم ان كان الامر على ما ذكرتم فلما كان الغالب على سائر الكهنة الكذب فيجب ان يكون حال الرسول كذلك ايضا
فلما لم يظهر في اخبار الرسول عن المغيبات الا الصدق علمنا ان حاله بخلاف حال الكهنة ثم ان المفسرين ذكروا في الآية
وجوها احدها انهم الشياطين روي انهم كانوا قبل ان حجبوا بالرجم يسمعون الى الملأ الاعلى فيحفظون بعض ما يتكلمون
به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا والثاني يلقون الى اوليائهم السمع اي
المسموع من الملائكة والثالث الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيلقون وحيهم اليهم والرابع يلقون المسموع
من الشياطين الى الناس واكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم فان قلت يلقون ما محله
قلت يجوز ان يكون في محل النصب على الحال اي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع وان لا يكون
له محل بان يستأنف كان قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت فان قلت كيف قيل واكثرهم كاذبون

ان الاب قد يطلق على العم

بعد ما قضى عليهم ان كل واحد منهم افاك قلت الافاكون هم الذين يكثرون الكذب لا انهم لا ينطقون الا بالكذب فاراد
ان هؤلاء الافاكين كاذبون كما يحكى عن الجن واكثرهم مفترى عليهم قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر
انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا
وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون اعلم ان الكفار لما قالوا لم لا يجوز ان يقال
الشياطين تنزل بالقرآن على محمد كما انهم يتنزلون بالكهانة على الكهنة وبالشعر على الشعراء ثم انه سبحانه فرق بين محمد عليه الصلاة
والسلام وبين الكهنة ذكر هنا ما يدل على الفرق بينه عليه السلام وبين الشعراء وذلك هو ان الشعراء يتبعهم الغاوون اى
الضالون ثم بين التفاوت بامرين الاول انهم في كل واد يهيمون والمراد منه الطرق المختلفة كقولك انا في واد
وانت في واد وذلك انهم قد يمدحون الشيء بعد ان ذموه وبالعكس وقد يعظمونه بعد ان استحقروه وبالعكس وذلك يدل
على انهم لا يطلبون بشعرهم الحق ولا الصدق بخلاف محمد عليه الصلاة والسلام فانه من اول الامر الى آخره بقي على طريق واحد
وهو الدعوة الى الله والترغيب في الآخرة والاعراض عن الدنيا الثاني انهم يقولون ما لا يفعلون وذلك ايضا من علامات
الغواة فانهم يرغبون في الجود ويرغبون عنه وينفرون عن البخل ويصرون عليه ويقدحون في الناس بادنى شيء
صدر عن واحد من اسلافه ثم انهم لا يرتكبون الا الفواحش وذلك يدل على الغواية والضلالة واما محمد عليه الصلاة
والسلام فانه بدأ بنفسه حيث قال الله له فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين ثم بالاقرب فالاقرب حيث
قال الله تعالى له وانذر عشيرتك الاقربين وكل ذلك على خلاف طريقة الشعراء فقد ظهر بهذا الذي بيناه ان حال محمد عليه الصلاة
والسلام ما كان يشبه حال الشعراء ثم ان الله تعالى لما وصف الشعراء بهذه الاوصاف الذميمة بيانا لهذا الفرق استثنى
عنهم الموصوفين بامور اربعة احدها الايمان وهو قوله الا الذين آمنوا وثانيها العمل الصالح وهو قوله تعالى وعملوا
الصالحات وثالثها ان يكون شعرهم في التوحيد والنبوة ودعوة الخلق الى الحق وهو قوله وذكروا الله كثيرا ورابعها ان لا
يذكروا هجو احد الا على سبيل الانتصار ممن يهجوهم وهو قوله وانتصروا من بعد ما ظلموا قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء
من القول الا من ظلم ثم الشرط فيه ترك الاعتداء قال الله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقيل
المراد بهذا الاستثناء عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير لانهم كانوا يهجون قريشا وعن كعب
ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح
القدس معك فاما قوله تعالى وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون قال السدي عندي فيه والله اعلم انه تعالى
لما ذكر في هذه السورة ما يزيل الحزن عن قلب رسوله من الدلائل العقلية ومن اخبار الانبياء المتقدمين ثم ذكر الدلائل على نبوته
عليه السلام ثم ذكر سؤال المشركين في تسميتهم محمدا عليه الصلاة والسلام تارة بالكاهن وتارة بالشاعر ثم انه تعالى
بين الفرق بينه وبين الكاهن اولا ثم الفرق بينه وبين الشاعر ثانيا ثم ختم السورة بهذا التهديد العظيم يعني ان الذين ظلموا
انفسهم واعرضوا عن تدبر هذه الآيات والتامل في هذه البينات فانهم سيعلمون بعد ذلك اى منقلب ينقلبون
وقال الجمهور المراد منه الزجر عن الطريقة التي وصفها هؤلاء الشعراء والاول اقرب الى نظم السورة من اولها

سورة النمل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى
للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون اعلم ان قوله تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين
هو اللوح وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن والملائكة الناظرون فيه يتبينون الكائنات وانما نكر الكتاب المبين ليصير
مبهما بالتنكير فيكون افخم له كقوله في مقعد صدق عند مليك مقتدر وقرأ ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات
كتاب مبين بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فان قلت ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن
مبين قلت لا فرق لان واو العطف لا تقتضي الترتيب اما قوله هدى وبشرى للمؤمنين فهو في محل النصب او الرفع
فالنصب على الحال اى هادية ومبشرة معا والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة والرفع على ثلاثة اوجه على هي هدى وبشرى
وعلى البدل من الآيات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر اى جمعت انها آيات وانها هدى وبشرى واختلفوا في وجه تخصيص
الهدى بالمؤمنين على وجهين الاول ان المراد يهديهم الى الجنة وتبشيرهم كقوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه وجنات
لهم فيها نعيم مقيم فلهذا اختص به المؤمنون الثاني المراد بالهدى الدلالة ثم ذكروا في تخصيصه بالمؤمنين وجوها
احدها انما خصه بالمؤمنين لانه ذكر مع الهدى البشرى والبشرى انما تكون للمؤمنين وثانيها ان وجه الاختصاص

قوله تعالى

انهم تمسكوا به فخصهم بالذكر كقوله انما انت منذر من يخشاها وثالثها ان المراد من كونها هدى للمؤمنين انها تزيدهم هدى
قال الله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى اما قوله الذين يقيمون الصلاة فالاقرب انها الصلوات الخمس لان التعريف
بالالف واللام يقتضي ذلك واقامة الصلاة ان يؤديها بشرائطها وكذا القول في الزكاة فانها هي الواجبة واقامتها
وضعها في جهتها اما قوله تعالى وهم بالآخرة هم يوقنون ففيه سؤال وهو ان المؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون
الزكاة لا بد وان يكونوا متيقنين بالآخرة فما الوجه في ذكره مرة اخرى جوابه من وجهين الاول ان يكون من جملة صلة الموصول
ثم فيه وجهان الاول ان كمال الانسان في ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به واما عرفان الحق فاقسام كثيرة لكن
الذي يستفاد منه طريق النجاة معرفة المبدأ ومعرفة المعاد واما الخير الذي يعمل به فاقسام كثيرة واشرفها قسمان الطاعة
بالنفس والطاعة بالمال فقوله الذين يؤمنون اشارة الى معرفة المبدأ وقوله يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة اشارة الى
الطاعة بالنفس والمال وقوله وهم بالآخرة هم يوقنون اشارة الى علم المعاد وكانه سبحانه وتعالى جعل معرفة المبدأ
طرفا اولا ومعرفة المعاد طرفا آخرا وجعل الطاعة بالنفس وبالمال متوسطا بينهما الثاني ان المؤمنين الذين يقيمون
الصلاة ويؤتون الزكاة منهم من هو جازم بالحشر والنشر ومنهم من يكون شاكا فيه الا انه ياتي بهذه الطاعات للاحتياط
فيقول ان كنت مصيبا فقد فزت بالسعادة وان كنت مخطئا فلم تفتني الا خيرات قليلة في هذه المدة اليسيرة فمن
اتى بالصلاة والزكاة على هذا الوجه لم يكن في الحقيقة مهتديا بالقرآن اما من كان جازما بالآخرة كان مهتديا به فلهذا
السبب ذكر هذا القيد الجواب الثاني ان يجعل قوله وهم بالآخرة هم يوقنون جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء
الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة الموقنون بالآخرة وهذا هو الاقرب ويدل عليه
انه جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها انه وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون
بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا
لهم اعمالهم فهم يعمهون اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الاخسرون اعلم انه تعالى لما بين ما للمؤمنين من
البشرى اتبعه بما على الكفار من سوء العذاب فقال ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم واختلف الناس في انه كيف
زين اعمالهم اما اصحابنا فقد اجروا الآية على ظاهرها وذلك لان الانسان لا يقدم على الفعل البتة الا اذا دعاه
الداعي الى الفعل والمعقول من الداعي هو العلم او الاعتقاد او الظن بكون الفعل مشتملا على منفعة وهذا الداعي لا بد وان يكون
فعل الله تعالى لوجهين الاول انه لو كان من فعل العبد لافتقر فيه الى داع آخر
ولزم التسلسل وهو محال الثاني ان العلم اما ان يكون ضروريا او كسبيا فان كان ضروريا فلا بد فيه من تصورين والتصور يمتنع
ان يكون مكتسبا لان المكتسب ان كان مشعورا به فهو مقصود له وتحصيل الحاصل محال وان لم يكن مشعورا به كان غافلا
عنه والغافل عن الشيء يمتنع ان يكون طالبا له فان قلت هو مشعور به من وجه دون وجه قلت فالمشعور به غير ما هو
غير مشعور به فيعود التقسيم المتقدم في كل واحد من هذين الوجهين واذا ثبت ان التصور غير مكتسب البتة فالعلم الضروري
هو الذي يكون كل واحد من تصوريه كافيا في حصول التصديق فالتصورات غير مكتسبة وهي مستلزمة للتصديقات
فاذن متى حصل التصور حصل التصديق لا محالة ومتى لم يحصل التصور البتة فحصول هذه التصديقات البديهية
ليس بالكسب ثم ان هذه التصديقات البديهية ان كانت مستلزمة للتصديقات النظرية لم تكن التصديقات كسبية لان لازم الضروري
ضروري وان لم تكن مستلزمة لها لم تكن تلك الاشياء التي فرضناها علوما نظرية كذلك بل هي اعتقادات تقليدية لانه لا معنى
لاعتقاد المقلد الا اعتقاد حصل بفعل ابتداء من غير ان يكون له موجب فثبت بهذا ان العلوم باسرها ضرورية وثبت
ان مبادي الافعال هي العلوم فالعلوم باسرها ضرورية فالانسان مضطر في صورة مختار فثبت ان الله تعالى هو الذي
زين لكل عامل عمله والمراد من التزيين هو ان يخلق في قلبه العلم بما فيه من المنافع واللذات ولا يخلق في قلبه العلم بما فيه من
المضار والآفات فقد ثبت بهذه الدلائل القاطعة العقلية وجوب اجراء هذه الآية على ظاهرها اما المعتزلة فقد ذكروا
في تاويلها وجوها احدها ان المراد زينا لهم امر الدين وما يلزمهم ان يتمسكوا به وزيناه بان بينا حسنه وما لهم
فيه من الثواب لان التزيين من الله للعمل ليس الا وصفه بانه حسن وواجب وحميد العاقبة وهو المراد من قوله تعالى وحبب
اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ومعنى فهم يعمهون يدل على ذلك اذ المراد فهم يعدلون ويتحيرون عما زينا من اعمالهم
وثانيها انه تعالى لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق جعلوا انعام الله بذلك عليهم طريقة الى اتباع شهواتهم وعدم الانقياد
لما يلزم من التكاليف فكانه تعالى زين بذلك اعمالهم واليه اشارة الملائكة عليهم السلام بقولهم بل متعتهم وآباءهم
حتى نسوا الذكر وثالثها ان امهال الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة فحسنت النسبة للتزيين اليه
والجواب عن الاول ما قررناه وعن الثاني ان الله تعالى لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق فهل لهذه الامور

فالعلم الضروري هو الذي يكون كل واحد من تصوريه

اثر في ترجيح فاعلية المعصية على تركها او ليس لها فيه اثر • فان كان الاول فقد دللنا على ان الترجيح متى حصل فلا بد وان ينتهي الى حد الاستلزام وحينئذ يحصل الغرض وان لم يكن له اثر فيه صار نسبة الاشيا بالنسبة الى اعمالهم كصرير الباب ونعيق الغراب بالنسبة الى اعمالهم • وذلك يمنع من اسناد فعلهم اليها وهذا بعينه هو الجواب عن التاويل الثالث الذي ذكروه • اما قوله تعالى فهم يعمهون • فالعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق • اما قوله تعالى لهم يعمهون • فالعمه التحير • اولئك لهم سوء العذاب ففيه وجهان • الاول انه القتل والاسر يوم بدر • والثاني المراد مطلق العذاب سواء كان في الدنيا او في الاخرة • والمراد ما لسوء شدته وعظمه اما قوله هم الاخسرون ففيه وجهان • الاول انه القتل والاسر يوم بدر لا خسران اعظم من ان يخسر المرء نفسه بان تسلب عنه الصحة والسلامة في الدنيا • ويسلم في الاخرة الى العذاب العظيم • الثاني المراد انهم خسروا منازلهم في الجنة لو اطاعوا فانه لا مكلف الا وهو يرى منزله في الجنة لو اطاع • فاذا عصى عدل به الى غيره فيكون قد خسر ذلك المنزل • قوله تعالى وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم اذ قال موسى لاهله اني انست نارا سآتيكم منها بخبر او اتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم اما قوله وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم فمعناه انك لتلقاه من لدن اي حكيم واي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرة • وهذه الاية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص اذ منصوب بمضمر وهو اذكر كانه قال على اثر ذلك خذ من اثار حكمته وعلمه تعالى قصة موسى • ويجوز ان ينتصب بعليم • فان قيل ان الحكمة اما ان تكون نفس العلم • واما ان تكون العلم داخلا فيها • فبعد ذكر الحكمة ذكر العلم • جوابه الحكمة هي العلم بالامور العملية فقط • والعلم اعم منه لان العلم قد يكون عمليا وقد يكون نظريا • والعلوم النظرية اشرف من العلوم العملية فذكر الحكمة المشتملة على العلوم العملية • ثم ذكر العلم وهو البالغ في كمال العلم وكمال العلم من جهات ثلاث وحدتها وعموم تعلقها بكل المعلومات وبقاؤها مصونا عن كل التغيرات • وما حصلت هذه الكمالات الثلاثة الا في علمه • واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه السورة اربع قصص القصة الاولى قصة موسى عليه السلام • اما قوله تعالى اذ قال موسى لاهله فيدل على انه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امراته ابنة شعيب عليه السلام وقد كنى الله تعالى عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا • اما قوله اني انست نارا فالمعنى انهما كانا يسيران ليلا وقد اشتبه الطريق عليهما والوقت وقت برد • وفي مثل هذه الحال تقوى النفس بمشاهدة نار من بعد لما يرجى فيها من زوال الحيرة في امر الطريق • ومن الانتفاع بالنار للاصطلاء • فلذلك بشرها فقال اني انست نارا • وقد اختلفوا فقال بعضهم المراد ابصرت ورايت • وقال اخرون بل المراد صادفت ووجدت • فانست به • والاول اقرب لانهم لا يفرقون بين قول القائل انست بصري ورايت ببصري • واما قوله تعالى سآتيكم منها بخبر ففي الكلام حذف وهو انه لما ابصر النار توجه اليها وقال سآتيكم منها بخبر يعرف به الطريق • اما قوله تعالى واتيكم بشهاب قبس فالشهاب الشعلة • والقبس النار المقبوسة • واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن قرا بالتنوين جعل القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى القبس • ثم ههنا اسولة • السوال الاول سآتيكم منها بخبر ولعلي اتيكم كالمتدافعين • لان احدهما ترج والاخر تيقن • جوابه قد يقول الراجي اذا قوي رجاه سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة • السوال الثاني كيف جاء بسين التسويف • جوابه عدة لاهله انه ياتيهم به وان ابطا وكانت المسافة بعيدة • السوال الثالث لم ادخل او بين الامرين وهلا جمع بينهما لحاجته اليهما معا • جوابه بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بهذين المقصودين ظفر باحدهما • اما هداية الطريق • واما اقتباس النار ثقة بعادة الله لانه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده • واما قوله تعالى لعلكم تصطلون • فالمعنى لكي تصطلوا وذلك يدل على حاجتهم الى الاصطلاء • ولا يكون كذلك الا في حال برد • اما قوله تعالى نودي ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ففيه ابحاث • البحث الاول ان هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول • والمعنى قيل له بورك • البحث الثاني اختلفوا في من في النار على وجوه • احدها ان بورك بمعنى تبارك • والنار بمعنى النور فالمعنى تبارك من في النور وذلك هو الله سبحانه • ومن حولها يعني الملائكة وهو مروي عن ابن عباس وانكا نقطع بان هذه الرواية موضوعة مختلقة • وثانيها من في النار هو نور الله ومن حولها الملائكة وهو مروي عن قتادة والزجاج • وثالثها ان الله تعالى ناداه بكلامه سمعه من الشجرة في البقعة المباركة • فكانت الشجرة محلا للكلام والله هو المكلم له بان فعله فيه دون الشجرة فلذلك قال بورك من في النار ومن حولها وهو قول الجبائي • ورابعها من في النار

هو موسى ع م

هو موسى عليه السلام لقربه منها • ومن حولها يعني الملائكة وهذا اقرب لان القريب من الشي يقال انه فيه • وخامسها قول صاحب الكشاف بورك من في النار اي بورك من في مكان النار ومن حول مكانها • ومكانها هي البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ويدل عليه قراءة ابي تباركت الارض ومن حولها • وعنه ايضا بوركت النار • البحث الثالث السبب الذي لاجله بورك في البقعة وبورك من فيها وحولها حدوث هذا الامر العظيم فيها وهو تكليم الله موسى وجعله رسولا واظهار المعجزات عليه • ولهذا جعل الله ارض الشام موسومة بالبركات في قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث الانبيا عليهم السلام ومهبط الوحي وكفاتهم احيا وامواتا • البحث الرابع انه سبحانه جعل هذا القول مقدمة لمناجاة موسى عليه السلام فقوله بورك من في النار ومن حولها يدل على انه قد قضي امر عظيم تنتشر منه البركة في ارض الشام كلها وقوله وسبحان الله رب العالمين فيه فائدتان • احديهما انه سبحانه نزه نفسه عما لا يليق به في ذاته وحكمته ليكون ذلك مقدمة في صحة رسالة موسى عليه السلام ان يكون ذلك ايذانا بان ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكاين من جلايل الامور وعظايم الوقايع اما قوله انه انا الله العزيز الحكيم فقال صاحب الكشاف الها في انه يجوز ان يكون ضمير الشان • انا الله مبتدا وخبر العزيز الحكيم صفتان للخبر وان يكون راجعا الى ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما اراد ان يظهره على يده من المعجزات يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل ما افعله بحكمة وتدبير • فان قيل هذا النداء يجوز ان يكون من عند غير الله • فكيف علم موسى انه من الله جوابه لاهل السنة فيه طريقان • احدهما انه سمع الكلام المنزه عن مشابهة الحروف والاصوات فعلم بالضرورة انه صفة الله تعالى • الثاني قول المعتزلة وهو انه عليه السلام سمع الصوت من الشجرة يقول انا عرفت ذلك من الله تعالى لامور • احدها ان النداء اذا حصل في الشجرة او النار علم انه من قبل الله تعالى لان احدا منا لا يقدر عليه وهذا ضعيف لاحتمال ان يقال الشيطان دخل في النار او الشجرة ثم نادى • وثانيها يجوز في نفس النداء ان يكون قد بلغ في العظم مبلغا لا يكون الا معجزا وهو ايضا ضعيف لانا لا نعرف مقادير قوى الملائكة والشياطين فلا قدر الا ويجوز صدوره منهم • وثالثها انه قد اقترن به معجز دل على ذلك فقيل ان النار كانت مشتعلة في شجرة خضرا لم تحترق فصار ذلك كالمعجز وهذا هو الاصح • قوله تعالى والق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع ايات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم اياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين اعلم ان اكثر ما في هذه الايات قد تقدم شرحه ولنذكر ما هو من خواص هذا الموضع يقال علام عطف قوله والق عصاك جوابه على بورك لان المعنى نودي ان بورك من النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي • اما قوله تعالى كانها جان فالجان الحية الصغيرة • سميت جانا لانها تستتر عن الناس • وقرا الحسن جان على لغة من يجد من التقا الساكنين • يقول شابة ودابة • اما قوله ولم يعقب معناه ولم يرجع • يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار • وانما خاف لظنه ان ذلك لامر اريد به • ويدل عليه اني لا يخاف لدي المرسلون وقال بعضهم المراد اني اذا امرتهم باظهار معجز فينبغي ان لا يخافوا فيما يتعلق باظهار ذلك والا فالمرسل قد يخاف لا محالة اما قوله الا من ظلم معناه لكن من ظلم وهو محمول على ما يصدر من الانبيا من ترك الافضل او الصغيرة ويحتمل ان يكون المقصود منه التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات اللطيفة قال الحسن كان والله موسى ممن ظلم بقتل القبطي ثم بدل فانه عليه السلام قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي • وقرئ الا من حرف التنبيه • اما قوله تعالى ثم بدل حسنا بعد سوء فالمراد حسن التوبة وسوء الذنب • وعن ابي عمرو في رواية عاصم حسنا • اما قوله تعالى في تسع ايات فهو كلام مستانف حرف الجر فيه يتعلق بمحذوف • والمعنى اذهب في تسع ايات الى فرعون • ولقائل ان يقول كانت الايات احدى عشر ثنتان منها • اليد والعصا • والتسع • الفلق • والطوفان • والجراد والقمل والضفادع • والدم • والطمسة • والجدب في بواديهم • والنقصان في مزارعهم • اما قوله تعالى فلما جاءتهم اياتنا مبصرة فقد جعل الابصار لها وفي الحقيقة لمتاملها وذلك بسبب نظرهم وتفكرهم فيها او جعلت كانها لظهورها مبصرة تهتدي • وقرا علي بن الحسين وقتادة مبصرة وهي نحو مجبنة ومبخلة اي مكانا يكثر فيه التبصر اما قوله واستيقنتها فالواو فيها واو الحال وقد بعدها مضمرة • وفايدة ذكر الانفس انهم جحدوا بالسنتهم واستيقنوا في قلوبهم وضمايرهم • والاستيقان ابلغ من الايقان • اما قوله ظلما وعلوا فاي ظلم افحش من ظلم من استيقن انها ايات بينة من عند الله • ثم كابر بتسميتها سحرا • واما العلو فهو التكبر والترفع عن الايمان بما جاء به موسى كقوله

المراد اني اذا امرتهم باظهار معجز فينبغي ان لا يخافوا

فاستكبروا في الارض وكانوا قوما عالين • وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا والله اعلم القصة الثانية
قصة داود وسليمان عليهما السلام • قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على
كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان
هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا اتوا على وادي
النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا
من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك
في عبادك الصالحين اما قوله تعالى علما فالمراد طائفة من العلم • او علما سنيا عزيزا فان قلت اليس هذا موضع الفاء
دون الواو كقولك اعطيته فشكر قلت ان الشكر باللسان انما يحسن موقعه اذا كان مسبوقا بعمل القلب وهو العزم
على فعل الطاعة وترك المعصية بعمل الطاعات الجوارح وهو الاشتغال بالطاعات • ولما كان الشكر باللسان
يجب كونه مسبوقا بهما لا جرم صار كانه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به قلبا وقالبا وقالا باللسان الحمد لله الذي
فعل كذا وكذا • فاما قوله الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ففيه ابحاث • احدها ان الكثير المفضل
عليه اهو من لم يؤت علما او من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير • وثانيها في الآية
دليل على علو مرتبة العلم لانهما اوتيا من الملك ما لم يؤت غيرهما فلم يكن شكرهما على الملك كشكرهما على العلم • وثالثها
انهم لم يفضلوا انفسهم على الكل وذلك يدل على حسن التواضع • ورابعها ان الظاهر يقتضي ان تلك الفضيلة
ليست الا ذلك العلم ثم العلم بالله وبصفاته اشرف من غيره • فوجب ان يكون هذا الشكر ليس الا على هذا العلم • ثم ان
هذا العلم حاصل لجميع المؤمنين فيستحيل ان يكون ذلك سببا لفضلهم على المؤمنين فاذن الفضيلة هو ان يصير العلم
بالله وبصفاته جليا بحيث يصير المرء مستغرقا فيه بحيث لا يخطر بباله شيء من الشبهات ولا يغفل القلب عنه في حين
من الاحيان ولا ساعة من الساعات • اما قوله تعالى وورث سليمان داود فقد اختلفوا فيه فقال الحسن المال لان
النبوة عطية مبتداة لا تورث وقال غيره بل النبوة وقال آخرون الملك والسياسة • ولو تامل الحسن لعلم ان المال
اذا ورثه الولد فهو ايضا عطية مبتداة من الله تعالى ولذلك يرث الولد اذا كان مؤمنا ولا يرث اذا كان كافرا
او قاتلا لكن الله تعالى جعل سبب الارث فيمن يرث الموت على شرائط وليس كذلك النبوة لان الموت لا يكون سبب
النبوة فمن هذا الوجه يفترقان وذلك لا يمنع من ان يوصف بانه ورث النبوة لما قام عند موته كما يرث الولد المال
اذا قام به عند موته • ومما يبين ما قلناه انه تعالى لو فصل فقال وورث سليمان داود ماله لم يكن لقوله وقال
يا ايها الناس علمنا منطق الطير معنى وورث مقامه من النبوة والملك حسن ذلك لان تعليم منطق الطير يكون داخلا
في جملة ما ورثه • وكذلك قوله واوتينا من كل شيء لان وارث الملك يجمع ذلك ووارث المال لا يجمعه • وقوله ان هذا
لهو الفضل المبين لا يليق ايضا الا بما ذكرنا دون المال الذي قد يحصل للكامل والناقص وما ذكره الله تعالى في
جنود سليمان بعده لا يليق الا بما ذكرناه • فبطل بما ذكرنا قول من زعم انه لم يرث الا المال • فاما اذا قيل وورث المال
والملك معا فهذا لا يبطل بالوجوه التي ذكرناها بل بظاهر قوله عليه الصلاة والسلام نحن معاشر الانبياء لا نورث
فاما قوله يا ايها الناس فالمراد منه تشهير نعمة الله والتنويه بها ودعا الناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم
منطق الطير • قال صاحب الكشاف المنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب
كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات الكلم • وقالت العرب نطقت الحمامة فالذي علم سليمان عليه السلام
من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من مقاصده واغراضه • واما قوله واوتينا من كل شيء فالمراد
كثرة ما اوتي • وذلك لان الكل والبعض الكثير يشتركان في صفة الكثرة والمشاركة سبب لجواز الاستعارة
فلا جرم يطلق لفظ الكل على الكثير • ومثله قوله واوتيت من كل شيء • اما قوله ان هذا لهو الفضل المبين فهو
تقرير لقوله الحمد لله الذي فضلنا • والمقصود منه الشكر والمحمدة كما قال عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر
فان قيل كيف قال علمنا واوتينا وهو من كلام المتكبرين • جوابه من وجهين • الاول ان يريد نفسه واباه
الثاني ان هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا وقد يتعلق بتعظيم الملك مصالح فيصير ذلك
التعظيم واجبا • واما قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير • فالحشر هو الاحضار من الاماكن
المختلفة • والمعنى انه جعل الله كل هذه الاصناف جنوده ولا يكون كذلك الا بان يتصرف على مراده ولن يكون
كذلك الا مع العقل الذي يصح معه التكليف ويكون بمنزلة المراهق الذي قد قارب حد التكليف • فلذلك قلنا
ان الله تعالى جعل الطير في ايامه مما له عقل وليس كذلك حال الطيور في ايامنا وان كان فيها ما قد الهمه الله الدقائق

التي خصت بالحاجة اليها وخصها الله بها لمنافع العباد كالنحل وغيره • واما قوله فهم يوزعون معناه يحبسون
وهذا لا يكون الا اذا كان في كل قبيل منها وازع له تسلط على من دونه ويكفه ويصرفه • فالظاهر يشهد بهذا القدر
والذي جاء في الخبر من انه كان يتفقدهم ليكون مميزه مع جنوده على ترتيب فغير ممتنع • اما قوله تعالى حتى اذا اتوا على
وادي النمل فقيل هو واد بالشام كثير النمل • ويقال لم عدي الوادي بعلى جوابه من وجهين • الاول ان اتيانهم
كان من فوق فاتى بحرف الاستعلاء • والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم اتى على الشيء اذا بلغ آخره كانهم
ارادوا ان ينزلوا عند مقطع الوادي • وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم وبضم النون • وكان الاصل النمل على وزن الرجل
والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف منه • اما قوله تعالى قالت نملة فالمعنى انها تكلمت بذلك • وهذا غير مستبعد فان
الله تعالى قادر على ان يخلق فيها العقل والنطق • وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوني عما شئتم
وكان ابو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان كانت ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة
كانت انثى فقيل من اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقال قال نملة وذلك لان النملة
مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي • اما قوله
ادخلوا مساكنكم فاعلم ان النملة لما قاربت حد العقل لا جرم ذكرت بما يذكر به العقلاء • فلذلك قال تعالى ادخلوا مساكنكم
فان قلت لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل ان يكون جوابا للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر اي لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم على طريقة
لا ارينك هاهنا • وفي هذه الآية تنبيه على امور • احدها ان من يسير في الطريق لا يلزمه التحرز وانما يلزم من في الطريق
التحرز • وثانيها ان النملة قالت وهم لا يشعرون كانها عرفت ان النبي معصوم لا يقع منه قتل هذه الحيوانات الا على سبيل
السهو وهذا تنبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الانبياء • وثالثها ما رايت في بعض الكتب ان تلك النملة انما امرت غيرها
بالدخول لانها خافت على قومها اذا رات سليمان في جلالته فربما وقعت في كفران نعمة الله وهذا هو المراد بقوله
لا يحطمنكم سليمان • فامرتها بالدخول في مساكنها لئلا ترى تلك النعم فلا تقع في كفران نعمة الله وهذا تنبيه على ان
مجالسة ارباب الدنيا محذورة • ورابعها قرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف • وقرئ لا يحطمنكم بفتح الطاء وكسرها
واصله يحتطمنكم • اما قوله تعالى فتبسم ضاحكا من قولها يعني تبسم شارعا في الضحك يعني انه قد تجاوز حد التبسم الى
الضحك وانما ضحك لامرين • احدهما اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وعلى شفقة حالة وحالهم
في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون • والثاني سروره بما آتاه مما لم يؤت احدا من سمعه كلام النملة واحاطته
بمعناه • اما قوله اوزعني فقال صاحب الكشاف حقيقة اوزعني اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه عن ان ينقلب
عني حتى اكون شاكرا لك ابدا [illegible] فقد صارت مفعولة
وطلب تحصيل الحاصل [illegible] • واما قوله وعلى والدي [illegible]
وان اعمل صالحا ترضاه طلب الاعانة [illegible] ثم قال وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
[illegible] الصالحين • وقوله برحمتك يدل على ان دخول
الجنة برحمته وفضله لا باستحقاق من جانب العبد • واعلم ان سليمان عليه السلام طلب ما يكون وسيلة الى الثواب
[illegible] ثواب الآخرة ثانيا • واما وسيلة الثواب فهي امران • احدهما الشكر على النعم السالفة • والثاني
الاشتغال بسائر انواع الخدمة • اما الاشتغال بشكر النعم السالفة فهو قوله رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الصالح الكامل هو الذي [illegible]
وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او لياتيني
بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبا بنبا يقين اني وجدت امراة
تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان
اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون [illegible]
[illegible] • واختلفوا في انه لم تفقد [illegible]
[illegible]

لانه عد نعم الله تعالى على والديه نعمة عليه

طلبه وتفقده . وثالثها انه كان يظلله من الشمس فلما فقد ذلك تفقده . اما قوله تعالى ما لي لا ارى الهدهد فلم تبصره
ام كان من الغائبين . فام هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال ما لي لا اراه على معنى انه لا يراه وهو
حاضر لساتر ستره او غير ذلك . ثم لاح له انه غائب . فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه سال عن صحة
ما لاح له . ومثله قولهم انها لابل ام شاء . اما قوله لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او ليأتيني بسلطان
فهذا لا يجوز ان يقوله الا لمن هو مكلف او لمن قارب العقل فيصلح ان يؤدب . ثم اختلفوا في قوله لاعذبنه فقال
ابن عباس انه نتف الريش والالقاء في الشمس . وقيل ان يطلى بالقطران ويشمس . وقيل ان يلقى للنمل تاكله . وقيل
ايداعه القفص . وقيل التفريق بينه وبين الفه . وقيل لالزمنه صحبة الاضداد . وعن بعضهم اضيق السجون
معاشرة الاضداد . اما قوله فمكث فقد قرئ بفتح الكاف وضمها . غير بعيد . غير زمان بعيد . كقولك عن قريب
ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان . وليعلم كيف كان الطير مسخرا له . اما قوله احطت
بما لم تحط به ففيه تنبيه لسليمان عليه السلام ان في ادنى خلق الله تعالى من احاط علما بما لم تحط به ليكون ذلك لطفا له
في ترك الاعجاب والاحاطة بالشيء علما ان يعلم جهاته . اما قوله وجئتك من سبا بنبا يقين . فاعلم ان سبا قرئ بالصرف
ومنعه . وقد روي بسكون الباء عن ابن كثير . سبا بالالف لقولهم ذهبوا ايدي سبا وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان
فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف . ومن جعله اسما للحي او الاب الاكبر صرف . ثم سميت مدينة مارب بسبا . وبينها
وبين صنعاء مسيرة ثلاث . والنبا الخبر الذي له شان . وقوله من سبا بنبا من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ
وشرط حسنه صحة المعنى جاها هنا زايدا على الصحة فحسن لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبا بخبر لكان المعنى صحيحا
ولكن لفظ النبا اولى لما فيه من الزيادة التي يطابقها وصف الحال . اما قوله اني وجدت امراة تملكهم . فالمراة بلقيس بنت
شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس . والضمير في تملكهم راجع الى سبا
فان اريد به القوم فالامر ظاهر . وان اريد المدينة فمعناه يملك اهلها . واما قوله واوتيت من كل شيء ففيه سوال
وهو انه كيف قال واوتيت من كل شيء مع قول سليمن واوتينا من كل شيء . وكان الهدهد سوى بينهما جوابه
ان قول سليمن يرجع الى النبوة والحكمة ثم الى الملك واسباب الدنيا . واما قول الهدهد فلم يكن الا فيما يتعلق
بالدنيا . واما قوله ولها عرش عظيم ففيه سوال وهو انه كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما كان يرى من ملك
سليمن وايضا فكيف سوى بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم والجواب عن الاول يجوز ان يستصغر
حالها الى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش . ويجوز ان لا يكون لسليمان مع جلالته مثله كما قد يتفق لبعض الامرا
شيء لا يكون عند السلطان . وعن الثاني ان وصفها بالعظم تعظيم له بالاضافة الى عروش ابنا جنسها من الملوك
ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة الى ساير ما خلق من السموات والارض . واعلم ان ها هنا بحثين . البحث
الاول ان الملاحدة طعنت في هذه القصة من وجوه . احدها ان هذه الايات اشتملت على ان النملة والهدهد تكلما بكلام
لا يصدر ذلك الكلام الا من العقلاء وذلك يجر الى السفسطة . فانا لو جوزنا ذلك لما امنا في النملة التي نشاهدها
في زماننا هذا ان يكون اعلم بالهندسة من اقليدس . وفي النحو من سيبويه . وكذا القول في القملة والصبيان
ويجوز ان يكون فيهم الانبيا والتكاليف والمعجزات . ومعلوم ان من جوز ذلك كان الى الجنون اقرب . وثانيها ان
سليمن عليه السلام كان بالشام . فكيف طار الهدهد في تلك اللحظة اللطيفة من الشام الى اليمن ثم رجع اليه . وثالثها
كيف خفي على سليمن عليه السلام حال مثل تلك الملكة العظيمة مع ما يقال ان الجن والانس كانوا في طاعة سليمن عليه السلام
وانه عليه السلام كان ملك الدنيا بالكلية . وكان تحت راية بلقيس اثنا عشر الف ملك تحت راية كل واحد منهم مائة
الف . ومع انه يقال انه لم يكن بين سليمان وبين بلدة بلقيس حال طيران الهدهد الا ثلاثة ايام . ورابعها من اين حصل
للهدهد معرفة الله تعالى والسجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه والجواب عن الاول
ان ذلك الاحتمال قايم في اول العقل . وانما يدفع ذلك بالاجماع . وعن البواقي ان الايمان بافتقار العالم الى القادر
يزيل هذه الشكوك . البحث الثاني تعلقت المعتزلة بقوله يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم
يدل على ان فعل العبد من جهته لانه تعالى اضاف ذلك الى الشيطان بعدما اضافه اليهم . ولانه اورده مورد الذم
ولانه بين انهم لا يهتدون . والجواب من وجوه . احدها ان هذا هو قول الهدهد فلا يكون حجة . وثانيها انه
متروك الظاهر فانه قال فصدهم عن السبيل . وعندهم الشيطان ما صد الكفار عن السبيل اذ لو كان مصدودا
ممنوعا لسقط عنه التكليف فلم يبق ها هنا الا التمسك بفصل المدح والذم والجواب عنه قد تقدم مرارا
فلا فايدة في الاعادة . قوله تعالى الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون

الله لا اله الا هو رب العرش العظيم قال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم
ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون وها هنا مسايل **المسالة الاولى** في قوله الا يسجدوا قولان . احدهما قراءة من قرا
بالتخفيف الا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال . الا يا اسلمي يا دار مي على البلا . وثانيها
بالتشديد اراد فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا . فحذف الجار مع ان . ويجوز ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون
الى ان يسجدوا . وثالثها في حرف عبد الله وقراءة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء . وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى
الا تسجدون على الخطاب . ورابعها قراءة ابي الا تسجدوا لله الذي يخرج الخبء من السموات والارض ويعلم سركم وما تعلنون
المسالة الثانية قال اهل التحقيق قوله الا يسجدوا يجب ان يكون بمعنى الامر لانه لو كان بمعنى المنع من السجدة لم يكن لوصفه
تعالى بما يوجب ان يكون السجود له وهو كونه قادرا على اخراج الخبء عالما بالاسرار معنى **المسالة الثالثة** دلت الاية
على وصف الله تعالى بالقدرة والعلم . اما القدرة فقوله يخرج الخبء في السموات والارض . وسمي المخبو بالمصدر وهو
يتناول جميع الارزاق والاموال . واخراجه من السما بالغيث ومن الارض بالنبات . واما العلم فقوله ويعلم ما تخفون
وما تعلنون . واعلم ان المقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وتحرير الدلالة هكذا الاله يجب ان يكون قادرا
على اخراج الخبء وعالما بالخفيات . والشمس ليست كذلك فهي لا تكون الها واذا لم تكن الها لم يجز السجود لها . اما انه
سبحانه وتعالى يجب ان يكون عالما على الوجه المذكور فلما انه واجب لذاته فلا تختص عالميته وقادريته ببعض المعلومات
والمقدورات دون البعض . واما ان الشمس ليست كذلك فلانها جسم متناه وكلما كان متناهيا في الذات
كان متناهيا في الصفات . واذا كان كذلك تبين انه لا يعلم كونها قادرة على جلب المنافع ودفع المضار فيرجع حاصل
الدلالة الى ما ذكره ابرهيم عليه السلام في قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا . وفي قوله الله الذي يخرج
الخبء في السموات والارض وجه اخر وهو ان هذا اشارة الى ما استدل به ابرهيم عليه السلام في قوله عليه السلام
ربي الذي يحيي ويميت . وفي قوله ان الله ياتي بالشمس من المشرق لانه سبحانه هو الذي يخرج الشمس من المشرق بعد
ادخالها في المغرب . فهذا هو اخراج الخبء في السموات وهو المراد من قول ابرهيم عليه السلام لا احب الافلين ومن قوله
فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب . ومن قول موسى عليه السلام رب المشرق والمغرب . وحاصله
يرجع الى ان افول الشمس وطلوعها يدلان على كونها تحت تدبير مدبر قاهر وكانت العبادة لقاهرها والمتصرف فيها اولى
واما اخراج الخبء من الارض فهو يتناول اخراج النطفة من الصلب والترايب وتكوين الجنين منه . فان قيل ان ابرهيم
وموسى عليهما السلام قدما دلالة الانفس على دلالة الافاق فان ابرهيم قال ربي الذي يحيي ويميت ثم قال ان الله ياتي بالشمس
من المشرق . وموسى عليه السلام قال ربكم ورب ابايكم الاولين ثم قال رب المشرق والمغرب فلم كان ها هنا الامر
بالعكس فقدم خبء السموات على خبء الارض . جوابه ان ابرهيم عليه السلام وموسى عليه السلام ناظرا مع من ادعى
الالهية فلا جرم ابتدا بابطال الهية البشر . واما ها هنا فالكلام مع من ادعى الهية الشمس لقوله رايتها وقومها يسجدون
للشمس من دون الله فلا جرم ابتدا بذكر السموات ثم بالارضيات . اما قوله الله لا اله الا هو رب العرش العظيم
فالمراد منه انه سبحانه لما بين افتقار السموات والارض وما بينهما الى المدبر ذكر بعده ان العرش الذي هو اعظم الاجساد
فهو مخلوقه ومربوبه وذلك يدل على انه سبحانه هو المنتهي في القدرة والربوبية الى ما لا مزيد عليه . والله اعلم
المسالة الرابعة قيل من احطت الى العظيم كلام الهدهد . وقيل كلام رب العزة **المسالة الخامسة** الحق ان سجدة
التلاوة واجبة في القراءتين جميعا . وهو قول الشافعي وابي حنيفة رحمهما الله عليهما لانهما اجمعوا على ان سجدات
القران اربع عشرة وهذا واحد منها . ولان مواضع السجدة اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها
واحدى القراءتين امر بالسجود والاخرى ذم التارك . فثبت ان الذي ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون
التشديد غير ملتفت اليه **المسالة السادسة** يقال هل يفرق الواقف بين القراءتين . جوابه نعم اذا خفف
وقف على فهم لا يهتدون . ثم ابتدا الا يسجدوا . وان شاء وقف على الا يا . ثم ابتدا اسجدوا . واذا شدد لم يقف
الا على العرش العظيم . اما قوله سننظر فمن النظر الذي هو التامل . واراد اصدقت ام كذبت الا ان كنت من الكاذبين
ابلغ لانه اذا كان معروفا بالكذب كان متهما بالكذب . فكلما اخبر به لم يوثق . وانما قال فالقه اليهم على لفظ الجمع
لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم . اما قوله ثم تول عنهم اي تنح عنهم الى
مكان قريب يتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك . فانظر ماذا يرجعون كما في قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول
ويقال دخل عليها من كوة والقى الكتاب اليها وتوارى في الكوة . قوله تعالى قالت يا ايها الملا اني القي الي كتاب
كريم انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين قالت يا ايها الملا افتوني في

وحاصله يرجع الى ان افول الشمس وطلوعها يدلان على كونها تحت تدبير مدبر قاهر

أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري
ماذا تأمرين . اعلم أن قوله تعالى قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم يعني أن الهدهد ألقى إليها الكتاب فهو مجرور
كانت ثابتة . وروي أنها كانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب
على نحرها وهي مستلقية . وقيل نقرها فانتبهت وفزعت . أما قوله كتاب كريم ففيه ثلاثة أوجه . أحدها حسن
مضمونه وما فيه . وثانيها وصفته بالكريم لأنه من عند ملك كريم . وثالثها أن الكتاب كان مختوما وعليه الصلاة
والسلام كرم الكتاب ختمه . وكان عليه السلام يكتب إلى العجم فقيل إنهم لا يقبلون إلا كتابا عليه خاتم فاتخذ لنفسه خاتما
أما قوله إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ففيه أبحاث . البحث الأول هو استئناف وتبيين لما ألقي إليها
كأنها لما قالت إني ألقي إلي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت إنه من سليمان وإنه كيت وكيت . وقرأ عبد الله وإنه
[illegible]

قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا
أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال
أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل
لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون
[illegible]

للرسول . وقيل للهدهد محملا كتابا آخر . أما قوله تعالى لا قبل أي لا طاقة . وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة لا يقدر
أن يقابلوهم . وقرأ ابن مسعود لا قبل لهم بهم . والضمير في منها لسبا . والذل أن يذهب عنهم ما كان عندهم من العز
والملك . والصغار أن يقعوا في أسر واستعباد ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكا . قوله تعالى
قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه
لقوي أمين قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا
من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم
اعلم أن في قوله تعالى قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها دلالة على أنها عزمت على اللحوق بسليمان ودلالة على أن أمر ذلك العرش
كان مشهورا فأحب أن يحصل عنده قبل حضورها . واختلفوا في غرض سليمان من إحضار ذلك العرش على وجوه . أحدها
أن المراد أن يكون ذلك دلالة لبلقيس على قدرة الله تعالى وعلى نبوة سليمان عليه السلام حتى يضم هذه الدلائل إلى سائر الدلائل
التي سلفت . وثانيها أنه أراد أن يحضر ذلك العرش فيغير وينكر ثم يعرض عليها حتى أنها هل تعرفه أو تنكره . والمقصود
اختبار عقلها . وقوله تعالى قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي كالدلالة على ذلك . وثالثها قال قتادة أراد أن يأخذه قبل
إسلامها لعلمه أنها إذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها . ورابعها أن العرش سرير المملكة فأراد أن يعرف مقدار مملكتها
قبل وصولها إليه . أما قوله تعالى قال عفريت من الجن فالعفريت من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر أقرانه . ومن الشياطين
الخبيث المارد . أما قوله قبل أن تقوم من مقامك . فالمعنى من مجلسك ولا بد فيه من عادة معلومة حتى يصح أن يوقت
فقيل المراد مجلس الحكم بين الناس . وقيل الوقت الذي يخطب فيه الناس . وقيل إلى انتصاف النهار . وأما قوله لقوي
أي على حمله أمين آتي به كما هو لا أختزل منه شيئا . أما قوله قال الذي عنده علم من الكتاب ففيه بحثان . البحث الأول
اختلفوا في ذلك الشخص على قولين . قيل كان من الملائكة . وقيل كان من الإنس . فمن قال بالأول اختلفوا قيل هو جبريل
وقيل هو ملك أيد الله به سليمان . ومن قال بالثاني اختلفوا على وجوه . أحدها قول ابن مسعود إنه الخضر عليه السلام
وثانيها وهو المشهور من قول ابن عباس إنه آصف بن برخيا وزير سليمان . وكان صديقا يعلم الاسم الأعظم إذا دعا به أجيب
وثالثها قول قتادة رجل من الإنس كان يعلم اسم الله الأعظم . ورابعها قول ابن زيد كان رجلا صالحا في جزيرة في البحر
خرج ذلك اليوم ينظر إلى سليمان . وخامسها بل هو سليمان نفسه . والمخاطب هو العفريت الذي كلمه وأراد سليمان
عليه السلام إظهار معجزة . فتحداهم أولا ثم بين للعفريت أنه يتأتى له من سرعة الإتيان بالعرش ما لا يتهيأ للعفريت . وهذا
القول أقرب لوجوه . الأول أن لفظة الذي موضوعة في اللغة للإشارة إلى شخص معين عند محاولة تعريفه بقصة
معلومة . والشخص المعروف بأن عنده علم الكتاب هو سليمان عليه السلام فوجب انصرافه إليه أقصى ما في الباب
أن يقال كان آصف كذلك أيضا لكنا نقول إن سليمان كان أعرف بالكتاب منه لأنه هو النبي فكان صرف هذا اللفظ
إلى سليمان أولى . الثاني أن إحضار العرش في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية فلو حصلت لآصف دون سليمان
لاقتضى ذلك تفضيل آصف على سليمان وإنه غير جائز . الثالث أن سليمان عليه السلام لو افتقر في ذلك إلى آصف لاقتضى
ذلك قصور حال سليمان في أعين الخلق . الرابع أن سليمان قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر وظاهره يقتضي
أن يكون ذلك المعجز قد أظهره الله بدعاء سليمان عليه السلام . البحث الثاني اختلفوا في الكتاب . فقيل اللوح المحفوظ
والذي عنده علم منه جبريل عليه السلام . وقيل كتاب سليمان أو كتاب بعض الأنبياء . ومعلوم في الجملة أن ذلك ممدوح وأن
لهذا الوصف تأثيرا في نقل ذلك العرش فلذلك قالوا إنه الاسم الأعظم وأن عنده وقعت الإجابة من الله تعالى في أسرع
الأوقات . أما قوله أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ففيه بحثان . البحث الأول آتيك في الموضعين يجوز
أن يكون فعلا واسم فاعل . الثاني اختلفوا في قوله قبل أن يرتد إليك طرفك على وجهين . الأول أنه أراد المبالغة
في السرعة كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة . وهذا قول مجاهد . الثاني أن نجريه على الظاهر . والطرف تحريك
الأجفان عند النظر فإذا فتحت الجفن فقد يتوهم أن نور العين امتد إلى المرئي . وإذا أغمضت الجفن فقد يتوهم
أن ذلك النور ارتد إلى العين . فهذا هو المراد من ارتداد الطرف . وها هنا سؤال وهو أنه كيف يجوز والمسافة
بعيدة أن ينقل العرش في هذا القدر من الزمان . وهذا يقتضي إما القول بالطفرة . وحصول الجسم الواحد
دفعة واحدة في مكانين جوابه أن المهندسين قالوا كرة الشمس مثل كرة الأرض مائة وأربعة وستين مرة
ثم إن زمان طلوعها زمان قصير . فإذا قسمنا زمان طلوع تمام القرص على زمان القدر الذي بين الشام واليمن
كانت اللمحة كثيرا فلما ثبت عقلا إمكان هذه الحركة السريعة . وثبت أنه تعالى قادر على كل الممكنات زال السؤال
ثم إنه عليه السلام لما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر . الكلام في تفسير الابتلاء قد

والشخص المعروف بأن عنده علم الكتاب هو سليمان عليه السلام

للرسول وقيل

من غير مرة ❁ ثم انه عليه السلام بين ان نفع الشكر عائد الى الشاكر لا الى الله تعالى اما انه عائد الى الشاكر فلوجوه ❁ احدها ان يخرج عن عهدة ما وجب عليه من الشكر ❁ وثانيها انه يستمد به المزيد على ما قال لئن شكرتم لازيدنكم ❁ وثالثها ان المشتغل بالشكر مشتغل بالمنعم ❁ والمعرض عن الشكر مشتغل باللذات الحسية ❁ وفرق ما بينهما كالفرق ما بين المنعم والنعمة في الشرف ثم قال ومن كفر فان ربي غني كريم غني عن شكره لا يضره كفرانه كريم لا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر والله اعلم ❁ قوله تعالى قال نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين اعلم ان قوله نكروا معناه اجعلوا العرش منكرا متغيرا عن شكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه وذلك لانه لو ترك على ما كان لعرفته لا محالة وكان لا يدل على معرفتها به على ثبات عقلها ❁ واذا غير دلت معرفتها او توقفها فيه على فضل عقل ولا يمتنع صحة ما قيل ان سليمان عليه السلام القي اليه ان فيها نقصان عقل لكي لا يتزوجها او لا تحظى عنده على وجه الحسد ❁ فاراد بما ذكرنا اختبار عقلها ❁ اما قوله ننظر فقرئ بالجزم على الجواب ❁ وبالرفع على الاستيناف ❁ واختلفوا في اتهتدي على وجهين ❁ احدهما اتعرف انه عرشها ام لا كما قدمنا ❁ الثاني اتعرف به نبوة سليمان ام لا ولذلك قال ام تكون من الذين لا يهتدون وذلك كالذم ولا يليق الا بطريقة الدلالة ❁ وكانه عليه السلام احب ان تنظر الى العرش فتعرف به نبوته من حيث صار منتقلا من المكان البعيد الى هناك وذلك يدل على قدرة الله تعالى وعلى صدق سليمان عليه السلام ❁ ويعرف بذلك ايضا فضل عقلها لا غراض كانت له فعند ذلك سالها ❁ اما قوله اهكذا عرشك ❁ فاعلم ان هكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه ❁ وكاف التشبيه ❁ واسم الاشارة ❁ ولم يقل اهذا عرشك ❁ ولكن امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كانه هو ❁ ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من كمال عقلها حيث توقفت في محل التوقف ❁ اما قوله واوتينا العلم من قبلها ففيه سؤالان ❁ الاول وهو ان هذا الكلام كلام من ❁ وايضا فعلى اي شيء عطف هذا الكلام ❁ وعنه جوابان ❁ الاول انه كلام سليمان وقومه وذلك لان بلقيس حين سئلت عن عرشها ثم انها اجابت بقولها كانه هو فالظاهر ان سليمان وقومه قالوا انها قد اصابت في جوابها وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام ثم انه من كلام بلقيس موصولا بقولها كانه هو والمعنى واوتينا العلم بالله وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة او قبل هذه الحالة ❁ ثم ان قوله وصدها ما كانت تعبد الى اخر الاية يكون من كلام رب العزة ❁ اما قوله تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون الله ففيه وجهان ❁ الاول المراد وصدها عبادتها لغير الله عن الايمان ❁ الثاني وصدها امر سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل ❁ وقرئ انها بالفتح على انه بدل من فاعل صد او بمعنى لانها ❁ واحتجت المعتزلة بهذه الاية فقالوا لو كان تعالى خالق الكفر فيها لم يكن المصاد لها كفرها المتقدم ولا كونها من جملة الكفار بل كان يكون الصاد لها عن الايمان تجدد خلق الله الكفر فيها ❁ والجواب اما على التاويل الثاني فلا شك في سقوط الاستدلال ❁ واما على الاول فحوابنا ان كونها من جملة الكفار صار سببا لحصول الداعية المستلزمة للكفر وحينئذ يبقى ظاهر الاية موافقا لقولنا والله اعلم ❁ قوله تعالى قيل لها ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين اعلم انه تعالى لما حكى اقامتها على الكفر مع كل ما تقدم من الدلايل ذكر ان سليمان عليه السلام اظهر من الامر ما صار داعيا لها الى الاسلام وهو قوله قيل لها ادخلي الصرح ❁ والصرح القصر كقوله يا هامان ابن لي صرحا ❁ وقيل صحن الدار ❁ وقرا ابن كثير عن ساقيها بالهمز ووجهه انه جمع سوق فاجرى عليه الواحد ❁ والممرد المملس ❁ روي ان سليمان امر قبل قدومها فبني على طريقها قصرا من زجاج ابيض كالماء بياضا ثم ارسل الماء تحته والقي فيه السمك وغيره ووضع سريره في صدره ❁ فجلس عليه وعكف عليه الانس والجن والطير وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته ❁ وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية ❁ وقيل خافوا ان يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان هو اشد فقالوا ان في عقلها نقصانا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر حمار فاختبر سليمان عقلها بتنكير العرش ❁ واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها ومعلوم من حال الزجاج انه يكون كالماء ❁ فلما ابصرت ذلك ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها لتخوضه ❁ فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما ❁ وهذا على طريقة من يقول تزوجها ❁ وقال الاخرون كان المقصود من الصرح تهويل المجلس وتعظيمه وحصل كشف الساق على سبيل التبع ❁ فلما قيل لها هو صرح ممرد من قوارير سترت وعجبت من ذلك ❁ واستدلت به على التوحيد فقالت رب اني ظلمت نفسي فيما تقدم من الثبات على الكفر ❁ ثم قالت واسلمت مع سليمن لله رب العالمين ❁ وقيل حسبت ان سليمان يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان ❁ واختلفوا في هل تزوجها ام لا ❁ وفي انه هل تزوجها في هذه الحالة ام من قبل ان كشفت عن ساقيها ❁ والاظهر في كلام الناس انه تزوجها وليس لذلك ذكر في الكتاب ولا في

خبر مقطوع بصحته

خبر مقطوع بصحته ❁ ويروى عن ابن عباس انها لما اسلمت قال لها اختاري من قومك من ازوجك منه فقالت مثلي لا ينكح الرجال مع سلطاني فقال النكاح من الاسلام ❁ فقالت ان كان كذلك فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه ثم ردهما الى اليمن ولم يزل بها ملكا والله اعلم القصة الثالثة قصة صالح عليه السلام ❁ قوله تعالى ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لاية لقوم يعلمون وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون قرئ ان اعبدوا بالضم على اتباع النون الباء ❁ اما قوله فاذا هم فريقان ففيه قولان ❁ احدهما فريق مؤمن وفريق كافر ❁ الثاني المراد قوم صالح قبل ان يؤمن منهم احد ❁ اما قوله يختصمون فالمعنى ان الذين امنوا انما امنوا لانهم نظروا في حجته فعرفوا صحتها ❁ واذا كان كذلك فلا بد ان يكون خصما لمن لم يقبلها واذا كان هذا الاختصام في باب الدين دل ذلك على ان الجدال في باب الدين حق ❁ وفيه ابطال التقليد ❁ اما قوله يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ❁ ففيه بحثان ❁ البحث الاول ان في تفسير استعجال السيئة قبل الحسنة وجهين الاول ان الذين كذبوا صالحا عليه السلام لما لم ينفعهم الحجاج توعدهم صالح بالعذاب فقالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين على وجه الاستهزاء فعنده قال صالح لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ❁ والمراد ان الله تعالى قد مكنكم من التوصل الى رحمة الله وثوابه ❁ فلماذا تعدلون عنه الى استعجال عذابه ❁ الثاني انهم كانوا يقولون ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا ❁ فحينئذ يقبل الله توبتنا ويدفع العذاب عنا ❁ فخاطبهم صالح على حسب اعتقادهم وقال هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب ❁ فان استعجال الخير اولى من استعجال الشر ❁ البحث الثاني ان المراد بالسيئة العقاب وبالحسنة الثواب ❁ فاما وصف العذاب بانه سيئة ❁ فهو مجاز ❁ وسبب هذا التجوز ❁ اما لان العقاب من لوازمه ❁ واما الشبهة في كونه مكروها ❁ واما وصف الرحمة بانها حسنة ❁ فمنهم من قال انه حقيقة ❁ ومنهم من قال انه مجاز والاول اقرب ❁ ثم ان صالحا عليه السلام لما قرر هذا الكلام الحق اجابوا بكلام فاسد وهو قولهم اطيرنا بك اي تشاءمنا بك لان الذي يصيبنا من شدة وقحط فهو بشومك وشوم من معك ❁ قال صاحب الكشاف كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن ❁ وان مر بارحا تشاءم ❁ فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببا للخير والشر وهو قدر الله وقسمته ❁ فاجاب صالح عليه السلام بقوله طائركم عند الله اي السبب الذي منه يجيء خيركم وشركم عند الله وهو قضاء الله وقدره ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم ❁ وقيل بل المراد ان جزاء الطيرة منكم عند الله وهو العقاب ❁ والاقرب الوجه الاول لان القوم اشاروا الى الامر الحاصل ❁ فيجب في جوابه ان يكون فيه لا في غيره ❁ ثم بين ان هذا جهل منهم بقوله بل انتم قوم تفتنون فيحتمل ان غيرهم دعاهم الى هذا القول ❁ ويحتمل ان يكون المراد ان الشيطان يفتنهم بوسوسته ❁ ثم انه سبحانه قال وكان في المدينة تسعة رهط ❁ والاقرب ان يكون المراد تسعة جمع اذ الظاهر من الرهط الجماعة لا الواحد ثم يحتمل انهم كانوا قبائل ويحتمل انهم دخلوا تحت العدد لاختلاف صفتهم واحوالهم لا لاختلاف النسب ❁ فبين تعالى انهم يفسدون في الارض ولا يصلحون فيمزجون ذلك الفساد بشيء من الصلاح فلهذا قال يفسدون في الارض ولا يصلحون ❁ ثم بين تعالى ان من جملة ذلك ما هموا به في صالح عليه السلام ❁ اما قوله تقاسموا بالله فيحتمل ان يكون امرا وخبرا في محل الحال باضمار قد اي قالوا متقاسمين ❁ والبيات مباغتة العدو ليلا ❁ اما قوله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله ❁ يعني لو اتهمنا قومه حلفنا لهم انا لم نحضر ❁ وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من اهلك ❁ ويحتمل المصدر والمكان والزمان ❁ ثم انه سبحانه قال ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ❁ فقد اختلفوا في مكر الله على وجوه ❁ احدها ان مكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة ❁ روي انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث ❁ فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث ❁ فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله قتلناهم فبعث الله صخرة فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب ❁ فهلكوا وهلك الباقون بالصيحة ❁ وثانيها جاؤا بالليل شاهرين سيوفهم ❁ وقد ارسل الله الملائكة حول دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا ❁ وثالثها ان الله تعالى اخبر صالحا بمكرهم فتحرز عنهم فذاك مكر الله في حقهم ❁ اما قوله انا دمرناهم استيناف ❁ ومن قرا بالفتح رفعه بدلا من العاقبة او خبر مبتدا محذوف تقديره وهي تدميرهم ❁ او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار ❁ اما قوله خاوية فهو حال عمل فيها ما دل عليه تلك ❁ وقرا عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدا المحذوف والله اعلم

طائركم عند الله اى السبب الذى منه يجى خيركم وشركم عند الله

القصة الرابعة قصة لوط عليه السلام قوله تعالى ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قال صاحب الكشاف واذكر لوطا أو وأرسلنا لوطا لدلالة ولقد أرسلنا عليه وإذ بدل على الأول ظرف على الثاني • أما قوله أتأتون الفاحشة فهو على وجه التنكير وإن كان بلفظ الاستفهام وربما كان التوبيخ بهذا اللفظ أبلغ • أما قوله وأنتم تبصرون ففيه وجوه • أحدها أنهم كانوا لا يستترون من إظهار ذلك على وجه الخلاعة ولا يتكاتمون ذلك أحدا لأجله عظم ذلك الفعل منهم فذكر في توبيخه لهم ما له عظم ذلك الفعل • وثانيها المراد بصر القلب أي تعلمون أنها فاحشة وأن الله تعالى لم يخلق الذكر للذكر فهي مضادة الله في حكمته • وثالثها تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم فإن قلت فسوف تبصرون بالعلم وبعده بل أنتم قوم تجهلون فكيف تكونون علماء جهلاء قلت أراد تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك أو تجهلون العاقبة أو أراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها • ثم إنه تعالى بين جهلهم بأن حكى عنهم أنهم أجابوا عن هذا الكلام بما لا يصلح أن يكون جوابا له فقال وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون لعلوا الذي لأجله يخرجون أنهم يتطهرون من هذا الصنع الفاحش • وهذا أن يوجب سفههم وتعظيمهم أولى لكن من المفسرين من قال إنما قالوا ذلك على سبيل الهزؤ • ثم بين تعالى أنه نجاه وأهله إلا امرأته وأهلك الباقين • وقد تقدم كل ذلك مشروحا • وهاهنا آخر القصص في هذه السورة القول في خطاب الله تعالى مع محمد عليه الصلاة والسلام قوله تعالى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون في هذه الآية قولان • الأول أنه متعلق بما قبله من القصص • والمعنى الحمد لله على هلاكهم وسلام على عباده الذين اصطفى إذ أرسلهم ونجاهم الثاني أنه مبتدأ • فإنه تعالى لما ذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام • وكان محمد عليه الصلاة والسلام كالمخالف لمن قبله في أمر العذاب لأن عذاب الاستئصال مرتفع عن قومه أمره الله تعالى على ما خصه بهذه النعم وبأن يسلم على الأنبياء الذين صبروا على مشاق الرسالة • فأما قوله آلله خير أما يشركون • فهو تبكيت للمشركين وتهكم بحالهم وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله تعالى ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء إلا لزيادة خير ومنفعة فقيل لهم هذا الكلام تنبيها لهم على ضلالهم وجهلهم • وقرئ يشركون بالتاء والياء • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم • واعلم أنه سبحانه وتعالى تكلم بعد ذلك في عدة فصول

الفصل الأول في الرد على عبدة الأوثان • ومدار هذا الفصل على بيان أنه سبحانه وتعالى هو الخالق لأصول النعم وفروعها فكيف تحسن عبادة ما لا منفعة فيه البتة • ثم إنه سبحانه وتعالى ذكر أنواعا من النعم النوع الأول ما يتعلق بالسموات • قوله تعالى أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون وفيه مسائل المسألة الأولى قال صاحب الكشاف الفرق بين أم وأم في أما يشركون وأمن خلق أن الأولى متصلة لأن المعنى أيهما خير • وهذه منقطعة بمعنى بل والحديقة البستان عليه حائط من الإحداق وهو الإحاطة • وقيل ذات لأن المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت • والبهجة الحسن لأن الناظر يبتهج به أإله مع الله أي أغيره يقرن به ويجعل شريكا له • وقرئ أإلها مع الله بمعنى أتدعون أو تشركون المسألة الثانية أنه تعالى بين أن الذي اختص بأن خلق السموات والأرض وجعل السماء مكانا للماء والأرض للنبات • وذكر أعظم النعم وهي الحدائق ذات البهجة ونبه تعالى على أن هذا الإنبات في الحدائق لا يقدر عليه إلا الله تعالى لأن أحدنا لو قدر عليه لما احتاج إلى غرس ومصابرة على ظهور الثمرة • وإذا كان تعالى هو المختص بهذا الإنعام وجب أن يختص بالعبادة • فلذلك قال بل هم قوم يعدلون عن هذا الحق الظاهر • وقيل يعدلون بالله سواه • ونظير هذه الآية أول سورة الأنعام المسألة الثالثة يقال ما حكمة الالتفات في قوله فأنبتنا جوابه أنه لا شبهة للعاقل في أن خالق السموات والأرض ومنزل الماء من السماء ليس إلا الله تعالى وربما عرضت الشبهة في منبت الشجرة • فيقول الإنسان أنا الذي ألقي البذر في الأرض الحرة وأسقيها الماء وأسعى في تشميسها وفاعل السبب فاعل المسبب فإذن أنا المنبت للشجرة • فلما كان هذا الاحتمال قائما لا جرم أزال الله هذا الاحتمال فرجع من لفظ الغيبة إلى قوله فأنبتنا وقال ما كان لكم أن تنبتوا شجرها لأن الإنسان قد يأتي بالبذر والسقي والتكريب والتشميس ثم لا يأتي على وفق مراده فإنه يكون جاهلا بطبعه ومقداره وكيفيته • وكيف يكون فاعلا لها • فلهذه النكتة حسن الالتفات هاهنا النوع الثاني ما يتعلق بالأرض • قوله تعالى أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها

أنهارا

أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون قال صاحب الكشاف قرارا جعلها مستقرة بحيث يتمكن الانسان من المشي عليها • اعلم أنه تعالى ذكر من منافع الأرض أمورا أربعة • المنفعة الأولى كونها قرارا وذلك لوجوه • الأول أنه تعالى دحاها وسواها للاستقرار • الثاني أنه تعالى جعلها متوسطة في الصلابة والرخاوة فليست في الصلابة كالحجر الذي يتألم الإنسان بالاضطجاع عليه • وليست في الرخاوة كالماء الذي يغوص فيه • الثالث أنه تعالى جعلها كثيفة غبراء ليستقر عليها النور • ولو كانت لطيفة لما استقر النور عليها ولو لم يستقر النور عليها لصارت من شدة بردها بحيث تموت الحيوانات • الرابع أنه سبحانه جعل الشمس بسبب ميلها عن مدار منطقة الكل بحيث تبعد تارة وتقرب أخرى من سمت الرأس ولولا ذلك لما اختلفت الفصول ولما حصلت المنافع • الخامس أنه سبحانه وتعالى جعلها ساكنة فإنها لو كانت متحركة لكانت إما متحركة على الاستقامة أو على الاستدارة وعلى التقديرين لا يحصل الانتفاع بالسكنى على الأرض • السادس أنه تعالى جعلها كفاتا للأحياء والأموات • والعاطوح عليها كل قبيح ويخرج منها كل مليح • المنفعة الثانية قوله وجعل خلالها أنهارا • اعلم أن أقسام المياه المنبعثة من الأرض أربعة • الأول مياه العيون السيالة وهي تنبعث من أبخرة كثيرة المادة قوية الاندفاع تفجر الأرض بقوة • ثم لا يزال يستتبع جزء منها جزءا • الثاني مياه العيون الراكدة وهي تحدث من أبخرة بلغت من القوة أن تندفع إلى وجه الأرض ولم تبلغ من القوة والكثرة أن يطرد تاليها سابقها • الثالث مياه القنى والأنهار وهي متولدة من أبخرة ناقصة القوة عن أن تشق الأرض فإذا أزيل عن وجهها ثقل التراب صادفت تلك الأبخرة منفذا يندفع إليه بأدنى حركة • الرابع مياه الآبار وهي بعينه كمياه الأنهار إلا أنه لم يجعل له ميل إلى موضع يسيل إليه ونسبة القنى إلى الآبار نسبة العيون السيالة إلى العيون الراكدة فقد ظهر أنه لولا صلابة الأرض لما اجتمعت تلك الأبخرة في باطنها • ولولا اجتماعها في باطنها لما حدثت هذه العيون في ظاهرها • المنفعة الثالثة للأرض قوله وجعل لها رواسي والمراد منها الجبال • فنقول أكثر العيون والسحب والمعدنيات إنما تكون في الجبال أو فيما يقرب منها أما العيون فلأن الأرض إذا كانت رخوة نشفت الأبخرة عنها فلا يجتمع منها قدر يعتد به • فلأن هذه الأبخرة لا تجتمع إلا في الأرض الصلبة • والجبال أصلب الأرض فلا جرم كانت أقواها على حبس هذا البخار حتى يجتمع ما يصلح أن يكون مادة العيون ويشبه أن يكون مستقر الجبل مملوا ماء وتكون الجبال في حقنها الأبخرة كالإنبيق الصلب المعد للتقطير لا يدع شيئا من البخار يتحلل ونفس الأرض التي تحته كالقرع والعيون كالأذناب • والبحار كالقوابل • ولذلك فإن أكثر العيون إنما تنفجر من الجبال • وأقلها من البراري • وذلك الأقل لا يكون إلا إذا كانت الأرض صلبة • وأما أن أكثر السحب يكون في الجبال • فلوجوه ثلاثة • أحدها أن في باطن الجبال من النداوة ما لا يكون في باطن الأرض الرخوة • وثانيها أن الجبال بسبب ارتفاعها أبرد فلا جرم يبقى على ظاهرها من الأنداء أو من الثلوج ما لا يبقى على ظاهر سائر الأرضين • وثالثها أن الأبخرة الصاعدة تكون محبوسة بالجبال فلا تتفرق ولا تتحلل • وإذا ثبت ذلك ظهر أن أسباب كثرة السحب في الجبال أكثر لأن المادة فيها ظاهرا وباطنا أكثر والاحتقان أشد • والسبب المحلل وهو الحر أقل فلذلك كانت السحب في الجبال أكثر • وأما المعدنيات المحتاجة إلى بخار تكون أخلاطها بالأرضية أكثر وإلى مقاومة طويلة تتم النضج فيها فلا شيء لها في هذا المعنى كالجبال • المنفعة الرابعة للأرض قوله وجعل بين البحرين حاجزا • فالمقصود منه أن لا يفسد العذب بالاختلاط أيضا فينتفع بذلك الحاجز • وأيضا المؤمن في قلبه بحران • بحر الإيمان والحكمة • وبحر الطغيان والشهوة • وهو بتوفيقه جعل بينهما حاجزا لكي لا يفسد أحدهما بالآخر وقال بعض الحكماء في قوله مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان • وقال عند عدم البغي يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فعند عدم البغي في القلب يخرج الدين والإيمان بالشكر • فإن قيل ولم جعل البحر ملحا • قلنا لولا ملوحته لأجن وانتشر فساد أجونه في الأرض وأحدث الوباء العام • واعلم أن اختصاص البحر بجانب من الأرض دون جانب أمر غير واجب بل الحق أن البحر يتنقل في مدد لا تضبطها التواريخ المنقولة من قرن إلى قرن لأن استمداد البحر في الأكثر من الأنهار • والأنهار تستمد في الأكثر من العيون • وأما مياه السماء فإن حدوثها في فصل بعينه دون فصل ثم لا العيون ولا مياه السماء تجب أن تتشابه أحوالها في بقاع واحدة بأعيانها بل تشابها مستمرا فإن كثيرا من العيون تغور وكثيرا ما ينقطع السماء فلا بد حينئذ من نضوب الأودية والأنهار فيعرض بسبب ذلك نضوب البحار وإذا حدثت العيون من جانب آخر حدثت الأنهار هناك فيحصل البحار من ذلك الجانب ثم إنه سبحانه لما بين أنه هو المختص بالقدرة على خلق الأرض التي فيها هذه المنافع الجليلة وجب أن يكون هو المختص بالإلهية فنبه بقوله تعالى بل أكثرهم لا يعلمون على عظيم جهلهم بالذهاب عن هذا بالتفكر النوع الثالث ما يتعلق بالحاجة

ان الجبال بسبب ارتفاعها ابرد فلا جرم يبقى على ظهرها من الانداء او من الثلوج ما لا يبقى على ظهر سائر الارضين

الخلق الى الله سبحانه وتعالى وهو • قوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم
خلفاء الارض االه مع الله قليلا ما تذكرون اعلم انه سبحانه نبه في هذه الاية على امرين • احدهما قوله امن يجيب
المضطر اذا دعاه قال صاحب الكشاف الضرورة الحالة المحوجة الى الالتجا والاضطرار افتعال منها • يقال اضطره
الى كذا • والفاعل والمفعول مضطر • واعلم ان المضطر هو الذي احوجه مرض او فقر • او نازلة من نوازل الدهر
الى التضرع الى الله • وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة • وقيل المذنب اذا استغفر • فان قيل قد عم المضطر
بقوله يجيب المضطر اذا دعاه • وكم من مضطر يدعو فلا يجاب • جوابه قد بينا في اصول الفقه ان المفرد
لا يفيد العموم وانما يفيد الماهية فقط • والحكم المثبت للماهية يكفي في صدقه ثبوته في فرد واحد من افراد الماهية
وايضا فانه تعالى وعدنا الاستجابة ولم يذكر انه يستجيب في الحال • وتمام القول في شرايط الدعا والاجابة مذكور
في قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم • واما قوله ويكشف السوء فهو كالتفسير للاستجابة فانه لا يقدر احد
على كشف ما دفع اليه من فقر الى غنى • ومرض الى صحة • وضيق الى سعة الا القادر الذي لا يعجز • والقاهر الذي لا ينازع
وثانيهما قوله تعالى ويجعلكم خلفاء الارض • فالمراد توارثهم سكناها • والتصرف فيها قرنا بعد قرن او اراد بالخلافة
الملك والتسلط • وقرئ تذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام وما مزيدة اي يذكرون تذكرا قليلا والمعنى
نفي التذكر • والقليل يستعمل في معنى النفي • النوع الرابع ما يتعلق باحتياج الخلق ولكنه حاجة خاصة في وقت خاص
قوله تعالى امن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته االه مع الله تعالى الله عما يشركون
اعلم انه تعالى نبه في هذه الاية على امرين • الاول قوله امن يهديكم والمعنى يهديكم بالنجوم في السما والعلامات في الارض
اذا جن الليل عليكم مسافرين في البر والبحر • والثاني قوله تعالى ومن يرسل الرياح • فان الفلاسفة قالوا ان الرياح
انما تتولد عن الدخان • وليس الدخان كله هو الجسم الاسود المرتفع مما احترق بالنار بل كل جسم ارضي يرتفع بتصعيد
الحرارة حرارة النار او حرارة الشمس فهو دخان • قالوا وتولد الريح عن الادخنة على وجهين • احدهما الاكثري والاخر
اقلي • اما الاكثري فهو انه اذا صعدت ادخنة كثيرة الى فوق فعند وصولها الى الطبقة الباردة اما ان ينكسر حرها
ببرد ذلك الهوا او لا ينكسر فان انكسر فلا محالة تثقل وتنزل فيحصل من نزولها تموج الهوا فيحدث الريح وان لم ينكسر فلا بد
وان تتصاعد الى ان تصل الى كرة النار المتحركة بحركة الفلك وحينئذ لا تتمكن من الصعود بسبب حركة النار فترجع تلك
وتصير ريحا لا يقال لو كان ارتفاع هذه الادخنة بسبب حركة الهوا العالي لما كانت حركتها الى اسفل بل الى جهة حركة
الهوا العالي لانا نقول الجواب من وجهين • الاول انه ربما اوجبت بقية صعود تلك الادخنة
وهيئة لحوق المادة ان تتحرك الى خلاف جهة المتحرك المانع كالسهم يصيب جسما متحركا فيعطفه تارة الى جهته ان كان
الحابس كما يقدر على صرف المتحرك عن توجهه يقدر ايضا على صرفه الى جهة حركة نفسه • وتارة الى خلاف تلك الجهة
اذا كان المعاوق يقدر على الحبس ولا يقدر على الصرف • الثاني انه ربما كان صعود بعض الادخنة من تحت
مانعا للادخنة النازلة من فوق ان تستقل على الاستقامة فلاجل هذا السبب تحركت الى سائر الجوانب
واعلم ان لاهل الاسلام ههنا مقامين • المقام الاول ان نقيم الدلايل على فساد هذه العلة • وبيانه من وجهين
الاول ان الاجزا الدخانية ارضية فهي اثقل من اجزا البخارية المائية ثم ان البخار لما ارتد وترك لم لا ينزل
على الخط المستقيم بل ذهب يمنة ويسرة • الثاني ان حركة تلك الاجزا الى اسفل طبيعية • وحركتها يمنة ويسرة
عرضية • والطبيعي اقوى من العرضي وان لم يكن اقوى فلا اقل من المساواة • ثم ان الريح عند حركتها يمنة ويسرة
ربما يقوى على قلع الاشجار ورمي الجدار بل الجبال • فتلك الاجزا الدخانية عندما حركت حركتها الطبيعية
التي لها وهي الحركة الى السفل وجب ان يهدم السقف ولكنا نرى الغبار الكثير ينزل من الهوا ويسقط على
السقف فلا يحس بنزوله فضلا عن ان يهدمه فثبت فساد ما ذكروه • المقام الثاني هب ان الامر كما ذكروه
ولكن الاسباب الفاعلية والقابلية مخلوقة لله سبحانه فانه لولا الشمس وتاثيرها في تصعيد الابخرة
والادخنة • ولولا طبقات الهوا والا لما حدثت هذه الامور • ومعلوم ان من وضع اسبابا متادية الى
منافع عجيبة وحكم بالغة فذلك الواضع هو الذي فعل تلك المنافع • فعلى جميع الاحوال لا بد من شهادة هذه الامور
على مدبر حكيم لذاته قطعا لسلسلة الحاجات • النوع الخامس ما يتعلق بالحشر والنشر • قوله تعالى امن يبدا
الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السما والارض االه مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين اعلم انه تعالى
لما عدد نعم الدنيا اتبع ذلك نعم الاخرة بقوله امن يبدو الخلق ثم يعيده لان نعم الاخرة بالثواب لا تتم الا بالاعادة
بعد الابتدا والابلاغ الى حد التكليف فقد تضمن الكلام كل هذه النعم • ومعلوم انها لا تتم الا بالارزاق

فلذلك قال

فلذلك قال ومن يرزقكم من السما والارض • ثم قال االه مع الله منكرا لما هم عليه • ثم بين بقوله قل هاتوا برهانكم ان كنتم
صادقين اي لا برهان لكم فانكم مبطلون وهذا يدل على انه لا بد في الدعوى من البرهان وعلى فساد التقليد • فان قيل
كيف قيل لهم امن يبدو الخلق ثم يعيده وهم منكرون للاعادة جوابه كانوا معترفين بالابتدا ودلالة الابتدا على الاعادة دلالة
ظاهرة قوية • فلما كان الكلام مقرونا بالدلايل الظاهرة صاروا كانهم لم يبق لهم عذر في الانكار • وههنا اخر الدلايل
المذكورة على كمال قدرة الله تعالى • قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما
يشعرون ايان يبعثون بل ادرك علمهم في الاخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون اعلم انه تعالى لما بين انه
المختص بالقدرة فكذلك بين انه المختص بعلم الغيب • واذا ثبت ذلك ثبت انه هو الاله المعبود لان الاله هو الذي
يصح منه مجازاة من يستحق الثواب على وجه لا يلتبس باهل العقاب • فان قيل الاستثنا حكمه اخراج ما لولاه لوجب ان يصح
دخوله تحت المستثنى منه • ودلالة الاية ههنا على استثنا الله تعالى عمن في السموات والارض توجب كونه
ممن في السموات والارض وذلك يوجب كونه تعالى في المكان • الجواب ان هذه الاية متروكة الظاهر لان من قال
انه تعالى في المكان زعم انه فوق السما • ومن قال انه ليس في مكان فقد نزهه عن كل الامكنة • فثبت بالاجماع انه
ليس في السموات ولا في الارض فاذن وجب تاويله فنقول انه تعالى ممن في السموات والارض كما يقول المتكلمون الله
تعالى في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها لا يقال ان كونه في السموات والارض مجازا وكونهم فيهما حقيقة
وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير جايزة لانا نقول كونهم في السموات والارض كما انه حاصل
حقيقة وهو حصول ذواتهم في تلك الاحياز • فكذلك حاصل مجازا وهو كونهم عالمين بتلك الامكنة • فاذا
حملنا هذه الغيبية على المعنى المجازي وهو الكون فيها بمعنى العلم دخل الرب سبحانه • والعبيد فيه فصح الاستثنا
اما قوله وما يشعرون فهو صفة لاهل السموات والارض نفى ان يكون لهم علم بالغيب وذكر في جملة الغيب متى
البعث بقوله ايان يبعثون • وايان بمعنى متى • وهي كلمة مركبة من اي والان وهو الوقت • وقرئ ايان بكسر الهمزة
اما قوله تعالى بل ادرك علمهم في الاخرة • فاعلم ان كلام صاحب الكشاف فيه على ثلاثة ابحاث • البحث الاول
فيه ثنتا عشرة قراة • بل ادرك • بل ادارك • بل ادرك • بل تدارك • بل اادرك بهمزتين • بل آادرك بالف بينهما
بل ادرك بالتخفيف والنقل • بل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام • بل ادرك • بلى ادرك
ام تدارك ام ادرك • البحث الثاني ادارك اصله تدارك فادغمت التا في الدال • وادرك افتعل • البحث الثالث
معنى ادرك علمهم انتهى وتكامل • وادارك تتابع واستحكم • ثم فيه وجوه • احدها ان اسباب استحكام العلم
وتكامله بان القيمة كاينة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله
بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كانوا من جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال
بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم • فان قيل الاية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب • وان العباد
لا علم لهم بشي منها وان وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به • فكيف ناسب هذا المعنى وصف
المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة والجواب كانه سبحانه قال كيف تعلمون
الغيب مع انهم شكوا في ثبوت الاخرة التي دلت الدلايل الظاهرة القاهرة عليها فمن غفل عن هذا الشي الظاهر كيف يعلم الغيب
الذي هو اخفى الاشيا • الوجه الثاني ان وصفهم باستحكام العلم تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل
التهكم وذلك حيث شكوا في اثبات ما الطريق اليه واضح ظاهر • الوجه الثالث ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني
من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا
تتابعوا في الهلاك • اما وجه قراة من قرا اادرك على الاستفهام فهو انه استفهام على وجه الانكار عليهم وكذلك
من قرا ام ادرك وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة • واما من قرا بلى ادرك فلانه لما جا بلى بعد قوله وما يشعرون
كان معناه بل يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك علمهم في الاخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم
وكانه قال شعورهم بوقت الاخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون • واما من قرا بلى ادرك
على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون • ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل
لهم شعور بوقت كونها • فان قلت هذه الاضرابات الثلاث ما معناها • قلت ما هي الا تنزيل لاحوالهم وصفهم
اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث • ثم بانهم لا يعلمون ان القيمة كاينة • ثم بانهم يخبطون في شك ومرية ثم بما هو
اسوء حالا وهو العمى وفيه نكتة وهي انه تعالى جعل الاخرة مبدا عماهم فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة
والجزا هو الذي جعلهم كالبهايم • قوله تعالى وقال الذين كفروا ااذا كنا ترابا واباؤنا اننا لمخرجون لقد وعدنا

سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشي منها

هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين.

تكن مما

اعلم أنه سبحانه لما تكلم في حال المبدأ تكلم بعده في حال المعاد وذلك لأن الشك في المعاد لا ينشأ إلا من الشك في كمال القدرة أو في كمال العلم فإذا أثبت كونه قادرا على كل الممكنات وعالما بكل المعلومات ثبت أنه تعالى يمكنه تمييز أجزاء بدن كل واحد من المكلفين عن أجزاء بدن غيره • وثبت أنه قادر على أن يعيد التركيب والحياة إليها • وإذا ثبت إمكان ذلك ثبت القول بالحشر • فلما بين الله تعالى هذين الأصلين فيما قبل هذه الآية لا جرم لم يحكه في هذه الآية • وحكى عنهم أنهم تعجبوا من إخراجهم أحياء وقد صاروا ترابا • وطعنوا فيه من وجهين • الأول قولهم لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا أي هذا كلام كما قيل لنا فقد قيل لمن قبلنا ولم يظهر له أثر فهو إذن من أساطير الأولين يريدون ما لا يصح من الأخبار • فإن قيل ذكرها هنا لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا • وفي آية أخرى لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا فما الفرق • قلنا التقديم دليل على أن المقدم هو المقصود الأصلي وأن الكلام سيق لأجله ثم إنه سبحانه لما كان بين الدلالة على هذين الأصلين • ومن الظاهر أن كل من أحاط بهما فقد عرف صحة الحشر والنشر ثبت أنهم أعرضوا عنها ولم يتأملوا فيها وكان سبب ذلك الإعراض حب الدنيا وحب الرياسة والجاه وعدم الانقياد للغير لا جرم اقتصر على بيان أن الدنيا فانية زائلة فقال قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين • وفي الآية سؤالان • السؤال الأول لم لم يقل كيف كانت عاقبة المجرمين • جوابه لأن تأنيثها غير حقيقي • ولأن المعنى كيف كان آخر أمرهم • السؤال الثاني لم لم يقل عاقبة الكافرين • جوابه الغرض أن يحصل التخويف لكل العصاة • ثم إنه تعالى صبر رسوله على ما يناله من هؤلاء الكفار فقال ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون • فجمع بين إزالة الغم عنه بكفرهم وبين إزالة الخوف من جانبهم • وما ذاك إلا ينبعث به عليهم ولا تك في ضيق أي في حرج قلب • يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر • والضيق تخفيف الضيق • ويجوز أن يراد في أمر ضيق من مكرهم • الوجه الثاني للكفار قولهم متى هذا الوعد • وقولهم متى هذا الوعد • وقوله إن كنتم صادقين يدل على أنهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية • فأجاب الله تعالى بقوله عسى أن يكون ردف لكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء في قوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم • وقرأ الأعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان • والكسر أفصح • وههنا بحثان • الأول أن عسى ولعل في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر • وإنما يعنون بذلك إظهار وقارهم وأنهم لا يعجلون بالانتقام لوثوقهم بأن عدوهم لا يفوتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده • الثاني أنه قد ثبت بالدلائل العقلية أن عذاب الحجاب أشد من عذاب النار • ولذلك قال كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم فقدم الحجاب على الجحيم • ثم إنهم كانوا محجوبين في الحال فكان سبب العذاب بكماله حاصلا إلا أن الاشتغال بالدنيا ولذاتها كالعائق عن إدراك ذلك الألم كما أن العضو الخدر إذا مسته النار فإن سبب الألم حاصل في الحال لكنه لا يحصل الشعور بذلك الألم لقيام العائق وإذا زال العائق عظم البلاء فكذا ههنا إذا زال البدن عظم عذاب الحجاب • فقوله سبحانه عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون يعني المقتضي له والمؤثر فيه حاصل وتمامه إنما يحصل بعد الموت • ثم إنه سبحانه بين السبب في ترك تعجيل العذاب فقال وإن ربك لذو فضل على الناس • والفضل الإفضال • ومعناه تفضل عليهم بتأخير العقوبة وأكثرهم لا يعرفون هذه النعمة ولا يشكرونها • وهذه الآية تبطل قول من قال إنه لا نعمة لله على الكفار • ثم بين سبحانه أنه مطلع على قلوبهم فقال وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون • وههنا بحث عقلي وهو أنه قدم ما تكنه صدورهم على ما يعلنون في العلم • والسبب أن ما تكنه صدورهم هو الدواعي والقصود وهي أسباب لما يعلنون وهي أفعال الجوارح والعلم بالعلة علة للعلم بالمعلول • فهذا هو السبب في ذلك التقديم • قوله تكن يقال كننت الشيء وأكننته إذا سترته وأخفيته يعني أنه تعالى يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة الرسول ومكايدهم • أما قوله وما من غائبة قال صاحب الكشاف سمي الشيء الذي يخفى ويغيب غائبة وخافية • وكانت التاء فيهما بمنزلتها في الباقية والعافية والنطيحة والذبيحة في أنها أسماء غير صفات • ويجوز أن يكونا صفتين للأسماء للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من رواية السوء كأنه تعالى قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله وأحاط به وأثبته في اللوح • والمبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة • قوله تعالى إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز الحكيم

فتوكل على الله إنك على الحق المبين إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون.

اعلم أنه سبحانه لما تمم الكلام في إثبات المبدأ والمعاد ذكر بعد ذلك ما يتعلق بالنبوة • ولما كانت العمدة الكبرى في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآن لا جرم بين الله تعالى أولا كونه معجزة من وجوه • أحدها أن الأقاصيص المذكورة في القرآن موافقة لما كانت مذكورة في التوراة والإنجيل مع العلم بأنه عليه السلام كان أميا وأنه لم يخالط أحدا من العلماء ولم يشتغل قط بالاستفادة والتعلم فإذن يكون ذلك إلا من قبل الله واختلفوا فقال بعضهم أراد به ما اختلفوا فيه وتباينوا • وقال آخرون أراد به ما حرفه بعضهم • وقال بعضهم بل أراد بل أراد به أخبار الأنبياء • والأول أقرب • وثانيها قوله وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين وذلك لأن بعض الناس قال إنا لما تأملنا القرآن فوجدنا فيه من الدلائل العقلية على التوحيد والحشر والنبوة وشرح صفات الله تعالى وبيان نعوت جلاله ما لم نجده في شيء من الكتب ووجدنا ما فيه من الشرائع مطابقة للعقول موافقة لها • ووجدناه مبرأ عن التهافت والتناقض فكان هدى ورحمة من هذه الجهات ووجدنا القوى البشرية قاصرة عن جمع كتاب على هذا الوجه فعلمنا أنه ليس إلا من عند الله تعالى • فكان القرآن معجزا من هذه الجهة • وثالثها أنه هدى ورحمة للمؤمنين لبلوغه في الفصاحة إلى حيث عجزوا عن معارضته • وذلك معجز • ثم إنه تعالى لما بين كونه معجزا دالا على الرسالة ذكر بعده أمرين • الأول قوله إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم • والمراد أن القرآن وإن كان يقضي على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون فيه لكن لا تكون أنت في قيدهم • فإن ربك هو الذي يقضي بينهم أي بين المصيب والمخطئ منهم وذلك كالزجر للكفار • فلذلك قال وهو العزيز أي القادر الذي لا يمنع • العليم بما يحكم فلا يكون إلا الحق • فإن قيل القضاء والحكم شيء واحد • فقوله يقضي بحكمه كقوله يقضي بقضائه ويحكم بحكمه والجواب معنى قوله بحكمه أي بما يحكم به وهو عدله لأنه لا يقضي إلا بالعدل • أو أراد بحكمه ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة • الثاني أنه تعالى أمره بعد ظهور حجة رسالته أن يتوكل على الله ولا يلتفت إلى أعداء الله ويشرع في تتمة مهمات الرسالة بقلب قوي فقال فتوكل على الله ثم علل ذلك بأمرين • أحدهما قوله إنك على الحق المبين • وفيه بيان أن المحق حقيق بنصر الله وأنه لا يخذل • وثانيهما قوله إنك لا تسمع الموتى • وإنما حسن جعله سببا للأمر بالتوكل وذلك لأن الإنسان ما دام يطمع في أحد أن يأخذ منه شيئا فإنه لا يقوى قلبه على إظهار مخالفته فإذا قطع طمعه عنه قوي قلبه على إظهار مخالفته فالله سبحانه قطع طمع محمد عليه الصلاة والسلام عنهم بأن بين أنهم كالموتى وكالصم وكالعمي لا يسمعون ولا يفهمون ولا يبصرون ولا يلتفتون إلى شيء من الدلائل • وهذا سبب لقوة قلبه عليه السلام على إظهار الدين كما ينبغي • فإن قيل ما معنى قوله إذا ولوا مدبرين • جوابه هو تأكيد لحال الأصم لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن تولى عنه مدبرا كان أبعد عن إدراك صوته • أما قوله إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا • فالمعنى ما تجدي إسماعك إلا على الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أي يصدقون بها • فهم مسلمون أي مخلصون من قوله بلى من أسلم وجهه يعني جعله سالما لله خالصا له

بلى من أسلم وجهه يعني جعله سالما لله خالصا له

قوله تعالى وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى إذا جاؤوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون.

اعلم أن الله تعالى بين بالدلائل القاهرة كمال القدرة وكمال العلم ثم فرع عليهما القول بإمكان الحشر ثم بين الوجه في كون القرآن معجزا • ثم فرع عليه نبوة محمد عليه الصلاة والسلام • ثم تكلم الآن في مقدمات قيام القيمة • وإنما أخر تعالى الكلام في هذا الباب عن إثبات النبوة لما أن هذه الأشياء لا يمكن معرفتها إلا بقول النبي الصادق • وهذا هو النهاية في جودة الترتيب • واعلم أنه تعالى ذكر تارة ما يكون كالعلامة لقيام القيمة • وتارة الأمور التي تقع عند قيام القيمة فذكر أولا من علامات القيمة دابة الأرض • والناس تكلموا فيها من وجوه • أحدها في مقدار جسمها • وفي الحديث أن طولها ستون ذراعا • وروي أن رأسها تبلغ السحاب وعن أبي هريرة ما بين قرنيها فرسخ للراكب • وثانيها في كيفية خلقتها • فروي لها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان • وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور • وعين خنزير • وأذن فيل • وقرن أيل • وصدر أسد • ولون نمر وخاصرة هر • وذنب كبش • وخف بعير • وثالثها في كيفية خروجها • عن علي أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثلثها • وعن الحسن لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام • ورابعها في موضع خروجها سئل النبي عليه السلام من أين تخرج الدابة • فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى المسجد الحرام • وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية • وخامسها في عدد خروجها • فروي أنها تخرج ثلاث مرات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج

بالبادية ثم تكمن دهراً طويلاً فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها
من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون واعلم انه لا دلالة في
الكتاب على شيء من هذه الامور فان صح الخبر فيه عن الرسول قبل والا لم يلتفت اليه اما قوله تعالى واذا وقع
القول عليهم فالمراد من القول متعلقه وهو ما وعدوا من قيام الساعة ووقوعه وحصوله او المراد مشارفة الساعة
وظهور اشراطها اما دابة الارض فقد عرفتها اما قوله تكلمهم فقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح روي ان الدابة
تخرج من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو
تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه وتنكت الكافر في انفه فتفشو النكتة في وجهه حتى يسود لها وجهه
واعلم انه يجوز ان تكلمهم من الكلم ايضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم اي مجرح وقرأ ابي تنبئهم وقرأ ابن مسعود
تكلمهم بان الناس والقراءة بان مكسورة حكاية لقول الدابة ذلك وهي حكاية لقول الله تعالى يعني انه اخرج
الدابة لهذه العلة فان قيل اذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول باياتنا جوابه ان قولها حكاية
لقول الله او على معنى بايات ربنا او لاختصاصها بالله اضافت ايات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا
وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار اي تكلمهم بان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون اما
قوله ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا واعلم ان هذا من الامور الواقعة بعد قيام القيمة والفرق
بين من الاولى والثانية ان الاولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الاوثان اما قوله يوزعون معناه يحبس
اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا فيكبوا في النار وهو عبارة عن كثرة العدد وتباعد اطرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك
وقوله ممن يكذب باياتنا فهذا وان احتمل معجزات الرسل كما قاله بعضهم فالمراد كل الايات فيدخل فيه سائر الكفار
الذين كذبوا بايات الله اجمع او شيء منها اما قوله ولم تحيطوا بها فالواو للحال كانه قال اكذبتم بها بادي الراي من غير
فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها اما قوله اماذا كنتم تعملون فالمراد لما لم تشتغلوا بذلك العمل المهم
فاي شيء كنتم تعملون بعد ذلك كانه قال كل عمل سواه فكانه ليس بعمل ثم قال ووقع القول عليهم يريد ان العذاب الموعود
يغشاهم بسبب تكذيبهم بايات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون ثم انه سبحانه
بعد ان خوفهم باحوال القيمة ذكر كلاما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة مبالغة
في الارشاد الى الايمان والمنع من الكفر فقال الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا اما وجه دلالته
على التوحيد فلما ظهر في العقول ان التقليب من النور الى الظلمة ومن الظلمة الى النور لا يحصل الا بقدرة قاهرة عالية
واما وجه دلالته على الحشر فلانه لما ثبتت قدرته تعالى في هذه الصورة على القلب من النور الى الظلمة وبالعكس فاي امتناع
في ثبوت قدرته على القلب من الحياة الى الموت مرة ومن الموت الى الحياة اخرى واما وجه دلالته على النبوة فلانه تعالى
يقلب الليل والنهار لمنافع المكلفين وفي بعثة الانبياء والرسل الى الخلق منافع عظيمة ولما ثبت ان المقصود من بعثتهم
الى الخلق انما كان لاجل تحصيل المنافع فقد ثبت ان هذه الكلمة الواحدة كافية في تمامية الدلالة على تصحيح الاقوال الثلاثة
التي منها منشأ كفرهم واستحقاقهم للعذاب ثم في الاية سؤالات الاول لما السبب في ان جعل الابصار للنهار
وهو لاهله جوابه تنبيها على كمال هذه الصفة الثاني قال جعل لكم الليل لتسكنوا فيه فلم لم يقل والنهار
لتبصروا فيه جوابه ان السكون في الليل هو المقصود من الليل واما الابصار في النهار فليس هو المقصود
بل هو وسيلة الى جلب المنافع الدينية والدنيوية اما قوله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون خص المؤمنين
بالذكر وان كانت ادلة للكل من حيث اختصوا بالقبول والانتفاع على ما تقدم في نظائره والله اعلم قوله تعالى
ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وكل اتوه داخرين هذا هو
العلامة الثانية لقيام القيمة اما قوله ينفخ في الصور ففيه وجوه احدها انه شيء شبيه بالقرن وان اسرافيل
عليه السلام ينفخ فيه باذن الله تعالى فاذا نقر في الناقور وهذا قول الاكثرين وثانيها يجوز ان يكون تمثيلا لدعاء
الموتى فان خروجهم من قبورهم كخروج الجيش عند سماع صوت الالة وثالثها ان الصور جمع الصورة وجعلوا
النفخ فيها نفخ الروح والاول اقرب لدلالة الظاهر واعلم انه انما قال ففزع ولم يقل فيفزع للاشعار بتحقيق الفزع
وثبوته وانه كائن لا محالة لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة
الاولى اما قوله الا من شاء الله فالمراد الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل
وملك الموت وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى لانه صعق مرة
ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ليس فيه خبر مقطوع والكتاب

انما يدل على الجملة

انما يدل على الجملة اما قوله تعالى وكل اتوه داخرين فقرئ اتوه واتاه ودخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر
والدخر الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز ان يراد به رجوعهم الى امر الله وانقيادهم
له قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون
هذا هو العلامة الثالثة لقيام القيمة وهي تسيير الجبال والوجه ان حسبانهم انها جامدة فلان الاجسام الكبار اذا
تحركت حركة سريعة على نهج واحد في السمت والكيفية ظن الناظر اليها انها واقفة مع انها تمر مرا حثيثا اما قوله صنع الله
فهو من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى انه لما قدم
ذكر هذه الامور التي لا يقدر عليها سواه جعل هذا الصنع من العلامات قال القاضي عبد الجبار فيه دلالة على ان القبائح
ليست من خلقه والا وجب وصفها بانها متقنة لكن الاجماع مانع منه والجواب ان الاتقان لا يحصل الا في المركبات
فيمتنع وصف الاعراض والله اعلم قوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن
جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون اعلم انه تعالى لما تكلم في علامات الساعة
شرح بعد ذلك احوال المكلفين بعد قيام القيمة والمكلف اما ان يكون مطيعا او عاصيا اما المطيع فهو الذي جاء بالحسنة
وله امران احدها ان له ما هو خير منها وذلك هو الثواب فان قيل الحسنة التي جاء العبد بها تدخل فيها معرفة الله تعالى
والاخلاص في الطاعات والثواب انما هو للاكل والشرب فكيف يجوز ان يقال الاكل والشرب خير من معرفة الله جوابه
من وجوه احدها ان ثواب المعرفة النظرية الحاصلة في الدنيا هي المعرفة الضرورية الحاصلة في الاخرة ولذة النظر الى وجه
الكريم سبحانه وتعالى وقد دلت الدلائل على ان اشرف السعادات هي هذه اللذة ولو لم نحمل الاية على ذلك لزم ان يكون
الاكل والشرب خيرا من معرفة الله وانه باطل وثانيها ان الثواب خير من العمل من حيث ان الثواب دائم والعمل منقضي ولان
العمل فعل العبد والثواب فعل الله وثالثها فله خير منها اي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة السؤال الثاني الحسنة
لفظة مفردة معرفة وقد مر انها لا تفيد العموم بل يكفي في تحققها فرد من افرادها واذا كان كذلك فليحملها على اكمل الحسنات
شانا واعلاها درجة وهو الايمان ولهذا قال ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة وهذا يوجب القطع بان لا يعاقب اهل الايمان جوابه
ذلك الخير هو ان لا يكون عقابه مخلدا الامر الثاني للمطيع هو انهم امنوا من كل فزع كما قال بعضهم ان اهوال القيمة تعم المؤمن والكافر
فان قيل اليس انه قال في اول الاية ففزع من في السموات فكيف نفى الفزع ها هنا جوابه ان الفزع الاول هو ما لا يخلو منه
احد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجا من رعب وهيبة وان كان المحسن يامن وصول ذلك الضرر اليه كما قيل يدخل الرجل صدر
هيبة وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز وتكرمة واما الثاني فالخوف من العذاب اما قراءة من فزع بالتنوين فهو يحتمل معنيين
[illegible]
انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن
ضل فقل انما انا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون
اعلم انه سبحانه لما بين المبدا والمعاد والنبوة ومقدمات القيمة وصفة اهل القيمة في الثواب والعقاب [illegible]
[illegible]
في هذه السورة على التوحيد من كونه

فاعلم انه يعبر عن الجملة بالوجه والراس والرقبة

تعالى خالقا لجميع النعم فاجملها هنا بالمفصلات ● وهذا كمن اراد صفة بعض الملوك بالقوة فعض تلك التفاصيل ثم
بعد التطويل يقول ان كل العالم له وكل الناس في طاعته ● الثاني امر بان يكون من المسلمين ● الثالث امر بان يتلو القرآن علم
ولقد قام بكل ذلك صلوات الله عليه اتم قيام ● فمن اهتدى في هذه المسايل الثلاث المتقدمة وهي التوحيد والحشر
والنبوة ● فانما يهتدي لنفسه ● اي منفعة اهتدائه راجعة ● ومن ضل فلا علي وما انا الا رسول منذر ● ثم انه سبحانه ختم
هذه الخاتمة بخاتمة في نهاية الحسن وهو قوله قل الحمد لله على ما اعطاني من نعمة العلم والحكمة والنبوة وعلى ما وفقني من
القيام باداء الرسالة والانذار ● سيريكم اياته القاهرة فتعرفونها لكن حين لا ينفعكم الايمان وما ربك بغافل عما يعملون
لانه من وراء جزاء العاملين ● تم تفسير هذه السورة ● والحمد لله رب العالمين ● وصلى الله على سيدنا محمد النبي واله الطاهرين

سورة القصص مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى طسم تلك ايات الكتاب المبين
نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة
منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم
ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون
اعلم ان قوله طسم كسائر الفواتح وقد تقدم القول فيها ● تلك اشارة الى ايات السورة ● والكتاب المبين هو اما اللوح واما
الكتاب الذي وعد الله انزاله على محمد صلى الله عليه وسلم ● فبين ان ايات هذه السورة هي ايات الكتاب ● ووصفه بانه مبين لانه
بين فيه الحلال والحرام او لانه مبين بفصاحته انه من كلام الله دون كلام العباد او لانه بين صدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام
او لانه بين خبر الاولين والاخرين او لانه بين كيفية التخلص عن شبهات اهل الضلال ● اما قوله تعالى نتلو عليك اي على لسان جبريل
عليه السلام لانه عليه السلام كان يتلو على محمد حتى يحفظه ● وقوله من نبأ موسى وفرعون فهو مفعول نتلو عليك بعض خبرهما
بالحق محقين كقوله تنبت بالدهن ● وقوله لقوم يؤمنون فيه وجهان ● احدهما انه تعالى قد اراد بذلك من لا يؤمن ايضا لكنه
خص المؤمنين بالذكر لانهم قبلوا وانتفعوا فهو كقوله هدى للمتقين ● والثاني يحتمل انه تعالى علم ان الصلاح في تلاوته وهو
ايمانهم ويكون ارادته لمن لا يؤمن كالعبث ● قوله ان فرعون علا في الارض ● قرئ فرعون بضم الفاء وكسرها ● وكسرها احسن
وهو كالقسطاس ● علا استكبر وتجبر وتعظم وبغى ● والمراد قوة الملك والعلو في الارض يعني ارض مملكته فحصل الله تعالى
بعض ذلك بقوله وجعل اهلها شيعا اي فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم مخالفته او يشيع بعضهم
بعضا في استخدامه او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة ليكونوا اطوع له ● او المراد على ما فسره بقوله
يستضعف طائفة منهم اي يستعبدهم ويذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم ● فهذا هو المراد بالتشييع ● قوله يستضعف
طائفة منهم تلك الطائفة بنو اسرائيل ● وفي سبب ذبح الابناء وجوه ● احدها ان كاهنا قال له يولد مولود في
بني اسرائيل في ليلة كذا يذهب ملكك على يده فولد تلك الليلة اثنا عشر غلاما فقتلهم ● وعند اكثر المفسرين بقي هذا
العذاب في بني اسرائيل سنين كثيرة قال وهب قتل القبط في طلب موسى تسعين الفا من بني اسرائيل قال بعضهم في هذا
دليل على حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن ● وان كذب فما وجه القتل ● وهذا السؤال قد
يذكر في تزييف علم الاحكام من علم النجوم ● ونظيره ما يقوله نفاة التكليف ان كان زيد في علم الله وفي قضائه من السعداء
فلا حاجة الى الطاعة وان كان من الاشقياء فلا فائدة في الطاعة ● وايضا فهذا السؤال لو صح لبطل علم التعبير ومنفعته
وايضا فجواب المنجم ان النجوم دلت على انه يولد ولد لو لم يقتل لكان كذا وكذا ● وعلى هذا التقدير لا يكون السعي
في قتله عبثا ● واعلم ان هذا الوجه ضعيف لان اسناد هذا الخبر الى الكاهن اعتراف بانه قد يخبر عن الغيب على سبيل
التفصيل ● ولو جوزنا لبطلت دلالة الاخبار عن الغيب على صدق الرسل وهو باجماع المسلمين باطل ● وثانيها قول
السدي ان فرعون راى في منامه ان نارا اقبلت من بيت المقدس واشتملت على مصر فاحرقت القبط دون بني اسرائيل
فسأل عن رؤياه فقالوا يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو اسرائيل منه رجل على يده يكون هلاك مصر فامر بقتل الذكور
وثالثها ان الانبياء الذين كانوا قبل موسى بشروا بمجيئه ● وفرعون كان قد سمع ذلك ● فلهذا كان يذبح ابناء بني اسرائيل
وهذا الوجه هو الاولى بالقبول ● قال صاحب الكشاف يستضعف حال من الضمير في وجعل او صفة لشيعا او
كلام مستانف ● ويذبح بدل من يستضعف ● وقوله انه كان من المفسدين بيان ان ذلك القتل ما حصل
منه الا في الفساد وانه لا اثر له في دفع قضاء الله ● اما قوله ونريد ان نمن فهو جملة معطوفة على قوله ان فرعون

علا في الارض

علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصا له واللفظ في قوله ونريد للاستقبال
ولكن اريد به حكاية حال ماضية ● ويجوز ان يكون حالا من يستضعفهم اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم فان
قيل كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله تعالى المنة عليهم واذا اراد الله شيئا كان ولم يتوقف الى وقت اخر ● قلنا
لما كانت منة الله تخليصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها مقارنة لاستضعافهم ● اما قوله
ونجعلهم ائمة اي مقدمين ● قوله ونمكن لهم في الارض ● واعلم انه تعالى اذ جعل له مكانا يقعد عليه فوطاه
ومهده ● ونظيره ارض له ومعنى التمكين لهم في الارض هي ارض مصر والشام اي ينفذ امرهم ويطلق ايديهم
وقوله ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ● فقرئ ويرى فرعون وهامان اي يرون
منهم ما كانوا خائفين منه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود من بني اسرائيل ● قوله تعالى واوحينا الى ام موسى
ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرأة فرعون
قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون اعلم انه تعالى لما قال ونريد ان
نمن ابتدأ بذكر اوائل نعمه في هذا الباب بقوله واوحينا الى ام موسى والكلام في هذا الوحي قد ذكر في سورة طه في قوله
ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ● وقوله ان ارضعيه كالدلالة على انها ارضعته وليس في
القرآن حد ذلك فاذا خفت عليه ان يفطن به جيرانك ويسمعون صوته عند البكا فالقيه في اليم قال ابن جريج انه
بعد اربعة اشهر صاح فالقي في اليم والمراد من اليم هنا النيل ولا تخافي ولا تحزني فالخوف غم يحصل بسبب مكروه
يتوقع حصوله في المستقبل ● والحزن غم يلحقه بسبب مكروه حصل في الماضي فكانه قيل ولا تخافي من هلاكه ولا تحزني
بسبب فراقه فانا رادوه اليك لتكوني انت المرضعة له وجاعلوه من المرسلين الى اهل مصر والشام ● وقصة الالقاء
في اليم قد تقدمت في سورة طه قال ابن عباس ان موسى عليه السلام لما تقارب ولادته كانت قابلة من القوابل اللاتي
وكلهن فرعون بالحبالى مصافية لام موسى فلما احست بالطلق ارسلت اليها وقالت قد نزل بي ما نزل ولينفعني اليوم حبك
اياي فجلست القابلة فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عيني موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى قلبها
فقالت لها يا هذه ما جئتك الا لقتل مولودك ولكني وجدت لابنك هذا حبا شديدا فاحفظي ابنك فاني اراه عدونا
فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض العيون فجاءوا الى بابها ليدخلوا الى ام موسى فقالت اخته يا اماه هذا الحرس
فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع فدخلوا فاذا التنور مسجور وراوا ام موسى
لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا لم دخلت القابلة عليك قالت انها حبيبة لي دخلت للزيارة فخرجوا من عندها
ورجع اليها عقلها فقالت لاخت موسى اين الصبي قالت لا ادري فسمعت بكاءه في التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار
عليه بردا وسلاما ● ثم ان ام موسى عليه السلام لما رات فرعون يجد في طلب الولدان خافت على ولدها فقذف الله في
قلبها ان تتخذ له تابوتا وان تقذف التابوت في النيل فذهبت الى نجار من اهل مصر فاشترت منه تابوتا فقال لها ما تصنعين
به فقالت ابن لي اخشى عليه كيد فرعون اخبئه فيه وما عرفت انه يفشي ذلك الخبر ● فلما انصرفت ذهب النجار الى الذباحين
فلما جاءهم امسك الله لسانه وجعل يشير بيده فضربوه وطردوه ● فاخذ الله بصره ولسانه فعاهد الله تعالى انه ان
رد الله عليه بصره ولسانه فانه لا يدلهم عليه ● فعرف الله منه الصدق فرد عليه بصره ولسانه وانطلقت ام موسى
فالقته في النيل ● وكانت لفرعون بنت لم يكن له ولد غيرها وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها
برص شديد ● وكان فرعون قد شاور الاطباء والسحرة في امرها فقالوا انها لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد
منه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس ● فلما
كان ذلك اليوم غدا فرعون الى مجلس كان على شفير النيل ومعه اسية بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست
على الشاطئ اذ اقبل النيل بتابوت تضربه الامواج وتعلق بشجرة فقال فرعون ايتوني به فابتدروه بالسفن من كل جانب
حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح التابوت فلم يقدروا عليه ● وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه ● فنظرت اسية فرات نورا
في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته ● فاذا بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه فالقى الله محبته في قلوب
القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرات فقال الغواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا هو الذي
يحذر منه رمي في البحر فرقا منك فهم فرعون بقتله فاستوهبته امراة فرعون وابنته فترك قتله ● اما قوله فالتقطه
آل فرعون ● فالالتقاط اصابة الشيء من غير طلب ● والمراد بآل فرعون جواريه ● اما قوله ليكون لهم عدوا وحزنا
فالمشهور ان هذه اللام يراد بها العاقبة قالوا والا فهم قالوا وقالت امراة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه وبعض

قوله والقيت عليك محبة مني • ونظيره هذه اللام ولقد ذرأنا لجهنم وقول الشاعر • لدوا للموت وابنوا للخراب
واعلم ان التحقيق ما ذكره صاحب الكشاف وهو ان هذه اللام لام التعليل على سبيل المجاز وذلك لان مقصود الشيء
وغرضه يؤول اليه فاستعملوا هذه اللام فيما يؤول اليه الشيء على سبيل التشبيه كاطلاق لفظ الاسد على الشجاع
والبليد على الحمار • قرأ حمزة والكسائي حزنا بضم الحاء وسكون الزاي • والباقون بالفتح وهما لغتان مثل السقم والسقم
اما قوله كانوا خاطئين ففيه وجهان • احدهما قال الحسن معنى كانوا خاطئين ليس من الخطيئة بل المعنى وهم لا يشعرون
انه الذي يذهب بملكهم • واما جمهور المفسرين فقالوا معناه كانوا خاطئين فيما كانوا عليه من الكفر والظلم فعاقبهم
الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم • وقرئ خاطين بتخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطا
وبين تعالى انها التقطته ليكون قرة عين لها وله جميعا قال ابن اسحق ان الله القى محبته في قلبها لانه كان في وجهه
ملاحة كل من رآه احبه • ولانها حين فتحت التابوت رأت النور • ولانها لما فتحت التابوت رأته يمص اصبعه
ولان ابنة فرعون لما لطخت برصها بريقه زال برصها • وقيل ما كان لها ولد فاحبته قال ابن عباس لما قالت قرة عين
لي ولك فقال فرعون لك واما لي فلا حاجة لي فيه فقال عليه السلام والذي يحلف به لو اقر فرعون ان يكون له قرة عين
كما اقرت لهداه الله كما هداها قال صاحب الكشاف قرة عين خبر مبتدا محذوف ولا يجعل مبتدا ولا تقتلوه خبر
ولو نصب لكان اقوى • وقراءة ابن مسعود دليل على انه خبر • قرئ ولا تقتلوه قرة عين لي ولك وذلك بتقديم لا
تقتلوه • ثم قالت المرأة عسى ان ينفعنا فنصيب منه خيرا او نتخذه ولدا • اما قوله وهم لا يشعرون فاكثر المفسرين
على انه ابتدا كلام الله اي لا يشعرون ان هلاكهم بسببه وعلى يديه • هذا قول مجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل وقال
ابن عباس يريد لا يشعرون انا رادوه الى امه موسى وقال آخرون هذا من تمام كلام المرأة لا يشعر بنوا اسرائيل واهل مصر
انا التقطناه وهذا قول الكلبي قوله تعالى واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا
على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ذكروا في قوله فؤاد ام
موسى فارغا وجوه • احدها قال الحسن فارغا من كل هم الا من هم موسى • وثانيها قال ابو مسلم فراغ الفؤاد عن الخوف
والاشفاق كقوله وافئدتهم هوا • وثالثها قال صاحب الكشاف فارغا صفرا من العقل • والمعنى انها حين سمعت بوقوعه
في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والخوف • ورابعها قال الحسن ومحمد بن اسحق فارغا من الوحي الذي اوحينا اليها
ان تلقيه في اليم وان لا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليها • فجاءها الشيطان وقال لها كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون
لك اجر وثواب هلاكه فاهلكته انت بيدك • ولما اتاها خبر موسى انه وقع في يد فرعون فانساها عظم البلاء ما كان من
عهد الله • وخامسها قال ابو عبيدة فارغا من الحزن لعلمها بانه لا يقتل اعتمادا على تكفل الله لمصلحته قال ابن قتيبة
وهذا من العجائب كيف يكون فؤادها فارغا من الحزن والله يقول لولا ان ربطنا على قلبها وهل يربط الا على قلب الجازع المحزون
ويمكن ان يجاب عنه بانه لا يمتنع انها لشدة ثقتها بوعد الله لم تخف عند اظهار اسمه وايقنت انها وان اظهرته فانه مسلم
لاجل ذلك الوعد الا انه كان في المعلوم ان الاظهار يضر فربط الله على قلبها • ويحتمل قوله ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا
على قلبها بالوحي فامنت وزال عن قلبها الحزن فعلى هذا الوجه صح ان يقال انها اصبحت فارغا من الحزن على موسى ولم تخف
اصلا • وفيه وجه ثالث وهو انها لما سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي به بانه ولدها لانها
لم تملك نفسها فرحا بما سمعت لولا ان سكنا ما بها من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا
بتبني فرعون وتعطفه • قرئ فرغا • وقرئ فزعا اي خاليا من قولهم اعوذ بالله من صفر الاناء • وفرغ الفناء • وفرغا
من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر يعني بطل قلبها من شدة ما ورد عليها • اما قوله ان كادت لتبدي به • فاعلم ان على قول
من فسر الفراغ من الحزن فقد ذكر نفس قوله ان كادت لتبدي به • واما على قول من فسر الفراغ بحصول الخوف فذكروا
وجوها • احدها قال ابن عباس كادت تخبر بان الذي وجدتموه ابني وقال في رواية عكرمة كادت تقول وابناه
من شدة وجدها به وذلك حين رأت الموج يرفعه ويضعه • وقال الكلبي حين سمعت الناس يقولون انه وقع في يد
فرعون • وقال السدي لما اخذوه كادت تقول هو ابني فعصمها الله • ثم قال لولا ان ربطنا على قلبها بالالهام
والصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليستقر ويطمئن فيكون من المؤمنين المصدقين بوعد الله بقوله انا رادوه اليك
اما قوله وقالت لاخته قصيه اي اتبعي اثره وانظري اين وقع والى من صار وكانت اخته لابيه وامه واسمها
مريم فبصرت به قال ابن عباس ابصرته قال المبرد ابصرته وبصرت به بمعنى • وقوله عن جنب اي عن بعد • وقرئ
عن جنب وعن جانب اي نظرت مزورة متجانفة وهم لا يشعرون انها اخته قوله تعالى وحرمنا عليه
المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى امه كي

تقر عينها

تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون اعلم ان قوله وحرمنا عليه المراضع يقتضي تحريما
من قبله فاذا لم يصح لتعذر التمييز فلا بد من فعل سواه وذلك الفعل يحتمل انه تعالى مع حاجته الى اللبن احدث فيه نفار الطبع
عن لبن سائر النساء فلذلك لم يرتضع • او احدث في لبنهن من الطعم ما ينفر عنه طبعه او وضع في لبن امه لذة فلما تعودها
لا جرم كان يكره لبن غيرها • وعن الضحاك كانت امه قد ارضعته ثلاثة اشهر حتى عرف ريحها • والمراضع جمع مرضعة
وهي المرأة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي او الرضاع • وقوله من قبل اي من قبل ان رددناه
الى امه • ومن قبل مجيء اخت موسى ومن قبل ولادته في حكمنا وقضائنا فعند ذلك قالت اخته هل ادلكم على اهل بيت
يكفلونه لكم اي يضمنون رضاعه والقيام بمصالحه • وهم له ناصحون لا يمنعونه ما ينفعه في تربيته واغذائه
ولا يخونونكم فيه • والنصح اخلاص العمل من شائب الفساد قال السدي انها لما قالت وهم له ناصحون دل ذلك على انهم
اهل بيته يعرفونه فقال لها هاه قد عرفت هذا الغلام فدلينا على اهله فقالت ما اعرفه ولكن قلت هم له ناصحون
اي للملك شغل قلبه • وكل ما روي في هذا الباب يدل على ان فرعون كان بمنزلة آسية في شدة محبته لموسى عليه السلام
لا على ما قال من يزعم انها كانت مختصة بذلك فقط • ثم قال تعالى فرددناه الى امه بهذا الضرب من اللطف كي تقر عينها
ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق فيما كان وعدها من انه يرده اليها ولقد كانت عالمة بذلك ولكن ليس الخبر كالعيان فتحققت
بوجود الموعود ولكن اكثر الناس لا يعلمون • فيه وجوه ولكن اكثر الناس في ذلك العهد وبعده لا يعلمون لاعراضهم
عن النظر في آيات الله تعالى • وثانيها قال الضحاك ومقاتل يعني اهل مصر لا يعلمون ان الله وعدها رده اليها • وثالثها
هذا كالتعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت فاصبح فؤادها فارغا • ورابعها ان يكون المعنى انا انما رددناه اليها
لتعلم ان وعد الله حق والمقصود الاصلي من ذلك الرد هذا الغرض الديني ولكن الاكثر لا يعلمون ان هذا هو الغرض الاصلي
وان ما سواه من قرة العين وذهاب الحزن تبع قال الضحاك لما قبل ثديها قال لها هامان انك لامه قالت لا قال فما بالك
قبل ثديك من بين النسوة قالت ايها الملك اني امرأة طيبة الريح حلوة اللبن ما شم ريحي صبي الا اقبل على ثديي قالوا
صدقت فلم يبق احد من آل فرعون الا اهدى اليها واتحفها بالذهب والجواهر • قوله تعالى ولما بلغ اشده واستوى
آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من
شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من
عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما
انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين اعلم ان في قوله ولما بلغ اشده واستوى قولان • احدهما انهما بمعنى واحد وهو
استكمال القوة واعتدال المزاج والبنية • والثاني وهو الاصح انهما معنيان متغايران ثم اختلفوا فيه على
وجوه • احدها وهو الاقوى ان الاشد عبارة عن كمال القوى الجسمانية البدنية • والاستواء عبارة عن كمال البنية
والخلقة • وثانيها ان الاشد عبارة عن البلوغ • والاستواء عبارة عن كمال الخلقة • وثالثها قال ابن عباس الاشد
عبارة عن ثماني عشرة سنة الى ثلاثين سنة ثم من الثلاثين سنة الى الاربعين يبقى سواء من غير زيادة ولا نقصان • ومن
الاربعين يأخذ في النقصان • وهذا الذي قاله ابن عباس حق لان الانسان يكون اولا في النمو والتزايد
ثم ينتهي بغير زيادة ولا نقصان • ثم يأخذ في الانتقاص • فهاهنا مدة الازدياد ثم الوقوف ثم الانتقاص
من الثلاثين الى الاربعين يقف فلا يزداد ولا ينقص ومن الاربعين الى الستين يأخذ في الانتقاص الخفي
ثم يتبين بعد ذلك الانتقاص الظاهر • ويروى انه لم يبعث نبي الا على رأس اربعين سنة والحكمة فيه ظاهرة لان الانسان
يكون الى الاربعين قواه الجسمانية من الشهوة والغضب مستكملة فيكون الانسان مجذوبا اليها • واما انتهاؤه الى الاربعين
اخذت القوى الجسمانية في الانتقاص والقوة العقلية في الازدياد • فهناك يكون الرجل كاملا • فلهذا السر اختار الله هذا السن للوحي • وفيه مسائل
المسألة الاولى اختلفوا في الاشد • اما قوله آتيناه حكما وعلما ففيه وجهان • الاول انها النبوة وما يتبعها من
العلوم والاخلاق وعلى هذا التقدير فليس في الآية دلالة على انه تعالى آتاه النبوة قبل قتل القبطي
• والثاني ان المراد الحكمة والعلم • واحدها ان النبوة اعلى الدرجات البشرية فلا بد وان تكون مسبوقة
بالكمال في العلم والسيرة المرضية • والنبوة لا تكون جزاء على العمل • وثانيها لو كان المراد بالعلم والحكم النبوة لوجب
حصول النبوة لكل من كان من المحسنين لقوله وكذلك نجزي المحسنين • وثالثها ان قوله ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره

من الحكم والعلم • ثم بين تعالى انعامه عليه قبل قتل القبطي • اما قوله ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها وفيه ابحاث
البحث الاول اختلفوا في المدينة فالجمهور على انها هي المدينة التي كان يسكنها فرعون وهي قرية على راس فرسخين من مصر وقال
الضحاك هي عين شمس • البحث الثاني اختلفوا في قوله على حين غفلة من اهلها • فالوجه الاول ان موسى عليه السلام لما بلغ
اشده واستوى واتاه الله الحكم والعلم في دينه ودين ابائه علم ان فرعون وقومه على الباطل فتكلم بالحق وعاب دينهم
واشتهر الامر الى ان خافوه وخافهم وكان له من بني اسرائيل شيعة يصدقونه ويسمعون منه • وبلغ في الخوف بحيث ما كان
يدخل مدينة فرعون الا خائفا • فدخلها يوما على حين غفلة من اهلها • ثم الاكثرون على انه عليه السلام دخلها نصف
نصف النهار وهم قايلون • وعن ابن عباس يريد بين المغرب والعشا • والاول اولى لانه تعالى اضاف الغفلة
الى اهلها • واذا دخل المرء مستترا لاجل خوف لا تضاف الغفلة الى القوم • القول الثاني قال السدي ان موسى
عليه السلام حين كبر كان يركب من مراكب فرعون ويلبس مثل ما يلبس ويدعى موسى بن فرعون فركب يوما في اثره فادركه
المقيل في موضع فدخلها نصف النهار وقد خلت الطريق فهو قوله على حين غفلة من اهلها حصول الغفلة في تلك الساعة
بل المراد الغفلة من ذكر موسى وامره فان موسى حين كان صغيرا ضرب راس فرعون بالعصا ونتف لحيته فاراد فرعون
قتله فجي بجمر فاخذه وطرحه في فيه • فمنه عقدة لسانه • فقال فرعون لا اقتله ولكن اخرجوه عن الدار والبلد فاخرج
ولم يدخل عليهم حتى كبر والناس نسوا ذكره وذلك قوله على حين غفلة من اهلها ولا مطمع في ترجيح بعض هذه الروايات على
البعض لانه ليس في القران ما يدل على شي منها • المسئلة الثانية قوله تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته
وهذا من عدوه قوله هذا وهذا وهما غايبان على جهة الحكاية اي وجد فيها رجلين يقتتلان اذا نظر الناظر اليهما قال هذا
من شيعته وهذا من عدوه • ثم اختلفوا فقال المقاتل الرجلان كانا كافرين الا ان احدهما من بني اسرائيل والاخر من القبط
واحتج عليه بان موسى عليه السلام قال له انك لغوي مبين • والمشهور ان الذي من شيعته كان مسلما لانه لا يقال فيمن
يخالف الرجل في دينه وطريقه انه من شيعته • وقيل ان القبطي الذي سخر الاسرائيلي كان طباخ فرعون استسخره
يحمل الحطب الى مطبخه • وقيل الرجلان المقتتلان احدهما السامري وهو الذي من شيعته • والاخر طباخ فرعون
والله اعلم بكيفية الحال فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه اي سأله ان يخلصه منه واستنصره عليه
فوكزه معنى الوكز الدفع باطراف الاصابع • وقيل بجمع الكف • وقرا ابن مسعود فلكزه وقال بعضهم الوكز في الصدر
واللكز في الظهر وكان عليه السلام شديد البطش وقال بعض المفسرين فوكزه بعصاه فقتله قال المفضل هذا غلط لا
يقال وكزه بالعصا فقضى عليه اي اماته وقتله • المسئلة الثالثة احتج بهذه الاية من طعن في عصمة الانبيا
من وجوه • احدها ان ذلك القبطي اما ان يقال انه كان مستحق القتل او لم يكن كذلك • فان كان الاول فلم قال هذا من
عمل الشيطان ولم قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له ولم قال في اية اخرى فعلتها اذا وانا من الضالين • وان كان
الثاني لم يكن ذلك القبطي مستحق القتل فكان قتله معصية وذنبا • وثانيها ان قوله وهذا من عدوه يدل على انه كان
كافرا حربيا فكان دمه مباحا فلم استغفر عنه • والاستغفار عن الفعل المباح غير جائز لانه يوهم المباح كونه حراما
وثالثها ان الوكز لا يقع به القتل ظاهرا وكان ذلك خطا فلم استغفر منه • والجواب عن الاول لم لا يقال انه كان لكفره
مباح الدم • اما قوله هذا من عمل الشيطان ففيه وجوه • احدها لعل الله تعالى وان اباح قتل الكفار الا انه قال
الاولى تاخير قتلهم الى زمان اخر • فلما قتل فقد ترك ذلك المندوب • فقوله هذا من عمل الشيطان معناه اقدامي على ترك
المندوب من عمل الشيطان • وثانيها ان قوله هذا اشارة الى عمل المقتول لا الى عمل نفسه فقوله هذا من عمل الشيطان اي عمل
هذا المقتول من عمل الشيطان • والمراد منه بيان كونه مخالفا لله تعالى مستحقا للقتل • وثالثها ان يكون قوله هذا
اشارة الى المقتول يعني انه من جند الشيطان وحزبه • يقال فلان من عمل الشيطان اي من احزابه • اما قوله رب اني ظلمت
نفسي فاغفر لي فعلى نهج قول ادم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا • والمراد احد وجهين اما على سبيل الانقطاع الى
الله والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب قط ولكن من حيث حرم نفسه الثواب بترك
المندوب • اما قوله فاغفر لي اي فاغفر لي ترك المندوب • وفيه وجه اخر وهو ان يكون المراد رب اني ظلمت نفسي
حيث قتلت هذا الملعون فان فرعون لو عرف ذلك لقتلني به فاغفر لي اي فاستره علي ولا توصل خبره الى فرعون فغفر
له اي ستره عن الوصول الى فرعون • ويدل على هذا التاويل انه على عقبه قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين
ولو كانت اعانة المؤمن هاهنا سببا للمعصية لما قال ذلك • واما قوله فعلتها اذا وانا من الضالين ولم يقل اني صرت
بذلك ضالا ولكن فرعون لما ادعى انه كان كافرا في حال القتل نفى عن نفسه كونه كافرا في ذلك الوقت واعترف
بانه كان ضالا اي متحيرا لا يدري ما يجب عليه ان يفعله وما يدبر به في ذلك • اما قوله ان كان كافرا حربيا فلم استغفر

عن قتله

عن قتله • قلنا كون الكافر مباح الدم يختلف باختلاف الشرايع فلعل قتلهم كان حراما في ذلك الوقت وان كان مباحا لكن الاولى
تركه على ما قررناه • قوله ذلك القتل خطا • قلنا لا نسلم فلعل الرجل كان ضعيفا • وموسى عليه السلام كان في نهاية الشدة
فوكزه كان قاتلا قطعا • ثم لئن سلمنا ذلك لكن لعله عليه السلام كان يمكن ان يخلص الاسرائيلي من يده بدون الوكز الذي كان
الاولى تركه • فلهذا اقدم على الاستغفار على انا وان سلمنا دلالة هذه الاية على صدور المعصية لكنا بينا انه لا دلالة له
البتة على انه كان في ذلك الوقت فيكون ذلك صادرا عنه قبل النبوة وذلك لا نزاع فيه • المسئلة الرابعة
قالت المعتزلة الاية تدل على بطلان قول من نسب المعاصي الى الله تعالى لانه عليه السلام قال هذا من عمل الشيطان وهو
كقول يوسف من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي • وقول صاحب موسى وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وقوله
تعالى لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم • اما قوله رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين • ففيه وجوه • احدها
ان ظاهره يدل على انه قال انك لما انعمت علي بهذه النعم فاني لا اكون الا معاونا للمسلمين • وهذا يدل على ان ما اقدم
عليه من اعانة الاسرائيلي على القبطي كان طاعة لا معصية اذ لو كانت معصية لنزل الكلام منزلة ما اذا قيل انك لما انعمت
علي بقبول توبتي عن تلك المعصية فاني اكون مواظبا على مثل تلك المعصية • وثانيها قال القفال كانه اقسم بما انعم الله عليه
ان لا يظاهر مجرما • والبا للقسم اي بنعمتك علي • وثالثها قال الكسائي والفراء انه خبر ومعناه الدعا كانه قال فلا
تجعلني ظهيرا قال الفراء وفي حرف عبد الله فلا تجعلني ظهيرا • واعلم ان في الاية دلالة على انه لا يجوز معاونة
الظلمة والفسقة وقال ابن عباس لم يستثن ولم يقل فلن اكون ان شاء الله فابتلي به في اليوم الثاني وهذا ضعيف
لان في اليوم الثالث ترك الاعانة • وانما خاف منه ذلك العدو فقال انك تريد الا ان تكون جبارا الا انه وقع منه
قوله تعالى فاصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي
مبين فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا
ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملا يأتمرون
بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين
اعلم ان عند موت ذلك القبطي من الوكز اصبح موسى ذلك اليوم خائفا من ان يظهر انه القاتل فيطلب وخرج على استتار
فاذا الذي استنصره وهو الاسرائيلي بالامس يستصرخه لطلب نصرته بصياح وصراخ قال له موسى انك لغوي مبين
قال اهل التفسير الغوي يجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول اي انك مغوى فاني وقعت بالامس فيما وقعت فيه بسببك
ويجوز ان يكون بمعنى الغاوي • واحتج به من قدح في عصمة الانبيا فقال كيف يجوز لموسى ان يقول لرجل من شيعته يستنصره
انك لغوي مبين • والجواب من وجهين • الاول ان قوم موسى عليه السلام كانوا اغلاظا جفاة • الا ترى الى قولهم بعد
مشاهدة الايات اجعل لنا الها كما لهم الهة • فالمراد بالغوي المبين ذلك • الثاني انه عليه السلام انما سماه غاويا
لان من تكثر المخاصمة على وجه يتعذر عليه دفع خصمه عما يرومه من ضوئه يكون في خلاف طريقة الرشد • واختلفوا
في قوله تعالى قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت هو من كلام الاسرائيلي او القبطي فقال بعضهم لما خاطب موسى
الاسرائيلي بانه غوي وراه قد غضب على ظنه لما هم بالبطش انه يريده فقال هذا القول وزعموا انه لم يعرف
قتله بالامس الرجل الا هو فصار ذلك سببا لظهور القتل ومزيد الخوف وقال اخرون بل هو قول القبطي وقد
كان عرف القصة من الاسرائيلي والظاهر هذا الوجه لانه تعالى قال فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما
قال يا موسى فهذا القول اذا منه لا من غيره وايضا فقوله ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض لا يليق الا ان يكون
قولا للكافر • واعلم ان الجبار هو الذي يفعل ما يريد من القتل والضرب بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي
احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر • ولما وقعت هذه الواقعة انتشر الحديث في المدينة وانتهى الى فرعون
وهموا بقتله • اما قوله وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال صاحب الكشاف يسعى يجوز ارتفاعه وصفا لرجل
وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص بقوله من اقصى المدينة • والايتمار التشاور • يقال الرجلان يأتمران ويتأمران لان كل
واحد يأمر صاحبه بشي او يشير عليه بامر والمعنى يتشاورون بسببك • واكثر المفسرين على ان هذا الرجل مؤمن من آل فرعون
فعلى وجه الاشفاق اسرع اليه ليخوفه بان الملا يأتمرون بك ليقتلوك • اما قوله فخرج منها خائفا يترقب على
نفسه من آل فرعون ينتظر هل يلحقه طلب فيوخذ • ثم التجا الى الله تعالى لعلمه بانه لا ملجا سواه فقال رب نجني
من القوم الظالمين • وهذا يدل على ان قتله لذلك القبطي لم يكن ذنبا والا لكان هو الظالم لهم وما كانوا ظالمين
له بسبب طلبهم اياه ليقتلوه قصاصا • قوله تعالى ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سوا
السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان قال ما خطبكما

قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل

اعلم أن الناس اختلفوا في قوله ولما توجه تلقاء مدين فقال بعضهم إنه خرج وما قصد مدين ولكنه سلم نفسه إلى الله • وأخذ يمشي من غير معرفة فأوصله الله إلى مدين وهذا قول ابن عباس • وقال آخرون لما خرج قصد مدين لأنه وقع في نفسه أن بينهم وبينه قرابة لأنهم من ولد مدين بن إبرهيم وهو كان من بني إسرائيل لكن لم يكن له علم بالطريق بل اعتمد على فضل الله • ومن الناس من قال بل جاءه جبريل عليه السلام وعلمه الطريق • وذكر ابن جريج عن السدي لما أخذ موسى عليه السلام في المسير جاءه ملك على فرس فسجد له موسى عليه السلام من الفرح فقال لا تفعل واتبعني فاتبعه نحو مدين • واحتج من قال إنه خرج وما قصد مدين بأمرين • أحدهما قوله • ولما توجه تلقاء مدين ولو كان قاصدا للذهاب إلى مدين لقال ولما توجه إلى مدين فلما لم يقل ذلك بل قال توجه تلقاء مدين علمنا أنه لم يتوجه إلا إلى ذلك الجانب من غير أن علم أن ذلك الجانب إلى أين ينتهي • والثاني قوله عسى ربي أن يهديني سواء السبيل وهذا كلام شاك لا عالم • والأقرب أن يقال إنه قصد الذهاب إلى مدين وما كان عالما بالطريق • ثم إنه كان يسأل الناس عن كيفية الطريق لأنه يبعد من موسى عليه السلام في عقله وذكائه أن لا يسأل وقال ابن إسحق خرج من مصر إلى مدين بغير زاد ولا ظهر وبينهما مسيرة ثمانية أيام ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر • أما قوله عسى ربي أن يهديني سواء السبيل فهو نظير قول جده إبرهيم عليه السلام إني ذاهب إلى ربي سيهدين • وموسى عليه السلام قلما يذكر كلاما في الجواب والاستدلال والتضرع والدعاء إلا ما ذكره إبرهيم عليه السلام • وهكذا الخلف الصدق والسلف الصالح صلوات الله عليهما وعلى جميع الطاهرين المطهرين • ولما ورد ماء مدين وجد الناس يسقون منه • وكان أسفل من مكانهم امرأتين تذودان والذود الدفع والطرد • وقوله تذودان أي تحبسان • ثم فيه أقوال • الأول تحبسان أغنامهما • واختلفوا في علة ذلك الحبس على وجهين • أحدهما قال الزجاج لأن على الماء من كان أقوى منهما فلا يتمكنان من السقي • وثانيهما كانتا تكرهان المزاحمة على الماء • وثالثها لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم ولئلا تختلطا بالرجال • القول الثاني كانتا تذودان عن وجوههما نظر الناظر إليهما • القول الثالث تذودان عن غنمهما • القول الرابع قال الفراء تحبسانهما عن أن تتفرق وتتبدد وتنتشر • قوله ما خطبكما أي ما شأنكما • وحقيقته ما مخطوبكما أي مطلوبكما من الذياد يسمى المخطوب خطبا كما يسمى المشؤون شأنا في قولك ما شأنك • فقالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير وذلك يدل على ضعفهما عن السقي من وجوه • أحدها أن العادة في السقي للرجال والنساء يضعفن عن ذلك وثانيها ما ظهر من ذودهما الماشية على طريق التأخير • وثالثها قولهما حتى يصدر الرعاء • ورابعها انتظارهما لما يبقى القوم من الماء • وخامسها قولهما وأبونا شيخ كبير ودلالة ذلك على أنه لو كان قويا حضر ولو حضر لم يتأخر السقي فعند ذلك سقى لهما قبل أن صدر الرعاء • وعادتا إلى أبيهما قبل الوقت المعتاد • قرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم بفتح الياء وضم الدال • والباقون بضم الياء وكسر الدال فالمعنى في القراءة الأولى حتى ينصرفوا عن الماء ويرجعوا عن سقيهم من صدر يصدر • ومن قرأ بضم الياء • فالمعنى حتى يصدر القوم مواشيهم • أما قوله تعالى فسقى لهما أي سقى غنمهما لأجلهما • وفي كيفية السقي أقوال • أحدها أنه عليه السلام سأل القوم فسمحوا • وثانيها قال قوم عمد إلى بئر على رأس البئر صخرة لا يقلها إلا عشرة • وقيل أربعون • وقيل مائة فنحاها بنفسه واستقى الماء من تلك البئر • وثالثها أن القوم لما زاحمهم موسى عليه السلام تعمدوا رمي ذلك الحجر على رأس البئر • فهو عليه السلام رمى ذلك الحجر وسقى لهما وليس بيان ذلك في القرآن والله أعلم بالصحيح منه • لكن المرأة وصفت موسى عليه السلام بالقوة فدل ذلك على أنها شاهدت منه ما يدل على فضل قوة • وقال تعالى ثم تولى إلى الظل • وفيه دلالة على أنه سقى لهما في شمس وحر • وفيه أيضا دلالة على كمال قوة موسى عليه السلام قال الكلبي أتى موسى أهل الماء فسألهم دلوا من ماء فقالوا له إن شئت أتيناك الدلو فاستق لهما قال نعم وكان يجتمع على الدلو أربعون رجلا حتى يخرجوه من البئر • فأخذ موسى الدلو فاستقى به وحده وصب في الحوض ودعا بالبركة ثم قرب غنمهما فشربت حتى رويت • ثم سرحهما مع غنمهما • فإن قيل كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلام أن يرضى لابنتيه بسقي الماشية • قلنا ليس في القرآن ما يدل على أن أباهما كان شعيبا عليه السلام • والناس مختلفون فيه فقال ابن عباس إن أباهما هو هرون ابن أخي شعيب وشعيب

مات بعدما عمي

مات بعدما عمي وهو اختيار أبي عبيدة • وقال الحسن إنه رجل مسلم قبل الدين عن شعيب على أنا وإن سلمنا أن شعيبا عليه السلام كان أباهما لكن لا منقصة فيه لأن الدين لا يأباه وأما المروءة فالناس مختلفون فيه • وأحوال البادية غير أحوال الحضر لا سيما إذا كانت الحالة حالة ضرورة • أما قوله فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير فالمعنى أي شيء أنزلت إلي قليل أو كثير غث أو سمين لفقير • وإنما عدى فقير باللام لأنه ضمن معنى سائل وطالب • واعلم أن هذا الكلام يدل على الحاجة إما إلى الطعام أو إلى غيره • وقال الضحاك مكث سبعة أيام لم يذق فيها طعاما إلا بقل الأرض • وروي أنه لما قال ذلك رفع صوته بحيث أسمع المرأتين ذلك • فإن قيل إنه عليه السلام [illegible] العظيم كيف يليق بمنصبه أن يطلب الطعام • قلنا إنما رفع الصوت لأنه كان يعلم [illegible] تلك الرواية • وقيل إن قوله لما أنزلت إلي من خير فقير إلى الدنيا لأنه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضى بهذا البدل وفرحا وشكرا • والأول أولى لأنه لا يليق بحال موسى عليه السلام • أما قوله فجاءته إحداهما تمشي على استحياء • قال عمر بن الخطاب قد استترت بكم درعها • وقيل إنها سترت وجهها عن الرجال • وقال عبد العزيز بن أبي حازم على إجلاله • ومنهم من يقف على قوله تمشي ثم يبتدئ فيقول على استحياء قالت إن أبي يدعوك • وروي أنهما لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لإحداهما اذهبي فادعيه لي • أما الاختلاف في أن ذلك الشيخ كان شعيبا أو غيره فقد تقدم • والأكثرون على أنه شعيب • وقال محمد بن إسحق اسم الكبرى صفورا والصغرى ليا • وقال الضحاك صفوريا • والجارية التي جاءته هي الكبرى على قول الأكثرين • أما قوله تعالى قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ففيه إشكالات • أحدها كيف ساغ لموسى عليه السلام أن يعمل بقول امرأة وأن يمشي معها وهي أجنبية فإن ذلك يورث التهمة العظيمة • وثانيها أنه سقى أغنامهما تقربا إلى الله فكيف يليق به أخذ الأجر عليه • وثالثها أنه عرف فقرهن وفقر أبيهن وأنه عليه السلام كان في نهاية القوة بحيث كان يمكنه الكسب بأقل سعي فكيف يليق بمروءة مثله طلب الأجرة على ذلك القدر من السعي من الشيخ الفقير والمرأة الفقيرة • ورابعها كيف يليق بشعيب النبي عليه السلام أن يبعث ابنته الشابة إلى رجل شاب قبل العلم بكونه عفيفا أو فاسقا • والجواب عن الأول أن العمل بقول امرأة واحدة جائز • فلا يمنع من الاحتياط والورع • والجواب عن الثاني أن المرأة وإن قالت ذلك لكن لعل موسى عليه السلام إنما ذهب إليهم لا لطلب الأجرة بل للتبرك برؤية ذلك الشيخ • وروي أنه لما قدم إليه الطعام امتنع وقال إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا • والجواب عن الثالث أن الضرورات تبيح المحظورات • والجواب عن الرابع لعله عليه السلام كان قد علم بالوحي طهارتها وبراءتها فكان يعتمد عليها • أما قوله فلما جاءه قال عمر بن الخطاب فقام يمشي والجارية أمامه فهبت الريح وكشفت عنها فقال موسى عليه السلام إني من عنصر إبرهيم فكوني خلفي حتى لا ترفع الريح ثيابك فأرى ما لا يحل لي فلما دخل على شعيب فإذا الطعام موضوع فقال شعيب تناول يا فتى فقال موسى أعوذ بالله قال شعيب ولم قال لأنا من بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهبا قال شعيب لكن عادتي وعادة آبائي إطعام الضيف فجلس موسى عليه السلام فأكل وإنما كره الطعام خشية أن يكون ذلك أجرا على عمله ولم يكره ذلك مع الخضر حين قال لو شئت لتخذت عليه أجرا • والفرق أن أخذ الأجرة على الصدقة لا يجوز • أما الاستئجار ابتداء فغير مكروه • أما قوله وقص عليه القصص • والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص قال الضحاك لما دخل عليه قال له من أنت يا عبد الله قال أنا موسى بن عمران ابن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب • وذكر له جميع أمره من لدن ولادته وأمر القوابل والمراضع والقذف في اليم وقتل القبطي وأنهم طلبوه ليقتلوه فقال شعيب لا تخف نجوت من القوم الظالمين أي لا سلطان له بأرضنا

ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا من اهل بيت لا نبيع ديننا بملء الارض ذهبا

اكل

ولسنا في ملكه • فان قيل المفسرون قالوا ان فرعون يوم ركب خلف موسى ركب في الف الف وستمائة الف • فالملك
الذي هذا شأنه كيف يعقل ان لا يكون في ملكه قرية على بعد ثمانية ايام من دار مملكته • قلنا هذا وان كان في العادة
الا انه ليس بمحال • اما قوله قالت احداهما يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين • ففيه مسائل
المسئلة الاولى وصفته بالقوة لما شاهدت منه من كيفية السقي وبالامانة كما حكيناه من غضه بصره
حال ذودهما الماشية وحال سقيه لهما وحال مشيه بين يديها الى ابيها **المسئلة الثانية** انما جعل خير من استأجرت
اسما والقوي الامين خبرا مع ان العكس اولى لان العناية هي سبب التقديم **المسئلة الثالثة** القوة والامانة
لا يكفيان في حصول المقاصد ما لم ينضم اليهما الفطنة والكياسة فلم اهمل الكياسة ويمكن ان يقال انها داخلة
في الامانة عن ابن مسعود • افرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف • وابو بكر • اما قوله قال اني اريد
ان انكحك احدى ابنتي هاتين فلا شبهة في ان هذا اللفظ وان كان على الترديد لكنه عند التزويج عين ولا شبهة في ان
العقد وقع على اقل الاجلين • وكانت الزيادة كالتبرع • والفقهاء ربما استدلوا به على ان العمل قد يكون مهرا كالمال
وعلى ان الحال الزيادة بالثمن والمثمن جائز ولكنه شرع من قبلنا فلا يلزمنا ويدل على انه قد كان جائزا في تلك الشريعة
ان يشترط للولي منفعة وعلى انه كان جائزا في تلك الشريعة نكاح المرأة بغير بدل تستحقه المرأة وعلى ان عقد النكاح
لا يفسد بالشرط التي لا يوجبها العقد • ثم قال على ان تأجرني ثماني حجج • ثم قال وما اريد ان اشق عليك • وفيه
وجهان • الاول لا اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين • فان قيل ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر
قلنا حقيقته ان الامر اذا تعاظل فكانه شق عليه ظنك بقوله تارة اطيقه وتارة لا اطيقه • الثاني لا اريد ان اشق
عليك في الرعي ولكني اساهلك فيها واسامحك بقدر الامكان ولا اكلفك الاحتياط الشديد في كيفية الرعي وهكذا
كان الانبياء عليهم السلام آخذين بالاسمح في معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي
فكان خير شريك لا يداري ولا يماري • ثم قال ستجدني ان شاء الله من الصالحين • وفيه وجهان • الاول يريد
بالصلاح حسن المعاملة • ولين الجانب • والثاني يريد الصلاح على العموم • ويدخل تحته حسن المعاملة • واما
قال ان شاء الله للاتكال على توفيقه ومعونته • فان قيل كيف ينعقد العقد مع هذا الشرط • فانك لو قلت امرأتي طالق
ان شاء الله لا تطلق • قلنا هذا مما يختلف بالشرائع • اما قوله ذلك بيني وبينك فاعلم ان ذلك مبتدأ وبيني وبينك خبر
وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب عليه السلام • يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلا
عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك • ثم قال ايما الاجلين قضيت من الاجلين اطولهما الذي هو العشر
او اقصرهما الذي هو الثماني فلا عدوان علي اي لا تعتدى علي في طلب الزيادة اراد بذلك تقرير امر الخيار يعني ان شاء
هذا وان شاء هذا ويكون اختيار الاجل الزائد موكولا الى رأيه من غير ان يكون لاحد عليه اجبار • ثم قال والله على
ما نقول وكيل • والوكيل هو الذي وكل اليه الامر • ولما استعمل الوكيل في معنى الشاهد عدي بعلى لهذا السبب ●

قوله تعالى **فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست
نارا لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن
في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك فلما رآها
تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك في
جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه
انهم كانوا قوما فاسقين** اعلم انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تزوج صغراهما وقضى اوفاهما اي قضى
اوفى الاجلين • وقال مجاهد قضى الاجل عشر سنين • وقوله فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس يدل
على ان ذلك الايناس حاصل عقيب مجموع الامرين • ولا يدل على انه حصل عقيب احدهما وهو قضاء الاجل فبطل بما قاله
القاضي من ان ذلك يدل على انه لم يزد عليه • وقوله سار باهله ليس فيه دلالة على انه خرج منفردا معها وقوله
امكثوا فيه دلالة على الجمع • اما قوله اني آنست نارا فقد مر تفسيره في سورة طه وسورة النمل • اما قوله تعالى
آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون • ففيه ابحاث • البحث الاول قال صاحب الكشاف الجذوة
بالحركات الثلاث • وقرئ بهن جميعا وهو العود الغليظ كان في رأسه نار او لم يكن قال الزجاج الجذوة القطعة
الغليظة من الحطب • الثاني قد حكينا في سورة طه انه اظلم عليه الليل في الصحراء وهبت ريح شديدة فرقت ماشيته
وضل واصابهم مطر فوجد واوبردا شديدا فعند ما ابصر نارا سار اليها يطلب من يدله على الطريق وهو قوله لعلي آتيكم
منها بخبر او آتيكم من هذه النار بحطب لعلكم تصطلون • وفي قوله آتيكم منها بخبر دلالة على انه ضل • وفي قوله لعلكم

تصطلون دلالة البرد • اما قوله تعالى فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى
اني انا الله رب العالمين • فاعلم ان شاطئ الوادي جانبه • وجاء النداء عن يمين موسى من شاطئ الوادي • وقوله من الشجرة
بدل من قوله من شاطئ الوادي الايمن بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
وانما وصف البقعة بكونها مباركة لانه حصل في تلك البقعة ابتداء الرسالة وتكليم الله تعالى اياه • وها هنا مسائل
المسئلة الاولى احتجت المعتزلة على قولهم ان الله تعالى تكلم بكلام خلقه في جسم بقوله من الشجرة فان هذا صريح في
ان موسى عليه السلام سمع النداء من الشجرة • والمتكلم بذلك النداء هو الله تعالى وهو سبحانه منزه عن ان يكون في جسم
فثبت انه تعالى انما يتكلم بخلق الكلام في جسم اجاب القائلون بقدم الكلام قالوا لنا مذهبان • الاول قول
ابي منصور الماتريدي وائمة ما وراء النهر ان الكلام القديم قائم بذات الله تعالى غير مسموع انما المسموع هو الصوت
والحرف وذلك كان مخلوقا في الشجرة ومسموعا منها وعلى هذا التقدير زال السؤال • الثاني قول ابي الحسن الاشعري وهو
ان الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت يمكن ان يكون مسموعا كما ان الذات التي ليست بجسم ولا عرض يمكن ان تكون مرئية فعلى
هذا القول لا يبعد انه سمع الحرف والصوت من الشجرة وسمع الكلام القديم من الله لا من الشجرة فلا منافاة بين الامرين
واحتج اهل السنة بان محل قوله اني انا الله رب العالمين لو كان من الشجرة لكان قد قالت الشجرة اني انا الله رب العالمين ○
والمعتزلة اجابوا عنه بان هذا انما يلزم لو كان المتكلم بالكلام هو محل الكلام لا فاعله • وهذا هو اول المسئلة فان النزاع
المشهور قالوا لانا كل منى فاتى مسموم فقاعل ذلك الكلام هو الله • فان كان المتكلم هو فاعل الكلام لزم ان يكون الله قد قال
لانا كل منى فاني مسموم وهذا باطل وان كان المتكلم هو محل الكلام لزم ان تكون الشجرة قد قالت اني انا الله وذلك باطل
المسئلة الثانية يحتمل ان يقال انه تعالى خلق فيه علما ضروريا بان ذلك الكلام كلام الله والمعتزلة لا يرضون بذلك
قالوا لانه لو علم بالضرورة ان ذلك الكلام كلام الله لوجب ان يعلم بالضرورة وجود الله لانه يستحيل ان تكون الصفة معلومة
بالضرورة والذات معلومة بالنظر • ولو علم موسى الله تعالى بالضرورة لزال التكليف • ويحتمل ان يقال انه تعالى
اسمعه الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت عرف ان مثل هذا الكلام لا يمكن ان يكون كلام الخلق • ويحتمل ان يقال ان ظهور
الكلام من الشجرة كظهور التسبيح من الحصا في انه يعلم ان مثل ذلك لا يكون الا من الله • ويحتمل ان يكون المعجز هو انه رأى
النار في الشجرة الرطبة فعلم انه لا يقدر على الجمع بين النار وبين الشجرة الا الله تعالى • ويحتمل ان يصح ما روي ان ابليس
لما قال له كيف عرفت انه نداء الله فقال لاني سمعته بجميع اجزائي فلما وجد السمع من جميع الاجزاء علم ان ذلك مما
لا يقدر عليه احد سوى الله تعالى وهذا انما يصح على مذهبنا لان البنية ليست شرطا للكلام **المسئلة الثالثة**
قال في سورة النمل ان بورك من في النار ومن حولها وقال ههنا نودي اني انا الله رب العالمين وقال في طه
نودي اني انا ربك ولا منافاة بين هذه الاشياء فهو تعالى ذكر الكل الا انه حكى في كل سورة ما اشتمل عليه ذلك النداء
المسئلة الرابعة قال الحسن ان موسى نودي نداء الوحي لا نداء الكلام • والدليل عليه قوله تعالى فاستمع لما يوحى
وقال الجمهور ان الله تعالى كلمه من غير واسطة • والدليل قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما واما الذي تمسك به الحسن
ضعيف لان قوله فاستمع لما يوحى لم يكن بالوحي لانه لو كان ذلك ايضا بالوحي لانتهى آخر الامر الى كلام سمعه لا بالوحي
والا لزم التسلسل بل المراد من قوله فاستمع لما يوحى وصية بان يتشدد في الامر الذي يصل اليه في مستقبل الزمان
بالوحي • اما قوله تعالى وان الق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك
من الآمنين فقد تقدم تفسير ذلك • وقوله كأنها جان صريح في انه تعالى شبهها بالجان ولم يقل انها في نفسها جان فلا
يكون هذا مناقضا لكونه ثعبانا بل شبهها بالجان من حيث الاهتزاز والحركة لا من حيث المقدار • وقد تقدم الكلام في
خوفه • ومعنى لم يعقب لم يرجع • يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار قال وهب انها لم تدع صخرة ولا شجرة
الا ابتلعتها حتى سمع موسى صرير اسنانها وسمع قعقعة الصخر في جوفها فحينئذ ولى • واختلفوا في العصا على وجوه
احدها قالوا ان شعيبا كانت عنده عصي الانبياء فامر موسى ان يأخذ عصا منها • فاخذ العصا التي اخرج بها آدم من الجنة
ولم تزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فقال ارني العصا فلمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما
وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شأنا • وثانيها ان شعيبا امر ابنته ان تأتي بعصا لاجل موسى عليه السلام فدخلت
البنت فاخذت العصا واتته • فلما رآها الشيخ قال ائتيه بغيرها والقاها فارادت ان تأخذ غيرها فلم يقع في يدها
غيرها • فلما رأى الشيخ ذلك رضي به ثم ندم بعد ذلك وخرج يطلب موسى فلما لقيه قال اعطني العصا فقال موسى عصاي
وابى ان يعطيه فاختصما ثم توافقا على ان يجعلا بينهما اول رجل يلقاهما فاتاهما ملك يمشي فقضى بينهما فقال ضعوها على
على الارض فمن حملها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطق واخذها موسى بسهولة فتركها الشيخ له فرعى له عشر سنين • وثالثها

خ
الحضرة

خ قال الجمهور ان الله تعالى كلمه من غير واسطة

خ
يسمع الكلام
لا بالوحي

روى ابو صالح عن ابن عباس قال كان في دار هرون بن اخي شعيب بيت لا يدخله الا هرون وابنته التي زوجها من موسى عليه السلام فانها كانت تكنسه وتنظفه • وكان في ذلك البيت ثلاث عشرة عصا من تلك العصي • وكان لهرون احد عشر ولدا من الذكور فكلما ادرك منهم ولدا امره بدخول البيت • واخذ عصا فدخل وخرج بها • ولما علمت المراة ذلك نطلقت الى ابيها واخبرته بذلك فسر بذلك هرون وقال لها ان زوجك هذا نبي وان له مع هذه العصا لشانا • وثالثها في بعض الاخبار لما عقدا العقد مع شعيب واصبح من الغد واراد الرعي قال له شعيب اذهب بهذه الاغنام فاذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ ذات اليمين فان هناك تنينا اخشاه عليك وعلى غنمك • فلما بلغ موسى مفرق الطريق اخذت الاغنام ذات اليمين فاجتهد موسى ان يردها فلم يقدر فسار على اثرها فراى عشبا كثيرا ثم ان موسى نام والاغنام ترعى واذا بالتنين جا فقامت عصا موسى وقاتلته حتى قتلته وعادت الى جنب موسى وهي دامية • فلما استيقظ موسى والعصا دامية والتنين مقتول فارتاح لذلك • وعلم ان لله تعالى في تلك العصا قدرة • ولما عاد الى شعيب وكان ضريرا فلمس الاغنام فاذا هي احسن حالا مما كانت فحكى قبل ذلك فسأله عن ذلك فاخبره موسى بالقصة ففرح بذلك • وعلم ان لموسى ولعصاه شانا فاراد ان يجازي موسى على حسن رعيه اكراما وصلة لابنته فقال اني وهبت لك من الاخلاف التي تضعها اغنامي في هذه السنة كل ابلق وبلقا فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك الما الذي يسقي منه الغنم ففعل ثم سقى الاغنام منه • فما اخطت واحدة منها الا وضعت حملها بين ابلق وبلقا فعلم شعيب انه رزق ساقه الله تعالى الى موسى وامراته فوفى له • ورابعها قال بعضهم تلك العصا هي عصا آدم عليه السلام • وان جبريل عليه السلام اخذ تلك العصا بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي موسى عليه السلام ليلا فدفعها اليه • وخامسها قال الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا اي اخذها من عرض الشجر • يقال اعترض اذا لم يتخير • وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج • ومنها كانت عصاه ولا مطمع في ترجيح بعض لانه ليس في القرآن ما يدل عليها • والاخبار متعارضة والله اعلم بها • اما قوله تعالى واسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء • فاعلم ان الله تعالى قد عبر عن هذا المعنى بثلاث عبارات • احداها هذه • وثانيتها قوله في طه واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء • وثالثها قوله في النمل وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء قال العزيزي في غريب القرآن اسلك يدك في جيبك ادخلها فيه • اما قوله تعالى واضمم اليك جناحك من الرهب • فاحسن الناس كلاما فيه صاحب الكشاف قال فيه معنيان • احدهما ان موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشي فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا القيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان الاتقاء بها ثم اخرجها بيضاء لكي يحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة اخرى • والمراد بالجناح اليد لان يدي الانسان بمنزلة جناحي الطائر واذا ادخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه اليه • الثاني ان يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مستمران • ومعنى قوله من الرهب اي اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية • فاضمم اليك جناحك • وقوله اسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين • وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك لان الغرض في احدهما خروج اليد بيضاء • وفي الثاني اخفاء الرهب • فان قيل قد جعل الجناح وهو اليد في احد الموضعين مضموما • وفي الثاني مضموما اليه • وذلك قوله واضمم اليك جناحك • وقوله واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما • قلنا المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحد من يمنى اليدين ويسراهما جناح هذا كلام صاحب الكشاف وهو في نهاية الحسن • اما قوله فذانك قرئ مخففا ومشددا • فالمخفف مثنى ذا والمشدد مثنى ذلك • برهانان حجتان نيرتان على صدقه في النبوة • وصحة ما دعاهم اليه من التوحيد • وظاهر الكلام يقتضي انه تعالى امره بذلك قبل لقاء فرعون حتى عرف ما الذي يظهره عنده من المعجزات لانه تعالى حكى بعد ذلك عن موسى انه قال اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون قال القاضي فاذا كان كذلك فيجب ان يكون في حال ظهور البرهانين هناك من دعاه الى الرسالة من اهله او غيرهم اذ المعجزات انما تظهر على الرسل في حال الارسال لا قبله • وانما تظهر لكي يستدل بها غيرهم على الرسالة • وهذا ضعيف لانه ثبت انه لا بد في اظهار المعجزة من حكمة ولا حكمة اعظم من ان يستدل بها على صدق المدعي • واما كونه لا حكمة ها هنا فلا نسلم فلعل هناك انواعا من الحكم والمقاصد سوى ذلك لا سيما وهذه الآيات متطابقة على انه لم يكن هناك مع موسى احد •

قوله تعالى قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردا يصدقني اني اخاف ان يكذبون قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا

في آبائنا الاولين وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون

اعلم انه تعالى لما قال فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه تضمن ذلك ان يذهب موسى بهذين البرهانين الى فرعون وقومه فعند ذلك طلب من الله تعالى ما يقوي قلبه ويزيل خوفه فقال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هرون هو افصح مني لسانا لانه كان في لسانه حبسة اما في اصل الخلقة واما لانه وضع الجمرة في فيه عند ما نتف لحية فرعون • اما قوله تعالى فارسله معي ردا يصدقني ففيه ابحاث • البحث الاول الردء اسم ما يستعان به فعل بمعنى مفعول به كما ان الدفء اسم لما يدفأ به • يقال ردأت الحائط اردؤه اذا دعمته بالخشب او غيره لئلا يسقط • البحث الثاني قرأ نافع ردا بغير همز • والباقون بالهمز • وقرأ عاصم وحمزة يصدقني برفع القاف • وروى ذلك ايضا عن ابي عمرو • والباقون بجزم القاف وهو المشهور عن ابي عمرو • فمن رفع فالتقدير ردءا مصدقا لي • ومن جزم كان على معنى الجزاء يعني ارسله صدقني ونظيره قوله فهب لي من لدنك وليا يرثني بجزم الثاء من يرثني • وروى السدي عن بعض شيوخه ردءا كيما يصدقني • البحث الثالث الجمهور على ان التصديق لهرون وقال مقاتل لكي يصدقني فرعون والمعنى ارسله معي حتى يصدقني على اظهار الحجة والبيان فعند اجتماع البرهانين ربما حصل المقصود من تصديق فرعون • البحث الرابع ليس الغرض بتصديق هرون ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى وانما هو ان يلخص بلسانه الفصيح وجوه الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل به الكفار • فهذا هو التصديق المفيد • الا ترى الى قوله واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا • وفائدة الفصاحة انما تظهر فيما ذكرناه لا في مجرد قوله صدقت • البحث الخامس قال الجبائي انما سأل موسى ان يرسل الى هرون بامر الله تعالى والا كان لا يدري هل يصلح هرون للبعثة ام لا فلم يكن يسأل ما لا يأمن ان لا يجاب اليه او لا يكون حكمة • ويحتمل ايضا ان يقال انه ما سأل مطلقا بل مشروطا على معنى ان اقتضت الحكمة ذلك كما يقوله الداعي في دعائه • البحث السادس قال السدي ان نبيين وآيتين اقوى من نبي واحد وآية واحدة قال القاضي والذي قاله من جهة العادة اقوى • فاما من حيث الدلالة فلا فرق بين معجزة ومعجزتين ونبي ونبيين لان المبعوث اليه ان نظر في ايهما كان علم وان لم ينظر فالحال واحدة • هذا اذا كانت طريقة الدلالة في المعجزتين واحدة • فاما اذا اختلفت وامكن في احدهما ازالة الشبهة ما لا يمكن في الاخرى فغير ممتنع ان يختلفا ويصلح عند ذلك ان يقال انهما مجموعهما اقوى من احدهما على ما قاله السدي لكن ذلك لا يتاتى في موسى وهرون لان معجزتهما كانت واحدة لا متغايرة • اما قوله سنشد عضدك باخيك • فاعلم ان العضد قوام اليد وبشدتها تشتد يقال في دعاء الخير شد الله عضدك • وفي ضده فت الله في عضدك • ومعنى سنشد عضدك باخيك سنقويك به • فاما ان يكون لان اليد تشتد بشدة العضد • والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور واما لان الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كانه يد مشتدة بعضد شديدة • اما قوله تعالى ونجعل لكما سلطانا • والمقصود ان الله تعالى آمنه مما كان يحذر • فان قيل بين تعالى ان السلطان هو بالآيات فلا يصلون اليهما لاجل الآيات وليس فرعون قد وصل الى صلب السحرة وان كانت هذه الآيات ظاهرة ان الآية التي هي قلب العصا حية كما انها معجزة فهي ايضا تمنع من وصول ضرر فرعون الى موسى وفرعون لانهم اذا علموا انه متى القاها صارت حية عظيمة وان اراد ارسالها عليهم اهلكتهم زجرهم ذلك عن الاقدام عليهما فصارت مانعة من الوصول اليهما بالقتل وغيره فصارت آية ومعجزة فجمعت بين الامرين • فاما صلب السحرة ففيه خلاف • فمنهم من قال ما صلبوا • وليس في القرآن ما يدل عليه وان سلمنا ذلك ولكنه تعالى قال فلا يصلون اليكما • فالمنصوص انهم لا يقدرون على ايصال الضرر اليهما فايصال الضرر الى غيرهما لا يقدح فيه • ثم قال انتما ومن اتبعكما الغالبون • والمراد اما الغلبة بالحجة والبرهان في الحال والغلبة في الدولة والمملكة في ثاني الحال • والاول اقرب الى اللفظ اما قوله فلما جاءهم موسى بآياتنا فقد بينا في سورة طه انه كيف اطلق لفظ الآيات وهو جمع على العصا واليد • اما قوله هذا سحر مفترى فقد اختلفوا في مفترى فقال بعضهم المراد انه اذا كان سحرا فهو مفتر لانه يوهم خلاف الحقيقة فهو مفترى • وقال الجبائي المراد انه منسوب الى الله تعالى وهو من قبله بكانهم قالوا هو كذب من هذا الوجه ثم ضموا اليه ما يدل على جهلهم وهو قولهم ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين اي ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلوا ان يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا امثاله او يريدوا انهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته او ما كان الكهان يخبرون بمثل ما اتى به موسى • وظهور ما جاء به • واعلم ان هذه الشبهة ساقطة لان حاصلها يرجع الى التقليد • ولان حال الاولين لا يخلو من وجهين اما ان يورد عليهم مثل هذه الحجة فحينئذ الفرق ظاهر او ورد عليهم فدفعوه فحينئذ لا يجوز جعل جهلهم وخطائهم حجة بعد ذلك • ثم قال موسى وقد عرف منهم العناد ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده • ومن تكون له عاقبة الدار فان من ظهر الحجة ولم يجد من الخصم اعتراضا عليها • وانما وجد منه العناد صح ان يقول ربي اعلم بمن معه الهدى والحجة منا جميعا • ومن هو على الباطل • ويضم اليه طريقة الوعيد والتخويف وهو قوله ومن له عاقبة

الثاني ان يراد بضم جناحه اليه صح

وقوله واضمم يدك الى جناحك صح

نيران خ

في آبائنا الاولين

فالمنصوص انهم لا يقدرون على ايصال الضرر اليهما

تفاعله ب

بلغ مقابلة

الدار من ثواب على تمسكه بالحق او من عقاب • وعاقبة الدار هى العاقبة المحمودة • والدليل عليه قوله تعالى
اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن • وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار • والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها
وعقباها ان يختم للعبد بالرحمة والرضوان • وتلقى الملائكة بالبشرى عند الموت • فان قيل العاقبة المحمودة
والمذمومة كلتاهما يصح ان يسمى عاقبة الدار لان الدنيا قد تكون خاتمتها بخير فى حق البعض وبشر فى حق البعض
الاخر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر • قلنا انه قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا
الى الاخرة • وامر عباده ان لا يعملوا فيها الا الخير ليبلغوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق فمن عمل فيها خلاف ما وضعها
الله له فقد حرف • فاذن عاقبتها الاصلية هى عاقبة الخير • واما عاقبة الشر فلا اعتداد بها لانها من نتايج تحريف
الفجار • ثم انه عليه السلام اكد ذلك بقوله انه لا يفلح الظالمون • والمراد انهم لا يظفرون بالفوز والنجاة
والمنافع بل يحصلون على ضد ذلك • وهذا نهاية فى زجرهم عن العناد الذى ظهر منهم والله اعلم • قوله تعالى
وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فاوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى اطلع
الى اله موسى وانى لاظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق وظنوا انهم
الينا لا يرجعون فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم
ائمة يدعون الى النار ويوم القيمة لا ينصرون واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين
ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون
اعلم ان فرعون كانت عادته متى ظهرت حجة موسى ان يتعلق فى دفع تلك الحجة بشبهة يروجها على اغمار قومه • وذكر ههنا
شبهتين الشبهة الاولى قوله ما علمت لكم من اله غيرى وهذا فى الحقيقة يشتمل على كلامين • احدهما نفى اله غيره • والثانى
اثبات الهية نفسه • فاما الاول فقد كان اعتماده على ان ما لا دليل عليه لم يجز اثباته • اما انه لا دليل عليه فلان
هذه الكواكب والافلاك كافية فى اختلاف احوال هذا العالم السفلى فلا حاجة الى اثبات صانع • واما ما لا دليل عليه
لم يجز اثباته • فالامر فيه ظاهر • واعلم ان المقدمة الاولى كاذبة فانه لا نسلم انه لا دليل على وجود الصانع وذلك
لانا اذا عرفنا بالضرورة ان المحدث لا بد له من محدث فحينئذ نعرف بالدليل ان هذا العالم له صانع • والعجب ان جماعة
اعتمدوا فى نفى كثير من الاشيا على ان قالوا لا دليل عليه لانا بحثنا وسبرنا فلم نجد عليه دليلا وجب نفيه وان فرعون لم
يقطع بالنفى لكن قال لا دليل عليه فلا اثبته بل اظنه كاذبا فى دعواه • ففرعون على نهاية جهله احسن حالا من
هذا المستدل • اما الثانى وهو اثباته الهية نفسه • فاعلم انه ليس المراد منه انه كان يدعى كونه خالقا
للسموات والارض والبحار والجبال • وخالقا لذوات الناس وصفاتهم فان العلم بامتناع ذلك من اوائل العقول
فالشك فيه يقتضى زوال العقل بل الاله هو المعبود • فالرجل كان ينفى الصانع • ويقول لا تكليف على الناس
الا ان يطيعوا ملكهم وينقادوا للامر • فهذا هو المراد من ادعائه الالهية لا ما ظنه الجمهور من ادعائه كونه
خالقا للسموات والارض لا سيما وقد دللنا فى سورة طه فى تفسير قوله • فمن ربكما يا موسى على انه كان عارفا بالله
وانه كان يقول ذلك ترويجا على الاغمار من الناس الشبهة الثانية له قوله فاوقد لى يا هامان على الطين فاجعل
لى صرحا لعلى اطلع الى اله موسى وانى لاظنه من الكاذبين • وههنا ابحاث البحث الاول تعلقت المشبهة
بهذه الاية على ان الله فى السما • قالوا لولا ان موسى عليه السلام دعا الى ذلك لما قال فرعون هذا القول الجواب
ان موسى عليه السلام دل فرعون بقوله رب السموات والارض • ولم يقل هو الذى فى السما دون الارض فاوهم فرعون انه
يقول ان الهه فى السما وذلك ايضا من خبث فرعون ومكره ودهائه البحث الثانى اختلفوا فى ان فرعون هل بنى هذا
الصرح فقال قوم انه بناه انه بناه قالوا لما امر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع
والاجرا وامر بطبخ الاجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بناء احد من الخلق فبعث الله جبريل
عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع • قطعة وقعت على عسكر فرعون فقتلت الف الف
رجل وقطعة فى البحر • وقطعة فى المغرب • ولم يبق احد من عماله الا وقد هلك • ويروى فى هذه القصة
ان فرعون ارتقى فوقه ورمى بنشابة نحو السما فاراد الله ان يفتنهم فردت وهى ملطوخة بالدم • فقال قد قتلت اله موسى
فعند ذلك بعث الله جبريل لهدمه • ومن الناس من قال انه لم يبن ذلك الصرح لانه يبعد من العقلاء ان يظنوا
انهم بصعود الصرح يصلون الى السما مع علمهم بان من على اعلى الجبال الشاهقة يرى السما كما كان يراها حين كان
على قرار الارض • ومن شك فى ذلك خرج عن حد العقل • وهكذا القول فيما يقال انه رمى الى السما سهما ورجع
متلطخا بالدم فان كل من كان كامل العقل يعلم انه لا يمكنه ايصال السهم الى السما • وان من فعل ذلك كان من

[illegible]

المجانين

المجانين ولا يليق بالعقلاء الذين جعل الفضيحة التى حكاها الله تعالى فى القرآن فى محل يعرف فساده بضرورة العقل فيصير
ذلك مشرعا قويا فى الطعن فى القرآن فالاقرب انه اوهم البناء واراد ان يفعل وكان هذا من تتمة قوله ما علمت لكم من اله غيرى
يعنى لا سبيل الى اثباته بالدليل فان حركات الكواكب كافية فى تغير هذا العالم ولا سبيل الى اثباته بالحس فان الاحساس
به لا يكون الا بعد صعود السماء وذلك مما لا سبيل اليه • ثم قال عند ذلك لهامان ابن لى صرحا لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات
واما انا فلا اظنه الا كاذبا [illegible] ثم انه رتب النتيجة عليه فقال وانى لاظنه
من الكاذبين فهذا التاويل اولى مما ذكروه • الثالث انا قد بينا [illegible] فانا لحدى
لانه اول من عمل الاجر الصنعة ولان هذه العبارة احسن من كلام الجبابرة • واما هامان
وهو وزيره بالايقاد على الطين منادى بيا فى وسط الكلام دليل التعظيم والتجبر والطلوع والاطلاع الصعود
يقال طلع الجبل واطلع بمعنى واحد • اما قوله واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق • فاعلم ان الاستكبار بالحق
انما هو لله تعالى وهو المتكبر فى الحقيقة اى المبالغ فى كبريا الشان • قال عليه السلام فيما حكى عن ربه • الكبريا ردائى
والعظمة ازارى • فمن نازعنى فى واحد منهما القيته فى النار • وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق المسئلة الثانية
قال الجبائى الاية تدل على انه تعالى ما اعطاه الملك والا كان ذلك بحق • وكذا كل متغلب لا كما ادعى ملوك بنى امية عند
تغلبهم ان ملكهم من الله • فان الله قد بين فى كل غاصب حكم الله انه قد اخذ ذلك بغير حق • واعلم ان هذا ضعيف لان
وصول ذلك الملك اليه اما ان يكون منه او من الله او لا منه ولا من الله • فان كان منه فلم يقدر عليه غيره • فربما كان العاجز
اوعى واعقل بكثير من المتولى للامر • وان كان من الله فقد صح الغرض وان كان من سائر الناس فلم اجتمعت دواعى الناس
على نصرة احدهما وخذلان الاخر • واعلم ان هذا اظهر من ان يرتاب فيه العاقل • اما قوله تعالى وظنوا انهم الينا
لا يرجعون • فهذا يدل على انهم كانوا عارفين بالله تعالى الا انهم كانوا ينكرون البعث فلاجل ذلك تمردوا وطغوا • اما قوله
تعالى فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فهو من الكلام المفخم الذى دل به على عظمة شانه وكبريا سلطانه شبههم
استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وان كانوا الكثر الكثير • والجم الغفير • بحصيات اخذهن اخذ فى كفه فطرحهن
فى البحر ونحو ذلك قوله والقينا فيها رواسى شامخات • وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه • وليس الغرض منها الا تصوير ان كل
مقدور وان عظم فهو بالقياس حقير الى قدرته • اما قوله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار فقد تمسك به الاصحاب
فى كونه تعالى خالقا للخير والشر وقال الجبائى المراد بقوله وجعلناهم اى بينا ذلك من حالهم وسميناهم • ومنه قوله
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ويقول اهل اللغة فى تفسيره فسقه وبخله اى جعله فاسقا وبخيلا لانه
جعلهم ائمة من حيث خلى بينهم وبين ما فعلوه ولم يعاجل بالعقوبة ومن حيث كفروا ولم يمنعهم بالقسر وذلك كقوله
زادتهم رجسا لما ازدادوا عندها • ونظير ذلك ان الرجل يسال بما يثقل عليه وان امكنه • فاذا بخل به قال للسايل
جعلتنى بخيلا اوجدتنى بخيلا وقال ابو مسلم معنى الامامة التقدم • فلما عجل الله لهم العذاب صاروا
متقدمين لمن وراهم من الكافرين • واعلم ان الكلام فيه قد تقدم فى سورة مريم فى قوله ارسلنا الشياطين • ومعنى
دعوتهم الى النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر والمعاصى فان احدا لا يدعو الى النار البتة وانما جعلهم الله ائمة
فى هذا الكتاب لانهم بلغوا فى هذا الباب الى اقصى النهايات • ومن كان كذلك استحق ان يكون اماما يقتدى به فى ذلك
الباب • ثم بين تعالى ان ذلك العقاب ينزل بهم على وجه لا يمكن التخلص منه • وهو معنى قوله ويوم القيمة لا ينصرون
ويكون معناه ويوم القيمة لا ينصرون كما تنصر الائمة الدعاة الى الجنة • اما قوله تعالى واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة
ومعناه لعنة الله والملائكة لهم وامره تعالى بذلك للمؤمنين وبين انهم يوم القيمة من المقبوحين اى المبعدين الملعونين
والقبح الابعاد قال الليث قبحه الله اى نحاه عن كل خير وقال ابن عباس من المشوهين بسواد الوجه وزرقة العين وعلى
الجملة فالاولون حملوا القبح فى الصورة • وقيل فيه انه تعالى يقبح صورهم ويقبح عليهم عملهم • ويجمع بين الفضيحتين
ثم بين تعالى ان الذى يجب التمسك به ما جاء به موسى فقال ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى
والكتاب هو التوراة ووصفه الله تعالى بانه بصاير للناس من حيث يستبصر به فى باب الدين وهدى من حيث
يستدل به • ومن حيث ان المتمسك به يفوز بطلبته من الثواب • ووصفه بانه رحمة لانه من نعم الله على
من تعبد به • وروى ابو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لما اهلك الله قرنا من القرون بعذاب
من السما ولا من الارض منذ انزل التوراة غير اهل القرية التى مسخها قردة • اما قوله لعلهم يتذكرون • فالمراد
يتذكروا وقال القاضى وذلك يدل على ارادة التذكر من كل مكلف سوا اختار ذلك ام لم يختره • وفيه

ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم الى موجبها من الكفر والمعاصى

إبطال قول المجبرة الذين يقولون إنما أراد التذكر إلا ممن تذكر فأما من لا يتذكر فقد كره ذلك منه ونص القرآن ناطق
بهذا القول. قلنا أليس أنكم حملتم قوله ولقد ذرأنا لجهنم على العاقبة فلم لا يجوز حمله هاهنا على العاقبة وحصول
التذكر له وذلك في الآخرة. قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من
الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا
مرسلين وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم
يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك
ونكون من المؤمنين. اعلم أن في الآية سؤالات السؤال الأول الجانب موصوف والغربي صفة فكيف أضاف الموصوف
إلى الصفة الجواب هذه مسئلة خلافية بين النحويين فعند البصريين لا يجوز إضافة الموصوف إلى الصفة إلا بشرط
خاص سنذكره وعند الكوفيين يجوز ذلك مطلقا. حجة البصريين أن إضافة الموصوف إلى الصفة تقتضي إضافة الشيء إلى
نفسه وهذا غير جائز. بيان الملازمة أنا إذا قلت جاءني زيد الظريف فلفظ الظريف يدل على شيء متعين في نفسه
مجهول بحسب هذا اللفظ حصلت له الظرافة. فإذا نصصت على زيد عرفنا أن ذلك الشيء الذي حصلت الظرافة
له هو زيد. إذا ثبت هذا فلو أضفت زيدا إلى الظريف كنت أضفت زيدا إلى زيد. وإضافة الشيء إلى نفسه غير جائز
فإضافة الموصوف إلى صفته وجب أن لا تجوز إلا أنه جاء على خلاف هذه القاعدة الظاهرة وهي قوله في هذه الآية وما
كنت بجانب الغربي. وقوله وذلك دين القيمة. وقوله حق اليقين. ولدار الآخرة. ويقال صلاة الأولى ومسجد
الجامع. وبقلة الحمقاء. فقالوا التأويل فيه جانب المكان الغربي. ودين الملة القيمة. وحق الشيء اليقين. ودار الساعة
الآخرة. وصلاة الساعة الأولى. ومسجد المكان الجامع. وبقلة الحبة الحمقاء. ثم قالوا في هذا الموضع المضاف
إليه ليس هو النعت بل المنعوت إلا أنه حذف المنعوت وأقيم النعت مقامه. فهاهنا ينظر إن كان النعت كالمتعين
لذلك المنعوت حسن ذلك وإلا فلا. ألا ترى أنه ليس لك أن تقول عندي جيد على معنى عندي درهم جيد. ويجوز مررت
بالفقيه على معنى مررت بالرجل الفقيه لأن الفقيه يعلم أنه لا يكون إلا من الناس والجيد قد يكون درهما وقد يكون غيره
وإذا كان كذلك حسن قوله جانب الغربي لأن الشيء الموصوف بالغربي الذي يضاف إليه الجانب لا يكون إلا مكانا وما يشبهه
فلا جرم حسنت هذه الإضافة. وكذا القول في البواقي. السؤال الثاني ما معنى قوله إذ قضينا إلى موسى الأمر الجواب
الجانب الغربي هو المكان الواقع في شق الغرب. وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى من الطور وكتب الله له في الألواح
والأمر المقضي إلى موسى عليه السلام الوحي الذي أوحى الله. والخطاب لرسول الله يقول وما كنت حاضرا المكان الذي أوحينا
فيه إلى موسى ولا كنت من الشاهدين للوحي إليه أو الموحى إليهم وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات. السؤال الثالث
لما قال وما كنت بجانب الغربي ثبت أنه لم يكن شاهدا لأن الشاهد لا بد وأن يكون حاضرا فما الفائدة في إعادة قوله وما
كنت من الشاهدين الجواب قال ابن عباس التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت لما شاهدت تلك الوقائع
فإنه يجوز أن يكون هناك ولا يشهد ولا يرى. السؤال الرابع كيف يتصل قوله ولكنا أنشأنا قرونا بهذا الكلام ومن أي
وجه يكون استدراكا له. والجواب معنى الآية ولكنا أنشأنا بعد عهد موسى إلى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم العمر
وهو القرن الذي أنت فيه فاندرست العلوم فوجب إرسالك إليهم. فأرسلناك وعرفناك أحوال الأنبياء وأحوال
موسى فالحاصل كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه. ولكنا أوحيناه إليك فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة
الفترة ودل به على المسبب فإذن هذا الاستدراك أثره. واعلم أن هذا تنبيه على المعجز كأنه قال إن في إخبارك عن هذه
الأشياء من غير حضور ولا مشاهدة ولا تعلم من أهله دلالة ظاهرة على نبوتك قال تعالى أولم تأتهم بينة ما في الصحف
الأولى. أما قوله وما كنت ثاويا في أهل مدين فالمعنى ما كنت مقيما فيهم. وأما قوله تعالى تتلو عليهم آياتنا ففيه
وجهان الأول قال مقاتل لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم ولكنا كنا مرسلين أي أرسلناك إلى أهل مكة
وأنزلنا عليك هذه الأخبار. ولولا ذلك لما علمتها. وقال الضحاك يقول إنك يا محمد لم تكن الرسول إلى أهل مدين تتلو عليهم
الكتاب وإنما كان غيرك. ولكنا كنا مرسلين في كل زمان رسولا. فأرسلنا إلى شعيب وأرسلناك إلى العرب لتكون خاتم
الأنبياء. أما قوله وما كنت بجانب الطور إذ نادينا يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه ولكن رحمة من ربك أي علمناك
رحمة. وقرأ عيسى بن عمر بالرفع وهي رحمة وذكر المفسرون في قوله إذ نادينا وجوها أخر. أحدها إذ نادينا
أي قلنا لموسى ورحمتي وسعت كل شيء إلى قوله أولئك هم المفلحون. وثانيها قال ابن عباس إذ نادينا أمتك في
أصلاب آبائهم يا أمة محمد أجبتكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني. وغفرت لكم قبل أن تستغفروني
قال وإنما قال الله ذلك حين اختار موسى سبعين رجلا لميقات ربه. وثالثها قال وهب لما ذكر الله لموسى فضل

أمة محمد

جملة

أمة محمد قال يا رب أرنيهم قال إنك لن تدركهم وإن شئت أسمعتك صوتهم قال بلى يا رب فقال سبحانه يا أمة محمد فأجابوا
من أصلاب آبائهم وأسمعه الله أصواتهم ثم قال أجبتكم قبل أن تدعوني الحديث كما ذكره ابن عباس. ورابعها روى سهل بن سعد
قال قال عليه السلام وما كنت بجانب الطور إذ نادينا قال كتب الله كتابا قبل أن يخلق الخلق بألفي عام ثم وضعه على العرش
ثم نادى يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني من لقيني منكم يشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أدخلته الجنة. أما قوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك. واختلفوا
فيه فقال بعضهم لم يبعث إليهم نذير منهم. وقال بعضهم حجة الأنبياء كانت قائمة عليهم ولكنه ما بعث إليهم من يجدد تلك الحجة
عليهم. وقال بعضهم لا يبعد وقوع الفترة في التكاليف فبعثه الله تعالى لتقرير التكاليف وإزالة تلك الفترة. وأما قوله
ولولا أن تصيبهم مصيبة الآية فقال صاحب الكشاف لولا الأولى امتناعية وجوابها محذوف. والثانية تحضيضية
والفاء الأولى في قوله فيقولوا للعطف. والثانية في قوله فنتبع جواب لولا لكونها في حكم الأمر من قبل أن الأمر باعث على الفعل. والباعث
والمحضض من واد واحد. والمعنى لولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا أرسلت إلينا رسولا
محتجين علينا بذلك لما أرسلنا إليهم يعني إنما أرسلنا الرسول إزالة لهذا العذر. وأما قوله لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل أن يقولوا هذا العذر كما أرسلناك. ولولا أن تصيبهم مصيبة فيقولوا هذا العذر
كما أرسلناك وإنما قلنا ذلك لنكتة وهي أنهم لو لم يعاقبوا مثلا وقد عرفوا بطلان دينهم لما قالوا ذلك بل إنما يقولون ذلك
إذا نالهم العقاب فدل ذلك على أنهم لم يذكروا هذا العذر تأسفا على كفرهم بل لأنهم ما أطاقوا العذاب. وفيه تنبيه على
استحكام جهلهم ورسوخه فيهم كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه. وفي الآية مسائل المسئلة الأولى احتج
الجبائي على وجوب فعل اللطف قال لو لم يجب ذلك لم يكن لهم أن يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك إذ من الجائز أن لا يبعث
إليهم وإن كانوا لا يختارون الإيمان إلا عنده على قول من خالف في وجوب اللطف كما أن من الجائز إذا كان في المعلوم لو خلق له لم يكن
أن لا يفعل ذلك. المسئلة الثانية احتج الكعبي به على أن الله تعالى يقبل حجة العباد وليس الأمر كما يقول أهل السنة
من أنه تعالى لا يقبل الحجة. وظهر بهذا أنه ليس المراد من قوله لا يسئل عما يفعل ما ظنه أهل السنة. وإذا ثبت أنه يقبل
الحجة وجب أن لا يكون فعل العبد بخلق الله تعالى وإلا لكان للكافر أعظم حجة على الله. المسئلة الثالثة قال القاضي فيه
إبطال القول بالجبر من جهات. أحدها أن اتباعهم وإيمانهم موقوف على أن يخلق الله ذلك منهم سواء أرسل الرسول أم لا. وثانيها
أنه إذا خلق القدرة على ذلك فيهم وجب إرسال الرسول إليهم. وثالثها إذا أراد ذلك وجب إرسال الرسول إليهم أم لا فأي فائدة
في قولهم هذا لو كانت أفعالهم خلقا لله تعالى. فقال للقاضي هب أنك نازعت في الخلق والإرادة ولكنك وافقت في العلم فإذا
علم الكفر منهم فهل يجب أم لا فإن لم يجب أمكن أن لا يوجد الكفر مع حصول العلم بالكفر وذلك جمع بين الضدين فإن وجب لزمك
ما أوردته علينا. واعلم أن الكلام وإن كان حسنا قويا إلا أنه إذا توجه عليه النقض الذي لا محيص عنه فكيف يرضى العاقل
أن يعول عليه والله أعلم. قوله تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى
من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم
صادقين فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي
القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون
وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا
ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم
أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين. اعلم أنه تعالى لما حكى عنهم أن عند خوف مصيبة قالوا هلا أرسلت
إلينا رسولا فنتبع آياتك بين أيضا أنه بعد الإرسال إلى أهل مكة قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى فهؤلاء قبل البعثة
يتعلقون بشبهة وبعد البعثة يتعلقون بأخرى. وظهر أنه لا مقصود لهم سوى الدفع والعناد. أما قوله
فلما جاءهم الحق من عندنا أي جاءهم الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات كقلب العصا حية. واليد
البيضاء. وفلق البحر وتظليل الغمام وانفجار الحجر بالماء والمن والسلوى ومن أن الله كلمه وكتب له في الألواح
فجاءوا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وما أشبه ذلك
واعلم أن الذي اقترحوه غير لازم لأنه لا يجب في معجزات الأنبياء أن تكون واحدة ولا فيما ينزل عليهم من الكتاب أن
يكون على وجه واحد إذ الصلاح قد يكون في إنزاله مجموعا كالتوراة ومفرقا كالقرآن. ثم إنه تعالى أجاب
عن هذه الشبهة بقوله أولم يكفروا. واختلفوا في أن الضمير في قوله أولم يكفروا إلى من يعود. وذكروا
وجوها. أحدها أن اليهود أمروا قريشا أن يسألوا محمدا مثل ما أوتي موسى عليه السلام من تلك الآيات الباهرة

بل قال

واعلم أن الكلام وإن كان حسنا قويا إلا أنه

[illegible]

وثانيها ان الذي اوردوا الاقتراح كفار مكة • والذين كفروا بموسى كانوا في زمان موسى الا انه جعلهم كالشيء الواحد
وثالثها قال الكلبي ان مشركي مكة بعثوا رهطا الى اهل المدينة يسالونهم عن محمد وشانه • فقالوا انا نجده في التوراة
بنعته وصفته • فلما رجع الرهط اليهم واخبروهم بقول اليهود • قالوا انه كان ساحرا كما ان محمدا ساحر فقال
تعالى في حقهم اولم يكفروا بما اوتي موسى • ورابعها قال الحسن قد كان للعرب اصل في ايام موسى فمعناه على هذا اولم
يكفر اباؤهم قالوا في موسى وهرون ساحران • وخامسها قال قتادة لعله كفر اليهود في عصر محمد بما اوتي موسى من
قبل من البشارة بعيسى ومحمد فقالوا ساحران • وسادسها وهو الاظهر عندي ان كفار قريش كانوا كفارا بجميع النبوا
ت انهم لما طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم معجزات موسى عليه السلام قال الله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى بل بما
اوتي جميع الانبياء من قبل فعلمنا انه لا غرض لهم من هذا الاقتراح الا التعنت ثم انه تعالى حكى كيفية كفرهم بما اوتي موسى من
وجهين • الاول قولهم ساحران تظاهرا • قرا ابن كثير وابو عمرو واهل المدينة ساحران بالالف • وقرا اهل الكوفة
بغير الف • وذكروا في تفسير الساحران وجوها • احدها المراد هرون وموسى عليهما السلام تظاهرا اي تعاونا
وقرئ اظاهرا على الادغام • وسحران بمعنى ذوي سحر او جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر وكثير من المفسرين
فسروا قوله سحران بان المراد هو القران والتوراة • واختار ابو عبيدة القراءة بالالف لان المظاهرة بالناس وافعالهم
اشبه منها بالكتب وجوابه انا بينا ان قوله سحران يمكن حمله على التحقيق • وتقديره ان يكون المراد الكتابين لكن لما كان
كل واحد من الكتابين يقوي الاخر لم يبعد ان يقال على سبيل المجاز تعاونا كما يقال تظاهرت الاخبار وهذه التاويلا
ت انما تصح اذا حملنا قوله اولم يكفروا بما اوتي موسى اما على كفار مكة او على الكفار الذين كانوا في زمان موسى ولا شك ان
ذلك اليق بمساق الاية • الثاني قولهم انا بكل كافرون اي بما انزل على محمد وموسى وسائر الانبياء • ومعلوم ان هذا
الكلام لا يليق الا بالمشركين لا باليهود وذلك مبالغة في انهم مع كثرة ايات موسى عليه السلام كذبوه فما الذي يمنع من
مثله في محمد عليه الصلاة والسلام وان ظهرت حجته • ولما اجاب الله تعالى عن شبهتهم ذكر الحجة الدالة على صدق
محمد صلى الله عليه وسلم فقال قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه • وهذا تنبيه على عجزهم عن الاتيان
بمثله قال الزجاج اتبعه • ~~وهذا تنبيه على عجزهم عن الاتيان بمثله~~ بالجزم على الشرط • ومن قرا اتبعه
بالرفع • فالتقدير انا اتبعه • ثم قال فان لم يستجيبوا لك قال ابن عباس فان لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج
وقال مقاتل فان لم يمكنهم ان ياتوا بكتاب افضل منهما وهذا اشبه بالاية • فان قيل الاستجابة تقتضي دعاء فاين
الدعاء هاهنا • قلنا قوله فاتوا بكتاب امر • والامر دعاء الى الفعل • ثم قال فاعلم انما يتبعون اهواءهم يعني قد
صاروا ملزومين ولم يبق لهم شيء الا اتباع الهوى • ثم ذم طريقتهم بقوله ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله
وهذا من اعظم الدلائل على فساد التقليد وانه لا بد من الحجة والاستدلال • ان الله لا يهدي القوم الظالمين وهو
عام تبينا والكافر لقوله ان الشرك لظلم عظيم • واحتج الاصحاب به في ان هداية الله تعالى خاصة بالمؤمنين
وقالت المعتزلة الالطاف منها ما يحسن فعلها مطلقا • ومنها ما لا يحسن الا بعد الايمان • والدليل عليه قوله
والذين اهتدوا زادهم هدى • فقوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين محمول على القسم الثاني ولا يجوز حمله على
القسم الاول لانه تعالى لما بين في الاية المتقدمة ان عدم بعثة الرسل جار مجرى العذر لهم فان يكون عدم الهداية
عذرا لهم اولى ولما بين تعالى نبوة محمد بهذه الدلائل قال • ولقد وصلنا لهم القول الموصل يحتمل ان يكون القران
ويكون المعنى انا انزلنا القران منجما مفرقا يتصل بعضه ببعض ليكون ذلك اقرب الى التذكر وعلى هذا التقدير
يكون هذا جوابا لقولهم لولا اوتي محمد كتابه دفعة كما اوتي موسى كتابه كذلك ويحتمل ان يكون المراد وصلنا اخبار
الانبياء بعضها ببعض واخبار الكفار في كيفية هلاكهم تكثيرا لمواضع الاتعاظ والانزجار • ويحتمل ان يكون المراد
بينا الدلالة على كون هذا القران معجزا مرة بعد اخرى لعلهم يتذكرون • ثم انه تعالى لما اقام الدلالة على النبوة
اكد ذلك بان قال ان الذين اتيناهم الكتاب من قبل اذا اسلموا بمحمد ممن لا يعرف الكتب اولى بذلك • واختلفوا في المراد
بقوله الذين اتيناهم الكتاب • وذكروا وجوها • احدها قال قتادة انها نزلت في اناس من اهل الكتاب كانوا على
شريعة حقة يتمسكون بها • فلما بعث الله محمدا امنوا به من جملتهم سلمان وعبد الله بن سلام • وثانيها قال مقاتل نزلت في
اربعين رجلا من اهل الانجيل هم اصحاب السفينة جاؤوا من الحبشة مع جعفر • وثالثها قال رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة
اناس احدهم • وقد عرفت ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب • فكل من حصل في حقه تلك الصفة كان داخلا
في الاية • ثم حكى عنهم ما يدل على تاكيد ايمانهم وهو قولهم امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين • فقوله انه الحق من
ربنا يدل على التعليل يعني ان كونه حقا من عند الله يوجب الايمان • وقوله انا كنا من قبله مسلمين بيان لقوله امنا به لانه

بيننا

يحتمل ان يكو

يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم وذلك بما وجدوه في كتب الانبياء المتقدمين من
البشارة بمقدمه • ثم انه تعالى لما مدحهم بهذا المدح العظيم قال اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا • وذكروا
وجوها • احدها انهم يؤتون اجرهم مرتين بايمانهم بمحمد قبل بعثته وبعد بعثته • وهذا هو الاقرب لانه تعالى
لما بين انهم امنوا بعد البعثة وبين ايضا انهم كانوا مؤمنين به قبل البعثة ثم اثبت الاجر مرتين • مرة بايمانهم بالانبيا
ومرة بايمانهم بالانبيا • ومرة اخرى بايمانهم بمحمد • وثالثها قال مقاتل هؤلاء لما امنوا بمحمد عليه السلام شتمهم المشركون
فصفحوا عنهم فلهم اجران • اجر على الصفح واجر على المعنى يروى انهم لما اسلموا لعنهم ابو جهل فسكتوا عنه قال
السدي اليهود عابوا عبد الله بن سلام وشتموه وهو يقول سلام عليكم • ثم قال ويدرؤون بالحسنة السيئة • والمعنى
بالطاعة المعصية المتقدمة • ويحتمل ان يكون المراد من الحسنة امنا عصم من المعاصي لان الامتناع حسنة ويدفع
به ما لولاه لكان سيئة • ويحتمل التوبة والانابة والاستقرار عليها قال ومما رزقناهم ينفقون • واعلم انه تعالى مدحهم
اولا بالايمان • ثم بالطاعات البدنية في قوله ويدرؤون بالحسنة السيئة • ثم بالطاعات المالية في قوله ومما رزقناهم
ينفقون قال القاضي دل هذا المدح العظيم على ان الحرام لا يكون رزقا • جوابه ان كلمة من للتبعيض • فدل على
انهم استحقوا المدح بانفاق بعض ما كان رزقا • وعلى هذا التقدير يسقط استدلاله • ثم لما بين كيفية اشتغالهم بالطاعا
ت والافعال الحسنة بين كيفية اعراضهم عن الجهال فقال واذا سمعوا اللغو واللغو ما حقه ان يلغى ويترك من العبث
وغيره • وكانوا يسمعون ذلك فلا يخوضون فيه بل يعرضون عنه اعراضا جميلا • فلذلك قال تعالى وقالوا لنا
اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم وما احسن ما قال الحسن رحمه الله ان هذه الكلمة تحية بين المؤمنين وعلامة الاحتمال مما
من الجاهلين • ونظير هذه الاية قوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
ثم اكد تعالى ذلك بقوله حاكيا عنهم لا نبتغي الجاهلين • والمراد لا نجازيهم بالباطل على باطلهم قال قوم نسخ ذلك الامر
بالقتال وهو بعيد لان ترك المجاهلة مندوب وان كان القتال واجبا • قوله تعالى انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما
امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون اعلم ان قوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله
يهدي من يشاء فيه مسائل المسألة الاولى • هذه الاية لا دلالة في ظاهرها على كفر ابي طالب • ثم قال الزجاج اجمع
المسلمون على انها نزلت في ابي طالب • وذلك ان ابا طالب قال عند موته يا معشر عبد مناف اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا
وترشدوا فقال عليه الصلاة والسلام يا عم تامرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد مني يا ابن اخي
قال اريد منك كلمة واحدة فانك في اخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي
قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت • ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة وسبة
بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد
المطلب وهاشم وعبد مناف المسألة الثانية انه تعالى قال في هذه الاية انك لا تهدي من احببت • وقال في اية
اخرى وانك لتهدي الى صراط مستقيم ولا تنافي بينهما فان الذي اثبته واضافه اليه الدعوة والبيان • والذي نفى
عنه هداية التوفيق وشرح الصدر وهو نور يقذف في القلب فيحيا به القلب كما قال تعالى او من كان ميتا فاحييناه
وجعلنا له نورا الاية المسألة الثالثة احتج الاصحاب بهذه الاية في مسألة الهدى والضلال فقالوا قوله
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء يقتضي ان تكون الهداية في الموضعين بمعنى واحد لانه لو كان المراد
من الهداية في قوله انك لا تهدي من احببت شيئا • وفي قوله ولكن الله يهدي من يشاء شيئا اخر لاختل النظم ثم ان يكون
المراد من الهداية بيان الادلة لانه عليه السلام هدى الكل بهذا المعنى من غير الهداية التي نفى الله عموما • وهكذا القول
في الهداية بمعنى الدعوة الى الجنة • واما الهداية بمعنى تعريف طريق الجنة غير معلق فهي ايضا غير مرادة من الاية
لانه تعالى علق هذه الهداية على المشيئة وتعريف طريق الجنة غير معلق على المشيئة لانه واجب على الله والواجب
لا يكون معلقا على المشيئة • فمن وجب عليه اداء عشرة دنانير لا يقول اعطي عشرة دنانير لمن • واما الهداية بمعنى
الايجاد فغير جائز لان ذلك عندهم من الله تعالى في حق المكلف وفعل القبيح يستلزم الجهل والحاجة وهما محالان
ومستلزم المحال محال فذلك محال من الله • والمحال لا يجوز تعليقه على المشيئة • ولما بطلت الاقسام لم يبق الا ان
المراد انه تعالى يخص البعض بخلق الهداية والمعرفة • ويمنع البعض منها ولا يسال عما يفعل • ومتى اوردوا الكلام
على هذا الوجه سقط ما اورده القاضي عذرا عن ذلك • اما قوله وهو اعلم بالمهتدين • فالمعنى انه المختص بعلم
الغيب فيعلم من يهتدي بعد ومن لا يهتدي • ثم انه سبحانه بعد ان ذكر شبهتهم واجاب عنها بالاجوبة

الكلمة

ان ابا طالب قال عند موته يا معشر عبد مناف اطيعوا محمدا وصدقوه

الهداية

الواضحة وبين ان وضوح الدلايل لا يكفي ما لم ينضم اليه هداية الله تعالى حكى عنهم شبهة اخرى متعلقة باحوال الدنيا وهي قولهم ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا قال المبرد الخطف الانتزاع بسرعة • روى ان الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف قال انا لنعلم ان الذي تقوله حق ولكن يمنعنا من ذلك تخطفنا من ارضنا اي يجتمعون على محاربتنا ويخرجوننا من ارضنا فاجاب الله سبحانه وتعالى عنه من وجوه • الاول قوله اولم نمكن لهم حرما آمنا اي اعطيناكم مكانا لا خوف لكم فيه اما لان العرب كانوا يتعرضون البتة لسكانه • فانه يروى ان العرب خارج الحرم كانوا مشتغلين بالنهب والغارة وما كانوا يتعرضون لسكان الحرم او لقوله تعالى ومن دخله كان آمنا • اما قوله تعالى يجبى اليه ثمرات كل شي فهو تعالى لما بين كون ذلك الموضع خاليا عن المخاوف والآفات بين كثرة النعم فيه • ومعنى يجبى يجمع من قولهم جبيت الماء في الحوض اذا جمعته • قرا اهل المدينة تجبى بالياء واهل الكوفة وابو عمرو بالتاء وذلك لان تانيث الثمرات تانيث جمع وليس بتانيث حقيقي • ويجوز تانيثه على اللفظ وتذكيره على المعنى ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل شي • وحاصل الجواب انه تعالى لما جعل الحرم آمنا واكثر فيه الرزق حال كونهم معرضين عن عبادة الله مقبلين على عبادة الاوثان • فلو آمنوا لكان بقاء هذه الحالة اولى قال القاضي ولو ان الرسول قال لهم ان الذي ذكرتم من التخطف لو كان حقا لم يكن عذرا لكم في ان لا تؤمنوا وقد ظهرت الحجة لانقطعوا ايضا • ولو قال لهم ما قدر مضرة التخطف في جنب العقاب الدائم الذي اخوفكم منه ان تقيموا على كفركم لانقطعوا لكنه تعالى احتج بما هو اقوى من حيث بين كذبهم في انهم يتخطفون من حيث عرفوا من حال العقيقة بالعادة ان ذلك لا يجري ان آمنوا ومثل ذلك اذا امكن بيانه للخصم فهو اولى من ساير ما ذكرنا فلذلك قدمه الله تعالى والآية دالة على صحة الحجاج الذي يتوصل به الى ازالة شبه المبطلين • بقي هاهنا بحثان • الاول قال صاحب الكشاف في انتصاب رزقا ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى يجبى اليه ثمرات كل شي ويرزق ثمرات كل شي واحد وان يكون مفعولا له • وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما ينتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة • الثاني احتج الاصحاب بقوله رزقا من لدنا في ان فعل العبد خلق الله تعالى • وبيانه ان تلك الارزاق انما كانت تصل اليهم لان الناس كانوا يحملونها اليهم فلو لم يكن فعل العبد خلقا لله تعالى لما صحت تلك الاضافة فان قيل سبب تلك الاضافة انه تعالى هو الذي القى تلك الدواعي في قلوب من ذهب بتلك الارزاق اليهم • قلنا تلك الدواعي ان اقتضت الرجحان فقد بينا في غير موضع انه متى حصل الرجحان فقد حصل الوجوب وحينئذ يحصل المقصود • وان لم يحصل الرجحان انقطعت الاضافة بالكلية • واعلم انه تعالى انما بين ان تلك الارزاق ما وصلت اليهم الا من الله تعالى لاجل انهم متى علموا ذلك صاروا بحيث لا يخافون احدا سوى الله ولا يرجون احدا غير الله فيبقى نظرهم منقطعا عن الخلق متعلقا بالخالق وذلك يوجب كمال الايمان والاعراض بالكلية عن غير الله • والاقبال بالكلية على طاعة الله • قوله تعالى وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اعلم ان هذا الجواب الثاني عن تلك الشبهة وذلك لانه تعالى لما بين لاهل مكة ما خصوا به من النعم اتبعه بما انزل الله تعالى بالامم الماضية الذين كانوا في نعم الدنيا • فلما كذبوا الرسل ازال الله عنهم تلك النعم • والمقصود ان الكفار لما قالوا انا لا نؤمن خوفا من زوال نعمة الله • فالله تعالى بين لهم ان الاصرار على عدم قبول الايمان هو الذي يزيل هذه النعم لا الاقدام على الايمان قال صاحب الكشاف البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه • وانتصب معيشتها اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه او بتقدير حذف الزمان المضاف فاصله بطرت ايام معيشتها • واما بتضمين بطرت معنى كفرت • فاما قوله فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا • ففي هذا الاستثناء وجوه • احدها قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما وساعة • وثانيها يحتمل ان شوم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لما بعد هلاك اهلها • واذا لم يبق للشي مالك معين قيل انه ميراث الله لانه الباقي بعد فناء خلقه ثم انه سبحانه لما ذكر انه اهلك تلك القرى بسبب بطر اهلها • فكان لقائل ان يورد السؤال من وجهين • الاول لماذا اهلك الله الكفار قبل محمد صلى الله عليه وسلم مع انهم كانوا مستغرقين في الكفر والعناد • الثاني لماذا ما اهلكهم بعد مبعث محمد عليه الصلاة والسلام مع تمادي القوم في الكفر بالله • والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم فاجاب عن السؤال الاول بقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا • وحاصل الجواب انه تعالى قدم بيان ان عدم البعثة يجري مجرى العذر للقوم فوجب ان لا يجوز اهلاكهم الا بعد البعثة • ثم ذكر المفسرون

وجهين احدهما

وجهين • احدهما وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في القرى التي هي امها واصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة • والثاني وما كان ربك مهلك القرى التي في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد عليه السلام خاتم الانبيا • ومعنى يتلو عليهم آياتنا انه يؤدي ويبلغ • واجاب عن السؤال الثاني بقوله وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمو انفسهم بالشرك • واهل مكة ليسوا كذلك • فان بعضهم قد امن وقد علم الله منهم انهم سيؤمنون • وبعض اخر علم الله انهم وان لم يؤمنوا لكنه يخرج من نسلهم من يكون مؤمنا • قوله تعالى وما اوتيتم من شي فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين اعلم ان هذا هو الجواب الثالث عن تلك الشبهة لان حاصل شبهتهم انهم قالوا تركنا الدين لئلا يفوتنا الدنيا فبين تعالى ان ذلك خطا منهم لان ما عند الله خير وابقى اما انه خير فلوجهين • احدهما ان المنافع هناك اعظم • وثانيها انها خالصة عن الشوائب ومنافع الدنيا مشوبة بالمضار بل المضار فيها اكثر • واما انها ابقى فلانها دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا منقطعة ومتى قوبل المتناهي بغير المتناهي كان عدما فكيف ونصيب كل احد بالقياس الى منافع الدنيا كلها كالقطرة بالقياس الى البحر فظهر من هذا ان منافع الدنيا لا نسبة لها الى منافع الاخرة البتة فكان من الجهل العظيم ترك منافع الاخرة البتة فكان من الجهل العظيم ترك منافع الاخرة لاستيفاء منافع الدنيا الا انه يكون خارجا عن العقل • ورحم الله الشافعي حيث قال من اوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله • قال لان اعقل الناس من اعطى القليل واخذ الكثير وما هم الا المشتغلون بالطاعة • فكانه رحمه الله انما اخذه من هذه الاية • ثم انه تعالى اكد هذا الترجيح من وجه اخر وهو انا لو قدرنا ان نعم الدنيا كانت تنتهي الى الانقطاع والفنا • وما كانت تتصل بالعذاب الدائم لكان صريح العقل يقتضي ترجيح نعم الاخرة على نعم الدنيا فكيف اذا اتصلت نعم الدنيا بعقاب الاخرة فاي عقل لم ير نعم الاخرة راجحة عليها • وهذا هو المراد بقوله افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه • فهو يكون كمن اعطاه الله قدرا قليلا من متاع الدنيا ثم يكون في الاخرة من المحضرين للعذاب والمقصود انهم لما قالوا تركنا الدين للدنيا فقال الله لهم لو لم يحصل عقيب دنياكم مضرة العقاب لكان العقل يقتضي ترجيح منافع الاخرة على منافع الدنيا فكيف وهذه الدنيا يحصل بعدها العقاب الدائم واورد هذا الكلام على لفظ الاستفهام ليكون ابلغ في الاعتراف بالترجيح وتخصيص لفظ المحضرين بالذين احضروا للعذاب امر عرف من القران قال تعالى لكنت من المحضرين فانهم لمحضرون • وفي اللفظ اشعار به لان الاحضار يشعر بالتكلف والالزام وذلك لا يليق بمجالس اللذة انما يليق بمجالس الضرر والمكاره • قوله تعالى ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون [illegible]

والاقرب ان هذا على سبيل التقدير لانهم يعلمون انه لا فائدة في دعائهم لهم • فالمراد انهم لو دعوهم لم يوجد منهم اجابة
في النصرة وان العذاب ثابت فيهم وكل ذلك على وجه التوبيخ وفي ذكره ردع وزجر في دار الدنيا فاما قوله تعالى لو انهم كانوا
يهتدون • وكثير من المفسرين زعموا ان جواب لو محذوف • فذكروا فيه وجوها • احدها قال الضحاك ومقاتل يعني
المتبوع انهم يرون العذاب ولو انهم كانوا يهتدون فكثير من المفسرين زعموا في الدنيا ما ابصروه في الاخرة • وثانيها
انهم لو كانوا مهتدين في الدنيا لعلموا ان العذاب حق • وثالثها ودوا حين راوا العذاب لو كانوا في الدنيا يهتدون
ورابعها لو كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل لدفعوا به العذاب • وخامسها قد آن لهم ان يهتدوا لو انهم
كانوا مهتدين اذا راوا العذاب • ويؤكد ذلك قوله لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم • وعندي الجواب غير
محذوف • وفي تقريره وجوه • احدها ان الله تعالى اذا خاطبهم بقوله ادعوا شركاءكم فههنا يشتد الخوف عليهم
ويلحقهم شيء كالسدر والدوار ويصيرون بحيث لا يبصرون شيئا فقال تعالى وراوا العذاب • ولو انهم كانوا يهتدون
شيئا لما صاروا من شدة الخوف بحيث لا يبصرون شيئا حين راوا العذاب • وثانيها انه تعالى لما ذكر عن الشركاء وهي الاصنام
انهم لا يجيبون الذين دعوهم قال في حقهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون اي هذه الاصنام كانوا يشاهدون
العذاب لو كانوا من الاحياء المهتدين • ولكنها ليست كذلك فلا جرم ما رات العذاب • فان قيل وراوا العذاب
ضمير لا يليق الا بالعقلاء فكيف يصح عوده الى الاصنام • قلنا هذا كقوله فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وانما ورد
ذلك على حسب اعتقاد القوم • فكذا هاهنا • وثالثها ان يكون المراد من الروية روية القلب اي والكفار علموا حقيقة
هذا العذاب في الدنيا لو كانوا يهتدون وهذه الوجوه عندي خير من الوجوه المبنية على ان جواب لو محذوف فان ذلك
يقتضي تفكك نظم الاية • الامر الثالث من الامور التي يسال الكفار عنها قوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين
ثم قال فعميت عليهم الانباء اي فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدي اليهم فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا كما يتساءل
الناس في المشكلات لانهم يتساوون جميعا في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب • وقرئ فعميت • واذا كانت الانبياء
لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السوال ويفوضون الامر الى علم الله وذلك قوله يوم يجمع
الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فما ظنك بهولاء الضلال قال القاضي هذه
الاية تدل على بطلان القول بالجبر لان فعلهم لو كان خلقا من الله تعالى ووجب وقوعه بالقدرة والارادة لما عميت عليهم
الانباء • ولقالوا انما اتينا في تكذيب الرسل من جهة خلقك فينا تكذيبهم والقدرة الموجبة كذلك فكانت حجتهم على الله
تعالى ظاهرة • وكذلك القول فيما تقدم لان الشيطان كان له ان يقول انما غويت بخلقك في الغواية • وانما قيل من
دعوته بمثل ذلك • فيكون الحجة لهم في ذلك قوية والعذر ظاهرا • والجواب ان القاضي لا يترك آية
من الايات المشتملة على المدح والذم والثواب والعقاب الا ويعيد استدلاله بها وكما ان وجه الاستدلال في كل
هذا الحرف • فكذا وجه جوابنا حرف واحد وهو ان علم الله بعدم الايمان مع وقوع الايمان متنافيان لذاتيهما فمع
العلم بعدم الايمان اذا امر بادخال الايمان في الوجود فقد امر بالجمع بين الضدين • والذي اعتمد القاضي عليه في دفع
هذا الحرف في كتبه الكلامية قوله خطا قول من يقول انه لا يمكن بل الواجب السكوت • فلو اورد الكافر هذا
السوال عن ربه لما كان لربه جواب الا السكوت • فيكون حجة الكافر قوية وعذره ظاهرا فثبت ان الاشكال مشترك
قوله تعالى فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وربك يخلق ما يشاء ويختار
ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون
وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون اعلم انه تعالى لما بين حال
المعذبين من الكفار وما يجري عليهم من التوبيخ • اتبعه بذكر من يتوب منهم في الدنيا ترغيبا في التوبة وزجرا عن الثبات
على الكفر فقال واما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين • وفي عسى وجوه • احدها انه من الكرام
تحقيق والله اكرم الاكرمين • وثانيها ان المراد ترجي التائب وطمعه كانه قال فليطمع في الفلاح • وثالثها عسى ان يكونوا
كذلك ان داموا على التوبة والايمان لجواز ان لا يدوموا • واعلم ان القوم كانوا يذكرون شبهة اخرى ويقولون لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم يعنون الوليد بن المغيرة وابا مسعود الثقفي فاجاب الله تعالى عنه بقوله وربك
يخلق ما يشاء ويختار فالمراد انه المالك المطلق وهو منزه عن النفع والضر فله ان يخص من يشاء بما يشاء لا اعتراض
عليه البتة • وعلى طريقة المعتزلة لما ثبت انه حكيم مطلق على انه كل ما يفعله حكمة وصواب فليس لاحد ان يعترض
عليه • وقوله ما كان لهم الخيرة فالخيرة اسم من الاختيار قام مقام المصدر • والخيرة ايضا اسم للمختار يقال
محمد خيرة الله في خلقه • اذا عرفت هذا فنقول في الاية وجهان • الاول وهو الاحسن ان يكون تمام الوقف على

مهتدين

يدوموا

قوله ويختار

قوله ويختار ويكون ما نفيا والمعنى وربك يخلق ما يشاء ويختار وليس لهم الخيرة اذ ليس لهم ان يختاروا على الله ان يفعل والثاني
ان يكون ما بمعنى الذي فيكون الوقف عند قوله وربك يخلق ما يشاء • ثم يقول ويختار ما كان لهم الخيرة اي ويختار ما كان لهم الخيرة
قال ابو القسم الانصاري وهذا متعلق بقوله في ايجاب الصلاح والاصطلاح عليه واي صلاح في تكليف من علم الله انه
لا يومن ولو لم يكلفه لاستحق الجنة والنعيم من فضل الله • فان قيل لما كلفه استوجب على الله ما هو الافضل لان المستحق
افضل من المتفضل به • قلنا اذا علم قطعا انه لا يحصل ذلك فتوريطه في العقاب الابدي لا يكون رعاية للمصلحة • ثم قولكم
خير من المتفضل به جهل لان ذلك التفاوت انما يحصل في حق من يستنكف من تفضله • ثم قال سبحان الله وتعالى عما يشركون
والمقصود ان يعلم ان الخلق والاختيار والاعزاز والاذلال مفوض اليه ليس لاحد فيه شركة ومنازعة ثم اكد ذلك
بانه يعلم ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله وما يعلنون مطاعنهم فيه • وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة
ولما بين علمه بما هم عليه من الغل والحسد قال فهو الله لا اله الا هو وفيه تنبيه كونه قادرا على الممكنات • عالما بكل المعلومات
منزها عن النقائص والآفات • يجازي المحسنين على طاعتهم ويعاقب العصاة عن عصيانهم • وفيه نهاية الزجر والردع للعصاة
ونهاية تقوية القلب للمطيعين • ويحتمل ايضا انه لما بين فساد طريقة المشركين من قوله ويوم يناديهم اين شركائي تمم الكلام في ذلك
باظهار هذا التوحيد وبيان ان الحمد والثناء لا يليق الا به • اما قوله وله الحمد في الاولى والاخرة فهو ظاهر على قولنا لان الثواب
غير واجب عليه بل الله سبحانه يعطيهم تفضلا واحسانا فله الحمد في الاولى والاخرة • ويؤكد ذلك قول اهل الجنة الحمد
لله الذي اذهب عنا الحزن • الحمد لله الذي صدقنا وعده • واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين • اما المعتزلة فعندهم
الثواب مستحق فلا يستحق الحمد بفضله من اهل الجنة • واما اهل النار فما انعم عليهم حتى يستحق الحمد منهم فقال القاضي انه
تعالى يستحق الحمد والشكر من اهل النار ايضا بما فعله بهم في الدنيا من التمكين والتيسير والالطاف وساير النعم لانهم
باساءتهم لا يخرج ما انعم الله عليهم من ان يوجب الشكر وهذا فيه نظر لان اهل الاخرة مضطرون الى معرفة الحق فاذا علموا
بالضرورة ان التوبة عن القبائح يجب على الله قبولها • وعلموا بالضرورة ان الاشتغال بالشكر الواجب عليهم يوجب عليهم
الثواب وهم عالمون بان ذلك مما يخلصهم عن العذاب ويدخلهم في استحقاق الثواب افترى ان الانسان مع العلم بذلك
والقدرة عليه يترك هذه التوبة كلا لا بد وان يتوبوا وان يشتغلوا بالشكر ومتى فعلوا ذلك فقد بطل العقاب اما قوله
وله الحكم فهو اما في الدنيا او في الاخرة • فاما في الدنيا فحكم كل واحد سواه انما ينفذ حكمه فلان حكمه لما نفذ على العبد حكم
سيده ولا على الزوجة حكم زوجها ولا على الابن حكم ابيه • ولا على الرعية حكم سلطانهم ولا على الامة حكم الرسول فهو
الحاكم في الحقيقة • واما في الحقيقة فلا شك انه الحاكم لانه الذي يتولى الحكم بين العباد في الاخرة فينتصف للمظلومين من
الظالمين اما قوله واليه ترجعون [illegible] • قوله تعالى
قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون
قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه
افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
اعلم انه تعالى لما بين [illegible]
[illegible]

فيه بحث

صلى الله عليه وسلم

[illegible]

ومعلوم ان ذلك لا يتم لولا الراحة والسكون بالليل

ممكنا الا ان الاليق بكل واحد منهما ما ذكره الله تعالى فلهذا خصه به * قوله تعالى ويوم يناديهم فيقول اين شركائي
الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل
عنهم ما كانوا يفترون اعلم انه سبحانه لما هجن طريقة المشركين اولا ثم ذكر التوحيد ودلائله ثانيا عاد الى تهجين طريقتهم
مرة اخرى وشرح حالهم في الاخرة فقال ويوم يناديهم اي في القيمة فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون * والمعنى ان الذين
ادعيتم الهيتهم لتخلصكم او انكم قلتم انها تقربنا الى الله زلفى وقد علموا ان لا اله الا الله فيكون ذلك زائدا في غمهم اذا خوطبوا
بهذا القول اما قوله ونزعنا من كل امة شهيدا * فالمراد ميزنا واحدا ليشهد عليهم * ثم قال بعضهم هم الانبياء يشهدون
بانهم بلغوا القوم الدلائل وبلغوا في ايضاحها كل غاية ليعلم ان التقصير منهم فيكون ذلك زائدا في غمهم وقال اخرون بل هم
الشهداء الذين يشهدون على الناس في كل زمان ويدخل في جملتهم الانبياء * وهذا اقرب لانه تعالى عم كل امة وكل جماعة
بان ينزع منهم الشهيد * فيدخل فيه الاحوال التي لم يوجد فيها النبي وهي ازمنة الفترة والازمنة التي حصلت بعد محمد عليه السلام
فعلموا حينئذ ان الحق لله سبحانه * وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا يفترون من الباطل والكذب
قوله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة
اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس
نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين
قال انما اوتيته على علم عندي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة
واكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون اعلم ان نص القران يدل على ان قرون كان من قوم موسى وظاهر الاية
يدل على انه كان قد امن ولا يبعد ايضا حمله على القرابة قال الكلبي انه كان ابن عم موسى عليه السلام لانه كان قارون
ابن يصهر بن قاهث بن لاوي * وموسى بن عمران بن قاهث بن لاوي وقال محمد بن اسحق انه كان عم موسى لان موسى
ابن عمران بن يصهر بن قاهث * وقارون بن يصهر بن قاهث * وعن ابن عباس انه ابن خالته * ثم قيل انما سمي قارون
لحسن صوته * فكان اقرأ بني اسرائيل للتوراة الا انه نافق كما نافق السامري اما قوله فبغى عليهم ففيه وجوه *
احدها انه بغى بسبب ماله * وبغيه انه استخف بالفقراء ولم يرع حق الايمان ولا عظمه مع كثرة ماله * والثاني
انه من الظلم * قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم * الثالث قال القفال بغى عليهم اي طلب الفضل عليهم
وان يكونوا تحت يده * الرابع قال الضحاك بغى عليهم واستطال عليهم ولم يرقبوا فيهم في امر * الخامس قال ابن عباس
تجبر وتكبر عليهم وسخط عليهم * السادس قال شهر بن حوشب بغيه عليهم انه زاد عليهم في الثياب شبرا وهذا يعود
الى التكبر * السابع قال الكلبي بغيه عليهم انه حسد هرون على الحبورة * روي ان موسى عليه السلام لما قطع البحر
واغرق الله فرعون جعل الحبورة لهرون فحصلت له النبوة والحبورة وكان صاحب القربان والمذبح فقال لموسى
الرسالة ولهرون الحبورة ولست في شيء لا اصبر انا على هذا فقال موسى والله ما صنعت ذلك لهرون قال
فامر موسى رؤساء بني اسرائيل ان يجي كل رجل بعصاه فجاءوا بها والقاها موسى عليه السلام في قبة له * وكان ذلك
بامر الله ودعا موسى ربه ان يريهم بيان ذلك * فباتوا يحرسون عصيهم فاصبحت عصا هرون تهتز بها ورق
اخضر وكانت من شجر اللوز ففارق قارون موسى وتبعه ناس كثير وولي هرون الحبورة والمذبح والقربان * وكانت بنو
اسرائيل ياتون بهداياهم الى هرون فيضعها في المذبح وتنزل نار من السماء فتاكلها واعتزل قارون باتباعه وكان كثير
المال والتبع من بني اسرائيل فما كان ياتي موسى وما كان يجالسه * وروى ابو امامة الباهلي عن النبي عليه السلام انه
قال كان قرون من السبعين المختارة الذين سمعوا كلام الله اما قوله واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء
بالعصبة اولي القوة ففيه ابحاث * البحث الاول قال الكعبي الستم تقولون ان الله لا يعطي الحرام فكيف اضاف
الله مال قارون الى نفسه بقوله واتيناه واجاب بانه لا حجة في انه كان حراما * ويجوز ان من تقدمه من الملوك
جمعوا وكنزوا فظفر قارون بذلك * وكان هذا الظفر طريق التملك او وصل اليه بالارث من جهات ثم بالتكسب
من جهة المضاربات وغيرها فكان الكل حلالا * البحث الثاني المفاتح جمع مفتاح بكسر الميم وهو ما يفتح به وقيل
هي الخزائن * وقياس واحدها مفتح بفتح الميم * ويقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله * والعصبة الجماعة الكثيرة
والعصابة مثلها * فالعشرة عصبة بدليل قوله تعالى في اخوة يوسف ونحن عصبة وكانوا عشرة لان
يوسف واخاه لم يكونا معهم اذا عرفت معاني الالفاظ فنقول ههنا قولان * احدهما المراد بالمفاتح المفاتيح
وهي التي يفتح بها الباب * قالوا كانت مفاتحه من جلود الابل وكل مفتاح مثل اصبع وكان لكل خزانة مفتاح
وكان اذا ركب قارون حمل المفاتيح على ستين بغلا * ومن الناس من طعن في هذا القول من وجهين * الاول

ان مال الرجل

ان مال الرجل الواحد لا يبلغ هذا المبلغ ولو انا قدرنا بلدة مملوءة من الذهب والجواهر لكفاها اعداد قليلة من المفاتيح
فاي حاجة الى تكثير هذه المفاتيح * الثاني ان الكنوز هي الاموال المدخرة في الارض فلا يجوز ان يكون لها مفاتيح والجواب
عن الاول ان المال اذا كان من جنس العروض لا من جنس النقد جاز ان يبلغ في الكثرة الى هذا الحد * وايضا هذا الذي يقال
ان تلك المفاتيح بلغت ستين حملا ليس مذكورا في القران فلا تقبل هذه الرواية * وتفسير القران ان تلك المفاتيح كانت
كثيرة وكان كل واحد منها معينا لشيء اخر وكان يثقل على العصبة ضبطها ومعرفتها بسبب كثرتها وعلى هذا الوجه يزول
الاستبعاد * وعن الثاني ان ظاهر الكنز وان كان من جهة العرف ما قالوه فقد يقع على المال المجموع في المواضع التي
عليها الاغلاق * القول الثاني وهو اختيار ابن عباس كانت خزائنه يحملها اربعون رجلا اقويا وكانت خزائنه اربعمائة
اربعمائة الف فيحمل كل رجل عشرة الاف * القول الثالث وهو اختيار ابي مسلم ان المراد من المفاتيح العلم والاحاطة
كقوله وعنده مفاتح الغيب * والمراد اتيناه من الكنوز ما ان حفظها والاطلاع عليها ليثقل على العصبة اولي القوة
والهداية اي هذه الكنوز لكثرتها واختلاف اصنافها تتعب حفظتها والقائمين عليها ان يحفظوها * ثم انه تعالى
بين انه كان في قومه من وعظه بامور * احدها قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين والمراد انه لا يلحقه من البطر
والتمسك بالدنيا ما يلهيه عن امر الاخرة اصلا وقال بعضهم انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمان اليها
فاما من يعلم انه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح بها وما احسن ما قال المتنبي * شعر
اشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا * وقال تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم
قال ابن عباس كان فرحه ذلك شركا لانه ما كان يخاف معه عقوبة الله تعالى * وثانيها وابتغ فيما اتاك الله الدار
الاخرة * فالظاهر انه كان مقرا بالاخرة والمراد ان يصرف المال الى ما يؤدي به الى الجنة ويسلك طريقة التواضع
وثالثها قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا * وفيه وجوه * احدها لعله كان مستغرق الهم في طلب الدنيا فلا جرم لم يكن له
تفرغ للتنعم والالتذاذ * فنهاه الواعظ عن ذلك * وثانيها امره الواعظ بصرف المال الى الاخرة * ثم بين له بهذا
الكلام انه لا باس بالتمتع بالوجوه المباحة * وثالثها المراد منه الانفاق في طاعة الله فان ذلك هو نصيب المؤمن من الدنيا
دون الذي ياكل ويشرب قال عليه السلام فلياخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته * ومن الشبيبة قبل الكبر
ومن الحياة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت ولا بعد الدنيا دار الا الجنة والنار * ورابعها قوله واحسن
كما احسن الله اليك نبه على قوله لئن شكرتم لازيدنكم * وخامسها قوله ولا تبغ الفساد في الارض * فالمراد ما كان عليه
من الظلم والبغي * وقيل ان هذا القائل هو موسى عليه السلام وقال الاخرون بل مؤمنوا قومه وكيف كان فقد جمع في هذا
الوعظ ما لو قبل لم يكن عليه مزيد لكنه لم يقبل بل زاد عليه بكفر النعمة فقال انما اوتيته على علم عندي وفيه وجوه
احدها قال قتادة ومقاتل والكلبي كان قارون اقرأ بني اسرائيل للتوراة فقال انما اوتيته لفضل علمي واستحقاقي لذلك
وثانيها قال سعيد بن المسيب والضحاك كان موسى انزل عليه علم الكيمياء من السماء فعلم قارون ثلث ذلك العلم ويوشع ثلثه وكالب
ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه * وكان ياخذ الرصاص فيجعله فضة والنحاس فيجعله ذهبا * وثالثها
ان ادعى علمه بوجوه المكاسب والتجارات * ورابعها انه اراد انما اوتيته على علم من الله تعالى بانه اعطاني الكنوز لكونه
عالما بي وباحوالي فلو لم يكن ذلك مصلحة لما فعل * وقوله عندي اي على ذلك الامر كما يقول المفتي عندي ان الامر
كذا اي هو في ظني واعتقادي * ثم انه تعالى اجاب بقوله اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو
اشد منه قوة واكثر جمعا * وفيه وجهان * احدهما يجوز ان يكون هذا اثباتا لعلمه بان الله قد اهلك من قبله من القرون
من هو اقوى منه واغنى لانه قد قرأه في التوراة واخبره به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ كانه قيل اولم يعلم
في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته * والثاني يجوز ان يكون نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال اوتيته
على علم عندي فتنفج بالعلم وتعظم به قيل اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم
هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين اما قوله واكثر جمعا فالمعنى اكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا
وحاصل الجواب انه اغتر بماله وقوته وتوهم انه يدفع بهما عن نفسه الهلاك فقال تعالى انه اهلك من كان اكثر منه في ذلك
عليه اضعافا اما قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون * فالمراد ان الله تعالى اذا عاقب المجرمين فلا حاجة به الى ان
يسالهم عن كيفية ذنوبهم وكميتها لانه تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة الى السؤال * فان قيل كيف الجمع بينه وبين
قوله فوربك لنسئلنهم اجمعين * قلنا يحمل ذلك على وقتين كما ذكرناه * وذكر ابو مسلم وجها اخر فقال السؤال
قد يكون للمحاسبة وقد يكون للتقريع والتبكيت وقد يكون للاستعتاب * واليق الوجوه بهذه الاية الاستعتاب
لقوله ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون * هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قوله تعالى

كان موسى انزل عليه علم الكيمياء من السماء فعلم قارون

فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين اما قوله فخرج على قومه فى زينته فيدل على انه خرج باظهر زينته واكملها وليس فى القران الا هذا القدر الا ان الناس ذكروا وجوها مختلفة فى كيفية تلك الزينة قال مقاتل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف فارس على الخيول وعليهم الثياب الارجوانية ومعه ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والثياب الحمر والبغال الشهب وقال بعضهم بل خرج فى سبعين الفا هكذا وقال اخرون بل على ثمانية والاولى ترك هذه التقديرات لانها متعارضة ثم ان الناس لما راوه على تلك الزينة قال من كان منهم يرغب فى الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون من هذه الامور والاموال والراغبون يحتمل ان يكونوا من الكفار وان يكونوا من المسلمين الذين يحبون الدنيا واما العلماء واهل الدين فقالوا للذين تمنوا هذا ويلكم ثواب الله خير من هذه النعم لان الثواب منافع عظيمة خالصة عن شوائب المضار ودائمة وهذه النعم العاجلة على الضد فى هذه الصفات الثلاث قال صاحب الكشاف ويلك اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضى اما قوله ولا يلقاها الا الصابرون فقال المفسرون لا يوفقها والضمير فى يلقاها الى ماذا يعود فيه وجهان احدهما الى ما دل عليه قوله امن وعمل صالحا يعنى هذه الاعمال لا يؤتاها الا الصابرون على اداء الطاعات والاحتراز عن المحرمات وعلى الرضا بقضاء الله فى كل ما قسم من المنافع والمضار اما قوله فخسفنا به وبداره الارض ففيه وجهان احدهما انه لما اشر وبطر وعتا خسف الله به وبداره الارض جزاء على اشره وبطره والفاء تدل على ذلك لان الفاء تشعر بالعلية وثانيهما قيل ان قارون كان يؤذى نبى الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التى بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بنى اسرائيل وقال ان موسى يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا انت سيدنا وكبيرنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغى حتى تنسبه الى نفسها فرضى به بنوا اسرائيل فجعل لها طستا من ذهب مملوءة ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى عليه السلام فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال ان بنى اسرائيل يقولون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالذى فلق البحر وانزل التوراة ان تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل قارون لى جعلا على ان اقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لى فاوحى الله اليه ان امر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الكعب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاوحى الله الى موسى ما افظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتى وجلالى لو دعونى مرة واحدة لوجدونى قريبا مجيبا فاصبحت بنوا اسرائيل يتناجون بينهم انما دعى موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله ثم ان قارون يخسف به كل يوم مائة مرة قال القاضى اذا هلك بالخسف فسواء نزل على ظاهر الارض او نزل الى الارض السابعة او دون ذلك فانه لا يمتنع ما روى على وجه المبالغة فى الزجر واما قولهم ان الله تعالى قال لو استغاث بى لاغثته فان صح حمل على استغاثة مقرونة بالتوبة فاما وهو ثابت على ما هو عليه مع انه تعالى هو الذى حكم بذلك الخسف لان موسى ما فعله الا عن امره فبعيد وقولهم انه يتجلجل فى الارض ابدا فبعيد لانه لا بد من نهاية وكذا القول فيما ذكر من عدد المقامات والذى عندى فى امثال هذه الحكايات انها قليلة الفائدة لانها من باب اخبار الاحاد فلا تفيد اليقين وليست المسئلة مسئلة علمية حتى يكتفى فيها بالظن ثم انها فى اكثر الامر متعارضة مضطربة فالاولى طرحها والاكتفاء بما دل عليه نص القران وتفويض سائر التفاصيل الى عالم الغيب اما قوله وما كان من المنتصرين فالمراد المنتقمين من موسى او من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر اى منعه منه فامتنع قوله تعالى واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين اعلم ان القوم الذين شاهدوا قارون فى زينته لما شاهدوا

ما نزل به من الخسف صار ذلك زاجرا لهم من حب الدنيا ومخالفة موسى وداعيا الى الرضا بقضاء الله وقسمته والى اظهار الطاعة والانقياد لانبياء الله ورسله اما قوله ويكان الله فاعلم ان كلمة وى كلمة مفصولة عن كان وهى كلمة مستعملة عند التنبه للخطا واظهار الندم فلما قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون ثم شاهدوا الخسف تنبهوا لخطائهم فقالوا وى ثم قالوا كانه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده بحسب مشيته وحكمته لا لكرامة منه عليه ويضيق على من يشاء لا لهوان من يضيق عليه بل لحكمه وقضائه ابتلاء وفتنة قال سيبويه سالت الخليل عن هذا الحرف فقال ان وى مفصولة من كان وان القوم تنبهوا وكانوا امتندمين على ما سلف منهم وذكر الفراء وجهين احدهما ان المعنى ويلك فحذف اللام وانما جاز هذا الحذف لدورانه فى الكلام وجعل ان مفتوحة بفعل مضمر كانه قال ويلك اعلم ان الله وهذا قول قطرب حكاه عن يونس الثانى وى منفصلة من كان وهو للتعجب يقول الرجل لغيره وى اما ترى ما بين يديك فقال الله وى ثم استانف كان الله يبسط فالله تعالى انما ذكرها تعجيبا لخلقه قال الواحدى وهذا وجه مستقيم غير ان العرب لم تكتبها منفصلة ولو كان على ما قالوه لكتبوها منفصلة واجاب الاولون بان خط المصحف لا يقاس عليه ثم قالوا لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون وهذا تاكيد لما قبله اما قوله تلك الدار الاخرة فتعظيم لها وتفخيم لشانها يعنى تلك التى سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلق الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلب اليهما وعن على ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها قال صاحب الكشاف ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون لقوله ان فرعون علا فى الارض والفساد لقارون لقوله ولا تبغ الفساد فى الارض وقال من لم يكن مثل قارون وفرعون فله تلك الدار الاخرة ولم يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبره على بن ابى طالب عليه السلام قوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون ان الذى فرض عليك القران لرادك الى معاد قل ربى اعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون اعلم انه تعالى لما بين ان الدار الاخرة ليست لمن يريد علوا فى الارض ولا فسادا بل هى للمتقين بين بعد ذلك ما يحصل لهم فقال من جاء بالحسنة فله خير منها وفيه وجوه احدها المعنى من جاء بالحسنة حصل له من تلك الكلمة خير وثانيها حصل له شئ هو افضل من تلك الحسنة ومعناه انهم يزادون على ثوابهم وقد تقدم تفسيره فى اخر النمل واما قوله ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات دل على ان المراد من الحسنات وما هو خير منها ما ذكرنا من مزيد التفضيل على الثواب قال صاحب الكشاف تقديره الا انه من جاء بالسيئة فلا يجزون الا ما كانوا يعملون لكنه اعيد ذلك لان فى اسناد عمل السيئة اليهم مكررة فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض السيئة الى قلوب المؤمنين السامعين وهذا من فضله العظيم انه لا يجزى بالسيئة الا مثلها ويجزى بالحسنة عشر امثالها وههنا سؤالان السؤال الاول قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها كرر ذكر الاحسان واكتفى فى ذكر الاساءة بمرة واحدة وفى هذه الاية كرر ذكر الاساءة واكتفى فى ذكر الاحسان بمرة واحدة فما السبب الجواب لان هذا المقام مقام الترغيب فى الدار الاخرة لان المبالغة فى الزجر عن المعصية مبالغة فى الدعوة الى الاخرة فمتى شرح حالهم كانت المبالغة فى ذكر مجازاتهم اولى السؤال الثانى كيف قال لا يجازى السيئة الا بمثلها لان المتكلم بكلمة الكفر اذا مات فى الحال عذب ابد الاباد الجواب لانه كان على عزم انه لو عاش ابدا لقال ذلك فعومل بمقتضى عزمه قال الجبائى وهذا يدل على بطلان مذهب من يجوز على الله تعالى ان يعذب الاطفال عذابا دائما بغير جرم قلنا انه لا يجوز ان يفعله وليس فى الاية ما يدل عليه ثم انه سبحانه لما شرح لرسوله امر القيمة واستقصى فى ذلك شرح له ما يتصل باحواله فقال ان الذى فرض عليك القران لرادك الى معاد قال ابو على الذى فرض عليك احكامه وفرائضه لرادك بعد الموت الى معاد وتنكير المعاد لتعظيمه كانه قال الى معاد اى معاد ليس لغيرك من البشر مثله وقيل المراد به مكة ووجهه ان يراد رده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت فى ذلك اليوم معادلة شان عظيم لاستيلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها واظهار عز الاسلام واذلال حزب الكفر والسورة مكية وكانه تعالى وعده وهو بمكة فى اذى وغلبة من اهلها انه يهاجر بها ويعيده اليها ظاهرا ظافرا وقال مقاتل انه عليه السلام خرج من الغار وسار فى غير الطريق مخافة الطلب فلما امن رجع الى الطريق ونزل بالجحفة بين مكة والمدينة فصرف وجهه نحو مكة واشتاق

الآن

الكلام فى قصة قارون عام التفصيل

كرر ذكر الاحسان واكتفى فى ذكر الاساءة بمرة

الیها وذکر مولده • وذکر اباه فنزل جبرئیل فقال تشتاق الی بلدك ومولدك فقال علیه السلام نعم فقال
جبرئیل ان الله یقول ان الذی فرض علیك القرآن لرادك الی معاد یعنی الی مکة ظاهرا علیهم وهو اقرب لان ظاهر
المعاد انه کان فیه وفارقه • وحصل العود وذلك لا یلیق الا بمکة وان کان سایر الوجوه محتملا لکن ذلك اقرب
قال اهل التحقیق وهذا احد ما یدل علی نبوته لانه اخبر عن الغیب ووقع کما اخبر فیکون معجزا • ثم قال ربی اعلم من جا
بالهدی یعنی نفسه وما یستحقه من الثواب فی المعاد والاعزاز بالاعادة الی مکة ومن هو فی ضلال مبین یعنیهم
وما یستحقونه فی معادهم • ثم قال لرسوله وما کنت ترجوا ان یلقی الیك الکتاب الا رحمة من ربك • ففی کلمة الا وجها[ن]
احدهما انها للاستثنا • ثم قال صاحب الکشاف هذا کلام محمول علی المعنی کانه قیل وما القی الیك الکتاب الا رحمة
من ربك ویمکن ایضا اجراؤه علی ظاهره ای وما کنت ترجوا ان یرحمك الله رحمة الا علی هذا الوجه • والثانی ان
الا بمعنی لکن للاستدراك ای ولکن لرحمة من ربك القی الیك • ونظیره قوله وما کنت بجانب الطور اذ نادینا ولکن
رحمة من ربك خصصك به ثم انه کلفه باموره • احدها انه قال فلا تکونن ظهیرا للکفار • فقال ولا تکونن ظهیرا
للکافرین • وثانیها قال ولا یصدنك عن آیات الله بعد اذ انزلت الیك قال الضحاك وذلك حین دعوه الی دین آبائه
لیزوجوه ویقاسموه شطرا من اموالهم ای لا تلتفت الی هؤلاء ولا ترکن الی قولهم فیصدوك عن آیات الله • وثالثها
قوله ولا تدع مع الله الها آخر • وهذا وان کان واجبا علی الکل الا انه تعالی خاطبه به خصوصا لاجل التعظیم
فان قیل الرسول کان معلوما منه انه لا یفعل شیئا من ذلك البتة فما فایدة هذا النهی • قلنا لعل الخطاب معه ولکن
المراد غیره • ویجوز ان یکون المعنی لا تعتمد غیر الله ولا تتخذ غیره وکیلا فی امورك • فان من وثق بغیر الله فکانه
لم یکمل طریقه فی التوحید • ثم بین انه لا اله الا هو ای لا نافع ولا ضار ولا معطی ولا مانع الا هو کقوله رب المشرق
والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وکیلا فلا یجوز اتخاذ اله سواه • ثم قال کل شیء هالك الا وجهه • وفیه مسایل

المسئلة الاولی

اختلفوا فی قوله کل شیء هالك • فمن الناس من فسر الهلاك بالعدم • والمعنی ان الله تعالی یعدم کل شیء سواه • ومنهم
من فسر الهلاك باخراجه عن کونه منتفعا به • اما بالاماتة او بتفریق الاجزا • وان کانت اجزاؤه باقیة فانه
[یقال] هلك الاهاب وهلك المتاع ولا یریدون به فناء اجزائه بل خروجه عن کونه منتفعا به • ومنهم من قال معنی کونه
هالکا کونه قابلا للهلاك فی ذاته فان کل ما عداه ممکن الوجود لذاته وکل ما کان ممکن الوجود لذاته
کان قابلا للعدم وکان قابلا للهلاك فاطلق علیه اسم الهالك نظرا الی هذا الوجه • واعلم ان المتکلمین لما ارادوا اقامة
الدلالة علی ان کل شیء سوی الله یقبل العدم والهلاك • قالوا ثبت ان العالم محدث وکل ما کان محدثا فان حقیقته قابلة
للعدم والوجود وکلما کان کذلك وجب ان لا یبقی علی هذه الحالة ابدا لان الامکان من لوازم الماهیة ولازم الماهیة لا یزول
قط الا انا لما نظرنا فی هذه الدلالة ما وجدناها وافیة بهذا الغرض لانهم انما اقاموا الدلالة علی حدوث الاجسام
والاعراض فلو قدروا علی اقامة الدلالة علی ان ما سوی الله اما متحیز او حال فی المتحیز او قایم بالمتحیز الا ان الخصم
یثبت موجودات لا متحیزة ولا قایمة بالمتحیز • فالدلیل الذی یبین حدوث المتحیز لا یبین حدوث کل ما سوی الله
الا بعد قیام الدلالة • ولهم فی نفی هذا الثالث طریقان • احدهما قولهم لا دلیل علیه فوجب نفیه وهذه طریقة
رکیکة بینا سقوطها فی الکتب الکلامیة • والثانی قولهم لو وجد موجود هکذا لکان مشارکا لله تعالی فی نفی المکان
والزمان والامکان • ولو کان کذلك لصار مثلا لله تعالی وهو ضعیف لاحتمال ان یقال انهما وان اشترکا فی هذا السلب
الا انه یتمیز کل واحد منهما عن الاخر بماهیته وحقیقته • واذا کان کذلك ظهر ان دلیلهم النقلی لا یفی باثبات ان کل شیء
هالك الا وجهه • والذی نعتمد علیه فی هذا الباب ان نقول ثبت ان صانع العالم واجب الوجود لذاته فیستحیل وجود
آخر واجب لذاته والا لاشترکا فی الوجوب • ولامتاز کل واحد منهما عن الاخر بخصوصیته وما به المشارکة
غیر ما به المباینة فیکون کل واحد منهما مرکبا مما به المشارکة ومما به الممایزة وکل مرکب مفتقر الی جزئه • ثم
الجزآن ان کانا واجبین کانا مشترکین فی الوجوب ومتمایزین باعتبار آخر فیلزم ترکب کل واحد منهما ایضا ویلزم التسلسل
وهو محال وان لم یکونا واجبین فالمرکب عنهما المفتقر الیهما اولی ان لا یکون واجبا فوجب ان واجب الوجود واحد
وان کل ما عداه فهو ممکن وکل ممکن فلا بد له من مرجح • وافتقاره الی المرجح اما حال عدمه او حال وجوده • فان کان
الاول ثبت انه محدث • وان کان الثانی فافتقار الموجود الی المؤثر اما حال حدوثه او حال بقائه • والثانی باطل
لانه یلزم ایجاد الموجود وهو محال فثبت ان الافتقار لا یحصل الا حال الحدوث فثبت ان کل ما سوی الله محدث
سواء کان متحیزا او قایما بالمتحیز او لا متحیزا ولا قایما بالمتحیز فان نقضت هذه الدلالة بذات الله تعالی وصفاته
فاعلم ان هناك فرقا قویا واذا ثبت حدوث کل ما سواه وثبت ان کل ما کان محدثا کان قابلا للعدم ثبت بهذا البرهان

الباهر

الباهر ان کل شیء هالك الا وجهه بمعنی کونه قابلا للهلاك والعدم • ثم ان الذین فسروا الآیة بذلك قالوا هذا اولی
وذلك لانه سبحانه حکم بکونها هالکة فی الحال وعلی ما قلتموه انها ستهلك لا انها هالکة فی الحال فکان قولنا اولی وایضا
فالممکن اذا اخذ من حیث هو لم یکن مستحقا لا للوجود ولا للعدم من ذاته • فهذه الاستحقاقیة مستحقة له من ذاته
واما الوجود فوارد علیه من الخارج فالوجود له کالثوب المستعار له وهو من حیث هو هو کالانسان الفقیر • فان
الانسان الفقیر اذا استعار ثوبا من رجل غنی فان الفقیر لا یخرج عن کونه فقیرا فوجود الممکنات عاریة عن الوجود
من حیث هی هی • اما الذی حملوه علی انها ستعدم فقد احتجوا بان قالوا الهلاك فی اللغة له معنیان • احدهما
خروج الشیء عن ان یکون منتفعا به • والثانی الفنا والعدم لا جایز حمل اللفظ علی الاول لان هلاکها بمعنی خروجها
عن حد الانتفاع محال لانها وان تفرقت اجزاؤها فهی منتفع بها لان النفع المطلوب کونها بحیث یمکن ان یستدل بها
بقیت موجودة او صارت معدومة • واذا تعذر حمل الهلاك علی هذا الوجه وجب حمله علی الفنا واحتج
من حمل الهلاك علی التفرق بان الهلاك للشیء خروجه عن المنفعة التی یکون الشیء مطلوبا لاجلها فاذا مات الانسان
قیل هلك لان الصفة المطلوبة منه حیاته وعقله • واذا تمزق الثوب قیل هلك لان المقصود منه صلاحیته
اللبس فاذا تفرقت اجزاء العالم خرجت السموات والکواکب والجبال والبحار عن صفاتها التی لاجلها کانت المنفعة
بها انتفاعا خاصا فلا جرم صح اطلاق اسم الهلاك علیها • فاما صحة الاستدلال بها علی الصانع فهذه المنفعة
خاصة لیست منفعة خاصة بالشمس من حیث هی شمس والقمر من حیث هو قمر فلا یلزم من بقائها ان لا یطلق علیها
اسم الهالك • ثم احتجوا علی بقاء اجزاء العالم بقوله یوم تبدل الارض غیر الارض • وهذا تصریح بان تلك الاجزاء باقیة
الا انها صارت متصفة بصفة اخری • فهذا ما فی هذا الموضع **المسئلة الثانیة** احتج اهل التوحید بهذه
الآیة علی ان الله تعالی شیء قالوا لانه استثنی من قوله کل شیء هالك • والاستثنا یخرج من الشیء ما لولاه لوجب او لصح
دخوله تحت اللفظ فوجب کونه شیئا ویؤکده ما ذکرناه فی سورة الانعام وهو قوله قل ای شیء اکبر شهادة قل الله واحتج
جهم علی انه لیس بشیء بقوله لیس کمثله شیء والکاف معناه المثل فتقدیر الآیة لیس مثل مثله شیء • ومثل مثل الله هو
الله فوجب ان لا یکون الله شیئا • جوابه ان الکاف صلة زایدة والله اعلم **المسئلة الثالثة** استدلت المجسمة
بهذه الآیة علی انه تعالی جسم من وجهین • الاول قالوا الآیة تقتضی فنا الکل صریحة فی اثبات الوجه وذلك یقتضی
الجسمیة • والثانی قوله والیه ترجعون وکلمة الی لانتهاء الغایة وذلك لا یعقل فی الاجسام • الجواب
لو صح هذا الکلام یلزم ان یفنی جمیع اعضائه وان لا یبقی منه الا الوجه • وقد التزم ذلك بعض الرافضة وهو بیان
ابن سمعان وذلك لا یقول به عاقل • ثم من الناس من قال الوجه هو الحقیقة • یقال وجه هذا الامر کذا ای حقیقته
ومنهم من قال الوجه صلة • والمراد کل شیء هالك الا هو • واما کلمة الی فالمعنی والی موضع حکمه وقضایه یرجعون
المسئلة الرابعة استدلت المعتزلة علی ان الجنة والنار غیر مخلوقتین قالوا لان الآیة تقتضی فنا الکل فلو
کانتا مخلوقتین لفنیتا • وهذا یناقض قوله تعالی فی الجنة اکلها دایم والجواب هذا معارض بقوله تعالی فی
صفة الجنة اعدت للمتقین • وفی صفة النار وقودها الناس والحجارة اعدت للکافرین • ثم ان تحمل قوله کل شیء
هالك علی الاکثر کقوله واوتیت من کل شیء • او تحمل قوله اکلها دایم علی ان زمان فنایها لما کان قلیلا بالنسبة الی زمان
بقایهم لا جرم اطلق لفظ الدوم علیه **المسئلة الخامسة** کل شیء هالك تدل علی ان الذات کان بالفعل لانه
حکم بالهلاك علی الشیء فدل علی ان الشیء فی کونه شیئا قابل الهلاك فوجب ان لا یکون المعدوم شیئا وبالله التوفیق وعلیه

واما کلمة الی فالمعنی والی موضع حکمه وقضایه یرجعون

التمام تم تفسیر سورة القصص والحمد لله رب العالمین

سورة العنکبوت مکیة

بسم الله الرحمن الرحیم قوله تعالی الم احسب الناس ان یترکوا
ان یقولوا آمنا وهم لا یفتنون ولقد فتنا الذین من قبلهم فلیعلمن الله الذین صدقوا ولیعلمن الکاذبین
فی تفسیر الآیة وما یتعلق بالتفسیر مسایل **المسئلة الاولی** فی تعلق اول هذه السورة بما قبلها • وفیه وجوه الاول
لما قال الله تعالی قبل هذه السورة ان الذی فرض علیك القرآن لرادك الی معاد وکان المراد منه انه یرده الی مکة ظاهرا
غالبا علی الکفار • ظافرا طالبا للثار وکان فیه احتمال المشاق والقتال صعب علی البعض ذلك فقال الله الم احسب الناس
ان یترکوا ان یقولوا آمنا ولا یؤمروا بالجهاد الثانی هو انه تعالی لما قال فی اواخر السورة المتقدمة وادع الی ربك
وکان فی الدعاء الیه الحراب والطعان والضراب لان النبی صلی الله علیه وسلم واصحابه رضی الله عنهم کانوا مامورین

قوله تعالی

بالجهاد ايمانهم ومن الكفار بحرب الدعا فشق على البعض ذلك فقال احسب الناس ان يتركوا • الثالث هو انه تعالى لما قال في
اخر السورة المتقدمة كل شي هالك الا وجهه ذكر بعده ما يبطل قول المنكرين للحشر فقال له الحكم واليه ترجعون يعني ليس كل
شي كالكلام من غير رجوع بل كل هالك له رجوع الى الله اذا تبين هذا • فاعلم ان منكري الحشر يقولون لا فايدة في التكاليف فانها
مشاق في الحال ولا فايدة فيها في المال اذ لا مال ولا مرجع لغير الهلاك والزوال فلا فايدة فيها • فلما بين الله انهم اليه يرجعون
بين ان الامر ليس على ما حسبوه بل حسن التكليف ليثيب الشكور ويعذب الكفور فقال احسب الناس ان يتركوا غير مكلفين من غير
عذاب يرجعون الى ربهم • المسئلة الثانية في حكمة افتتاح هذه السورة بحروف من التهجي ولنقدم عليه كلاما كليا في افتتاح
السورة بالحروف فنقول الحكيم اذا خاطب من يكون محل الغفلة او من يكون مشغول البال بشغل من الاشغال يقدم على الكلام
المقصود شيا غيره ليلتفت المخاطب بسببه اليه ويقبل بقلبه عليه • ثم يشرع في المقصود واذا ثبت هذا فنقول
ذلك المقدم على المقصود قد يكون كلاما له معنى مفهوم كقول القايل اسمع واجعل بالك الي وقد يكون شيا هو في معنى الكلام
المفهوم كقول القايل ازيد ويا زيد والا يا زيد • وقد يكون ذلك المقدم على المقصود صوتا غير مفهوم كمن يصفر خلف انسان
ليلتفت اليه • وقد يكون ذلك الصوت بغير الفم كما يصفق الانسان بيديه ليقبل السامع عليه ثم ان موقع الغفلة كلما كان
اتم والكلام المقصود كان اهم كان المقدم على المقصود اكثر • ولهذا ينادى القريب بالهمزة فيقال ازيد • والبعيد ينادى بايا
فيقال ايا زيد • والغافل ينبه اولا فيقال الا يا زيد اذا ثبت هذا فنقول النبي عليه السلام وان كان يقظان الجنان • لكنه انسان
يشتغل بشان عن شان فكان يحسن من الحكيم ان يقدم على الكلام المقصود حروفا هي كالمنبهات • ثم ان تلك الحروف اذا لم تكن بحيث
يفهم معناها تكون اتم في افادة المقصود الذي هو التنبيه من تقديم الحروف التي لها معنى لان تقدم الحروف اذا كان لافهام
السامع المتكلم السماع ما بعد ذلك • فاذا كان ذلك المقدم كلاما منظوما • وقولا مفهوما • فاذا سمعه السامع
ربما ظن انه كل المقصود • ولا كلام له بعد ذلك فيقطع الالتفات عنه اما عنه • اما اذا سمع منه صوتا بلا معنى
يقبل عليه ولا يقطع نظره عنه ما لم يسمع غيره لجزمه بان ما سمعه ليس هو المقصود فاذا تقدم الحروف التي لا معنى لها
في الوضع على الكلام المقصود حكمة بالغة • فان قال قايل فما الحكمة في اختصاص بعض السور بهذه الحروف فنقول
عقل البشر عن ادراك الاشيا الجزئية على تفاصيلها عاجز • والله اعلم بجميع الاشيا • لكن نذكر ما يوفقنا الله له
فنقول كل سورة في اوايلها حروف التهجي • فان في اوايلها ذكر الكتاب او التنزيل او القران كقوله تعالى الم ذلك الكتاب
الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب • المص كتاب انزل اليك • يس والقران • ص والقران • ق والقران المجيد
الم تنزيل الكتاب • حم تنزيل الكتاب • الا ثلاث سور • كهيعص • الم احسب الناس • الم غلبت الروم • والحكمة
في افتتاح السور التي فيها القران او التنزيل او الكتاب بالحروف هي ان القران عظيم والانزال له ثقل والكتاب له عبء
كما قال تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا • فكل سورة في اوايلها ذكر القران والكتاب والتنزيل • قدم عليها منبه يوجب
ثبات المخاطب لاستماعه لا يقال كل سورة قران واستماعه استماع القران سوا كان فيها ذكر القران او لم يكن فكان الواجب
ان يكون في اوايل كل سورة منبه • وايضا • فقد وردت سور فيها ذكر الانزال والكتاب ولم يذكر قبلها حروف
كقوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب • وقوله سورة انزلناها • وقوله تبارك الذي نزل الفرقان وقوله
انا انزلناه في ليلة القدر لانا نقول جوابا عن الاول لا ريب في ان كل سورة من القران لكن السورة التي فيها ذكر
القران والكتاب مع انها من القران تنبيه على كل القران فيصير مثاله مثال كتب ترد من ملك على مملوكه فيها شغل ما وكتاب
اخر يرد منه عليه فيه انا كتبنا اليك كتابا فيه اوامرنا فامتثلها لا شك ان عبء الكتاب الاخير اكثر من ثقل الاول • وعن
الثاني ان قوله الحمد لله وتبارك الذي تسبيحات مقصودة وتسبيح الله لا يغفل عنه العبد فلا يحتاج الى منبه بخلاف
الاوامر والنواهي • واما ذكر الكتاب فيها فلبيان وصف عظمة من له التسبيح • وسورة انزلناها قد بينا انها بعض
من القران فلا نعد ذكر انزالها • وفي السورة التي ذكر فيها ذكر جميع القران فهو اعظم في النفس واثقل • واما قوله تعالى
انا انزلناه فنقول هذا ليس واردا على مشغول القلب بشي غيره بدليل انه ذكر الكتابة فيها فهي ترجع الى مذكور
سابق ومعلوم • فقوله انزلناه الها راجع الى المعلوم عند النبي صلى الله عليه وسلم فكان متنبها له فلم ينبه • واعلم
ان التنبيه قد يحصل في القران بغير الحروف التي لا يفهم معناها كما في قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة
الساعة شي عظيم • وقوله يا ايها النبي اتق الله • ويا ايها النبي لم تحرم لانها اشيا هايلة عظيمة فان تقوى الله حق تقاته
امر عظيم فقدم عليها النداء الذي يكون للعبد الغافل عنها تنبيه • وانما هذه السورة لم تفتتح بالحروف وليس
فيها الابتدا بالكتاب والقران • وذلك لان القران ثقله وعبؤه بما فيه من التكاليف والمعاني وهذه السورة
فيها جميع التكاليف حيث قال احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا يعني لا يتركون بمجرد ذلك بل يؤمرون بانواع

من التكاليف

من التكاليف فوجد المعنى الذي في السور التي فيها ذكر القران المشتمل على الاوامر والنواهي • فان قيل مثل هذا الكلام
ونحو معناه ورد في سورة التوبة وهو قوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يقدم
عليه حروف التهجي فنقول الجواب عنه في غاية الظهور وهو ان هذا ابتدا كلام • ولهذا وقع الاستفهام بالهمزة
فقال احسب وذلك وسط كلام بدليل وقوع الاستفهام بام والتنبيه يكون في اول الكلام لا في اثنائه • واما الم
غلبت الروم فيجي في موضعه ان شا الله تعالى هذا تمام الكلام في الحروف المسئلة الثالثة في اعراب الم وقد
ذكر في سورة البقرة مع الوجوه المنقولة في تفسيره ونزيد ههنا على ما ذكرنا في الحروف لا اعراب لها لانها جارية مجرى
الاصوات المنبهة المسئلة الرابعة في سبب نزول هذه الايات • وفيه اقوال • الاول انها نزلت في عمار بن ياسر
وعياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد • وسلمة بن هشام وكانوا يعذبون بمكة • الثاني انها نزلت في اقوام بمكة هاجروا
وتبعهم الكفار فاستشهد بعضهم ونجا الباقون • الثالث انها نزلت في مهجع بن عبد الله قتل يوم بدر المسئلة الخامسة
في التفسير احسب الناس ان يتركوا يعني اظنوا انهم يتركون بمجرد قولهم امنا وهم لا يفتنون لا يبتلون بالفرايض البدنية
والمالية • واختلف ايمة النحو في قوله ان يقولوا فقال بعضهم يتركوا بان يقولوا وقال بعضهم ان يتركوا يقولوا ومقتضى
ظاهر هذا انهم يمنعون من قولهم امنا كما يفهم من قول القايل ظن انك تترك ان تضرب زيدا اي تمنع من ذلك • وهذا بعيد
فان الله لا يمنع احدا ان يقول امنت ولكن مراد هذا المفسر هو انهم لا يتركون يقولون امنا من غير ابتلا فيمنعون من هذا
المجموع بايجاب الفرايض عليهم المسئلة السادسة في الفوايد المعنوية وهي ان المقصود الاقصى من الخلق العبادة
والمقصد الاعلى في العبادة حصول محبة الله كما ورد في الخبر لا يزال العبد يتقرب الي بالعبادة حتى احبه وكل من كان قلبه
اشد امتلاء من محبة الله فهو اعظم درجة عند الله لكن للقلب ترجمان هو اللسان • وللسان مصدقات هي الاعضا
ولهذه المصدقات مزكيات • فاذا قال الانسان امنت باللسان فقد ادعى محبة الله في الجنان فلا بد له من شهود • فاذا
استعمل الاركان في الاتيان بما عليه بنيان الايمان حصل له على دعواه شهود مصدقات • فاذا بذل في سبيل الله نفسه
وماله وزكى بترك ما سواه اعماله زكت شهوده الذين صدقوه فيما قاله فيجعل من جرايد المحبين اسمه • ويعين في اقسام المقربين
قسمه واليه الاشارة بقوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا يعني اظنوا ان يقبل منهم دعواهم بلا شهود وشهودهم
بلا مزكين بل لا بد من ذلك جميعه ليكونوا من المحبين • فايدة ثانية وهي ان ادنى درجات العبد ان يكون مسلما فان ما دونه
دركات الكفر • فالاسلام اول درجة يحصل للعبد • فاذا حصل له هذه المرتبة كتب اسمه واثبت قسمه لكن المستخدمين عند
الملوك على اقسام • منهم من يكون ناهضا في شغله ماضيا في فعله ينتقل من خدمة الى اعلى منها مرتبة • ومنهم من هو كسلان
متخلف فينتقل من خدمة الى خدمة ادنى منها • ومنهم من يترك على شغله من غير تغيير • ومنهم من يقطع رسمه ويمحى عن
الجرايد اسمه • فكذلك عباد الله قد يكون المسلم عابدا مقبلا على العبادة مقبولا للسعادة فينتقل من مرتبة المؤمنين
الى درجة الموقنين وهي درجة المقربين • ومنهم من يكون قليل الطاعة مشتغلا بالخلاعة • فينتقل من مرتبة المؤمنين
الى مرتبة دونه وهي مرتبة العصاة • ومنزلة الفساق • وكلما صغر العيوب • وتستكثر الذنوب • فيخرج من العباد
محروما • ويلحق باهل العناد مرجوما • ومنهم من يبقى في اول درجة الجنة وهم البله فقال الله تعالى لبيان للمطيع الناهض
احسب الناس ان يتركوا يعني اظنوا انهم يتركون في اول المقامات لا بل ينقلون الى اعلى درجات كما قال تعالى والذين اوتوا
العلم درجات • فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة • وقال بعض للكسلان احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا
يعني اذا قال امنت وتخلف بالعصيان يترك ويرضى منه لا بل ينقل الى مقام [illegible] هو مقام العاصي والكافر • ثم قال
تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين • ذكر الله ما يوجب تسليتهم فقال كذلك
فعل الله بمن قبلكم ولم يتركهم بمجرد قولهم امنا بل فرض عليهم الطاعات • واوجب عليهم العبادات • وفي قوله فليعلمن
الله الذين صدقوا وجوه • الاول قول مجاهد فليميزن الله • الثاني فليظهرن الله • الثالث فليميزن الله والحاصل على هذا
هو ان المفسرين ظنوا ان حمل الاية على ظاهرها يوجب تجدد علم الله • والله عالم بالصادق والكاذب قبل الامتحان
فكيف يمكن ان يقال يعلمه عند الامتحان • فنقول الاية محمولة على ظاهرها وذلك ان علم الله صفة يظهر فيها كل ما هو واقع
كما هو واقع فقبل التكليف كان الله يعلم ان زيدا مثلا سيطيع وعمرا سيعصي • ثم وقت التكليف والاتيان يعلم انه مطيع
والاخر عاص وبعد الاتيان يعلم انه اطاع والاخر عصى ولا يتغير علمه في شي من الاحوال • وانما المتغير المعلوم
ويبين هذا بمثال من الحسيات • ولله المثل الاعلى وهو ان المراة الصافية [illegible] اذا علقت من موضع • وقوبل
بوجهها جهة ولم تحرك ثم عبر عليها زيد لابسا ثوبا ابيض ظهر فيها زيد في ثوب ابيض فاذا عبر عليها عمرو في لباس اصفر
يظهر فيها كذلك • فهل يقع في ذهن احد ان المراة في كونها حديدا تغيرت او يقع له انها بدونها تبدلت • ويذهب

تستغفر
ومنهم من يبقى في اول درجة الجنة وهم البله

الحالتين في صقالتها اختلفتا وبخطر ببالهِ انها عن مكانها انتقلت لا يقع لاحد شيء من هذه الاشتباه ويقطع بان التغير الخارج
فافهم علم الله من هذا المثال فان المرآة ممكنة التغير وعلم الله غير ممكن عليه ذلك فقوله فليعلمن الله الذين صدقوا يعني
يقع ممن يعلم الله انه يطيع الطاعة فيعلم انه مطيع بذلك العلم وليعلمن الكاذبين يعني من قال انا مؤمن وكان صادقا
عند فرض العبادات يظهر منه ذلك ويعلم ۞ ومن قال كذلك وكان منافقا كذلك يتبين ۞ في قوله الذين صدقوا بصيغة
الفعل وقوله الكاذبين باسم الفاعل فائدة مع ان الاختلاف في اللفظ ادل على الفصاحة ۞ وهي ان اسم الفاعل
يدل على كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه ۞ والفعل الماضي لا يدل عليه كما يقال فلان شرب
الخمر وفلان شارب الخمر وفلان نفذ امره وفلان نافذ امره لا يفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ ومن اسم
الفاعل يفهم ذلك اذا ثبت هذا فنقول ۞ وقت نزول الآية كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد بالاسلام في اوائل
ايجاب التكاليف ۞ وعن قوم مستديمين للكفر مستمرين عليه فقال في حق المؤمنين الذين صدقوا اي وجد منهم الصدق
وقال في حق الكافرين بالصيغة المنبئة عن الثبات ۞ ولهذا قال اليوم ينفع الصادقين صدقهم وذلك لان في اليوم
المذكور يكون الصدق قد ترسخ في قلب المؤمن وهو اليوم الاخر ۞ ولا كذلك في اوائل الاسلام ۞ ثم قال تعالى ام حسب
الذين يعملون السيئات ان يسبقونا لما بين حسن التكليف بقوله احسب الناس ان يتركوا بين ان من كلف بشيء ولم يأت
به يعذب في الحال فسيعذب في الاستقبال ۞ ولا يفوت الله شيئا في الحال ۞ ولا في المآل ۞ وهذا ابطال لمن يقول
التكاليف ارشادات ولا يعاد عليه ترغيب ولا ترهيب ۞ ولا يوجد من الله تعذيب ۞ ولو كان يعذب ما كان عاجزا
عن العذاب عاجلا ۞ فلم كان يؤخر العقاب فقال تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا يعني ليس كما قالوا
بل يعذب من يعذب ويثيب من يثيب بحكم الوعد والايعاد ۞ والله لا يخلف الميعاد ۞ واما الامهال فلا يفضي الى الاهمال
والتعجيل في جزاء الاعمال شغل من يخاف الفوت لولا الاستعجال ۞ ثم قال ساء ما يحكمون يعني حكمهم بانهم يعصون ويخالفون
امر الله ولا يعاقبون بحكم ۞ فان الحكم الحسن لا يكون الا حكم العقل او حكم الشرع ۞ والعقل لا حكم على الله بذلك ۞ فان
الله له ان يفعل ما يريد ۞ والشرع حكمه بخلاف ما قالوه ۞ فحكمهم حكم في غاية السوء والرداءة ۞ ثم قال من كان يرجو لقاء الله
فان اجل الله لآت وهو السميع العليم ۞ لما بين بقوله احسب الناس ان العبد لا يترك في الدنيا سدى ۞ وبين في قوله
ام حسب الذين يعملون السيئات ان من ترك ما كلف به يعذب ۞ كذا بين ان من يعترف بالاخرة ويعمل لها لا يضيع عمله
ولا يخيب امله ۞ وفي الآية مسائل **المسئلة الاولى** انا ذكرنا في مواضع ان الاصول ثلاثة ۞ وهي الاول وهو
الله تعالى ووحدانيته ۞ والاصل الاخر وهو اليوم الاخر والاصل المتوسط وهو النبي المرسل من الاول الموصل
الى الاخر لا يكاد ينفصل في الذكر الالهي بعضها عن بعض ۞ فقوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا ۞ فيه اشارة
الى الاصل الاول ۞ يعني اظنوا انه يكفي الاصل الاول ۞ وقوله وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم يعني برسال الرسل
وايضاح السبل ۞ فيه اشارة الى الاصل الثاني ۞ وقوله ام حسب الذين يعملون السيئات مع قوله من كان يرجو لقاء الله فيه
اشارة الى الاصل الثالث وهو الاخر **المسئلة الثانية** ذكر بعض المفسرين في تفسير لقاء الله انه الرؤية وهو ضعيف
فان اللقاء والملاقاة بمعنى وهي في اللغة بمعنى الوصول حتى ان جمادين اذا تواصلا فقد لاقى احدهما الاخر **المسئلة الثالثة**
قال بعض المفسرين ان المراد من الرجاء الخوف ۞ والمعنى من قوله من كان يرجو لقاء الله من كان يخاف الله وهو ايضا
ضعيف ۞ فان المشهور في الرجاء هو توقع الخير لا غير ولانا اجمعنا على ان الرجاء ورد بهذا المعنى يقال ارجو فضل الله ولا
يفهم منه اخاف فضل الله ۞ واذا كان وارد الهذا لا يكون لغيره دفعا للاشتراك **المسئلة الرابعة** يمكن ان يكون
المراد باجل الله الموت ۞ ويمكن ان يكون هو الحياة الثانية بالحشر ۞ فان كان هو الموت فهذا ينبئ عن بقاء النفوس بعد
الموت كما ورد في الاخبار ۞ وذلك لان القائل اذا قال من كان يرجو الخير فان السلطان واصل يفهم منه ان متصلا بوصول
السلطان يكون الخير حتى انه لو وصل هو وتأخر الخير يصح ان يقال للقائل ما قلت ما قلت ۞ فوصل السلطان ولم يظهر
الخير فلو لم يحصل اللقاء عند الموت لما حسن ذلك كما ذكرنا في المثال ۞ واذا تبين هذا فلولا اللقاء لما حصل اللقاء
المسئلة الخامسة قوله من كان يرجو شرط وجزاؤه فان اجل الله لآت ۞ والمعلق بالشرط عدم عند عدم
الشرط فمن لا يرجو لقاء الله لا يكون اجل الله آتيا له وهذا باطل فان الحساب عتيد فيحتمل ان المراد من ذكر اتيان الاجل
وعد المطيع بما بعده من الثواب يعني من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لآت
ولا شك ان من يرجوه لا يكون اجل الله آتيا الا على طاعته عنده
والمراد ذكر صفة غيرها كالعزيز الحكيم وغيرهما ۞ وقوله وهو السميع العليم
القول بقوله وهم لا يفتنون ۞ وبقوله فليعلمن الله الذين صدقوا ۞ وبقوله ام حسب الذين يعملون السيئات ولانك

ان القول

ان القول يدرك بالسمع والعمل منه ما يدرك بالبصر ومنه ما لا يدرك بهما كالعقود القلبية فقال وهو السميع
لما قالوه وهو العليم بما لم يقولوه من صدق ونفاق ۞ وقوله تعالى ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه
ان الله لغني عن العالمين ۞ لما بين ان التكليف حسن وعليه وعد وايعاد
وعلى العبد ان يجاهد ويعمل ويصبر ...
حسن واقع وان عليه وعدا وايعادا ليس لهما دافع بين ان طلب الله ذلك من المكلف ليس لشيء عائد اليه توقف كماله عليه ۞ ومثل هذا
كثير في القرآن كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ۞ وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم ۞ وفي الآية مسائل **المسئلة الاولى**
الآية السابقة مع هذه الآية توجبان اكثار العبد من العمل الصالح وابتغائه له وذلك لان من يفعل فعلا لاجل ملك ويعلم ان الملك
يراه ويبصره يحسن العمل ويتقنه وكذا اذا علم ان نفعه له مقدر بقدر عمله يكثر منه ۞ فاذا قال الله انه سميع عليم فالعبد يتقن عمله
ويخلصه له ۞ واذا قال ان جهاده لنفسه يكثر منه **المسئلة الثانية** لقائل ان يقول هذا يدل على ان الجزاء على العمل
لان لله اذا قال ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه فهم منه ان من جاهد ربح بجهاده ما لولاه لما ربح فنقول هو كذلك ولكن
بحكم الوعد لا بالاستحقاق ۞ وبيانه هو ان الله تعالى لما بين ان المكلف اذا جاهد يثيبه فاذا اتى به يكون جهاده نافعا
له ولا نزاع فيه واما النزاع في ان الله يجب عليه ان يثيب على العمل لولا الوعد ولا يجوز ان يحسن الى احد الا بالعمل ولا دلالة للآية
المسئلة الثالثة قوله فانما يقتضي الحصر فينبغي ان يكون جهاد المرء لنفسه فحسب ولا ينتفع به غيره وليس كذلك
فان من جاهد ينتفع به ومن يريد هو نفعه حتى ان الوالد والولد ببركة المجاهد وجهاده ينتفعون فنقول ان نفع له
فان انتفاع الولد انتفاع للاب ۞ والحصر ها هنا معناه ان جهاده لا يصل الى الله منه نفع ويدل عليه قوله تعالى ان الله غني
عن العالمين ۞ وفيه مسائل **المسئلة الاولى** تدل الآية على ان رعاية الاصلح لا تجب على الله تعالى لانه بالاصلح لا يستفيد
فائدة والا لكان مستكملا بتلك الفائدة وهي غيره وهي من العالم فيكون مستكملا بغيره فيكون محتاجا اليه وهو غني عن
العالمين وايضا افعاله غير معللة لما بينا **المسئلة الثانية** تدل الآية على انه ليس في مكان وليس على العرش
على الخصوص فانه من العالم والله غني عنه ۞ والمستغني عن المكان لا يمكن دخوله في مكان لان الداخل في المكان يشار
اليه بانه ها هنا او هناك على سبيل الاستقلال وما يشار اليه بانه ها هنا او هناك يستحيل ان يوجد لا هنا ولا هناك
ولا يجوز العقل ادراك جسم لا في مكان وانه محال **المسئلة الثالثة** لو قال قائل ليست قادريته تقدره ولا
عالميته بعلم ۞ والا لكان هو في قادريته محتاجا الى قدرة هي غيره وكل ما هو غيره فهو من العالم فيكون محتاجا
وهو غني نقول ۞ لو قلتم ان قدرته من العالم وهذا لان العالم كل موجود سوى الله بصفاته اي كل موجود هو
خارج عن مفهوم الاله الحي القادر المريد العالم السميع البصير المتكلم ۞ والقدرة ليست خارجة عن مفهوم القادر
والعلم ليس خارجا عن مفهوم العالم **المسئلة الرابعة** الآية فيها بشارة وفيها انذار ۞ اما الانذار فلان الله
اذا كان غنيا عن العالمين ۞ فلو اهلك عباده بعذاب به فلا شيء عليه لغنائه عنهم ۞ وهذا يوجب الخوف العظيم ۞ واما البشارة
فلانه اذا كان غنيا ۞ فلو اعطى جميع ما خلقه لعبد من عباده لا شيء عليه وهذا يوجب الرجاء التام قال تعالى والذين
آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون ۞ لما بين اجمالا ان من يعمل صالحا فلنفسه
بين مفصلا بعض التفصيل لان جزاء المطيع الصالح عمله فقال والذين آمنوا ۞ وفي الآية مسائل **المسئلة الاولى**
تدل على ان الاعمال مغايرة للايمان لان العطف يوجب التغاير **المسئلة الثانية** انها تدل على ان الاعمال داخلة
فيما هو المقصود من الايمان لان تكفير السيئات والجزاء بالاحسن معلق عليهما وهو ثمرة الايمان ومثال هذا شجرة
مثمرة لا شك ان عروقها واغصانها منها ۞ والماء الذي يجري عليها ۞ والماء الذي تحتاج اليها غير داخل فيها لكن الثمرة
لا تحصل الا بذلك الماء والتراب الخارج كذلك العمل الصالح مع الايمان وايضا الشجرة لو احتفت بها الحشائش المفسدة
والاشواك المضرة ينقص ثمر الشجرة وان علتها عدمت الثمرة بالكلية وفسدت فكذلك الذنوب تفعل بالايمان
المسئلة الثالثة الايمان هو التصديق كما قال وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق ۞ واختص في استعمال
الشروع بالتصديق بجميع ما قال الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التفصيل ان علم مفصلا انه قول الله
او قول الرسول او على سبيل الاجمال فيما لم يعلم ۞ والعمل الصالح عندنا كل ما امر الله به صار صالحا بامره ۞ ولو نهى
عنه لما كان صالحا فليس الصلاح والفساد من لوازم الفعل في نفسه ۞ وقالت المعتزلة ذلك من صفات الفعل
ويترتب عليه الامر والنهي فالصدق عمل صالح في نفسه ويأمر الله به لذلك ۞ فعندنا الصلاح والفساد من لوازم الامر
الفعل في نفسه ۞ وقالت المعتزلة ذلك الحسن والقبح يترتب على الامر والنهي ۞ وعندهم الامر والنهي يترتب

واذا

لان العالم كل موجود سوى الله تعالى بصفاته

الثمر

في الشرع

على الحسن والقبح والمسئلة بطولها في الاصول **المسئلة الرابعة** العمل الصالح باق لان الصالح في مقابلة الفاسد
والفاسد هو الهالك التالف يقال فسدت الزرع اذا هلكت وخرجت عن درجة الانتفاع ويقال هي بقية صالحة
اي باقية على ما ينبغي اذا علم هذا فنقول العمل لا يبقى بنفسه لانه عرض ولا يبقى بالعامل لانه ايضا هالك كما قال تعالى
كل شيء هالك فبقاؤه لا بد ان يكون بشيء يكون باقيا لكن الباقي هو وجه الله لقوله كل شيء هالك الا وجهه فينبغي ان يكون
العمل لوجه الله حتى يبقى فيكون صالحا وما لا يكون لوجهه لا يبقى لا بنفسه ولا بالعامل ولا بالمعمول فلا يكون صالحا فالعمل
الصالح هو الذي اتى به المكلف مخلصا لله **المسئلة الخامسة** هذا يقتضي ان تكون النية شرطا في الصالحات من الاعمال
وهي قصد الايقاع لله ويندرج فيها النية في الصوم خلافا لزفر وفي الوضوء خلافا لابي حنيفة رحمة الله عليهما
المسئلة السادسة العمل الصالح مرفوع لقوله تعالى والعمل الصالح يرفعه لكنه لا يرتفع الا بالكلم الطيب
فانه يصعد بنفسه كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب وهو يرفع العمل فالعمل من غير المؤمن لا يقبل ولهذا قدم
الايمان على العمل وههنا لطيفة وهي ان اعمال المكلف ثلاثة عمل قلبه وهو تفكره واعتقاده وتصديقه
وعمل لسانه وهو ذكره وشهادته وعمل جوارحه وهو عبادته وطاعته فالعبادة البدنية لا ترتفع وانما
ترتفع بغيرها والقول الصادق يرتفع بنفسه كما سبق في الاية وعمل القلب وهو الفكر ينزل اليه كما قال
النبي عليه السلام ان الله تعالى ينزل الى السماء الدنيا ويقول هل من تائب والتائب النادم تعلمه وكذلك قوله عليه السلام
انا عند المنكسرة قلوبهم يعني بالفكر في عجزه وقدرتي وحقارته وعظمتي ومن حيث العقل من تفكر في الاء الله وحده
وحضر في ذهنه يعلم ان عمل القلب ياتي الله وعمل اللسان يذهب الى الله عز وجل وعمل الاعضاء يوصل الى الله وهذا
تنبيه على تفضيل عمل القلب **المسئلة السابعة** ذكر الله من اعمال العبد نوعين الايمان والعمل الصالح وذكر في مقابلتهما
من افعال الله امرين تكفير السيئات والجزاء بالاحسن حيث قال لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن فتكفير
السيئات في مقابلة الايمان والجزاء بالاحسن في مقابلة العمل الصالح وهذا يقتضي امور الاول المؤمن لا يخلد في النار لان
بايمانه يكفر سيئاته فلا يخلد في العذاب الثاني الجزاء الاحسن المذكور ههنا غير الجنة وذلك لان المؤمن بايمانه
يدخل الجنة وتكفر سيئاته ومن كفرت سيئاته ادخل الجنة فالجزاء الاحسن يكون غير الجنة وهو ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا يبعد ان يكون هو الرؤية الثالث ان الايمان يستر قبح الذنوب في الدنيا فيستر
الله عيوبه في الاخرى والعمل الصالح يحسن حال الصالح في الدنيا فيجزيه الله الجزاء الاحسن في العقبى فالايمان
اذا لا يبطله العصيان بل هو يغلب المعاصي ويسترها ويحمل صاحبها على الندم والله اعلم **المسئلة الثامنة**
قوله لنكفرن عنهم سيئاتهم يستدعي وجود السيئات حتى يكفر والذين امنوا وعملوا الصالحات باسرها من اين يكون
لهم سيئة فنقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان وعد الجميع باشياء لا يستدعي وعد كل واحد بكل واحد
من تلك الاشياء مثاله اذا قال الملك لاهل بلد اذا اطعتموني اكرم اباكم واحترم ابناكم وانعم عليكم واحسن اليكم
لا يقتضي هذا انه يكرم اباء من توفي ابوه او يحترم ابن من لا يولد له بل مفهومه انه يكرم اباء من له اب ويحترم ابن من له ابن
فكذلك يكفر سيئة من له سيئة الجواب الثاني ما من مكلف الا وله سيئة اما غير الانبياء فظاهر واما الانبياء
فلان ترك الافضل منهم كالسيئة من غيرهم ولهذا قال تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم **المسئلة التاسعة**
قوله لنجزينهم احسن يحتمل وجهين احدهما لنجزينهم باحسن اعمالهم وثانيهما لنجزينهم احسن من اعمالهم وعلى الوجه
الاول معناه من معنى قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وقوله فله خير منها **المسئلة العاشرة** ذكر
حال المسيء مجملا بقوله ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا اشارة الى التعذيب مجملا وذكر حال المحسن مجملا بقوله
ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ومفصلا بهذه الاية ليكون ذلك اشارة الى ان رحمته اتم من غضبه وفضله
اعم من عدله ثم قال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك الى اخرها وفي الاية مسائل
المسئلة الاولى ما وجه تعلق الاية بما قبلها فنقول لما بين الله حسن التكاليف ووقوعها وبين ثواب من حقق
التكاليف اصولها وفروعها تحريضا للمكلف على الطاعة ذكر المانع ومنعه من ان يختار اتباعه تعالى لا انسان
ان ينقاد لاحد ينبغي ان ينقاد لابويه ومع هذا لو امروه بالمعصية لا يجوز اتباعهم فضلا عن غيرهم فلا يمنعن
احدكم شيء من طاعة الله ولا يتبعن احد من يامر بمعصية الله **المسئلة الثانية** في القراءة قرئ حسنا واحسانا
وحسنا اظهر ههنا ومن قرا احسانا فمن قوله تعالى وبالوالدين احسانا والتفسير على القراءة المشهورة هو
ان الله وصى الانسان بان يفعل مع والديه حسن التاني في الفعل والقول ونكر حسنا ليدل على الكمال كما يقال
ان لزيد مالا **المسئلة الثالثة** قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا دليل على انه ما تبعهم في الكفر لا يجوز

وذلك لان

وذلك لان الاحسان بالوالدين وجب بامر الله تعالى فلو ترك العبد عبادة الله بقول الوالدين لترك طاعة الله فلا ينقاد
لما وصاه به فلا يحسن الى الوالدين فاتباع العبد ابويه لاجل الاحسان اليهما يفضي الى ترك الاحسان اليهما وما يفضي وجوده
الى عدمه باطل فالاتباع باطل واما اذا امتنع من الشرك بقي على الطاعة والاحسان اليهما من الطاعة فياتي به فترك هذا
الاحسان حقيقة **المسئلة الرابعة** الاحسان بالوالدين مامور به لانهما سبب وجود الولد بالولادة وسبب بقائه
بالتربية المعتادة وهما سبب مجازا والله تعالى سبب له في الحقيقة بالارادة وسبب بقائه بالاعادة للسعادة فهو اولى
بان يحسن العبد حاله معه ثم قال تعالى وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما فقوله ما ليس لك
به علم يعني التقليد في الايمان فضلا عن التقليد في الكفر فاذا امتنع الانسان فيه من التقليد ولا يطيع بغير العلم لا يطيعهما
اصلا لان العلم بصحة قولهما محال الحصول فاذا لم يشرك تقليدا ويستحيل الشرك مع العلم فالشرك لا يحصل منه قط ثم قال تعالى
الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يعني عاقبتكم وما لكم الي وان كان اليوم مخالطتكم ومجالستكم مع الاباء والاولاد والاخوة
والاقارب والعشائر ولا شك ان من يعلم مجالسته مع واحد حالته منقطعة وحضوره بين يدي غيره دائم غير منقطع لا يترك
مراضي من يدوم معه صحبته برضى من يتركه في زمان اخر ثم قوله فانبئكم فيه لطيفة وهي ان الله تعالى يقول لا تظنوا اني
غائب عنكم واباؤكم حاضرون فتوافقون الحاضرين في الحال اعتمادا على غيبتي وعدم علمي بمخالفتكم اياي فاني حاضر اعلم ما تعملون
ولا انسى فانبئكم بجميعه ثم قال تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات في الاية مسائل **المسئلة الاولى**
ما الفائدة في اعادة الذين امنوا وعملوا الصالحات مرة اخرى فنقول الله تعالى ذكر من المكلفين قسمين مهتديا وضالا بقوله
فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وذكر حال الضال مجملا وحال المهتدي مفصلا بقوله والذين امنوا وعملوا
الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولما تم ذلك ذكر قسمين اخرين هاديا ومضلا بقوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا
يقتضي ان يهتدي بهما وقوله وان جاهداك لتشرك بي بيان اضلالهما وقوله الي مرجعكم فانبئكم بطريق الاجمال تهديد
المضل وقوله والذين امنوا على سبيل التفصيل وعد الهادي فذكر الذين امنوا وعملوا الصالحات مرة لبيان حال
المهتدي ومرة اخرى لبيان حال الهادي والذي يدل عليه هو انه اولا قال لنكفرن عنهم سيئاتهم وقال ثانيا
لندخلنهم في الصالحين والصالحون هم الهداة لانه مرتبة الانبياء ولهذا قال كثير من الانبياء الحقني بالصالحين
المسئلة الثانية قد ذكرنا ان الصالح باق فالصالحون باقون وبقاؤهم ليس بانفسهم بل باعمالهم الباقية
بالمعمول له وهو وجه الله والعاملون باقون ببقاء اعمالهم وهذا خلاف لامور الدنيا وبيانه فان في الدنيا بقاء
الفعل بالفاعل وفي الاخرة بقاء الفاعل بالفعل **المسئلة الثالثة** قيل في معنى قوله لندخلنهم في الصالحين
في مقام الصالحين او في دار الصالحين والاولى ان يقال لا حاجة الى الاضمار بل يدخلهم في الصالحين اي يجعلهم
ويدخلهم في عدادهم كما يقال الفقيه داخل في العلماء **المسئلة الرابعة** قال الحكماء عالم العناصر
عالم الكون والفساد وما فيه يتطرق اليه الفساد فان كل ما يخرج عن كونه ماء ويفسد ويتكون منه هواء وعالم
السموات لا كون فيه ولا فساد بل يوجد من عدم ويعدم ولا يصير الملك ترابا بخلاف الانسان فانه يصير
ترابا او شيئا اخر وعلى هذا فالعالم العلوي ليس بفاسد فهو صالح فقوله لندخلنهم في الصالحين اي في المجردين
الذين لا فساد لهم ثم قال تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله الى اخره يقول اقسام المكلفين ثلاثة مؤمن
ظاهر بحسن اعتقاده وكافر مجاهر بكفره وعناده ومذبذب بينهما يظهر الايمان بلسانه ويضمر الكفر في فؤاده والله
تعالى لما بين القسمين بقوله تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وبين احوالهما بقوله ام حسب الذين يعملون
السيئات الى قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات بين القسم الثالث وقال ومن الناس من يقول امنا بالله وفيه مسائل
المسئلة الاولى قال ومن الناس من يقول امنا بالله ولم يقل امنت مع ان وحد الافعال التي بعده لقوله تعالى
فاذا اوذي وقوله جعل فتنة الناس كعذاب الله وذلك لان المنافق كان يشبه نفسه بالمؤمن ويقول ايمانه
كايمانه فقال امنا يعني انا والمؤمن حقا امنا اشعارا بان ايمانه كايمانه وهذا كما ان الجبان الضعيف اذا خرج مع الابطال
في القتال وهزموا خصومهم يقول الجبان خرجنا وقاتلنا وهزمناهم فيصح من السامع لكلامه ان يقول
وماذا كنت انت فيهم حتى تقول خرجنا وقاتلنا وهذا الرد يدل على انه يفهم من كلامه ان خروجه وقتاله كخروجهم وقتالهم
لانه لا يصح الانكار عليهم في دعوى نفس الخروج والقتال وكذلك قول القائل انا والملك انفقنا فلانا واستقبلناه
ينكر لان المفهوم منه المساواة فهم لما ارادوا اظهار كون ايمانهم كايمان المحقين كان الواحد يقول امنا اي انا والمحقون
المسئلة الثانية قوله فاذا اوذي في الله هو في معنى قوله واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي غير ان المراد
بتلك الاية الصابرون على اذية الكافرين والمراد ههنا الذين لم يصبروا عليها فقال فتنة اوذوا في سبيلي وقال

وعالم السموات لا كون فيه ولا فساد بل يوجد من عدم ويعدم

همنا اوذي في الله ولم يقل في سبيل الله • واللطيفة فيه ان الله اراد شرف المومن الصابر وخسة المنافق الكافر فقال
هناك اوذي المومن في سبيل الله ليترك سبيله ولم يتركه • واوذي المنافق فترك الله نفسه وكان عليه ان يظهر موافقتهم
ان بلغ الايذا الى حد الاكراه ويكون قلبه مطمينا بالايمان فلا يترك الله ومع هذا فلم يفعله بل ترك الله بالكلية • والمومن
اوذي ولم يترك سبيل الله بل اظهر كلمتي الشهادة • وصبر على الطاعة والعبادة **المسئلة الثالثة** قوله جعل
فتنة الناس كعذاب الله قال الزمخشري جعل فتنة الناس صارفة عن الايمان كما ان عذاب الله صارف عن الكفر • وقيل
جزعوا من عذاب الناس كما جزعوا من عذاب الله • وبالجملة معناه انهم جعلوا فتنة الناس مع ضعفها وانقطاعها كعذاب
الله الاليم الدايم حتى ترددوا في الامر وقالوا ان آمنا نتعرض للاذى من الناس وان تركنا الايمان نتعرض لما توعدنا به محمد
عليه السلام • واختاروا الاحتراز عن التعرض العاجل ولا يكون التردد الا عند التساوي ومن اين الى اين تعذيب الناس
لا يكون شديدا ولا يكون مديدا لان العذاب ان كان شديدا كعذاب النار وغيره يموت الانسان في الحال فلا يدوم التعذيب
وان كان مديدا كالحبس والعصر لا يكون شديدا وعذاب الله شديد زمانه مديد • وايضا عذاب الناس له دافع • وعذاب
الله ما له من دافع • عذاب الناس عليه ثواب عظيم • وعذاب الله بعده عذاب عظيم • والمشقة اذا كانت مستعقبة
للراحة العظيمة تطيب ولا تعد عظيما ولا تعد عذابا كما تقطع السلعة المؤذية ولا تعد عذابا **المسئلة الرابعة**
قال فتنة الناس ولم يقل عذاب الناس لان فعل العبد ابتلاء من الله وفتنة تسلط بعض الناس على من اظهر كلمة الايمان ليؤمن
فيتبين منزلته كما جعل التكاليف ابتلاء وامتحانا • وهذا اشارة الى ان الصبر على البلية الصادرة من الانسان كالصبر
على العبادات **المسئلة الخامسة** لو قال قايل هذا يقتضي منع المومن من اظهار كلمة الكفر بالاكراه لان من اظهر كلمة
الكفر بالاكراه احترازا عن التعذيب العاجل لانه قد جعل فتنة الناس كعذاب الله فنقول ليس كذلك لان من اكره
على الكفر وقلبه مطمين بالايمان لم يجعل فتنة الناس كعذاب الله لان عذاب الله يوجب ترك ما يعذب عليه عليه ظاهرا وباطنا
وهذا المومن لم يجعل فتنة الناس كعذاب الله بحيث يترك ما يعذب عليه ظاهرا وباطنا بل في باطنه الايمان ثم قال تعالى
ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم يعني دأب المنافق انه ان راى اليد للكافر اظهر ما اظهر من الكفر • وان كان النصر
للمومن اضمر ما اضمر واظهر المعية • وادعى التبعية • وفيه فوايد نذكرها في مسايل **المسئلة الاولى** قال
ولئن جاء نصر من ربك ولم يقل من الله مع ان ما تقدم كان كله بذكر الله كقوله اوذي في الله • وقوله كعذاب الله
وذلك لان الرب اسم مدلوله الخاص به الشفقة والرحمة • والله اسم مدلوله الهيبة والعظمة • فعند النصر ذكر
اللفظ الدال على الرحمة والعاطفة • وعند العذاب ذكر اللفظ الدال على العظمة **المسئلة الثانية** لم يقل
ولئن جاءكم او جاءك بل قال ولئن جاء نصر من ربك • والنصر لو جاءهم ما كانوا يقولون انا معكم وهذا يقتضي ان يكونوا
قايلين انا معكم اذا جاء النصر لكن النصر لا يجيء الا للمومنين كما قال تعالى وكان حقا علينا نصر المومنين • ولان غلبة
الكافر على المسلم ليس بنصر لان النصر ما يكون عاقبته سليمة بدليل ان احد الجيشين ان انهزم في الحال لم يكن المنهزم كرة اخرى
وهزموا الغالبين لا يطلق اسم المنصور الا على من كانت له العاقبة • فكذلك المسلم وان كسر في الحال فالعاقبة للمتقين
فالنصر لهم في الحقيقة **المسئلة الثالثة** في ليقولن قراتان • احداهما الفتح حملا على قوله من يقول آمنا يعني من
يقول آمنا اذا اوذي يترك ذلك القول • واذا جاء النصر يقول انا كنا معكم • وثانيتهما الضم على الجمع اسنادا للقول
الى الجمع الذين دل عليهم المفهوم فان المنافقين كانوا جماعة • ثم بين تعالى انهم ارادوا التلبيس ولا يصح ذلك لهم
لان التلبيس انما يكون عند ما يخالف القول القلب • فالسامع يبني الامر على قوله ولا يدري ما في قلبه فيلتبس الامر
عليه • واما الله تعالى فهو عليم بذات الصدور • وهو اعلم بما في صدر الانسان من الانسان فلا يلتبس عليه الا
وهذا اشارة الى ان الاعتبار بما في القلب • فالمنافق الذي يظهر الايمان ويضمر الكفر كافر والمومن المكره الذي يظهر
الكفر ويضمر الايمان مومن والله اعلم بما في صدور العالمين • ولما بين انه اعلم العالمين بما في قلوب العالمين بين
انه يعلم المومن المحق وان لم يتكلم • والمنافق وان تكلم فقال وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين • وقد
سبق تفسيره • لكن فيه مسئلة واحدة وهي ان الله تعالى قال هناك فليعلمن الله الذين صدقوا • وقال هاهنا
وليعلمن الله الذين آمنوا • فنقول لما كان الذكر هناك للمومن والكافر • والكافر في قوله كاذب فانه يقول الله اكثر
من واحد • والمومن في قوله صادق فانه يقول الله واحد • ولم يكن هناك ذكر من يضمر خلاف ما يظهر • فكان
الحاصل هناك قسمين صادق وكاذب • وكان هاهنا المنافق في قوله صادقا فانه كان يقول الله واحد • فاعتبر
امر القلب في المنافق فقال وليعلمن المنافقين • واعتبر امر القلب في المومن وهو التصديق فقال الذين آمنوا
ثم قال تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا • لما بين الله تعالى الفرق الثلاثة واحوالهم • وذكر ان الكافر

يدعو من يقول آمنت بالكفر الى الفتنة ويبين ان عذاب الله فوقها وكان الكافر يقول للمومن يصبر في الذل وعلى الاذى لاي
شيء ولم لا تدفع عن نفسك الذل والعذاب بموافقتنا • فكان جواب المومن ان يقول خوفا من عذاب الله على خطيئة منهم
فقالوا لا خطية فيه وان كان فيه خطية فعلينا • وفي الآية مسايل **المسئلة الاولى** وليحملن صيغة امر والمامور
غير الامر • وكيف يصح امر النفس من الشخص • فنقول الصيغة امر • والمعنى شرط وجزاء اي ان تتبعونا حملنا خطاياكم
قال صاحب الكشاف فهو في معنى قول من يريد اجتماع امرين في الوجود • فنقول ليكن منك العطا • وليكن مني الدعا فقوله
ولنحمل اي ليكن منا الحمل وليس هو في الحقيقة امر طلب وايجاب **المسئلة الثانية** قال وما هم بحاملين من خطاياهم
وقال بعد هذا وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم • فهناك نفي الحمل وها هنا اثبت الحمل فكيف الجمع بينهما • فنقول
قول القايل حمل فلان عن فلان يفيد ان حمل فلان خف • واذا لم يخف حمله فلا يكون قد حمل منه شيئا • فكذلك ها هنا
ما هم بحاملين من خطاياهم يعني لا يرفعون عنهم خطيئة وهم يحملون اوزارا بسبب اضلالهم ويحملون اوزارا بسبب ضلالهم
كما قال النبي عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من وزره شيء **المسئلة الثالثة**
الصيغة امر والامر لا يدخله التصديق والتكذيب • فكيف نفهم قوله انهم لكاذبون • فنقول قد تبين ان معناه شرط
وجزاء فكانهم قالوا ان تتبعونا نحمل خطاياكم وهم كذبوا في هذا فانهم لا يحملون شيئا • ثم قال تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا
مع اثقالهم وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون • قوله عما كانوا يفترون يحتمل ثلاثة اوجه • احدها ان قولهم
ولنحمل خطاياكم صادر لا عن اعتقادهم ان لا خطيئة في الكفر • ثم يوم القيمة يظهر لهم خلاف ذلك فيسالون عن ذلك
الافترا • وثانيها ان قولهم ولنحمل خطاياكم كان عن اعتقاد ان لا حشر • وثالثها انهم لما قالوا ان تتبعونا نحمل يوم القيمة
يقال لهم فاحملوا خطاياهم فلا يحملون فيسالون • ويقال لهم لم افتريتم • ثم قال تعالى ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه • وجه تعلق الآية بما قبلها هو ان الله تعالى لما بين التكليف وذكر اقسام المكلفين • ووعد المومن
الصادق بالثواب • واوعد الكافر والمنافق بالعذاب الاليم فكان يذكر ان هذا التكليف ليس مختصا بالنبي
واصحابه وامته حتى صعب عليهم ذلك بل قبله كان كذلك كما قال تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم • ذكر من جملة من
كلف جماعة منهم نوح عليه السلام وقومه • ومنهم ابرهيم عليه السلام • وغيرهما • ثم قال فلبث فيهم الف
سنة الا خمسين عاما • وفي الآية مسايل **المسئلة الاولى** ما الفايدة في ذكر مدة لبثه نقول كان النبي
عليه الصلاة والسلام يضيق صدره بسبب عدم دخول الكفار في الاسلام واصرارهم على الكفر فقال ان نوحا لبث في قومه
الف سنة تقريبا في الدعا ولم يؤمن من قومه الا قليل وصبر وما ضجر فانت اولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة عدد امتك
وايضا كان الكفار يغترون بتاخر العذاب عنهم اكثر ومع ذلك ما نجوا • فبهذا المقدار من التاخر لا ينبغي ان يغتروا فان العذاب
يلحقهم **المسئلة الثانية** قال بعض العلما ان الاستثنا في العدد تكلم بالباقي • فاذا قال القايل لفلان علي عشرة
الا ثلاثة فكانه قال علي سبعة • اذا علم هذا فقوله الف سنة الا خمسين عاما • كقوله تسعماية وخمسين عاما • فما الفايدة
في العدول عن هذه العبارة الى غيرها فنقول قال الزمخشري فيه فايدتان • احدهما ان الاستثنا يدل على التحقيق وتركه
قد يظن به التقريب • فان من قال عاش فلان الف سنة يمكن ان يتوهم ان يقول الف سنة تقريبا لا تحقيقا • فاذا قال
الا شهرا او الا سنة يزول ذلك التوهم • ويفهم منه التحقيق **المسئلة الثالثة** هي ان ذكر لبث نوح عليه السلام
في قومه كان لبيان انه صبر كثيرا • فالنبي صلى الله عليه وسلم اولى بالصبر مع قصر مدة دعايه • واذا كان كذلك فذكر العدد
الذي في اعلى مراتب الاعداد التي لها اسم مفرد موضوع • فان مراتب الاعداد هي الاحاد الى العشرة والعشرات الى الماية
والماية الى الالف ثم بعد ذلك يكون التكثير بالتكرير • فيقال عشرة الاف وماية الف • والالف **المسئلة الرابعة**
قال بعض الاطبا العمر الانساني لا يزيد على ماية وعشرين سنة • والآية تدل على خلاف قولهم • والعقل يوافقها
فان البقا على التركيب الذي في الانسان ممكن لذاته • والا لما بقي • ودوام تاثير المؤثر فيه ممكن لان المؤثر ان كان واجب
الوجود فظاهر الدوام وان كان غيره فله مؤثر • وينتهي الى الواجب وهو دايم • فتاثيره يجوز ان يكون دايما فاذا البقا
ممكن لذاته فان لم يكن فلعارض لكن العارض ممكن العدم والا لما بقي هذا المقدار لوجوب وجود العارض المانع • فظهر
ان كلامهم على خلاف العقل والنقل • ثم نقول لا نزاع بيننا وبينهم لانهم يقولون ان العمر الطبيعي لا يكون اكثر من ماية وعشرين
سنة • ونحن نقول هذا العمر ليس طبيعيا • بل هو عطا الهي • واما العمر الطبيعي فلا يدوم عندنا ولا لحظة فضلا
عن ماية واكثر • قوله فاخذهم الطوفان وهم ظالمون • فيه اشارة الى لطيفة وهي ان الله لا يعذب على مجرد
وجود الظلم ولا يعذب من ظلم وتاب فان الظلم وجد منه • وانما يعذب على الاصرار على الظلم • فقوله وهم ظالمون
يعني اهلكهم وهم على ظلمهم ولو كانوا تركوها لما اهلكهم • قوله فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها • في الراجع اليه الها

فاذا قال القايل لفلان علي عشرة الا ثلثة

في قوله جعلناها وجهان • احدهما انها راجعة الى السفينة المذكورة • وعلى هذا ففي كونها آية وجوه • احدها انها اتخذ
قبل ظهور الماء • ولولا اعلام الله نوحا وانباؤه اياه به لما اشتغل بها فلا يحصل لهم النجاة • وثانيها ان نوحا
امر باتخاذ قوم معه • ورفع قدر من القوت • والبحر العظيم لا يتوقع احد عبوره • ثم ان الماء غيض قبل نفاد الزاد
ولولا ذلك لما حصلت النجاة فهو بفضل الله لا بمجرد السفينة • وثالثها ان الله تعالى كتب سلامة السفينة عن
الرياح المزعجة • والحيوانات الموذية • ولولا ذلك لما حصلت النجاة • والثاني انها راجعة الى الواقعة او الى
النجاة اي جعلنا الواقعة والنجاة آية للعالمين ثم قال وابرهيم اذ قال لقومه • لما فرغ من الاشارة الى حكاية
نوح ذكر حكاية ابرهيم • وفي ابرهيم وجهان من القراءة • احدهما النصب وهو المشهور • والثاني الرفع على معنى
ومن المرسلين ابرهيم والاول فيه وجهان • احدهما انه منصوب بفعل غير مذكور وهو معنى اذكر اي ابرهيم
والثاني انه منصوب بمذكور وهو قوله ولقد ارسلنا فيكون كانه قال وارسلنا ابرهيم • وعلى هذا ففي الاية مسايل
المسئلة الاولى قوله اذ قال لقومه ظرف ارسلنا اي ارسلنا ابرهيم اذ قال لقومه لكن قوله لقومه اعبدوا
الله دعوة • والارسال يكون قبل الدعوة • فكيف نفهم قوله وارسلنا ابرهيم حين قال لقومه مع انه يكون مرسلا
قبله فنقول الجواب عنه من وجهين • احدهما ان الارسال امر ممتد فهو حال قوله لقومه اعبدوا الله كان
مرسلا • وهذا كما يقول القايل وقفنا للامير اذ خرج من الدار وقد يكون الوقوف قبل الخروج لكن لما كان الوقوف
ممتدا الى ذلك الوقت صح ذلك الوجه الثاني هو ان ابرهيم بمجرد هداية الله اياه كان يعلم قول المشركين وكان يهديهم
الى الرشاد قبل الارسال • ولما كان هو مشتغلا بالدعاء الى الاسلام ارسله الله تعالى • وقوله اعبدوا الله
واتقوه اشارة الى التوحيد لان التوحيد اثبات الاله ونفي غيره • فقوله اعبدوا الله اشارة الى الاثبات
وقوله واتقوا الله اشارة الى نفي الغير لان من يشرك مع الملك غيره في ملكه يكون قد اتى باعظم الجرايم ويمكن ان
يكون يقال اعبدوا الله اشارة الى الاتيان بالواجب • وقوله واتقوه اشارة الى الامتناع عن المحرمات • فيدخل
في الاول الاعتراف بالله • وفي الثاني الامتناع من الشرك • ثم قوله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يعني عبادة الله
وتقواه خير والامر كذلك لان خلاف عبادة الله تعطيل • وخلاف تقواه تشريك وكلاهما شر عقلا واعتبارا
اما عقلا فلان الممكن لا بد له من موثر لا يكون ممكنا قطعا للتسلسل وهو واجب الوجود فلا تعطيل اذ لنا اله
واما التشريك فبطلانه عقلا وكون خلافه خيرا هو ان شريك الواجب ان لم يكن واجبا فكيف يكون شريكا وان كان
واجب الوجود واجبين فيشتركان في الوجوب ويتباينان في الهوية وما به الاشتراك غير ما به الامتياز فيلزم
التركيب فيهما فلا يكونان واجبين لكونهما مركبين فيلزم التعطيل • واما اعتبارا فلان • والشرف لمن يكون ملكا او قريب
ملك لكن الانسان لا يكون ملكا للسموات والارضين فاعلى درجاته ان يكون قريب الملك لكن القربة بالعبادة كما قال
تعالى واسجد واقترب • وقال عليه الصلاة والسلام لن يتقرب المتقربون الي بمثل اداء ما افترضت عليهم وقال
عليه السلام لا يزال العبد يتقرب بالعبادة الى ربه • فالمعطل لا ملك ولا قريب ملك لعدم اعتقاده بملك فلا مرتبة
له اصلا • واما التشريك فلان من يكون سيده لا نظير له يكون على رتبة ممن يكون سيده له شركا خسيسة فاذا
من يقول ان ربي لا يماثله شي اعلى مرتبة ممن يقول سيدي صنم منحوت عاجز مثله فثبت ان عبادة الله وتقواه خير
فهو خير لكم اي خير للناس ان كانوا يعلمون بما ذكرناه من الدلايل والاعتبارات ثم قال تعالى انما تعبدون من دون الله اوثانا
ذكر بطلان مذهبهم بابلغ الوجوه • وذلك لان المعبود انما يعبد لاحد امور • اما لكونه مستحقا للعبادة بذاته
كالعبد يخدم سيده الذي اشتراه سواء اطعمه من الجوع او منع من الهجوع • واما لكونه نافعا في الحال كمن يخدم غيره
بخير توصله اليه كالمستخدم باجرة • واما لكونه نافعا في المستقبل كمن يخدم غيره متوقعا منه امرا في المستقبل
واما لكونه خايفا منه فقال ابرهيم انما تعبدون اوثانا اشارة الى انها لا تستحق العبادة لذاتها لكونها اوثانا
منحوتة لا شرف لها وقوله ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا اشارة الى عدم المنفعة في الحال وفي
المآل • وهذا لان النفع اما في الوجود واما في البقاء وليس منهم نفع في الوجود لان وجودها منكم حيث تخلقونها
وتنحتونها ولا نفع في البقاء لان ذلك بالرزق وليس منهم ذلك ثم قال فان ذلك حاصل من الله فاعبدوه فقال
فابتغوا عند الله الرزق • فقوله الله اشارة الى استحقاق عبوديته لذاته • وقوله الرزق اشارة الى حصول النفع
منه عاجلا واجلا • وفي الاية مسايل المسئلة الاولى قال لا يملكون لكم رزقا نكرة وقال فابتغوا عند الله الرزق
معرفا فما الفايدة فنقول قال الزمخشري قال لا يملكون لكم رزقا نكرة في معرض النفي اي لا رزق عندهم اصلا
وقال معرفة عند الاثبات عند الله اي كل الرزق عنده فاطلبوه منه • وفيه وجه آخر وهو ان الرزق من الله معروف

بقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والرزق من الاوثان غير معلوم فقال لا يملكون لكم رزقا لعدم حصول العلم به
وقال فابتغوا عند الله الرزق الموعود به • ثم قال فاعبدوه لكونه مستحقا للعبادة لذاته • واشكروا له اي لكونه
سابق النعم بالخلق وواصلها بالرزق • واليه ترجعون اي اعبدوه لكونه مرجوا منه ثواب الخير لا غير • ثم قال تعالى
وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين لما فرغ من بيان التوحيد اتى بعده بالتهديد
فقال وان تكذبوا وفي المخاطب في هذه الاية وجهان • احدهما انه قوم ابرهيم والاية حكاية عن قوم ابرهيم كان ابرهيم
قال لقومه ان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وانا اتيت بما علي من التبليغ فان الرسول ليس عليه الا البلاغ والبيان والثاني
انه خطاب مع قوم محمد عليه الصلاة والسلام • ووجهه ان الحكايات اكثرها انما تكون لمقاصد لكونها تنسي لطيب الحكاية
ولهذا كثيرا ما يقول الحاكي لاي شي حكيت هذه الحكاية فالنبي عليه السلام كان مقصوده تذكير قومه بحال من مضى حتى يمتنعوا من
التكذيب • ويرتدعوا خوفا من التعذيب • فقال في اثناء حكايتهم يا قوم ان تكذبوا فقد كذب قبلكم اقوام واهلكوا فان كذبتم
اخاف عليكم ما جاء على غيركم • وعلى الوجه الاول في الاية مسايل المسئلة الاولى ان قوله فقد كذب امم كيف يفهم
مع ان ابرهيم لم يسبقه الا قوم نوح وهي امة واحدة والجواب عنه من وجهين • الاول ان قبل نوح كان اقوام كقوم
ادريس وقوم شيث وادم • والثاني ان نوحا عاش الفا واكثر • وكان القرن يموت ويجي اولاده • والاباء يوصون الابناء
بالامتناع عن الاتباع • فكفى بقوم نوح امما المسئلة الثانية ما البلاغ وما المبين فنقول البلاغ هو ذكر المسايل
والابانة هو اقامة البرهان عليه المسئلة الثالثة الاية تدل على ان تاخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز لان الرسول
اذا بلغ شيا ولم يبينه ولم يات بالبلاغ المبين فلا يكون اتيا بما عليه • ثم قال تعالى اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم
ثم يعيده ان ذلك على الله يسير لما بين الاصل الاول وهو التوحيد • واشار الى الاصل الثاني وهو الرسالة بقوله وما
على الرسول الا البلاغ • شرع في بيان الاصل الثالث وهو الحشر • وقد ذكرنا مرارا ان الاصول الثلاثة لا يكاد ينفصل
بعضها عن بعض في الذكر الالهي وانما يذكر الله تعالى اثنين يذكر الثالث • وفي الاية مسايل المسئلة الاولى متى راوا
بدء الخلق حتى يقال اولم يروا كيف يبدئ • فنقول المراد العلم الواضح الذي كالروية والعاقل يعلم ان البدء من الله لان الخلق
الاول لا يكون من مخلوق والا لما كان الخلق الاول خلقا اول فهو من الله هذا ان قلنا ان المراد اثبات نفس الخلق • وان قلنا
ان المراد بالبدء خلق الادمي اولا وبالاعادة خلقه ثانيا فنقول العاقل لا يخفى عليه ان خالق نفسه ليس الا قادر حكيم
يصور الاولاد في الارحام ويخلقه من نطفة في غاية الاتقان والاحكام فذلك الذي خلق اولا معلوم ظاهر فاطلق على ذلك
العلم لفظ الروية • وقال اولم يروا اي الم يعلموا علما ظاهرا واضحا كيف يبدئ والله الخلق يخلقه من تراب يجمعه كذلك
يجمع اجزاءه من التراب وينفخ فيه روحه وهو اسهل بالنسبة اليكم • فان من نحت حجارات ووضع شيا بجنب شي فرقها
اخرى فانه يقول وضعها شيا بجنب شي في هذه النوبة اسهل علي لان الحجارات منحوتة معلوم ان ايتها واحدة منها تصلح لان
تكون بجنب الاخرى • وعلى هذا المخرج خرج كلام الله في قوله بل هو اهون واليه الاشارة بقوله ان ذلك على الله يسير
المسئلة الثانية قال اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق علق الروية بالكيفية لا بالخلق وما قال اولم يروا ان الله
خلق او بدا الخلق والكيفية غير معلومة فنقول هذا القدر من الكيفية معلوم وهو انه خلقه ولم يك شيا
مذكورا وانه خلقه من نطفة هي من غذا هي من ماء وتراب • وهذا القدر كاف في حصول العلم بامكان الاعادة فان
الاعادة مثله المسئلة الثالثة قال ثم يعيده ان ذلك على الله يسير ابرازا منه مرة اخرى ولم يقل ان ذلك عليه
يسير كما قال ثم يعيده من غير ابراز فنقول مع اقامة البرهان على انه يسير اكده باظهار اسمه فانه يوجب المعرفة
ايضا بكون ذلك يسيرا فان الانسان اذا سمع لفظ الله وفهم معناه انه الحي القادر بقدرة كاملة لا يعجزه شي العالم
بعلم محيط بذرات كل جسم • نافذ الارادة لما اراده يقطع بجواز الاعادة • ثم قال تعالى قل سيروا في الارض
فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشي النشاة الاخرة الاية المتقدمة كانت اشارة الى العلم الحدسي وهو الحاصل من غير طلب
فقال اولم يروا على سبيل الاستفهام بمعنى استبعاد عدمه فقال في هذه الاية ان لم يحصل لكم هذا العلم فتفكروا في اقطار
الارض لتعلموا بالعلم الفكري • وهذا لان الانسان له مراتب في الادراك يدرك بعضهم شيا من غير تعليم واقامة برهان
له وبعضهم لا يفهم الا باياته • وبعضهم لا يفهمه اصلا فقال ان كنتم لستم من القبيل الاول فسيروا في الارض اي
سيروا افكاركم في الارض واجيلوا اذهانكم في الحوادث الخارجة عن انفسكم لتعلموا بدا الخلق • وفي الاية مسايل
المسئلة الاولى قال في الاية الاولى بلفظ الروية • وفي هذا بلفظ النظر ما الحكمة فيه • فنقول
العلم الحدسي اتم من العلم الفكري كما بينا • والروية اتم من النظر لان النظر يفضي الى الروية • يقال نظرت فرايت
والمفضي الى الشي دون ذلك الشي فقال في الاول لما حصل لكم الروية فانظروا في الارض ليحصل لكم الروية

العاقل لا يخفى عليه ان خالق نفسه ليس الا قادر حكيم

المسئلة الثانية ذكر هذه الاية بصيغة الامر • وفي الاية الاولى بصيغة الاستفهام لان العلم الحدسي حصل فالامر به تحصيل الحاصل وان لم يحصل فلا يحصل بالطلب لان بالطلب يصير الحاصل فكريا فيكون الامر به تكليف ما لا يطاق واما العلم الفكري فهو مقدور فورد الامر به **المسئلة الثالثة** ابرز اسم الله في الاية الاولى في البدء حيث قال كيف يبدئ الله واضمر عند الاعادة • وفي هذه الاية اضمر عند البدء وابرزه عند الاعادة حيث قال ثم الله ينشئ لان في الاية الاولى لم يسبق ذكر الله بفعل حتى يسند اليه البدء فقال كيف يبدئ الله ثم قال ثم يعيده كما يقول القايل ضرب زيد عمرا ثم بكرا ولا يحتاج الى اظهار اسم زيد اكتفاء بالاول • وفي الاية الثانية كان ذكر البدء مسند الى الله فاكتفى به ولم يبرزه كقول القايل اما علمت كيف خرج زيد اسمع مني كيف خرج ولا يظهر اسم زيد • واما اظهاره عند الانشاء ثانيا حيث قال ثم الله ينشئ مع انه كان يكفي ان يقول ثم ينشئ النشاة الاخرة فالحكمة بالغة فهي ما ذكرنا ان مع اقامة البرهان على امكان الاعادة اظهر اسم من يعلم المسمى بصفات كماله • ونعوت جلاله يقطع بجواز الاعادة فقال الله مظهرا مبرزا ليقع في ذهن الانسان من اسمه كمال قدرته وشمول علمه ونفوذ ارادته معترفا بوقوع بدئه وجواز اعادته • فان قيل فلم لم يقل ثم الله يعيده يعني ما ذكرت من الحكمة والفايدة فنقول لوجهين • احدهما ان الله كان مظهرا مبرزا يقرب منه وهو في قوله كيف يبدئ الله الخلق ولم يكن بينهما الا لفظ الخلق واما هاهنا فلم يكن مذكورا عند البدء فاظهره • وثانيهما ان الدليل هاهنا تم على دليل الاعادة لان الدلايل منحصرة في الافاق وفي الانفس كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم • وفي الاية الاولى اشار الى الدليل النفسي الحاصل لدى الانسان من نفسه • وفي الاية الثانية اشار الى الدليل الحاصل من الافاق بقوله قل سيروا في الارض • وعند تم الدليلان • فاكده باظهار اسمه • واما الدليل الاول فاكده بالدليل الثاني فلم يقل ثم الله يعيده **المسئلة الرابعة** في الاية الاولى ذكر بلفظ المستقبل فقال اولم يروا كيف يبدئ وهاهنا بلفظ الماضي فقال فانظروا كيف بدا ولم يقل كيف يبدئ فنقول الدليل الاول هو الدليل النفسي • الموجب العلم الحدسي فهو في كل حال يوجب العلم فقال يبدئ الخلق فقال ان كان ليس لكم علم بان الله في كل حال يبدا خلقا فانظروا الى الاشيا المخلوقة يحصل لكم علم بان الله بدا خلقا ويحصل المطلوب من هذا القدر فانه ينشئ كما بدا ذلك **المسئلة الخامسة** قال في هذه الاية ان الله على كل شي قدير • وقال في الاية الاولى ان ذلك على الله يسير • وفيه فايدتان • احديهما ان الدليل الاول هو الدليل النفسي وهو وان كان موجبه العلم الحدسي التام ولكن عند انضمامه الى دليل الافاق يحصل العلم لان الناظر في نفسه علم بنفسه • وحاجته الى الله ووجوده منه • وبالنظر الى الافاق علم حاجة غيره ووجوده منه فتم علمه بان كل شي من الله فقال عند تمام ذكر الدليلين ان الله على كل شي قدير • وقال عند الدليل الواحد ان ذلك وهو اعادته على الله يسير • الثانية هي انا بينا ان العلم الاول تم وان كان الثاني غيره • وكون الامر يسيرا يعني الفاعل الامر من كونه مقدورا له بدليل ان القايل يقول في حق من يحمل مائة منا انه قادر عليه ولا يقول انه سهل عليه فاذا سئل عن حمل عشرة امنا يقول ان ذلك عليه سهل يسير فنقول قال الله تعالى وان لم يحصل لكم العلم التام بان هذه الامور عند الله سهل يسير فسيروا في الارض لتعلموا انه مقدور • ونفس كونه مقدورا كاف في امكان الاعادة • ثم قال تعالى **يعذب من يشا ويرحم من يشا واليه تقلبون** لما ذكر النشاة الاخرة ذكر ما يكون فيه وهو التعذيب لاهل التكذيب عدلا وحكمة • واثابة اهل الانابة فضلا ورحمة • وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** قدم التعذيب في الذكر على الرحمة مع ان رحمته سابقة كما قال عليه السلام عنه سبقت رحمتي غضبي • فنقول ذلك لوجهين • احدهما ان السابق ذكر الكفار • فذكر العذاب لسبق ذكر مستحقيه بحكم الايعاد • وعقبه بذكر الرحمة • وكما ذكر بعد اثبات الاصل الاول وهو التوحيد • التهديد بقوله وان تكذبوا فقد كذب امم واهلكوا بالتكذيب • كذلك ذكر بعد اثبات الاصل الاخر التهديد بذكر التعذيب • وذكر الرحمة وقع تبعا لئلا يكون العذاب مذكورا وحده • وهذا يحقق قوله عليه السلام سبقت رحمتي غضبي وذلك لان الله حيث كان المقصود ذكر العذاب لم يمحضه في الذكر بل ذكر الرحمة معه **المسئلة الثانية** اذا كان ذكر هذا لتخويف العاصي وتفريح المومن • فلو قال يعذب الكافر ويرحم المومن لكان ادخل في تحصيل المقصود • وقوله يعذب من يشا لا يزجر الكافر لجواز ان يقول لعلي لا اكون ممن يشا الله عذابي فنقول هذا ابلغ في التخويف • وهذا لان الله اثبت بهذا انفاذ مشيئته انه اذا اراد تعذيب شخص فلا يمنعه منه مانع • ثم كان من المعلوم للعباد بحكم الوعد والايعاد انه شا تعذيب اهل العناد فلزم منه الخوف التام بخلاف ما لو قال يعذب العاصي فانه لا يدل على كمال مشيئته لانه لا يفيد انه لو شا عذاب المومن لعذبه • فاذا لم يفد هذا فيقول الكافر اذا لم يحصل مراده في تلك الصورة يمكن ان يحصل في صورة اخرى • ولنضرب له مثلا فنقول اذا قيل ان الملك يقدر على ضرب كل من في بلاده وقال ان من خالفني اضربه

يحصل الخوف التام لمن يخالفه • واذا قيل انه قادر على ضرب المخالفين ولا يقدر على ضرب المطيع فاذا قال من خالفني اضربه يقع في وهم المخالف انه لا يقدر على ضرب فلان المطيع فلا يقدر علي ايضا لكوني مثله • وفي هذا فايدة اخرى وهو الخوف العام والرجا العام لان الامن الكلي من الله يوجب الجراة فيفضي الى صيرورة المطيع عاصيا **المسئلة الثالثة** قال ثم اليه تقلبون مع ان هذه المسئلة قد سبق اثباتها وتقريرها فلم اعادها • فنقول لما ذكر الله التعذيب والرحمة وهما قد يكونان عاجلين فقال تعالى فان تاخر عنكم ذلك فلا تظنوا انه فات • فان اليه ايابكم وعليه حسابكم وعنده يدخر ثوابكم وعقابكم ولهذا قال بعدها وما انتم بمعجزين يعني لا تفوتون الله بل الانقلاب اليه ولا يمكن الانفلات منه • وفي تفسير هذه الاية لطايف • احداها هي ان اعجاز المعذب عن التعذيب • اما بالهرب منه • او بالثبات له والمقاومة معه للدفع • وذكر الله القسمين فقال وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السما يعني بالهرب لو صعد ثم الى محل السماك في السما او هبط الى موضع السموك في الما لا تخرجوا من قبضة قدرة الله فلا مطمع في الاعجاز بالهرب • واما بالثبات فكذلك لان الاعجاز اما ان يكون بالاستناد الى ركن شديد يشفع ولا يمكن المعذب مخالفته فيفوته المعذب ويعجز عنه او بالانتصار بقوم تقوم معه للدفع • وكلاهما محال فانكم ما لكم من دون الله ولي يشفع • ولا نصير يدفع • فلا اعجاز لا بالهرب ولا بالثبات • الثانية قال وما انتم بمعجزين ولم يقل لا تعجزون بصيغة الفعل وذلك لان نفي الفعل لا يدل على نفي الصلاحية • فان من قال ان فلانا لا يخيط لا يدل على ما يدل عليه انه ليس بخيط • الثالثة قدم الارض على السما والولي على النصير لان هربهم الممكن في الارض فان كان يقع منهم هرب يكون في الارض • ثم ان فرضنا لهم قدرة غير ذلك فيكون لهم صعود في السماء • واما الدفع فان العاقل ما امكنه الدفع باجمل الطرق لا يرتقي الى غيره • والشفاعة اجمل ولان ما من احد في الشاهد الا ويكون له شفيع يتكلم في حقه عند ملك • ولا يكون لكل احد يكون له ناصر يعادي الملك لاجله • ثم قال تعالى **الذين كفروا بايات الله ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي** لما بين الاصلين • التوحيد والاعادة وقررهما بالبرهان وهدد من خالفه على سبيل التفصيل وقال • والذين كفروا بايات الله ولقائه اشارة الى الكافر بالله فان لله في كل شي اية دالة على وحدانيته فاذا اشرك كفر بايات الله واشارة الى المنكر للحشر فان من انكره كفر بلقا الله فقال اولئك يئسوا من رحمتي لما اشركوا اخرجوا انفسهم من محال الرحمة لان من يكون له جهة واحدة لا غير يرحم ومن يكون له جهات متعددة لا يبقى محلا للرحمة فاذا جاوا لهم الهة لم يعترفوا بالحاجة الى طريق متعين فيئسوا من رحمة الله • ولما انكروا الحشر وقالوا لا عذاب فناسب تعذيبهم تحقيقا للامر عليهم وهذا كما ان الملك اذا قال اعذب من يخالفني فانكره من كان بعيدا عنه وقال هو لا يصل الي فاذا احضره بين يديه يحسن منه ان يعذبه ويقول هل قدرت وهل عذبتك ام لا فاذن تبين ان عدم الرحمة يناسب الاشراك والعذاب الاليم مناسب لانكار الحشر • ثم ان في الاية فوايد • احداها قوله اولئك يئسوا حتى يكون منبيا عن حصر الياس فيهم وقال ايضا اولئك لهم عذاب اليم كذلك • ولو قال اولئك الذين كفروا بايات الله ولقائه يئسوا من رحمتي ولهم عذاب اليم ما كان يحصل هذه الفايدة • فان قال القايل لو اكتفى بقوله اولئك مرة واحدة كان يكفي في افادة ما ذكرتم • قلنا لا وذلك لانه لو قال اولئك يئسوا ولهم عذاب كان يذهب وهم احد الى ان هذا المجموع منحصر فيهم فلا يوجد المجموع الا فيهم وكل واحد منهما وحده يمكن ان يوجد في غيرهم • فاذا قال اولئك يئسوا واولئك لهم عذاب افاد ان كل واحد لا يوجد الا فيهم • الثانية عند ذكر الرحمة اضافها الى نفسه فقال رحمتي • وعند العذاب لم يضفه لسبق رحمته واعلاما لعباده بعمومها لهم ولزومها له • الثالثة اضاف الياس اليهم بقوله اولئك يئسوا اخر منها عليهم ولو طمعوا لاتيحتها لهم ولو قال قايل ما ذكرتم من مقابلة الامرين وهما الياس والعذاب بامرين وهما الكفر بالايات والكفر باللقاء يقتضي ان لا يكون العذاب الاليم لمن كفر بالله واعترف بالحشر ولا يكون الياس لمن كفر بالحشر وآمن بالله فنقول معنى الاية انهم يئسوا ولهم عذاب زايد بسبب كفرهم بالحشر ولا شك ان التعذيب بسبب الكفر بالحشر لا يكون الا للكافر بالحشر لا يكون مومنا بالله لان الايمان بالله لا يصح الا اذا صدقه فيما قاله • والحشر من جملة ذلك • ثم قال تعالى **فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات لقوم يومنون** لما اتى ابرهيم عليه السلام ببيان الاصول الثلاثة واقام البرهان عليه نفى الامر من جانبهم • اما الاجابة او الاتيان بما يصلح ان يكون جوابا عنه • فلم ياتوا الا بقولهم اقتلوه او حرقوه • وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** كيف سمي قولهم اقتلوه جوابا مع انه ليس بجواب فنقول الجواب عنه من وجهين • احدهما انه خرج منهم مخرج كلام المتكبر كما يقول الملك لرسول خصمه جوابكم السيف مع ان السيف ليس بجواب وانما معناه لا اقابل بالجواب وانما اقابل بالسيف • فكذلك قالوا لا نجيبوا عن براهينه • واقتلوه او حرقوه • الثاني هو ان الله اراد بيان ضلالتهم وهو انهم ذكروا في معرض الجواب • هذا مع انه ليس بجواب • فتبين انه لم يكن لهم جواب اصلا وذلك لان من لا يجيب غيره ويسكت يعلم انه لا يقدر على الجواب لجواز ان يكون سكوته لعدم الالتفات • اما اذا اجاب

ولما انكروا الحشر وقالوا لا عذاب فناسب تعذيبهم تحقيقا

بجواب فاستدعلم انه قصد الجواب وما قدر عليه **المسئلة الثانية** القايلون الذين قالوا اقتلوه هم قومه • والمامورون
بقولهم ايضا اقتلوه هم • فيكون الامر نفس المامور • فنقول الجواب عنه من وجهين • الاول ان كل واحد منهم قال لمن عداه اقتلوه
فحصل الامر من كل واحد • وصار المامور كل واحد ولا اتحاد لان كل احد امر غيره • وثانيهما هو ان الجواب لا يكون الا من الاكابر
والروسا • فاذا قال الاعيان كلاما • يقال اتفق اهل البلدة على هذا ولا يلتفت الى قول العبيد والاراذل فكان جواب
قومه وهم الروسا ان قالوا والاتباع عصوا واغواهم اقتلوه لان الجواب لا يباشره الا الاتباع **المسئلة الثالثة** او تدل على التردد
بين امرين • الثاني منهما ينفك عن الاول • كما يقال زوج او فرد • ويقال هذا انسان او حيوان يعني ان لم يكن انسانا
فهو حيوان • ولا يصح ان يقال هذا حيوان او انسان اذ يفهم منه انه يقول هو حيوان • فان لم يكن حيوانا فهو انسان
وهو محال لان التحريق مشتمل على القتل • فقوله اقتلوه او حرقوه كقول القائل حيوان او انسان الجواب عنه من وجهين
احدهما ان الاستعمال على خلاف ما ذكر شايع ويكون مستعملا في موضع بل كما يقول القائل اعطه دينارا او دينارين • وكما
يقول القايل اعطه دينارا بل دينارين قال الله تعالى قم الليل الا قليلا • نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه فكذلك
ههنا قال اقتلوه او حرقوه وزيدوا على القتل او حرقوه الجواب الثاني هو انا نسلم ما ذكرتم • والامر ههنا
كذلك • لان التحريق مفض الى القتل وقد يتخلف عنه القتل • فان من لقي غيره في النار حتى يحترق جلده باسره واخرج
منها حيا يصح ان يقال احترق فلان واحرقه فلان وما مات فكذلك ههنا قالوا اقتلوه ولا تعجلوا قتله وعذبوه بالنار
فان ترك مقالته فخلوا سبيله وان اصر فخلوا في النار مقيله • ثم قال تعالى **فانجاه الله من النار** اختلف العقلاء في
كيفية الانجا • بعضهم قال برد النار وهو الاصح الموافق لقوله تعالى يا نار كوني بردا • وبعضهم قال خلق في ابرهيم كيفية
استبرد معها النار • وقال بعضهم ترك ابرهيم على ما هو عليه والنار على ما كانت عليه ومنع اذى النار عنه • والكل ممكن والله
قادر عليه • وانكر بعض الاطبا الكل • اما سلب الحرارة عن النار • قالوا الحرارة في النار ذاتية كالزوجية في الاربعة
لا يمكن ان تفارقها • واما خلق كيفية تستبرد النار • فلان المزاج الانساني له طرفا تفريط وافراط ان خرج عنهما لا يبقى
انسانا ولا يعيش مثلا ان كان المزاج البارد فيه عشرة اجزا تكون انسانا • فان صار احدى عشر لا يكون انسانا • وان
صارت الاجزا البارده خمسه يبقى انسانا • فان صارت اربعة لا يصير انسانا لكن البرودة التي يستبرد معها النار مزاج
السمندر • فلو حصل في الانسان لمات • او لكان ذلك فان النفس تابعة للمزاج • واما الثالث فمحال ان يكون القطنة
في النار والنار كما هي ولا تحترق • فنقول الاية رد عليهم والعقل موافق للنقل • اما الاول فلوجهين • احدهما
ان الحرارة في النار تقبل الاشتداد والضعف • فان النار في الفحم اذا نفخ فيه يشتد حتى يذيب الحديد وان لم ينفخ
لا يشتد لكن الضعف هو عدم بعض الحرارة التي تكون في النار • واذا امكن عدم البعض جاز عدم بعض اخر من
ذلك • وعليها الى حد لا يؤذي الانسان ولا كذلك الزوجية فانها لا تشتد ولا تضعف • والثاني هو ان في
اصول الطب ذكر ان النار لها كيفية حارة كما ان الماء له كيفية باردة لكن راينا الماء تزول عنه البرودة وهو ما وكذلك يجوز ان
النار تزول عنها الحرارة وتبقى نارا هو نور غير محرق • واما الثاني فايضا ممكن • وقولهم مدفوع من وجهين • احدهما
منع اصلهم من كون النفس تابعة للمزاج بل الله قادر على ان يخلق النفس الانسانية في المزاج الذي مثل مزاج الجمد
وثانيهما ان نقول على اصلكم لا يلزم المحال لان الكيفية التي ذكرناها تكون في ظاهر الجلد كالاجزا الرئيسية عليه
ولا يتادى الى القلب والاعضا الرئيسة • الا ترى اذا مس الانسان الجمد زمانا ثم مس جمرة نار لا تؤثر النار في
احراق يده مثل ما تؤثر في احراق يد من اخرج يده من جيبه • ولهذا تحترق يده قبل يد هذا • فاذا جاز وجود
كيفية في ظاهر جلد الانسان يمنع تاثير النار فيه بالاحراق زمانا • فيجوز ان تتجدد تلك الكيفية لحظة
فلحظة حتى لا يحترق • واما الثالث فمجرد استبعاد بان عدم الاعتياد • ونحن نسلم ان ذلك غير معتاد لانه
معجز والمعجز ينبغي ان يكون خارقا للعادة • ثم قال تعالى **ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون** يعني
في انجائه من النار لايات • وههنا مسايل **المسئلة الاولى** قال في انجا نوح واصحاب السفينة جعلناها
اية وقال ههنا لايات بالجمع لان الانجا بالسفينة شي يسع له العقول فلم يكن فيه من الاية الا بسبب اعلام
الله اياه بالاتخاذ وقت الحاجة فانه لولاه لما اتخذه لعدم حصول علمه بما في الغيب • وبسبب ان الله صان
السفينة عن المهلكات كالرياح العاصفة • واما الانجا من النار فعجيب فقال فيه ايات **المسئلة الثانية**
قال هناك اية للعالمين وقال ههنا لقوم يؤمنون • خص الايات بالمؤمنين لان السفينة بقيت اعواما حتى
مر عليها الناس وراوها فحصل العلم بها لكل احد • واما تبريد النار لم يبق فلم يظهر بعده الا بطريق الايمان به
والتصديق • وفيه لطيفة وهي ان الله لما برد النار على ابرهيم بسبب اهتدايه في نفسه • وهداية لابناء جنسه

الا الاكابر والقتل لا يباشره

وقال

وقد قال الله للمؤمنين ان لهم اسوة في ابرهيم فحصل للمؤمنين بشارة بان الله يبرد عنهم النار يوم القيمة فقال ان في ذلك
التبريد لايات لقوم يؤمنون **المسئلة الثالثة** قال هناك جعلناها وما قال ههنا جعلناه لان السفينة ما صارت
اية في نفسها • ولو لا خلق الله الطوفان لبقي فعل نوح سفها فالله تعالى جعل السفينة بعد وجودها اية • واما تبريد
النار في نفسه اية اذا وجدت لا تحتاج الى امر اخر كخلق الطوفان حتى يصير اية • ثم قال تعالى **وقال انما اتخذتم من دون
الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا** لما خرج ابرهيم من النار عاد الى عذل الكفار وبيان فساد ما هم عليه فقال
انا بينت لكم فساد مذهبكم وما كان لكم جواب • ولا ترجعون عنه فليس هذا الا تقليدا فان بين بعضكم وبعض مودة فلا يريد
احدكم يفارق صاحبه في السيرة والطريقة او بينكم وبين ابائكم مودة فوددتموهم واخذتم مقالتهم • ولزمتم ضلالتهم
وجهالتهم • فقوله انما اتخذتم مودة بينكم يعني ليس بدليل الصلاة • وفيه وجه اخر وهو تحقيق دقيق وهو ان يقال قوله
انما اتخذتم مودة بينكم اي مودة بين الاوثان وبين عبدته وتلك المودة هي ان الانسان مشتمل على جسم وعقل ولجسمه لذات
جسمية ولعقله لذات عقلية • ثم ان غلبت فيه الجسمية لا يلتفت الى اللذات العقلية • ومن غلب عليه العقل لا يلتفت الى
اللذات الجسمانية كالمجنون اذا احتاج الى قضا حاجة من اكل او شرب او اراقة ما وهو بين قوم من الاكابر في مجمع
يحصل ما فيه لذة جسمية من الاكل واراقة الما وغيرهما • ولا يلتفت الى اللذة العقلية من حسن السيرة وحميد الاوصاف
ومكرمة الاخلاق • والعاقل يحمل الالم الجسماني ويحصل اللذة العقلية حتى لو غلبت قوته الدافعة على قوته الماسكة
وخرج منه ريح او قطرة ما يكاد يموت من الخجالة والالم العقلي اذا ثبت هذا فهم كانوا قليلي العقل غلبت الجسمية
عليهم فلم يتسع عقلهم لمعبود يكون فوقهم وتحتهم ويمينهم ويسارهم وقدامهم وورائهم ولا يكون جسما من الاجسام
ولا شيئا يدخل في الاوهام • وراوا الاجسام المناسبة للغالب فيهم مرتبة الجوار فودوها فاتخاذهم الاوثان كان مودة
بينهم وبين الاوثان • ثم قال تعالى **ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض** يعني تزول عمى القلب ويتبين الامور
اللبيب بكفر بعضكم ببعض ويعلم فساد ما كان عليه • فيقول العابد ما هذا معبودي • ويقول المعبود ما هؤلا عبدوني
ويلعن بعضكم بعضا • يقول هذا لذاك انت اوقعتني في العذاب حيث عبدتني • ويقول ذاك لهذا انت اوقعتني فيه حيث
اضللتني بعبادتك • ويريد كل واحد ان يبعد صاحبه باللعن فلا يتباعدون بل هم مجتمعون في النار كما كانوا مجتمعين في هذه
الدار كما قال تعالى وما واكم النار وما لكم من ناصرين يعني ليس تلك النار مثل ناركم التي انجى الله منها ابرهيم ونصره
وانتم فلا ناصر لكم • وههنا مسايل **المسئلة الاولى** قال قبل هذا وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير على لفظ الواحد • وقال ههنا على لفظ الجمع وما لكم من ناصرين • والحكمة فيه انهم لما ارادوا احراق ابرهيم
عليه السلام قالوا نحن ننصر الهتنا كما حكى الله تعالى عنهم حرقوه وانصروا الهتكم فقال انتم ادعيتم ان لهؤلا ناصرين فما لكم
كلكم اي الاوثان وعبدتها من ناصرين • واما هناك ما سبق منهم دعوى النصر فنفى الجنس بقوله ولا نصير **المسئلة الثانية**
قال هناك ما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وما ذكر الولي ههنا • فنقول قد بينا ان المراد بالولي الشفيع يعني ليس لكم شافع
ولا نصير دافع • وههنا لما كان الخطاب دخل الاوثان فيه اي ما لكم كلكم لم يقل شفيع لانهم كانوا معترفين بان كلهم ليس لهم
شافع لانهم كانوا يدعون ان الهتهم شفعا كما قال تعالى عنهم هؤلاء شفعاؤنا • والشفيع لا يكون له شفيع فما نفى عنهم
الشفيع لعدم الحاجة الى نفيه لاعترافهم به • واما هناك كان الكلام منهم وهم كانوا يدعون لانفسهم شفعا فنفى
المسئلة الثالثة قال هناك ما لكم من دون الله فذكر على معنى الاستثنا • وفهم ان لهم ناصرا ووليا هو الله وليس
لهم غيره ولي ولا ناصر وقال ههنا ما لكم من ناصرين من غير استثنا • فنقول كان ذلك واردا على انهم في الدنيا فقال لهم
في الدنيا انكم لا تظنوا انكم تعجزون الله فما لكم احد ينصركم ان تنتم فهو ناصر معد متى اردتم استنصرتموه بالتوبة وهذا
يوم القيمة كما قال تعالى ثم يوم القيمة وعدم الناصر عام لان التوبة في ذلك اليوم لا تقبل فسوا تابوا او لم يتوبوا
لا ينصرهم الله ولا ناصر لهم غيره فلا ناصر لهم مطلقا • ثم قال تعالى **فامن له لوط** يعني لما راى لوط معجزته امن وقال
ابرهيم اني مهاجر الى ربي اي حيث امرني ربي بالتوجه اليه انه هو العزيز الحكيم • عزيز يمنع اعداي عن ايذاي بعزته • وحكيم
لا يامرني الا بما يوافق كمال حكمته • وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** قوله فامن له لوط اي بعدما راى منه
المعجز القاهر • ودرجة لوط كانت عالية وبقاوه الى هذا الوقت مما ينقص من الدرجة • الا ترى ان ابا بكر رضي الله
عنه لما قبل دين محمد وكان نير القلب قبله قبل الكل من غير سماع تكلم الحصى ولا رؤية انشقاق القمر فنقول ان لوطا
لما راى معجزته امن برسالته وامن بالوحدانية فامن حيث سمع حسن مقالته واليه اشار بقوله فامن له لوط وما قال
فامن لوط **المسئلة الثانية** ما تعلق قوله اني مهاجر الى ربي بما تقدم • فنقول لما بالغ ابرهيم في الارشاد ولم يهتد
قومه وحصل الياس الكلي وحيث راى القوم الاية الكبرى ولم يؤمنوا وجبت المهاجرة لان الهادي اذا هدى قومه ولم

يتم المقطع

والحكمة فيه انهم لما ارادوا احراق ابرهيم عليه السلام

ولم ينتفعوا ببقائه فيهم مفسدة لانه ان دام على الارشاد كان اشتغالا بما لا ينتفع به مع علمه فيصير كمن يقول للحجر صدق
وهو عبث او يسكت والسكوت دليل الرضا فيقال بانه صار منا ورضي بافعالنا واذا لم يبق الا الاقامة وجبت
المهاجرة المسئلة الثالثة قال مهاجر الى ربي ولم يقل مهاجر الى حيث امرني ربي مع ان المهاجرة الى الرب توهم
الجهة فنقول قوله مهاجر الى حيث امرني ليس في الاخلاص كقوله الى ربي لان الملك اذا صدر منه امر برواح الاجناد
الى الموضع الفلاني ثم ان واحدا منهم سار اليه لغرض نفسه فقد هاجر الى حيث امره الملك ولكن لا مخلصا لوجهه فقال
مهاجر الى ربي يعني توجهي الى الجهة المامور بالهجرة اليه ليس طلبا للجهة انما هو طلب لله ثم قال تعالى ووهبنا
له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب قد ذكرنا في تفسير قوله تعالى لنكفرن عنهم سيئاتهم
ولنجزينهم ان رحمة الله تعالى في امرين في الامان عن سوء العذاب والاعطاء بحسن الثواب وهو واصل الى المؤمن
في الدار الآخرة قطعا بحكم وعد الله تعالى نفي العذاب عنه لنفيه الشرك واثبات الثواب لاثباته الواحد ولكن هذا
ليس بواجب الحصول في الدنيا فان كثيرا ما يكون الكافر في رغد والمؤمن جائع في يومه يتفكر في امر غده لكنهما مطلوبان
في الدنيا اما دفع العذاب العاجل فلانه ورد في دعاء النبي عليه الصلاة والسلام قوله وقنا عذاب الفقر والنار فعذاب
الفقر اشارة الى العذاب العاجل واما الثواب ففي قوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة واذا علم
هذا فنقول ان ابرهيم عليه السلام لما اتى بايمان التوحيد ولا دفع الله عنه عذاب الدنيا وهو عذاب النار ولما
اتى به مرة بعد مرة مع اصرار القوم على التكذيب واضرارهم به بالتعذيب اعطاه الخير الآخر وهو الثواب العاجل
وعدده عليه بقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب وفي الآية لطيفة وهي ان الله بدل جميع احوال ابرهيم في الدنيا باضدادها
لما اراد القوم تعذيبه بالنار وكان وحيدا فريدا فبدل وحدته بالكثرة حتى ملأ الدنيا من ذريته ولما كان اولا قومه
واقاربه القريبة ضالين مضلين من جملتهم آزر بدل الله اقاربه باقارب مهتدين هادين وهم ذريته الذين جعل فيهم
النبوة والكتاب وكان اولا لا جاه له ولا مال وهما غاية اللذة الدنياوية آتاه الله اجره من المال والجاه وكثر ماله
حتى كان له من المواشي ما علم الله عدده حتى قيل انه كان له اثنا عشر الف كلب حارس باطواق ذهب واما الجاه فصار بحيث
تقرن الصلاة عليه بالصلاة على سائر الانبياء الى يوم القيمة فصار معروفا بشيخ المرسلين بعد ان كان خاملا حتى قال
قائلهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم وهذا الكلام لا يقال الا في مجهول بين الناس ثم ان الله تعالى قال
وانه في الآخرة لمن الصالحين يعني ليس هذا في الدنيا فحسب كما يكون لمن قدم له ثواب حسناته واملى له استدراجا
ليكثر من سيئاته بل هذا له عجالة وله في الآخرة ثواب الدلالة والرسالة وهو كونه من الصالحين فان كون العبد
صالحا اعلى مراتب لما بينا ان الصالح هو الباقي على ما ينبغي يقال الطعام بعد صالح اي هو باق على ما ينبغي ومن
بقي على ما ينبغي لا يكون له عذاب ويكون له كل ما يريد من حسن ثواب وفي الآية مسئلتان المسئلة الاولى ان اسمعيل
كان من اولاده الصالحين وكان قد اسلم لامر الله بالذبح وانقاد لحكم الله فلم لم يذكر فنقول هو مذكور في قوله وجعلنا
في ذريته النبوة ولكن لم يصرح باسمه لانه بين فضله معه بهبة الاولاد والاحفاد فذكر من الاولاد واحدا هو
الاكبر ومن الاحفاد واحدا وهو الاظهر كما يقول القائل ان السلطان في خدمته الملوك والامراء الملك الفلاني
والامير الفلاني ولا يعدد الكل لان ذكر ذلك الواحد لبيان الجنس لا لخصوصه ولو ذكر غيره لفهم منه التعديد
واستيعاب الكل بالذكر فيظن انه ليس معه غير المذكورين المسئلة الثانية الله تعالى جعل في ذريته النبوة
اجابة لدعائه والوالد يستحب منه ان يسوي بين ولده فكيف صارت النبوة في اولاد اسحق اكثر من النبوة في
اولاد اسمعيل فنقول الله تعالى قسم الزمان من وقت ابرهيم الى القيمة قسمين والناس جميعين فالقسم الاول
من الزمان بعث الله تعالى فيه انبياء فيهم فضائل جمة وجاؤا تترى واحدا بعد واحد ومجتمعين في عصر واحد كلهم
من ورثة اسحق عليهم السلام ثم في القسم الثاني من الزمان اخرج من ذريته ولده الآخر وهو اسمعيل واحدا جمع فيه
ما كان فيهم وارسله الى كافة الخلق وهو محمد عليه السلام وجعله خاتم النبيين وقد دام الخلق على دين اولاد اسحق
اكثر من اربعة الاف سنة فلا يبعد ان يبقى الخلق على دين ذرية اسمعيل مثل ذلك المقدار قوله تعالى ولوطا
اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة الاعراب في لوط والتفسير كما ذكرنا في قوله وابرهيم اذ قال لقومه
وها هنا مسائل المسئلة الاولى قال ابرهيم لقومه اعبدوا الله وقال عن لوط ها هنا انه قال لقومه
انكم لتاتون الفاحشة فنقول لما ذكر الله لوطا عند ذكر ابرهيم كان لوط في زمان ابرهيم لم يذكر من لوط انه امر قومه
بالتوحيد مع ان الرسول لا بد من ان يقول ذلك فنقول حكاية لوط وغيرها ها هنا ذكرها الله على سبيل الاختصار
فاقتصر على ما اختص به لوط وهو المنع من الفاحشة ولم يذكر عنه الامر بالتوحيد وان كان قاله في موضع آخر

حيث قال

حيث قال اعبدوا الله ما لكم من اله غيره لان ذلك كان قد اتى به ابرهيم وسبقه فصار كالمختص به ولوط يبلغ ذلك من
ابرهيم واما المنع من عمل قوم لوط كان مختصا بلوط فان ابرهيم لم يظهر ذلك ولم يمنعهم منه فذكر كل واحد بما اختص
به وسبق به غيره المسئلة الثانية لم سمي ذلك الفعل فاحشة فنقول الفاحشة هو القبيح الظاهر قبحه
ثم ان الشهوة والغضب صفتا قبح لولا المصلحة ما كان يخلقهما الله في الانسان فمصلحة الشهوة الفرجية هي بقاء النوع
بتوليد الشخص وهذه المصلحة لا تحصل الا بوجود الولد وبقائه بعد الاب فانه لو وجد ومات قبل الاب كان يفني النوع
بفناء القرن الاول لكن الزنا قضاء شهوة ولا يفضي الى بقاء النوع لانا بينا ان البقاء بالوجود وبقاء الولد بعد الاب لكن الزنا
وان كان يفضي الى وجود الولد ولكن لا يفضي الى بقائه لان المياه اذا اشتركت لا يعرف الوالد ولده فلا يقوم بتربيته
والانفاق عليه فيضيع ويهلك فلا تحصل مصلحة البقاء فاذن الزنا شهوة قبيحة خالية عن المصلحة التي لاجلها خلقت
فهو قبيح ظاهر قبحه حيث لا تكون به المصلحة فهو فاحشة واذا كان الزنا فاحشة مع انه يفضي الى وجود الولد ولكن
لا يفضي الى بقائه فاللواطة التي لا تفضي الى وجوده اولى ان تكون فاحشة المسئلة الثالثة الآية دالة على وجوب
الحد في اللواطة لانها مع الزنا اشتركت في كونهما فاحشة حيث قال تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة واشتراكهما
في الفاحشة يوجب الزجر عنه فما شرع زاجرا هناك شرع زاجرا ها هنا وهذا وان كان قياسا الا ان جامعه مستفاد من الآية
ووجه آخر وهو ان الله تعالى جعل عذاب من اتى بها امطار الحجارة حيث امطر عليهم حجارة عاجلا فوجب ان يعذب من اتى به بامطار
الحجارة عاجلا وهو الرجم قوله تعالى ما سبقكم بها من احد من العالمين يحتمل وجهين احدهما ان قبلهم لم يات
احد بهذا القبيح وهذا ظاهر والثاني ان قبلهم ربما اتى به واحد في الندرة لكنهم بالغوا فيه فقال لهم ما سبقكم بها من احد
كما يقال ان فلانا سبق البخلاء في البخل وسبق اللئام في اللوم اذا زاد عليهم ثم قال تعالى أئنكم لتاتون الرجال
وتقطعون السبيل بيانا لما ذكرنا يعني تقضون الشهوة بالرجال مع قطع السبيل المعتاد مع النساء المشتمل على المصلحة
التي هي بقاء النوع حتى يظهر انه قبيح لم يستر قبحه مصلحة وحينئذ يصير هذا كقوله تعالى اتاتون الرجال شهوة من دون النساء
يعني ان اتيان النساء شهوة قبيحة مستورة بالمصلحة فذلك دافع لحاجتكم لا فاحشة فيه وتتركونه وتاتون الرجال شهوة مع الفاحشة
وقوله وتاتون في ناديكم المنكر يعني ما كفاكم قبح فعلكم حتى تضمون اليه قبح الاظهار قوله تعالى فما كان جواب
قومه الا ان قالوا في التفسير كقوله في قصة ابرهيم وما كان جواب قومه وفي الآية مسائل المسئلة الاولى قال قوم ابرهيم
اقتلوه او حرقوه وقال قوم لوط ائتنا بعذاب الله وما هددوه مع ان ابرهيم كان اعظم من لوط فان لوطا كان من قومه
فنقول ابرهيم كان يقدح في دينهم ويشتم آلهتهم بتعديد صفات نقصهم بقوله لا يسمع ولا يبصر ولا يغني والقدح في الدين صعب
فجعلوا جزاءه القتل والتحريق ولوط كان ينكر عليهم فعلهم وينسبهم الى ارتكاب المحرم وهم كانوا يقولون ان هذا واجب من الدين
فلم يصعب عليهم مثل ما صعب على قوم ابرهيم قول ابرهيم فقالوا انك تقول ان هذا حرام والله يعذب عليه ونحن نقول لا يعذب
فان كنت صادقا فائتنا بالعذاب فان قيل ان الله تعالى في مواضع آخر قال فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا فكيف الجمع
فنقول لوط كان ثابتا على الارشاد مكررا عليهم التغيير والنهي والوعيد فقالوا اولا ائتنا ثم لما كثر منه ذلك ولم يسكت عنهم
قالوا اخرجوا ثم ان لوطا لما يئس منهم طلب النصرة من الله وذكرهم بما لا يحب الله فقال انصرني على القوم المفسدين فان
الله لا يحب المفسدين حتى ينجز النصر واعلم ان نبيا من الانبياء ما طلب هلاك قوم الا اذا علم ان عدمهم خير من وجودهم
كما قال نوح انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا يعني المصلحة اما فيهم حالا او بسببهم مآلا ولا مصلحة
فيهم فانهم يضلون في الحال وفي المآل فانهم يوصون الاولاد من صغرهم بالامتناع من الاتباع وكذلك لوط لما رأى
انهم يفسدون في الحال واشتغلوا بما لا يرجى معه منهم ولد صالح يعبد الله فعدمهم صار خيرا فطلب العذاب قوله تعالى
ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين لما دعا لوط على قومه
بقوله رب انصرني استجاب الله دعاءه وامر ملائكته باهلاكهم وارسلهم مبشرين ومنذرين فجاؤا ابرهيم وبشروه بذرية
طيبة وقالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية يعني اهل سدوم وفي الآية لطيفتان احداهما ان الله جعلهم مبشرين
ومنذرين لكن البشارة اثر الرحمة والانذار بالهلاك اثر الغضب ورحمته سبقت غضبه فقدم البشارة على
الانذار وقال لما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى ثم قال انا مهلكوا الثانية حين ذكروا البشرى ما عللوه وقالوا انا
نبشرك لانك رسول او لانك مؤمن او لانك عادل وحين ذكروا الاهلاك عللوا وقالوا ان اهلها كانوا ظالمين لان
ذا الفضل لا يكون فضله لعلة والعادل لا يكون عذابه الا على جرم وفيه مسئلتان المسئلة الاولى لو قال
قائل اي تعلق لهذه البشرى بهذا الانذار نقول لما اراد الله اهلاك قوم وكان فيه اخلاء الارض عن العباد قدم على ذلك
اعلام ابرهيم بانه تعالى يملأ الارض من العباد الصالحين حتى لا يتاسف على اهلاك قوم من ابناء جنسه المسئلة الثانية

ابرهيم كان يقدح في دينهم ويشتم الهتهم

قال في قوم نوح فاخذهم الطوفان • وقد قلت ان في الاشارة الى انهم كانوا على ظلمهم حين اخذهم ولم يقل فاخذهم وكانوا
ظالمين • وهاهنا قال ان اهلها كانوا ظالمين • ولم يقل وانهم ظالمون فنقول لا فرق في الموضعين في كونهم مهلكين وهم
مصرون لكن الاخبار هناك من الله • وعن الماضي حيث قال فاخذهم • فقال اخذهم وهم عند الوقوع في العذاب ظالمون
وهاهنا الاخبار من الملائكة • وعن المستقبل حيث قالوا انا مهلكوا • فالملائكة ذكروا ما يحتاجون اليه في ابانة حسن الامر
من الله بالاهلاك • فقالوا انا مهلكوهم لان الله امرنا وحال ما امرنا به كانوا ظالمين فحسن امر الله عند كل احد • واما
نحن فلا نخبر بما لا حاجة لنا اليه فان الكلام عن الملك بغير اذنه سوء ادب فنحن ما احتجنا الا الى هذا القدر وهو انهم كانوا
ظالمين حيث امرنا الله باهلاكهم بيانا لحسن الامر • واما انهم ظالمون الى وقتنا هذا او يبقون كذلك فلا حاجة لنا اليه
ثم ان ابرهيم لما سمع قولهم قال لهم ان فيها لوطا اشفاقا عليه ليعلم حاله اولان الملائكة لما قالوا انا مهلكوا وكان
ابرهيم يعلم ان الله لا يهلك قوما • وفيهم رسولهم فقال تعجبا ان فيهم لوطا فكيف يهلكون فقالت الملائكة
نحن اعلم بمن فيها يعني نعلم ان لوطا فيهم فننجيه واهله ونهلك الباقين • وهاهنا لطيفة وهو ان الجماعة كانوا اهل
الخير اعني ابرهيم والملائكة وكل واحد كان يزيد على صاحبه في كونه خيرا • اما ابرهيم فلما سمع قول الملائكة انا مهلكوا
اظهر الاشفاق على لوط ونسي نفسه وما بشروه ولم يطير بها فرحا • وقال ان فيها لوطا • ثم ان الملائكة لما رأوا ذلك
منه زادوا عليه وقالوا انك لو ذكرت لوطا وحده نحن ننجيه وننجي معه اهله • ثم استثنوا من الاهل امرأته وقالوا
الا امرأته كانت من الغابرين اي من المهلكين • وفي استعمال الغابر في المهلك وجهان • وذلك لان الغابر لفظ
مشترك في الماضي وفي الباقي • يقال فيما غبر من الزمان اي فيما مضى • ويقال الفعل ماض وغابر اي باق وعلى الوجه
الاول نقول ان ذكر الظالمين سبق في قولهم انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين • ثم جرى ذكر
لوط بتذكير ابرهيم وجواب الملائكة فقالت الملائكة انها من الغابرين اي الماضين ذكرهم لا من الذين نحن فيهم • او
نقول المهلك يفني فيمضي زمانه • والناجي هو الباقي فقالوا انها من الغابرين اي من الراحلين الماضين لا من
الباقين المستمرين • واما على الوجه الثاني فنقول لما قضى الله على القوم بالهلاك كان الكل في الهلاك الا من
ينجي منه فقالوا انا ننجي لوطا واهله • واما امرأته فهي من الباقين في الهلاك • ثم قال تعالى **ولما جاءت
رسلنا لوطا** ثم انهم من عند ابرهيم جاؤا الى لوط على صورة البشر فظنهم بشرا فخاف عليهم من قومه لانهم كانوا
على احسن صورة خلق الله • والقوم كما عرف حالهم فسيء بهم اي جاءه ما ساءه وخاف • ثم عجز عن تدبيرهم فحزن وضاق
بهم ذرعا كناية عن العجز في تدبيرهم قال الزمخشري • يقال طال ذرعه وذراعه للقادر • وضاق للعاجز • وذلك
لان من طال ذراعه يصل الى ما لا يصل اليه قصير الذراع • والاستعمال يحتمل وجها معقولا غير ذلك وهو ان الخوف
والحزن يوجبان انقباض الروح فيتبعه اشتمال القلب عليه فينقبض هو ايضا • والقلب هو المعتبر من الانسان
فكان الانسان انقبض واجتمع وما يكون كذلك يقل ذرعه ومساحته فيضيق • ويقال في الحزن ضاق
ذرعه • والغضب والفرح يوجبان انبساط الروح فينبسط مكانه وهو القلب ويتسع فيقال اتسع ذرعه • ثم
ان الملائكة لما رأوا خوفه في اول الامر وحزنه بسبب تدبيرهم في ثاني الامر قالوا لا تخف علينا ولا تحزن بسبب
التفكر في امرنا • ثم ذكروا ما يوجب زوال الخوف وحزنه فان مجرد قول القائل لا تخف لا يوجب زوال الخوف
فقالوا معرضين بحالهم انا منجوك واهلك وانا منزلون عليهم العذاب حتى يتبين له انهم ملائكة • فيطول ذرعه
ويزول روعه • وفي الآية مسائل **المسئلة الاولى** انه تعالى قال من قبل ولما ان جاءت رسلنا فما الحكمة فيه
فنقول حكمة بالغة وهي ان الواقع في وقت المجيء هناك قول الملائكة انا مهلكوا ولم يكن متصلا بمجيئهم لانهم
بشروا اولا ولبثوا ثم قالوا انا مهلكوا اي فالتأني واللبث بعد المجيء ثم الاخبار بالاهلاك حسن فان من جاء ومعه
خبر هائل يحسن منه ان لا يفاجئ • والواقع هو خوف لوط والمؤمن حين ما يشعر بمضرة يصل بريا من الجناية ينبغي ان يحزن
ويخاف عليه من غير تاخير اذا علم هذا • فقوله هاهنا ولما ان جاءت رسلنا يفيد الاتصال يعني خاف حين المجيء • فان قلت
هذا باطل بما ان هذه الحكاية جاءت في هود وقال ولما ان جاءت رسلنا لوطا من غير ان يقول هناك جاءت • وجاءت حكاية
ابرهيم بصيغة اخرى حيث قال هناك ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى • فنقول هناك قوله جاءت لا يدل الا على
ان قولهم انا ارسلنا كان في وقت المجيء • وقوله ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم دل على ان حزنه كان وقت المجيء
اذا علم هذا فنقول هناك قد حصل ما ذكرنا من المقصود بقوله في حكاية ابرهيم ولقد جاءت رسلنا ابرهيم
بالبشرى • ثم حكى نوعا من الكلام • وتقديم الطعام • ثم قالوا لا تخف ولا تحزن انا ارسلنا الى قوم لوط فحصل
تاخير الانذار • وبقوله في حكاية لوط ولما جاءت رسلنا حصل بيان تعجيل الحزن • واما هاهنا لما قال في قصة ابرهيم

ولما جاءت • وقال في حكاية لوط ولما ان جاءت لما ذكرنا من الفائدة **المسئلة الثانية** قال هاهنا انا منجوك واهلك
وقالوا لابرهيم لننجينه بصيغة الفعل فهل فيه فائدة • قلنا ما من حركة ولا حرف في القرآن الا وفيه فائدة
ثم ان العقول البشرية تدرك بعضها ولا تصل الى اكثرها وما اوتي البشر من العلم الا قليل • والذي يظهر للعقل
ان هناك لما قال لهم ابرهيم ان فيها لوطا وعدوه بالتنجية ووعد الكريم حتم • وهاهنا لما قالوا للوط وكان ذلك
سبق الوعد مرة قالوا انا منجوك اي ذلك واقع منا كقوله تعالى انك ميت لضرورة وقوعه **المسئلة الثالثة**
قولهم لا تخف ولا تحزن لا يناسبه انا منجوك لان خوفه ما كان على نفسه نقول بينهما مناسبة في غاية الحسن وهي
ان لوطا لما خاف عليهم وحزن لاجلهم قالوا له لا تخف علينا ولا تحزن لاجلنا فانا ملائكة ثم قالوا يا لوط خفت علينا
وحزنت لاجلنا نفي مقابلة خوفك وقت الخوف نزيل خوفك وننجيك • وفي مقابلة حزنك نزيل حزنك ولا نتركك تفجع
في اهلك فقالوا انا منجوك واهلك **المسئلة الرابعة** القوم عذبوا بسبب ما صدر منهم من الفاحشة والمرأة
لم يصدر منها تلك فكيف كانت من الغابرين معهم نقول الدال على الشر له نصيب كفاعل الشر كما ان الدال على الخير
كفاعله وهي كانت تدل القوم على ضيوف لوط حتى كانوا يقصدونهم فبالدلالة صارت واحدة منهم • ثم انهم بعد
بشارة لوط بالتنجية ذكروا انهم منزلون على اهل القرية العذاب فقالوا انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء
واختلفوا في ذلك فقال بعضهم حجارة • وقيل نار • وقيل خسف • وعلى هذا فلا يكون عينه من السماء • وانما يكون
الامر بالخسف من السماء او القضاء به من السماء • ثم اعلم ان كلام الملائكة مع لوط جرى على نمط كلامهم مع ابرهيم قدموا البشارة
على الانذار حيث قالوا انا منجوك ثم قالوا انا منزلون على اهل هذه القرية ولم يعللوا التنجية • فقالوا انا منجوك
لانك نبي او عابد • وعللوا الاهلاك بقولهم انهم كانوا قوما يفسقون • وقالوا انما كانوا كما قالوا هناك ان اهلها
كانوا ظالمين • ثم قال تعالى **ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون** اي من القرية فان القرية معلومة • وفيها
الماء الاسود وهي بين القدس والكرك • وفيها مسئلتان **المسئلة الاولى** جعل الله الآية في نوح وابرهيم بالنجاة
حيث قال فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية وقال فانجاه الله من النار ان في ذلك لآيات وجعل هاهنا
الهلاك آية فهل عندك فيه شيء نقول نعم اما في ابرهيم فلان الآية كانت في النجاة لان في ذلك الوقت لم يكن اهلاك
واما في نوح فلان الانجاء من الطوفان الذي علا الجبال باسرها امر عجيب الهي وما به النجاة وهو السفينة كان باقيا والغرق
لم يبق لغيره اثر فجعل الباقي آية • واما هاهنا فنجاة لوط لم تكن بامر يبقى اثره للحس • والهلاك اثره محسوس في البلاد
فجعل الآية الامر الباقي وهو هاهنا البلاد وهناك السفينة • وهاهنا لطيفة وهي ان الله تعالى آية قدرته موجودة في
الانجاء والاهلاك • فذكر من كل باب آية • وقدم آيات الانجاء لانها اثر الرحمة • واخر آيات الاهلاك لانها اثر الغضب
ورحمته سابقة **المسئلة الثانية** قال في السفينة وجعلناها آية ولم يقل بينة • وقال هاهنا آية بينة نقول
لان الانجاء بالسفينة امر يتسع له كل عقل وقد يقع في وهم جاهل ان الانجاء بالسفينة لا يفتقر الى امر آخر • واما الآية هاهنا
الخسف وجعل ديار معمورة عاليها سافلها وهو ليس بمعتاد • وانما ذلك بارادة قادر يخصصه بمكان دون مكان • وفي زمان
دون زمان • فهي بينة لا يمكن للجاهل ان يقول هذا امر يكون كذلك • وكان له ان يقول في السفينة النجاة بها امر يكون كذلك
الى ان يقال له فمن اين علم انه يحتاج اليها ولو دام الماء حتى ينفد زادهم كيف كان يحصل لهم النجاة • ولو سلط الله عليهم الريح
العاصفة كيف يكون احوالهم **المسئلة الثالثة** قال هناك للعالمين وقال هاهنا لقوم يعقلون • قلنا لان السفينة
موجودة في جميع اقطار العالم فعند كل قوم مثال السفينة نوح يتذكرون بها حاله واذا ركبوا يطلبون من الله النجاة ولا يثق
احد بمجرد السفينة بل يكون دائما مرتجف القلب متضرعا الى الله تعالى طالبا للنجاة • واما اثر الهلاك في بلاد لوط ففي موضع
مخصوص لا يطلع عليه الا من يمر بها ويصل اليها ويكون له عقل يعلم ان ذلك من الله المريد بسبب اختصاصه بمكان دون
مكان ووجوده في زمان بعد زمان • ثم قال تعالى **والى مدين اخاهم شعيبا** لما اتم الحكاية الثانية على وجه الاختصار
لفائدة الاعتبار شرع في الثالثة وقال والى مدين اخاهم • واختلف المفسرون في مدين فقال بعضهم انه اسم رجل في
الاصل وحصل له ذرية فاشتهر في القبيلة كتميم وقيس وغيرهما وقال بعضهم اسم ما نسب القوم اليه فاشتهر في القوم
والاول كانه اصح وذلك لان الله تعالى اضاف الماء الى مدين حيث قال • ولما ورد ماء مدين • ولو كان اسما للماء لكانت
الاضافة غير صحيحة او غير حقيقية • والاصل في الاضافة التغاير حقيقة • وقوله اخاهم قيل لان شعيبا كان
منهم نسبا • وفي الآية مسائل **المسئلة الاولى** قال الله في نوح ولقد ارسلنا نوحا الى قومه • قدم نوحا في
الذكر وعرف القوم بالاضافة اليه وكذلك في ابرهيم ولوط • وهاهنا ذكر القوم اولا واضاف اليهم شعيبا
فنقول الاصل في جميع المواضع ان يذكر القوم ثم يذكر رسولهم لان المرسل لا يبعث رسولا الى غير معين وانما يجعل

قدم آية الانجاء لانها اثر الرحمة واخر آية الاهلاك

فقال يا قوم اعبدوا الله

قوم او شخص يحتاجون الى انبائهم من المرسل فيرسل اليهم من يختاره غير ان قوم نوح وابرهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاص ولا نسبة مخصوصة يعرفون بها فعرفوا بالنبي . وقيل قوم نوح وقوم لوط . واما قوم شعيب وهود وصالح فكان لهم نسب معلوم اشتهروا به عند الناس فجرى الكلام على اصله وقال الله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا وقال والى عاد اخاهم هودا **المسئلة الثانية** لم يذكر عن لوط انه امر قومه بالعبادة والتوحيد . وذكر عن شعيب ذلك . قلنا قد ذكرنا ان لوطا كان له قوم وهو كان من قوم ابرهيم وفي زمانه . وابراهيم سبقه بذلك واجتهد فيه حتى اشتهر الامر بالتوحيد عند الخلق من ابرهيم فلم يذكره عن لوط . وانما ذكر عنه ما اختص به من المنع عن الفاحشة وغيرها وان كان هو ايضا يامر بالتوحيد اذ ما من رسول الا ويكون اكثر كلامه في التوحيد . واما شعيب فكان بعد انقراض القوم . فكان هو اصلا ايضا في التوحيد . فبدا به وقال اعبدوا الله **المسئلة الثالثة** الايمان لا يتم الا بالتوحيد . والامر بالعبادة لا يفيده لان من يعبد الله ويعبد غيره فهو مشرك فكيف اقتصر على قوله اعبدوا الله **فنقول** هذا الامر يفيد التوحيد . وذلك لان من يرى غيره يخدم زيدا وعمرو هناك وهو اكبر منه او هو سيد زيد . فاذا وجد يخدم عمرا يفهم منه انه يامره بصرف الخدمة اليه فكذا اذا كان لواحد دينار واحد وهو يريد ان يعطيه زيد . فاذا قيل له اعطه عمرا يفهم منه لا يعطه زيدا . **فنقول** هم كانوا مشتغلين بعبادة غير الله . والله مالك ذلك الغير فقال لهم شعيب اعبدوا الله فهموا منه ترك عبادة غيره او نقول لكل واحد نفس واحدة ويريد وضعها في عبادة غير الله فقال لهم شعيب ضعوها في موضعها وهو عبادة الله . ففهم منه التوحيد . ثم قال **وارجوا اليوم الاخر** قال الزمخشري معناه افعلوا فعل من يكون عاقلا اذ قد يقول العاقل لغيره كن عاقلا ويكون معناه افعل فعل من يكون عاقلا . وقوله وارجوا اليوم الاخر . فيه مسايل **المسئلة الاولى** هذا يدل على صحة مذهبنا . فان عندنا من عبد الله طول عمره يثيبه الله تفضلا ولا يجب عليه ذلك لان العبد قد وصل اليه من النعم ما لو زاد على ما اتى به لما خرج عن عهدة الشكر . ومن شكر المنعم على نعم سبقت لا يلزم المنعم ان يزيده وان زاده يكون احسانا منه اليه وانعاما عليه . **فنقول** قوله وارجوا اليوم الاخر بعد قوله واعبدوا الله يدل على التفضل لا على الوجوب . فان الفضل يرجى والواجب من العادل يقطع به **المسئلة الثانية** قال وارجوا اليوم الاخر ولم يقل وخافوه مع ان ذلك اليوم مخوف عند الكل وغير مرجو عند كثير من الناس لفسقه وفجوره ومحبته الدنيا ولا يرجوه الا قليل من عباده . **فنقول** لما ذكر التوحيد بطريق الاثبات وقال اعبدوا ولم يذكره بطريق النفي . وما قال ولا تعبدوا غيره قال بلفظ الرجا لان عبادة الله يرجى منها الخير في الدارين . وفيه وجه اخر وهو ان الله حكى في حكاية ابرهيم انه قال انكم اتخذتم الاوثان مودة بينكم في الحياة الدنيا واما في الاخرة فتكفرون بها قال ههنا لا تكونوا كالذين سبق ذكرهم لم يرجوا اليوم الاخر . فاقتصروا على مودة الحياة الدنيا وارجوا اليوم الاخر واعملوا له . ثم قال تعالى **ولا تعثوا في الارض مفسدين** كقول القايل اجلس تعود الا ان العيث والفساد بمعنى . وجميع الاوامر والنواهي في قوله اعبدوا الله . وقوله ولا تعثوا . ثم ان قومه كذبوه بعدما بلغ وبين . فحكى الله عنهم ذلك بقوله فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين . وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** ما حكى عن شعيب امر ونهي . والامر لا يصدق ولا يكذب . فان من قال لغيره قم لا يصح ان يقول له كذبت . فنقول كان شعيب يقول الله واحد فاعبدوه والحشر كاين فارجوه . والفساد محرم فلا تقربوه . وهذه الاشيا فيها اخبارات فكذبوه فيما اخبر به **المسئلة الثانية** قال ههنا وفي الاعراف فاخذتهم الرجفة . وقال في هود فاخذتهم الصيحة والحكاية واحدة نقول لا تعارض بينهما فان الصيحة كانت سببا للرجفة . اما الرجفة للارض اذ قيل ان جبريل صاح فتزلزلت الارض من صيحته واما الرجفة للافئدة فان قلوبهم ارتجفت منها . والاضافة الى السبب لا تنافي الاضافة الى سبب السبب اذ يصح ان يقال روي فقوي وان يقال شرب فقوي في صورة واحدة **المسئلة الثانية** حيث قال فاخذتهم الصيحة قال في ديارهم . وحيث قال فاخذتهم الرجفة قال في دارهم . فنقول المراد من الدار هو الديار والاضافة الى الجمع يجوز ان تكون بلفظ الجمع وان تكون بلفظ الواحد اذا امن الالتباس . وانما اختلف اللفظ للطيفة وهي ان الرجفة هايلة في نفسها فلم يحتج الى مهول . واما الصيحة فغيرها هايلة في نفسها لكن تلك الصيحة لما كانت عظيمة حتى احدثت الزلزلة في الارض ذكر الديار بلفظ الجمع حتى تعلم هيبتها . والرجفة بمعنى الزلزلة عظيمة عند كل احد فلم يحتج الى معظم لامرها . وقيل ان الصيحة كانت اعم حيث عمت الارض والجو . والزلزلة لا تكون الا في الارض فذكر الديار هناك غير ان هذا ضعيف لان الدار والديار موضع الجثوم لا موضع الصيحة والرجفة . فهم ما اصبحوا جاثمين الا

في ديارهم

في ديارهم . ثم قال تعالى **وعادا وثمود** اي واهلكنا عادا وثمود لان قوله تعالى فاخذتهم الرجفة دل على الاهلاك وقد تبين لكم من مساكنهم الامر وما تعتبروا منه ثم بين سبب ما جرى عليهم فقال زين لهم الشيطان اعمالهم وصدهم عن السبيل فقوله زين لهم الشيطان اعمالهم يعني عبادتهم لغير الله وصدهم عن السبيل يعني عبادة الله . وكانوا مستبصرين يعني بواسطة الرسل يعني لم يكن لهم في ذلك عذر فان الرسل اوضحوا السبل . ثم قال **وقارون وفرعون وهامان** عطفا عليهم اي واهلكنا قارون وفرعون وهامان . ثم قال **ولقد جاءهم موسى بالبينات** كما قال في عاد وثمود وكانوا مستبصرين اي بالرسل . ثم قال **فاستكبروا** اي عن عبادة الله . وقوله في الارض اشارة الى ما يوضح قلة عقلهم في استكبارهم وذلك لان من في الارض اضعف اقسام المكلفين ومن في السما اقواهم . ثم ان من في السما لا يستكبر على الله وعن عبادته بالعبادة فكيف من في الارض . ثم قال **وما كانوا سابقين** اي ما كانوا يفوتون الله لانا بينا في قوله تعالى وما انتم بمعجزين في الارض ان المراد ان اقطار الارض في قبضة قدرة الله تعالى . ثم قال تعالى **فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا** ذكر الله اربعة اشيا العذاب بالحاصب . وقيل انه كان حجارة محماة تقع على واحد منهم وتنفذ من الجانب الاخر . وفيه اشارة الى النار والعذاب بالصيحة وهو هوا متموج . فان الصوت قيل سببه تموج الهوا ووصوله الى الغشا الذي على منفذ الاذن وهو الصماخ فيقرعه فيحس والعذاب بالخسف وهو الغمر في التراب والعذاب بالاغراق وهو بالما . فحصل العذاب بالعناصر الاربعة . والانسان مركب منها وبها قوامه وبسببها بقاؤه ودوامه . فاذا اراد الله هلاك الانسان جعل ما منه وجوده سببا لعدمه وما به بقاؤه سببا لفنايه . ثم قال **وما كان الله ليظلمهم** يعني لم يظلمهم بالهلاك وانما هم ظلموا انفسهم بالاشراك . وفيه وجه اخر الطف وهو ان الله ما كان يظلمهم اي ما كان يضعهم في غير موضعهم فان موضعهم الكرامة كما قال تعالى ولقد كرمنا بني ادم لكنهم ظلموا انفسهم حيث وضعوها مع شرفهم في عبادة الوثن مع خسته . ثم قال تعالى **مثل الذين اتخذوا من دون الله اوليا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون** لما بين الله تعالى انه اهلك من اشرك عاجلا وكذب وعذب من كذب اجلا ولم ينفعه في الدارين معبوده ولم يدفع عنه ذلك ركوعه وسجوده مثل اتخاذه ذلك معبودا كاتخاذ العنكبوت بيتا لا يجير اويا ولا يريح ثاويا . وفي الاية لطايف نذكرها في مسايل **المسئلة الاولى** ما الحكمة في اختيار هذا المثل من بين ساير الامثال . فنقول فيه وجوه . الاول ان البيت ينبغي ان يكون له امور حايط حايل . وسقف مظل . وباب يغلق وامور ينتفع بها ويرتفق وان لم تكن كذلك فلا بد من احد امرين . اما حايط حايل يمنع من البرد او سقف مظل يدفع عنه الحر فان لم يحصل منهما شي فهو كالبيدا ليس ببيت لكن بيت العنكبوت لا يجنها ولا يكنها . وكذلك المعبود ينبغي ان يكون منه الخلق والرزق وجر المنافع وبه دفع المضار فان لم يجمع الامور فلا اقل من دفع ضر او جر نفع فان من لا يكون كذلك فهو المعدوم بالنسبة اليه سوا فاذا كما لم يحصل للعنكبوت باتخاذ ذلك البيت من معاني البيت شي كذلك الكافر لم يحصل له باتخاذ الاوثان اوليا من معاني الاوليا شي . الثاني هو ان اقل درجات البيت ان يكون للظل فان يكون البيت من الحجر يفيد الاستظلال ويدفع ايضا الهوا والما والنار والتراب . والبيت من الخشب يفيد الاستظلال ويدفع الحر والبرد ولا يدفع الهوا القوي ولا الما ولا النار والخيمة التي هي بيت من الشعر او الخيمة التي من ثوب ان كان لا تدفع شيا فتظل وتدفع حر الشمس لكن بيت العنكبوت لا يظل فان الشمس بشعاعها تنفذ فيه . وكذلك المعبود اعلى درجاته ان يكون نافذ الامر في الغير فان لم يكن كذلك فيكون نافذ الامر في العابد فان لم يكن فلا اقل من ان لا ينفذ امر العابد فيه لكن معبودهم تحت تسخيرهم ان ارادوا اجلوه وان احبوا اذلوه . الثالث ادنى مراتب البيت ان لم يكن سبب ثبات وارتفاق لا يصير سبب شتات وافتراق لكن بيت العنكبوت يصير سبب انزعاج العنكبوت . فان العنكبوت لو دام في زاوية مدة لا تصيد ولا يخرج منها فاذا نسج على نفسه واتخذ بيتا يتبعه صاحب الملك بتنظيف البيت منه والمسح بالمسوح الخشنة المؤذية لجسم العنكبوت فكذلك العابد بسبب العبادة ينبغي ان يستحق الثواب فان لم يستحقه فلا اقل من ان لا يستحق بسببها العذاب . والكافر يستحق بسبب العبادة العقاب **المسئلة الثانية** مثل الله اتخاذهم الاوثان اوليا باتخاذ العنكبوت نسجه بيتا ولم يمثله بنسجه وذلك لوجهين . احدهما ان نسجه فيه فايدة له لولاه لما حصل وهو اصطياده الذباب به من غير ان يفوته ما هو اعظم منه واتخاذهم الاوثان وان كان يفيدهم ما هو اقل من الذباب من متاع الدنيا لكن يفوتهم ما هو اعظم منها وهو الدار الاخرة التي هي خير وابقى فليس اتخاذهم كنسج العنكبوت . الوجه الثاني هو ان نسجه مفيد لكن اتخاذه ذلك بيتا امر باطل فكذلك هم لو اتخذوا الاوثان دلايل على وجود الاله وصفات كماله . وبراهين على نعوت كبريايه واوصاف جلاله لكان حكمة لكنهم اتخذوها اوليا كما اتخذ العنكبوت النسج بيتا وكلاهما باطل **المسئلة الثالثة** كما ان هذا المثل صحيح في الاول فهو صحيح في الاخر . فان بيت العنكبوت اذا هبت ريح لا يرى منه عين ولا اثر بل يصير هبا منثورا فكذلك اعمالهم

المعبود ينبغي ان يكون منه الخلق والرزق

للاوثان كما قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا المسئلة الرابعة قال مثل الذين اتخذوا من
دون الله اولياء ولم يقل الهة اشارة الى ابطال الشرك الخفي فان من عبد الله تعالى رياء لغيره فقد اتخذ وليا غيره فمثله مثل
العنكبوت تتخذ بيتا ثم انه تعالى قال وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون اشارة الى ما بينا ان كل بيت ففيه
اما فايدة الاستظلال او غير ذلك وبيته يضعف عن افادة ذلك ولانه يخرب بادنى شيء ولا يبقى منه عين ولا اثر
فكذلك عملهم لو كانوا يعلمون ثم قال تعالى ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم
فكيف يجوز للعاقل ان يترك القادر الحكيم ويشتغل بعبادة ما ليس بشيء اصلا وهذا يفهم منه انه جعل ما نافية وهو صحيح
والعلم يتعلق بالجملة كما يقول القايل اني اعلم ان الله واحد حق يعني اعلم هذه الجملة وان كان يجعل ما خبرية فيكون معناه
ما تدعون من شيء فالله يعلمه وهو العزيز الحكيم قادر على اعدايه واهلاكهم لكنه حكيم يمهلهم ليكون الهلاك عن بينة
والحياة عن بينة ومن ههنا يكون الخطاب مع قوم محمد عليه الصلاة والسلام وعلى هذا لو قال قايل ما وجه تعلق
هذه الاية بالتمثيل السابق فنقول انه لما قال ان مثلهم كمثل العنكبوت فان للكافر ان يقول انا لا اعبد هذه الاوثان
التي اتخذها وهي تحت تسخيري وانما هي صور كواكب انا تحت تسخيرها ومنها نفعي وضري وخيري وشري ووجودي ودوامي
فله سجودي واعظامي فقال الله تعالى ان الله يعلم كل ما تعتقدون من دون الله هو مثل بيت العنكبوت لان الكوكب
والملك وكل ما عدا الله لا ينفع ولا يضر الا باذن الله فعبادتكم للغايب كعبادتكم للحاضر ولا معبود الا الله ولا اله سواه
ثم قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس قال الكافرون كيف يضرب الله خالق السموات والارض الامثال
بالهوام والحشرات كالبعوض والذباب والعنكبوت فقال الامثال تضرب للناس ان لم يكونوا كالانعام يحصل
لهم منه ادراك ما يوجب نفرتكم مما انتم فيه وذلك لان التشبيه يوثر في النفس تاثيرا مثل تاثير الدليل فاذا قال الحكيم
لمن يغتاب انك بالغيبة كانك تاكل لحم ميت لانك وقعت في هذا الرجل وهو غايب لا يفهم ما تقول ولا يسمع حتى يجيب
كمن يقع في ميت ياكل منه وهو لا يعلم ما يفعله ولا يقدر على دفعه ان كان يعلمه فينفر طبعه منه كما ينفر اذا قال له
انه يوجب العقاب ويورث العتاب ثم قال تعالى وما يعقلها الا العالمون يعني حقيقتها وكون الامر كذلك
لا يعلمه الا من حصل له العلم ببطلان ما سوى الله وفساد عبادة ما عداه وفيه علم حكمي وهو ان العلم الحدسي يعقله
العاقل والعلم الفكري الدقيق يعقله العالم وذلك لان العاقل اذا عرض عليه امر ظاهر ادركه كما هو بكنهه لكون
المدرك ظاهرا وكون المدرك عاقلا ولا يحتاج الى كونه عالما باشيا قبله واما الدقيق فيحتاج الى علم سابق فلا بد
من عالم ثم انه قد يكون دقيقا في غاية الدقة فيدركه ولا يدركه بتمامه ويعقله اذا كان عالما اذا علم هذا فقوله وما
يعقلها الا العالمون يعني هو ضرب للناس مثلا وحقيقته وما فيه من الفوايد باسرها فلا يدركها الا العلماء ثم انه
تعالى لما امر الخلق بالايمان واظهر الحق بالبرهان ولم يات الكفار بما امرهم به وقص عليهم قصصا فيها عبر وانذرهم
على كفرهم باهلاك من غبر وبين ضعف دليلهم بالتمثيل ولم يهتدوا بذلك الى سواء السبيل وحصل ياس الناس عنهم
سلى المومنون بقوله خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية للمومنين يعني ان لم يومنوا هم لا يورث

[في الهامش: سلى المومنين]

كفرهم شكا في صحة دينكم ولا يوثر شكهم في برد يقينكم فان خلق الله السموات والارض بالحق للمومنين بيان ظاهر
وبرهان باهر وان لم يومن به على وجه الارض كافر وفي الاية مسيلة يتبين بها تفسير الاية وهي ان الله تعالى
كيف خص الاية في خلق السموات والارض بالمومنين مع ان في خلقها اية لكل عاقل كما قال تعالى ولين سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الى ان قال
لايات لقوم يعقلون فنقول خلق السموات والارض اية لكل عاقل وخلقها بالحق اية للمومنين فحسب
وبيانه من حيث النقل والعقل اما النقل فقوله تعالى وما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون اخرج
اكثر الناس عن العلم بكون خلقهما بالحق مع انه اثبت علم الكل بانه خلقهما حيث قال ولين سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله واما العقل وهو ان العاقل اول ما ينظر الى خلق السموات والارض ويعلم ان لهما خالقا
وهو الله ثم من يهديه الله لا يقطع النظر عنهما عند مجرد ذلك بل يقول انه خلقهما متقنا محكما وهو المراد بقوله
بالحق لان ما لا يكون على وجه الاحكام يفسد ويبطل فيكون باطلا واذا علم انه خلقهما متقنا يقول انه قادر كامل
حيث خلق وعالم علمه شامل حيث اتقن فنقول لا يعزب عن علمه اجزاء الموجودات في الارض ولا في السموات ولا يعجز
عن جمعها كما جمع اجزاء الكاينات والمبدعات فيجوز بعث من في القبور وبعثة الرسول ويعلم وحدانية الله لانه
لو كان اكثر من واحد لفسدتا وبطلتا وهما بالحق موجودان فيحصل له الايمان بتمامه من خلق ما خلقه على احسن
نظامه ثم ان الله تعالى لما سلى المومنين بهذه الاية سلى رسوله بقوله اتل ما اوحي اليك من الكتاب يعني ان كنت تاسف

على كفرهم

على كفرهم فاتل ما اوحي اليك لتعلم ان نوحا ولوطا وغيرهما كانوا على ما انت عليه بلغوا الرسالة وبالغوا في اقامة الدلالة ولم
ينقذوا قومهم من الضلالة والجهالة ولهذا قال اتل وما قال عليهم لان التلاوة ما كانت بعد الياس منهم الا تسلية قلب نبيه
محمد عليه الصلاة والسلام وفي الاية مسايل المسئلة الاولى ان الرسول اذا كان معه كتاب وقراه مرة
ولم يسمع لم يبق له فايدة في قراءته لنفسه فنقول الكتاب المنزل مع النبي المرسل ليس كذلك فان الكتب المنزلة
مع الرسل على قسمين قسم يكون فيه سلام وكلام مع واحد يحصل بقراءته مرة تمام المرام وقسم يكون فيه قانون
كلي يحتاج اليه الرعية في جميع الاوقات كما اذا كتب الملك كتابا فيه انا رفعنا عنكم البدعة الفلانية ووضعنا
فيكم السنة الفلانية وبعثنا اليكم هذا الكتاب فيه جميع ذلك فليكن ذلك كمثال ينسج عليه واليه يعدل فمثل
هذا الكتاب لا يقرا ويترك بل يعلق من مكان عال وكثيرا ما تكتب نسخته على لوح ويثبت فوق المحاريب ويكون نصب
الاعين فكذلك كتاب الله مع رسوله محمد قانون كلي فيه شفاء العالمين فوجب تلاوته مرة بعد مرة ليبلغ الى حد التواتر
وينقله قرن الى قرن وياخذه قوم من قوم ويثبت في الصدور على مرور الدهور الوجه الثاني هو ان الكتب على
ثلاثة اقسام كتاب لا تكرر قراءته الا للغير كالقصص فان من قرا حكاية مرة لا يقراها مرة اخرى الا للغير ثم اذا سمعه
ذلك الغير لا يقراها الا لاخر لم يسمعه ولو قراه عليه لسيم ومل وكتاب لا تكرر عليه الا للنفس كالنحو والفقه
وغيرهما وكتاب يتلى مرة بعد مرة للنفس وللغير كالمواعظ الحسنة فانها تكرر للغير وكلما يسمعها يلتذ بها ويرق لها
قلبه ويستفيدها وكلما يدخل السمع يخرج الوسواس مع الدمع ويكرر ايضا للنفس المتكلم فان كثيرا ما يلتذ المتكلم بكلمة طيبة
وكلما يعيدها يكون اطيب والذ واثبت في القلب وانقد حتى يكاد يبكي من رقته دما ولو اورثه البكا عمى اذا علم هذا فالقران
من القبيل الثالث مع ان فيه القصص والفقه والنحو فكان في تلاوته في كل زمان فايدة المسئلة الثانية لم خصص
بالامر هذين الشيين تلاوة القران واقامة الصلاة فنقول لوجهين احدهما ان الله لما اراد تسلية قلب محمد عليه السلام
قال له الرسول واسطة بين طرفين من الله الى الخلق فاذا لم يتصل به الطرف الواحد ولم يقبلوه فالطرف الاخر
متصل الا ترى ان الرسول اذا لم تقبل رسالته يتوجه نحو مرسله فاذا تلوت كتابك ولم يقبلوك فتوجه بوجهك الي
اقم الصلاة لوجهي الوجه الثاني هو ان العبادات المختصة بالعبد ثلاثة قلبية وهي الاعتقادات الحق ولسانية
وهي الذكر الحسن وبدنية خارجية وهي العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر فان من اعتقد شيا لا يمكنه ان يعتقده مرة

[في الهامش: لكن الاعتقاد لا يتكرر فان من اعتقد شيا لا يمكنه ان يعتقده مرة اخرى]

اخرى بل ذلك يدوم مستمرا والنبي عليه السلام كان ذلك حاصلا له عن عيان اكمل ما حصل عن عيان فلم يومر به لعدم
امكان تكراره لكن الذكر ممكن التكرار والعبادة البدنية كذلك فامر بهما فقال اتل الكتاب واقم الصلاة المسئلة الثالثة
كيف تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر نقول قال بعض المفسرين المراد من الصلاة القران وهو ينهى اي فيه النهي عنهما وهو
بعيد لان ارادة القران من الصلاة في هذا الموضع الذي قال قبله اتل ما اوحي اليك بعيد عن الفهم وقال بعضهم اراد
اراد به نفس الصلاة وهي تنهى عنهما ما دام العبد في الصلاة لانه لا يمكنه الاشتغال بشيء منهما فنقول هذا كذلك
لكن المراد ليس هذا والا لا يكون مدحا كاملا للصلاة لان غيرها من الاشغال كثيرا ما يكون كذلك كالنوم في وقته وغيره
فنقول المراد ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر مطلقا وعلى هذا قال بعض المفسرين الصلاة هي التي تكون مع الحضور
وهي تنهى حتى نقل عنه من لم تنهه صلاته عن المعاصي لم يزدد بها الا بعدا ونحن نقول الصلاة الصحيحة شرعا تنهى عن
الامرين مطلقا وهي التي اتى بها المكلف لله حتى لو قصد بها الريا لا تصح صلاته شرعا ووجب عليه الاعادة وهذا ظاهر
فان من نوى بوضويه الصلاة والتبرد قيل لا تصح فكيف من نوى بصلاته الله وغيره اذا ثبت هذا فنقول هذه الصلاة
تنهى من وجوه الاول هو ان من كان يخدم ملكا عظيم الشان كثير الاحسان ويكون عنده بمنزلة ويرى عبدا من عباده قد طرده
طردا لا يتصور قبوله وفاته الحرمة لا يرجى حصوله يستحيل من ذلك المقرب عرفا ان يترك خدمة ذلك الملك ويدخل
في طاعة ذلك المطرود فكذلك العبد اذا صلى لله صار عبدا له وحصل له منزلة المصلي يناجي ربه فيستحيل ان يترك عبادة
الله ويدخل تحت طاعة الشيطان المطرود لكن مرتكب الفحشاء والمنكر في طاعة الشيطان فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
الثاني ان من يباشر القاذورات كالزبال والكناس يكون له لباس نظيف اذا لبسه لا يباشر القاذورات وكلما كان ثوبه ارفع يكون
امتناعه وهو لابسه عن القاذورات اكثر فاذا لبس واحد منهم ثوب ديباج مذهب يستحيل منه مباشرة تلك الاشيا
عرفا وكذلك العبد اذا صلى لبس لباس التقوى لانه واقف بين يدي الله واضعا يمينه على شماله على هيئة من يقف بمراى
ملك ذي هيبة ولباس التقوى خير لباس يكون نسبته الى القلب على من نسبة الديباج المذهب الى الجسم فاذا من لبس هذا
اللباس يستحيل منه مباشرة قاذورات الفحشاء والمنكر ان الصلوات متكررة ولهذه تعدد لهذه فيدوم هذا اللبس فيدوم
الامتناع الثالث من يكون امير نفسه يجلس حيث يريد فاذا دخل في خدمة ملك واعطاه منصبا له مقام خاص

لا يجلس صاحب ذلك المجلس الا في ذلك الموضع • فلو اراد ان يجلس في صف النعال لا يترك فكذلك العبد اذا صلى دخل في طاعة الله ولم يبق يحكم نفسه وصار له مقام معين اذا صار من اصحاب اليمين فلو اراد ان يقف في غير موضعه وهو موقف اصحاب الشمال لا يترك بكون مرتكب الفحشاء والمنكر من اصحاب الشمال وهذا الوجه اشارة الى عصمة الله تعالى يعني من صلى عصمه الله عن الفحشاء والمنكر • الوجه الرابع وهو موافق لما ورد به الاخبار وهو ان من يكون بعيدا عن الملك كالسوقي والمنادي او المتعيش لا يبالي بما يفعل من الافعال يأكل في دكان الهراس والرواس ويجلس مع اخابث الناس فاذا صارت له قربة يسيرة من الملك كما اذا صار واحدا من الجندارية والقواد والسواس عند الملك لا تمنعه تلك القربة من تعاطي ما كان يفعله • فان زادت قربته • وارتفعت منزلته حتى صار اميرا حينئذ تمنعه هذه المنزلة عن الاكل في ذلك المكان • والجلوس مع اولئك الخلان • كذلك العبد اذا صلى وسجد صار له قربة ما لقوله تعالى واسجد واقترب فان كان ذلك القدر من القربة لا يمنعه من المعاصي والمناهي فبتكرر الصلاة والسجود تزداد مكانته حتى يرى على نفسه من آثار الكرامة ما يستقذر معه من نفسه الصغاير فضلا عن الكباير • وفي الآية وجه آخر معقول • يوكده المنقول وهو ان المراد من قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر هو انها تنهى عن التعطيل والاشراك • والتعطيل هو انكار وجود الله • والاشراك اثبات الوهية لغير الله • فنقول التعطيل فحشاء لان الفاحش هو القبيح الظاهر القبح لكن وجود الله اظهر من الشمس • وما من شيء الا وفيه آية دالة على وحدانية الله ظاهرة • فانكار الظاهر ظاهر الانكار فالقول بان لا اله قبيح • والاشراك منكر وذلك لان الله تعالى لما اطلق اسم المنكر على من نسب نفسا لغير الوالد مع جواز ان يكون له ولد حيث قال ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول • فالمشرك الذي يقول الملائكة بنات الله وينسب الى من لم يلد ولا يجوز ان يكون له ولد • ولدا كيف لا يكون قوله منكرا • فالصلاة تنهى عن هذا الفحشاء وهذا المنكر وذلك لان العبد اول ما يشرع في الصلاة يقول الله اكبر • فبقوله الله ينفي التعطيل • وبقوله اكبر ينفي التشريك لان الشريك لا يكون اكبر من الشريك الآخر فيما فيه الاشتراك • فاذا قال بسم الله نفى التعطيل • واذا قال الرحمن الرحيم نفى الاشراك لان الرحمن من يعطي الوجود بالخلق بالرحمة • والرحيم من يعطي البقاء بالرزق بالرحمة • فاذا قال الحمد لله رب العالمين اثبت بقوله الحمد لله خلاف التعطيل • وبقوله رب العالمين خلاف الاشراك • فاذا قال اياك نعبد بتقديم اياك نفى التعطيل والاشراك • وكذا بقوله واياك نستعين • فاذا قال اهدنا الصراط نفى التعطيل لان طالب الصراط له مقصد • والمعطل لا مقصد له • وبقوله المستقيم نفى الاشراك لان المستقيم هو الاقرب • والمشرك يعبد الاصنام حتى تعبد صورة صورها اله العالمين • ويظنون انهم يشفعون لهم • وعبادة الله من غير واسطة اقرب وعلى هذا الى آخر الصلاة • يقول فيها اشهد ان لا اله الا الله فنفى الاشراك والتعطيل • وها هنا لطيفة وهي ان الصلاة اولها لفظة الله واخرها لفظة الله في قوله اشهد ان لا اله الا الله ليعلم المصلي انه من اول الصلاة الى آخرها مع الله • فان قال قائل نحن من الصلاة قوله واشهد ان محمدا رسول الله • والصلاة على الرسول والتسليم فنقول هذه الاشياء في آخرها دخلت لمعنى خارج عن ذات الصلاة وذلك لان الصلاة ذكر الله لا غير لكن العبد اذا وصل بالصلاة الى الله وحصل مع الله لا يقع في قلبه انه استقل واستبد واستغنى عن الرسول كمن يقرب من السلطان فيغتر بذلك ولا يلتفت الى النواب والحجاب فقال انت في هذه المنزلة الرفيعة بهداية محمد وغير مستغن عنه فقل مع ذكر محمد رسول الله • ثم اذا علمت ان هذا كله ببركة هدايته فاذكر احسانه بالصلاة عليه ثم اذا رجعت من معراجك وانتهيت الى اخوانك فسلم عليهم وبلغهم سلامي كما هو ترتيب المسافرين • واعلم ان هيئة الصلاة هيئة فيها هيبة فان اولها وقوف بين يدي الله لو توقف المملوك بين يدي السلطان ثم ان آخرها جثو بين يدي الله كما يجثو بين يدي السلطان من اكرمه بالاجلاس كان العبد لما وقف واثنى اكرمه الله واجلسه فجثا وفي هذا الجثو لطيفة وهي ان من جثا في الدنيا بين يدي ربه هذا الجثو لا يكون له جثو في الآخرة ولا يكون من الذين قال الله في حقهم ونذر الظالمين فيها جثيا • ثم قال تعالى **ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون** لما ذكر امرين وهما تلاوة الكتاب واقامة الصلاة بين بما يوجب ان يكون الاتيان بهما على ابلغ وجوه التعظيم فقال ولذكر الله اكبر وانتم اذا ذكرتم اباكم بما فيهم من الصفات الحسنة تبشوا لذلك وتذكروهم بملء افواهكم وقلوبكم لكن ذكر الله اكبر فينبغي ان يكون على ابلغ وجوه التعظيم • واما الصلاة فكذلك لان الله يعلم ما تصنعون وهذا احسن صنيعكم فينبغي ان يكون على وجه التعظيم • وفي قوله ولذكر الله اكبر مع حذف بيان ما هو اكبر منه وهو ان الله لم يقل اكبر من ذكر فلان لان ما نسب الى غيره بالكبر فله اليه نسبة • اذ لا يقال الجبل اكبر من خردلة وانما يقال هذا الجبل اكبر من ذلك الجبل فاسقط المنسوب كانه قال ولذكر الله له الكبر لا لغيره • وهذا كما تقو

في الصلاة الله اكبر اي له الكبر لا لغيره • ثم قال تعالى **ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن** لما بين الله طريقة ارشاد المشركين ونفع من انتفع • وحصل الياس ممن امتنع • بين طريقة ارشاد اهل الكتاب وقال ولا تجادلوهم الا بالتي هي احسن قال بعض المفسرين لا تجادلوهم بالسيف وان لم يؤمنوا الا اذا ظلموا وحاربوا اي اذا ظلموا زائدا على كفرهم • وفيه معنى الطف منه وهو ان المشرك جاء بالمنكر على ما بيناه فكان اللائق ان يجادل بالاخشن ويبالغ في تهجين مذهبه • وتوهين شبهه ولهذا قال تعالى في حقهم صم بكم • وقال لهم اعين لا يبصرون بها واذان لا يسمعون بها الى غير ذلك • واما اهل الكتاب فجاؤا بكل حسن الا الاعتراف بالنبي عليه الصلاة والسلام فوحدوا وآمنوا بانزال الكتب • وارسال الرسل والحشر فلمقابلة احسانهم يجادلوا اولا بالاحسن ولا تستخف آراؤهم ولا تنسب الى الضلال اباؤهم بخلاف المشرك • ثم على هذا نقوله الا الذين ظلموا يبين له وجه آخر وهو ان المراد يكون الا الذين اشركوا منهم باثبات الولد لله والقول بثالث ثلاثة وانهم صاروا هم في القول المنكر فهم الظالمون لان الشرك ظلم عظيم فيجادلون بالاخشن من تهجين مقالتهم • وتبيين جهالتهم ثم انه تعالى بين ذلك الاحسن فقدم محاسنهم بقوله وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون فيلزمنا اتباع ما قاله لكنه بين رسالتي في كتبكم فهو دليل على نبي • ثم بعد ذلك ذكر دليلا قياسيا فقال وكذلك انزلنا اليك الكتاب يعني كما انزلنا على من تقدمك انزلنا عليك وهذا قياس • ثم قال تعالى **والذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به** لوجود النص ومن هؤلاء كذلك • واختلف المفسرون فقال بعضهم المراد بالذين آتيناهم الكتاب من آمن منا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وغيره • وبقوله ومن هؤلاء اي من اهل مكة وقال بعضهم المراد بالذين آتيناهم الكتاب هم الذين سبقوا محمدا عليه الصلاة والسلام زمانا من اهل الكتاب • ومن هؤلاء اي الذين هم في زمان محمد عليه السلام من اهل الكتاب وهذا اقرب فان قوله هؤلاء صرفه الى اهل الكتاب اولى لان الكلام فيهم ولا ذكر للمشركين ها هنا اذ كان هذا الكلام بعد الفراغ من ذكرهم والاعراض عنهم لاصرارهم على الكفر • وها هنا وجه آخر اولى واقرب الى العقل والنقل واقرب الى الاحسن من الجدل المأمور به وهو ان نقول المراد بالذين آتيناهم الكتاب هم الانبياء وبقوله ومن هؤلاء اي من اهل الكتاب وهو اقرب لان الذين آتاهم الكتاب هم الانبياء في الحقيقة فان الله ما آتى الكتاب الا الانبياء كما قال تعالى اولئك الذين آتيناهم الكتاب وقال وآتينا داود زبورا وقال وآتاني الكتاب • واذا حملنا الكلام على هذا لا يدخله التخصيص لان كل الانبياء آمنوا بكل الانبياء فاذا قلنا بما قالوا به يكون المراد من الذين آتيناهم الكتاب عبد الله بن سلام واثنين ثلاثة معه او عددا قليلا • ويكون المراد بقوله ومن هؤلاء المذكورين • وعلى ما ذكرنا يكون مخرج الكلام كانه قسم القوم قسمين • احدهما المشركون وتكلم فيهم وفرغ عنهم • والثاني اهل الكتاب وهو بعد في بيان امرهم • والوقت وقت جريان ذكرهم فاذا قال هؤلاء يكون منصرفا الى اهل الكتاب الذي هو في وصفهم • واذا قال اولئك يكون منصرفا الى المشركين الذين سبق ذكرهم وتحقق امرهم • وعلى هذا التفسير يكون الجدال على احسن الوجوه • وذلك لان الخلاف في الانبياء والايمان قريب من الخلاف في فضيلة الرؤساء والملوك فاذا اختلف حزبان في فضيلة ملكين او رئيسين وادى الاختلاف الى الاقتتال يكون اقوى كلام يصلح بينهم ان يقال لهم هذان الملكان متوافقان متصادقان فلا معنى لنزاعكم • فكذلك ها هنا قال النبي عليه الصلاة والسلام نحن آمنا بالانبياء وهم آمنوا بي فلا معنى لتعصبكم لهم وكذلك الذي كان يكون وعلماؤكم آمنوا • ثم قال **وما يجحد باياتنا الا الكافرون** تنفيرا لهم عما هم عليه يعني [illegible] الجاحد بآياتنا [illegible] ثم قال تعالى **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون** [illegible] **بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم** [illegible] ثم قال تعالى

واذا حملنا الكلام على هذا لا يدخله التخصيص

خ والآية

خ كالسوقي

والتي

في الصلاة

وما يجحد بآياتنا الا الظالمون قال هاهنا الظالمون ومن قبل قال الكافرون مع ان الكافر ظالم ولا تنافي بين الكلامين وفيه فائدة وهو انهم قبل بيان المعجزة قيل لهم ان لكم المزايا فلا تبطلوها بانكار محمد فتكونوا كافرين فلفظ الكافر هناك كان بليغا يمنعهم من ذلك لاستنكافهم عن الكفر ثم بعد بيان المعجزة قال لهم ان جحدتم هذه الآية لزمكم انكار ارسال الرسل فتلحقوا في اول الامر بالمشركين حكما او تلتحقون عند هذه الآية بالمشركين حقيقة فتكونوا ظالمين اي مشركين كما بينا ان الشرك لظلم عظيم فهاهنا اللفظ ابلغ وذلك اللفظ هناك ابلغ ثم قال تعالى وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه لما فرغ من ذكر دليل من جانب النبي صلى الله عليه وسلم ذكر شبهتهم وهي تذكر الفرق بين المقيس عليه والمقيس فقالوا انك تقول انه انزل عليك كتاب كما انزل الى موسى وعيسى وليس كذلك لان موسى اوتي تسع آيات علم بها كون الكتاب من عند الله وانتما اوتيت شيئا منها ثم انه تعالى ارشد نبيه الى اجوبة هذه الشبهة منها قوله انما الآيات عند الله ووجهه ان النبي عليه السلام ادعى الرسالة وليس من شرط الرسالة الآية المعجزة لان الرسول يرسل اولا ويدعو الى الله ثم ان توقف الخلق في قبوله او طلبوا منه دليلا فالله ان يرحمهم يبين رسالته وان لم يرحمهم لا يتبين لا يقال ان الساعة الرسول واما الآية فالله ان اراد ينزلها وان لم يرد لا ينزلها وهذا لان ما هو من ضروريات النبي اذا خلق الله النبي لا بد من ان يخلقها كالمكان من ضروريات الانسان فلا يخلق الله انسانا الا ويكون قد خلق مكانا او يخلقه معه لكن الرسالة والمعجزة ليستا كذلك فالله اذا خلق رسولا وجعله رسولا ليس من ضروراته ان يخلق له معجزة وهذا علم وجود رسل كشيث وادريس وشعيب ولم نعلم لهم معجزة فان قيل علم رسالتهم بقول المعجزة من تثبت رسالته بالمعجزة فنقول فنبينا كذلك لا حاجة له الى معجزة لان رسالته علمت بقول موسى وعيسى فتبين بطلان قولهم لولا نزل عليه آية وهذا لانهم طلبوا سبق الآية وليست شرطا حتى يسبقها بلى ان كان لهم سؤال فطريقه ان يقولوا يا ايها المدعي انا لا نكذبك ولا نصدقك لكنا نريد ان يبين الله لنا آية تخلصنا من تصديق المتنبي وتكذيب النبي نعلم بها كونك نبيا ونؤمن بك فبعد ذلك ما كان يبعد من رحمة الله ان ينزل آية ثم قوله وانما انا نذير مبين معناه ان الآية عند الله ينزلها او لا ينزلها لا تعلق لي بها ما انا الا نذير وليس لي عليه حكم بشيء ثم انه بعد بيان فساد شبهتهم من وجه بين فسادها من وجه آخر وقال هاهنا ان انزال الآية شرط لكنه وجد وهو في نفس الكتاب فقال اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم يعني ان كان انزال الآية شرطا فلا يشترط الا انزال آية وقد انزل وهو القرآن فانه معجزة ظاهرة باقية وقوله اولم يكفهم عبارة تنبئ عن كون القرآن آية فوق الكفاية وذلك لان القائل اذا قال اما يكفي للمسيء ان لا يضرب حتى يتوقع الاكرام يعني عن ان ترك الضرب في حقه كثير وكذلك قولهم اولم يكفهم انا انزلنا عليك وهذا لان القرآن معجزة اتم من كل معجزة تقدمها لوجوه احدها ان تلك المعجزات وجدت وما دامت فان قلب العصا ثعبانا واحياء الميت لم يبق لنا منه اثر فلو لم يكن واحد يؤمن بكتاب الله ويكذب بوجود هذه الاشياء لا يمكن اثباتها معه بدون الكتاب واما القرآن فهو باق لو انكره واحد فنقول له فأت بآية من مثله الثاني هو ان قلب العصا ثعبانا كان في مكان واحد ولم يره من لم يكن في ذلك المكان واما القرآن فقد وصل الى المشرق والمغرب وسمعه كل احد وههنا لطيفة وهو ان آيات النبي صلى الله عليه وسلم كانت اشياء لا تختص بمكان لان من جملتها انشقاق القمر وهو يعم الارض لان الخسوف اذا وقع عم وذلك لان نبوته كانت عامة لا تختص بقطر دون قطر وغيض بحيرة ساوة في قطر وسقط ايوان كسرى في قطر وانهدت الكنيسة بالروم في قطر آخر اعلاما انه يكون امر عام الثالث ان عين هذه المعجزة الكافر المعاند يقول انه سحر عمل بدواء والقرآن لا يمكن هذا القول فيه ثم انه تعالى قال ان في ذلك لرحمة اشارة الى انا جعلناه معجزة رحمة على العباد ليعلم انه الصادق وهذا لانا بينا ان اظهار المعجزة على يد الصادق رحمة من الله وكان له ان لا يظهر فيبقى الخلق في ورطة تكذيب الصادق او تصديق الكاذب لان النبي لا يتميز عن المتنبي لولا المعجزة لكن الله له ذلك يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقوله وذكرى اشارة الى انه معجزة باقية يتذكر بها كل من يكون الى آخر الزمان ثم قال لقوم يؤمنون يعني هذه الرحمة مختصة بالمؤمنين لان المعجزة كانت غضبا على الكافرين لانها قطعت اعذارهم وغلظت انكارهم ثم قال تعالى قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا لما ظهرت رسالته وظهرت دلالته ولم يؤمن به المعاندون من اهل الكتاب قال كما يقول الصادق اذا كذب واتى بكل ما يدل على صدقه ولم يصدقوا الله يعلم صدقي وتكذيبك ايها المعاند وهو على ما اقول شهيد يحكم بيني وبينك كل ذلك انذارا وتهديدا بعيده تقريرا وتأكيدا ثم بين كونه كافيا بكونه عالما بجميع الاشياء فقال يعلم ما في السموات وما في الارض وههنا مسألة وهي ان الله تعالى قال في آخر الرعد وقالوا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب فاخر شهادة اهل الكتاب وفي هذه السورة قدم حيث قال فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به اي من اهل الكتاب فنقول الكلام هنا مع المشركين

فاستشهد عليهم

الآية

لهم صح

فاستشهد عليهم بشهادة غيرهم ثم ان شهادة الله اقوى في الزامهم من شهادة غير الله وههنا الكلام مع اهل الكتاب وشهادة [illegible] المسألة الاولى [illegible] المسألة الثانية [illegible] المسألة الثالثة [illegible] ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب [illegible] يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين [illegible]

مظهر

فمن يقول بجعل العبد مخلوق الله والمخلوق العبد

بان المتوعد قادر لا يخلف الميعاد ولا يخطر ببال العاقل ان يقول له هات ما توعدني به فقال ههنا يستعجلونك بالعذاب
والعذاب بنار جهنم المحيطة بهم فقوله يستعجلونك اولا اخبار عنهم وثانيا تعجبا منهم • ثم ذكر كيفية احاطة جهنم
فقال يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وفيه مسئلتان المسئلة الاولى لم خص
الجانبين بالذكر ولم يذكر اليمين والشمال وخلف وقدام فنقول لان المقصود ذكر ما يتميز به نار جهنم عن نار الدنيا
ونار الدنيا تحيط بالجوانب الاربع فان من دخلها تكون الشعلة خلفه وقدامه ويمينه وشماله • واما النار من فوق فلا
تنزل وانما تصعد من اسفل في العادة العاجلة • وتحت الاقدام لا تبقى الشعلة بل تنطفي الشعلة التي تحت القدم ونار
جهنم تنزل من فوق ولا تنطفي بالدوس موضع القدم المسئلة الثانية قال من فوقهم ومن تحت ارجلهم ولم يقل
من فوق رؤسهم ولا قال من فوقهم ومن تحتهم بل ذكر المضاف اليه عند ذكر التحت ولم يذكره عند ذكر فوق فنقول
لان نزول النار من فوق سواء كان من سمت الرؤس وسواء كان من موضع اخر عجيب فلهذا لم يخصه بالرأس واما بقاء
النار تحت القدم فحسب عجيب والا فمن جوانب القدم في الدنيا يكون شعل وهي تحت فذكر العجيب وهو ما تحت الارجل حيث
لم تنطف بالدوس وما فوق على الاطلاق • ثم قال ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون لما بين عذاب اجسامهم بين عذاب
ارواحهم وهو ان يقال لهم على سبيل التنكيل والاهانة ذوقوا هذا ما كنتم تعملون وجعل ذلك عين ما كانوا يعملون للمبالغة
بطريق اطلاق المسبب على السبب فان عملهم كان سببا لجعل الله اياهم سببا لعذابهم وهذا كثير النظير في الاستعمال • ثم
قال تعالى يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة وجه التعلق هو ان الله تعالى لما ذكر حال المشركين على حدة
وحال اهل الكتاب على حدة وجمعهما في الانذار • وجعلهما من اهل النار • اشتد عنادهم • وزاد فسادهم • وسعوا
في ايذاء المؤمنين • ومنعوهم من العبادة فقال مخاطبا للمؤمنين يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة ان تعذرت
العبادة عليكم في بعضها فهاجروا ولا تتركوا عبادتي بحال • ولهذا علم ان الجلوس في دار الحرب حرام والخروج منها
واجب حتى لو حلف بالطلاق انه لا يخرج لزمه الخروج ولو حتى يقع الطلاق • ثم في الاية مسائل المسئلة الاولى
يا عبادي لم يرد الا مخاطبة المؤمنين مع ان الكافر داخل في قوله يا عبادي • نقول ليس ذا خلاف فيه لوجوه • احدها
ان من قال في حقه عبادي ليس للشيطان عليهم سلطان بدليل قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان • والكافر تحت سلطنة
الشيطان فلا يكون داخلا في قوله يا عبادي • الثاني هو ان الخطاب بعبادي تشريف منازل المكلف وذلك لان الله تعالى
لما خلق ادم اتاه اسما عظيما وهو اسم الخلافة كما قال تعالى اني جاعل في الارض خليفة والخليفة هو اعظم الناس مقدارا
واتم ذوي الناس اقتدارا • ثم ان ابليس لم يرهب من هذا الاسم ولم ينهزم بل اقدم عليه بسببه وعاداه وغلبه كما قال تعالى
فازلهما • ثم ان من اولاده الصالحين من سمي بعبادي فانخنس عنهم الشيطان • وتضال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
وقال هو بلسانه لاغوينهم اجمعين الا عبادك فعلم ان المكلف اذا كان عبد الله يكون اعلى درجة مما اذا كان خليفة لوجه
الارض ولعل ادم كداود والذي قال الله في حقه انا جعلناك خليفة في الارض لم يتخلص من الشيطان الا وقتا قال الله
تعالى في حقه عبدي تحقيقا ما دام بقوله ربنا ظلمنا انفسنا اجتباه بهذا النداء كما قال في حق داود واذكر عبدنا
داود ذا الايد • اذا علم هذا فالكافر لا يصلح للخلافة فكيف يصلح لما هو اعظم من الخلافة فلا يدخل في قوله يا عبادي
الا المؤمن • الثالث هو ان هذا الخطاب يحصل للمؤمن بسعيه بتوفيق الله وذلك لان الله تعالى قال ادعوني استجب لكم
فالمؤمن دعا ربه بقوله ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا فاجابه الله تعالى بقوله يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فالاضافة بين الله وبين العبد بقول العبد الهي وقول الله عبدي
بدعا العبد لكن الكافر لم يدع فلم يجب فلا يتناول يا عبادي غير المؤمنين المسئلة الثانية اذا كان عبادي
لا يتناول الا المؤمنين فما الفائدة في قوله الذين امنوا مع ان الوصف انما يذكر لتمييز الموصوف كما يقال يا ايها المكلفون
المؤمنون • ويا ايها الرجال العقلاء تمييزا على الكافرين والجهال فنقول الوصف يذكر لا للتمييز بل لمجرد ان فيه
الوصف كما يقال الانبياء المكرمون والملائكة المطهرون مع ان كل نبي مكرم وكل ملك مطهر • وانما يقال للبيان ان
فيهم الاكرام والطهارة • ومثل هذا قولنا الله العظيم وزيد الطويل فههنا ذكر لبيان انهم مؤمنون المسئلة الثالثة
اذا قال يا عبادي فهم يكونون عابدين • فما الفائدة في الامر بالعبادة بقوله فاعبدون • فنقول فيه فائدتان
احديهما المداومة اي يا من عبدوني في الماضي اعبدوني في المستقبل • الثانية الاخلاص اي يا من عبدني اخلص
العمل ولا تعبد غيري المسئلة الرابعة الفاء في قوله فاياي يدل على انه جواب الشرط فما ذلك فنقول قوله
ان ارضي واسعة اشارة الى عدم المانع من عبادته فكانه قال اذا كان لا مانع من عبادتي فاعبدوني • واما
الفاء في قوله فاعبدوني فهو لترتيب المقتضى على المقتضي كما يقال هذا عالم فاكرموه فكذلك ههنا لما اعلم نفسه

الارجل

بقوله فاياي

بقوله فاياي وهو انه نفسه يستحق العبادة فقال فاعبدون وفي المسئلة الخامسة قال العبد مثل هذا في قوله اياك نعبد
واياك نستعين والله تعالى قال ههنا فاياي فاعبدون ولم يذكر الاعانة فنقول ذلك مذكور في قوله يا عبادي
لان المذكور بعبادي لما كان الشيطان [illegible] عنه السبيل [illegible] الاعانة
[illegible] الاعانة [illegible] المسئلة السادسة
[illegible]
[illegible]
الوجود والاعانة قبل العبادة ثم قال تعالى كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون لما امر الله تعالى المؤمن بالمهاجرة
صعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان فقال لهم [illegible] كل نفس ذائقة الموت والموت مفرق الاحباب
فالاولى ان يكون ذلك في سبيل الله [illegible] الى الله مرجعكم [illegible]
[illegible] الموت [illegible]
الموت [illegible]
كل نفس ذائقة الموت [illegible]
[illegible] ذائقة الموت [illegible] الينا ترجعون [illegible]
في سبيل الله [illegible] المؤمنين
[illegible] ثم قال تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم [illegible]
قبل ما يكون الكافر بقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين بين ان للمؤمنين الجنان في مقابلة ما ان للكافرين النيران وبين ان لهم
غرفا تجري من تحتها الانهار في مقابلة ما ان تحت الكافرين النار وبين اذية ذلك الاجر عليهم بقوله نعم اجر العاملين في مقابلة ما بين
ان ما تقدم جزاء عمل الكفار بقوله ذوقوا ما كنتم تعملون ثم في الاثنين اختلافات فيها لطايف منها انه تعالى ذكر في العذاب ان
فوقهم عذاب النار ولم يذكر ههنا فوقهم شيئا وانما ذكر ما فوق من غير اضافة وهو الغرف وذلك لان المذكور في الموضعين
العذاب والثواب الجسمانيان لكن الكافر في الدرك الاسفل من النار فيكون فوقه طبقات من النار • واما المؤمنون فيكونون
في اعلى عليين فلم يذكر فوقهم شيئا اشارة الى علو مرتبتهم وارتفاع منزلتهم • واما قوله تعالى غرف من فوقها غرف فلان
الغرف فوق الغرف لا فوقهم • والنار فوق النار وهي فوقهم • ومنها ان هنالك ذكر من تحت ارجلهم اثنان • وههنا ذكر من
تحت غرفهم الماء وذلك لان النار لا تؤلم اذا كانت مطلقا ما لم تكن في مسامتة الاقدام ومتصلة بها • اما اذا كانت الشعلة
مائلة عن سمت القدم وان كانت تحتها او تكون مسامتة ولكن تكون غير ملاصقة بل تكون اسفل في وكر ولا يؤلم • واما
الماء اذا كان تحت الغرفة في اي جهة كان وعلى اي بعد كان يكون ملتذا به فقال في النار من تحت ارجلهم ليكون الالم بها وقال
ههنا من تحت الغرف لحصول اللذة بها كيف كان • ومنها ان هنالك قال ذوقوا لايلام قلوبهم بلفظ الامر • وههنا
قال نعم اجر العاملين لتفريح قلوبهم لا بصيغة الامر • وذلك لان لفظ الامر يدل على انقطاع التعلق بعده فان من
قال لاجيره خذ اجرتك يفهم منه انه بذلك ينقطع تعلقه عنه واما اذا قال اما اجرتك عندي او نعم ما لك من الاجر
يفهم منه ان ذلك عنده فلم يقل ههنا خذوا اجركم ايها العاملون وقال هنالك ذوقوا ما كنتم تعملون فان قال قائل فقد وردوا
يفهم منه الانقطاع فعذاب الكافر ينقطع • قلنا ليس كذلك لان الله اذا قال ذوقوا دل على انه اعطاهم جزاءهم وانقطع ما بينه
وبينهم لكن يبقى عليهم ذلك دائما ولا ينقص ولا يزداد • واما المؤمن اذا اعطاه شيئا فلا يتركه مع ما اعطاه بل يزيد له كل يوم
في النعم واليه الاشارة بقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة اي الذي يصل الى الكافر يدوم من غير زيادة والذي يصل
الى المؤمن يزداد على الدوام • واما الخلود وان لم يذكره في حق الكافر لكن ذلك معلوم بغيره من النصوص • ثم قال تعالى
الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ذكر امرين الصبر والتوكل لان الزمان ماض وحاضر ومستقبل لكن الماضي لا يتدارك
له ولا يؤمر العبد فيه بشيء • بقي الحاضر واللائق به الصبر • والمستقبل واللائق به التوكل • فيصبر على ما يصيبه
من الاذى في الحال • ويتوكل فيما يحتاج اليه في الاستقبال • واعلم ان الصبر والتوكل صفتان لا يحصلان الا مع العلم
بالله والعلم بما سوى الله • فمن علم ما سواه علم انه زايل فيهون عليه الصبر اذ الصبر على الزايل هين • واذا علم الله علم
انه باق يأتيه بالارزاق • فان فاته شيء فانه يتوكل على حي باق • وذكر الصبر والتوكل ههنا مناسب فان قوله
يا عبادي كان لبيان ان لا مانع من العبادة ومن يؤذى في بقعة فليخرج منها • فحصل الناس على قسمين قادر على الخروج
وهو متوكل على ربه • بترك الاوطان ومفارقة الاخوان وعاجز وهو صابر على تحمل الاذى مواظب على عبادة الله
ثم قال تعالى وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم لما ذكر الذين صبروا وعلى

ينقلون

فوق

لان لفظ الامر يدل على انقطاع التعلق بعده

انهم يتوكلون ذكر ما يعين على التوكل وهو حال الدواب التي لا تدخر شيا لغد ويأتيها كل يوم برزق رغد وفي الاية مسايل
المسئلة الاولى في كاي لغات اربع غير هذه كائن على وزن رايع وكاء على وزن رع وكاي على وزن ربعي وكي
على وزن رع ولم يقرا الا كاي وكائن قراة ابن كثير المسئلة الثانية كاي كلمة مركبة من كاف التشبيه واي التي تستعمل
استعمال من وما تركيبا وجعل المركب بمعنى كم ولم تكتب الا بالنون ليفصل بين المركب وغير المركب لان كاي يستعمل غير
مركب كما يقول القايل رايت رجلا لا كاي رجل يكون تقدير حذف المضاف اليه ويقال رايت رجلا لا كاي رجل وحينيذ
لا يكون كاي مركبا واذا كان كاي هاهنا مركبا كتبت بالنون للتمييز كما يكتب معدي كرب وبعلبك موصولا للفرق
وكما يكتب ثمة بالها لتمييز بينها وبين ثم المسئلة الثالثة كاين بمعنى كم ولم تستعمل الا مع من الا نادرا وكم تستعمل
كثيرا من غير من يقال كم رجلا وكم من رجل وذلك لما بينا من الفرق بين كاين بمعنى كم وكاين التي ليست مركبة وذلك
لان كاي اذا لم تكن مركبة لا يجوز ادخال من بعدها اذ لا يقال رايت رجلا كاين من رجل والمركبة بمعنى كم يجوز صحة
ذلك فيه فالزم للعرف قوله لا تحمل رزقها قيل لا تحمل لضعفها وقيل هي كالقمل والبرغوث والدود وغيرها وقيل
لا تدخر الله يرزقها واياكم بطريق القياس اي لا شك في ان رزقها ليس الا بالله وكذلك رزقكم فتوكلوا فان قال قايل
من قال بان الله يرزق الدواب بل النبات في الصحرا مسبب والحيوان يسعى اليه ويرعى فنقول الدليل عليه من ثلاثة اوجه
نظرا الى الرزق والى المرتزق والى مجموع الرزق والمرتزق اما بالنظر الى الرزق فالله تعالى لو لم يخلق النبات لم يكن
للحيوان رزق واما بالنظر الى المرتزق فلان الاغتذا ليس بمجرد الابتلاع بل لا بد من نسبة الغذا بالاعضا حتى يصير
الحشيش عظما ولحما وشحما وما ذاك الا بحكمة الله حيث خلق فيه جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة وغيرها من القوى
او محض قدرة الله وارادته فهو يرزقها واما بالنظر الى المرتزق والرزق فلان الله لو لم يهد الحيوان الى الغذا
ليعرفه من الشم ما كان يحصل له غذا الا ترى ان من الحيوان ما لا يعرف نوعا من انواع الغذا حتى يوضع في فمه فيلتذه
لبذوقه فياكله بعد ذلك فان كثيرا ما يكون الغنم لا يعرف الخمير ولا الشعير حتى يلتقم مرتين وثلاثة فيعرفه فياكله بعد
ذلك فارق فان قيل كيف يصح قياس الانسان على الحيوان فيما يوجب التوكل والحيوان رزقه لا يتعرض اليه اذا
اكل منه اليوم شيا وترك بقيته يجدها غدا اما مدا حد اليه يدا والانسان ان لم ياخذ اليوم لا يبقى له غدا شي وايضا
حاجات الانسان كثيرة فانه يحتاج الى اجناس اللباس وانواع الاطعمة ولا كذلك الحيوان وايضا قوت الحيوان مهيا
وقوت الانسان يحتاج الى كلفة كالزرع والحصاد والطحن والخبز فلو لم يجمعه قبل الحاجة ما كان يجده وقت الحاجة فنقول
لا نقول ان الجمع يقدح في التوكل بل قد يكون الزراع الحاصد متوكلا والراكع الساجد غير متوكل لان من يزرع ويكون
اعتماده على الله واعتقاده في الله انه ان كان يريد يرزق من غير زرع وان كان يريد لا يرزق من ذلك الزرع فيعمل وقلبه
مع الله هو متوكل حق التوكل ومن يصلي وقلبه معلق في يد زيد وعمرو هو غير متوكل واما قوله حاجات الانسان
كثيرة فنقول مكاسبه كثيرة ايضا فانه يكسب بيده كالخياط والنساج وبرجله كالساعي وغيره وبعينه كالناظر
وبلسانه كالحادي والمنادي وبفهمه كالمهندس والتاجر وبعلمه كالطبيب والفقيه وبقوة جسمه كالحمال
والعتال والحيوان لا مكاسب له فالرغيف الذي يحتاج اليه الانسان غدا او بعد غد بعيد ان لا يرزقه الله مع
هذه المكاسب فهو اولى بالتوكل وايضا الله تعالى خلق الانسان بحيث ياتيه الرزق واسبابه فان الله ملك الانسان
عماير الدنيا وجعلها بحيث تدخل في ملكه شا ام ابى حتى ان نتاج الانعام وثمار الاشجار تدخل في الملك وان لم يرده
مالك النعم والشجر واذا مات قرن ينتقل ذلك الى قرن اخر قهرا شاوا ام ابوا وليس كذلك حال الحيوان فلولا ان
الحيوان ان لم ياتي الرزق لا ياتيه رزقه فاذا الانسان لو توكل كان اقرب الى العقل من توكل الحيوان ثم قال
وهو السميع العليم سميع ان طلبتم الرزق يسمع ويجيب عليم ان سكتم لا يخفى عليه حاجتكم ومقدار حاجتكم ثم
قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض الى اخر الاية تقول لما بين الله الامر للمشرك مخاطبا
معه ولم ينتفع به واعرض عنه وخاطب المومن بقوله يا عبادي الذين امنوا واتم الكلام معه ذكر معه ما يكون
ارشادا للمشرك بحيث يسمعه وهذا طريق في غاية الحسن فان السيد اذا كان له عبدان او الوالد اذا كان له ولدان
واحدهما رشيد والاخر مفسد ينصح اولا المفسد فان لم يسمع يقول معرضا عنه ملتفتا الى الرشيد ان هذا لا يستحق
الخطاب فاسمع انت ولا تكن مثل هذا المفسد فيتضمن هذا الكلام نصيحة المصلح وزجر المفسد فان قوله هذا لا يستحق
الخطاب يوجب نكاية في قلبه ثم اذا ذكر مع المصلح في اثناء الكلام والمفسد يسمعه ان هذا اخاك العجب منه انه يعلم
قبح فعله ويعلم الفساد من الصلاح وسبيل الرشاد والفلاح ويشتغل بضده يكون هذا الكلام ايضا داعيا الى
سبيل الرشاد ومانعا له من ذلك الفساد فكذلك الله تعالى قال مع المومن العجب منهم انهم ان سالتهم من خلق السموات

والارض

والارض [illegible] لا يؤمنون وفي الاية لطايف احدها ذكر في السموات والارض الخلق وفي الشمس والقمر
التسخير وذلك لان مجرد خلق السموات والارض ليس حكمة فان الشمس لو كانت مخلوقة بحيث تكون في موضع واحد
لا تتغير لما حصل الليل والنهار ولا الصيف ولا الشتاء فاذا الحكمة في تحريكهما وتسخيرهما الثانية ان في لفظ التسخير وذلك
لان التحريك يدل على مجرد الحركة وليس مجرد الحركة كافية لانها لو كانت تتحرك مثل حركتنا لما كانت تقطع الفلك بالوف من
السنين فالحكمة في تحريكها بحيث [illegible] ثم انه جعل لها حركة واحدة بل حركات
احداها من المشرق الى المغرب في كل يوم وليلة مرة والاخرى حركتها من المغرب الى المشرق والدليل عليها ان الهلال يرى
في جانب المغرب على بعد مخصوص من الشمس ثم يبعد منها الى جانب المشرق حتى يرى القمر في نصف الشهر في مقابلة الشمس والشمس
على افق المغرب والقمر على افق المشرق وحركة اخرى [illegible] ولولا الحركة من المغرب الى
المشرق لما حصل الفصول ثم ان اصحاب الهيئة قالوا [illegible] واكثر المفسرين
الظاهرون ونحن نقول [illegible]
الفلك والفلك ساكن [illegible] وسنذكر
تمام البحث فيه [illegible] الثالثة ذكر امرين احدها خلق السموات والارض والاخر تسخير الشمس والقمر
لان الايجاد قد يكون للذوات وقد يكون للصفات فخلق السموات والارض اشارة الى ايجاد الذوات وتسخير الشمس
والقمر اشارة الى ايجاد الصفات وهي الحركة [illegible] ثم قال تعالى فاني يؤفكون يعني يعتقد
هذا فكيف يصرفون عن عبادة الله [illegible] ولا عظمة فوق عظمة خالق السموات والارض
ولا حقارة فوق حقارة الجماد [illegible] السموات فكيف
يتركون عبادة اعظم الموجودات ويشتغلون بعبادة اخس الموجودات ثم قال تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده لما بين الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الانسان بالرزق فقال المعبود اما ان يعبد لاستحقاقه
العبادة وهذه الاجسام ليست كذلك فالله مستحقها واما لكونه على الشان والله الذي خلق السموات على الشان
جلي البرهان فله العبادة واما لكونه ولي الاحسان والله يرزق الخلق فله الطول والاحسان والفضل والامتنان
فله العبادة من هذا الوجه ايضا وقوله لمن يشا اشارة الى كمال الاحسان وذلك لان الملك اذا امر الخازن باعطا شخص شيا
فاذا اعطاه يكون له منة يسيرة حقيرة لان الاخذ يقول هذا ليس بارادته وانما هو بامر الملك واما ان كان مختارا
بان قال له الملك ان شيت فاعطه وان شيت فلا تعطه فان اعطاه يكون له منة جليلة لا قليلة فقال الله تعالى الرزق منه
وبمشيته فهو احسان تام يوجب شكرا تاما وقوله ويقدر له اي يضيق له ان اراد ثم قال ان الله بكل شي عليم اي يعلم
مقادير الحاجات ومقادير الارزاق وفي اثبات العلم هاهنا لطايف منها ان الرازق الذي هو كامل المشية اذا راى عبده
محتاجا وعلم جوعه لا يوخر عنه الرزق ولا يوخر الرازق الرزق الا لنقصان في نفوذ مشيته كالملك اذا اراد الاطعام
والطعام لا يكون بعد قد استوى او لعدم علمه بجوع العبيد الثانية وهي ان الله باثبات العلم استوعب ذكر الصفات
التي هي صفات الاله ومن انكرها كفر وهي اربعة الحياة والارادة والقدرة والعلم واما السمع والبصر
والكلام القايم به من ينكرها يكون مبتدعا لا كافرا وقد استوفى الاربع لان قوله خلق السموات والارض اشارة الى كمال
القدرة وقوله يبسط الرزق لمن يشا اشارة الى نفوذ مشيته وارادته وقوله ان الله بكل شي عليم اشارة
الى شمول علمه والقادر المريد العالم لا يتصور الا حيا ثم انه تعالى لما قال الله يبسط الرزق ذكر اعترافهم بذلك
فقال ولين سالتهم من نزل من السما ما فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله يعني هذا سبب الرزق وموجد
السبب موجد المسبب والرزق من الله ثم قال قل الحمد لله وهو يحتمل وجوها احدها ان يكون كلاما معترضا
في اثنا كلام كانه قال فاحيا به الارض من بعد موتها بل اكثرهم لا يعقلون فذكر في اثنا هذا الكلام الحمد لذكر
النعمة كما قال القايل شعر ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان الثاني ان يكون
المراد منه كلاما متصلا وهو انهم يعترفون بان ذلك من الله ويعترفون ولا يعملون بما يعلمون وانت تعلم
وتعمل وكذلك المومنون فقل الحمد لله واكثرهم لا يعقلون ان الحمد كله لله فيحمدون غير الله على نعمة هي من الله
الثالث ان يكون المراد انهم يقولون انه من الله ويقولون بالهية غير الله فيظهر تناقض كلامهم وتهافت مذهبهم
فقل الحمد لله على ظهور تناقضهم واكثرهم لا يعقلون هذا التناقض وفساد هذا التناقض ثم قال تعالى
وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون لما بين انهم يعترفون
بكون الله هو الخالق وكونه هو الرزاق وهم يتركون عبادته ولا يتركونها الا لزينة الحياة الدنيا بين انها يميلون اليه

ليس بشيء بقوله وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وفي الآية مسائل **المسألة الاولى** ما الفرق بين اللهو واللعب حتى يصح عطف احدهما على الآخر فنقول الفرق من وجهين احدهما ان كل شغل يفرض فان المكلف اذا اقبل عليه لزمه الاعراض عن غيره ومن لا يشغله شان عن شان هو الله تعالى فالذي يقبل على الباطل للذة يسيرة زائلة ملزمة الاعراض عن الحق فالاقبال على الباطل لعب والاعراض عن الحق لهو فالدنيا لعب اي اقبال على الباطل ولهو اي اعراض عن الحق الثاني هو ان المشتغل بشيء يرجح ذلك على غيره لا محالة حتى يشتغل به فاما ان يكون ذلك الترجيح على وجه التقديم بان يقول اقدم هذا وذلك لآخر آتي به بعده او يكون على وجه الاستغراق فيه والاعراض عن غيره بالكلية فالاول لعب والثاني لهو والدليل عليه هو ان الشطرنج والحمام وغيرهما مما يقرب منهما لا يسمى آلات الملاهي في العرف والعود وغيره من الاوتار يسمى آلات الملاهي لانها تلهي الانسان عن غيرها لما فيها من اللذة الحالية فالدنيا للبعض لعب يشتغل به ويقول بعد هذا الشغل اشتغل بالعبادة والآخرة وللبعض لهو يشتغل به وينسى الآخرة بالكلية **المسألة الثانية** قال الله تعالى في الانعام وما الحياة الدنيا ولم يقل وما هذه الحياة وقال هاهنا وما هذه فنقول لان المذكور من قبل هاهنا امر الدنيا حيث قال تعالى فاحيا به الارض بعد موتها فقال هذه والمذكور قبلها هناك الآخرة حيث قال يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم فلم تكن الدنيا في ذلك الوقت في خاطرهم فقال وما الحياة الدنيا **المسألة الثالثة** قال هناك الا لعب ولهو وقال هاهنا الا لهو ولعب فنقول لما كان المذكور من قبل الآخرة واظهارهم للحسرة ففي ذلك الوقت يبعد الاستغراق في الدنيا بل نفس الاشتغال بها فاخر الابعد واما هاهنا لما كان المذكور من قبل الدنيا وهي خداعة تدعو النفوس الى الاقبال عليها والاستغراق فيها الا لمانع يمنعه من الاستغراق فيشتغل بها من غير استغراق فيها وللعاصم يعصمه فلا يشتغل بها اصلا فكان هاهنا الاستغراق اقرب من عدمه فقدم اللهو **المسألة الرابعة** قال هناك وللدار الآخرة خير وقال هاهنا وان الدار الآخرة لهي الحيوان فنقول لما كان الحال هناك حال اظهار الحسرة ما كان المكلف يحتاج الى رادع قوي فقال الآخرة خير ولما كان هاهنا الحال حال الاشتغال بالدنيا احتاج الى رادع قوي فقال لا حياة الا حياة الآخرة وهذا كما ان العاقل اذا عرض عليه شيئان فقال في احدهما هذا خير من ذلك يكون هذا ترجيحا فحسب ولو قال هذا جيد وهذا الآخر ليس بشيء يكون مرجحا مع المبالغة فكذلك هاهنا بالغ لكون المكلف متوغلا فيها **المسألة الخامسة** قال هناك خير للذين يتقون ولم يقل هاهنا انها هي الحيوان لقوم لان الآخرة خير للمتقي فحسب اي المتقي عن الشرك واما الكافر فالدنيا جنته فهي خير من الآخرة واما كون الآخرة باقية فيها الحياة الدائمة ولا تختص بقوم دون قوم **المسألة السادسة** كيف اطلق الحيوان على الدار الآخرة مع ان الحيوان نام مدرك فنقول الحيوان مصدر حي كالحياة لكن فيها مبالغة ليست في الحياة والمراد بالدار الآخرة هي الحياة الثانية المعتبرة او نقول لما كانت الآخرة فيها الزيادة والنمو كما قال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وكانت هي محل الادراك التام الحق كما قال تعالى يوم تبلى السرائر اطلق عليها الاسم المستعمل في النامي المدرك **المسألة السا[بعة]** قال في الانعام لو كانوا يعقلون وقال هاهنا لو كانوا يعلمون وذلك لان المثبت هناك كون الآخرة خيرا وانه ظاهر لا يتوقف الا على العقل والمثبت هاهنا ان لا حياة الا حياة الآخرة وهذا دقيق لا يعرف الا بعلم نافع ثم قال تعالى **فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله** اشارة الى تحقيق ان المانع من التوحيد هو الحياة الدنيا وبيان ذلك هو انهم اذا انقطع رجاؤهم عن الدنيا رجعوا الى الفطرة الشاهدة بالتوحيد ووحدوا واخلصوا فاذا انجاهم وارجاهم عادوا الى ما كانوا عليه من حب الدنيا واشركوا ثم قال تعالى **ليكفروا بما آتيناهم** وفيه وجهان احدهما ان اللام لام كي اي يشركون ليكون اشراكهم كفرا بنعمة الانجاء وليتمتعوا بسبب الشرك فسوف يعلمون وبال عملهم حين زوال الامل والثاني ان يكون لام الامر ويكون المعنى ليكفروا على التهديد كما قال تعالى اعملوا ما شئتم وكما قال اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون فساد ما تعملون ثم قال تعالى **اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا** التفسير ظاهر وانما الدقيق وجه تعلق الآية بما قبلها فنقول الانسان في البحر يكون على اخوف ما يكون وفي بيته يكون على آمن ما يكون لا سيما اذا كان بيته في بلد حصين فلما ذكر الله المشركين حالهم عند الخوف الشديد ورأوا انفسهم في تلك الحالة راجعة الى الله تعالى ذكرهم حالهم عند الامن العظيم وهي كونهم في مكة فانها مدينتهم وبلدهم وفيها سكنهم ومولدهم وهي حصينة بحصن الله حيث كل من حولها يمتنع من قتال من حصل فيها والحصول فيها يدفع الشرور عن النفوس ويكفيها يعني انكم في اخوف ما كنتم دعوتم الله وفي آمن ما حصلتم عليه كفرتم بالله وهذا متناقض لان دعاءكم في ذلك الوقت على سبيل الاخلاص ما كان الا لقطعكم بان النعمة من الله لا غير فهذه النعمة العظيمة التي حصلت وقد اعترفتم انها لا تكون الا من الله كيف تكفرون بها

والاصنام التي

والاصنام [illegible] ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه [illegible] والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا [illegible] وان الله لمع المحسنين [illegible]

سورة الروم مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى **الم غلبت الروم** وجه تعلق هذه الآية بما قبلها يتبين منه سبب النزول فنقول لما قال الله تعالى في السورة المتقدمة ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن كان يجادل المشركين وينسبهم الى عدم العقل كما في قوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وكان اهل الكتاب يوافقون النبي في الاله كما قال والهنا والهكم واحد وكانوا يؤمنون بكثير مما يقوله بل كثير منهم كانوا مؤمنين به كما قال والذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به فابغض المشركون اهل الكتاب وتركوا مراجعتهم وكانوا من قبل يراجعونهم في الامور فلما وقعت الكسرة عليهم حين قاتلهم الفرس والمجوس فرح المشركون بذلك فانزل الله هذه الآيات لبيان ان الغلبة لا تدل على الحق بل الله تعالى يريد مزيد ثواب المحب فيبتليه ويسلط عليه الاعادي وقد يختار تعجيل العذاب الادنى دون العذاب الاكبر قبل يوم المعاد للمعادي وفي الآية مسائل **المسألة الاولى** ما الحكمة في افتتاح هذه السورة بحروف التهجي فنقول ان كل سورة افتتحت بحروف التهجي في اولها ذكر الكتاب والتنزيل والقرآن كما في قوله الم ذلك الكتاب المص كتاب طه ما انزلنا عليك القرآن الر تنزيل الكتاب حم تنزيل من الرحمن الرحيم يس والقرآن الحكيم ص والقرآن ق والقرآن الا هذه السورة وسورتين اخريين ذكرناهما في العنكبوت وقد ذكرنا الحكمة فيهما في موضعهما فنقول ما يتعلق بهذه السورة وهي ان السورة التي في اوائلها التنزيل والكتاب والقرآن في اوائلها ذكر ما هو معجزة فقدمت عليها الحروف على ما تقدم بيانه في العنكبوت وهذه في اوائلها ذكر ما هو معجزة وهو الاخبار عن الغيب فقدمت الحروف التي لا يعلم معناها لينتبه السامع فيقبل بقلبه على الاستماع ثم ترد عليه المعجزة ويقرع الاسماع **المسألة الثانية** قوله في ادنى الارض اي ارض العرب

لان الالف واللام للتعريف والمعهود عندهم ارضهم • وقوله وهم من بعد غلبهم اية فايدة في ذكره مع ان قوله سيغلبون
بعد قوله غلبت الروم لا يكون الا من بعد الغلب فنقول الفايدة فيه اظهار القدرة وبيان ان ذلك بامر الله لان من غلب
بعد غلبه لا يكون الا ضعيفا فلو كان غلبتهم لشوكتهم لكان الواجب ان يغلبوا قبل ان غلبوا فاذا غلبوا بعدما غلبوا دل على ان
ذلك بامر الله فذكر من بعد غلبهم ليتفكروا في ضعفهم ويتذكروا انه ليس [illegible] وانما ذلك بامر الله • وقوله في ادنى
الارض لبيان شدة ضعفهم اي انتهى ضعفهم الى ان وصل عدوهم الى طريق الحجاز وكسروهم وهم في بلادهم ثم غلبوا حتى
وصلوا الى المداين وبنوا هناك الرومية لبيان ان هذه الغلبة العظيمة بعد ذلك الضعف باذن الله • المسئلة الثالثة
قال في بضع سنين قيل هي ما بين الثلاثة والعشرة ابهم الوقت مع ان المعجز في تعيين الوقت اتم فنقول السنة والشهر
واليوم والساعة كلها معلومة عند الله تعالى وبينها لنبيه وما اذن له في اظهاره لان الكفار كانوا معاندين • والامور
التي تقع في البلاد النائية تكون معلومة الوقوع بحيث لا يمكن انكارها لكن وقتها يمكن الاختلاف فيه • فالمعاند كان يمكن
من ان يرجف بوقوع الواقعة قبل الوقوع ليحصل الخلف في الكلام • ولما وردت الاية ذكرها ابو بكر رضي الله عنه ان الروم
ستغلبون وانكره ابي بن خلف وغيره وناحبوا ابا بكر اي خاطروه على عشر قلايص الى ثلاث سنين فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لابي بكر بضع لما بين الثلاثة والعشرة فزايد في الاجل وماده في الاجل فجعلا القلايص مائة والاجل سبعا • وهذا
يدل على علم النبي صلى الله عليه وسلم بوقت الغلبة • ثم قال لله الامر من قبل ومن بعد اي قبل الغلبة ومن بعدها او من
قبل هذه المدة ومن بعدها يعني ان اراد ان تغلبهم غلبهم قبل بضع سنين • وان اراد ان تغلبهم عليهم بعدها وما قدر هذه
المدة لعجز وانما هو ارادة نافذة • وبني على الضمة لما قطعت عن الاضافة لان غير الفتحة والكسرة تشبه بما يدخل
عليهما من الاعراب وهو النصب والجر • اما النصب ففي قولك جيت قبله او بعده • اما الجر ففي قولك من قبله ومن بعده
فبنيا على الضمة لعدم دخول مثلها عليه في الاعراب وهو الرفع • ويومئذ يفرح المؤمنون • قيل يفرحون بغلبة الروم على الفرس
كما فرح المشركون بغلبة الفرس على الروم • والاصح انهم يفرحون بغلبتهم المشركين وذلك لان غلبة الروم كانت يوم غلبة المسلمين
المشركين ببدر ولو كان المراد ما ذكروه لما صح لان في ذلك اليوم بعينه لم يصل اليهم خبر الكسر فلا يكون فرحهم يومئذ بل الفرح
يحصل بعده • ثم قال بنصر الله ينصر من يشاء • قدم المصدر على الفعل حيث قال بنصر الله ينصر • وقدم الفعل على المصدر
في قوله وايدك بنصره وذلك لان المقصود ههنا بيان ان النصرة بيد الله ان اراد نصر وان لم يرد لا ينصر • وليس المقصود
النصرة ووقوعها والمقصود هناك اظهار النعمة عليه بانه نصره • فالمقصود هناك الفعل ووقوعه • فقدم هناك الفعل
ثم بين ان ذلك الفعل مصدره عند الله والمقصود ههنا كون المصدر عند الله ان اراد فعل فقدم المصدر • ثم قال
وهو العزيز الحكيم • ذكر من اسمائه هذين الاسمين لانه ان لم ينصر المحب بل سلط العدو عليه فذلك لعزته وعدم افتقاره
وان نصر المحب فذلك لرحمته عليه او نقول ان نصر الله المحب فلعزته واستغنائه عن العدو ورحمته على المحب • وان لم ينصر
المحب فلعزته واستغنائه عن المحب • ورحمته في الآخرة واصلة اليه • ثم قال تعالى وعد الله لا يخلف الله وعده
يعني سيغلبون وعدهم الله وعدا ووعد الله لا خلف فيه • قوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون • اي لا يعلمون وعده وانه لا
خلف في وعده • ثم قال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا يعني علمهم منحصر في الدنيا • وايضا لا يعلمون الدنيا
كما هي وانما يعلمون ظاهرها وهي ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهي مضارها ومتاعبها ويعلمون وجودها الظاهر
ولا يعلمون فناها وهم عن الآخرة هم غافلون • والمعنى هم عن الآخرة غافلون وذكرهم الثانية ليفيد ان الغفلة منهم
والا فاسباب التذكر حاصلة • وهذا كما يقول القائل لغيره غفلت عن امري فاذا قال هو شغلني فلان • فيقول لما شغلك
ولكن انت اشتغلت • ثم قال تعالى اولم يتفكروا في انفسهم لما صدر من الكفار الانكار بالله عند انكار وعد الله
وعدم الخلف فيه كما قال تعالى وهم عن الآخرة هم غافلون بين ان الغفلة وعدم العلم منهم بتقدير الله • والا فاسباب
التذكر حاصلة وهو انفسهم لو تفكروا فيها لعلموا وحدانية الله • وصدقوا بالحشر • اما الوحدانية فلان الله
خلقهم على احسن تقويم وليتذكر من حسن خلقتهم جزوا من الف الف جزء وهو ان الله تعالى خلق للانسان معدة فيها ينهضم غذاؤه
ليتقوى به اعضاؤه • ولهذا منفذان • احدهما لدخول الطعام فيه • والاخر لخروج الطعام منه • فاذا دخل الطعام فيها
انطبق المنفذ الاخر بعضه على بعض حتى لا يخرج منه ذرة ولا بالرشح وتمسكه الماسكة الى ان ينضج نضجا صالحا • ثم يخرج من المنفذ
الاخر • وخلق تحت المعدة عروقا رقاقا صلابا كالمصفاة التي تصفى بها الشيء ينزل منها الصافي الى الكبد • وينصب الثفل
الى معى مخلوقة تحت المعدة مستقيم متوجها الى الخروج وما يدخل في الكبد في العروق المذكورة • ويسمى الماساريقا
بالسريانية والعبرية غريبة مفسودة في الاكثر بقول الموسى ميشا وللاله ايل الى غير ذلك • فالماساريقا معناها ماسا ريق
اشتمل عليه الكبد وانضجه نضجا اخر • ويكون نقع الغذاء المتوجه من المعدة الى الكبد فضل ما مشروب ليرق وينبذرق في

العروق

العروق الدقاق المذكورة • وفي الكبد مستغنى عن ذلك الماء وينصب من جانب الحدبة الى الكلية ومعه دم يسير لتغتذي به الكلية
وغيرها ويخرج الدم الخالص من الكبد في عرق كبير كنهر • ثم يتشعب ذلك النهر الى جداول • والجداول الى سواقي والسواقي الى [illegible]
ويصل فيها الى جميع البدن • فهذه حكمة واحدة في خلق الانسان • وهذه كافية في معرفة كون الله فاعلا مختارا قادرا كاملا
عالما شاملا علمه • ومن يكون كذلك يكون واحدا • والا لكان عاجزا عند ارادة شريكه ضد ما اراده • واما دلالة الانسان
على الحشر فذلك لانه اذا تفكر في نفسه يرى قواه سائرة الى الزوال • واجزاءه مائلة الى الانحلال • فله فناء ضروري
فلو لم تكن له حياة اخرى لكان خلقه على هذا الوجه للفناء عبثا • واليها الاشارة بقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا • وهذا
ظاهر لان من يفعل شيئا للعب • فلو بالغ في احكامه واتقانه يضحك منه • فاذا خلقه كذلك للبقاء ولا بقاء دون اللقاء
فالآخرة لا بد منها • ثم انه تعالى ذكر بعد دليل الانفس دليل الآفاق فقال • وما خلق الله السموات والارض وما بينهما
الا بالحق واجل مسمى • فقوله الا بالحق اشارة الى وجه دلالتها على الوحدانية • وقد بينا ذلك في قوله تعالى خلق السموات
والارض بالحق ان في ذلك لاية للمؤمنين • ونعيده فان التكرير في الذهن يفيد التقرير لذي الذهن فنقول لما كان بالحق
لا يكون فيها بطلان فلا يكون فيها فساد لان كل فساد باطل • واذا لم يكن فيهما فساد لا يكون الهة • والا لكان فيهما فساد كما قال تعالى
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا • وقوله واجل مسمى يذكر بالاصل الاخر الذي انكروه • ثم قال تعالى وان كثيرا من
الناس بلقاء ربهم لكافرون يعني لا يعلمون انه لا بد بعد هذه الحياة من لقاء وبقاء • اما في ارتقاء • او في شقاء • وفي الاية
مسايل المسئلة الاولى قدم هاهنا دلايل الانفس على دلايل الآفاق • وفي قوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي
انفسهم قدم دلايل الآفاق • وذلك لان المفيد اذا افاد فايدة يذكرها على وجه جيد يختاره فان فهمه السامع المستفيد
فذلك والا يذكرها على وجه ابين منه وينزل درجة فدرجة • واما المستفيد فانه يفهم اولا الابين ثم يرتقي الى فهم
ذلك الاخفى الذي لم يكن فهمه فيفهمه بعد فهم الابين المذكور اخرا • فالمذكور من المفيد اخرا مفهوم عند السامع اولا
علم هذا فنقول هاهنا الفعل كان منسوبا الى السامع حيث قال اولم يتفكروا في انفسهم يعني فيما فهموه اولا ولم يفهموه
الى ما فهموه ثانيا • واما في قوله سنريهم الامر منسوب الى المفيد المسمع • فذكروا ولا الآفاق فان لم يفهموه فالانفس لان
الانفس لا ذهول للانسان عنها ولا يمكن الذهول • واما دلايل الآفاق فيمكن الذهول عنها • وهذا الترتيب مراعى في قوله
تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يعلمون ان الله بدلايل الانفس في ساير الاحوال • ويتفكرون في
خلق السموات والارض بدلايل الآفاق • المسئلة الثانية وجه دلالة الخلق بالحق على الوحدانية ظاهر • واما
وجه دلالته على الحشر وكيف هو فنقول وقوع تخريب السموات وعدمها لا يعلم بالعقل الا امكانه • واما وقوعه فلا
يعلم الا بالسمع لان الله قادر على ابقا الحادث ابدا كما انه يبقي الجنة والنار بعد احداثهما ابدا • والخلق دليل امكان
العدم لان المخلوق لم يجب له القدم • فجاز عليه العدم • فاذا اخبر الصادق عن امر له امكان • وجب على العاقل
التصديق والاذعان • ولان العالم لما كان خلقه بالحق ينبغي ان يكون بعد هذه الحياة حياة اخرى باقية لان هذه الحياة
ليست الا لعبا ولهوا كما بين بقوله تعالى وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب • وخلق السموات والارض لهوا واللعب
عبث والعبث ليس بحق • وخلق السموات والارض بالحق فلا بد من حياة بعد هذه • المسئلة الثالثة قال هاهنا
كثيرا من الناس • وقال من قبل ولكن اكثر الناس • وذلك لان من قبل لم يذكر دليلا على الاصلين • وهاهنا قد
ذكر الدلايل الواضحة • والبراهين اللايحة • ولا شك في ان الايمان بعد الدليل اكثر من الايمان قبل الدليل فبعد
الدلايل لا بد ان يؤمن من ذلك الكثير جمع فلا يبقى الاكثر كما هو فقال بعد اقامة الدليل وان كثيرا وقبله ولكن اكثر
بعد الدليل الذي لا يقع الذهول عنه • وان امكن هو السموات والارض لان البعيد ان يذهل الانسان عن السماء التي فوقهم
والارض التي تحته • فذكر ما يقع الذهول عنه وهو امر امثالهم • وحكاية اشكالهم • فقال اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم • وفي الدليلين المتقدمين اولم يروا او لم يقل او لم يسيروا لانه لا حاجة هناك
الى السير بل هو الى النفس والسماء والارض • وقال هاهنا اولم يسيروا فينظروا واذكرهم حال امثالهم • ووبال اشكالهم
ثم ذكرهم انهم اولى بالاهلاك • لان من تقدم من عاد وثمود كانوا اشد منهم قوة ولم تنفعهم قواهم وكانوا اكثر مالا وعمارة
ولم تمنع عنهم الهلاك اموالهم وحصونهم • واعلم ان اعتماد الانسان على ثلاثة اشياء • قوة جسمية فيه او في اعوانه
اذ بها المباشرة • وقوة مالية اذ بها التاهب للمباشرة • وقوة ظهرية يستند اليها عند الضعف والعثور وهي الحصون
والعماير فقال كانوا اشد منكم قوة في الجسم واكثر منكم مالا لانهم اثاروا الارض اي حرثوها • ومنه بقرة تثير الارض
وقيل منه سمي ثورا وانتم لا حراثة لكم • فالهم كان اكثر وعمارتهم كانت اكثر • لان ابنيتهم كانت رفيعة • وحصونهم منيعة
وعمارة اهل مكة كانت يسيرة • ثم هو كما جاءتهم رسلهم بالبينات وامروهم ونهوهم • فلما كذبوا اهلكوا فكيف انتم وقوله

فما كان الله ليظلمهم يعني لم يظلمهم بالتكليف فإن التكليف شريف لا يؤهل له إلا محل شريف ولكن هم ظلموا أنفسهم بوضعها في
موضع خسيس وهو عبادة الأصنام واتباع إبليس فكان الله بالتكليف وضعهم فيما خلقوا له وهو الربح لأنه تعالى قال
خلقتكم لتربحوا علي لا لأربح عليكم • والوضع في موضع كان الخلق له ليس بظلم • وأما هم وضعوا أنفسهم في مواضع
الخسران • ولم يكونوا خلقوا إلا للربح فهم كانوا ظالمين • وهذا الكلام منا وإن كان في الظاهر يشبه كلام المعتزلة
لكن العاقل يعلم كيف يقوله أهل السنة • وهو أن هذا الوضع كان بمشيئة الله وإرادته لكنه كان منهم ومضافا إليهم
ثم قال تعالى ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى كما قال للذين أحسنوا الحسنى وقوله أن كذبوا قيل معناه بأن
كذبوا أي كان عاقبتهم ذلك بسبب أنهم كذبوا • وقيل معناه أساؤا أي كذبوا فكذبوا يكون تفسيرا لأساؤا • وفي هذه
الآية لطايف • أحدها قال في حق الذين أحسنوا للذين أحسنوا وقال في حق من أساء ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى
إشارة إلى أن الجنة لهم من ابتداء الأمر فإن الحسنى اسم الجنة • والسوأى اسم النار • فإذا أن الجنة لهم من الابتداء ومن له
شيء كلما يزداد وينمو فيه فهو له لأن ملك الأصل يوجب ملك الثمرة • فالجنة من حيث خلقت تربو وتنمو للمحسنين وأما
الذين أساؤا فالسوأى وهي جهنم في العاقبة مصيرهم إليها • الثانية ذكر الزيادة في حق المحسن ولم يذكر الزيادة في
حق المسيء لأن جزاء سيئة مثلها • الثالثة لم يذكر في المحسن أن له الحسنى بأنه صدق وذكر في المسيء أن له السوأى بأنه
كذب لأن الحسنى للمحسن فضل لو لم يكن بفعله لسبب يكون بالغ • وأما السوأى للمسيء عدل • والعادل إذا لم يكن تعذيبه
لسبب لا يكون عدلا • فذكر السبب في التعذيب وهو الإصرار على التكذيب • ولم يذكر السبب في الثواب • ثم قال تعالى
يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون • لما ذكر أن عاقبتهم إلى الجحيم • وذلك في ذلك إشارة إلى الإعادة والحشر لم
يتركه دعوى بلا بينة فقال يبدؤا الله الخلق يعني من خلق بالقدرة والإرادة لا يعجز عن الرجعة والإعادة
وإليه ترجعون • ثم بين ما يكون وقت الرجوع إليه فقال ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون في ذلك اليوم يتبين إبلاسهم
ويتحقق إفلاسهم • والإبلاس يأس مع حيرة يعني يوم تقوم الساعة يكون المجرم يائسا متحيرا لا يأس هو أحدى الراحتين وهذا
لأن الطمع إذا انقطع باليأس • فإن كان المرجو أمرا غير ضروري يستريح الطامع من الانتظار وإن كان ضروريا لا بقاء له بدونه
ينفطر فؤاده أشد انفطار • ومثل هذا اليأس هو الإبلاس • ولنبين حال المجرم وإبلاسه بمثال وهو أن نقول مثله مثل
من يكون في بستان وحواليه الملاعب والملاهي ولديه ما يفتخر به ويباهي فيخبره صادق بمجيء عدو ولا يرده راد ولا يصده
صاد إذا جاءه لا يبقيه رفيقا • ولا يترك له إلى الخلاص طريقا • فيتحتم عليه الاشتغال بسلوك طريق الخلاص فيقول
له طفل أو مجنون بأن هذه الشجرة التي تستحسنها لها من الخواص دفع الأعادي عمن يكون تحتها فيقبل ذلك الغافل على
استيفاء ملاذه معتمدا على الشجرة بقول ذلك الصبي فيجيئه العدو ويحيط به • وأول ما يريه من الأهوال قلع
تلك الشجرة فيبقى متحيرا آيسا مفتقرا بائسا • فكذلك المجرم في دار الدنيا أقبل على استيفاء اللذات • وأخبره
النبي الصادق بأن الله يجيء به ويأتيه عذاب يخزيه • فقال له الشيطان والنفس الأمارة بالسوء إن هذه الأصنام
التي هي الأوثان دافعة عنك كل بأس • ونافعة لك عند خمود الحواس • فاشتغل بما هو فيه • واستمر على غيه
حتى إذا جاءته الطامة الكبرى • فأول ما أريته إلقاء الأصنام في النار فلا يجد إلى الخلاص من طريق • ويحوبه
عذاب الحريق • فييأس حينئذ وأي يأس • ويبلس أشد إبلاس • وإليه الإشارة بقوله تعالى ولم يكن لهم من شركائهم
من شفعاء • وكانوا بشركائهم كافرين يعني يكفرون بهم ذلك اليوم • ثم قال تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون • ثم بين أمرا آخر يكون في ذلك اليوم وهو الافتراق كما قال تعالى في آية أخرى وامتازوا اليوم
أيها المجرمون • وكان هذه الحالة مترتبة على الإبلاس • فكأنه أولا يبلس ثم يميز ويجعل فريق في الجنة وفريق
في السعير • وأعاد قوله ويوم تقوم الساعة لأن قيام الساعة أمر هائل مكروه تأكيدا للتخويف • ومنه اعتاد
الخطبا تكرير يوم القيمة في الخطب لتذكير أهواله • ثم بين كيفية التفرق وقال فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة يحبرون أي في جنة يسرون بكل مسرة • وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك
العذاب محضرون يعني لا غيبة لهم عنه ولا فتور له عنهم كما قال تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها • وقال
لا يفتر عنهم العذاب • وفي الآيتين مسايل فيها لطايف المسألة الأولى بدأ بذكر الذين آمنوا مع أن الموضع موضع
ذكر المجرمين • وذلك لأن المؤمن يوصل إليه الثواب قبل أن يوصل إلى الكافر العقاب حتى يرى ويتحقق أن المؤمن وصل إلى
الثواب فيكون أنكى ولو دخل الكافر النار أولا لكان يظن أن الكل في العذاب مشتركون • فقدم ذلك زيادة في إيلامهم
المسألة الثانية ذكر في المؤمن العمل الصالح ولم يذكر في الكافر العمل السيء لأن العمل الصالح معتبر مع الإيمان • فإن
الإيمان المجرد مفيد للنجاة دون رفع الدرجات • ولا يبلغ المؤمن الدرجة العالية إلا بإيمانه وعمله الصالح • وأما الكا

فهو في الدرك

فهو في الدركات المحرقة • فلو قال والذين كفروا وعملوا السيئات في العذاب محضرون لكان العذاب بحسنة من قصد منه المجموع • فإن
قيل فمن يؤمن ويعمل السيئات لم يذكر في القسمين • فنقول له منزلة بين المنزلتين [illegible] بل هو في الأولى
العذاب [illegible] وفي الآخرة هو في الرياض [illegible]
[illegible] المسألة الثالثة قال في الأولى في روضة على التنكير • وقال في الآخرة في العذاب على التعريف لتعظيم
الروضة بالتنكير كما تقول لفلان مال وجاه أي كثير وعظيم المسألة الرابعة قال في الأول يحبرون بصيغة الفعل ولم يقل
محبورون • وقال في الآخرة محضرون بصيغة الاسم ولم يقل يحضرون لأن الفعل ينبئ عن التجدد والاسم لا يدل عليه فقوله
يحبرون يعني كل ساعة يأتيهم أمر يسرون به • وأما الكفار فإنهم إذا دخلوا العذاب يبقون فيه محضرون • ثم قال تعالى
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون لما بين أن الله تعالى عظمته في الابتداء بقوله ما خلق الله السموات والأرض
وما بينهما إلا بالحق وعظمته في الانتهاء بقوله يوم تقوم الساعة [illegible]
[illegible]
لا أن التسبيح المأمور به بها ولا التنزيه بالقلب وهو الاعتقاد الجازم وباللسان مع ذلك وهو الذكر الحسن وبالأركان معهما جميعا
وهو العمل الصالح • والأول هو الأصل • والثاني ثمرة الأول • والثالث ثمرة الثاني • وذلك لأن الإنسان إذا اعتقد شيئا
ظهر من قلبه على لسانه • وإذا قال ظهر صدقه في مقاله من أحواله وأفعاله • واللسان ترجمان الجنان • والأركان برهان اللسان
لكن الصلاة أفضل أعمال الأركان • وهي مشتملة على الذكر باللسان • والقصد بالجنان • فهو تنزيه في التحقيق فإذا قال نزهوني
وهذا نوع من أنواع التنزيه • والأمر المطلق لا يختص بنوع دون نوع فيجب حمله على كل ما هو تنزيه فيكون هذا أيضا
أمرا بالصلاة • ثم أن قولنا يناسبه ما تقدم وذلك لأن الله تعالى لما بين أن المقام الأعلى والجزاء الأوفى لمن آمن وعمل الصالحات
حيث قال فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون قال إذا علمتم أن ذلك المقام لمن آمن وعمل الصالحات
والإيمان تنزيه بالجنان • وتوجيه باللسان • والعمل الصالح استعمال الأركان • فالكل تنزيهات وتحميدات • فسبحان الله
أي فأتوا بذلك الذي هو موصل إلى الحبور في الرياض • والحضور على الحياض المسألة الثانية خص بعض الأوقات بالأمر
بالتسبيح وذلك لأن أفضل الأعمال أدومها لكن الملائكة يلازمون التسبيح على الدوام كما قال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون
والإنسان ما دام في الدنيا لا يمكنه أن يصرف جميع أوقاته إلى التسبيح لكونه محتاجا إلى أكل وشرب وتحصيل مأكول ومشروب
وملبوس ومركوب • فأشار الله إلى أوقات إذا أتى العبد بتسبيح الله فيها يكون كأنه لا يفتر وهو الأول والآخر والوسط وأول
النهار وآخره ووسطه بالظهر • وأول الليل ووسطه ولم يأمر بالتسبيح في آخر الليل لأن النوم فيه غالب • والله من على عباده
بالاستراحة بالنوم كما قال ومن آياته منامكم بالليل فإذا صلى أول النهار ركعتين وهما ركعتان حسب له صرف ساعتين إلى التسبيح
ثم إذا صلى أربع ركعات وقت الظهر حسب له أربع ساعات أخر فصارت ست ساعات • وإذا صلى أربعا في آخر النهار وهو العصر
حسب له أربع أخرى صارت له عشر ساعات • فإذا صلى المغرب والعشاء سبع ركعات أخر فحصل له صرف سبع عشرة ساعة إلى التسبيح
وبقي من الليل والنهار سبع ساعات • وهي ما بين نصف الليل وثلثيه لأن ثلثيه ثمان ساعات • ونصفه ست ساعات • وما بينهما
السبع • وهذا القدر لو نام الإنسان فيه لكان كثيرا • وإليه أشار تعالى في قوله قم الليل إلا قليلا أو زد عليه وزيادة القليل
على النصف هي ساعة فتصير سبع ساعات مصروفة إلى النوم • والنائم مرفوع عنه القلم • فيقول الله عبدي صرف جميع أوقات
تكليفه في تسبيحي فلم يبق لكم أيها الملائكة عليهم المزية التي ادعيتم بقولكم نحن نسبح بحمدك ونقدس لك على سبيل الانحصار بل هم
مثلكم • فمقامهم مثل مقامكم في أعلى عليين • واعلم أن في موضع الصلاة في أوقاتها • وعدد ركعاتها • والاختلاف فيها فيها
حكمة بالغة • أما في عدد الركعات فما تقدم من كون الإنسان يقظان في سبع عشرة ساعة ففرض عليه سبع عشرة ركعة • وأما
على مذهب أبي حنيفة رحمه الله حيث قال بوجوب الوتر ثلاث ركعات فهو أقرب للتقوى • فنقول هو مأخوذ من أن الإنسان
ينبغي أن يقل نومه • فلا ينام إلا ثلث الليل مأخوذ من قوله إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وفهم
من هذا أن قيام ثلثي الليل مستحسن مستحب مؤكد باستحباب • ولهذا قال عقيبه علم أن لن تحصوه فتاب عليكم ذكر لفظ
التوبة • فإذا كان كذلك يكون الإنسان يقظان في عشرين ساعة فأمر بعشرين ركعة • وأما النبي عليه الصلاة والسلام
فلما كان من شأنه أن لا ينام أصلا كما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي جعل له كل الليل كالنهار فزيد له التهجد نافلة به • وإلى هذا
أشار تعالى في قوله ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا أي كل الليل لك للتسبيح فصار هو في أربع وعشرين ساعة

تقسم الساعات للعباد

مسبحًا فصار من الذين لا يفترون طرفة عين • واما في اول وقاته فما تقدم ايضا من الاول والاخر والوسط وهو
المعتبر • فشرع التسبيح في اول النهار واخره • واما الليل فاعتبر اوله ووسطه كما اعتبر اول النهار ووسطه وذلك
لان الظهر وقته نصف النهار • والعشا وقته نصف الليل لا يا تينا ان الليل المعتبر هو المقدار الذي يكون الانسان فيه
نقصان وهو مقدار خمس ساعات • فجعل وقته في نصف هذا القدر وهو الثلث من الليل • واما ابو
حنيفة رحمه الله لما راى وجوب الوتر كان زمان النوم عنده اربع ساعات • وزمان اليقظة في الليل
ثمان ساعات • فاخر وقت العشا الاخرة الى الرابعة والخامسة ليكون في وسط الليل المعتبر كما ان الظهر
في وسط النهار • واما النبي عليه السلام لما كان ليله نهارا • ونومه انتباها • قال لولا ان اشق على امتي
لامرتهم بالسواك • وتاخير العشا الى نصف الليل ليكون الاربع في نصف الليل كما ان الاربع في نصف النهار
واما التفاصيل فالذي تبين في ان النهار اثنا عشر ساعة زمانية • والصلاة المؤداة فيها عشر ركعات • فينبغي
على المكلف ركعتان يؤديهما في اول الليل • ويؤدي ركعة من صلاة الليل ليكون ابتدا الليل بالتسبيح كما كان ابتدا
النهار بالتسبيح • ولما كان المؤدى من تسبيح النهار في اوله ركعتان كما المؤدى من تسبيح الليل في اوله ركعة لان تسبيح
النهار طويل مثل ضعف تسبيح الليل فاوله ركعة لان المؤدى في النهار عشرة • والمؤدى في الثلث من تسبيح الليل خمس

المسئلة الثالثة في فضيلة السبحلة والحمدلة في المسا والصباح • ولنذكرها من حيث النقل والعقل • اما النقل
فاخبرني الشيخ الورع الحافظ الاستاذ عبد الرحمن بن علوان حلب مسندا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لبعض اصحابه
انجران ياتي وقت النوم بالفحشة فتوقف فقال النبي عليه السلام قل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
ماية مرة يكتب لك بها الف حسنة • وسمعته يقول رحمه الله مسندا من قال خلف كل صلاة مكتوبة عشر مرات
سبحان الله • وعشر مرات الحمد لله • وعشر مرات الله اكبر ادخل الجنة • واما العقل فهو ان الله تعالى له صفات
لازمة لا من فعله • وصفات ثابتة له من فعله • اما الاولى فهي صفات كمال وجلال لخلافها نقص • فاذا ادرك
المكلف الله بانه لا يجوز ان يخفى عليه شي لكونه عالما بكل شي فقد نزهه عن الجهل ووصفه بضده او خلافه • واذا
عرفه بانه لا يعجز عن شي لكونه قادرا على كل شي فقد نزهه عن العجز • واذا علم انه لا يجري الا ما يشا لكونه مريدا لكل
كاين ووصفه ونزهه • واذا ظهر له انه لا يجري عليه الفنا لكونه واجب البقا نزهه • واذا بان له انه لا يسبقه
العدم • لاتصافه بالقدم نزهه • واذا بان له انه لا يسبقه العدم • لاتصافه بالقدم • نزهه • واذا
لاح له انه لا يجوز ان يكون عرضا او جسما • او في مكان لكونه واجبا بريئا عن جهات الامكان نزهه لكن صفاته السلبية
والاضافية لا يعدها عاد ولو اشتغل فيها واحد لا في عمره ولا يدرك كنهها • فاذا قال قايل مستحضرا بقلبه سبحان
الله منبها بقوله من كونه منزها له عن كل نقص فاتيانه بالتسبيح على هذا الوجه من الاجمال يقوم مقام اتيانه على سبيل التفصيل
لكن لا ريب في ان من اتى بالتسبيح عند كل واحد واحد مما لا يجوز على الله لن يكون قد اتى بما لا يفي به الاعمار • فيقال هذا العبد
قد اتى بتسبيحي طول عمره ومدة بقايه فاجازيه بان اطهره عن كل ذنب • وازينه بخلع الكرامة • وانزله بدار المقامة مدة
لا انتهاء لها • وكما ان العبد ينزه الله في اول النهار واخره ووسطه • الله تعالى يطهره في اوله وهو دنياه وفي اخره وهو
عقباه • وفي وسطه وهو حالة كونه في قبره والذي الى وان حشره هو معناه • واما الثانية وهو صفات الفعل • فالانسان
اذا نظر الى خلق الله السموات يعلم انها نعمة وكرامة فيقول الحمد لله • فاذا راى الشمس فيها بازغة فيعلم انها نعمة وكرامة
فيقول الحمد لله • وكذلك القمر والكواكب والارض وكل نبات وكل حيوان يقول الحمد لله لكن الانسان ان حمد الله على
حين لا يفي عمره به • فاذا استحضر في ذهنه النعم التي لا تعد كما قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها • ويقول
الحمد لله على ذلك • فهذا الحمد على وجه الاجمال يقبل منه مقام الحمد على سبيل التفصيل • ويقال عبدي استغرق عمره في
حمدي وانا وعدت الشاكر بالزيادة • فله على حسنة التسبيح الحسنى وله على حمده الزيادة • ثم ان الانسان اذا استغرق
في صفات الله فقد دعوه عقله الى التفكر في الله تعالى لتفكر في الاء الله • فكل ما يقع في عقله من حقيقته ينبغي ان يعرف
الله اكبر مما ادركه لكن المدركات • وجهات الادراكات • لا نهاية لها • فان اراد ان يقول على سبيل التفصيل الله اكبر
من هذا الذي ادركته من هذا الوجه • واكبر مما ادركته من ذلك الوجه • واكبر مما ادركه من وجه اخر يفني عمره • ولا يفي
بادراك جميع الوجوه التي يظن الظان انه يدرك الله بذلك الوجه • فاذا قال مع نفسه الله اكبر اي من كل ما اتصور
بقوة عقلي في طاقة ادراكي يكون متوغلا في العرفان • واليه الاشارة بقوله العجز عن درك الادراك ادراك • فقول
القايل المستيقظ سبحان الله والحمد لله • والله اكبر مفيد لهذه الفوايد لكن شرطه ان يكون كلاما معتبرا وهو الذي
يكون من صميم القلب لا الذي يكون من طرف اللسان **المسئلة الرابعة** قوله وعشيا عطفا على حين اي سبحوه حين

تمسون

تمسون وحين تصبحون وعشيا والحمد لله في السموات والارض كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه • وفيه لطيفة وهي ان
الله تعالى لما امر العباد بالتسبيح كانه بين لهم ان تسبيحهم الله لنفعهم لا لنفع يعود على الله • فعليهم ان يحمدوا الله اذا سبحوه
وهذا كما في قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم **المسئلة الخامسة**
قدم الامسا على الاصباح هاهنا واخره في قوله وسبحوه بكرة واصيلا • وذلك لان هاهنا اول الكلام ذكر الحشر والاعادة
من قوله الله يبدو الخلق ثم يعيده الى قوله فاولئك في العذاب محضرون • واخر هذه الاية ايضا ذكر الحشر والاعادة بقوله وكذلك
تخرجون • والامسا اخر فذكر الاخر ليذكر الاخرة **المسئلة السادسة** في تعلق اخراج الحي من الميت والميت من الحي بما تقدم
عليه هو ان عند الاصباح يخرج الانسان من شبه الموت وهو النوم الى شبه الوجود وهو اليقظة وعند العشا يخرج الانسان
من اليقظة الى النوم • واختلف المفسرون في قوله يخرج الحي من الميت فقال اكثرهم يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة
من الدجاجة • وكذلك الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان • وقال بعضهم المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن • ويمكن
ان يقال المراد يخرج الحي من الميت • اليقظان من النايم • والنايم من اليقظان • وهذا يكون قد ذكره للتمثيل اي احيا الميت عنده
فاماتته الحي كتنبيه النايم • وتنويم المنتبه • ثم قال ويحيي الارض بعد موتها • وفي هذا معنى لطيف وهو ان الانسان بالموت
تبطل حيوانيته • واما نفسه الناطقة فتفارقه وتبقى بعده • كما قال ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا لكن الحيوان
نايم متحرك حساس لكن النايم لا يتحرك ولا يحس • والارض ميتة لا يكون فيها نامي • ثم النايم بالانتباه يتحرك ويحس • والارض الميتة
بعد موتها تنمو بنباتها فكان ان تحريك ذلك الساكن • فاما هذا الواقف سهل على الله كذلك احيا الميت سهل عليه • والى هذا
اشار بقوله وكذلك تخرجون • ثم قال تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون
لما امر الله تعالى بالتسبيح على الاستوا • وذكر ان الحمد له على خلق جميع الاشيا وبين قدرته على الاماتة والاحيا بقوله فسبحان الله
الى قوله وكذلك تخرجون • وذكر ما هو حجة ظاهرة • واية باهرة على ذلك ومن جملتها خلق الانسان من تراب • وتقريره
هو ان التراب ابعد الاشيا عن درجة الاحيا وذلك من حيث كيفيته فانه بارد يابس والحياة بالحرارة والرطوبة • ومن حيث
لونه فانه كدر • والروح نير ومن حيث فعله فانه ثقيل • والارواح التي بها الحياة فانها خفيفة • ومن حيث السكون فانه
بعيد عن الحركة • والحيوان يتحرك يمنة ويسرة والى خلف والى قدام • والى فوق والى اسفل • وبالجملة فالتراب ابعد عن قبول
الحياة من ساير الاجسام لان العناصر ابعد من المركبات لان المركب بالتركيب اقرب درجة من الحيوان والعناصر ابعدها التراب
لان الماء فيه الصفا والرطوبة والحركة وكلها على طبع الارواح • والنار قريب لانها كالحرارة الغريزية منضجة جامعة مفرقة
ثم المركبات • واول مراتبها المعدن فانه ممتزج وله مراتب اعلاها الذهب وهو قريب من ادنى مراتب النبات وهي مرتبة
النبات التي تنبت في الارض ولا تبرز ولا ترتفع واعلى مراتبها وهي مرتبة الاشجار التي تقبل التعظيم ويكون لثمرها حب يوجد
منه مثل تلك الشجرة كالبيضة من الدجاجة والدجاجة من البيضة قريبة من ادنى مراتب الحيوان وهي مرتبة التي لها دم
سايل ولا هي الى المنافع الجليلة وساير كالنبات ثم الحيوان واعلى مراتبها قريبة من مرتبة الانسان فان الانعام ولا سيما الفيل
تشبه العيار والجمال والساعم للانسان • واعلى مراتب الانسان قريبة من مرتبة الملائكة المسبحين لله الحامدين له فالله
الذي خلق من ابعد الاشيا عن مرتبة الاحيا حيا هو في اعلى المراتب لا يكون الا منزها عن العجز والجهل ويكون له الحمد على
انعام الحياة ويكون له كمال القدرة ونفوذ الارادة فيجوز منه الابدا والاعادة • وفي الاية لطيفتان • احداهما
قوله فاذا وهي للمفاجاة • يقال خرجت فاذا اسد في الباب وهو اشارة الى انه تعالى خلقه من تراب بكن فكان لا انه صار
معدنيا ثم نباتا ثم حيوانا • ثم انسانا وهذا اشارة الى مسئلة حكمية وهي انه تعالى يخلق اولا انسانا فينبغيه انه يخلق حيوانا
ونامنيا وغير ذلك لا انه يخلق اولا حيوانا ثم يجعله انسانا فخلق الانواع هو المراد الاول • ثم تكون الانواع فيها
الاجناس بتلك الارادة الاولى فالله تعالى جعل المرتبة الاخيرة في الشي البعيد عنها غاية من غير انتقال من مرتبة الى
مرتبة من المراتب التي ذكرناها • اللطيفة الثانية كنتم بشرا اشارة الى القوة المدركة لان البشر بشر لا بحركته فانه غيره من
الحيوانات ايضا كذلك • وقوله تنتشرون اشارة الى القوة المحركة وكلاهما من التراب عجيب • اما الادراك فلكثافته
وخموده • واما الحركة فلثقله وخموده • وقوله تنتشرون ايضا اشارة الى ان العجيبة غير مختص بخلق الانسان من
التراب بل خلق الحيوان المنتشر من التراب الساكن عجيب فضلا عن خلق البشر • وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى**
وهي ان الله خلق ادم من تراب • وخلقنا منه فكيف قال خلقكم من تراب الجواب عنه من وجهين • احدهما ما قيل
ان المراد من قوله خلقكم انه خلق اصلكم • والثاني ان نقول كل بشر مخلوق من التراب • اما ادم فظاهر واما
نحن فلانا خلقنا من نطفة والنطفة من صالح الغذا الذي هو بالقوة بعض من الاعضا والغذا اما من لحوم
الحيوانات والبانها واسمانها • واما من النبات والحيوان ايضا له غذا هو النبات لكن النبات من التراب فان الحبة

يكتب لك بها الف حسنة

فيقول الحمد لله

اول مراتبها المعدن

وفي الاية لطيفتان

من الحنطة والنواة من التمرة ولا تصير شجرة الا بالتراب • وينضم اليها اجزاء ترابية ليصير ذلك النبات غذاء
المسئلة الثانية قال تعالى في موضع آخر وخلق من الماء بشرا وقال من ماء مهين • وهاهنا قال من تراب فكيف
الجمع قلنا اما على الجواب الاول فالسؤال زايل فان المراد منه آدم • واما على الثاني فنقول هاهنا قال ما هو اصل اول
وفي ذلك الموضع قال ما هو اصل ثان لان ذلك التراب الذي صار غذاء يصير ماء مائيا وهو المني ثم ينعقد ويتكون ويخلق
الله منه انسانا • او نقول الانسان له اصلان ظاهران الماء والتراب فان التراب لا ينبت الا بالماء ففي النبات الذي هو اصل
غذاء الانسان تراب وماء • فان جعل التراب اصلا • والماء يجمع اجزاءه المتفتتة فالامر كذلك • وان جعل الاصل هو الماء
والتراب ليثبت اجزاءه الرطبة عن السيلان فالامر كذلك • فان قال قايل الله يعلم كل شيء فهو يعلم ان الاصل ما ذا هو منهما
وانما الامر عندنا مشتبه يجوز هذا وذاك • فان كان الاصل هو التراب فكيف قال من الماء بشرا • وان كان الماء فكيف
قال خلقكم من تراب • وان كانا هما اصلين فلم لم يقل خلقكم منهما فنقول فيه لطيفة وهي ان كون التراب اصلا
والماء اصلا ليس لذاتيهما وانما هو بجعل الله تعالى فان نظر الى قدرته كان له ان يخلق اولا الانسان ثم يفنيه ويحصل
منه التراب ويذريه ويحصل منه الماء لكن الحكمة اقتضت ان يكون الناقص وسيلة الى الكامل لا الكامل يكون وسيلة
الى الناقص • فخلق التراب والماء اولا وجعلهما اصلين لمن هو اكمل منهما بل للذي هو اكمل من كل كاين وهو الانسان فاذا
كان كونهما اصلين ليس امرا ذاتيا لهما بل بجعل جاعل • فتارة جعل الاصل التراب • وتارة الماء ليعلم انه بارادته
واختياره • فان شاء جعل هذا اصلا • وان شاء جعل ذلك اصلا • وان شاء جعلهما اصلين المسئلة الثالثة قال الحكماء
ان الانسان مركب من العناصر الاربعة • وهي التراب والماء والهواء والنار • وقالوا التراب فيه لثباته • والماء للاستمساك
فان التراب يتفتت بسرعة • والهواء للاستقلال كالزق المنفوخ يقوم بالهواء ولولاه لما كان فيه استقلال ولا انتصاب
والنار للنضج والالتيام بين هذه الاشياء • فهل هذا صحيح ام لا • فان كان صحيحا فكيف اعتبر الامرين فحسب ولم يقل في موضع
انه خلقكم من نار ولا من ريح • فنقول اما قولهم فلا مفسدة فيه من حيث الشرع فلا ننازعهم فيه الا اذا قالوا
انه بالطبيعة كذلك • واما ان قالوا ان الله بحكمته خلق الانسان من هذه الاشياء فلا ننازعهم فيه • واما الآيات
فنقول ما ذكرتم لا يخالف هذا لان الهواء جعلتموه للاستقلال • والنار للنضج فهما مكونان بعد امتزاج الماء والتراب
فالاصل الموجود اولا هما لا غير فلذلك خصهما • ولان المحسوس من العناصر في الغالب هو التراب والماء ولا سيما كونهما
في الانسان ظاهر لكل احد • فخص الظاهر المحسوس بالذكر • ثم قال تعالى ومن آياته ان خلق لكم لما بين
الله خلق الانسان بين انه لما خلق الانسان ولم يكن من الاشياء التي تبقى وتدوم سنين متطاولة تبقى نوعه بالاشخاص وجعله
بحيث يتوالد • واذا مات الاب يقوم الابن مقامه لئلا يوجب فقد الواحد ثلمة في العمارة لا تنسد • وفي الآية مسايل
المسئلة الاولى قوله خلق لكم دليل على ان النساء خلقن كخلق الدواب والنبات • وغير ذلك من المنافع كما قال تعالى
خلق لكم ما في الارض • وهذا يقتضي ان لا تكون مخلوقة للعبادة والتكليف فنقول خلق النساء من النعم علينا وخلقهن لنا
وتكليفهن لاتمام النعمة علينا لا لتوجيه التكليف نحوهن مثل توجيهه الينا • وذلك من حيث النقل والحكم والمعنى • اما النقل
فهذا وغيره • واما الحكم فلان المراة لم تكلف بتكاليف كثيرة كما كلف الرجل بها • واما المعنى فلان المراة ضعيفة الخلق سخيفة
فشابهت الصبي لكن الصبي لم يكلف فكان يناسب ان لا تؤهل المراة للتكليف لكن النعمة علينا ما كانت تتم الا بتكليفهن لتخاف
كل واحدة منهن العذاب فتنقاد للزوج وتمتنع عن المحرم • ولولا ذلك لظهر الفساد المسئلة الثانية قوله من انفسكم
بعضهم قال المراد ان حواء خلقت من جسم آدم • والصحيح ان المراد منه من جنسكم كما قال تعالى لقد جاءكم رسول
من انفسكم ويدل عليه قوله تعالى لتسكنوا اليها يعني ان الجنسين المختلفين لا يسكن احدهما الى الاخر اي لا يثبت نفسه
معه ولا يميل قلبه اليه المسئلة الثالثة يقال سكن اليه للسكون القلبي ويقال سكن عنده للسكون الجسماني
لان كلمة عند جاءت لظرف المكان وذلك للاجسام • والى للغاية وهي للقلوب المسئلة الرابعة قوله وجعل
بينكم مودة ورحمة فيه اقوال قال بعضهم مودة بالمجامعة • ورحمة بالولد تمسكا بقوله تعالى ذكر رحمة ربك
عبده • وقال بعضهم محبة حالة حاجة نفسه ورحمة حالة حاجة صاحبه اليه • وهذا لان الانسان يحب
مثلا ولده • فاذا راى عدوه في شدة من جوع والم قد ياخذ من ولده ويصلح به حال ذلك وما ذلك بسبب المحبة
وانما هو بسبب الرحمة • ويمكن ان يقال ذكر من قبل امرين • احدهما كون الزوج من جنسه • والثاني ما يفضي اليه الجنس
وهو السكون اليه فالجنسية توجب السكون • وذكر هاهنا امرين • احدهما يفضي الى الاخر • فالمودة تكون اولا
ثم انها تفضي الى الرحمة • ولهذا فان الزوج قد يخرج عن محل الشهوة بكبر او مرض • ويبقى قيام الزوج بها وبالعكس
قوله ان في ذلك يحتمل ان يقال المراد ان في خلق الازواج لآيات • ويحتمل ان يقال في جعل المودة بينهم آيات

ان الانسان مركب من العناصر الاربعة

دليل على ان النساء خلقن كخلق الدواب والنبات

اما الاول

اما الاول فلابد له من ذكر لان خلق الانسان من الوالدين يدل على كمال القدرة ونفوذ الارادة وشمول العلم لمن يتفكر ولو في خروج
الولد من بطن الام فان ذلك لو كان من غير الله لافضى الى هلاك الام وهلاك الولد ايضا لان الولد لو نسل من موضع ضيق
بغير اعانة الله لمات • واما الثاني فكذلك لان الانسان يجد بين القرينين من التراحم ما لا يجده بين ذوي الارحام وليس ذلك
لمجرد الشهوة فانها قد تنتفي وتبقى الرحمة فهو من الله • ولو كان بينهما مجرد الشهوة والغضب كثير الوقوع وهو مبطل للشهوة
والشهوة غير دائمة في نفسها لكان كل ساعة بينهما فراق وطلاق • فالرحمة التي بها يرتفع الانسان لكان عن حريم حرمه هي
من عند الله ولا يعلم ذلك الا بفكر • ثم قال تعالى ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم الى اخرها
لما بين دلايل الانفس ذكر دلايل الآفاق واظهرها خلق السموات والارض • فان بعض الكفار يقول في خلق البشر وغيره من
المركبات انه بسبب ما في العناصر من الكيفيات • وما في السموات من الحركات • وما فيها من الاتصالات • فاذا قيل لهم
فالسماء والارض لم يكن لامتزاج العناصر • واتصالات الكواكب فلا يجد بدا من ان يقول ذلك بقدرة الله وارادته • ثم
لما اشار الى دلايل الانفس والآفاق ذكر ما هو من صفات الانفس فالاختلاف الذي بين الوان الانسان فان واحدا منهم
مع كثرة عددهم • وصغر حجم خدودهم • وقدودهم • لا تشتبه بغيره والسموات مع كبرها وقلة عددها مشتبهات
في الصورة • والثاني اختلاف كلامهم فان عربيين هما اخوان اذا تكلما بلغة واحدة يعرف احدهما عن الاخر حتى ان من يكون
محجوبا عنهما لا يبصرهما يقول هذا صوت فلان وهذا صوت فلان الاخر • وفيه حكمة بالغة • وذلك لان الانسان
يحتاج الى التمييز بين الاشخاص ليعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق ليحترز قبل وصول العدو اليه • وليقبل على
الصديق قبل ان يفوته الاقبال عليه وذلك قد يكون بالبصر لخلق اختلاف الصور • وقد يكون باختلاف الاصوات • واما
اللمس والشم والذوق فلا يفيد فايدة في معرفة العدو والصديق فلا يقع بها التمييز • ومن الناس من قال اختلاف
اللغة كالعربية والفارسية والرومية وغيرها • والاول اصح ثم قال لآيات للعالمين لما كان خلق السموات
والارض لم يحتمل الاحتمالات البعيدة التي يقولها اصحاب الطبايع واختلاف الالوان واختلاف الاصوات كذلك قال
للعالمين لعموم العلم بذلك • ثم قال تعالى ومن آياته منامكم بالليل والنهار لما ذكر بعض العرضيات اللازمة
وهو الاختلاف ذكر الاعراض المفارقة • ومن جملتها النوم بالليل • والحركة طلبا للرزق في النهار • فذكر من اللوازم امرين
ومن المفارق امرين • وفي الآية مسايل المسئلة الاولى قوله منامكم بالليل والنهار • قيل اراد به النوم بالليل
والنوم بالنهار وهي القيلولة • ثم قال وابتغاؤكم فيهما • فان كثيرا ما يكتسب الانسان بالليل • وقيل اراد منامكم
بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف البعض بالبعض • ويدل عليه آيات اخر منها قوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة
لتبتغوا فضلا • وقوله وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا • ويكون التقدير هكذا ومن آياته منامكم
وابتغاؤكم بالليل والنهار من فضله • فاخر الابتغاء وقرنه في اللفظ بالفضل اشارة الى ان العبد ينبغي ان لا يرى الرزق
من كسبه وحذقه بل يرى كل ذلك من فضل ربه • ولهذا قرن الابتغاء بالفضل في كثير من المواضع • منها قوله تعالى فاذا
قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله • وقوله ولتبتغوا من فضله المسئلة الثانية
قدم المنام بالليل على الابتغاء بالنهار في الذكر لان الاستراحة مطلوبة لذاتها والطلب لا يكون الا لحاجة فلا
يتعب الا محتاج في الحال او خايف في المآل المسئلة الثالثة قال لآيات لقوم يسمعون وقال من قبل لقوم
يتفكرون وقال للعالمين فنقول المنام بالليل والابتغاء نظر الجاهل والغافل انهما مما تقتضيه طبع الحيوان
فلا يظهر لكل احد كونهما من نعم الله فلم يقل آيات للعالمين • ولان الامرين الاولين وهو اختلاف الالسنة والالوان
من اللوازم والمنام والابتغاء من الامور المفارقة • والنظر اليهما لا يدوم لزوالهما في بعض الاوقات ولا كذلك
اختلاف الالسنة والالوان فانهما يدومان بدوام الانسان فجعلها آيات عامة • واما قوله لقوم يتفكرون فاعلم ان من
الاشياء ما يعلم من غير تفكر • ومنها ما يكفي فيه مجرد الفكرة • ومنها ما لا يخرج بالفكر بل يحتاج الى موقف يوقف عليه
ومرشد يرشد اليه فيفهمه اذا سمعه من ذلك المرشد • ومنها ما يحتاج بعض الناس في تفهمه الى امثلة حسية كالاشكال
الهندسية لكن خلق الازواج لا يقع لاحد انه بالطبع الا اذا كان جامد الفكر جامد الذكر • فاذا تفكر علم كون ذلك الخلق
آية • اما المنام والابتغاء فقد يقع لكثير انهما من افعال العباد • وقد يحتاج الى مرشد بغير فكره فقال لقوم يسمعون
ويجعلون بالهم الى كلام المرشد • ثم قال تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا لما ذكر العرضيات
التي للانفس اللازمة والمفارقة ذكر العرضيات التي للآفاق فقال يريكم البرق خوفا وطمعا • وينزل من السماء في الآية
مسايل المسئلة الاولى لما قدم دلايل الانفس هاهنا قدم دلالة العرضيات التي للانفس وفي اخر العرضيات
التي للآفاق كما اخر دلايل الآفاق بقوله ومن آياته خلق السموات والارض المسئلة الثانية قدم لوازم الا

ان في ذلك لآيات للعالمين

وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون

ومن آياته منامكم بالليل والنهار

فهو يحتاج الى المرشد

وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون

على العوارض المفارقة حيث ذكر اولا اختلاف الالسنة والالوان ثم المنام والابتغا • وقدم في الافاق العوارض
المفارقة على اللوازم حيث قال يريكم البرق خوفا وطمعا • وينزل عليكم وذلك لان الانسان متغير الحال
فالعوارض له غير بعيدة • واما اللوازم فيه فغريبة • واما السموات فقليلة التغير فالعوارض فيها اغرب
من اللوازم • فقدم ما هو اعجب لكونه ادخل في كونه اية • ونزيده بيانا فنقول الانسان يتغير حاله بالصغر
والكبر • والصحة والسقم • وله صوت يعرف به لا يتغير وله لون يتميز به عن غيره وهو متغير في الاحوال وذلك
لا يتغير وهو اية عجيبة • والسما والارض ثابتان لا يتغيران • ثم نرى في بعض الاحوال امطارها طلة • وبروقها هايلة
والسما كما كانت والارض كذلك فهو اية دالة على فاعل مختار يديم امرا مع تغير المحل ويزيل امرا مع ثبات المحل **المسئلة الثالثة**
كما قدم السما على الارض قدم ما هو من السما وهو البرق والمطر على ما هو من الارض وهو النبات **المسئلة الرابعة**
كما ان في انزال المطر وانبات الشجر منافع كذلك في تقديم البرق والرعد على المطر منفعة وذلك لان البرق اذا لاح فالذي
لا يكون تحت كن يخاف الابتلال فيستعد له والذي له صهريج او مصنع يحتاج الى الما او زرع يسوي مجاري الما • وايضا العرب
من اهل البوادي فلا يعلمون البلاد المعشبة ان لم يكونوا قد راوا البروق اللائحة من جانب دون جانب • واعلم
ان فوايد البرق وان لم تظهر للمقيمين بالبلاد فهي ظاهرة للبادين • ولهذا جعل تقديم البرق على تنزيل الما من السما نعمة
واية • واما كونه اية فظاهر • فان في السحاب ليس الا ما وهوا وخروج النار منهما بحيث تحرق الجبال في غاية
البعد فلا بد له من خالق هو الله • قالت الفلاسفة السحاب فيه كثافة ولطافة • فالنسبة الى الهوا والما فالهوا الطف
منه والما اكثف • فاذا هبت ريح قوية تخرق السحاب فيحدث صوت الرعد ويخرج النار المماسة جسمين تعصر وهذا كما
ان النار تخرج من وقع الحجر على الحديد • فان قال قائل الحجر والحديد جسمان صلبان والسحاب والريح جسمان رطبان • فنقول
لكن حركة يد الانسان ضعيفة وحركة الريح قوية تقلع الاشجار • فنقول لهم البرق والرعد امران حادثان لا بد لهما من
سبب وقد علم بالبرهان كون كل حادث من الله فهما من الله • ثم نقول هب ان الامر كما تقولون • فهبوب تلك الريح
القوية من الامور الحادثة العجيبة لا بد له من سبب • وينتهي الى واجب الوجود • فهو اية للعاقل على قدرة الله
كيف ما فرضتم ذلك **المسئلة الخامسة** قال ههنا لقوم يعقلون • لما كان حدوث الولد من الوالد امرا عاديا
مطردا قليل الاختلاف كان يتطرق الى الاوهام العامية ان ذلك بالطبيعة لان المطرد اقرب الى الطبيعة من المختلف
لكن البرق والمطر ليس امرا مطردا غير مختلف بل ذلك يختلف اذ يقع ببلدة دون بلدة • وفي وقت دون وقت • وتارة
تكون قوية • وتارة ضعيفة • فهو اظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار فقال هو اية لمن له عقل ان لم
يتفكر تفكرا تاما • ثم قال تعالى **ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره** لما ذكر العوارض التي للسما والارض بعضها
ذكر من لوازمها البعض وهي قيامها فان الارض لثقلها يتعجب الانسان من وقوفها وعدم نزولها • وكون السما يتعجب
من علوها وثباتها من غير عمد • وهذا من اللوازم لان الارض لا تخرج عن مكانها التي هي فيه والسما كذلك لا تخرج
عن مكانها التي هي فيه • فان قيل فانها تتحرك كالرحى ولكن اتفق العقلاء على انها في مكانها لا تخرج عنه • وهذا اية
ظاهرة لان كونهما في الموضع الذي هما فيه وعلى الوضع الذي هما عليه من الامور الممكنة • وكونهما في غير ذلك الموضع جائز
فكان يمكن ان يخرجا منه • فلما لم يخرجا كان ذلك ترجيحا للجائز على غيره وذلك لا يكون الا بفاعل مختار • والفلاسفة قالوا
كون الارض في المكان التي هي فيه طبيعي لها لانها اثقل الاشيا • والثقيل يطلب المركز • والخفيف يطلب المحيط
والسما كونها في مكانها لكونها ذات مكان فلذلك انها تقيا مما يطبعهما • فنقول قد تقدم مرارا ان القول
بالطبيعة باطل • والذي نزيده ههنا انكم وافقتمونا بان ما جاز على احد المثلين جاز على المثل الاخر لكن مقعر
الفلك لا يخالف محدبه وذلك بالخروج والزوال • فاذا الزوال عن المكان ممكن لا سيما على السما الدنيا فانها محددة
الجهات على مذهبكم ايضا • والارض كانت يجوز عليها الحركة الدورية كما يقولون على السما فعدمها وسكونها ليس الا
بفاعل مختار • وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** ذكر الله من كل باب امرين • اما من الانفس فقوله خلق لكم اي اشد
بخلق الزوجين • ومن الافاق السما والارض • وفي قوله خلق السما والارض • ومن لوازم الانسان اختلاف اللسان
ومن لوازم الانسان اختلاف اللسان واختلاف الالوان • ومن عوارضه المنام والابتغا • ومن عوارض الافاق البروق
والامطار • ومن لوازمهما قيام السما وقيام الارض لان الواحد يكفي للاقرار بالحق • والثاني يفيد الاستقرار
ومن هذا اعتبر شهادة شاهدين فان قول احدهما يفيد الظن وقول الاخر يفيد تاكيده • ولهذا قال ابرهيم عليه السلام
ولكن ليطمين قلبي **المسئلة الثانية** قوله بامره اي بقوله قوما او بارادته قيامهما • وذلك لان الامر عند المعتزلة
موافق للارادة • وعندنا ليس كذلك • ولكن النزاع في الامر الذي للتكليف لا في الامر الذي للتكوين فانا لا

تنازعهم في ان

تنازعهم في ان قوله كن فيكون او بان ركوني موافق للارادة **المسئلة الثالثة** قال هاهنا ومن اياته ان تقوم وقال قبله
ومن اياته يريكم ولم يقل ان يريكم قال بعض المفسرين ان مضمر هناك معناه من اياته ان يريكم ليصير كالمصدر بان وذلك
لان القيام لما كان غير متغير اخرج الفعل بان عن الفعل المستقبل وجعله مصدرا لان المستقبل ينبي عن التجدد • وفي
البرق لما كان ذلك من الامور التي تتجدد في زمان دون زمان ذكره بلفظ المستقبل ولم يذكر معه شيا من الحروف المصدرية
المسئلة الرابعة ذكر ستة دلايل وذكر في اربعة منها ان في ذلك لايات ولم يذكر في الاول وهو قوله ومن
اياته ان خلقكم من تراب • ولا في الاخر وهو قوله ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره • اما في الاول فلان قوله
بعده • ومن اياته ان خلق لكم ايضا دليل الانفس فخلق الانفس وخلق الازواج من باب واحد كما بينا غير انه تعالى ذكر من كل
باب امرين للتقرير بالتكرير • فاذا قال ان في ذلك لايات كان عايدا اليهما • واما في قيام السما والارض فنقول
في الايات السماوية ذكرنا انها ايات للعالمين ولقوم يعقلون لظهورها • فلما كان في اول الامر ظاهرا ففي اخر الامر بعد سرد الدلايل
يكون اظهر فلم يميز لهذا عن احد في ذلك وذكر ما هو مدلوله وهو قدرته على الاعادة • وقال اذا دعاكم دعوة من الارض
اذا انتم تخرجون • وفيها مسايل **المسئلة الاولى** ما وجه تعلقه بما تقدم نقول معناه والله اعلم انه تعالى
اذا بين لكم كمال قدرته بهذه الايات بعد ذلك يخبركم ويعلمكم انه اذا قال للعظام الرميمة اخرجوا من الاجداث يخرجون احيا
المسئلة الثانية قول القايل دعى فلان فلانا من الجبل يحتمل ان يكون الدعا من الجبل كما يقول القايل يا فلان اصعد الى الجبل
فيقال دعاه من الجبل ولا يخفى على العاقل ان الدعا لا يكون من الارض اذا كان الداعي هو الله فالمدعو يدعى من الارض
يعني انكم تكونون في الارض فيدعوكم منها فتخرجون **المسئلة الثالثة** قوله تعالى اذا انتم قد بينا انه للمفاجاة يعني يكون
فيكون **المسئلة الرابعة** قال هاهنا اذا انتم تخرجون • وقال في خلق الانسان اولا ثم اذا انتم بشر تنتشرون فنقول
هناك يكون خلق وتقدير وتدريج حتى يصير التراب قابلا للحياة فينفخ فيه روحه فاذا هو بشر • واما في الاعادة لا يكون
تدريج وتراخ بل يكون ندا وخروج فلم يقل ههنا ثم • ثم قال تعالى **وله من في السموات ومن في الارض** لما ذكر
الايات وكان مدلولها القدرة على الحشر التي هي الاصل الاخر • والوحدانية التي هي الاصل الاول اشار اليها بقوله وله من
في السموات يعني لا شريك له اصلا لان كل من في السموات وكل شي في الارض ونفس السموات والارضين له وملكه فكل له
منقادون قانتون • والشريك يكون منازعا مماثلا فلا شريك له اصلا • ثم ذكر المدلول الاخر فقال وهو الذي يبدا الخلق ثم
يعيده وهو اهون عليه اي في نظركم الاعادة اهون من الابدا لان من يفعل فعلا اولا يصعب عليه ثم اذا فعل بعد ذلك
مثله يكون اهون • وقيل المراد وهو هين عليه كما قيل في قول القايل الله اكبر اي كبير • وقيل المراد هو اهون عليه اي
الاعادة اهون على الخلق من الابدا لان في الابدا يكون [illegible] ثم مضغة ثم [illegible] ثم يخرج طفلا [illegible]
[illegible] • واما في الاعادة فيخرج بشرا سويا [illegible] اهون عليه • والوجه الاول
[illegible] فنقول [illegible]
[illegible]
[illegible] والاهون ما لا يتعب فيه الفاعل [illegible]
[illegible] له ذلك • فاذا قال [illegible]
[illegible] ثم قال **وله المثل الاعلى** [illegible]
[illegible] • والاخر [illegible]
[illegible] فقوله وله المثل الاعلى [illegible] • وهاهنا
[illegible]
[illegible] • واما هاهنا [illegible]
[illegible] • فالمقدم [illegible] السموات والارض
[illegible]
[illegible]
[illegible] **وله المثل الاعلى في السموات**
[illegible]
[illegible]

وقيل المثل الاعلى اي الصفة العليا وهي لا اله الا الله ۰ وقوله وهو العزيز الحكيم اي كامل القدرة على الممكنات شامل
العلم بجميع الموجودات فيعلم الاجزاء في الاماكن ويقدر على جمعها وتاليفها ۰ ثم قال تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم
هل لكم لما بين الاعادة والقدرة عليها بالمثل بعد الدليل بين الوحدانية ايضا بالمثل بعد الدليل ومعناه ان من
يكون له مملوك لا يكون شريكا له في ماله ولا يكون له حرمة مثل حرمة سيده ۰ فكيف يجوز ان يكون عباد الله شركاء له وكيف
يجوز ان يكون لهم عظمة مثل عظمة الله تعالى حتى يعبدوا ۰ وفي الاية مسائل المسألة الاولى ينبغي ان يكون بين المثل والممثل
به مشابهة ما ثم ان كان بينهما مخالفة فقد يكون مؤكدا لمعنى المثل وقد يكون موهنا له وهاهنا وجه المشابهة معلوم
واما المخالفة فموجودة ايضا وهي مؤكدة وذلك من وجوه ۰ احدها قوله من انفسكم يعني ضرب لكم مثلا من انفسكم
مع حقارتها ونقصانها ۰ وعجزها وقاس نفسه عليكم مع عظمتها وكمالها وقدرتها ۰ الثانية قوله مما ملكت ايمانكم يعني
عبيدكم لكم عليهم ملك اليد وهو ملك قابل للنقل والزوال ۰ اما النقل بالبيع وغيره والزوال بالعتق ومملوك الله لا مخرج
له من ملك الله بوجه من الوجوه فاذا لم يجز ان يكون مملوك يمينكم شريكا لكم مع انه لا يجوز ان يصير مثلكم من جميع الوجوه
بل هو في الحال مثلكم في الادمية حتى انكم ليس لكم تصرف في روحه وادميته بقتل وقطع وليس لكم منعهم من العبادة وقضاء
الحاجة فكيف يجوز ان يكون مملوك الله الذي هو مملوكه من جميع الوجوه شريكا له ۰ الثالثة قوله من شركاء فيما رزقناكم يعني الذي
لكم في الحقيقة ليس لكم بل هو من الله ومن رزقه ۰ والذي لله هو في الحقيقة له فاذا لم يجز ان يكون لكم شريك في مالكم من حيث
الاسم فكيف يجوز ان يكون له شريك في ماله من حيث الحقيقة ۰ وقوله فانتم فيه سواء اي هل انتم وهم اليكم في شيء مما تملكون
انتم سواء وليس كذلك فلا يكون لله شريك في شيء مما يملكه لكن كل شيء فهو لله فما تدعون الهيته لا يملك شيئا اصلا ولا مثقال
ذرة من خردل فلا يعبد لعظمته ولا لمنفعة تصل اليكم منه ۰ واما قولكم هؤلاء شفعاؤنا فليس كذلك لان المملوك ليس له عندكم
حرمة كحرمة الاحرار ۰ واذا لم يكن للمملوك مع مساواته اياكم في الحقيقة والصفة عندكم حرمة فكيف يكون حال المماليك
الذين لا مساواة بينهم وبين المالك بوجه من الوجوه ۰ والى هذا اشار بقوله تخافونهم كخيفتكم انفسكم المسألة الثانية
بهذا نفي جميع وجوه حسن العبادة من الغير لان الاغيار اذا لم يصلحوا للشركة فليس لهم ملك ولا ملك ولا عظمة لهم
حتى يعبدوا لعظمتهم ۰ ولا يرتجى منهم منفعة لعدم ملكهم حتى يعبدوا للنفع وليس لهم قوة وقدرة لانهم عبيد والعبد المملوك
لا يقدر على شيء فلا تخافوهم كما تخافون انفسكم فكيف تخافونهم خوفا اكثر من خوفكم بعضا من بعض حتى تعبدوهم للخوف
ثم قال تعالى كذلك نفصل الايات اي نبينها يعني بالدلائل والبراهين القطعية والامثلة والمحاكيات الاقناعية
لقوم يعقلون ۰ يعني لا يخفى الامر بعد ذلك الا على من لا يكون له عقل ثم قال تعالى بل اتبع الذين اي لا يجوز ان يشرك
بالمالك مملوكه ولكن الذين اشركوا اتبعوا اهواءهم من غير علم واثبتوا شركاء من غير دليل ثم بين ان ذلك بارادة الله
بقوله فمن يهدي من اضل الله اي هؤلاء اضلهم الله فلا هادي لهم فينبغي ان لا يحزنك قولهم ۰ وههنا لطيفة وهي ان قوله
فمن يهدي من اضل الله مقوّ لما تقدم وذلك لانه لما قال لا ان لله لا شريك له بوجه ما ۰ ثم قال بل المشركون يشركون من
غير علم يقال فيه ان كانت لهم تصرفا على خلاف رضاه ۰ والسيد العزيز هو الذي لا يقدر عبده على تصرف يخالف
رضاه فقال ان ذلك ليس باستقلاله بل بارادة الله ۰ وما لهم من ناصرين ۰ لما تركوا الله تركهم الله ومن اخذوه لا يغني
عنهم شيئا فلا ناصر لهم ۰ ثم قال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله اذا تبين الامر وظهرت الوحدانية
ولم يهتد المشرك فلا تلتفت انت اليهم واقم وجهك للدين وقوله فاقم وجهك للدين اي اقبل بكلك على الدين
عبر عن الذات بالوجه كما قال تعالى كل شيء هالك الا وجهه اي ذاته بصفاته وقوله حنيفا اي مائلا عن كل ما عداه
اي اقبل على الدين ومل عن كل شيء لا يكون في قلبك شيء آخر فتعود اليه ۰ وهذا قريب من معنى قوله ولا تكونوا من المشركين
ثم قال فطرة الله اي الزم فطرة الله وهي التوحيد ۰ فان الله فطر الناس عليه اخذهم من ظهر آدم وسألهم فقالوا
بلى لا تبديل لخلق الله ۰ وفيه وجوه قال بعض المفسرين هي تسلية للنبي عليه الصلاة والسلام عن الحزن حيث
لم يؤمن قومه فقال هم خلقوا للشقاوة ۰ ومن كتب شقيا لا يسعد ۰ وقيل لا تبديل لخلق الله اي الوحدانية
مترسخة فيهم ولا يغيرها حتى ان سألتهم من خلق السموات والارض يقولون الله لكن الايمان الفطري غير كاف
ويحتمل ان يقال خلق الله الخلق لعبادته وهم كلهم عبيده لا تبديل لخلق الله اي ليس كونهم عبيدا مثل كون المملوك
عبدا للانسان فانه ينتقل عنه الى غيره ويخرج عن ملكه بالعتق بل لا خروج للخلق عن العبادة والعبودية ۰ وهذا
لبيان فساد قول من يقول العبادة لتحصيل الكمال ۰ والعبد يكمل بالعبادة فلا يبقى عليه تكليف ۰ وقول المشركين ان
الناقص لا يصلح لعبادة الله ۰ وانما الانسان عبد الكواكب والكواكب عبيد الله ۰ وقول النصارى ان عيسى كان
يحل الله فيه فصار الها فقال لا تبديل لخلق الله بل كلهم عبيد لا خروج لهم عن ذلك ثم قال ذلك الدين القيم

الذي لا عوج فيه

الذي لا عوج فيه ۰ ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين المستقيم ثم قال منيبين اليه لما قال احنفا اي مائلين عن غيره
قال منيبين اليه اي مقبلين عليه والخطاب في قوله اقم وجهك مع النبي والمراد جميع المؤمنين ۰ وقوله واتقوه يعني اذا اقبلتم
عليه وتركتم الدنيا فلا تأمنوا فتتركوا عبادته بل خافوه وداوموا على العبادة واقيموا الصلاة اي كونوا عابدين عند حصول
القربة كما كنتم قبل ذلك ولا تكونوا من المشركين قال المفسرون يعني ولا تشركوا بعد الايمان اي ولا تقصدوا بذلك غير الله
وههنا وجه آخر وهو ان الله بقوله منيبين اثبت التوحيد الذي هو مخرج عن الاشراك الظاهر وبقوله ولا تشركوا اراد
اخراج العبد عن الشرك الخفي اي لا تقصدوا باعمالكم الا وجه الله ولا تطلبوا بها الا رضا الله ۰ فان الدنيا والآخرة تحصل
وان لم تطلبوها اذا حصل رضى الله ۰ وعلى هذا فقوله من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يعني لم يجتمعوا على الاسلام وذهب
كل احد الى مذهب ويحتمل ان يقال وكانوا شيعا يعني بعضهم عبد الله للدنيا وبعضهم للجنة ۰ وبعضهم للخلاص من النار
وكل واحد بما في نظره فرح ۰ واما المخلص فلا يفرح بما يكون لديه وانما يكون فرحه بما يحصل عند الله ويقف بين يديه
وذلك لان كل ما في الدنيا نافد لقوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق فلا مطلوب لكم فيما لديكم حتى تفرحوا ۰ واما المطلوب
ما لدى الله وبه الفرح كما قال تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله جعلهم فرحين بكونهم عند
ربهم ويكون ما اوتوا من فضله الذي لا نفاد له ۰ وكذلك قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا لا بما عندهم
فان كل ما عند العبد فهو نافد ۰ اما الذي في الدنيا فظاهر ۰ واما في الآخرة فلان ما وصل الى العبد من الالتذاذ بالماكول
والمشروب فهو يزول لكن الله يجدد له مثله الى الابد من فضله الذي لا نفاد له فالذي لا نفاد له فضله ثم قال تعالى واذا
مس الناس ضر ۰ لما بين التوحيد بالدليل وبالمثل بين ان لهم حالة يعرفونها وان كانوا ينكرونها في وقت وهي حالة الشدة
فان عند انقطاع رجائه عن الكل يرجع الى الله ويجد نفسه محتاجة الى شيء ليس كهذه الاشياء طالبة به النجاة ۰ ثم اذا اذاقهم منه
رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون يعني اذا خلصناهم يشرك بربه فيقول تخلصت بسبب اتصال الكوكب الفلاني وبسبب الصنم الفلاني
لا بل ينبغي ان لا يعتقد انه تخلص بسبب فلان اذا كان نظاهر فانه شرك خفي ۰ مثاله رجل في بحر اذ ذكر الغرق في بحر فهيأ الله له
لوحا يسوقه اليه ريح فيتعلق به وينجو فيقول تخلصت بلوح ۰ او رجل اقبل عليه سبع فيرسل الله اليه رجلا يعينه فيقول خلصني زيد
فهذا ان كان عن اعتقاد فهو شرك خفي وان كان يعني ان الله خلصني على يد زيد فهو اخفى ۰ وفيه مسائل المسألة الاولى قوله
تعالى اذاقهم ۰ فيه لطيفة وذلك لان الذوق يقال في القليل فان في العرف من اكل ما كولا كثيرا لا يقول ذقت ۰ ويقول ما ذقت
في بيته طعاما نفيا للقليل ليلزم نفي الكثير بالاولى ۰ ثم ان تلك الرحمة لما كانت حالية منقطعة ولم تكن مستمرة في الآخرة عذابا
قال اذاقهم ۰ ولهذا قال في العذاب ذوقوا مس سقر وذوقوا ما كنتم تعملون ذق انك انت العزيز الكريم لان عذاب الله
الواصل الى العبد بالنسبة الى الرحمة الواصلة الى عبيد اخرين في غاية القلة المسألة الثانية قوله تعالى منه
اي من الضر في هذا التخصيص ما ذكرنا من الفائدة وهي ان الرحمة غير مطلقة لهم انما هي عن ذلك الضر وحده ۰ واما الضر المؤخر
فلا اذوق من رحمة المسألة الثالثة قال ههنا اذا فريق منهم ۰ وقال في العنكبوت ۰ فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
ولم يقل فريق وذلك لان المذكور هناك ضرر معين وهو ما يكون من هول البحر والمتخلص منه بالرحمة بالنسبة الى الخلق قليل
والذي لا يشرك به بعد الخلاص فرقة منهم في غاية العلم فلم يجعل المشركين فريقا لقلة من خرج من الشرك ۰ واما المذكور ههنا الضر
مطلقا فيتناول ضر البر والبحر والامراض والاهوال ۰ والمتخلص من انواع الضر خلق كثير بل جميع الناس يكونون قد وقعوا
في ضر ما وتخلصوا منه ۰ والذي لا يبقى بعد الخلاص مشركا من جميع الانواع اذا جمع فهو خلق عظيم وهو جميع المسلمين فانهم
تخلصوا من ضر ولم يبقوا مشركين ۰ واما المسلمون فلم يتخلصوا من ضر البحر باجمعهم ۰ فلما كان الناجي من الضر المؤمن جمعا كثيرا
جعل الباقي فريقا ثم قال تعالى ليكفروا ۰ قد تقدم تفسيره في سورة العنكبوت ۰ بقي فائدة الخطاب ههنا في قوله فتمتعوا
وعدمه هناك في قوله وليتمتعوا فسوف يعلمون فنقول لما كان الضر المذكور هناك ضررا واحدا جاز ان لا يكون في ذلك
الموضع من المخلصين من في ذلك الضر احد فلم يخاطب ۰ ولما كان المذكور ههنا مطلق الضر ولا يخلو موضع من المخلصين عن الضر
فالحاضر يصح خطابه فانه منهم فخاطب ثم قال تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا ۰ لما سبق قوله تعالى بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم
اي المشركون يقولون ما لا علم لهم به بل هم عالمون بخلافه فانهم وقت الضر يرجعون الى الله حقق ذلك بالاستفهام بمعنى الانكار
اي ما انزلنا بما يقولون سلطانا ۰ وفيه مسائل المسألة الاولى ام للاستفهام ولا يقع الا متوسطا كما قال قائلهم
ابا طيبة الوعساء بين جلاجل ۰ وبين النقا اانت ام ام سالم ۰ فما الاستفهام الذي قبله ۰ فنقول تقديره اذا ظهرت
هذه الحجج على عنادهم فماذا يقولون اهم يتبعون الاهواء من غير دليل ام لهم دليل على ما يقولون وليس الثاني فيتعين الاول
المسألة الثانية قوله فهو يتكلم مجاز كما يقال ان كتابه لينطق بكذا ۰ وفيه معنى لطيف فنقول المتكلم من غير دليل كانه
لا كلام له لان الكلام هو المسموع وما لا يقبل فكانه لم يسمع فكان المتكلم لم يتكلم به وما لا دليل عليه لا يقبل فاذا جاز سلب الكلام

عن المتكلم عند عدم الدليل وحسن جاز اثبات المتكلم بالدليل وحسن ثم قال تعالى واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها
لما بين حال المشرك الظاهر شركه بين حال المشرك الذي دونه وهو من يكون عبادته لله للدنيا فاذا آتاه رضي واذا منعه سخط
وقنط ولا ينبغي ان يكون العبد كذلك بل ينبغي ان يعبد الله في الشدة والرخا فمن الناس من يعبد الله في الشدة كما قال تعالى
واذا مس الناس ضر دعوا ربهم ومن الناس من يعبده اذا اتاه نعمة كما قال تعالى واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها والاول
كالذي يخدم مكرها مخافة العذاب والثاني كالذي يخدم اجيرا لتوقع الاجر وكلاهما لا يكون من المثبتين في الديوان
المرتبين في الجرايد الذين ياخذون رزقهم سواء كان هناك شغل او لم يكن فكذلك القسمان لا يكونان من المومنين الذين لهم
رزق عند ربهم وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قوله تعالى فرحوا بها يشير الى دنو همتهم وقصور نظرهم فان فرحهم
يكون بما وصل اليهم لا بمن وصل منه اليهم فان قيل الفرح بالرحمة ما مور به في قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا وههنا ذمهم على الفرح بالرحمة فكيف ذلك فنقول هناك قال فليفرحوا برحمة الله من حيث
انها مضافة الى الله وههنا فرحوا بنفس الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم به مثل فرحهم بما اذا كان من الله
وهو كان الملك لو حط عند امير رغيفا على السماط او امر الغلمان ان يحطوا عنده زبدية طعام يفرح ذلك الامير به ولو
اعطى الملك فقيرا غير ملتفت اليه رغيفا او زبدية طعام ايضا يفرح لكن فرح الامير يكون ذلك من الملك وفرح الفقير
يكون ذلك رغيفا وزبدية وان تصبهم سيئة بما قدمت لم يذكر عند النعمة سببا لها لتفضله بها وذكر عند العذاب
سببا لان الاول يزيد في الاحسان والثاني يحقق العدل **قوله** اذا هم يقنطون اذا للمفاجاة اي لا يصبرون على
ذلك قليلا لعل الله يفرج عنهم وانه يذكرهم به **ثم قال** اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي لم يعلموا
ان الكل من الله فالمحقق ينبغي ان لا يكون نظره على ما يوجد بل الى من يوجد وهو الله فلا يكون له تبدل حال وانما يكون عنده
الفرح الدايم ولكن ذلك مرتبة المومن الموحد المحقق ولذلك قال ان في ذلك لايات لقوم يومنون **ثم قال تعالى**
فات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل وجه تعلق الاية بما قبلها هو ان الله تعالى لما بين ان العبادة لا ينبغي ان تكون
مقصورة على حالة الشدة بقوله واذا مس الانسان ضر دعوا ربهم ولا ان تكون مقصورة على اخذ شي من الدنيا كما هو عادة
المزركش المتلبس يعبد الله اذا كان في الخوانق والرباطات للرغيف والزبدية فاذا خلا بنفسه لا يذكر الله **فقوله** واذا
اذقنا الناس رحمة فرحوا بها بين انه ينبغي ان يكون في حالة بسط الرزق له وقدره عليه نظره على الله الخالق الرازق
حصل الارشاد الى تعظيم الله ولا بان رشدا تعظيم لامر الله وشفقة على خلق الله تعالى بعد ذلك فات ذا القربى حقه
والمسكين وابن السبيل وجه اخر هو ان الله تعالى لما بين ان الله يبسط الرزق ويقدر فلا ينبغي ان يتوقف الانسان
في الاحسان فان الله اذا بسط الرزق لا ينقص بالانفاق واذا قدر لا يزداد بالامساك وفيه مسايل
المسئلة الاولى في تخصيص الاقسام الثلاثة بالذكر دون غيرهم مع ان الله ذكر الاصناف الثمانية في الصدقات
فنقول اراد ههنا بيان من يجب الاحسان اليه على كل من له مال سواء كان زكويا او لم يكن وسواء كان بعد الحول
او قبله لان المقصود ههنا الشفقة العامة وهولاء الثلاثة يجب الاحسان اليهم وان لم يكن للمحسن مال زايد
اما القريب فتجب نفقته وان كان لم يتوجب عليه زكاة كمن له عقار او هي لم يحل عليه الحول والمسكين كذلك فان من لا شي له
اذا بقي في ورطة الحاجة حتى بلغ الشدة يجب على من له مقدرة دفع حاجته وان لم يكن عليه زكاة وكذلك من انقطع في
مفازة ومع اخر دابة يمكنه بها ايصاله الى ما من يلزمه ذلك وان لم يكن عليه زكاة والفقير داخل في المسكين لان
من وصى للمساكين شيئا يصرف الى الفقرا ايضا واذا نظرت الى الباقين من الاصناف رايتهم لا يجب صرف المال اليهم
الا على الذين وجبت الزكاة عليهم واعتبر ذلك في العامل والمكاتب والمولفة والمديون واعلم ان على مذهب ابي حنيفة رحمه
الله حيث قال المسكين من له شي ما فنقول وان كان الامر كذلك لكن لا نزاع في ان اطلاق المسكين على من لا شي له
جايز فيكون الاطلاق ههنا بذلك الوجه والفقير يدخل في ذلك بالطريق الاولى **المسئلة الثانية**
في تقديم البعض على البعض فنقول لما كان دفع حاجة القريب واجبا سواء كان في شدة ومخمصة او لم
يكن كان مقدما على من لا يجب دفع حاجته من غير مال الزكاة الا اذا كان في شدة ولما كان المسكين حاجته غير مختصة
بموضع كان مقدما على من حاجته مختصة بموضع دون موضع **المسئلة الثالثة** ذكر الاقارب في جميع المواضع
بهذا اللفظ وهو ذو القربى ولم يذكر المسكين بلفظ ذي المسكنة وذلك لان القرابة لا تتجدد فهي شي ثابت وذكر
ذو لا يقال الا في الثابت فان من صدر منه راي صايب مرة او حصل له جاه يوما واحدا او وجد منه فضل في وقت
لا يقال ذو راي وذو جاه وذو فضل واذا دام ذلك له او وجد منه ذلك كثيرا يقال له ذو الراي وذو الفضل
فقال ذا القربى اشارة الى ان هذا حق متاكد ثابت واما المسكنة فتطرو وتزول ولهذا المعنى قال مسكينا ذا متربة

فان المسكين

فان المسكين يلزم له كونه ذا متربة ما دامت مسكنته اولم يكن كذلك في اول الامر **المسئلة الرابعة** قال فات ذا القربى
حقه ثم عطف المسكين وابن السبيل ولم يقل فات ذا القربى والمسكين وابن السبيل حقهم [illegible]
[illegible]
الله ورسوله فقد اهتدى ومن عصاهما فقد غوى [illegible] **المسئلة الخامسة**
[illegible]
المسئلة السادسة قوله تعالى للذين يريدون وجه الله [illegible]
[illegible]
المسئلة السابعة [illegible]
[illegible]
المسئلة الثامنة [illegible]
[illegible]
المسئلة التاسعة [illegible]
[illegible]
ثم قال وما آتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربوا عند الله [illegible]
[illegible]
وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون [illegible]
[illegible]
ثم قال الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم [illegible]
[illegible]
ثم قال تعالى ظهر الفساد في البر والبحر [illegible]
[illegible]
وقال بعضهم عدم انبات بعض الاراضي وملوحة مياه البحار وقال آخرون المراد من البحر المدن التي على البحر

ان الصدقة تقع في يد الرحمن فتربو حتى تصير مثل الجبل

تسمى المداين بحورا لكون مبنى عمارتها على الماء • ويمكن ان يقال ان ظهور الفساد في البحر قلة مياه العيون فانها من البحار واعلم
ان كل فساد يكون فهو بسبب الشرك • لكن الشرك قد يكون في العمل لا في القول والاعتقاد فيسمى فسقا وعصيانا • وذلك لان
المعصية فعل لا يكون لله بل يكون للنفس • فالفاسق مشرك بالله بفعله • غاية ما في الباب ان الشرك بالفعل لا يوجب
الخلود لان اصل المرء قلبه ولسانه فاذا لم يوجد منهما الا التوحيد يزول الشرك البدنى بسببهما • وقوله ليذيقهم
بعض الذى عملوا • قد ذكرنا ان ذلك ليس تمام جزائهم • وكل موجبا قدرا بعضهم • وقوله لعلهم يرجعون يعنى كما يفعله
المتوقع رجوعهم مع ان الله يعلم ان من اضله لا يرجع لكن الناس يظنون بانه لو فعل لهم شيء من ذلك لكان يوجد منهم الرجوع
كما ان السيد اذا علم من عبده انه لا يرتدع بالكلام فيقول القائل لماذا لا تؤدبه بالكلام • فاذا قال لا ينفع ربما يقع في
وهمه انه لا يبعد عن نفع فاذا زجره ولم يرتدع يظهر له صدق كلام السيد ويطمئن قلبه به • ثم قال تعالى قل سيروا
في الارض • لما بين حالهم وظهور الفساد في احوالهم • بسبب فساد اقوالهم • بين لهم هلاك امثالهم • واشكالهم
الذين كانت افعالهم كافعالهم فقال قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل • اى قوم نوح وعاد
وثمود • وهذا ترتيب في غاية الحسن • وذلك لانه تعالى في وقت الامتنان والاحسان قال الله الذى خلقكم
ثم رزقكم اى اتاكم الوجود ثم البقاء • وفى وقت الخذلان بالطغيان قال ظهر الفساد في البر والبحر اى قلل رزقكم
ثم قال سيروا في الارض لتعلموا انه قادر على اعدامكم كما اعدم من قبلكم فكانه قال اعطاكم الوجود ثم
البقاء وسلب منكم البقاء والوجود • اما سلب البقاء باظهار الفساد • وسلب الوجود بالاهلاك • وعند الاعطاء
قدم الوجود على البقاء لان الوجود اولا ثم البقاء • وعند السلب قدم البقاء وهو الاستمرار ثم الوجود • وقوله
كان اكثرهم مشركين • يحتمل وجوها ثلاثة • احدها ان الهلاك في الاكثر كان بسبب الشرك الظاهر • وان كان بغيره
ايضا كالهلاك بالفسق والمخالفة كما كان على اصحاب السبت • الثانى ان كل كافر اهلك لم يكن مشركا • بل كان منهم
معطلا نافيا لكنهم قليلون • واكثر الكفار مشركون • الثالث ان العذاب العاجل لم يختص بالمشركين حين اتى العذاب
كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة بل كان على الصغار والمجانين ولكن اكثرهم كانوا مشركين •
ثم قال تعالى فاقم وجهك للدين القيم • لما نهى الكافر عما هو عليه امر المؤمن بما هو عليه • وخاطب النبى عليه السلام
ليعلم المؤمن فضيلة ما هو مكلف به فانه امر به اشرف الانبياء • وللمؤمنين في التكليف مقام الانبياء كما قال عليه السلام
ان الله امر عباده المؤمنين بما امر به عباده المرسلين • وقد ذكرنا معناه • وقوله من قبل ان ياتى يوم لا مرد له
والثانى ان يكون المراد لا مرد له من الله اى الله لا يرده وغيره عاجز عن رده فلا بد من وقوعه • يومئذ يصدعون
اى يتفرقون • ثم اشار الى التفرق بقوله • من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا • وفى الاية مسائل المسئلة الاولى
قال من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا • ولم يقل من امن وذلك لان العمل الصالح به يكمل الايمان فذكره تحريضا للمكلف
عليه • واما الكفر اذا جاء فلا زينة للعمل معه • وجه اخر هو ان الكفر قسمان • احدهما فعل وهو الاشراك والقول به
والثانى ترك وهو عدم النظر والايمان • فالعاقل البالغ اذا كان في مدينة الرسول ولم يات بالايمان فهو كافر سواء
قال بالشرك او لم يقل لكن الايمان لا بد له من العمل الصالح • فان الاعتقاد الذى هو عمل القلب • وقول لا اله الا الله عمل اللسان
وشىء منه لا بد منه المسئلة الثانية قال فعليه فوحد الكناية • وقال فلانفسهم جمعها اشارة الى ان الرحمة اعم من
الغضب فيشمله واهله وذريته • اما الغضب فمسبوق بالرحمة لازم لمن اساء المسئلة الثالثة قال فعليه كفره
ولم يبين وقال في المؤمن فلانفسهم يمهدون تحقيقا لكمال الرحمة فانه عند الخير بين وفصل بشارة • وعند غيره
اشار اليه اشارة ثم قال تعالى ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات • ذكر زيادة تفصيل لما يمهده المؤمن بفعله الخير
وعمله الصالح وهو الخير الذى جازيه هو الله • والملك اذا كان كبيرا كريما • ووعد عبدا من عباده بان يجازيه
يصل اليه منه اكثر مما يتوقعه • ثم اكده بقوله من فضله • يعنى انا الجازى فكيف يكون الجزاء • ثم انى لا اجازيك من العدل
وانما اجازى من الفضل فيزداد الرجا ثم قال تعالى انه لا يحب الكافرين • اوعدهم بوعيد ولم يفصله لما بينا
وان كان عند المحقق هذا الاجمال فيه كل تفصيل فان عدم المحبة من الله غاية العذاب • وافهم ذلك ممن يكون له معشوق
فاذا اخبر العاشق بانه وعدك بالدراهم والدنانير كيف يكون مسرته • واذا قيل له انه قال لا احب فلانا كيف يكون سروره
وفيه لطيفة وهى ان الله عند ما اسند الكفر والايمان الى العبد قدم الكافر فقال من كفر فعليه كفره • وعند ما اسند
الجزاء الى نفسه قدم المؤمن فقال ليجزى الذين امنوا ثم قال انه لا يحب الكافرين لان قوله من كفر في الحقيقة
لمنع الكافر عن الكفر بالوعيد • ولنهيه عن فعله بالتهديد • وقوله من عمل صالحا لتحريض المؤمن • والنهى كالانقاد والتحريض
للتقرير • والانقاد مقدم عند الحكيم الرحيم • واما عند ما ذكر الجزاء بدا بالاحسان اظهارا للكرم والرحمة • فان قال

قال

قال هذا انما يصح ان لو كان الذكر في كل موضع كذلك وليس كذلك فان الله في كثير من المواضع قدم ايمان المؤمن على كفر الكافر • وقدم
التعذيب على الاثابة فنقول ان كان الله يوفقنا لبيان ذلك نبين ما اقتضى تقديمه • ونحن نقول بان كل كلمة وردت في القران
لمعنى وكل ترتيب وجد فهو لحكمة لو ذكرت على خلافه لا يكون في درجة ما ورد به القران • فلنبين من جملة مثالا وهو قوله تعالى
يومئذ يتفرقون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون قدم المؤمن على الكافر وها هنا ذلك مثل ذلك
المعنى في قوله يومئذ يصدعون اى يتفرقون • وقدم الكافر على المؤمن فنقول هناك ايضا قدم الكافر في الذكر لانه
قال من قبل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون • فذكر الكافر وابلاسه • ثم قال يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فكان ذلك
المؤمن وحده لا بد منه ليبين كيفية التفرق لمجموع قوله يبلس المجرمون • وقوله في حق المؤمن في روضة يحبرون لكن الله تعالى
اعاد ذكر المجرمين مرة اخرى للتفصيل وقال واما الذين كفروا ثم قال تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات • لما ذكر ظهور
الفساد والهلاك بسبب الشرك ذكر ظهور الصلاح ولم يذكر انه بسبب العمل الصالح لما ذكر غير مرة ان الكريم لا يذكر لاحسانه عوضا
ويذكر لاضراره سببا لئلا يتوهم به الظلم فقال يرسل الرياح مبشرات • قيل بالمطر كما قال تعالى بشرا بين يدى رحمته اى قبل المطر
ويمكن ان يقال مبشرات بصلاح الاهوية والاحوال فان الرياح لو لم تهب لظهر الوباء والفساد ثم قال وليذيقكم من رحمته
عطف على ما ذكرنا اى ليبشركم بصلاح الهواء وصحة الابدان • وليذيقكم من رحمته بالمطر وقد ذكرنا ان الاذاقة تقال في القليل
ولما كان في الدنيا قليلا وراحتها نزرة قال يذيقكم • واما في الاخرة فيرزقهم ويوسع عليهم ويديم لهم • ولتجرى الفلك • لما
اسند الفعل الى الفلك عقبه بقوله بامره اى الفعل ظاهر عليه ولكنه بامر الله • وكذلك لما قال ولتبتغوا مسندا الى العباد
ذكر بعده من فضله اى لا استقلال لشىء بشىء • وفى الاية مسائل المسئلة الاولى في الترتيب فنقول في الرياح فوائد
منها اصلاح الهواء • ومنها اثارة السحاب • ومنها جريان الفلك بها فقال مبشرات باصلاح الهواء فان اصلاح الهواء يوجد من نفس
الهبوب • ثم الامطار بعده • ثم جريان الفلك فانه موقوف على اختيار من الادمى باصلاح السفن والقائها على البحر ثم ابتغاء
الفضل المسئلة الثانية قال في قوله تعالى ظهر الفساد ليذيقهم بعض الذى عملوا • وقال ها هنا ليذيقكم من رحمته
فخاطبهم ها هنا تشريفا • ولان رحمته قريب من المحسنين • فالمحسن قريب فيخاطب • واما المسىء فمبعد فلم يخاطبهم وايضا
قال هناك بعض الذى عملوا وقال ها هنا من رحمته فاضاف ما اصابهم الى انفسهم واضاف ما اصاب المؤمن الى رحمته
وفيه معنيان • احدهما ما ذكرنا ان الكريم لا يذكر لرحمته واحسانه عوضا • وان وجد فلا يقول اعطيتك لانك فعلت كذا
بل يقول هذا لك منى • واما ما فعلت من الحسنة فجزاؤه بعد عندى • وثانيهما ان ما يكون بسبب فعل العبد قليل فلو قال
ارسلنا الرياح بسبب فعلكم لا يكون بشارة عظيمة • واما اذا قال من رحمته كان غاية البشارة • ومعنى ثالث وهو انه لو قال
بما فعلتم لكان ذلك يوهم النقصان في ثوابهم في الاخرة • واما في حق الكفار فاذا قال بما فعلتم ينبئ عن نقصان عقابهم وكذلك

فصول في الرياح فوائد منها اصلاح الهوى

المسئلة الثالثة قال هناك لعلهم يرجعون وقال ها هنا ولعلكم تشكرون • قالوا اشارة الى ان توفيقهم للشكر
من النعم المسئلة الرابعة انما اختار هذه الاية لان الايات قد سبق ذكرها • وقلنا انه ذكر من كل باب شيئين فذكر من المتغير
يريكم البرق والحادث في الجو في اكثر الامر نار وريح • فذكر الرياح ها هنا تذكيرا وتعريبا للقائل وذكرها ها هنا مبشرات لان
تعديل الهواء تصفيته بالريح امر لازم • وحكمه به حكم جازم ثم قال تعالى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم
بالبينات • لما بين الاصلين ببراهين ذكر الاصل الثالث وهو النبوة فقال ولقد ارسلنا من قبلك رسلا اى ارسالهم دليل
رسالتك • فانهم لم يكن لهم شغل غير شغلك • ولم يظهر عليهم غير ما ظهر عليك • ومن كذبهم اصابهم البوار • وما امن بهم كان لهم الانتصار
وله وجه اخر يبين تعلق الاية بما قبلها وهو ان الله لما بين البراهين ولم ينتفع بها الكفار سلى قلب النبى عليه الصلاة والسلام وقال
حال من تقدمك كان كذلك وجاؤا ايضا بالبينات • وكان في قومهم كافر ومؤمن كما في قومك وانتقمنا من الكافرين • ونصرنا
المؤمنين • وفى قوله تعالى وكان حقا وجهان • احدهما فانتقمنا وكان الانتقام حقا • واستانف وقال علينا نصر المؤمنين
وعلى هذا يكون هذا بشارة للمؤمنين الذين امنوا بمحمد عليه السلام اى علينا نصركم ايها المؤمنون • والوجه الثانى وكان
حقا اى نصر المؤمنين كان حقا علينا • وعلى الاول لطيفة وعلى الاخر اخرى • اما على الاول فهو انه لما قال فانتقمنا بين انه لم
يكن ظلما • وانما كان عدلا حقا وذلك لان الانتقام لم يكن الا بعد كون بقائهم غير مفيد الا زيادة الاثم وولادة الفاجر الكافر
وكان عدمهم خيرا من وجودهم الخبيث • وعلى الثانى تاكيد البشارة لان تكلمه على تقييد اللزوم يقال على فلان كذا ينبئ عن اللزوم
فاذا قال حقا اكد ذلك المعنى • وقد ذكرنا ان النصر هو الغلبة التى لا يكون عاقبتها وخمة فان احدى الطائفتين اذا انهزمت
اولا ثم عادت اخرا لا يكون النصر الا للمنهزم • وكذلك موسى وقومه لما انهزموا من فرعون ثم ادركه الغرق لم يكن انهزامهم
الا نصرة • فالكافر ان انهزم المسلم في بعض الاوقات لا يكون ذلك نصرة اذ لا عاقبة له ثم قال تعالى الله الذى يرسل
الرياح فتثير سحابا ذكر دلائل الرياح على التفصيل الاول في ارسالها قدرة وحكمة • اما القدرة فظاهرة فان الهواء اللطيف

الذي يسقيه البوادي بحيث يبلغ الشجر وهو ليس بنائم كذلك فهو بقاء العباد • واما الحكمة ففي نفس الهبوب وبما يفضي الى
من اثارة السحب • ثم ذكر انواع السحب فمنه ما يكون متصلا ومنه ما يكون قطعا • ثم المطر يخرج منه والماء
في الهواء عجيب علامة القدرة وما يفضي اليه من نبات الزرع • وادرار الضرع حكمة بالغة • ثم انه لا يعم بل يختص
به قوم اخرون دون قوم وهو علامة المشيئة • وقوله وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله • اختلف
المفسرون فيه فقال بعضهم هو تاكيد كما في قوله تعالى فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وقال بعضهم
من قبل التنزيل من قبل المطر • والاولى ان يقال من قبل ان ينزل عليهم من قبله اي من قبل ارسال الريح • وذلك لان
بعد الارسال يعرف الخبير ان الريح فيها مطر او ليس فيها مطر فقبل المطر اذا هبت الريح لا يكون مبلسا فلما قال
من قبل ان ينزل عليهم لم يفد انهم كانوا مبلسين لان من قبله قد يكون راجيا غالبا على ظنه المطر برؤية السحب وهبوب
الرياح فقال من قبله اي من قبل ما ذكرنا من ارسال الرياح وبسط السحاب • ثم لما فصل قال فانظروا الى اثار رحمة
الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى لما ذكر الدلايل قال المحيي باللام المؤكدة وباسم الفاعل فان الانسان
اذا قال ان الملك يعطيك لا يفيد ما يفيد قوله انه معطيك • فان الثاني يفيد انه اعطاك فكان وهو معط متصف
بالعطا • والاول يفيد انه اعطاك فكان وهو معط متصف بالعطا • والاول يفيد انه سيتصف به • ويتبين
هذا بقوله انك ميت فانه اكد من قوله انك تموت وهو على كل شي قدير تاكيدا لما يفيد الاعتراف • ثم قال تعالى ولئن
ارسلنا ريحا فراوه مصفرا • لما بين انهم عند توقف الخير يكونون مبلسين ايسين وعند ظهوره يكونون مستبشرين
بين ان تلك الحالة ايضا لا يدومون عليها بل لو اصاب زرعهم ريح مصفرة كفروا فهم منقلبون غير ثابتين
نظرهم الى الحال لا الى المال • وفي الاية مسائل المسئلة الاولى قال يرسل الرياح على طريقة الاخبار وقال ههنا
ولئن ارسلنا على طريقة الاخبار عن الارسال لان الرياح من رحمته وهي متواترة والريح من عذابه وهو تعالى
رؤوف بالعباد يمسكها ولذلك نرى الرياح النافعة تهب في الليالي والايام في البراري والاكام وريح السموم
لا تهب الا في بعض الازمنة • وفي بعض الامكنة المسئلة الثانية سمى النافعة رياحا والضارة ريحا لوجوه
احدها ان النافعة كثيرة الانواع كثيرة الافراد فجمعها فان كل يوم وليلة تهب نفحات من الرياح النافعة • ولا تهب
الريح الضارة في اعوام بل الضارة في الغاية لا تهب الا في الدهور • الثاني هو ان النافعة لا تكون الا رياحا • فان ما
يهب مرة واحدة لا يصلح الهوا ولا ينشئ السحاب ولا يجري السفن • واما الضارة بنفحة واحدة تقتل كريح السموم
الثالث هو ان الريح المضرة اما ان تضر بكيفيتها او بكميتها • اما الكيفية فهي اذا كانت حارة او متكيفة بكيفية سم
وهذا لا يكون للريح في هبوبها وانما يكون بسبب الهوا الساكن في بقعة فيها حشايش ردية او في موضع غاير هو
حار جدا فيكون متكونا في اول تكونها كذلك • وكيف ما كان فيكون واحدة لان ذلك الهوا الساكن اذا سخن ثم
ورد عليه ريح يحركه ويخرجه من ذلك المكان فيهب على مواضع كاللهب • ثم ما يخرج بعد ذلك من ذلك المكان لا يكون حارا
ولا متكيفا لان المكث الطويل شرط التكيف الا ترى انك لو ادخلت اصبعك في نار واخرجتها سرعة لا يتاثر • والحديد اذا
مكث يذوب • فاذا تحرك ذلك الساكن وتفرق لا يوجد في ذلك الوقت غيره من جنسه • واما المتولدة كذلك فنادرة
وموضع تولدها واحد • واما الكمية فالرياح اذا اجتمعت وصارت واحدة كالخلجان ومياه العيون اذا اجتمعت
وصارت واحدة تصير نهرا عظيما لا تسده السدود • ولا ترده الجلمود • ولا شك في ان ذلك يكون واحدا مجتمعا
من كثير • فلهذا قال في المضر ريح • وفي النافعة رياح • ثم انه تعالى لما علم رسوله انواع الادلة • واصناف الامثلة
ووعد واوعد • ولم يزدهم دعاوه الا فرارا واباوه الا اكفرارا واصرارا قال له انك لا تسمع الموتى ولا تسمع
الصم الدعا اذا ولوا مدبرين • وفيه مسايل المسئلة الاولى في الترتيب • فنقول ارشاد الميت محال والمحال ابعد
من الممكن • ثم ارشاد الاصم صعب فانه لا يسمع الكلام وانما يفهم ما يفهمه بالاشارة لا غير والافهام بالاشارة صعب
ثم ارشاد الاعمى ايضا صعب • فانك اذا قلت له الطريق على يمينك يدور على يمينه لكنه لا يبقى عليه بل يحيد عن قريب •
وارشاد الاصم اصعب • ولهذا تكون المعاشرة مع الاعمى اسهل من المعاشرة مع الاصم الذي لا يسمع شيئا لان غاية الافهام
بالكلام • وليس كلما يفهم بالكلام يفهم بالاشارة فان المعدوم والغايب لا اشارة اليه فقال اولا لا تسمع الموتى • ثم قال
ولا الاصم ولا تهدي الاعمى التي هي الاصنام المسئلة الثانية قال في الاصم اذا ولوا مدبرين ليكون ادخل في الامتناع
وذلك لان الاصم ان كان يفهم فانما يفهم بالاشارة ولكن اذا ولى لا يكون نظره الى المشير فلا يسمع ولا يفهم المسئلة الثالثة
قال في الاصم لا تسمع الصم الدعا ولم يقل في الموتى ذلك لان الاصم قد يسمع الصوت الهايل كصوت الرعد القوي ولكن
صوت الداعي لا يبلغ ذلك الحد فقال انك داع لست بملجي الى الايمان • والداعي لا يسمع الاصم الدعا المسئلة الرابعة

قال وما انت

قال وما انت بهادي العمي اي ليس شغلك هداية العميان كما يقول القائل فلان ليس بشاعر وانما شغله [illegible]
ذلك • فقوله انك لا تسمع الموتى نفي لذلك عنه • وقوله وما انت بهادي العمي نفي لشغله ذلك وما ارسلت له • ثم
قال ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون [illegible]
[illegible] المسئلة [illegible]
[illegible] وقوله [illegible]
[illegible] ثم قال تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير [illegible]
[illegible]
فقدرته العلم والقدرة [illegible] وهو العليم القدير • ثم قال تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون [illegible]
[illegible]
وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون [illegible]
[illegible]
يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون [illegible]
فيطلبون التاخير ثم قال تعالى فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون • اي لا يطلب منهم الاعتاب
وهو ازالة العتب يعني التوبة التي تزيل اثار الجريمة لا تطلب منهم لانها لا تقبل منهم ثم قال تعالى ولقد ضربنا للناس
في هذا القران من كل مثل • اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار • والى انه لم يبق من جانب الرسول
تقصير • فان طلبوا شيئا اخر فذلك عناد • ومن هان عليه تكذيب دليل لا يصعب عليه تكذيب الدلايل بل لا يجوز للمستدل
ان يشرع في دليل اخر بعد ما ذكر دليلا جيدا مستقيما ظاهرا لا غبار عليه وعانده الخصم لانه اما ان يعترف بورود سؤال
الخصم عليه او لا يعترف • فان اعترف يكون انقطاعا وهو يقدح في الدليل او المستدل • اما بان الدليل فاسد • واما
بان المستدل جاهل بوجه الدلالة والاستدلال وكلاهما لا يجوز الاعتراف به من العالم فكيف من النبي عليه السلام
وان لم يعترف يكون الشروع في غيره موهما ان الخصم ليس معاندا فيكون اجتراوه على العناد في الثاني اكثر لانه يقول العناد
في الاول افاد حيث التزم ذكر دليل اخر • فان قيل فالانبيا عليهم السلام ذكروا انواعا من الدلايل نقول سردوها سردا
ثم قرروا فردا فردا من يقول الدليل عليه من وجوه • الاول كذا • والثاني كذا • والثالث كذا • ومثل هذا الواجب عدم الالتفات
الى عناد المعاند لانه يريد بعناده حتى يضيع الوقت فلا يتمكن المستدل من الاتيان بجميع ما وعد من الدلايل فتنحط درجته

كانوا يوفكون يصرفون من الحق الى الباطل ومن الصدق الى الكذب

كمال

سكيفا

فاذا الكل مكان مقال والى هذا وقعت الاشارة بقوله تعالى ولئن جئتهم بكل آية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون • وفي توجيه الخطاب بقوله ولئن جئتهم بآية والجمع في قوله لطيفة وهي ان الله قال ولئن جئتهم بكل آية جاءت بها الرسل ويمكن ان يجاء به يقول انتم كلكم ايها المدعون للرسالة مبطلون • ثم بين الله تعالى ان ذلك لان الله يطبع على قلوبهم بقوله كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون • فان قيل من لا يعلم شيئا اي فائدة في الاخبار عن الطبع على قلبه • نقول المعنى هو ان من لا يعلم الآن فقد طبع الله على قلبه من قبل • ثم انه تعالى سلى قلب النبي عليه السلام بقوله فاصبر ان وعد الله حق اي ان صدقك تبين • وقوله ولا يستخفنك الذين لا يوقنون • اشارة الى مداومة النبي عليه الصلاة والسلام على الدعاء الى الايمان فانه لو سكت لقال الكافرون انه متقلب قابل الراي لا ثبات له • والله اعلم بالصواب • تم تفسير سورة الروم والحمد لله رب العالمين

سورة لقمان مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الم • وجه ارتباط اول هذه السورة بآخر ما قبلها هو ان الله لما قال ولقد ضربنا في هذا القرآن من كل مثل اشارة الى كونه معجزة وقال ولئن جئتهم بآية اشارة الى انهم يكفرون بالآيات بين ذلك بقوله الم تلك آيات الكتاب الحكيم • اي هذه آيات ولم يؤمنوا بها • والى هذا اشار بعد هذا بقوله واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا • هدى • اي بيانا وفرقانا • واما التفسير فمثل تفسير قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى • وكما قيل هناك ان المعنى ذلك هذا كذلك قيل بان المراد بتلك هذه ويمكن ان يقال كما قلنا هناك ان تلك اشارة الى الغايب معناها آيات القرآن آيات الكتاب الحكيم وعند انزال هذه الآيات التي نزلت مع الم تلك آيات الكتاب لم يكن جميع الآيات نزلت • فقال تلك اشارة الى الكل اي آيات القرآن تلك آيات • وفيه مسايل المسئلة الاولى قال في البقرة ذلك الكتاب • ولم يقل الحكيم • وههنا قال الحكيم • فلما زاد ذكر وصف في الكتاب زاد ذكر امر في احواله فقال هدى ورحمة وقال هناك هدى فقوله هدى في مقابلة قوله الكتاب • وقوله رحمة في مقابلة قوله الحكيم ووصف الكتاب بالحكيم على معنى ذو الحكمة كقوله تعالى في عيشة راضية اي ذات رضى المسئلة الثانية قال هناك للمتقين وقال ههنا للمحسنين اي المتقين الشرك والعناد الآتين بكلمة الاحسان • فالمحسن هو الآتي بالايمان • والمتقي هو التارك للكفر كما قال تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون • ومن جانب الكفر كان متقيا وله الجنة • ومن اتى بحقيقة الايمان كان محسنا له الزيادة لقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة • ولانه لما ذكر انه رحمة قال للمحسنين لان رحمة الله قريب من المحسنين المسئلة الثالثة قال هناك الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وقال ههنا الذين يقيمون الصلاة ولم يقل يؤمنون لما بينا ان المتقي هو التارك للكفر ويلزمه ان يكون مؤمنا والمحسن هو الآتي بحق الايمان ويلزمه ان لا يكون كافرا • فلما كان المتقي دالا على المؤمن في الالتزام صرح بالايمان هناك تبيينا • ولما كان المحسن دالا على الايمان بالتنصيص لم يصرح بالايمان قوله الذين يقيمون الصلاة • قد ذكرناها في الصلاة واقامتها مرارا وما في الزكاة والقيام بها • وذكرنا في تفسير الانفال في اواخرها ان الصلاة ترك التشبه بالسيد • فانها عبادة صورة وحقيقة والله تجب له العبادة ولا تجب عليه العبادة • وترك التشبه لازم على العبد في امور فلا يجلس عند جلوسه ولا يتكئ عند اتكائه ويلزمه التشبه في امور ايضا منها دفع حاجة الغير والله دافع للحاجات • ومن التشبه اللازم على العبد ايضا كما ان عبد العالم لا يتلبس بلباس الاجناد • وعبد الجندي لا يتلبس بلباس الزهاد • وبهما تتم العبودية ثم قال تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث لما بين ان القرآن كتاب حكيم يشتمل على آيات حكمية بين حال الكفار انهم يتركون ذلك ويشتغلون بغيره ثم ان فيه ما يبين سوء صنيعهم من وجوه • الاول ان ترك الحكمة والاشتغال بحديث آخر قبيح • الثاني هو ان الحديث اذا كان لهوا لا فائدة فيه فهو اقبح • الثالث هو ان اللهو قد يقصد به الاحماض كما ينقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال احمضوا ونقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال روحوا ساعة فساعة • والعوام يفهمون منه الامر بما يجوز البطالة • والخواص يقولون هو امر بالنظر الى جانب الحق فان الترويح به لا غير فلما لم يكن قصدهم الا الاضلال بقوله ليضل عن سبيل الله كان فعله ادخل في القبح • ثم قوله بغير علم عايد الى الشرى اي يشتري بغير علم • ويتخذها اي ويتخذ السبيل هزوا اولئك لهم عذاب مهين قوله مهين • اشارة الى امر يفهم منه الدوام • وذلك لان الملك اذا امر بتعذيب عبد من عبيده فالجلاد ان علم انه يعود الى خدمة الملك ولا يتركه الملك في الحبس يكرمه ويخفف من تعذيبه • وان علم انه لا يعود الى ما كان عليه وامره قد انتهى فانه لا يكرمه • فقوله عذاب مهين اشارة الى هذا وبه يفرق بين عذاب المؤمن وعذاب الكافر • فان عذاب المؤمن تطهير فهو غير مهين • واذا تتلى عليه آياتنا • اي يشتري الحديث الباطل • والحق الصريح ياتيه مجانا يعرض عنه • واذا نظرت فيه فهمت

حسن هذا الكلام

حسن هذا الكلام من حيث ان المشتري يطلب المشترى مع انه يطلبه ببذل الثمن ومن ياتيه الشيء لا يطلبه ولا يبذل شيئا ثم ان الواجب ان يطلب العاقل الحكمة باي شيء يجده ويشتريها وهم ما كانوا يطلبونها واذا جاءهم مجانا ما كانوا يسمعونها ثم فيه ايضا مراتب • الاولى التولية عن الحكمة وهو قبيح • والثاني الاستكبار • ومن يشتري حكاية رستم وبهرام ويحتاج اليه كيف يكون مستغنيا عن الحكمة حتى يستكبر عليها وانما يستكبر الشخص عن الكلام اذا كان يقول انا اقول مثله فمن لا يقدر يضع مثل تلك الحكايات الباطلة كيف يستكبر على الحكمة البالغة التي من عند الله • الثالث كان لم يسمعها شغل المتكبر الذي لا يلتفت الى الكلام ويجعل نفسه كانها غافلة • الرابع قوله كان في اذنيه وقرا ادخل في الاعراض • ثم قال فبشره بعذاب مهين اي له عذاب مهين فبشره انت به او اوعده اي يقال اذا كان حاله هذا فبشره بعذاب • ثم قال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم لما بين حال من اذا تتلى عليه الآيات ولى بين حال من يقبل على تلك الآيات ويقبلها • وكما ان ذلك له مراتب من التولية والاستكبار • وهذا له مراتب من الاقبال والقبول والعمل به فان سمع شيئا وقبله قد لا يعمل به فلا يكون درجته درجة من يسمع ويطيع • ثم ان لهذا جنات النعيم ولذلك عذاب مهين وفيه لطايف • احدها توحيد العذاب وجمع الجنات اشارة الى ان الرحمة واسعة اكثر من الغضب • الثانية تنكير العذاب وتعريف الجنة بالاضافة الى المعرف اشارة الى ان الرحيم يبين الرحمة ويعرفها ايصالا للراحة الى القلب ولا يبين النقمة وانما ينبه عليها تنبيها • الثالثة قال عذاب ولم يصرح بانهم فيه خالدون • وانما اشار الى الخلود بقوله مهين • وصرح في الثواب بالخلود بقوله خالدين فيها • الرابعة اكد ذلك بقوله وعد الله حقا ولم يذكره هناك • الخامسة قال هناك لغيره فبشره بعذاب • وقال ههنا بنفسه وعد الله • ثم لم يقل ابشركم به لان البشارة لا تكون الا باعظم ما يكون لكن الجنة دون ما يكون للصالحين بشارة من الله • وانما تكون بشارتهم منه برحمته ورضوانه كما قال تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان • ولولا قوله منه لما عظمت البشارة • ولولا كان رحمة مقرونة بامر دون الجنة لكان ذلك فوق الجنة من غير اضافة فان نفد بشر بنفس الجنة وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون يقول البشارة هناك لم تكن بالجنة وحدها بل بها وبما ذكر بعدها الى قوله تعالى نزلا من غفور رحيم • والنزل ما يهيأ عند النزول والاكرام العظيم بعده وهو العزيز الحكيم كامل القدرة يعذب المعرض ويثيب المقبل كامل العلم يفعل الافعال كما ينبغي فلا يعذب من يؤمن ولا يثيب من يكفر • ثم قال تعالى خلق السموات بغير عمد بين عزته وحكمته بقوله خلق السموات بغير عمد • اختلف قول العلماء في السموات • فمنهم من قال انها مسطوحة كصفحة مستوية وهو قول اكثر المفسرين • ومنهم من قال انها مستديرة وهو قول جميع المهندسين والغزالي رحمه الله قال نحن نوافقهم في ذلك فان لهم علينا دليلا محسوسا ومخالفة الحس لا تجوز • وان كان في الباب خبر اولناه بما يحتمله فضلا من ان

[illegible]

ثم قال والقى في الارض رواسي ان تميد بكم

[illegible]

ثم قال وبث فيها من كل دابة

[illegible]

ثم قال وانزلنا من السماء ماء

[illegible]

اما الفصاحة فذكرناها في باب

[illegible]

اختلف العلماء في احوال السموات

ح من المحسوسات

قال زيد كذا وقال خالد كذا وقال عمرو كذا ثم إن بكرا قال قولا حسنا لما قد تكرر القول مرارا ◦ وأما الحكمة فمن
وجهين ◦ أحدهما أن خلق الأرض ثقيلا والسماء في غير مكان قد يقع لجاهل أنه بالطبع وبث الدواب يقع لبعضهم
أنه باختيار الدابة لأن لها اختيارا فنقول الأول طبيعي والآخر اختياري للحيوان ولكن لا يشك أحد في أن الماء
في الهواء من جهة فوق ليس طبعا فإن الماء لا يكون بطبعه فوق ولا اختيارا إذ الماء لا اختيار له فهو بإرادة الله
تعالى وأنزلنا من السماء ◦ الثاني هو أن إنزال الماء نعمة ظاهرة متكررة في كل زمان فأسنده إلى نفسه صريحا
لينبه الإنسان لشكر نعمته فيزيد له من رحمته ◦ وقوله فأنبتنا فيها من كل زوج كريم أي من كل جنس فإن كل جنس تحته زوجان
لأن النبات إما أن يكون شجرا وإما أن يكون غير شجر والذي هو شجر إما أن يكون مثمرا وإما أن يكون غير مثمر ◦ والمثمر
كل ينقسم قسمين ◦ وقوله كريم أي ذو كرم لأنه يأتي كثيرا من غير حساب ومكرم مثل بغيض للمبغض ◦ ثم قال تعالى
هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه يعني الله خالق وغيره ليس بخالق فكيف تتركون عبادة الخالق وتشتغلون
بعبادة المخلوق ◦ ثم قال بل الظالمون في ضلال مبين أي بين أو مبين للعاقل أنه ضلال ◦ وهذا لأن ترك الطريق
والحيد عنه ضلال ◦ ثم إن كان الحيد يمنة أو يسرة فهو لا يبعد عن الطريق المستقيم مثل ما يكون إلى ورائه فإنه يكون
غاية الضلال ◦ فالمقصد هو الله ◦ فمن يقصده ويلتفت إلى غيره من الدنيا أو غيرها فهو ضلال لكن وجهه إلى الله قد
يصل إلى المقصود لكن بعد تعب وطول مدة ◦ ومن يطلبه ولا يلتفت إلى ما سواه يكون كالذي على الطريق المستقيم
يصل عن قريب من غير تعب ◦ وأما الذي تولى لا يصل إلى المقصود أصلا ◦ وإن دام في السفر ◦ والمراد بالظالمين
المشركون الواضعون لعبادتهم في غير موضعها أو الواضعون أنفسهم في عبادة غير الله ◦ ثم قال تعالى ولقد آتينا
لقمان الحكمة أن اشكر لله لما بين أن اعتقادهم بسبب عنادهم في إشراك من لا يخلق شيئا بمن خلق كل شيء بقوله هذا
خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ◦ وبين أن المشرك ظالم ضال ذكر ما يدل على ضلالهم وظلمهم مقتضى الحكمة وإن
لم يكن هناك نبوة ◦ وهذا إشارة إلى معنى وهو أن اتباع النبي عليه السلام لازم فيما لا يعقل معناه إظهارا للتعبد فكيف
ما لا يختص بالنبوة بل يدرك بالعقل معناه وما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مدرك بالحكمة وذكر حكاية لقمن وأنه
أدركه بالحكمة ◦ وقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة عبارة عن توفيق العمل بالعلم فكل من أوتي توفيق العمل بالعلم فقد
أوتي توفيق الحكمة وإن أردنا تحديدها بما يدخل فيه حكمة الله تعالى فنقول حصول العمل على وفق المعلوم ◦ والذي
يدل على ما ذكرنا أن من يعلم شيئا ولا يعلم مصالحه ومفاسده لا يسمى حكيما وإنما يكون مبخوتا ألا ترى أن من يلقي نفسه
من مكان عال ووقع على موضع فانخسف به وظهر له كنز وسلم لا يقال إنه حكيم وإن ظهر لفعله مصلحة وخلو عن مفسدة
لعدم علمه أولا ومن يعلم أن الإلقاء فيه إهلاك النفس ويلقي نفسه من ذلك المكان ويتكسر أعضاؤه لا يقال إنه حكيم
وإن ظهر لفعله مصلحة وخلو عن مفسدة علم ما يكون في فعله ◦ ثم الذي يكون يدل على ما ذكرنا قوله تعالى
أن اشكر فإن أن في مثل هذا يسمى المفسرة فسر الله إيتاء الحكمة بقوله أن اشكر لله وهو كذلك لأن من جملة ما يقال
إن العمل موافق للعلم أن الإنسان إذا علم أمرين ◦ أحدهما أهم من الآخر فإن اشتغل بالأهم كان عمله موافقا لعلمه
وكان حكمة وإن أهمل الأهم كان مخالفا للعلم ولم يكن من الحكمة في شيء لكن شكر الله أهم الأشياء والحكمة أول ما تقتضي
ذلك ثم إن الله تعالى بين أن بالشكر لا ينتفع إلا الشاكر ◦ من شكر فإنما يشكر لنفسه ◦ وبين أن بالكفران لا يتضرر
غير الكافر بقوله ومن كفر فإن الله غني حميد أي الله غير محتاج إلى شكر حتى يتضرر بكفران الكافر وهو في نفسه
محمود سواء شكره الناس أو لم يشكروه ◦ وفي الآية مسائل ولطائف المسئلة الأولى فسر الله إيتاء الحكمة بالأمر
بالشكر لكن الكافر والجاهل مأمور بالشكر فينبغي أن يكون قد أوتي الحكمة والجواب أن قوله تعالى أن اشكر لله أمر
تكوين معناه آتينا الحكمة بأن جعلناه من الشاكرين ◦ وفي الكافر الأمر بالشكر أمر تكليف المسئلة الثانية قال في
الشكر ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه بصيغة المستقبل وقال في الكفران ومن كفر فإن الله غني وإن كان الشرط يحمل
للماضي والمستقبل في معنى واحد كقول القائل من دخل داري فهو حر ومن يدخل داري فهو حر فنقول فيه إشارة
إلى معنى الإرشاد إلى أمر وهو أن الشكر ينبغي أن يتكرر في كل وقت لتكرر النعمة ◦ فمن شكر ينبغي أن يشكر والكفور ينبغي
أن يترك الكفران ولأن الشكر من الشاكر لا يقع بكماله بل أبدا يكون منه شيء في العدم يريد الشاكر إدخاله في الوجود
كما قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك وكما قال تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ◦ فأشار إليه بصيغة المستقبل
تنبيها على أن الشكر بكماله لم يوجد ◦ وأما الكفران فكل جزء يقع منه تام فقيل بصيغة الماضي المسئلة الثالثة
قال تعالى ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر بتقديم الشكر على الكفر وقال في الروم من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا
فلأنفسهم يمهدون فنقول هناك كان الذكر للترغيب لقوله تعالى من قبل فأقم وجهك للدين القيم من قبل

أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون وههنا الذكر للترغيب لأن وعظ الأب للابن يكون بطريق اللطف والوعد
وقوله من عمل صالحا يحقق ما ذكرنا أولا لأن المذكور في الروم لما كان بعد اليوم الذي يكون الأعمال قد سبقت فقال
بلفظ الماضي ومن عمل ◦ وهاهنا لما كان المذكور في الابتداء قال ومن يشكر بلفظ المستقبل وقوله ومن كفر فإن الله غني حميد
في ذاته من غير حمدهم وإنما الحامد ترتفع مرتبته بكونه حامدا لله ◦ ثم قال تعالى وإذ قال لقمن لابنه وهو يعظه ◦ عطف
على معنى ما سبق وتقديره آتينا لقمان الحكمة حين جعلناه شاكرا في نفسه ◦ وحين جعلناه واعظا لغيره وهذا لأن علو مرتبة
الإنسان بأن يكون كاملا في نفسه ومكملا لغيره فقوله أن اشكر إشارة إلى الكمال وقوله وإذ قال لقمن لابنه وهو يعظه
إشارة إلى التكميل ◦ وفي هذا لطيفة وهي أن الله ذكر لقمان وشكر سعيه حيث أرشد ابنه ليعلم منه فضيلة النبي عليه السلام
الذي أرشد الأجانب والأقارب فإن إرشاد الولد معتاد ◦ وأما تحمل المشقة في تعليم الأباعد فلا ◦ ثم إنه في الوعظ
بدأ بالأهم وهو المنع من الإشراك وقال إن الشرك لظلم عظيم ◦ أما أنه ظلم فلأنه وضع النفس الشريفة المكرمة بقوله تعالى
ولقد كرمنا بني آدم في عبادة الخسيس أو لأنه وضع العبادة في غير موضعها وهي غير وجه الله وسبيله ◦ وأما أنه عظيم
فلأنه وضع في موضع ليس موضعه ولا يجوز أن يكون موضعه ◦ وهذا لأن من يأخذ مال زيد ويعطي عمرا يكون ظلما من حيث
أنه وضع في موضع مال زيد في يد عمرو ◦ ولكن جائز أن يكون ذلك ملك عمرو أو يصير ملكه ببيع سابق أو تمليك لاحق أما
الإشراك فوضع المعبودية في غير الله ◦ ولا يجوز أن يكون غيره معبودا أصلا ◦ ثم قال ووصينا الإنسان بوالديه
لما منعه من العبادة لغير الله والخدمة قريبة منها في الصورة بين أنها غير ممتنعة بل هي واجبة لغير الله في بعض الصور مثل
خدمة الأبوين ◦ ثم بين السبب فقال حملته أمه ◦ يعني لله على العبد نعمة الإيجاد ابتداء بالخلق ونعمة الإبقاء بالرزق
بفضله ◦ وللأم ما له صورة ذلك وإن لم يكن لها حقيقة فإن الحمل به يظهر الوجود ◦ وبالرضاع تحصل التربية والبقاء
فقال حملته أمه أي صارت بقدرة الله تعالى سبب وجوده وفصاله في عامين أي صارت بقدرته أيضا سبب بقائه
فإذا كان منها ما له صورة الوجود والبقاء وجب عليه ما له شبه العبادة من الخدمة فإن الخدمة لها صورة العبادة فإن
قال قائل وصى الله بالوالدين وذكر السبب في حق الأم فنقول خص الأم بالذكر ◦ وفي الأب ما وجد من الأم فإن
الأب حمله في صلبه سنين فهو أبلغ ◦ وقوله أن اشكر لي ولوالديك ◦ لما كان الله تعالى بفضله جعل من الوالدين صورة
ما من الله ◦ فإن الوجود في الحقيقة من الله ◦ وفي الصورة يظهر من الوالدين جعل الله الشكر بينهما وقال اشكر لي ولوالديك
ثم بين الفرق وقال وإلى الله المصير يعني نعمتهما مختصة بالدنيا ونعمتي في الدنيا والآخرة فإن إلي المصير أو نقول لما أمرنا
بالشكر لنفسه وللوالدين قال الجزاء على وقت المصير إلي ◦ ثم قال تعالى وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك
[illegible] أما إذا أفضى إليه فلا تطعهما وقد ذكرنا تفسير الآية
في العنكبوت [illegible]
[illegible] ثم قال تعالى يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل [illegible]
[illegible] المسئلة الأولى [illegible]
[illegible] المسئلة الثانية [illegible]
[illegible]

الحسنة والسيئة ان كانت في الصغر من حب الخردل

يظهر له الشيء ويظهره لغيره فقوله يأت بها الله أي يظهرها الله للإشهاد • وقوله إن الله لطيف أي نافذ القدرة خبير
أي عالم ببواطن الأمور **ثم قال** يا بني أقم الصلاة لما منعه من الشرك وخوفه بعلم الله وقدرته على أن يعتبر هيأتها
أمره بما يلزم من التوحيد وهو الصلاة وهي العبادة لوجه الله مخلصا • ولهذا يعلم أن الصلاة كانت في سائر الملل غير
أن هيأتها اختلفت **ثم قال** وأمر بالمعروف وانه عن المنكر • أي إذا كملت أنت في نفسك بعبادة الله فكمل غيرك • فإن شغل
الأنبياء وورثتهم من العلماء هو أن يكملوا أنفسهم ويكملوا غيرهم • فإن قال قائل كيف قدم في وصيته لابنه الأمر بالمعروف
على النهي عن المنكر وهو قدم النهي عن المنكر على الأمر بالمعروف فإنه أول ما قال يا بني لا تشرك **ثم قال** يا بني أقم
الصلاة فنقول هو كان يعلم من ابنه أنه معترف بوجود الله • فما أمره بهذا المعروف ونهاه عن المنكر الذي يترتب على هذا
المعروف فإن الشرك بالله لا يكون نافيا لله في الاعتقاد وإن كان يلزم نفيه بالدليل فكان كل معروف في مقابلته منكر
والمعروف في معرفة الله اعتقاد وجوده • والمنكر اعتقاد وجود غيره معه فلم يأمره بذلك المعروف لحصوله • ونهاه
عن المنكر لأنه ورد في التفسير أن ابنه كان مشركا فوعظه ولم يزل يعظه حتى أسلم • وأما ابنه فأمره أمرا مطلقا • والمعروف
مقدم على المنكر **ثم قال تعالى** واصبر على ما أصابك • يعني أن من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يؤذى فأمره بالصبر
عليه **وقوله** إن ذلك من عزم الأمور أي من الأمور الواجبة المفروضة أي المقطوعة ويكون المصدر بمعنى المفعول
كما تقول كل في النهار رغيف خبز **ثم قال** ولا تصعر خدك للناس تكبرا ولا تمش في الأرض مرحا تبخترا إن الله

من السمع انتقاله إلى القلب ولا كذلك المشي • وأما على قولنا الإشارة بالمشي والصوت إلى الأفعال والأقوال فلأن
القول قبيحه أقبح من قبيح الفعل وحسنه أحسن لأن اللسان ترجمان القلب والاعتبار يصحح الدعوى **المسألة الثانية**
كيف يفهم كونه أنكر مع أن مس المنشار بالمبرد وحت النحاس بالحديد أشد تنفيرا نقول الجواب عنه من وجهين
أحدهما أن المراد أن أنكر أصوات الحيوانات صوت الحمير فلا يرد ما ذكرتم وما ذكرتم في وقل الأمر لمصلحة وعمارة فلا ينكر
بخلاف صوت الحمير وهذا هو الجواب الثاني **المسألة الثالثة** أنكر هو أفعل التفضيل • فمن أي باب هو • نقول
يحتمل أن يكون من باب أطوع له من بنانه بمعنى أشد طاعة • فإن أفعل لا يجيء في مفعل ولا في مفعول ولا في باب
العيوب إلا ما شذ • كقولهم أطوع من كذا للتفضيل على المطيع • وأشغل من ذات النحيين للمشغول • وأحمق من
فلان من باب العيوب • وعلى هذا فهو باب أفعل كأشغل في باب مفعول فيكون للتفضيل على المنكر • فنقول
هو من باب أشغل مأخوذ من نكر الشيء فهو منكور وهذا أنكر منه • وعلى هذا فله معنى لطيف وهو أن كل حيوان قد يفهم
من صوته أنه يصيح من ثقل أو تعب كالبعير أو غير ذلك • والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح • وفي بعض
أوقات عدم الحاجة يصيح وينهق فصوته منكور ويمكن أن يقال هو من نكر كأجدر من جدير **ثم قال تعالى** ألم تروا
أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه • لما استدل بقوله خلق السموات والأرض بغير عمد على
الوحدانية • وبين بحكاية لقمان أن معرفة ذلك غير مختصة بالنبوة بل ذلك موافق للحكمة وما جاء به النبي عليه السلام من
التوحيد والصلاة ومكارم الأخلاق كلها حكمة بالغة • ولو كان تعبدا محضا للزم قبوله فضلا عن أنه على وفق الحكمة
استدل على الوحدانية بالنعمة لأنا بينا مرارا أن الملك يخدم لعظمته وإن لم ينعم ويخدم لنعمته أيضا فلما بين أنه المعبود
لعظمته بخلق السموات بغير عمد وإلقائه في الأرض الرواسي وذكر بعض النعم بقوله وأنزلنا من السماء ماء ذكر بعده عامة النعم
فقال سخر لكم ما في السموات أي سخر لأجلكم ما في السموات فإن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمر الله • وفيها فوائد لعباده
وسخر ما في الأرض لأجل عباده • وقوله وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وهي ما في الأعضاء من السلامة • وباطنة وهي ما في
القوى فإن العضو ظاهر • وفيه قوة باطنة • ألا ترى أن العين والأذن شحم وغضروف ظاهر وإن اللسان والأنف
لحم وعظم ظاهر وفي كل واحد معنى باطن من الإبصار والسمع والذوق والشم وكذلك كل عضو وقد تبطل القوة ويبقى العضو قائما
وهذا أحسن مما قيل فإن على هذا الوجه يكون الامتنان بنعمة الآفاق ونعمة الأنفس وقوله ما في السموات وما في الأرض إشارة
إلى النعم الآفاقية • وقوله وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة إشارة إلى النعم الأنفسية وفيها أقوال كثيرة مذكورة في جميع
كتب التفاسير • ولا يبعد أن يكون ما ذكرناه منقولا وإن لم يكن فلا يخرج من أن يكون سائغا معقولا **ثم قال** ومن الناس
من يجادل في الله • يعني لما ثبت الوحدانية بالخلق والإنعام فمن الناس من يجادل في الله ويثبت غيره إما إلها وإما منعما
بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير هذه أمور مرتبة • العلم والهدى والكتاب المنير • والعلم أعلى من الهدى • والهدى من الكتاب
وبيانه هو أن العلم تدخل فيه الأشياء الواضحة اللائحة التي يعلم من غير هداية هاد ووحي فقال تعالى يجادل ذلك المجادل لا من
علم واضح ولا من هدى أتاه من هاد ولا من كتاب • فكأن الأول إشارة إلى من أوتي من لدنه علما كما قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم
والثاني إشارة إلى مرتبة من هدي إلى صراط مستقيم بواسطة كما قال تعالى علمه شديد القوى • والثالث إشارة إلى من
اهتدى بواسطة • ولهذا قال الم ذلك الكتاب هدى للمتقين وقال في هذه السورة هدى ورحمة للمحسنين وقال
في السجدة • ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل فالكتاب هدى لقوم النبي عليه السلام فالنبي هداه الله
تعالى من غير واسطة أو بواسطة الروح الأمين فقال تعالى يجادل من يجادل لا بعلم آتيناه من لدنا كشفا ولا بهدى أرسلناه وحيا
ولا بكتاب يتلى عليه واعظا • ثم فيه لطيفة أخرى وهي أنه تعالى قال في الكتاب ولا كتاب منير لأن المجادل من كان يجادل عن كتاب
ولكن محرف مثل التوراة بعد التحريف • فلو قال ولا كتاب لكان لقائل أن يقول لا نجادل من غير كتاب فإن بعض ما يقولون به
فهو في كتابهم • ولأن المجوس والنصارى يقولون بالتثنية والتثليث عن كتابهم فقال ولا كتاب منير فذلك الكتاب مظلم • ولما
لم يحتمل في المرتبة الأولى والثانية التحريف والتبديل لم يقل ولا علم ولا هدى منير أو حق أو غير ذلك **ثم قال تعالى** وإذا قيل
لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا • بين أن مجادلتهم مع كونها من غير علم هي في غاية القبح فإن النبي عليه السلام
يدعوهم إلى كتاب الله وهم يأخذون بكلام آبائهم وبين كلام الله وكلام العلماء بون عظيم • فكيف ما بين كلام الله وكلام
الجهال • ثم إن ههنا شيئا آخر وهو أنهم قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا يعني نترك القول النازل من الله ونتبع الفعل
والقول أدل من الفعل لأن الفعل يحتمل أن يكون جائزا ويحتمل أن يكون حراما وهم تعاطوه • ويحتمل أن يكون واجبا
في اعتقادهم والقول بين الدلالة • فلو سمعنا قول قائل افعل ورأينا فعله يدل على خلاف قوله لكان الواجب الأخذ بالقول
فكيف والقول من الله والفعل من الجهال **ثم قال تعالى** أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير • استفهاما

على سبيل التعجب في الانكار يعني الشيطان يدعوهم الى العذاب والله يدعوهم الى الثواب وهم مع هذا
يتبعون الشيطان ثم قال تعالى ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى لما بين
حال المشرك والمجادل في الله بين حال المسلم المستسلم لامر الله وقوله ومن يسلم وجهه الى الله اشارة الى الايمان
وهو محسن اشارة الى العمل الصالح وكون الاية في قوله تعالى من امن وعمل صالحا وقوله فقد استمسك بالعروة
الوثقى اي تمسك بحبل لا انقطاع له وترتقي بسببه الى اعلى المقامات وفي الاية مسائل المسئلة الاولى
قال ههنا ومن يسلم وجهه الى الله وقال في البقرة ومن يسلم وجهه لله فعدى ههنا بالى وهناك باللام وقال
الزمخشري يعني قوله يسلم وجهه الى الله يسلم نفسه الى كما يسلم واحد متاعا الى غيره ولم يرد على هذا ويمكن ان
يزاد عليه ويقال من اسلم لله اعلى درجة ممن يسلم الى الله لان الى للغاية واللام للاختصاص يقول القائل
اسلمت وجهي اليك اي توجهت نحوك وينبئ هذا عن عدم الوصول لان التوجه الى الشيء قبل الوصول وقوله اسلمت
وجهي لك يفيد الاختصاص ولا ينبئ عن الغاية التي تدل على المسافة وقطعها للوصول اذا علم هذا فنقول
في البقرة قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فقال الله ردا عليهم تلك امانيهم قل هاتوا
برهانكم ثم بين فساد قولهم بقوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله اي انتم مع انكم تتركون الله للدنيا وتولون عنه بالباطل
وتشترون باياته ثمنا قليلا تدخلون الجنة ومن يكليته لله لا يدخلها هذا كلام باطل فاورد عليهم من اسلم لله ولا
شك ان النقص بالصورة التي هي الذم اولى فاورد عليهم المخلص الذي ليس له امر الا لله وقال انتم تدخلون الجنة وهذا
لا يدخلها ثم بين كذبهم وقال بلى وبين ان له فوق الجنة درجة وهي العندية بقوله فله اجره عند ربه واما ههنا
اراد وعد المحسن بالثواب والوصول الى الدرجة العالية فوعد من هو دونه ليدخل فيه من هو فوقه بالطريق الاولى
ويعم الوعد وهذا من الفوائد الجليلة ثم قال فقد استمسك بالعروة الوثقى اوثق العرى جانب الله لان كل ما عداه
هالك منقطع وهو باق لا انقطاع له ثم قال والى الله عاقبة الامور يعني استمسك بعروة توصله الى الله وكل شيء
عاقبته اليه فاذا حصل في الحال ما اليه عاقبته يكون في غاية الحسن وذلك لان من يعلم ان عاقبة الامور الى واحد ثم
يقدم اليه الهدايا قبل الوصول اليه يجد فائدته عند القدوم عليه والى هذا وقعت الاشارة بقوله وما تقدموا لانفسكم
من خير تجدوه ثم قال ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم لما بين حال المسلم رجع الى بيان حال الكافر وقال
من كفر فلا يحزنك اي لا يحزنك اذا كفر فان من يكذب وهو قاطع بان صدقه يتبين عن قريب لا يحزن بل قد يؤنب المكذب
على الزيادة في التكذيب لما لم يكن من الهداة ويكون المكذب من الحداة ليخجله غاية التخجيل واما اذا كان لا يرجو ظهور صدقه
يتألم من التكذيب فقال لا يحزنك كفرهم فان المرجع الى فانبئهم بما عملوا فيخجلون وقوله ان الله عليم بذات الصدور اي لا يخفى عليه
سرهم وعلانيتهم فينبئهم بما اضمرته صدورهم وذات الصدور هي الملل ثم ان الله تعالى فصل ما ذكرنا وقال نمتعهم قليلا
اي نبقيهم مدة قليلة ثم نبين لهم وبال تكذيبهم وكفرهم وقوله ثم نضطرهم اي نسلط عليهم اغلظ عذاب حتى يدخلوا
بانفسهم عذابا غليظا فيضطرون الى عذاب فرارا من الملائكة الغلاظ الشداد الذين يعذبونهم بمقامع من نار وفيه وجه
اخر لطيف وهو انهم لما كذبوا الرسل ثم يتبين لهم الامر وقع عليهم من الخجالة ما يدخلون النار ولا يختارون الوقوف بين يدي
ربهم بمحضر الانبياء وهو يتحقق بقوله تعالى فلا يحزنك كفرهم الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ثم قال تعالى ولئن سألتهم من
خلق السموات والارض ليقولن الله الاية متعلقة بما قبلها من وجهين احدهما انه تعالى لما استدل بخلق السموات
بغير عمد وبنعمه الظاهرة والباطنة بين انهم معترفون بذلك غير منكرين له وهذا يقتضي ان يكون الحمد كله لله لان خالق
السموات والارض يحتاج اليه كل ما في السموات والارض وكون الحمد كله لله يقتضي ان لا يعبد غيره لكنهم لا يعلمون هذا
والثاني ان الله تعالى لما سلى قلب النبي عليه السلام بقوله فلا يحزنك كفرهم الينا مرجعهم فننبئهم اي لا تحزن على تكذيبهم فان
صدقك وكذبهم يتبين عن قريب عند رجوعهم الينا ثم قال ولئن سألتهم بين ان ذلك اليوم بين قبل يوم القيمة لانهم
معترفون بان خلق السموات والارض من الله وهذا يصدقك في دعوى الوحدانية ويبين كذبهم كما في الاشراك
فقل الحمد لله على ظهور صدقك وكذب مكذبيك بل اكثرهم لا يعلمون اي ليس لهم ما يمنعهم من تكذيبك مع اعترافهم بما يوجب
تصديقك وعلى هذا يكون يعلمون استعمال الفعل مع القطع عن المفعول بالكلية كما يقول القائل فلان يعطي ويمنع ولا يكون
في ضميره ما يعطى بل يريد ان له عطاء ومنعا وكذلك ههنا قال لا يعلمون اي ليس لهم علم وعلى الاول يكون لا يعلمون له مفعول
مفهوم وهو انهم لا يعلمون ان الحمد لله والثاني ابلغ لان قول القائل فلان لا علم له بكذا دون قوله فلان لا علم له وكذا قوله
فلان لا ينفع زيدا ولا يضره دون قوله فلان لا يضر ولا ينفع ثم قال لله ما في السموات وما في الارض ذكر ما يلزم منه وهو ان يكون
له ما فيهما والامر كذلك عقلا وشرعا اما عقلا فلان ما في السموات مخلوقة مخلوق واضافة خلقه الى من منه خلق السموات

لازم عقلا

لازم عقلا لانها ممكنة والممكن لا يقع ولا يوجد الا بواجب من غير واسطة كما هو مذهب اهل السنة او بواسطة كما يقوله غيرهم وكيفما
فرض فكله من الله لان سبب السبب سبب واما شرعا فلان من ملك ارضا وحصل فيها شيء يكون ذلك لمالك الارض فكذلك كل
ما في السموات والارض حاصل فيهما ومنهما فهو لمالك السموات والارض واذا كان الامر كذلك تحقق ان الحمد كله لله ثم قوله
ان الله هو الغني الحميد وفيه معنيان لطيفان احدهما ان الكل لله وهو غير محتاج اليه غير منتفع به وفيها منافع فهي لكم خلقها
فهو غني لعدم حاجته حميد مشكور لدفعه حوائجكم بها وثانيهما انه بعد ذكر الدلايل على ان الحمد كله لله ولا تصلح العبادة
الا لله افترق المكلفون فريقين مؤمن وكافر والكافر لم يحمد الله والمؤمن حمده فقال انه غني عن حمد الحامدين فلا يلحقه نقص
بسبب كفر الكافرين وحميد في نفسه فتبين به اصابة المؤمنين وبكل حمد الحامدون الثالث هو ان السموات وما فيها
والارض وما فيها اذا كانت لله ومخلوقاته فالكل محتاجون فلا غني الا الله فهو الغني المطلق وكل محتاج فهو حامد لاحتياجه
الى من يدفع حاجته فلا يكون الحميد المطلق الا الغني فهو الحميد بمعنى المحمود والله اذا قيل له الحميد لا يكون معناه
الا الوصف في وصف نفسه او عباده باوصاف حميدة والعبد اذا قيل له حامد يحتمل ذلك المعنى ويحتمل كونه عابدا
شاكرا لله ثم قال تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام لما قال تعالى ولله ما في السموات وما في الارض وكان
ذلك يوهم تناهي ملكه لانحصار ما في السموات وما في الارض فيهما وحكم العقل الصريح بتناهيهما بين ان في قدرته
وعلمه عجائب لا نهاية لها وقال ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام يكتب بها والابحر مداد لا تفنى عجائب صنع الله وعلى
هذا فالكلمة مفسرة بالعجيبة ووجهها هو ان العجائب بقوله كن وكن كلمة واطلاق اسم السبب على المسبب جائز يقول
الشجاع لمن يبارزه انا موتك ويقال للدواء في حق المريض هذا شفاؤك ودليل صحة ذلك هو ان الله سمى المسيح كلمة
لانه كان امرا عجيبا وصنعا غريبا لوجوده من غير اب فان قال قايل الاية واردة في اليهود حيث قالوا ان الله ذكر كل شيء
في التوراة ولم يبق شيئا لم يذكره فقال الذي في التوراة بالنسبة الى كلام الله ليس قطرة من بحار وانزل هذه الاية
وقيل نزلت في واحد قال للنبي عليه السلام انك تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا وتقول ومن يؤت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا فنزلت الاية دالة على انه غير كثير بالنسبة الى العباد وبالنسبة الى الله وعلومه قليل وقيل ايضا
انها نزلت ردا على الكفار حيث قالوا بان ما يورده محمد سينفد فقال انه كلام الله وهو لا ينفد وما ذكرنا من اسباب النزول
بناء على ما ذكرتم من التفسير لانها تدل على ان المراد الكلام فنقول ما ذكرتم من اختلاف الاقوال فيه يدل على جواز ما ذكرنا
لا ينافي هذا لان كلام الله عجيب معجز لا يقدر احد على الاتيان بمثله واذا قلنا بان عجائب الله لا نهاية لها دخل فيها كلامه
لا يقال بانك جعلت الكلام مخلوقا لانا نقول المخلوق هو الحرف والتركيب وهو عجيب واما الكلمات فهي من صفات
الله واعلم ان الاية وان كانت نازلة على ترتيب غير الذي هو مكتوب ولكن الترتيب المكتوب عليه القران بامر الله فانه
بامر الرسول كتب كذلك وامر الرسول من امر الله وذلك محقق متفق من بين الترتيب الذي هو فيه ثم ان الاية فيها
لطايف الاولى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وحد الشجرة وجمع الاقلام والمعنى ولو ان ما في الارض
من شجرة قلم اشارة الى التكثير يعني لو ان كل شجرة اقلاما الثانية قوله والبحر تعريف البحر باللام لاستغراق الجنس
وكل بحر مداد ثم قوله يمده من بعده سبعة ابحر اشارة الى بحار غير موجودة يعني لو مدت البحار الموجودة بسبعة
ابحر اخر وقوله سبعة ليس لانحصارها في سبعة وانما الاشارة الى المدد والكثرة ولو بالف بحر والسبعة
خصصت من بين الاعداد لانها عدد كثير يحصر المعدودات في العادة والذي يدل عليه وجوه الاول هو ان
ما هو معلوم عند كل احد لحاجته اليه هو الزمان والمكان لان المكان فيه الاجسام والزمان فيه الافعال
لكن المكان منحصر في سبعة اقاليم والزمان في سبعة ايام ولان الكواكب السيارة سبعة وكان المنجمون
ينسبون اليها امورا فصارت السبعة كالعدد الحاصر الكثرات الواقعة في العادة فاستعملت في كل كثير الثاني
هو ان الاحاد الى العشرة وهي العقد الاول وما بعدها يبتدا من الاحاد مرة اخرى فقال احدى عشر واثنا عشر
ثم المئات من العشرات والالوف من المئات اذا علم هذا فنقول اقل ما يلتئم منه اكثر المعدودات هو الثلاثة
لانه محتاج الى طرفين هو مبدا ومنتهى ووسط ولهذا يقال اقل ما يكون الاسم والفعل منه هو ثلاثة احرف فاذا
كانت الثلاثة هو القسم الاول من العشرة التي هو العدد الاصلي يبقى السبعة القسم الاكثر فاذا اريد بيان الكثرة
ذكرت السبعة ولهذا فان المعدودات في العبادات من التسبيحات في الانتقالات في الصلاة ثلاثة والمرار في
الوضوء ثلاثة تيسيرا للامر على المكلف اكتفي بالقسم الاول اذا ثبت هذا فنقول قوله عليه الصلاة والسلام المؤمن
ياكل في معى والكافر ياكل في سبعة امعاء اشارة الى قلة الاكل وكثرته من غير ارادة السبعة بخصوصها ويحتمل ان يقال
ان الجهنم سبعة ابواب بهذا التفسير ثم على هذا نقول للجنة ثمانية ابواب اشارة الى زيادتها فان فيها الحسنى وزيادة

خير كثير خ

والبحر مداده تعريف البحر باللام لاستغراق الجنس

فلها ابواب كثيرة وزاين على كثرة غيرها والذي يدل على ما ذكرنا في السبعة ان العرب عند الثامن يزيدون واوا تقول الفرا انها واو
الثمانية وليس ذلك الا للاستيناف لان العدد بالسبعة يتم في العرف ثم بالثامن استينافا جديد • اللطيفة الثالثة لم يقل في
الاقلام المداد لوجهين • احدهما ان قوله لو ان ما في الارض من شجرة اقلام يتبا ان المراد منه هو ان يكون بعدد كل شجرة موجودة اقلام
تكون الاقلام اكثر من الاشجار الموجودة • وقوله في البحر والبحر يمده سبعة ابحر اشارة الى ان البحر لو كان اكثر من الموجود فاستوى
القلم والبحر في المعنى • والثاني هو ان النقصان بالكتابة يلحق المداد اكثر فانه هو النافد • والقلم الواحد يمكن ان يكتب به
كتب كثيرة • فذكر المدد في البحر الذي هو كالمداد ثم قال تعالى ان الله عزيز حكيم • لما ذكر ان كلماته كثيرة اشار الى ما يحقق
ذلك فقال انه عزيز حكيم اي كامل القدرة فيكون له مقدورات لا نهاية لها والا لانتهت القدرة الى حيث لا تصلح للايجاد
وهو حكيم كامل العلم ففي علمه ما لا نهاية له فتحقق ان البحر لو كان مدادا لما نفد ما في علمه وقدرته ثم قال تعالى ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة • لما بين كمال قدرته وعلمه ذكر ما يبطل استبعادهم للحشر قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة ومن لهذا كانه يقول للموتى كونوا فيكونوا ثم قال ان الله سميع بصير • سميع لما يقولون بصير بما يعملون • فاذا
كان قادرا على البعث ومحيطا بالاقوال والافعال يوجب لنا الاجتناب التام والاحتراز الكامل ثم قال تعالى الم تر ان الله يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل • يحتمل ان يقال بان وجه الترتيب هو ان الله لما قال الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات
وما في الارض على وجه العموم ذكر منها بعض ما فيها على وجه الخصوص بقوله يولج الليل في النهار وقوله وسخر الشمس والقمر
اشارة الى ما في السموات • وقوله بعد هذا الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله اشارة الى ما في الارض • ويحتمل ان يقال
بان وجهه هو ان الله تعالى لما ذكر البعث وكان من الناس من يقول وما يهلكنا الا الدهر والدهر هو الليالي والايام قال الله
تعالى هذه الليالي والايام التي تنسبون اليها الموت والحياة هي بقدرة الله فقال الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في
الليل • ثم ان قايلا لو قال ان ذلك باختلاف مسير الشمس تارة تكون القوس التي هي فوق الارض اكثر من التي تحت الارض فيكون
الليل اقصر والنهار اطول • وتارة يكون بالعكس فيكون بالعكس • وتارة يتساويان فيتساويان فانها باسرها عايدة الى الله فالاجال
ان كانت بالمدد والمدد بسير الكواكب ليس الا بالله وقدرته • وفي الاية مسايل المسلة الاولى ايلاج الليل في
النهار يحتمل وجهين • احدهما المراد ايلاج الليل في زمان النهار اي يجعل في الزمان الذي كان فيه النهار الليل وذلك
لان الليل اذا كان مثلا اثني عشر ساعة ثم يطول فيصير الليل موجودا في زمان كان فيه النهار • وثانيهما ان يقال المراد
ايلاج زمان الليل في النهار وذلك لان الليل اذا كان كما ذكرنا اثني عشر ساعة • فاذا قصر صار زمان الليل موجودا في
النهار ولا يمكن غير هذا لان ايلاج الليل في النهار بحال الوجود كما ذكرنا من الاضمار لا بد منه لكن الاول اولى لان الليل
والنهار افعال والافعال في الازمنة لان الزمان ظرف • فقولنا الليل في زمان النهار اقرب من قولنا زمان الليل في
النهار لان الثاني يجعل الظرف مظروفا اذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى يولج الليل في النهار اي يوجده في وقت كان
فيه النهار • والله تعالى قدم ايجاد الليل على ايجاد النهار في كثير من المواضع كما في قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار
ايتين • وقوله وجعل الظلمات والنور • وقوله اختلاف الليل والنهار ومن جملة قوله تعالى خلق الموت والحياة
ليبلوكم • وهذا اشارة الى مسلة حكمية وهي ان الظلمة قد ظن انها عدم النور • والليل عدم النهار • والحياة
عدم الموت وليس كذلك • اذ في الازل لم يكن نهار ولا نور ولا حياة ولا يمكن ان يقال كان فيه موت او ظلمة او ليل
فهذه الامور كالعمى والصمم ليس مجرد عدم البصر وعدم السمع اذ الحجر والشجر لا بصر لهما ولا سمع ولا يقال لشي منهما انه اصم
او اعمى اذا علم هذا فنقول ما تحقق فيه العمى والصمم لا بد ان يكون فيه اقتضا لخلافهما والا لما كان يقال له اعمى
واصم وما يكون فيه اقتضا شي ويترتب عليه مقتضاه لا تطلب النفس له سببا لان من يرى المتعيش في السوق لا
يقال لم دخل السوق وما يثبت على خلاف المقتضي تطلب النفس له سببا كمن يرى ملكا في السوق • يقال لم دخل السوق
فاذا سبب العمى والصمم يطلبه كل احد • فيقال لم صار فلان اعمى ولا يقال لم صار فلان بصيرا • واذا كان كذلك
قدم الله ما تطلب النفس سببه وهو الليل الذي على وزن العمى والظلمة والموت لكون كل احد طالبا سببه • ثم
ذكر بعده الامر الاخر المسلة الثانية قال يولج بصيغة المستقبل وقال في الشمس والقمر سخر بصيغة
الماضي لان ايلاج الليل في النهار امر يتجدد كل فصل بل كل يوم • وتسخير الشمس والقمر امر مستمر كما قال تعالى حتى عاد كالعرجون
القديم المسلة الثالثة قدم الشمس على القمر مع تقديم الليل الذي فيه سلطان القمر على النهار الذي فيه
سلطان الشمس لما بينا ان تقديم الليل كان لان النفس تطلب سببه اكثر مما تطلب سبب النهار • وهاهنا كذلك
لان الشمس لما كانت اكبر واعظم كان اعجب • والنفس تطلب سبب امر العجيب اكثر مما تطلب سبب امر الذي لا يكون عجيبا
المسلة الرابعة ما تعلق قوله تعالى وان الله بما تعملون خبير بما تقدم نقول لما كان الليل والنهار محل الافعال

بين ان ما يقع

شبا

بين ان ما يقع في هذين الزمانين الذين هما يتصرف الله لا يخفى على الله المسلة الخامسة قوله تعالى الم تر يحتمل وجهين • احدهما
ان يكون الخطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثرون وكانه ترك الخطاب مع غيره لان من هو غيره من الكفار لا
فايدة للخطاب معهم لاصرارهم ومن هو غيره من المؤمنين فهم مؤتمرون بامر النبي صلى الله عليه وسلم ناظرون اليه • والوجه
الثاني ان يقول المراد منه الوعظ لان الواعظ لا ان الواعظ يخاطب ولا يعني احدا فيقول لجمع عظيم يا مسكين الى الله مصيرك
فمن نصيرك • ولما ذا تقصيرك فقوله تعالى الم تر يكون خطابا من ذلك القبيل اي ايها العاقل الم تر هذا الامر الواضح ثم
قال تعالى ذلك بان الله هو الحق ولما ذكر تعالى اوصاف الكمال لقوله ان الله هو الغني الحميد وقوله ان الله عزيز حكيم وقوله تعالى
ان الله سميع بصير فاشار الى الارادة والكلام بقوله ما نفدت كلمات الله وبقوله يولج الليل في النهار وعلى الجملة بقوله هو الغني
اشار الى كل صفة سلبية فانه اذا كان غنيا لا يكون عرضا محتاجا الى الجوهر في القوام ولا جسما محتاجا الى حيز في الدوام ولا
شيا من الممكنات لحاجة الممكنات الى الموجد • وذكر بعده جميع الاوصاف الثبوتية صريحا وتضمنا فان الحياة في ضمن العلم والقدرة
قال ذلك بان الله هو الحق اي ذلك الاتصاف بانه هو الحق والحق يقول هو الثابت والثبوت والله هو الثابت المطلق الذي
لا زوال له وهو الثبوت • فان المذهب الصحيح ان وجوده غير حقيقته وكل ما عداه فله زوال النظر اليه فهو الحق وما عداه الباطل

يكون

لان الباطل هو الزايل • يقال بطل ظله اذا زال • واذا كان له الثبوت من كل وجه تاما لا نقص فيه ثم اعلم ان الحكما قالوا
الله تعالى تمام وفوق التمام وجعلوا الاشيا على اربعة اقسام • ناقص • ومكتف • وتام • وفوق التمام • فالناقص ما ليس له
ما ينبغي ان يكون له كالصبي والمريض والاعمى • والمكتفي هو الذي اعطي ما يندفع به حاجته في وقته كالانسان والحيوان الذي
له من الالات ما يندفع به حاجته في وقتها لكنها في التحلل والزوال • والتام ما حصل له كل ما جاز له وانه لم يحتج اليه كالملائكة
المقربين لهم درجات لا تزداد ولا ينقص الله لهم منها شيا كما قال جبرئيل لو دنوت انملة لاحترقت وقوله تعالى وما منا الا له
مقام معلوم • وفوق التمام هو الذي حصل له كل ما يجوز له من صفات الكمال • ونعوت الجلال فهو تام وحصل لغيره او احتاج
اليه فهو فوق التمام • اذا علم هذا فنقول قوله هو الحق اشارة الى التمام • وقوله تعالى وان الله هو العلي الكبير اي فوق التمام
وقوله وهو العلي اي في صفاته • وقوله الكبير اي في ذاته وذلك ينافي ان يكون جسما في مكان لانه يكون حينئذ مقدرا بمقدار فيمكن
فرض ما هو اكبر منه فيكون صغيرا بالنسبة الى المفروض لكنه كبير مطلقا اكبر من كل ما يتصور ثم قال تعالى الم تر ان الفلك
تجري في البحر بنعمة الله • لما ذكر اية سماوية بقوله الم تر ان الله يولج الليل في النهار وسخر الشمس والقمر واشار الى السبب والمسبب
ذكر اية ارضية واشار الى السبب والمسبب فقوله الفلك تجري اشارة الى السبب وقوله بنعمة الله اي الريح التي هي بامر الله ليريكم
من اياته اي يريكم باجرايها بنعمه من اياته اي بعض اياته ثم قال ان في ذلك لايات لكل صبار في الشدة • شكور في الرخا وذلك
لان المؤمن متذكر عند الشدة والبلاء • وعند النعم والالاء • فيصبر اذا اصابته نقمة • ويشكر اذا اتته نعمة • وورد في
كلام النبي عليه الصلاة والسلام الايمان نصفان • نصف صبر • ونصف شكر • اشارة الى ان التكاليف افعال وتروك والتروك
صبر على المالوف كما قال عليه السلام • الصوم صبر • والافعال شكر على المعروف ثم قال تعالى واذا غشيهم موج كالظلل
لما ذكر الله ان في ذلك لايات ذكر ان الكل معترفون غير ان البصير يدركه اولا • ومن في بصيرته ضعف لا يدركه اولا • فاذا
غشيه موج ووقع في شدة اعترف بان الكل من الله ودعاه مخلصا اي تذلل من عداه ونسي جميع ما سواه فاذا نجاه
من تلك الشدة قد يبقى على تلك الحالة وهو المراد بقوله فمنهم مقتصد وقد يعود الى الشرك وهو المراد بقوله وما
يجحد باياتنا الا كل ختار كفور • وفي الاية مسايل المسلة الاولى موج كالظلل • وحد الموج وجمع الظلل • وقيل
في معناه كالجبال • وقيل كالسحاب اشارة الى عظمة الموج • ويمكن ان يقال الموج الواحد العظيم ويرى فيه طلوع ونزول
واذا نظر في الجرية الواحدة من النهر العظيم تبين له ذلك فيكون ذلك كالجبال المتلاصقة المسلة الثانية
قال في العنكبوت فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله ثم قال فاذا نجاهم الى البر اذا هم يشركون وقال هاهنا فلما نجاهم
الى البر فمنهم مقتصد • فنقول لما ذكر هاهنا امرا عظيما وهو الموج الذي كالجبال بقي اثر ذلك في قلوبهم • فخرج منهم
مقتصد اي في الكفر وهو الذي انزجر بعض الانزجار او مقتصد في الاخلاص فبقي معه شي فيه ولم يبق على ما كان عليه
من الاخلاص وهناك لم يذكر مع ركوب البحر معاينة مثل ذلك الامر فذكر اثر اكبر حيث لم يبق عنده اثر المسلة الثالثة
وما يجحد باياتنا في مقابلة قوله تعالى ان في ذلك لايات يعترف بها الصبار الشكور • ويجحدها الختار الكفور والصبار
في موازنة الختار لفظا ومعنى لان الختار هو الغدار الكثير الغدر او الشديد الغدر • والغدر لا يكون الا من قلة الصبر
لان الصبور لم يعهد مع احد ولا يعهد منه الاضرار فانه يصبر ويفوض الامر الى الله • واما الغدار فيعهد ولا يصبر
على العهد فينقضه • واما ان الكفور في مقابلة الشكور معنى فظاهر ثم قال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا
يوما لا يجزي والد عن ولده • لما ذكر الدلايل من اول السورة الى اخرها وعظ بالتقوى لانه تعالى لما كان واحدا اوجب

صبار في الشدة شكور في الرخي لان المؤمن متذكر عند الشدة والبلا

النحوي البالغ فان من يعلم ان الامر بيد اثنين لا يخاف احدهما مثل ما يخاف لو كان الامر بيد احدهما لا غير ثم اكد الخوف
بذكر اليوم الذي يحكم الله فيه بين العباد وذلك ان الملك اذا كان واحدا او يعهد منه انه لا يعلم شيئا ولا يستحسن عادته
لا يخاف منه مثل ما يخاف وعلم انه له يوم استعراض واستكشاف ثم اكد بقوله لا يجزي والد عن ولده وذلك لان المجرم
اذا علم ان له عند الملك من يتكلم في حقه وما يخرج عليه برئته من كسبه لا يخاف مثل ما يخاف اذا علم انه ليس له من يقضي عنه
ما يخرج عليه ثم ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة وهو الوالد والولد ليستدل بالادنى على الاعلى وذكر الوالد
والولد جميعا فيه لطيفة وهي ان من الامور ما يبادر الاب الى التحمل عن الولد كدفع المال وتحمل الالام والولد لا يبادر
الى تحمله عن الوالد مثل ما يبادر الوالد الى تحمله عن الولد ومنها ما يبادر الولد الى تحمله عن الوالد والوالد لا يبادر
الى تحمله عن الولد مثل ما يبادر الولد كالاهانة فان من يريد احضار والد احد عند وال وقاض يهون على الابن ان
يدفع الاهانة عن والده ويحضر هو بدله فاذا انتهى الامر الى الايلام يهون على الاب ان يدفع الالم عن ابنه ويتحمله
عن ابنه ويحمله هو بنفسه فقوله لا يجزي والد عن ولده في دفع الالام ولا مولود هو جاز عن والده شيئا في دفع
الاهانة وفي قوله لا يجزي وقوله ولا مولود هو جاز لطيفة اخرى وهي انا ذكرنا ان الفعل هناك وان كان ممن
لا ينبغي ولا يكون من شانه لان الملك اذا كان يخيط شيئا يقال انه يخيط ولا يقال انه خياط وكذلك من يحيك
شيئا لا يكون ذلك صنعته يقال هو يحيك ولا يقال هو حايك اذا عرفت هذا فنقول الابن من شانه ان يكون جازيا
عن والده لما له عليه من الحقوق والوالد يجزي لما فيه من الشفقة وليس بواجب عليه ذلك فقال في الوالد لا يجزي وقال
في الولد ولا هو جاز ثم قال ان وعد الله حق فهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون تحقيقا لليوم يعني ينسوا
يوما هذا شانه فهو كائن لوعد الله به ووعده حق والثاني ان يكون تحقيقا لعدم الجزا يعني لا يجزي والد عن ولده
لان الله وعد بان لا تزر وازرة وزر اخرى ووعد الله حق فلا يجزي والاول احسن واظهر ثم قال فلا تغرنكم
الحياة الدنيا اذا كان الامر كذلك فلا تغتروا بالدنيا فانها زايلة لوقوع اليوم المذكور بالوعد الحق ثم قال ولا يغرنكم
بالله الغرور يعني الدنيا لا ينبغي ان تغركم بنفسها ولا ينبغي ان تغتروا وان حملكم على محبتها غار من نفس امارة او شيطان فكان
الناس على اقسام منهم من تدعوه الدنيا الى نفسها فيميل اليها ومنهم من يوسوس في صدره الشيطان ويزين في عينه
الدنيا ويؤمله ويقول انك تحصل بها الاخرة وتلتذ بها ثم تتوب فتجتمع لك الدنيا والاخرة فنهاهم عن الامرين وقال كونوا
قسما ثالثا وهم الذين لا يلتفتون الى الدنيا ولا الى من يحسن الدنيا في الاعين ثم قال تعالى ان الله عنده علم الساعة نقل
بعض المفسرين ان الله تعالى نفى علم امور خمسة بهذه الاية عن غيره وهو كذلك لكن المقصود ليس ذلك لان الله يعلم الجوهر
الفرد الذي كان في قلب الرجل في زمان طوفان ونقله الريح من الشرق الى الغرب لمرة ويعلم انه اين هو ولا يعلمه غيره ولانه
يعلم انه يوجد بعد هذه فيسير ذرة في برية لا يسكنها احد ولا يعلمه غيره ولانه يعلم انه يوجد بعد هذه فلا وجه
للاختصاص بهذه الاشياء بالذكر وانما الحق فيه ان يقول لما قال اخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده وذكر انه كائن بقوله ان
وعد الله حق كان لقائل ان يقول فمتى يكون هذا اليوم فاجيب بان هذا العلم مما لا يحصل لغير الله ولكن هو كائن ثم
ذكر الدليلين الذين ذكرناهما مرارا على البعث احدهما احيا الارض بعد موتها كما قال تعالى وان كانوا من قبل ان ينزل
عليهم لمبلسين فانظر الى اثر رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وقال تعالى ويحيي الارض بعد موتها
وكذلك تخرجون فقال ههنا ايها السايل انك لا تعلم وقتها ولكنها كائنة والله قادر عليها كما هو قادر على احيا الارض
حين قال هو الذي ينزل الغيث ويحيي الارض وثانيهما الخلق ابتدا كما قال وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وقال تعالى
قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الاخرة الى غير ذلك وقال ههنا ويعلم ما في الارحام اشارة
الى ان الساعة وان كنت لا تعلمها ولكنها كائنة والله قادر عليها كما هو قادر على الخلق في الارحام كذلك يقدر على الخلق من القبر
ثم قال لذلك الطالب علمه يا ايها السايل انك تسال عن الساعة ايان مرساها ولك اشيا اهم منها لا تعلمها فانك لا تعلم
معاشك ومعادك فلا تعلم ماذا تكسب غدا مع انه فعلك وزمانك ولا تعلم اين تموت مع انه شغلك ومكانك فكيف
فكيف تعلم قيام الساعة متى يكون فالله ما علمك كسب غدك مع ان لك فيه فوايد تبنى عليه الامور من يومك ولا علمك
اين تموت مع ان لك فيه اغراضا فتهيئ امورك بسبب ذلك العلم وانما لم يعلمك لكي تكون في كل وقت بسبب الرزق راجعا
الى الله متوكلا على الله ولا علمك الارض التي تموت فيها كيلا تامن الموت وانت في غيرها فاذا لم يعلمك ما يحتاج اليه
كيف يعلمك ما لا حاجة لك اليه وهو الوقت واما الحاجة الى العلم بانها تكون فقد علمك الله على لسان انبيائه ثم قال تعالى
ان الله عليم خبير لما خصص اولا علمه بالاشيا المذكورة بقوله ان الله عنده علم الساعة ذكر ان علمه غير مختص به بل هو عليم
مطلقا بكل شي وليس علمه علما بظاهر الاشيا فحسب بل هو خبير علمه واصل الى بواطن الاشيا والله اعلم بالصواب

سورة الم السجدة مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من
رب العالمين لما ذكر في السورة المتقدمة دلايل التوحيد وذكر الاصل الاخر وهو الحشر وختم السورة بها بدا ببيان الرسالة
في هذه السورة فقال الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وقد علم ما في قوله الم وما في قوله لا ريب فيه من سورة البقرة غير انه ههنا
قال من رب العالمين وقال من قبل هدى ورحمة للمحسنين وقال في البقرة هدى للمتقين وذلك لان من يرى كتابا عند غيره
فاول ما تصير النفس طالبة تطلب ما في الكتاب فتقول ما هذا الكتاب فاذا قال هذا كتاب فقه وتفسير فتقول بعد ذلك
تصنيف من هو ولا تقول اولا هذا الكتاب تصنيف من ثم تقول فيما ذا هو اذا علم هذا فقال اولا هذا الكتاب هدى
ورحمة ثم قال تعالى هو كتاب الله تعالى وذكر بلفظ رب العالمين لان كتاب من يكون رب العالمين يكون فيه عجايب
العالم فتدعو النفس الى مطالعته ثم قال تعالى ام يقولون افتراه يعني يعترفون به ام يقولون هو مفترى
ثم اجاب وبين انه الحق انه حق من ربه ثم بين فايدة التنزيل وهي الانذار وفيه مسايل المسئلة الاولى
كيف قال لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك مع ان النذر سبقوه والجواب من وجهين احدهما منقول
والاخر معقول اما المنقول فهو ان قريشا كانت امة امية لم ياتهم نذير قبل محمد عليه الصلاة والسلام وهو بعيد
لانهم كانوا من ولد ابرهيم عليه السلام وجميع انبيا بني اسرايل من ولد اعمامهم وكيف كان الله يترك قوما من وقت
ادم الى زمان محمد بلا دين ولا شرع وان كنت تقول بانهم ما جاهم رسول بخصوصهم يعني ذلك القرن فلم يكن ذلك مختصا
بالعرب بل اهل الكتاب لم يكن لذلك القرن قد اتاهم رسول وانما الرسول اباهم وكذلك العرب اتى الرسول اباهم كيف
والذي عليه الاكثرون ان ابا محمد عليه السلام كانوا كفارا ولان النبي عليه الصلاة والسلام اوعدهم ولو عذب اباهم بالعذاب
وقال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا واما المعقول فهو ان الله تعالى اجرى عادته على ان اهل عصر اذا ضلوا
بالكلية ولم يبق فيهم من يهديهم يلطف بعباده ويرسل رسولا ثم انه ان اراد طهرهم بازالة الشرك والكفر من قلوبهم وان
اراد طهر وجه الارض باهلاكهم ثم اهل العصر ضلوا بعد الرسل حتى لم يبق على وجه الارض عالم هاد ينتفع بهدايته
قومه وبقوا على ذلك سنين متطاولة فلم ياتهم رسول قبل محمد عليه السلام فقال لتنذر قوما ما اتاهم اي بعد
الضلال الذي كان بعد الهداية لم ياتهم نذير المسئلة الثانية لو قال قايل التخصيص بالذكر يدل على نفي ما عداه
فقوله لتنذر قوما ما اتاهم فوجب ان يكون انذاره مختصا بمن لم ياته نذير لكن اهل الكتاب قد اتاهم نذير فلا يكون
الكتاب منزلا الى الرسول لينذر اهل الكتاب فلا يكون رسولا اليهم نقول هذا فاسد من وجوه احدها ان التخصيص
لا يوجب نفي ما عداه والثاني انه وان قال به قايل لكنه وافق غيره في ان التخصيص ان كان له سبب غير نفي ما عداه
لا يوجب نفي ما عداه وههنا وجد ذلك لان انذارهم كان اولى الا ترى انه تعالى قال وانذر عشيرتك الاقربين ولم يفهم
منه انه لا ينذر غيرهم او لم يومر بانذار غيرهم وانذار المشركين كان اولى لان انذارهم كان بالتوحيد والحشر واهل الكتاب
لم ينذروا الا بسبب انكار الرسالة فكانوا اولى بالذكر فوقع التخصيص لاجل ذلك الثالث هو ان على ما ذكرنا لا يرد ما ذكره
اصلا لان اهل الكتاب كانوا قد ضلوا ولم ياتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم بعد ضلالهم فوجب ان يكون مرسلا الى الكل
على درجة وهذا تبين حسن ما اخترناه وقوله لعلهم يهتدون يعني تنذرهم انت راجيا اهتداهم ثم قال الله تعالى
الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام لما ذكر الرسالة بين ما على الرسول من الدعاء الى التوحيد واقامة
الدليل فقال خلق السموات والارض الله مبتدا وخبره الذي خلق يعني الله هو الذي خلق السموات ولم يخلقها الا واحد
فلا اله الا واحد وقد ذكرنا ان قوله تعالى في ستة ايام اشارة الى ستة احوال في نظر الناظرين وذلك لان السموات والارض
وما بينهما ثلاثة اشيا ولكل واحد ذات وصفة فنظرنا الى خلقه ذات السموات حالة ونظرنا الى خلقه صفاتها اخرى ونظرنا
الى ذات الارض والى صفاتها كذلك ونظرنا الى ذوات ما بينهما والى صفاتها فهي ستة اشيا في ستة احوال وانما ذكر
الايام لان الانسان اذا نظر الى الخلق راه فعلا والفعل ظرفه الزمان والايام اشهر الازمنة والا فقبل السموات
لم يكن ليل ولا نهار وهذا مثل ما يقول القايل لغيره ان يوما ولدت فيه كان يوما مباركا وقد يجوز ان يكون ذلك قد ولد
ليلا ولا يخرج عن مراده لان المراد الزمان الذي هو ظرف ولادته ثم قال ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي
ولا شفيع افلا تتذكرون اعلم ان مذهب العلما في هذه الاية وامثالها على وجهين احدهما ترك التعرض الى
بيان المراد وثانيهما التعرض اليه والاول اسلم والى الحكمة اقرب اما انه اسلم فذلك لان من قال انا لا اتعرض الى

بيان هذا أولا اعرف المراد من هذا لا يكون حاله الاحال من لا يتكلم عند عدم وجوب الكلام او لا يعلم شيئا
لم يجب عليه ان يعلمه وذلك لان الاصول ثلاثة • التوحيد • والقول بالحشر • والاعتراف بالرسل • لكن الحشر
اجمعنا واتفقنا ان العلم به واجب • والعلم بتفصيله انه متى يكون غير واجب • ولهذا قال تعالى في آخر
السورة المتقدمة ان الله عنده علم الساعة • وكذلك الله يجب معرفة وجوده ووحدانيته واتصافه بصفات
الجلال • ونعوت الكمال • على سبيل الاجمال • وتعاليه عن صفات الامكان وصفات النقصان • ولا يجب
ان تعلم جميع صفاته كما هي • وصفة الاستواء مما لا يجب العلم بها • فمن تركه التعرض اليه لم يترك واجبا
واما من تعرض اليه فقد يخطئ فيعتقد خلاف ما هو عليه • فالاول غاية ما يلزمه انه لا يعلم • والثاني
يكاد يقع في ان يكون جاهلا وعدم العلم والجهل المركب كالسكوت والكذب • ولا شك ان السكوت خير من الكذب
واما انه اقرب الى الحكمة فذلك لان من يطالع كتابا صنفه انسان وكتب له شراح الشارح دون المصنف • فالظاهر
انه لا يأتي على جميع ما اتى عليه المصنف ولهذا كثيرا ما يرى ان الانسان يورد الاشكالات على المصنف المتقدم
ثم يجيء من ينصر كلامه ويقول لم يرد المصنف هذا وانما اراد كذا وكذا • واذا كان حال الكتب الحادثة التي كتب
عن علم قاصر فما ظنك بالكتاب العزيز الذي فيه كل حكمة يجوز ان يدعي جاهل اني علمت كل سر في هذا الكتاب • وكيف
ولو ادعى عالم اني علمت كل سر وكل فائدة يشتمل عليه الكتاب الفلاني يستقبح منه ذلك • فكيف من يدعي انه علم كل
ما في كتاب الله • ثم ليس لقائل ان يقول بان الله بين كل ما انزله لان تأخير البيان الى وقت الحاجة جائز • ولعل في القرآن
ما لا يحتاج اليه احد غير بينه فيبينه له لا لغيره اذا ثبت هذا علم ان في القرآن ما لا يعلم وهذا اقرب الى ذلك الذي
لا يعلم للتشابه البالغ الذي فيه لكن هذا المذهب له شرط وهو ان ينفي بعض ما يعلمه قطعا انه ليس بمراد • وهذا
لان قائلا اذا قال ان هذه الايام ايام قرء فلانة يعلم انه لا يريد ان هذه الايام ايام موت فلانة ولا يريد
ان هذه الايام ايام سفر فلانة وانما المراد منحصر في الطهر او الحيض فكذلك هاهنا ان المراد ليس ما يوجب نقصا
في ذاته لاستحالة ذلك والجلوس والاستقرار المكاني من ذلك الباب فيجب القطع بنفي ذلك والتوقف فيما يجوز
بعده • والمذهب الثاني خطر ومن يذهب اليه فريقان • احدهما من يقول المراد ظاهره وهو القيام او الانتصاب
والاستقرار المكاني وثانيهما من يقول المراد الاستيلاء • والاول جهل محض • والثاني يجوز ان يكون جهلا والاول
مع كونه جهلا هو بدعة وكاد يكون كفرا • والثاني ان كان جهلا فليس بجهل يورث بدعة وهذا كما ان واحدا اذا اعتقد
ان زيدا الذي هو مستور الحال لا يكون بدعة غاية ما يكون يكون اعتقادا غير مطابق • ومما قيل فيه ان المراد
منه استوى على ملكه • والعرش يعبر به عن الملك يقال الملك قعد على سرير المملكة بالبلدة الفلانية وان لم يدخلها
وهذا مثل قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة اشارة الى البخل مع انهم لم يقولوا بان على يد الله غلا على الحقيقة
ولو كان مراد الله ذلك لكان كذبا جل كلام الله عن ذلك • ثم لهذا فضل تقرير وهو ان الملوك على درجات فمن يملك
مدينة صغيرة او بلادا يسيرة ما جرت العادة بان يجلس اول ما يجلس على سرير ومن يكون سلطانا يملك البلاد الشاسعة
والديار الواسعة • ويكون الملوك في خدمته يكون له سرير يجلس عليه وقدامه كرسي يجلس عليه وزيره • والعرش والكرسي
في العادة لا يكون الا عند عظمة المملكة • فلما كان ملك السموات والارض في غاية العظمة عبر بما في العرف ينبئ
عن العظمة • ومما ينبه لهذا قوله تعالى انا خلقنا وانا زينا ونحن اقرب ونحن نزلنا ايطن او يشك مسلم في ان المراد
ظاهره من الشريك وهل يجد له محلا غير ان العظيم في العرف لا يكون واحدا وانما يكون معه غيره فكذلك الملك العظيم
في العرف لا يكون الا ذا سرير يستوي عليه فاستعمل ذلك مريدا للعظمة • ومما يؤيد هذا ان المقهور المغلوب المهزوم
يقال ضاقت به الارض حتى لم يبق له مكان نظن انهم يريدون به انه صار لا مكان له وكيف يتصور الجسم ولا مكان ولا سيما
من يقول بان الاهة في مكان كيف يخرج الانسان عن المكان فكما يقال للمقهور الهارب لم يبق له مكان مع ان المكان واجب
له • يقال للقادر القاهر هو متمكن وله عرش وان كان التنزيه عن المكان واجبا له • وعلى هذا كلمة ثم معناها
خلق السموات والارض • ثم القصة انه استوى على الملك • وهذا كما يقول القائل فلان اكرمني وانعم علي مرارا
ويحكي عنه اشياء ويقول ثم انه ما كان يعرفني ولا كنت فعلت معه ما يجازيني بهذا فيقول ثم للحكاية لا للمحكي • الوجه
الآخر • قيل المراد استولى على العرش واستوى جاء بمعنى استولى نقلا واستعمالا • اما النقل فكثير مذكور في كتب اللغة
منها ديوان الادب مما يعتبر النقل عنه • واما الاستعمال فقول القائل • شعر
قد استوى بشر على العراق • من غير سيف ودم مهراق • وعلى هذا كلمة ثم معناها ما ذكرنا كانه قال
خلق السموات والارض ثم هاهنا ما هو اعظم منه انه استولى على العرش فانه اعظم من الكرسي والكرسي وسع السموات

عنه

الادب

والارض

والارض • الوجه الثالث قيل ان المراد الاستقرار وهذا القول ظاهر ولا يفيد انه في مكان • وذلك لان الانسان
يقول استقر رأي فلان على الخروج ولا يشك احد انه لا يريد ان الرأي في مكان هو الخروج لما ان الرأي لا يجوز فيه ان
يقال انه متمكن او هو مما يدخل في مكان اذا علم هذا فنقول نفهم التمكن عند استعمال كلمة الاستقرار مشروط بجواز التمكن
حتى اذا قال قائل استقر زيد على الملك او على التخت يفهم منه التمكن وكونه في مكان • واذا قال القائل استقر الملك على فلان
لا يفهم ان الملك في فلان فقول القائل الله استقر على العرش لا ينبغي ان يفهم منه كونه في مكان ما لم يعلم انه مما يجوز عليه
ان يكون في مكان ولا يجوز فاذا فهم كونه في مكان من هذه اللفظة مشروط بجواز ان يكون في مكان • فجواز كونه في
مكان ان استفيد من هذه اللفظة يلزم تقدم الشيء على نفسه وهو محال • ثم الذي يدل على انه لا يجوز ان يكون على العرش بمعنى
كون العرش مكانا له وجوه من القرآن • احدها قوله تعالى والله هو الغني وهذا يقتضي ان يكون غنيا على الاطلاق وكل ما
في مكان فهو في بقائه يحتاج الى المكان لان بديهة العقل حاكمة بان الحيز ان لم يكن لا يكون المتحيز باقيا فالمتحيز ينتفي عند
انتفاء الحيز وكل ما ينتفي عند انتفاء غيره فهو محتاج اليه في استمراره فالقول باستقراره يوجب احتياجه في استمراره وهو عين
النقص • الثاني قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه اي كل شيء هالك وكذلك كل مكان فلا يبقى وهو يبقى فاذا لا يكون في ذلك
الوقت في مكان فجاز عليه ان لا يكون في مكان وما جاز له من الصفات وجب له فوجب ان لا يكون في مكان • الثالث قوله تعالى
وهو معكم ووجه التمسك به هو ان على اذا استعمل في المكان يفهم كونه عليه بالذات كقولنا فلان على السطح وكلمة مع اذا
استعملت في متمكنين يفهم منه اقترانهما بالذات كقولنا زيد مع عمرو واذا استعمل هذا • فان كان الله في مكان ونحن متمكنون
فقولنا ان الله معنا وقوله وهو معكم كان ينبغي ان يكون للاقتران وليس كذلك • فان قيل كلمة مع تستعمل لكون ميله عليه
وعلمه معه او نصرته • يقال الملك الفلاني مع الملك الفلاني اي بالاعانة والنصر فنقول كلمة على تستعمل لكون حكمه على الغير
يقول القائل لولا فلان على فلان لاشرف في الهلاك ولاشرف على الهلاك ولذلك يقال لولا فلان على املاك فلان وعلى
ارضه لما حصل له شيء منها ولا كل حاصلها بمعنى الاشراف والنظر فكيف لا تقول في استوى على العرش انه استوى عليه بحكمه
كما تقول هو معنا بعلمه • الرابع قوله تعالى لا تدركه الابصار • ولو كان في مكان لاحاط به المكان وحينئذ فاما ان
يرى واما ان لا يرى لا سبيل الى الثاني بالاتفاق لانا لا نقول بانه في مكان ولا يرى باطل بالاجماع وان كان يرى يرى
في مكان احاط به فتدركه الابصار • واما اذا لم يكن في مكان فسواء يرى او لا يرى فلا يلزم ان تدركه الابصار اما اذا
لم ير فظاهر • واما اذا رئي فلان البصر لا يحيط به فلا يدركه • وانما قلنا ان البصر لا يحيط به لان كل ما احاط به البصر
فله مكان يكون فيه • وقد فرضنا عدم المكان • ولو تدبر الانسان القرآن لوجده مملوا من عدم جواز كونه في مكان كيف
وهذا الذي يتمسك به هذا القائل يدل على انه ليس على العرش بمعنى كونه في المكان وذلك لان كلمة ثم للتراخي فلو كان
عليه بمعنى المكان لكان قد حصل عليه بعد ما لم يكن عليه • فقبله اما ان يكون في مكان او لا يكون فان كان يلزم محالان •
احدهما كون المكان ازليا • ثم ان هذا القائل يدعي مضادة الفلسفي فيكون فلسفيا يقول بقدم شيء من السموات • والثاني
جواز الحركة والانتقال على الله تعالى وهو يفضي الى حدوث الباري ويبطل دلائل حدوث الاجسام وان لم يكن في مكان
وما حصل في مكان بخيل العقل وجوده بلا مكان • ولو جاز لما امكن ان يقال بان الجسم لو كان ازليا فاما ان يكون في الازل
ساكنا او متحركا لانهما فرعا الحصول في مكان فاذا كان كذلك فيلزم القول بحدوث الله او عدم القول بحدوث العالم
لانه ان سلم انه قبل المكان لا يكون فهو يقول بحدوث الباري تعالى وان لم يسلم فيجوز ان يكون الجسم في الازل لم يكن في
مكان ثم حصل في مكان ولا يتم دليله في حدوث العالم فيلزمه ان يقول بحدوثه • ثم ان هذا القائل يقول انك
تشبه الله بالمعدوم فانه ليس في مكان ولا يعلم انه جعله معدوما حيث احوجه الى المكان • وكل محتاج نظرا
الى العدم ما يحتاج اليه معدوم ولو كتبنا ما فيها لطال الكلام • ثم قال تعالى ما لكم من دونه من
ولي ولا شفيع افلا تتذكرون لما ذكر ان الله خالق السموات والارض قال بعضهم نحن معترفون بان خالق السموات
والارض واحد هو اله السموات • وهذه الاصنام صور كواكب منها نصرتنا وقوتنا وقال الآخرون هذه صور
ملائكة عند الله هم شفعاؤنا فقال الله تعالى لا اله الا الله ولا نصرة من غير الله ولا شفاعة الا باذن الله فعبادتكم
هذه الاصنام باطلة ضائعة لا هم خالقوكم ولا ناصروكم ولا شفعاؤكم • ثم قال تعالى افلا تتذكرون بما علمتموه من
انه خالق السموات والارض وخالق هذه الاجسام العظام لا يقدر عليه مثل هذه الاصنام حتى تنصركم ولا يكون
عند هذا الملك العظيم لهذه الاشياء الحقيرة احترام وعظمة حتى يكون لها شفاعة • ثم قال تعالى يدبر
الامر من السماء الى الارض لما بين الخلق بين الامر كما قال تعالى الا له الخلق والامر والعظمة تتبين بهما فان من يملك مماليك كثيرين
عظاما يكون له عظمة • ثم اذا كان امره نافذا فيهم يزداد في اعين الخلق وان لم يكن له نفاذ امر ينقص من عظمته • وقوله ثم يعرج اليه

املاك

وانما قلنا ان البصر لا يحيط الا ان كلما احاط به البصر فله مكان يكون فيه

معناه والله اعلم ان امره ينزل من السماء على عباده ويعرج اليه اعمالهم الصالحة الصادرة على موافقة ذلك الامر فان العمل
اثر الامر وقوله في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون • فيه وجوه • احدها ان نزول الامر وعروج العمل
في مسافة الف سنة مما تعدون وهو في يوم فان بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة فيقع مقدار الف سنة • ثانيها هو
ان ذلك اشارة الى امتداد نفاذ الامر وذلك لان من نفذ امره غاية النفاذ في يوم او يومين وانقطع لا يكون مثل
من نفذ امره في سنين متطاولة • فقوله في يوم كان مقداره الف سنة • يعني يدبر الامر في زمان يوم منه
الف سنة فكم يكون شهر منه وكم تكون سنة منه وكم يكون دهر منه • وعلى مثل هذا الوجه لا فرق بين هذا وبين قوله
مقداره خمسين الف سنة لان ذلك اذا كان اشارة الى دوام نفاذ الامر فسواء يعبر بالالف او بالخمسين الفا لا تتفاوت
الا ان المبالغة تكون في الخمسين اكثر وسنبين فايدتها في موضعها ان شاء الله تعالى • وفي هذا لطيفة وهي ان الله تعالى
ذكر في الآية المتقدمة عالم الاجسام والخلق • واشار الى عظمة الملك • وذكر في هذه الآية عالم الارواح والامر
بقوله يدبر الامر • والروح من عالم الامر كما قال تعالى يسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي • واشار الى دوامه
بلفظ يوهم الزمان والمراد دوام البقاء كما يقال في العرف طال زمان فلان والزمان لا يطول وانما الواقع في الزمان
يمتد فيوجد في ازمنة كثيرة فيطول لذلك تاخذ ازمنة كثيرة فاشار هناك الى عظمة الملك بالمكان واشار
الى دوامه ههنا بالزمان • فالمكان من ملكه وخلقه • والزمان بحكمه وامره واعلم ان ظاهر قوله تعالى يدبر
الامر في يوم يقتضي ان يكون امره في يوم • واليوم له ابتداء وانتهاء فيكون امره في زمان حادث فيكون حادثا وبعض
من يقول بان الله على العرش استوى يقول بان الامر قديم فكيف يفهم من كلمة على كونه في مكان • ولم يفهم من كلمة في
كون امره في زمان • ثم بين ان هذا الملك العظيم النافذ الامر غير غافل فان الملك اذا كان نافذ الامر هيا يطاع في
امره ونهيه • ولكن يكون غافلا لا يكون مهيبا عظيما كما يكون مع ذلك خبيرا يقظا لا يخفى عليه امر المالك والممالك
فقال ذلك عالم الغيب والشهادة • ولما ذكر من قبل عالم الاشباح بقوله خلق السموات وعالم الارواح بقوله يدبر
الامر من السماء الى الارض قال عالم الغيب يعلم ما في الارواح والشهادة يعلم ما في الاجسام او نقول عالم الغيب اشارة
الى ما لم يكن بعد • والشهادة اشارة الى ما وجد وكان • وقدم العلم بالغيب لانه اقوى واشد انباء عن كمال العلم ثم قال
العزيز الرحيم • لما بين انه عالم ذكر انه عزيز قادر على الانتقام من الكفرة • رحيم واسع الرحمة على البررة • ثم قال تعالى
الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين لما بين الدليل الدال على الوحدانية من الآفاق بقوله
خلق السموات والارض وما بينهما واتمه بتوابعه ومكملاته • ذكر الدليل الدال عليها من الانفس وقوله الذي احسن
كل شيء يعني احسن كل شيء مما ذكره من الذي بين السموات والارض خلقه وهو كذلك لانك اذا نظرت الى الاشياء رايتها
على ما ينبغي صلابة الارض للنبات والثبات وسلاسة الهواء للاستنشاق • وقبول الانشقاق • لسهولة الاستطراق
وسيلان الماء ليقدر عليه في كل موضع وحركة النار الى فوق لانها لو كانت مثل الماء تتحرك يمنة ويسرة لاحرق العالم
فخلقت طالبة جهة فوق حيث لا شيء هناك يقبل الاحتراق وقوله وبدا خلق الانسان من طين • قيل المراد آدم عليه
السلام فانه خلق من طين • ويمكن ان يقال الطين ماء وتراب مجتمعان • والآدمي اصله مني والمني اصله غذاء والاغذية
اما حيوانية واما نباتية • والحيوانية بالآخرة ترجع الى النباتية • والنبات وجوده بالماء والتراب الذي هو
الطين وقوله ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين • على التفسير الاول ظاهر لان آدم كان من طين ونسله من سلالة
من ماء مهين هو النطفة • وعلى التفسير الثاني هو ان اصله من الطين ثم يوجد من ذلك الاصل سلالة هي من ماء مهين فان
قال قائل التفسير الثاني غير صحيح لان قوله بدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله دليل على ان جعل النسل بعد
خلق الانسان من طين نقول لا بل التفسير الثاني اقرب الى الترتيب اللفظي فانه تعالى قال بدا فذكر الامر الابتداء
في خلق الانسان فقال بداه من طين • ثم جعله سلالة • ثم سواه ونفخ فيه من روحه على ما ذكر ثم يبعد ان يقال ثم سواه
ونفخ فيه من روحه عايد الى آدم ايضا لان كلمة ثم للتراخي فتكون التسوية بعد جعل النسل من سلالة وذلك بعد خلق
آدم • واعلم ان دلايل الآفاق ادل على كمال القدرة كما قال لخلق السموات والارض اكبر ودلايل الانفس ادل على نفاذ
الارادة فان التغيرات فيها كثيرة واليه الاشارة بقوله جعل نسله ثم سواه اي كان طينا فجعله منيا ثم جعله بشرا
سويا وقوله ونفخ فيه من روحه • اضافة الروح الى نفسه كاضافة البيت اليه للتشريف • واعلم ان النصارى يفترون
على الله الكذب ويقولون بان عيسى كان روح الله بقوله نفخ فيه من روحه اي الروح التي هي ملكه كما يقول القايل داري وعبدي
ولم يقل اعطاه من جسمه لان الشرف بالروح فاضاف الروح دون الجسم على ما ترتب على نفخ الروح من السمع والبصر والعلم
فقال وجعل لكم السمع والابصار والافئدة • وفيه مسائل المسئلة الاولى قال وجعل لكم مخاطبا ولم يخاطب من قبل

وذلك لان

ذلك لان الخطاب يكون مع الحي فلما قال ونفخ فيه من روحه خاطبه من بعده وقال وجعل لكم • فان قيل الخطاب واقع قبل ذلك كما في
قوله تعالى ومن آياته ان خلقكم من تراب فنقول هناك لم يذكر الامور المرتبة وانما اشار الى تمام الخلق وههنا ذكر الامور المرتبة
وهي كون الانسان طينا ثم ماء مهينا • ثم خلقا مسوى بانواع القوى فخاطبه في بعض المراتب دون البعض المسئلة الثانية
الترتيب في السمع والابصار والافئدة على مقتضى الحكمة • وذلك لان الانسان يسمع اولا من الابوين والناس امورا فيفهمها ثم
يحصل له بذلك بصيرة فيبصر الامور ويجربها • ثم يحصل له بسبب ذلك ادراك تام وذهن كامل فيستخرج الاشياء من قلبه • ومثاله
شخص يسمع من استاذه شيئا • ثم يصير له اهلية مطالعة الكتب وفهم معانيها • ثم يصير له اهلية التصنيف فيكتب من قلبه كتابا
فكذلك الانسان يسمع ثم يطالع صحايف الموجودات ثم يعلم الامور الخفية المسئلة الثالثة ذكر في السمع المصدر

صفايح خ

وفي البصر والفؤاد الاسم • ولهذا جمع الابصار والافئدة ولم يجمع السمع لان المصدر لا يجمع وذلك لحكمة وهي ان السمع قوة
واحدة ولها فعل واحد • فان الانسان لا يضبط في زمان واحد كلامين والاذن محله ولا اختيار لها فيه فان الصوت
من اي جانب كان يصل اليه ولا قدرة لها على تخصيص القوة بادراك البعض دون البعض • واما الابصار فمحله العين وله
نوع اختيار يلتفت الى ما يريد دون غيره • واذا كان كذلك لم يكن للمحل في السمع تاثير والقوة مستبدة فذكر القوة • وفي
العين والفؤاد للمحل نوع اختيار فذكر المحل لان الفعل يسند الى المختار الا ترى انك تقول سمع زيد وراى عمرو • ولا تقول
سمع اذن زيد • ولا راى عين عمرو الا نادرا لما ان المختار هو الاصل وغيره آلته • فالسمع اصل دون محله لعدم الاختيار له
والعين كالاصل وقوة الابصار آلتها • والفؤاد كذلك وقوة الفهم آلته • فذكر في السمع المصدر الذي هو القوة • وفي
الابصار والافئدة الاسم الذي هو محل القوة ولان السمع قوة واحدة • ولها فعل واحد • ولهذا لا يسمع الانسان
في زمان واحد كلامين على وجه يضبطهما ويدرك في زمان واحد صورتين واكثر ويستبينهما المسئلة الرابعة
قدم السمع ههنا • والقلب في قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم فنقول ذلك يحقق ما ذكرنا وذلك عند الاعطاء ذكر
الادنى وارتقى الى الاعلى فقال اعطاكم السمع ثم اعطاكم ما هو اشرف منه وهو القلب • وعند السلب قال ليس لهم قلب
يدركون به ولا ما هو دونه وهو السمع الذي يسمعون به ممن له قلب يفهم الحقايق ويستخرجها وقد ذكرنا هناك هو السبب في
تاخير الابصار مع انها في الوسط فيما ذكرنا من الترتيب وهو ان السمع والقلب سلب قوتهما بالطبع فجمع بينهما وسلب قوة البصر
بجعل الغشاوة عليه فذكرها ناحية • ثم قال تعالى وقالوا ائذا ضللنا في الارض لما قال قليلا ما تشكرون
بين عدم شكرهم باتيانهم بضده وهو الكفر وانكار قدرته على احياء الموتى • وقد ذكرنا ان الله تعالى في كلامه القديم كلما
ذكر اصلين من الاصول الثلاثة لم يترك الثالث • وههنا لما ذكر الرسالة بقوله تنزيل الكتاب الى قوله لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير من قبلك • وذكر الوحدانية بقوله الله الذي خلق الى قوله وجعل لكم السمع والابصار ذكر الاصل الثالث
وهو الحشر بقوله • وقالوا ائذا ضللنا في الارض • وفيه مسائل المسئلة الاولى الواو للعطف على ما سبق منهم
كانهم قالوا محمد ليس برسول • والله ليس بواحد • وقالوا الحشر ليس بممكن المسئلة الثانية ان الله تعالى قال
في تكذيبهم الرسول في الرسالة ام يقولون بلفظ المستقبل وقال في تكذيبهم اياه في الحشر وقالوا بلفظ الماضي وذلك
لان تكذيبهم اياه في الرسالة لم يكن قبل وجوده وانما كان حالة وجوده فقال يقولون يعني هم فيه • واما انكارهم
للحشر كان سابقا صادرا منهم ومن آبائهم فقال وقالوا المسئلة الثالثة انه تعالى صرح بذكر قولهم في الرسالة
حيث قال ام يقولون • وفي الحشر حيث قال وقالوا ائذا ولم يصرح بذكر قولهم في الوحدانية وذلك لانهم كانوا مصرين
في جميع الاحوال على انكار الحشر والرسول • واما الوحدانية فكانوا يعترفون بها في المعنى الا ترى ان الله تعالى
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلم يقل قالوا ان الله ليس بواحد وان كانوا قالوه في الظاهر
المسئلة الرابعة لو قال قائل لما ذكر الرسالة ذكر من قبل دليلها وهو التنزيل الذي لا ريب فيه • ولما ذكر
الوحدانية ذكر دليلها وهو خلق السموات والارض وخلق الانسان من طين ولما ذكر انكارهم الحشر لم يذكر الدليل
نقول الجواب ذكر دليله ايضا وذلك لان خلق الانسان ابتداء دليل على قدرته على اعادته ولهذا استدل
الله على امكان الحشر بالخلق الاول كما قال ثم يعيده وهو اهون عليه • وقوله قل يحييها الذي انشاها اول مرة وكذلك
خلق السموات كما قال تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى • وقوله ائنا لفي خلق جديد
اي انا كائنون في خلق جديد او واقعون فيه بل هم بلقاء ربهم كافرون اضراب عن الاول يعني ليس انكارهم بمجرد
الخلق ثانيا بل يكفرون بجميع احوال الآخرة حتى لو صدقوا بالخلق الثاني لما اعترفوا بالعذاب والثواب او نقول
معناه لم ينكروا البعث لنفسه بل لكفرهم بلقاء الله فانهم انكروه فانكروا المفضي اليه ثم بين لهم ما يكون من الموت
الى العذاب فقال قل يتوفاكم ملك الموت يعني لابد من الموت ثم من الحياة بعده واليه الاشارة بقوله ثم الى ربكم ترجعون

لان خلق الانسان ابتداء دليل على قدرته على اعادة

وقوله الذى وكل بكم إشارة إلى انه لا يغفل عنكم واذا جا اجلكم لا يوخركم اذ لا شغل له الا هذا • وقوله يتوفاكم ملك
الموت ينبئ عن بقا الارواح فان التوفى الاستيفا والقبض وهو الاخذ • والاعدام المحض ليس باخذ • ثم ان الروح الزكى
الطاهر يبقى عند الملايكة مثل الشخص بين اهله انما يتبدل له • والخبيث الفاجر يبقى عندهم كالاسير بين قوم لا يعرفهم
ولا يعرف لسانهم • والاول ينمو ويزيد صفاوه وقوته • والاخر يضعف ويذبل ويزداد شقاوه وكدورته
والحكما يقولون بان الارواح الطاهرة تتعلق بجسم سماوى خير من بدنها وتكمل به والارواح الفاجرة لا كمال لها بعد التعلق
الثانى فان ارادو ولما ذكرنا فقدوا فقونا والا فتغير النظر فى ذلك بحسب اراداتهم قد يكون حقا ولهم وقد يكون غير حق
فان قيل هم انكروا الاحيا والله ذكر الموت وبينهما مباينة نقول فيه وجهان • احدهما ان ذلك دليل الاحيا ودفع
الاستبعاد ذلك فانهم قالوا اما عدم بالكلية كيف يكون الموجود عين ذلك فقال الملك يقبض الروح والاجزا تتفرق
فجمع الاجزا لا بعد فيه وامر الملك برد ما قبضه لا صعوبة فيه ايضا فقوله قل يتوفاكم ملك الموت اى الارواح معلومة
فرد الى اجسادها ثم قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون • لما ذكر انهم يرجعون الى ربهم بين ما يكون عند الرجوع على سبيل
الاجمال بقوله • ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم يعنى لو ترى حالهم • وتشاهد استحالهم لترى عجبا • وقوله ترى يحتمل
ان يكون خطابا مع الرسول عليه الصلاة والسلام تشفيا لصدره فانهم كانوا يوذونه بالتكذيب • ويحتمل ان يكون عاما
مع كل احد كما يقول القائل ان فلانا كريم ان خدمته ولو لحظة يحسن اليك طول عمرك • وقوله عند ربهم لبيان شدة الخجالة
لان الرب اذا اسا اليه المربوب • ثم وقف بين يديه يكون فى غاية الخجالة ثم قال ربنا ابصرنا وسمعنا • يعنى يقولون او
قايلين • ربنا ابصرنا • وحذف يقولون اشارة الى غاية خجالتهم لان الخجل العظيم الخجالة لا يتكلم • وقوله ابصرنا اى ابصرنا
الحشر وسمعنا قول الرسول فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا • وقولهم انا موقنون معناه انا فى الحال امنا ولكن النافع الايمان
والعمل الصالح ولكن العمل الصالح لا يكون الا عند التكليف به وهو فى الدنيا فارجعنا للعمل وهذا باطل منهم فان الايمان
لا يقبل فى الاخرة كالعمل الصالح او تقول المراد منه انهم ينكرون الشرك كما قالوا ما كنا مشركين فقالوا ان هذا الذى جرى
علينا ما جرى الا بسبب ترك العمل الصالح • واما الايمان فانا موقنون وما اشركنا ثم قال تعالى ولو شينا لاتينا
كل نفس هداها • جوابا عن قولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا • وبيانه هو انه تعالى قال لو رجعتكم الى الايمان لهديتكم
فى الدنيا ولما لم اهدكم تبين انى ما اردت ولا شيت ايمانكم فلا اردكم • وقوله ولو شينا لاتينا صريح فى ان مذهبنا
صحيح حيث نقول ان الله ما اراد الايمان من الكافر وما شا منه الا الكفر ثم قال تعالى ولكن حق القول منى وقع القول
منى وهو قوله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك هذا من حيث النقل وله وجه فى العقل وهو ان الله تعالى
لم يفعل فعلا خاليا عن حكمة • وهذا متفق عليه • والخلاف فى انه هل قصد الفعل للحكمة او فعل الفعل ولزمته الحكمة
لا بحيث تحمله تلك على الفعل • واذا علم ان فعله لا يخلو عن حكمة فنقول الحكمة افعاله باسرها لا تدرك على سبيل التفصيل
بل تدرك على سبيل الاجمال فكل كون يكون فى العالم وفساد فحكمته تخرج من تقسيم عقلى وهو ان الفعل اما ان يكون خيرا محضا
او شرا محضا او خيرا مشوبا بشر وهذا القسم على ثلاثة اقسام • قسم خيره غالب • وقسم شره غالب • وقسم خيره وشره مثلا
اذا علم هذا فخلق الله عالمان • الخير المحض وهو الملايكة وهو العالم العلوى • وخلق عالما فيه خير وشر وهو عالمنا وهو
العالم السفلى ولم يخلق عالما فيه شر محض • ثم ان العالم السفلى الذى هو عالمنا وان كان الخير والشر موجودين فيه لكنه
من القسم الاول الذى خيره غالب فانك اذا قابلت المنافع بالمضار والنافع بالضار تجد المنافع اكثر واذا قابلت الشر بالخير
تجد الخير اكثر وكيف لا والمومن يقابله ولكن المومن قد يمكن وجوده بحيث لا يكون منه شر اصلا من اول عمره الى اخره كالانبيا
والاوليا • والكافر لا يمكن وجوده بحيث لا يكون فيه خير اصلا غايته ما فى الباب ان الكفر يحبط خيره ومنفعته اما المستحيل
نظرا الى العادة نظرا ان يوجد كافر لا يسقى العطشان شربة ما ولا يطعم الجايع لقمة خبز ولا يذكر ربه فى عمره وكيف لا
وهو فى زمن صباه كان مخلوقا على الفطرة المقتضية للخيرات • اذا ثبت هذا فالعالم لولا الشر فى هذا العالم لكانت
مخلوقات الله تعالى منحصرة فى الخير المحض ولا يكون قد خلق القسم الذى فيه الخير الغالب والشر القليل ثم ان ترك خلق هذا
القسم ان كان لما فيه من الشر فترك الخير الكثير لاجل الشر القليل لا يناسب الحكمة • الا ترى ان التاجر اذا طلب منه درهم
بدينار • فلو امتنع وقال فى هذا شر وهو زوال الدرهم عن ملكى فيقال له لكن فى مقابلته خير كثير وهو حصول الدينار
فى ملكك • وكذلك الانسان لو ترك الحركة اليسيرة لما فيها من المنفعة مع علمه بانه يحصل له راحة مستمرة تنسب الى
مخالفة الحكمة • فاذا نظرنا الى الحكمة كان وقوع الخير الكثير المشوب بالشر القليل من اللطف • فخلق العالم الذى فيه الشر
والى هذا اشار بقوله انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك فقال الله تعالى فى جوابهم انى اعلم ما لا تعلمون اى اعلم ان هذا القسم يناسب الحكمة لان الخير فيه كثير بين لهم

خيره بالتعليم

خيره بالتعليم كما قال تعالى وعلم ادم الاسما كلها يعنى ايها الملايكة خلق الشر المحض والشر الغالب والشر المساوى لا يناسب
الحكمة • واما خلق الخير الكثير المشوب بالشر القليل فمناسب • فقوله اتجعل فيها من يفسد فيها اشارة الى الشر
واجابهم الله بما فيه من الخير بقوله وعلم ادم الاسما • فان قال قايل فالله قادر على تخليص هذا القسم من الشر
بحيث لا يوجد فيه شر فيقال له ما قال الله تعالى ولو شينا لاتينا كل نفس هداها يعنى لو شينا لخلصنا الخير من الشر
لكن حينيذ لا يكون الله تعالى خلق الخير الكثير المشوب بالشر القليل وهو قسم معقول فما كان يجوز تركه للشر القليل وهو
لا يناسب الحكمة لان ترك الخير الكثير للشر القليل غير مناسب للحكمة وان كان لا كذلك فلا مانع من خلقه بخلقه لما فيه
من الخير الكثير وهذا الكلام يعترف به برعاية المصالح ان القضا والشر فى القدر فالله قضى بالخير ووقع الشر فى القدر
بفعله المنزه عن القبيح والجهل وقوله من الجنة والناس لانه تعالى قال لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك
وهذا اشارة الى النار لمن فى العالم السفلى والذين فى العالم العلوى مبرون عن دخول النار وهم الملايكة وهذا يقتضى
ان لا يكون ابليس من الملايكة وهو الصحيح • وقوله اجمعين يحتمل وجهين • احدهما ان يكون تاكيدا وهو الظاهر والثانى
ان يكون حالا اى مجموعين • فان قيل كيف جعل جميع الجن والانس مما يملا بهم النار فنقول هذا لبيان الجنس اى
جهنم تملا من الجن والانس لا غيرا من الملايكة ولا يقتضى ذلك دخول الملايكة كما يقول القايل ملات الكيس من الدراهم
لا يلزم ان لا يبقى درهم خارج الكيس • فان قيل فهذا يقتضى ان يكون جهنم ضيقة تملى ببعضها ببعض الخلق نقول
هو كذلك وانما الواسع الجنة التى من الرحمة الواسعة لما بين الله تعالى بقوله ولو شينا لاتينا انهم لا رجوع لهم قال لهم انكم
لا رجوع لكم فذوقوا بما نسيتم لقا يحتمل ان يكون منصوبا بذوقوا اى ذوقوا لقا يومكم بما نسيتم وعلى هذا يحتمل ان يكون المنسى
هو الميثاق الذى اخذ منكم بقوله الست بربكم قالوا بلى او بما فى الفطر من الوحدانية فينسى بالاقبال على الدنيا والاشتغال بها
ويحتمل ان يكون منصوبا بقوله نسيتم اى بما نسيتم لقا هذا اليوم ذوقوا وعلى هذا لو قال قايل النسيان لا يكون الا فى المعلوم
اولا اذا نسى اخرا يقول لما ظهرت براهينه فكان ظهر وعلم ولما تركوه بعد الظهور ذكر بلفظ النسيان اشارة الى كونهم
منكرين لامر ظاهر كمن ينكر امرا كان علمه وقوله تعالى هذا يحتمل ثلاثة اوجه • احدها ان يكون اشارة الى اليوم اى فذوقوا
بما نسيتم لقا هذا اليوم • وثانيها ان يكون اشارة الى اللقا اليوم اى فذوقوا بما نسيتم هذا اللقا • وثالثها ان يكون اشارة الى العذاب
اى فذوقوا هذا العذاب بما نسيتم لقا يومكم • ثم انا نسيناكم اى تركناكم بالكلية غير ملتفت اليكم كما يفعله الناسى قطعا لرجايكم
ثم ذكر ما يلزم من تركه اياهم كما يترك الناسى وهو خلود العذاب لان من لا يخلصه الله فلا خلاص له فقال فذوقوا عذاب
الخلد بما كنتم تعملون ثم قال تعالى انما يومن باياتنا الذين اذا ذكروا بها • اشارة الى الايمان بالايات كالحاصل وانما
يتساه البعض فاذا ذكر بها خر ساجدا له يعنى انقاد اعضاوه له وسبح بحمده وتحرك لسانه بتنزيهه عن الشرك وهم
لا يستكبرون يعنى وكان قلبه خاشعا لا يتكبر ولا يستكبر عن عبادته فهو المومن حقا ثم قال تعالى تتجافى جنوبهم
عن المضاجع • يعنى بالليل قليلا ما يهجعون وقوله يدعون ربهم • اى يصلون فان الدعا والصلاة من باب واحد فى
المعنى او يطلبونه • وهذا الابنا فى الاول لان الطلب قد يكون بالصلاة • والحمل على الاول اولى لانه قال بعده ومما رزقناهم
ينفقون • وفى اكثر المواضع التى ذكر فيها الزكاة ذكر الصلاة قبلها كقوله تعالى يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون
وقوله خوفا وطمعا يحتمل ان يكون مفعولا له ويحتمل ان يكون حالا اى خايفين طامعين كقولك جاونى وفدا اى زايرين وكذا
فى الاية الاولى اشار الى المرتبة العالية وهى العبادة لوجه الله مع الذهول عن الخوف والطمع بدليل قوله اذا ذكروا بها خروا
فانه يدل على ان عند مجرد الذكر يوجد منهم السجود وان لم يكن خوف وطمع • وفى الاية الثانية اشار الى المرتبتين
الاخريين وهى العبادة خوفا كمن يخدم الملك الجبار مخافة سطوته • او يخدم الملك الجواد طمعا فى بره • ثم بين لهم ما يكون
جزا فعلهم فقال فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين يعنى ما يقر العين عنده ولا يلتفت الى غيره • يقال ان هذا الابد خل
فى عين يعنى عينه متطلع الى غيره فاذا لم يبق تطلع العين الى شى اخر لم يبق للعين مخرج الى غيره فيقر جزا بحكم الوعد • وهنا
فيه لطيفة وهى من العبد شى وهو العمل الصالح ومن الله اشيا سابقة من الخلق ومن الرزق وغيرهما • واشيا
لاحقة من الثواب والاكرام فلله تعالى ان يقول جزا الاحسان احسان • وانا احسنت اولا • والعبد احسن فى مقابلته
فالثواب تفضل ومنحة من غير عوض • وله ان يقول جعلنا الاول تفضلا لا اطلب عليه جزا فاذا اتى العبد بالعمل الصالح
وليس عليه شى لانى ابراته عما عليه من النعم فكان هو اتيا بالحسنة ابتدا وجزا الاحسان احسان • فاجعل الثواب
جزا كلا هما جايز لكن غاية الكرم ان يجعل الاول هبة ويجعل الثانى مقابلا او عوضا لان العبد ضعيف لو قيل له بان فعلك
جزا فلا يستحق جزا وانما الله تفضل به ولكن لا يطمين قلبه • واذا قيل له الاول غير محسوب عليك والذى اتيته اتيت باد
ولك عليه استحقاق ثواب شى وتطمين • ثم اذا عرفت هذا من فضل الله فالواجب من جانب العبد ان يقول لتعلى جزا انعم الله

العبادة خوفا كمن يخدم الملك الجبار مخافة سطوته

السابقة ولا يستحق به جزاء فاذا اثابه الله تعالى نقول الذي اثيب به كان جزاء وهذا ابتداء احسان من الله يستحق جزاء وشكرا
فيأتي بحسنة فيقول الله اني احسنت اليك جزاء فعله الاول وما فعلته اولا لا اطلب جزاءه فيجازيه ثالثا فيشكر العبد ثالثا
فيجازيه رابعا وعلى هذا لا تنقطع المعاملة بين الرب والعبد * ومثله في الشاهد اثنان تحابا * فاهدى احدهما الى الآخر هدية
ونسيها او المهدى اليه يتذكرها * فاهدى الى المهدي عوضا * فرآه المهدي الاول ابتداء لنسيانه ما اهداه اليه فجازاه
بهدية فقال المحب الآخر ما اهديت كان جزاء الهدية السابقة وهذه هدية ما عوضتها فيعوض عنه المحب الآخر ويتسلسل
الامر بينهما ولا ينقطع التهادي والتحابب بخلاف من ارسل الى واحد هدية وهو يتذكرها فاذا بعث المهدى له عوضا يقول
هذا عوض ما اهديت اليه فيسكت ويترك الاهداء فينقطع * واعلم ان لذلك لطيفة يوم القيمة وان ارتفعت كلفة لكن الذكر
والشكر والعبادة لا ترتفع بل العبد يعبد ربه في الجنة اكثر مما يعبده في الدنيا وكيف وقد صار حاله مثل حال الملئكة
الذين قال في حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية ما في الباب ان العبادات ليست عليهم بتكليف بل هي مقتضى الطبع
ومن جملة الاسباب الموجبة لدوام نعيم الجنة هذا وكيف لا وخدمة الملوك لذة وشرف فلا تترك وان قرب العبد منه
بل تزداد لذتها * ثم قال تعالى **افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا** لما بين حال المجرم والمؤمن قال للعاقل هل
يستوي الفريقان ثم بين انهما لا يستويان * ثم بين عدم الاستواء على سبيل التفصيل وقال فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فلهم اشارة الى ما ذكرنا ان الله احسن ابتداء لا لعوض او غرض فلما آمن العبد وعمل صالحا قبله منه كأنه ابتداء
فجازاه بان اعطاه الجنة **ثم قال** نزلا * اشارة الى ان بعدها اشياء لان النزل ما يعطي الملك النازل وقت
نزوله نازلة قبل ان يجعل له راتبا ويكتب له جراية **وقوله** بما كانوا يعملون يحقق ما ذكرنا **وقوله** واما
الذين فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اشارة الى حال الكافر * وقد ذكرنا مرارا ان العمل الصالح له
مع الايمان تأثير * اما الكفر اذا جاء فلا التفات الى الاعمال فلم يقل * واما الذين فسقوا وعملوا السيئات
لان المراد من فسقوا كفروا * ولو جعل العقاب في مقابلة الكفر والعمل لظن ان مجرد الكفر لا عقاب عليه * وقوله
في حق المؤمنين لهم بلام التمليك زيادة اكرام لان من قال لغيره اسكن هذه الدار يكون ذلك محمولا على العارية
وله استرداده * ولو قال هذه الدار لك يكون ذلك محمولا على نسبة الملكية اليه وليس له استرداده بحكم قوله
وكذلك في قوله لهم جنات * الا ترى انه تعالى لما اسكن آدم الجنة وكان في علمه انه يخرج منها قال اسكن انت وزوجك
الجنة ولم يقل لكما الجنة * وفي الآخرة لما لم يكن للمؤمنين خروج عنها قال لكم الجنة ولهم جنات **وقوله تعالى**
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها * وقيل لهم ذوقوا اشارة الى معنى حكمي وهو ان المؤلم اذا تمكن والالم اذا اشتد
لم يبق به شعور تام * ولهذا قال الاطباء ان حرارة حمى الدق بالنسبة الى حرارة حمى الغب نسبة النار الى الماء المسخن
ثم ان المدقوق لا يحس من الحرارة بما يحس به من به حمى بلغمية لان البدن ترتب العهد بظهور حرارة الحمى البلغمية وكذلك
الانسان اذا وضع يده على ماء بارد تألم يده من البرد فان صبر زمانا طويلا لا تتألم يده ويبطل عنه ذلك الالم الشديد مع فساد
مزاجه * اذا علمت هذا فقوله كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها اشارة الى ان الالم لا يسكن عنهم بل يرد عليهم
في كل حال الم مؤلم مجدد * وقوله ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون تقرير ما ذكرنا * ومعناه انهم في الدنيا
كانوا يكذبون بعذاب النار فلما ذاقوه كان اشد ايلاما لان من لا يتوقع شيئا فيصيبه يكون اشد تأثيرا الهم
في الآخرة كما هم في الدنيا يجوزون ان لا عذاب وقد وصل اليهم ولا يتوقعون شيئا من آخرة العذاب فيرد عليهم عذاب
اشد من الاول وكانوا يكذبون به فقولهم لا عذاب فيما نحن فيه فاذا معنى قوله تعالى ذوقوا عذاب النار الذي
كنتم به تكذبون [illegible]
[illegible]
ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون [illegible]
[illegible] **المسئلة الاولى** [illegible]
[illegible] العذاب الادنى في مقابلة العذاب الاكبر [illegible] العذاب الاصغر
[illegible] فنقول حصل في عذاب الدنيا امران احدهما انه قريب والآخر انه قليل صغير
[illegible] هو الذي يصلح للتخويف به فان العذاب العاجل وان كان قليلا قد يحترز منه بعض الناس اكثر مما
يحترز من العذاب الشديد اذا كان آجلا وكذا الثواب العاجل قد يرغب فيه بعض الناس ويستبعد الثواب

العظيم

النزل ما يعطي الملك للنازل اول وقت نزوله

السيئات

العظيم الجليل * واما عذاب الآخرة فالذي يصلح للتخويف به وهو العظيم والكبير [illegible] فقال في عذاب الدنيا
العذاب الادنى ليحترز العاقل عنه ولو قال الاصغر [illegible] كونه عاجلا
وقال في عذاب الآخرة الاكبر [illegible] لما حصل التخويف به [illegible]
بالكبر * [illegible]
المسئلة الثانية قوله تعالى لعلهم يرجعون * [illegible] فيه
وجهان * احدهما [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
التجارة وان كان الجزم حاصلا بخلافه كقول القائل فلان تحر زيه عدوه رجاء ان يموت لا يصح حصول الجزم
بالموت عقيب الحز نظرا اليه * وان امكن ان لا يموت نظرا الى قدرة الله تعالى فيصح قولنا قوله تعالى في حق ابراهيم
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي مع انه كان عالما بالمغفرة لكن لما لم يكن الجزم حاصلا من نفس الفعل اطلق عليه الطمع وكذلك
قوله تعالى وارجوا اليوم الآخر مع ان الجزم لازم به انا علمنا ما ذكرنا فنقول في كل صورة قال الله تعالى لعلهم يرجعون
فان نظرنا الى الفعل لا يلزم الفعل الجزم * فان من التعذيب لا يلزم الرجوع لزوما بينا فصح قولنا نرجو وان كان
علمه حاصلا بما يكون غاية ما في الباب ان الرجاء في اكثر الامر استعمل فيما لا يكون الامر معلوما فأوهم ان لا يجوز الاطلاق
في حق الله تعالى * وليس كذلك بل الترجي يجوز في حق الله تعالى ولا يلزم منه عدم العلم وانما يلزم عدم الجزم بناء على
تلك الفعل * وعلم الله تعالى ليس مستفادا من الفعل فيصح حقيقة الترجي في حقه على ما ذكرنا من المعنى **ثم قال
تعالى ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه** يعني لم يذيقهم ولا يرجعون فيكونون قد ذكروا بآيات الله من النعم اولا والنقم ثانيا
ولم يؤمنوا فلا اظلم منهم احد لان من يكفر بالله ظالم فان الله لذوي البصائر ظاهر لا يحتاج المستنير الباطن الى شاهد
يشهد عليه بل هو شهيد على كل شيء كما قال تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد اي دليلك الله لا يحتاج ناظر الباطن
الى دليل على الله * ولهذا قال بعض العارفين رأيت الله قبل كل شيء فلم يكفه الله فسائر الموجودات سواء كان فيها
نفع او ضر كان في معرفة الله * كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم فان لم يكفهم ذلك وسبغ عليهم نعمه
ظاهرة وباطنة * فالاول الذي لا يحتاج لغير الله هو عدل * والثاني يحتاج الى دليل فهو متوسط * والثالث
الذي لم يكفه الآفاق ظالم * والرابع الذي تقنعه النعم اظلم من ذلك الظالم وقد يكون اظلم منه آخر وهو الذي
اذا ادنى العذاب لا يرجع عن ضلالته فان الاكثر كان من صفتهم انهم اذا مسهم ضر دعوا ربهم منيبين اليه فهذا لما
عذب ولم يرجع اليه فلا اظلم منه اصلا فقال ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها **ثم قال** انا من المجرمين
منتقمون اي لما لم ينفعهم العذاب الادنى فانا ننتقم منهم بالعذاب الاكبر * ثم قال تعالى **ولقد آتينا موسى الكتاب
فلا تكن في مرية من لقائه** لما قرر الاصول الثلاثة على ما بيناه عاد الى الاصل الذي بدأ به وهو الرسالة المذكورة في
قوله تعالى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير وقال لست بدعا من الرسل بل كان قبلك رسل مثلك * واختار من بينهم
موسى لقربه من النبي صلى الله عليه وسلم ووجود من كان على دينه الزاما لهم * وانما لم يختر عيسى عليه السلام
للذكر والاستدلال لان اليهود ما كانوا يوافقون على نبوته * واما النصارى كانوا يعترفون بنبوة موسى عليه السلام
فتمسك بالمجمع عليه * وقوله فلا تكن في مرية من لقائه * قيل معناه ولا تكن في شك من لقاء موسى فانك تراه وتلقاه
وقيل انه رآه ليلة المعراج * وقيل معناه فلا تكن في شك من لقاء الكتاب فانك تلقاه كما لقي موسى الكتاب ويحتمل ان يكون
الآية واردة للتقرير بل لتسلية النبي عليه الصلاة والسلام فانه لما اتى بكل آية وذكرها واعرض عنها قومه يحزن عليهم فقيل
له تذكر حال موسى ولا تحزن فانه لقي ما لقيت * واوذي كما اوذيت * وعلى هذا فاختيار موسى عليه السلام لحكمة وهي
ان احدا من الانبياء لم يؤذه قومه الا الذين لم يؤمنوا به * واما الذين آمنوا به فلم يخالفوا غير موسى فان من لم يؤمن
آذاه مثل فرعون وغيره ومن آمن به من بني اسرائيل ايضا آذاه بالمخالفة * وطلبوا اشياء منه مثل طلب رؤية الله جهرة
ومثل قوله اذهب انت وربك فقاتلا * ثم بين له ان هدايته غير خالية عن المنفعة كما انه لم تخل هداية موسى حيث
جعل الله كتاب موسى هدى وجعل منهم ائمة يهدون كما قال عليه الصلاة والسلام اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم

قال بعض العارفين رأيت الله قبل كل شيء

إذا أذيق

اهتديتم ثم بين ان ذلك يحصل بالصبر فقال لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون ◦ فكذلك ان صبرتم وامنوا بان وعد الله
حق ◦ ثم قال تعالى ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون هذا يصلح جوابا لسوال
وهو انه لما قال تعالى وجعلنا منهم ايمة كان لقائل ان يقول كيف كانوا يهدون وهم اختلفوا وصاروا فرقا وسبيل الحق
واحد ◦ فقال فيهم هداة والله يبين المبتدع من المتبع كما يبين المومن من الكافر يوم القيمة ◦ وفيه وجه اخر وهو ان الله تعالى
بين انه يفصل بين المختلفين من امة واحدة كما يفصل بين المختلفين من الامم فينبغي ان لا يامن من امن ولم يجتهد فان المبتدع
معذب كالكافر ◦ غاية ما في الباب ان عذاب الكافر اشد واجله امد وادوم ◦ ثم قال تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم
من القرون قد ذكرنا ان قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب تقرير لرسالة محمد عليه السلام واعادة لبيان ما سبق في قوله
لتنذر قوما ما اتاهم من نذير ◦ ولما اعاد ذكر الرسالة اعاد ذكر التوحيد وقال اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم ◦ وقوله يمشون
مساكنهم زيادة في ابانة اي مساكن المهلكين دالة على حالهم وانتم تمشون فيها وتبصرونها وقوله ان في ذلك لايات افلا يسمعون
اعتبر فيه السمع لانهم ما كان لهم قوة الادراك بانفسهم والاستنباط بعقولهم فقال افلا يسمعون يعني ليس لهم درجة المتعلم
الذي يسمع الشي ويفهمه ◦ ثم قال تعالى اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز لما بين الاهلاك وهو الاماتة بين
الاحيا ليكون اشارة الى الضر والنفع بيد الله ◦ والجرز الارض اليابسة التي لا نبات بها ◦ والجرز هو القطع وكانها المقطوع
عنها الماء والنبات ◦ ثم قال تعالى فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم قدم الانعام على الانفس في الاكل
لوجوه ◦ احدها ان الزرع اول ما ينبت يصلح للدواب ولا يصلح للانسان ◦ والثاني ان الزرع هو غذا الدواب لا بد منه واما
غذا الانسان فقد يحصل من الحيوان فكان الحيوان ياكل الزرع ثم الانسان ياكل من الحيوان ◦ الثالث اشارة الى ان الاكل من
دواب الارض والانسان ياكل بحيوانيته ◦ واما بما فيه من القوة العقلية فكماله بالعبادة ◦ ثم قال افلا يبصرون
لان الامر مرئي بخلاف حال الماضين فانها كانت مسموعة ◦ ثم لما بين الرسالة والتوحيد بين الحشر بقوله تعالى ويقولون
متى هذا الفتح ان كنتم صادقين الى اخر السورة فصار ترتيب اخر السورة كترتيب اولها حيث ذكر الرسالة في اولها
بقوله لتنذر قوما ◦ وفي اخرها بقوله ولقد اتينا موسى الكتاب ◦ وذكر التوحيد بقوله الله الذي خلق السموات والارض
وقوله الذي احسن كل شي خلقه وبدا خلق الانسان من طين ◦ وفي اخر السورة ذكر بقوله اولم يهد لهم وقوله اولم
يروا انا نسوق ◦ وذكر الحشر في اولها بقوله اولم يهد لهم وقوله اولم يروا انا نسوق ايذا ضللنا في الارض ◦ وفي اخرها
بقوله ويقولون متى هذا الفتح ◦ وقوله تعالى قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون
اي لا يقبل ايمانهم في تلك الحالة لان الايمان المقبول هو الذي يكون في دار الدنيا ولا ينظرون اي لا يمهلون بالاعادة
الى الدنيا ليومنوا فيقبل ايمانهم لما بين المسايل ◦ واتى بالدلايل ولم ينفعهم قال تعالى فاعرض عنهم اي لا تناظرهم بعد
ذلك ◦ وانما الطريق بعد هذا القتال ◦ وقوله وانتظر انهم منتظرون يحتمل وجوها ◦ احدها فانتظر هلاكهم
انهم ينتظرون هلاكك ◦ وعلى هذا فرق بين الانتظارين لان انتظار النبي عليه السلام بامر الله بعد وعده وانتظارهم
بتسويل انفسهم والتعويل على الشيطان ◦ وثانيها وانتظر النصر من الله فانهم ينتظرون النصر من الهتهم ◦ والفرق
ما بين الانتظارين ◦ وثالثها وانتظر عذابهم بنفسك فانهم ينتظرونه بلفظهم استهزا كما قالوا بعدنا ◦ وقالوا
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين الى غير ذلك والله اعلم ◦ تم تفسير هذه السورة والحمد لله رب العالمين ◦ وصلى الله على محمد

سورة الاحزاب مدنية ثلاث وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله
ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما في تفسير الاية مسايل المسألة الاولى في الفرق
بين النداء والمنادى يقول يا رجل وياايها الرجل وقد ذكرناه فيما قبل ونحن نقول قول القائل يا رجل يدل على النداء
وقوله يا ايها الرجل يدل على ذلك ايضا وينبي عن خطر خطب المنادى له او غفلة المنادى ◦ اما الثاني فكقوله
تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ◦ واما الاول فكقوله تعالى يا ايها النبي لانه لم يكن غافلا فلا يكون المنادى غافلا عن ذلك
الا ليكون لعظم المامور به ◦ واذا قال يا زيد او يا رجل لجلب انتباه المنادى لا لذكر ما ذكر هذا فنقول
يا ايها لا يجوز حمله على غفلة النبي عليه السلام لان قوله النبي ينافي الغفلة لان النبي عليه السلام خبير فلا يكون غافلا
فيجب حمله على خطر الخطب ◦ المسألة الثانية الامر بالشي لا يكون الا عند عدم اشتغال المامور بالمامور به اذ لا يصلح
ان يقال للجالس اجلس وللساكت اسكت والنبي كان متقيا فما الوجه فيه ◦ فنقول فيه وجهان ◦ احدهما منقول وهو

قوله تعالى

انه امر بالمداومة فانه يصح ان يقول القائل للجالس اجلس ههنا الى ان اجيئك ويقول القايل للساكت قد اصبت فاسكت
تسلم اي دم على ما انت عليه ◦ والثاني هو معقول لطيف وهو ان الملك يتقيه عباده على ثلاثة اوجه بعضهم يتقي
يخاف من عقابه ◦ والبعض يخاف من قطع ثوابه ◦ وثالث يخاف من احتجابه ◦ فالنبي لم يومر بالتقوى الاول ولا الثاني
واما الثالث فالمخلص لا يامنه ما دام في الدنيا وكيف والامور الدنيوية شاغلة ◦ والادمي في الدنيا تارة مع الله
واخرى مقبل على الدنيا ◦ والى هذا اشار بقوله انما انا بشر مثلكم يوحي الي اي رفع الحجاب عني في
الوحي ثم اعود الى الكثيف كانى منكم فالامر بالتقوى يوجب استدامة الحضور ◦ الوجه الثالث هو ان النبي صلى الله عليه وسلم
كل لحظة كان يزداد علمه حتى كان حاله فيما مضى بالنسبة الى ما هو فيه ترك الافضل فكان له في كل ساعة تقوى متجددة فقوله
اتق الله امر بما ليس فيه ولهذا اشار صلى الله عليه وسلم بقوله من استوى يوماه فهو مغبون ولهذا اشار الى من ربه
بامر الله اياه بزيادة العلم حيث قال وقل رب زدني علما ◦ والى هذا اشار فيما اشار بقوله عليه الصلاة والسلام في
ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة يعني يتجدد له مقام ◦ يقول الذي اتيت به من الشكر والعبادة لم يكن شيا
اذا علم هذا النبي عليه السلام عكس ما انا بشر مثلكم فكان يقول ما يخاف من جهة الحسن الكفار والمنافقين
بحيث قوله تعالى واخشى الناس والله احق ان تخشاه فامره الله بتقوى عن حرم بحيث جعله لا يخفى الخلق
وزاد الله به درجة فكان ذلك بشارة له اي يا ايها النبي انت ما بقيت في الدرجة التي تقنع منك بتقوى مثل تقوى الاحاد وتقوى
الاوتاد بل لا تقنع منك الا بتقوى تنسيك نفسك الا ترى ان الانسان اذا كان يخاف فوت مال اذا هجم عليه ما يشغله بقصد
يذهل عن المال ويهرب ويتركه فكذلك النبي عليه السلام امر بمثل هذا التقوى ومع هذا التقوى لا يبقى الخوف من احد غير الله
وخرج هذا مخرج قول القائل لمن يخاف زيدا وعمرا احف عمرا فان زيدا لا يقدر عليك اذا كان عمرو معك فلا يكون ذلك امرا
بالخوف من عمرو فانه يخافه وانما يكون ذلك نهيا عن الخوف من زيد في ضمن الامر بزيادة الخوف من عمرو حتى ينسيه زيدا ◦ ثم
قوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين يقرر قولنا اي اتق الله تقوى تمنعك من طاعتهم المسألة الثالثة
لم خص الكافر والمنافق بالذكر مع ان النبي عليه السلام ينبغي ان لا يطيع احدا غير الله نقول لوجهين ◦ احدهما ان ذكر الغير
لا حاجة اليه لان غيرهما لا يطلب من النبي عليه السلام الاتباع ولا يتوقع ان يصير النبي عليه السلام مطيعا له بل يقصد اتباعه
ولا يكون عنده الا مطاعا ◦ والثاني هو انه تعالى لما قال لا تطع الكافرين والمنافقين منعه من طاعة الكل لان كل من طلب من النبي
عليه السلام طاعته فهو كافر او منافق لان من يامر النبي عليه الصلاة والسلام بامر ايجاب معتقدا على انه لو لم يفعله
يعاقبه يكون كافرا ◦ ثم قال تعالى ان الله كان عليما حكيما ◦ اشارة الى ان التقوى ينبغي ان يكون عن صميم قلبك لا يخفى في
نفسك تقوى غير الله كما يفعله الذي يرى من نفسه الشجاعة حيث يخاف في نفسه ويتجلد فان التقوى من الله وهو عليم وقوله
حكيم اشارة الى دفع وهم متوهم وهو ان متوهما لو قال الا اذا قال الله شيئا وقال لجميع الكافرين والمنافقين مع انهم اقارب
النبي عليه السلام شيئا اخر ◦ وراوا المصلحة فيه وذكروا وجها معقولا فاتباعهم لا يكون الا مصلحة فقال الله تعالى انه
حكيم فاتباعه هو الواجب ◦ ثم قال تعالى ان الله كان بما تعملون خبيرا ◦ لما قال انه عليم بما في قلوب العباد بين انه عالم خبير
باعمالكم فسووا قلوبكم واصلحوا اعمالكم ◦ ثم قال تعالى وتوكل على الله يعني اتق الله وان توهمت من احد فتوكل على الله فانه
كفى به دافعا ينفع ولا يضر معه شي وان ضر لا ينفع معه شي ثم قال تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ◦ قال بعض
المفسرين الاية نزلت في ابي معمر كان يقول لي قلبان ◦ اعلم وافهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فرد الله عليه بقوله ما جعل الله
لرجل من قلبين في جوفه وقال الزمخشري قوله وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم اي ما جعل لرجل قلبين
كما لم يجعل لرجل امين ولا لابن ابوين وكلاهما ضعيف بل الحق ان يقال ان الله تعالى لما امر النبي عليه الصلاة والسلام بالاتقا
بقوله يا ايها النبي اتق الله فكان ذلك امرا له بتقوى لا يكون فوقه تقوى ◦ ومن يتقي ويخاف شيا خوفا شديدا لا يدخل في قلبه
شي اخر الا ترى ان الخايف الشديد الخوف ينسى مهماته حال الخوف فكان الله تعالى قال يا ايها النبي اتق الله حق تقاته ◦ ومن حقها
ان لا يكون في قلبك تقوى غير الله فان المرء ليس له قلبان حتى يتقي الله باحدهما وبالاخر غيره فان اتقى غيره فلا يكون ذلك الا بصرف
القلب عن جهة الله الى غيره وذلك لا يليق بالمتقي الذي يدعي انه يتقي الله حق تقاته ◦ ثم ذكر للنبي عليه السلام انه لا ينبغي
ان يتقي احدا ولا مثل ما اتقيت في حكاية زينب زوجة زيد حيث قال تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه يعني مثل ذلك
التقوى لا ينبغي ان يدخل في قلبك ◦ ثم لما ذكر النبي عليه السلام تلك الحالة ذكر ما يدفع عنه السوء وقال وما جعل الله دعيا لمرء
ابنه ثم قدم عليه ما هو قوي على اندفاع القبح وهو قوله وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم اي انكم اذا قلتم لازواجكم
انت علي كظهر امي لا تصير هي امها باجماع الكل ◦ اما في الاسلام فلانه ظهار لا يحرم الوطي ◦ واما في الجاهلية فلانه كان طلاقا
حتى كان يجوز للزوج ان يتزوج بها من جديد ◦ فاذا كان قول القائل لزوجته انت امي او علي كظهر امي لا يوجب صيرورة الزوجة

الاحزاب

اشارة الى ان التقوى ينبغي ان يكون عن صميم قلب

انه امر بالمداومة

اما كذلك قول القائل للدعي انت ابني لا يوجب كونه ابنا فلا تصير زوجته زوجة الابن فلم يكن لاحد ان يقول في ذلك شيئا فلم
يكن خوفك من الناس له وجه كيف ولو كان امرا مخوفا لما كان يجوز ان يخاف غير الله وليس لك قلبان وقلبك مشغول بتقوى الله
فما كان ينبغي ان تخاف احدا ثم قوله تعالى ذلكم قولكم بافواهكم فيه لطيفة وهي ان الكلام المعتبر على قسمين احدهما كلام
يكون عن شيء كان فيقال والثاني كلام يقال فيكون والاول كلام الصادقين الذين يقولون ما يكون والثاني كلام الصديقين
الذين اذا قالوا شيئا جعله الله كما قالوه وكلاهما صادر عن قلب والكلام الذي يكون بالفم فحسب فهو مثل نهيق الحمار ونباح الكلب
لان الكلام المعتبر هو الذي يعتمد عليه والذي لا يكون عن قلب وروية لا اعتماد عليه والله تعالى لما اكرم ابن ادم وفضله
على سائر الحيوانات ينبغي ان يحترز عن التخلق باخلاقها فقول القائل هذا ابن فلان مع انه ليس ابنه ليس كلاما فان الكلام في الفؤاد
وهذا في الفم لا غير والطيفة هي ان الله تعالى قال ههنا ذلكم قولكم بافواهكم وقال في قوله وقالت النصارى المسيح
ابن الله ذلك قولهم بافواههم يعني نسبة الشخص الى غير الاب قول لا حقيقة له ولا يخرج عن قلب ولا يدخل ايضا في قلب فهو
قول بالفم مثل اصوات البهائم ثم قال تعالى والله يقول الحق اشارة الى معنى لطيف وهو ان العاقل ينبغي ان يكون
قوله اما عن عقل او عن شرع فاذا قال فلان ابن فلان ينبغي ان يكون عن حقيقة او يكون عن شرع بان يكون ابنه شرعا وان لم
تعلم الحقيقة كمن تزوج بامرأة فولدت لستة اشهر ولدا وكانت الزوجة من قبل زوجة شخص اخر يحتمل ان يكون الولد منه
فالحقه بالزوج الثاني لقيام الفراش ونقول انه ابنه وفي الدعي لم توجد الحقيقة ولا ورد الشرع به لانه لا يقول
الا الحق وهذا خلاف الحق لان اباه مشهور ظاهر وزوجة اخر وهؤلاء قالوا هذه زوجة الابن فتحرم وقال الله هي لك
حلال وقولهم لا اعتبار له فانه بافواههم كاصوات البهائم وقول الله حق فيجب اتباعه وهو يهدي يؤكد هذا قوله وقول
الله حق يعني يجب اتباعه لكونه حقا ولكونه هاديا وقوله ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق فيه لطيفة
وهي ان الكلام الذي بالفم فحسب يشبه اصوات البهائم ثم الذي يوجد لا عن قلب ثم ان الكلام الذي بالقلب قد يكون
يكون حقا وقد يكون باطلا لان من يقول شيئا عن اعتقاد قد يكون مطابقا فيكون حقا وقد لا يكون فيكون باطلا والقول
الذي بالقلب هو المعتبر من اقوالكم قد يكون حقا وقد يكون باطلا لانه يتبع الوجود وقول الله حق لانه يتبعه الوجود
فانه يقول عما كان او يقول فيكون فاذا قول الله خير من اقوالكم التي عن قلوبكم فكيف تكون نسبته الى اقوالكم التي بافواهكم
فاذا لا يجوز ان تاخذوا بقولكم الكاذب اللاغي وتتركوا قول الله الحق كمن يقول بان تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب لم يكن
حسنا يكون قد ترك قول الله الحق واخذ بقول خرج عن الفم ثم قال تعالى وهو يهدي السبيل اشارة الى ان اتباع ما انزل
الله خير من الاخذ بقول الفم ثم بين الهداية وقال ادعوهم لابائهم ارشادا وقال هو اقسط عند الله اي اعدل فانه وضع
الشيء في موضعه وهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون ترك الاضافة للعموم اي اعدل كل كلام كقول القائل الله اكبر وثانيهما
ان يكون ما تقدم منويا كانه قال ذلك اقسط عند الله من قولكم هو ابن فلان ثم تمم الارشاد وقال فان لم تعلموا اباءهم
فاخوانكم في الدين يعني قولوا لهم اخواننا واخو فلان فان كانوا محررين فقولوا مولى فلان ثم قال وليس عليكم جناح
فيما اخطاتم به يعني قول القائل لغيره يا بني بطريق الشفقة وقول القائل لغيره يا ابي بطريق التعظيم فانه مثل الخطا
الا ترى ان اللغو في اليمين مثل الخطا وسبق اللسان وكذلك سبق اللسان في قول القائل
ابني في السهو وقوله من غير قصد الى اثبات النسب سواء وقوله ولكن ما تعمدت قلوبكم مبتدا خبره محذوف يدل عليه
ما سبق وهو الجناح يعني ما تعمدت قلوبكم فيه جناح وكان الله غفورا رحيما يغفر الذنوب ويرحم المذنب وقد ذكرنا
كلاما شافيا في المغفرة والرحمة في مواضع ونعيد بعضها فنقول المغفرة هو ان يستر القادر القبيح الصادر ممن تحت
قدرته حتى ان العبد اذا ستر عيب سيده مخافة عقابه لا يقال انه غفر له والرحمة هو ان يميل اليه بالاحسان لعجز المرحوم
اليه لا لغرض فان من مال الى انسان قادر كالسلطان لا يقال رحمه وكذلك من احسن الى غيره رجاء في خيره او عوضا
عما صدر منه انفا من الاحسان لا يقال رحمه اذا علم هذا فالمغفرة اذا ذكرت قبل الرحمة يكون معناها انه ستر عيبه ثم راه
مقلبا عاجزا فرحمه واعطاه ما كفاه واذا ذكرت المغفرة بعد الرحمة وهو قليل يكون معناه مال اليه لعجزه فترك عقابه
ولم يقتصر عليه بل ستر ذنوبه ثم قال تعالى النبي اولى بالمؤمنين تقرير الصحة ما صدر منه عليه السلام من التزوج
بزينب فكان هذا جوابا عن سؤال وهو ان قائلا لو قال هب ان الادعياء ليسوا ابناء كما قلت لكن من سماه غيره ابنا اذا كان
لدعيه شيء حسن لا يليق بمروءته ان ياخذه منه ويطعن فيه عرفا فقال الله النبي اولى بالمؤمنين جوابا عن ذلك السؤال وتقريره
هو ان دفع الحاجات على مراتب دفع حاجة الاجانب ثم دفع حاجة الاقارب الذين على حواشي النسب ثم دفع حاجة
الاصول والفصول ثم دفع حاجة النفس والاول عرفا دون الثاني وكذلك شرعا فان العاقلة تتحمل الدية عنهم
ولا تتحملها عن الاجانب والثاني دون الثالث ايضا وهو ظاهر بدليل النفقة والثالث دون الرابع فان النفس مقدم

قوله القائل لغيره يا بني بطريق الشفقة او بطريق التعظيم

على الغير

على الغير واليه اشار النبي عليه الصلاة والسلام بقوله ابدا بنفسك ثم بمن تعول اذا علمت هذا فالانسان اذا كان معه
ما يغطي احد رجليه او يدفع به حاجة عن احد شقي بدنه فلو اخذ الغطا عن احدهما وغطى به الاخر لا يكون لاحد ان يقول
لم فعلت فضلا من ان يقول بئسما فعلت اللهم الا ان يكون احد العضوين اشرف من الاخر مثل ما اذا وقى الانسان عينه بيده
ويدفع البرد عن راسه الذي هو معدن حواسه ويترك رجله تبرد فانه الواجب عقلا فمن يعكس الامر يقال له لم فعلت
اذا تبين هذا فالنبي عليه الصلاة والسلام اولى بالمؤمن من نفسه فلو دفع المؤمن حاجة نفسه دون حاجة نبيه يكون مثله
مثل من يدهن شعره ويكشف راسه في برد مفرط قاصدا به تربية شعره ولا يعلم انه يضر به راسه الذي لا ثبات لشعره الا منه
فكذلك دفع حاجة النفس لفراغها الى عبادة الله ولا يعلم كيفية العبادة الا من الرسول فلو دفع الانسان حاجته لا للعبادة
فهو ليس دفعا للحاجة لان الدفع للحاجة ما هو دفع فوق تحصيل المصلحة وهذا ليس في مصلحة فضلا من ان تكون حاجة واذا
كان للعبادة فترك النبي الذي منه يتعلم كيفية العبادة في الحاجة ودفع حاجة النفس مثل تربية الشعر مع اهمال امر الراس فتبين
ان النبي عليه السلام اذا اراد شيئا حرم على الامة التعرض اليه في الحكمة الواضحة ثم قال وازواجه امهاتهم تقريرا اخر وهو
ان زوجة النبي عليه السلام ما جعلها الله في حكم الام الا لقطع نظر الامة عما تعلق به غرض النبي عليه الصلاة والسلام فاذا تعلق
خاطره بامراة شاركت الزوجات في التعلق فحرمت مثل ما حرمت ازواجه على غيره فان قال قائل كيف قال وازواجه امهاتهم
وقال من قبل وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم اشارة الى ان غير من ولدت لا تصير اما بوجه ولذلك قال تعالى ان
امهاتهم الا اللائي ولدنهم فنقول قوله تعالى في الاية المتقدمة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل جواب عن هذا معناه
ان الشرع مثل الحقيقة ولهذا يرجع العاقل عند تعذر اعتبار الحقيقة الى الشريعة كما ان امراتين اذا ادعت كل واحدة ولدا
بعينه ولم يكن لهما بينة وحلفت احداهما دون الاخرى يحكم لها بالولد وان تبين ان التي حلفت دون البلوغ او بكر بيقين لا يحكم لها
بالولد فعلم ان عند عدم الوصول الى الحقيقة يرجع الى الشرع لا بل في بعض المواضع على التدقيق تغلب الشريعة الحقيقة
فان الزاني لا يجعل ابا لولد الزنا اذا ثبت هذا فالشارع له الحكم فقول القائل هذا امي قول لا عن حقيقة ولا يترتب عليه حكم
واما قول الشارع حق والذي يؤيده هو ان الشارع بالحقيقة خالق فله ان يتصرف فيها الا ترى ان الام ما صارت اما الا لخلق الله
الولد في رحمها ولو خلقه في جوف غيرها لكانت الام غيرها فاذا كان هو الذي يجعل الام الحقيقي اما فله ان يسمي امراة اما
ويعطيها حكم الامومة والمعقول في جعل ازواجه امهاتنا هو ان الله تعالى جعل زوجة الاب محرمة على الابن لان الزوجة
محل الغيرة والتنازع فيها فان تزوج الابن بما كانت تحت الاب يفضي ذلك الى قطع الرحم والعقوق لكن النبي عليه السلام
اشرف واعلى درجة من الاب واولى بالارضاء فان الاب يربي في الدنيا فحسب والنبي عليه الصلاة والسلام يربي
في الدنيا والاخرة فوجب ان يكون زوجاته محرمة مثل زوجات الاباء فان قال قائل فلم لم يقل ان النبي ابوكم ويحصل هذا المعنى
او لم يقل ان ازواجه امهاتهم ... فنقول الحكمة وهو ان النبي ... واحد من الامة وجب عليه
ترك الهوى ليتزوج بها النبي عليه السلام فلو قال ابوهم لحرم عليه ازواج المؤمنين على التابيد ولانه لا يحل له
اولادهم من النساء والنفس مقدم على الاب لقوله ابدا بنفسك وكذلك لا يحتاج الى القوت لا يجب
عليه صرفه الى الاب ويجب عليه صرفه الى النبي عليه الصلاة والسلام ثم ان ازواجه هن في حكم ذوات الاب حتى لا يحرم
اولادهن على المؤمنين ولا اخواتهن ولا امهاتهن وان كان للكل حرمة في الام الحقيقية والرضاعية ثم قال تعالى
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اشارة الى الميراث وقوله الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا اشارة الى
الوصية يعني ان اوصيتم لغير الوارثين اولى وان لم توصوا فالوارثون اولى بميراثكم وبما تركتم فان قيل تعلق هذا
اي تعلق بالميراث والوصية بما ذكرت قلنا تعلق قوي خفي لا يتبين الا لمن هداه الله بنوره وهو ان النبي عليه الصلاة
والسلام في حال حياته لا يصير له مال الغير وبعد وفاته لا يصير ما له لغير ورثته والنبي عليه الصلاة والسلام
في حال حياته كان يصير له مال الغير اذا اراده ولا يصير ماله لورثته بعد وفاته كان الله تعالى عوض النبي عن قطع
ميراثه بقدرته على تملك مال الغير وعوض المؤمنين بانه ما يتركه يرجع اليهم حتى لا يكون حرج على المؤمنين في ان النبي
عليه السلام اذا اراد شيئا يصير له ثم يموت ويبقى لورثته فيفوت عليهم ولا يرجع اليهم فقال تعالى واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض يعني بينكم التوارث فيصير مال احدكم لغيره بالارث والنبي لا توارث بينه وبين اقاربه فينبغي ان يكون له
بدل هذا انه اولى في حياته بما في ايديكم الثاني هو ان الله تعالى ذكر دليلا على ان النبي عليه الصلاة والسلام اولى بالمؤمنين
وان اولي الارحام بعضهم اولى ببعض ثم اذا اراد احد بر امر صديق فيوصي له بشيء له اولى من قريبه وكانه بالوصية
قطع الارث وقال هذا مالي لا ينتقل عني الا الى من اريده فكذلك الله تعالى جعل للصديق من الدنيا ما اراده ثم ما يفضل
منه يكون لغيرهم وقوله كان ذلك في الكتاب مسطورا فيه وجهان احدهما في القران وهو اية المواريث والوصية

والنفس مقدم على الاب لقوله ابدا بنفسك

والثاني في اللوح المحفوظ ثم قال تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم الى اخر الاية وجه تعلق الاية بما
قبلها هو ان الله تعالى لما امر النبي عليه السلام بالاتقاء بقوله يا ايها النبي اتق الله واكده بالحكاية التي خشي فيها الناس كيف لا
يخشى فيها غيره وبين انه لم يرتكب امرا يوجب الخشية بقوله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم اكده بوجه آخر فقال واذ اخذنا
كانه قال اتق الله ولا تخف احدا واذكر ان الله اخذ ميثاق النبيين في انهم يبلغون رسالات الله ولا يمنعهم من ذلك خوف ولا
طمع وفيه مسائل المسئلة الاولى المراد من الميثاق المأخوذ من النبيين ارسالهم وامرهم بالتبليغ المسئلة الثانية
خص بالذكر اربعة من الانبيا وهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى لان موسى وعيسى كان لهما في زمان نبينا قوم وامة فذكرهما
احتجاجا على قومهما وابرهيم كان العرب يقولون بفضله وكانوا يتبعونه في بعض الشعاير ونوحا لانه كان اصلا
ثانيا للناس حيث وجد الخلق منه بعد الطوفان وعلى هذا لو قال قائل فادم اولى بالذكر من نوح فنقول خلق آدم كان
للعمارة ونبوته كانت مثل الارشاد للاولاد ولهذا لم يكن في زمانه اهلاك قوم ولا تعذيب واما نوح فكان مخلوقا للنبوة
وارسل للانذار ولهذا اهلك قومه واغرقوا المسئلة الثالثة في كثير من المواضع يقول الله عيسى ابن مريم
والمسيح بن مريم اشارة الى انه لا اب له اذ لو كان لوقع التعريف به وقوله واخذنا منهم ميثاقا غليظا غلظ الميثاق هو
سؤالهم عما فعلوا في الارسال كما قال تعالى ولنسئلن المرسلين وهذا لان الملك اذا ارسل رسولا وامره بشي وقبله
فهو ميثاق فاذا اعلمه بانه يسال عن حاله في افعاله واقواله يكون تغليظا للميثاق عليه حتى لا يزيد ولا ينقص في الرسالة
وعلى هذا يمكن ان يقال بان المراد من قوله تعالى وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا
غليظا هو الاخبار بانهم مسئولون عنها كما قال النبي عليه السلام كلكم راع وكلكم مسئول وكما ان الله جعل الرجال قوامين
على النسا جعل الانبيا قوامين بامور امتهم وارشادهم الى سبيل الرشاد ثم قال تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم
واعد للكافرين يعني ارسل الرسل وعاقبة المكلفين اما حساب واما عذاب لان الصادق يحاسب والكافر معذب
وهذا كما قال علي رضي الله عنه الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب وهذا مما يوجب الخوف العام فيتاكد قوله يا ايها
النبي اتق الله ثم قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم تحقيقا لما سبق من الامر بتقوى الله بحيث لا يبقى
معه خوف من احد وذلك لان في واقعة اجتماع الاحزاب واشتداد الامر على الاصحاب حيث اجتمع المشركون باسرهم
واليهود باجمعهم ونزلوا على المدينة وعمل النبي عليه السلام الخندق كان الامر في غاية الشدة والخوف بالغا الى الغاية
والله دفع القوم عنهم من غير قتال وآمنهم من الخوف فينبغي ان لا يخاف العبد غير ربه فانه كاف امره ولا يؤمن مكره
فانه قادر على ان يقهر المسلمين بالكفار مع انهم كانوا ضعفا كما قهر الكافرين بالمؤمنين مع قوتهم وشوكتهم وقوله
فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها اشارة الى ما فعل الله بهم من ارسال ريح باردة عليهم في ليلة شاتية وارسال
الملائكة وقذف الرعب في قلوبهم حتى كان البعض يلتزق بالبعض من خوف الخيل من جوف الليل والحكاية مشهورة
وقوله وكان الله بما تعملون بصيرا اشارة الى ان الله علم التجاكم الى الله ورجاكم فضل الله فنصركم على الاعدا عند
الاستعدا وهذا القهر لوجوب الخوف من الله وعدم جواز الخوف من غير الله فان قوله فارسلنا عليهم ريحا
وجنودا لم تروها اي ان الله يقضي حاجتكم وانتم لا ترونه فان كان لا يظهر لكم وجه الامن فلا تلتفتوا الى عدم ظهوره
لكم لانكم لا ترون الاشيا فلا تخافون غير الله والله بصير بما تعملون فلا تقولوا انا نفعل شيا وهو لا يبصره
فانه بكل شي بصير وقوله اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم بيان لشدة الامر وغاية الخوف وقيل
من فوقكم من جانب المشرق ومن اسفل منكم من جانب المغرب وهم اهل مكة وزاغت الابصار اي مالت عن سننها فلم تلتفت
الى العدو لكثرته وبلغت القلوب الحناجر كناية عن غاية الشدة وذلك لان القلب عند الغضب يندفع وعند
الخوف يجتمع فيتقلص فيلتزق بالحنجرة وقد يفضي الى ان يسد مخرج النفس فلا يقدر المرء يتنفس ويموت من الخوف
ومثله قوله تعالى حتى اذا بلغت التراقي وقوله وتظنون بالله الظنونا الالف واللام يمكن ان يكون بمعنى الاستغراق
مبالغة يعني يظنون كل ظن لان عند الامر العظيم كل احد يظن شيا ويمكن ان يكون المراد ظنونهم المعهودة لان المعهود
من المؤمن ظن الخير بالله كما قال عليه الصلاة والسلام ظنوا بالله خيرا ومن الكافر الظن السوء كما قال تعالى ذلك ظن
الذين كفروا وقوله ان يتبعون الا الظن فان قال قائل المصدر لا يجمع فما الفائدة في جمع الظنون فنقول
لا شك في انه منصوب على المصدر ولكن الاسم قد يجعل مصدرا كما يقال ضربته سياطا وادبته مرارا وكانه قال
ظننتم ظنا بعد ظن اي ما ثبتم على ظن والفائدة هي ان الله تعالى لو قال تظنون ظنا جاز ان يكونوا مصيبين فاذا
قال الظنونا تبين ان فيهم من كان ظنه كاذبا لان الظنون قد يكذب بعضها وقد يكذب كلها اذا كانت في امر واحد مثاله
اذا راى جمع من بعيد جسما وظنه بعضهم انه زيد واخرون انه عمرو وقوم ثالث انه بكر ثم ظهر الحق قد يكونوا مخطئين

والمرئي شجر

ينبغي ان لا يخاف العبد غير ربه فانه كاف امره

والمرئي شجر او حجر وقد يمكن ان يكون احدهم مصيبا ولا يمكن ان يكون كلهم مصيبين فقوله الظنونا افاد ان فيهم
من اخطأ الظن ولو قال تظنون بالله ظنا ما كان يفيدها ثم قال تعالى هنالك ابتلي المؤمنون اي عند ذلك
امتحن الله المؤمنين فميز الصادق من المنافق والامتحان من الله ليس للاستعلام بل لحكمة اخرى وهي ان الله تعالى عالم
بما هو عليه لكنه اراد اظهار الامر لغيره من الملائكة او الانبيا كما ان السيد اذا علم من عبده المخالفة وعزم على معاقبته
على مخالفته وعنده غيره من العبيد او غيرهم فيامره بامر عالما بانه يخالف فيتبين الامر عند الغير فتقع المعاقبة
على احسن الوجوه حيث لا يقع لاحد انه يظلم او فعله ظلم وقوله وزلزلوا اي ازعجوا وحركوا فمن ثبت منهم كان من الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبذكر الله تطمئن مرة اخرى وهم المؤمنون حقا ثم قال تعالى واذ يقول المنافقون والذين
في قلوبهم مرض من الظنون ذكرها فظن المنافقون ان ما قال الله ورسوله كان زورا ووعدهما كان غرورا حيث
قطعوا بان الغلبة واقعة واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم اي لا وجه لاقامتكم مع محمد كما يقال لا اقامة
على الذل والهوان اي لا وجه لها ويثرب اسم البقعة التي فيها المدينة فارجعوا اي عن محمد واتفقوا مع الاحزاب
تخرجوا من الاحزاب ثم السامعون عزموا على الرجوع واستاذنوه وتعللوا بان بيوتنا عورة اي فيها خلل لا يامن صاحبها
السارق على متاعه والعدو على اتباعه ثم بين تعالى كذبهم بقوله وما هي بعورة وبين قصدهم وما كمن في صدورهم
وهو الفرار وان الفرار بسبب الخوف ثم قال تعالى ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها اشارة
الى ان ذلك الفرار والرجوع ليس لحفظ البيوت لان من يفعل فعلا لغرض فاذا فاته الغرض لا يفعله كمن يبذل المال لكي لا يؤخذ
بيته فاذا اخذ منه البيت لا يبذل المال فقال الله تعالى هم قالوا ان رجوعنا عنك لحفظ بيوتنا ولو دخلها الاحزاب
واخذوها منهم لرجعوا ايضا وليس رجوعهم عنك الا بسبب كفرهم وحبهم الفتنة وقوله ولو دخلت عليهم يحتمل ان يكون
المراد المدينة ويحتمل ان يكون المراد البيوت وقوله وما تلبثوا بها يحتمل ان يكون المراد الفتنة اي ما تلبثوا بالفتنة
الا يسيرا فانها لا تزول وتكون العاقبة للمتقين ويحتمل ان يكون المراد المدينة او البيوت اي ما لبثوا بالمدينة الا يسيرا
فان المؤمنين يخرجونهم ثم قال تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله بيان لفساد سريرتهم وقبح سيرتهم لنقضهم العهود
فانهم قبل ذلك تخلفوا واظهروا عذرا وندما وذكروا ان القتال لو تهيا لهم قدما ثم هددهم بقوله وكان عهد الله مسئولا
وقوله قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل اشارة الى ان الامور مقدرة لا يمكن الفرار مما وقع عليه القرار
وما قدره الله كائن فمن امر بشي اذا خالفه يبقى في ورطة العقاب اجلا ولا ينتفع بالمخالفة عاجلا ثم قال تعالى واذا
لا تمتعون الا قليلا كانه يقول ولو فررتم منه في بيوتكم مع انه غير ممكن لما دمتم بل لا تمتعون الا قليلا فالعاقل لا يرغب في
شي قليل مع انه يفوت عليه شيا كثيرا فلا فرار لكم ولو كان لما متعتم بعد الفرار الا قليلا ثم قال تعالى قل من ذا الذي يعصمكم
من الله بيانا لما تقدم من قوله قل لن ينفعكم الفرار وقوله لا يجدون لهم من دون الله تقرير لقوله من ذا الذي يعصمكم
اي ليس لكم ولي يشفع لمحبته اياكم ولا نصير ينصركم ويدفع عنكم السوء اذا اتاكم ثم قال تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم
اي الذين يثبطون المسلمين ويقولون تعالوا الينا ولا تقاتلوا مع محمد وفيه وجهان احدهما انهم المنافقون الذين
كانوا يقولون للانصار لا تقاتلوا واسلموا محمدا الى قريش وثانيهما الذين كانوا يقولون لاهل المدينة تعالوا الينا وكونوا
معنا وهلم بمعنى تعالى واحضر ولا يجمع في لغة الحجاز ويجمع في غيرها فيقال للجماعة هلموا وللنساء هلممن وقوله تعالى
ولا ياتون الباس الا قليلا يريد الوجه الاول وهو ان المراد منهم المنافقون وهو يحتمل وجهين احدهما يأتون الباس
بمعنى يتخلفون عنكم ولا يخرجون معكم حينئذ وقوله اشحة عليكم اي بخلا حيث لا ينفقون في سبيل الله شيا وثانيهما
لا ياتون الباس معنى لا يقاتلون معكم ويتعللون عن الاشتغال بالقتال وقت الحضور معكم وقوله عليكم اي بانفسهم
وابدانهم ثم قال تعالى فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت اشارة الى غاية
جبنهم ونهاية روعهم واعلم ان البخل سببه الجبن فلما ذكر البخل ذكر سببه وهو الجبن والذي يدل عليه هو ان الجبان يبخل
بماله ولا ينفقه في سبيل الله لانه لا يتوقع الظفر فلا يرجو الغنيمة فيقول هذا انفاق لا بدل له فيتوقف فيه واما الشجاع
فيتوقع الظفر والاغتنام فيهون عليه اخراج المال في القتال طمعا فيما هو اضعاف ذلك واما بالنفس والبدن فكذلك
لان الجبان يخاف قرنه ويتصور القتل فيجبن في ترك الاقدام واما الشجاع فيحكم بالغلبة والنصر فيقدم وقوله ثم
فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة اي غلبوكم بالسنتهم وآذوكم بكلامهم يقولون نحن الذين قاتلنا وبنا انتصرتم وكسرتم
العدو وقهرتم ويطالبونكم بالقسم الاوفر من الغنيمة وكانوا من قبل راضين من الغنيمة بالاياب وقوله اشحة على الخير
قيل الخير المال ويمكن ان يقال معناه انهم قليلوا الخير في الحالتين كثيروا الشر في الوقتين في الاولى يبخلون وفي الاخرى كذلك
ثم قال اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم يعني لم يؤمنوا حقيقة وان اظهروا الايمان لفظا فاحبط الله اعمالهم

اشارة الى ان الامور مقدرة لا يمكن الفرار مما وقع عليه القرار

يعني لم يؤمنوا حقيقة وان اظهروا الايمان لفظا فاحبط الله اعمالهم التي كانوا يأتون بها مع المسلمين • وقوله وكان ذلك
على الله يسيرا مع ان كل شيء على الله يسير • اشارة الى ما يكون في نظر الناظر كما في قوله تعالى وهو اهون عليه وذلك لان الاحباط
اعدام واهدار • واعدام الاجسام اذا نظر الناظر يقول الجسم اعدامه بتفريق اجزائه فان من احرق شيئا يبقى منه رماد ودود
لانا لو ماذان فرقته الريح يبقى منه ذرات • وهذا مذهب بعض الناس والحق ان الله هو يعدم الاجسام ويعيد ما يشاء منها
واما العمل فهو في العين معدوم اذ كان يبقى حكمه واثاره فاذا لم يكن له فائدة ولا غبار فهو معدوم حقيقة وحكما
فالعمل اذا لم يثمر فهو معدوم في الحقيقة بخلاف الجسم • ثم قال تعالى يحسبون الاحزاب لم يذهبوا الى اخر الآية • اي من
غاية الجبن عند ذهابهم كانوا يودون لو كانوا في البوادي ولا يكونون بين المقاتلين مع انهم عند حضورهم كانهم غائبون
حيث لا يقاتلون كما قال تعالى ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا • ثم قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا • ثم قال تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب • لما بين حال المنافقين ذكر
حال المؤمنين وهو انهم قالوا هذا ما وعدنا الله من الابتلاء • ثم قالوا وصدق الله ورسوله وصدق الله ورسوله
في مقابلة قولهم ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا • وقولهم وصدق الله ورسوله ليس اشارة الى ما وقع فانهم كانوا يعرفون
صدق الله قبل الوقوع وانما هو اشارة الى البشارة وهو انهم قالوا هذا ما وعدنا الله وقد وقع وصدق الله في جميع
ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس • وقوله وما زادهم الا ايمانا • بوقوعه • وتسليما بوجوده • ثم قال تعالى
من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه • اشارة الى وفائهم بعهدهم الذي عاهدوا الله انهم لا يفارقون
نبيه الا بالموت • فمنهم من قضى نحبه اي قاتل حتى قتل فوفى بنذره • والنحب النذر • ومنهم من ينتظر القتال ينتظر
شهادة ووفاء بالعهد • وما بدلوا تبديلا بخلاف المنافقين فانهم قالوا لا نولي الادبار وبدلوا قولهم وولوا ادبارهم
قوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم • اي صدقوا ما وعدهم الله في الدنيا والآخرة كما صدقوا ما عندهم • ويعذب
المنافقين الذين كذبوا واخلفوا • وقوله ان شاء فيمنعهم من الايمان • او يتوب عليهم ان اراد • وانما قال ذلك حيث
لم يكن قد حصل ياس النبي من ايمانهم • وآمن منهم بعد ذلك ناس • وقوله وكان الله غفورا حيث ستر ذنبهم ورحيما
حيث رحمهم ورزقهم الايمان فيكون هذا فيمن امن بعده او يقول ويعذب المنافقين مع انه كان غفورا رحيما
لكثرة ذنبهم وتوهج بهم • ولو كان دون ذلك لغفر لهم • ثم بين بعض ما جزاهم الله على صدقهم فقال • ورد الله الذين
كفروا بغيظهم اي مع غيظهم لم يشفوا صدرا ولم يحققوا امرا • وكفى الله المؤمنين القتال اي لم يحوجهم الى القتال
وكان الله قويا غير محتاج الى قتالهم • عزيزا قادرا على استيصال الكفار واذلالهم • ثم قال وانزل الذين ظاهروهم
اي عاونوهم من اهل الكتاب وهم بنوا قريظة من صياصيهم من قلاعهم • وقذف في قلوبهم الرعب حين سلموا انفسهم
للقتل واولادهم ونساءهم للسبي • فريقا تقتلون وهم الرجال • وتأسرون فريقا وهم الصبيان والنسوان • فان قيل
هل في تقديم المفعول حيث قال فريقا تقتلون وتأخيره حيث قال وتأسرون فريقا فائدة • قلت قد اجبنا ان ما من
من القرآن الا وله فوائد • منها ما يظهر ومنها ما لا يظهر • والذي يظهر من هذا والله اعلم ان القائل يبدأ بالاهم فالاهم
والاعرف فالاعرف • والرجال كانوا هم المشهورين وكان القتل واردا عليهم والاسرى كانوا هم النساء والصغار
ولم يكونوا مشهورين • والاسر اظهر من القتل لانه يبقى فيظهر لكل احد انه اسير فقدم من المحلين ما هو اشهر على الفعل
القائم به ومن الفعلين ما هو اشهر قدمه على المحل الاخفى • فان شئنا نقول بعبارة توافق المسائل النحوية فنقول
قوله فريقا تقتلون فعل ومفعول • والاصل في الجملة الفعلية تقديم الفعل على المفعول والفاعل اما انها
جملة فعلية فلانها لو كانت اسمية لكان الواجب في فريق الرفع كانه يقول فريق منهم تقتلونهم فلما نصب كان ذلك بفعل
مضمر يفسره الظاهر • تقديره تقتلون فريقا تقتلون • والحامل على مثل هذا الكلام شدة الاهتمام ببيان المفعول
وههنا كذلك لانه تعالى لما ذكر حال الذين ظاهروهم وانه قذف في قلوبهم الرعب • فلو قال تقتلون الى ان يسمع
السامع مفعول يقتلون يكون زمان وقد يمنعه مانع فتفوته فلا يعلم انهم هم المقتولون • فاما اذا قال فريقا
مع سبق في قلوبهم الرعب الى سمعهم يستمع الى تمام الكلام • واذا كان الاول فعلا ومفعولا قدم المفعول
لفائدة عطف الجملة الثانية عليها • والاصل تقديم الفعل لزوال الموجب للتقديم اذ عرف حالهم وما يجيء بعده
يكون مصروفا اليهم • ولو قال بعد ذلك وفريقا تأسرون • فمن سمع فريقا ربما يظن انه يقال فيهم يطلقون
او لا يقدرون عليهم فكان تقديم الفعل ههنا اولى • وكذلك الكلام في قوله فانزل الذين وقوله وقذف
فان قذف الرعب قبل الانزال لان الرعب صار سببا للانزال ولكن لما كان الاكثر قدم الانزال على قذف
الرعب والله اعلم • ثم قال تعالى واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم • فيه ترتيب عجيب ما كان في المؤمنين

بل في تقديم المفعول فائدة

او لا تنكحوا

او لا تنكحوا ازواجهم بالتزوج بهم والاستيلاء عليها • ثم تملكوا ديارهم بالدخول عليهم واخذ قلاعهم ثم اموالهم التي
كانت في بيوتهم • وقوله وارضا لم تطؤوها • قيل المراد القلاع • وقيل المراد الروم وارض فارس • وقيل كل ما
يؤخذ الى يوم القيمة وكان الله على كل شيء قديرا • وارضا لم تطؤوها هو ما سيوجد بعد بني
قريظة ووجهه هو ان الله لما ملكهم تلك البلاد ووعدهم بغيرها دفع استبعاد من لا يكون توقي الاتكال على الله تعالى
وقال ليس الله بكاف عبده • ان الله على كل شيء قدير • ثم قال تعالى يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن
الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا الى قوله عظيما • وجه التعلق هو ان مكارم الاخلاق منحصرة
في شيئين • التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ولهذا اشار عليه السلام بقوله الصلاة وما ملكت ايمانكم ان الله
تعالى لما ارشد نبيه الى ما يتعلق بجانب التعظيم لله فالآية يا ايها النبي اتق الله ذكر ما يتعلق بجانب الشفقة وبدأ بالزوجات فانهن
اولى الناس بالشفقة • ولهذا قدمهن في النفقة • وفي الآية مسائل فقهية منها ان التخيير هل كان واجبا على النبي ام لا فنقول
التخيير قولا كان واجبا من غير شك لانه ابلاغ الرسالة لان الله تعالى لما قال له قل لهن صار من الرسالة • واما التخيير معنى
فمبني على ان الامر للوجوب ام لا • والظاهر انه للوجوب • ومنها ان واحدة منهن لو اختارت الفراق هل كان يصير اختيارها
فراقا • والظاهر انه لا يصير فراقا وانما تبين المختارة نفسها بابانة من جهة النبي عليه السلام لقوله تعالى فتعالين امتعكن
واسرحكن سراحا جميلا • ومنها ان واحدة منهن لو اختارت نفسها • وقلنا لا تبين الا بابانة من جهة النبي عليه الصلاة والسلام
هل كان يجب على النبي عليه السلام الطلاق ام لا • الظاهر نظرا الى منصب النبي عليه الصلاة والسلام انه كان يجب لان الخلف
الوعد من النبي غير جائز بخلاف واحد منا فانه لا يلزمه شرعا الوفا بما يعد • ومنها ان المختارة بعد البينونة هل كانت تحرم على غيره
ام لا • والظاهر انها لا تحرم والا لا يكون التخيير ممكنا لها من التمتع بزينة الدنيا • ومنها ان من اختارت الله ورسوله هل كان يحرم
على النبي طلاقها ام لا الظاهر الحرمة نظرا الى منصب الرسول عليه السلام على معنى ان النبي عليه السلام لا يباشره اصلا بمعنى انه
لو اتى به لعوتب وعوقب • وفيها لطايف • لطيفة منها تقديم اختيار الدنيا • اشارة الى ان النبي عليه السلام غير ملتفت الى جانبهن
غاية الالتفات • وكيف وهو مشغول بعبادة ربه • ومنها قوله عليه السلام اسرحكن سراحا جميلا اشارة الى ما ذكرنا فان السراح
الجميل مع التادي القوي لا يجتمع في العادة • فعلم ان النبي عليه السلام ما كان يتأثر من اختيارهن فراقه بدليل التسريح الجميل
منه • ومنها قوله وان كنتن تردن الحياة الدنيا الله اعلم ما لهن بان في اختيار النبي عليه الصلاة والسلام اختيار الله ورسوله
والدار الآخرة • وهذه الثلاثة هي الدين • وقوله اعد للمحسنات منكن اي لمن عمل صالحا منكن • وقوله تردن الله ورسوله
والدار الآخرة فيه معنى الايمان • وقوله للمحسنات لبيان الاحسان حتى تكون الآية في معنى قوله تعالى ومن يسلم وجهه لله وهو محسن
وقوله تعالى من امن وعمل صالحا • وقوله الذين امنوا وعملوا الصالحات • والاجر العظيم الكثير في الذات • الحسن في الصفات
الباقي في الاوقات • وذلك لان العظيم في الاجسام لا يطلق الا على الزائد في الطول وفي العرض وفي العمق حتى لو كان زائدا في الطول
يقال له طويل • ولو كان زائدا في العرض يقال له عريض • وكذلك العميق • فاذا وجدت الامور الثلاثة قيل عظيم • فيقال
جبل عظيم اذا كان عاليا ممتدا في الجهات • وان كان مرتفعا فحسب • يقال جبل عال اذا عرفت هذا فاجر الدنيا في ذاته قليل
وفي صفاته غير خال عن جهة قبح لما في ماكوله من الضرر والثقل وكذلك في مشروبه وغيره من اللذات وغير دائم واجر الآخرة كثير
خال عن جهات القبح دائم فهو عظيم • ثم قال تعالى يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين
لما خيرهن النبي صلى الله عليه وسلم واخترن الله ورسوله ادبهن الله وهددهن للتوقي عما يسوء النبي صلى الله عليه وسلم ويقبح بهن من الفاحشة
التي هي اصعب على الزوج من كل ما يأتي به زوجته واوعدهن بتضعيف العذاب • وفيه حكمتان • احدهما ان زوجة الغير
تعذب على الزنا لما فيه من المفاسد • وزوجة النبي تعذب ان اتت به كذلك ولايذاء قلبه والازراء بمنصبه • وعلى هذا بنات النبي
كذلك • ولان امرأة لو كانت تحت النبي عليه الصلاة والسلام واتت بفاحشة تكون قد اختارت غير النبي على النبي ويكون ذلك الغير
خيرا عندها من النبي والنبي اولى من النفس التي هي اولى من الغير فقد نزلت منصب النبي عليه السلام مرتبتين فتعذب من العذاب
ضعفين • وثانيهما ان ذلك اشارة الى شرفهن لان الحرة عذابها ضعف عذاب الامة اظهارا لشرفها • ونسبة النبي صلى الله
عليه وسلم الى غيره من الرجال نسبة السادات الى العبيد لكونه اولى بهم من انفسهم فكذلك زوجاته وقرابته اللاتي
من امهات المؤمنين • وام الشخص امرأة حاكمة عليه واجبة الطاعة • وزوجته مأمورة محكومة له وتحت طاعته
فصارت زوجة الغير بالنسبة الى زوجة النبي عليه السلام كالامة بالنسبة الى الحرة • واعلم ان قول القائل من يفعل ذلك
في قوة قوله لئن اشركت ليحبطن عملك من حيث ان ذلك ممكن الوقوع في اول النظر ولا يقع في بعض الصور جزما وفي بعض
يقع جزما من موانع فقد استراح • وفي البعض يتردد السامع بين الامرين فقوله تعالى من يأت منكن بفاحشة عندنا من القبيل
الاول فان الانبياء صان الله زوجاتهم عن الفاحشة • وقوله تعالى وكان ذلك على الله يسيرا اي ليس كونكن تحت النبي عليه السلام

لان العظيم في الاجسام لا يطلق الا على الزائد

وكونكن بزيفات جليلات مما يدفع العذاب عنكم وليس امر الله كامر الخلق حيث يتعذر عليهم تعذيب الاعزة بسبب كثرة اوليائهم
واعوانهم او شفعائهم واخوانهم ثم قال تعالى ومن يقنت منكن لله الى اخر الاية • بيانا لزيادة ثوابهن كما بين زيادة عقابهن
بقوله نؤتها اجرها مرتين في مقابلة قوله تعالى يضاعف لها العذاب ضعفين مع لطيفة وهي ان عند ايتاء الاجر ذكر المؤتي
وهو الله • وعند العذاب لم يصرح بالمعذب • فقال يضاعف اشارة الى كمال الرحمة والكرم كما ان الكريم عند النفع يظهر
نفسه وفعله • وعند الضر لا يذكر نفسه • وقوله تعالى واعتدنا لها رزقا كريما • وصف رزق الاخرة بكونه كريما
مع ان الكريم لا يكون وصفا الا للرازق • اشارة الى معنى لطيف هو ان الرزق في الدنيا مقدر على ايدي الناس التاجر
يسترزق من السوق • والمعاملين والصناع من المستعملين والملوك من الرعية والرعية منهم فالرزق في الدنيا
لا ياتي بنفسه وانما هو مسخر للغير يمسكه ويرسله الى الاغيار • واما في الاخرة فلا يكون له مرسل وممسك في الظاهر
فهو الذي ياتي بنفسه فلاجل هذا لا يوصف في الدنيا بالكريم الا الرازق • وفي الاخرة يوصف بالكريم نفس الرزق
ثم قال تعالى يا نساء النبي لستن كاحد من النساء • لما ذكر ان عذابهن ضعف عذاب غيرهن • واجرهن مثلي اجر غيرهن
صرن كالحرائر بالنسبة الى الاماء فقال لستن كاحد • ومعنى قول القائل ليس فلان كاحد الناس يعني ليس فيه مجرد
كونه انسانا بل وصفا اخص موجود فيه • وهو كونه عالما او عاملا او نسيبا او حسيبا • فان الوصف الاخص
اذا وجد لا يبقى التعريف بالاعم فان من عرف رجلا ولم يعرف منه غير كونه رجلا يقول رايت رجلا • فان عرف علمه
يقول رايت زيدا او عمرا فكذلك قوله تعالى لستن كاحد من النساء يعني فيكن غير ذلك الامر لا يوجد في غيركن وهو
كونكن امهات جميع المؤمنين • وزوجات خير المرسلين • وكما ان محمدا عليه الصلاة والسلام ليس كاحد من الرجال
كما قال عليه الصلاة والسلام لست كاحدكم كذلك قرابته اللاتي يشرفن به • وبين الزوجين نوع من الكفاءة
ثم قوله تعالى ان اتقيتن يحتمل وجهين • احدهما ان يكون متعلقا بما قبله على معنى لستن كاحد ان اتقيتن فان الاكرم
عند الله هو الاتقى • وثانيهما ان يكون متعلقا بما بعده على معنى ان اتقيتن فلا تخضعن والله تعالى لما منعهن من الفاحشة
وهي الفعل القبيح منعهن من مقدماتها وهي المحادثة مع الرجال والانقياد في الكلام للفاسق • وقوله تعالى فيطمع
الذي في قلبه مرض اي فسق • وقوله تعالى وقلن قولا معروفا • اي اذكرن الله وما تحتجن اليه من الكلام والله تعالى
لما قال فلا تخضعن بالقول ذكر بعده وقلن اشارة الى ان ذلك ليس امرا بالايذاء والمنكر بل القول المعروف عند الحاجة
هو المامور به لا غير ثم قال تعالى وقرن في بيوتكن من القرار واسقاط احد حرفي التضعيف كما قال تعالى
فظلتم تفكهون • وقيل انه من الوقار كما يقال من وعد يعد عد • وقوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية • قيل معناه
ولا تتكسرن ولا تتغنجن اي لا يكون المراد ولا تظهرن زينتهن وقوله تعالى الجاهلية الاولى • فيه وجهان • احدهما
ان المراد من كان في زمن نوح • والجاهلية الاخرى من كان بعده • وثانيهما ان هذه ليست اولى تقتضي اخرى بل معناه تبرج
الجاهلية القديمة كقول القائل • اين الجبابرة الاكاسرة الاولى • ثم قال واقمن الصلاة • يعني ليس التكليف
في النهي حتى يحصل بقوله فلا تخضعن ولا تبرجن بل فيه وفي الاوامر • فاقمن الصلاة التي هي ترك التشبيه بالجبار المتكبر
وآتين الزكاة التي هي تشبه بالكريم الرحيم • واطعن الله اي ليس التكليف منحصرا في المذكور بل كل ما امر الله به فاتين به
وكل ما نهى الله عنه فانتهين عنه • ثم قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس • يعني ليس المنتفع بتكليفكن
هو الله ولا ينتفع الله فيما تاتين به وانما نفعه لكن وامره تعالى اياكن لمصلحتكن • وقوله ليذهب عنكم الرجس
ويطهركم فيه لطيفة وهي ان الرجس قد يزول عينا ولا يطهر المحل • فقوله ليذهب عنكم الرجس اي يزيل عنكم الذنوب
ويطهركم اي يلبسكم خلع الكرامة • ثم ان الله تعالى ترك خطاب المؤنثات وخاطب بخطاب المذكرين بقوله ليذهب
عنكم الرجس ليدخل فيه نساء اهل بيته ورجالهم • واختلف الاقوال في اهل البيت • والاولى ان يقال هم اولاده
وازواجه والحسن والحسين منهم وعلي منهم لانه كان من اهل بيته بسبب معاشرته بنت النبي عليه الصلاة والسلام
وملازمته للنبي • ثم قال واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله اي القرآن والحكمة اي كلمات النبي عليه السلام اشارة
الى ما ذكرنا من ان التكاليف غير منحصرة في الصلاة والزكاة وما ذكر الله تعالى في هذه الايات فقال واذكرن ما يتلى لتعلمن
الواجبات فتاتين بها والمحرمات فتنتهين عنها ان الله كان لطيفا خبيرا • اشارة الى انه خبير بالبواطن • لطيف
بعلمه يصل الى كل شيء • ومنه اللطيف الذي يدخل في المسام الضيقة ويخرج من المسالك المسدودة ثم قال تعالى
ان المسلمين والمسلمات • لما امرهن ونهاهن بين ما يكون لهن • وذكر لهن عشر مراتب • الاولى الاسلام والانقياد
لامر الله • والثانية الايمان بما يرد به امر الله • فان المكلف اولا يفعل كما يقول له • فهذا الاسلام • فاذا قال له شيئا
وقبله صدق مقالته وصحح اعتقاده فهو ايمان ثم اعتقاده يدعوه الى الفعل الحسن والعمل الصالح فيقنت ويعبد

ولا تبرجن تبرج الجاهلين

وهو المرتبة

وهو المرتبة الثالثة المذكورة بقوله القانتين والقانتات • ثم اذا آمن وعمل صالحا كمل فيكمل غيره ويامر بالمعروف وينصح
اخاه فيصدق في كلامه عند النصيحة وهو المراد بقوله والصادقين والصادقات • ثم ان من يامر بالمعروف وينهى
عن المنكر يصيبه اذى فيصبر عليه كما قال تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك اي بسببه وهو المراد
بقوله تعالى والصابرين والصابرات • ثم انه اذا كمل وكمل قد يفتخر بنفسه ويعجب بعبادته فيمنعه منه بقوله
والخاشعين والخاشعات • او نقول لما ذكر هذه الحسنات اشار الى ما يمنع منها وهو اما حب الجاه او حب المال من الامور
الخارجية او الشهوة من الامور الداخلة والغضب منهما لكون لانه يكون بسبب نقص جاه او فوت مال او المنع من مشتهى
فقوله والخاشعات • اي المتواضعين الذين لا يميلهم الجاه عن العبادة ثم قال تعالى والمتصدقين والمتصدقات
اي الباذلين المال الذين لا يكترثونه لشدة محبتهم اياه ثم قال والصائمين والصائمات • اشارة الى الذين لا تمنعهم الشهوة
البطنية من عبادة الله ثم قال تعالى والحافظين فروجهم والحافظات اي الذين لا تمنعهم الشهوة الفرجية ثم قال تعالى
والذاكرين الله كثيرا • يعني هم في جميع هذه الاحوال يذكرون الله ويكون اسلامهم وايمانهم وقنوتهم وصدقهم وصبرهم
وخشوعهم وصدقتهم وصومهم بنية صادقة لله تعالى • واعلم ان الله تعالى في اكثر المواضع حيث ذكر الذكر قرنه بالكثرة
هاهنا • وفي قوله بعد يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال من قبل لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا
لان الاكثار من الافعال البدنية غير ممكن او عسر فان الانسان اكله وشربه وتحصيل ماكوله ومشروبه يمنعه من ان يشتغل
دائما بالصلاة ولكن لا مانع له من ان يذكر الله تعالى وهو آكل ويذكره وهو شارب او ماش او بائع او شار • والى هذا اشار
بقوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم • ولان جميع الاعمال صحتها بذكر الله تعالى وهي النية • ثم قال تعالى
وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا • قيل ان الاية نزلت في زينب بنت جحش حيث اراد النبي عليه السلام تزويجها من زيد
ابن حارثة فكرهت الا النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك اخوها امتنع فنزلت الاية فرضيا به • والوجه ان يقال ان الله تعالى
لما امر نبيه بان يقول لازواجه انهن مخيرات فهم منه ان النبي عليه السلام لا يريد ضرر الغير • فمن كان ميله الى شيء يمكنه النبي من ذلك
ويترك النبي حق نفسه لحظ غيره فقال في هذه الاية لا ينبغي لظان ان يظن ان هوى نفسه متبعه وان زمام الاختيار
بيد الانسان كما في الزوجات بل ليس لمؤمن ولا مؤمنة ان يكون له اختيار عند حكم الله فما امر الله هو المتبع وما اراد النبي هو
الحق ومن خالفهما في شيء فقد ضل ضلالا مبينا لان الله هو المقصد والنبي هو الهادي الموصل • فمن ترك المقصد ولم يسمع
قول الهادي فهو ضال قطعا ثم قال تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه وهو زيد انعم الله عليه بالاسلام
وانعم الله عليه بالتحرير والاعتاق امسك عليك زوجك هم زيد بطلاق زينب فقال له النبي عليه السلام امسك
اي لا تطلقها واتق الله قيل في الطلاق • وقيل في الشكوى من زينب • فان زيدا قال انها تتكبر علي بسبب النسب
وعدم الكفاءة • وتخفي في نفسك ما الله مبديه من انك مريد للتزوج بزينب وتخشى الناس من ان يقولوا اخذ
زوجة الغير او الابن والله احق ان تخشاه ليس اشارة الى ان النبي عليه السلام خشي الناس ولم يخش الله بل المعنى
احق ان تخشاه وحده ولا تخش احدا معه وانت تخشاه وتخشى الناس ايضا فاجعل الخشية واحدة كما قال تعالى
الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله ثم قال تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها
اي لما طلقها زيد وانقضت عدتها • وذلك لان الزوجة ما دامت في نكاح الزوج فهي تدفع حاجته وهو محتاج
اليها فلم يقض منها الوطر بالكلية ولم يستغن • وكذلك اذا كانت في العدة له بها تعلق لامكان شغل الرحم
فلم يقض منها بعد وطره واما اذا طلق وانقضت عدتها استغنى عنها ولم يبق له معها تعلق فيقضي منها الوطر
~~ولم يبق له معها تعلق فيقضي منها الوطر~~ • وهذا موافق لما في الشرع لان التزوج بزوجة الغير او بمعتدته
لا يجوز • فلهذا قال فلما قضى • وكذلك قوله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا
منهن وطرا اذا طلقوهن وانقضت عدتهن • وفيه اشارة الى ان التزوج من النبي عليه السلام لم يكن لقضاء
شهوة النبي عليه السلام بل لبيان الشريعة بفعله فان الشرع يستفاد من فعل النبي عليه السلام وقوله ثم قال
وكان امر الله مفعولا اي مقضيا ما قضاه كائن • ثم بين ان تزوجه عليه السلام بها مع انه كان مبينا للشرع
مشتملا على فائدة كان خاليا عن المفاسد فقال ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا
من قبل يعني كل شرع من تقدمه كذلك كان تزوج الانبياء بنسوة كثيرة ابكار ومطلقات الغير وكان امر الله قدرا
مقدورا اي كل شيء بقضاء وقدر والقدر والتقدير • وبين المفعول والمقدور فرق يقول بين القضاء والقدر
فالقضاء ما كان مقصودا في الاصل والقدر ما يكون تابعا له • مثاله من كان يقصد مدينة فنزل في طريق
تلك المدينة بخان او قرية يصح منه في العرف ان يقول في الجواب لمن يقول لم جئت الى هذه القرية اني ما جئت الى هذه

فان زيدا قال انها تتكبر علي بسبب النسب وعدم الكفاءة

القرية وانما قصدي المدينة الفلانية وهذه وقعت في طريقي • وان كان تعذ جاهها ودخلها اذا عرفت هذا فان
الخير كله بقضا وما في العالم من الضرر بقدر فالله تعالى خلق المكلف بحيث يشتهي ويغضب ليكون اجتهاده في تغليب
العقل والدين عليهما مثابا عليه بالغ وجه فافضى ذلك في بعض الحال زنا وقتل • فالله لم يخلقهما فيه مقصودا
منه القتل والزنا • وان كان ذلك بقدر الله اذا علمت هذا ففي قوله تعالى وكان امر الله قدرا مقدورا
لطيفة وهي انه تعالى لما قال وكان امر الله مفعولا اي تزويجنا زينب اياك كان مقصودا متبوعا مقضيا مراعى
ولما قال سنة الله في الذين خلوا اشارة الى قصة داود حيث فتن بامراة اوريا قال وكان امر الله قدرا مقدورا
اي كان ذلك حكما تبعيا • فان قال قائل هذا قول المعتزلة بالتولد والفلاسفة بوجوب كون الاشيا على وجوه
مثل كون النار تحرق حيث قالوا ان الله تعالى اراد ان يخلق ما ينضج الاشيا وهو لا يكون الا محرقا بالطبع • فخلق النار
للنفع فوقع اتفاق اسباب توجب احتراق دار زيد ودار عمرو فنقول معاذ الله ان نقول بان الله غير مختار
في فعاله او يقع شي لا باختياره ولكن اهل السنة يقولون اجرى الله عادته بكذا اي له ان يخلق النار بحيث
عند انضاج اللحم ينضج وعند مساس ثوب العجوز لا تحرق • الا ترى انها لم تحرق ابرهيم مع قوتها وكثرتها لكن خلقها
على غير ذلك الوجه لمحض ارادته او لحكمة خفية ولا يسال عما يفعل فنقول ما كان في مجرى عادته تعالى
على وجه تدركه العقول البشرية نقول بقضاء وما يكون على وجه يقع العقل قاصرا نقول لم كان ولماذا لم يكن على
خلافه نقول بقدر ثم بين الذين خلوا بقوله الذين يبلغون رسالات الله يعني كانوا هم ايضا مثلك رسلا ثم ذكر بحالهم
انهم جردوا الخشية ووحدوها بقوله ولا يخشون احدا الا الله فصار كقوله فبهداهم اقتده وقوله وكفى بالله حسيبا
اي محاسبا فلا تخش غيره او محسوبا فلا تلتفت الى غيره ولا تجعله في حسابك • ثم قال تعالى ما كان محمد ابا احد من
رجالكم لما بين الله ما في تزويج النبي عليه السلام بزينب من الفوايد بين انه كان خاليا من وجوه المفاسد وذلك
لان ما كان يتوهم من المفسدة كان منحصرا في التزوج بزوجة الابن وانه غير جائز فقال الله تعالى ان زيدا لم يكن ابنا
لا بل احد من الرجال لم يكن ابن محمد فان قال قائل النبي كان ابا احد من الرجال لان الرجال اسم الذكر من اولاد آدم قال تعالى
فان كانوا اخوة رجالا ونسا والصبي داخل فيه فنقول الجواب عنه من وجهين • احدهما ان الرجل في الاستعمال
يدخل في مفهومه الكبر والبلوغ ولم يكن للنبي عليه السلام ابن كبير يقال انه رجل • والثاني انه قال من رجالكم
ووقت الخطاب لم يكن له ولد ذكر • ثم انه تعالى لما نفى كونه ابا عقبه بما يدل على ثبوت كل ما هو في حكم الابوة من بعض
الوجوه فقال ولكن رسول الله فان الرسول كالاب للامة في الشفقة من جانبه • وفي التعظيم من طرفهم بل اقوى فان
النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم والاب ليس كذلك • ثم بين ما يفيد زيادة الشفقة من جانبه والتعظيم من جهتهم وهو قوله
وخاتم النبيين وذلك لان النبي الذي يكون بعده نبي ان ترك شيئا من النصيحة والبيان يستدركه من ياتي • واما من لا نبي بعده
يكون اشفق على امته واهدى لهم واجدى بالتعظيم اذ هو كالولد الذي ليس لغيره من احد • وقوله وكان الله بكل شي عليما
يعني علمه بكل شي دخل فيه ان لا نبي بعده فعلم ان من الحكمة اكمال شرع محمد عليه الصلاة والسلام بتزوجه بزوجة دعيه تكميلا للشرع
وذلك من حيث ان قول النبي عليه الصلاة والسلام يفيد شرعا لكن اذا امتنع هو عنه يبقى في بعض النفوس نفرة الا انه ذكر بقوله
ما فهم منه حل اكل الضب • ثم لما لم ياكله بقي في النفوس شي ولما اكل لحم الجمل طاب اكله مع انه في بعض الملل لا يوكل وكذلك
الارنب ثم قال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا • وجه تعلق الاية بما قبلها هو ان السورة اصلها ومبناها
على تاديب النبي عليه السلام وقد ذكرنا ان الله تعالى بدا بذكر ما ينبغي ان يكون عليه النبي عليه السلام مع الله وهو التقوى
وذكر ما ينبغي ان يكون عليه النبي عليه السلام مع اهله واقاربه بقوله يا ايها النبي قل لازواجك والله تعالى يامر عباده
المؤمنين بما يامر به انبياءه المرسلين فارشد عباده كما ادب نبيه وبدا بما يتعلق بجانبه من التعظيم وقال يا ايها الذين امنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا كما قال تعالى لنبيه يا ايها النبي اتق الله ثم ههنا لطيفة وهي ان المومن قد ينسى ذكر الله فامر
بدوام الذكر • اما النبي لكونه من المقربين لا ينسى ولكن قد يغتر المقرب من الملك بقربه منه فيقل خوفه فقال اتق الله
فان المخلص على خطر عظيم • وحسنة الاولياء سيئة الانبياء وقوله ذكرا كثيرا قد ذكرنا ان الله في كثير من المواضع لما
ذكر الذكر وصفه بالكثرة اذ لا مانع من الذكر على ما بينا وقوله تعالى وسبحوه بكرة واصيلا • اي اذا ذكرتموه ينبغي
ان يكون ذكركم اياه على وجه التعظيم والتنزيه عن كل سوء وهو المراد بالتسبيح • وقيل المراد منه الصلاة • ويقال الصلاة
تسبيحة وبكرة واصيلا اشارة الى المداومة وذلك لان مريد العموم قد يذكر الطرفين ويفهم منهما الوسط كقوله
عليه السلام لو ان اولكم واخركم ولم يذكر الوسط وفهم منه المبالغة في العموم ثم قال تعالى هو الذي
يصلي عليكم يعني هو يصلي عليكم ويرحمكم وانتم لا تذكرونه فذكر صلاته تحريضا للمومنين على الذكر والتسبيح ليرحمكم

فان المخلص على خطر عظيم
وحسنة الاولياء سيئة الانبيا

من الظلمات

من الظلمات الى النور وفيه بحث وهو ان الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار • فقد استعمل اللفظ المشترك بجوازه
استعماله في معنييه معا • وكذلك الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ جايز ونسب هذا القول الى الشافعي رضي الله عنه وهو
غير بعيد • وان اراد الفرق [illegible] نقول الرحمة والاستغفار يشتركان في العناية بحال المرحوم والمستغفر
له • والمراد هو القدر المشترك فتكون الدلالة تضمنية لكون العناية جزءا منهما • وكان بالمومنين رحيما بشارة لجميع المومنين
واشارة الى ان قوله يصلي عليكم غير مختص بالسامعين وقت الوحي • قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام لما بين عنايته
الله في الاولى بين عنايته في الاخرة • وذكر السلام لانه هو الدليل على الخيرات فان من لقي غيره وسلم دل على المصافاة
بينهما وان لم يسلم دل على المنافرة • وقوله يوم يلقونه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ثم قال واعد لهم اجرا كريما [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] والله يعلم حاله في الدنيا واحسن الرحمة كما قال تعالى هو
الذي يصلي عليكم وملائكته وقال وكان بالمومنين رحيما • [illegible]
[illegible] • وانواع الاكرام • ثم قال تعالى يا ايها النبي انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا قد ذكرنا ان السورة فيها تاديب النبي عليه الصلاة والسلام من ربه فقوله
تعالى في ابتدائها يا ايها النبي اتق الله اشارة الى ما ينبغي ان يكون عليه مع الله • وقوله يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا اشارة الى ما ينبغي ان يكون عليه مع عامة الخلق • وقوله تعالى شاهدا يحتمل وجوها • احدها انه شاهد
على الخلق يوم القيمة كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا • وعلى هذا فالنبي بعث شاهدا اي متحملا للشهادة
ويكون في الاخرة شهيدا اي مؤديا لما تحمله • وثانيها انه شاهد انه لا اله الا الله وعلى هذا لطيفة وهو ان الله
جعل النبي شاهدا على الوحدانية • والشاهد لا يكون مدعيا • فالله تعالى لم يجعل النبي في مسئلة الوحدانية
مدعيا لها لان المدعي من يقول شيئا على خلاف الظاهر • والوحدانية اظهر من الشمس والنبي عليه السلام لما ادعى النبوة
جعل نفسه شاهدا له في مجازاة كونه شاهدا لله تعالى فقال تعالى والله يشهد انك لرسوله • وثالثها
انه شاهد في الدنيا باحوال الاخرة من الجنة والنار والميزان والصراط • وشاهد في الاخرة باحوال الدنيا
بالطاعة والمعصية والصلاح والفساد وقوله ومبشرا ونذيرا وداعيا فيه ترتيب حسن وذلك من حيث ان النبي
عليه السلام ارسل شاهدا يقول لا اله الا الله ويرغب في البشارة فان لم يكف ذلك يرهب بالانذار ثم لا يكتفي
بقولهم لا اله الا الله بل يدعوهم الى سبيل الله كما قال تعالى ادع الى سبيل ربك • وقوله سراجا منيرا اي مبرهنا على
ما يقول مظهرا له باوضح الحجج وهو المراد بقوله تعالى والموعظة الحسنة • وفيه لطايف • احدها قوله تعالى
وداعيا الى الله باذنه حيث لم يقل وشاهدا باذنه ولا مبشرا باذنه • وعند الدعا قال وداعيا باذنه وذلك لان
من يقول عن ملك انه ملك الدنيا لا ملك غيره لا يحتاج فيه الى اذن منه لانه وصفه بما فيه وكذلك اذا قال
من يطيعه يسعد ومن يعصيه يشقى يكون مبشرا ونذيرا ولا يحتاج الى اذن من الملك في ذلك • واما اذا قال تعالوا
الى سماطه واحضروا على خوانه يحتاج فيه الى اذنه فقال تعالى وداعيا الى الله باذنه • ووجه اخر وهو
ان المتنبي يقول اني ادعو الى الله • والولي يدعو الى الله • والاول لا اذن له فيه من احد • والثاني ماذون من جهة
النبي عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى قل هذه سبيلي ادعوا الى الله انا ومن اتبعني وقال عليه الصلاة والسلام
رحم الله عبدا سمع مقالتي فاداها كما سمعها • والنبي عليه السلام هو الماذون من الله في الدنيا اليه من غير واسطة
اللطيفة الثانية قال في حق النبي عليه السلام سراجا ولم يقل انه شمس مع انه اشد اضاءة من السراج لفوايد
منها ان الشمس نورها لا يوخذ منه شي والسراج يوخذ منه انوار كثيرة اذا انطفى الاول يبقى الذي اخذ منه
وكذلك ان غاب والنبي عليه السلام كذلك كان كل صحابي اخذ منه نور الهداية كما قال عليه الصلاة والسلام
اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم • وفي الخبر لطيفة وان كانت ليست من التفسير ولكن الكلام يجر الكلام

انه شاهد في الدنيا باحوال الاخرة من الجنة

وهي ان النبي عليه الصلاة والسلام لم يجعل صحابه كالسرج وجعلهم كالنجوم لان النجم لا يؤخذ منه نور بل
له في نفسه نور اذا غرب لا يبقى نور مستفاد منه. وكذلك الصحابي اذا مات فالتابعي يستنير بنور النبي
عليه السلام لا يأخذ منه الا قول النبي عليه السلام وفعله فانوار المجتهدين كلهم من النبي عليه السلام. ولو جعلهم
كالسرج والنبي عليه السلام ايضا سراج كان للمجتهد ان يستنير بمن اراد منهم ويأخذ النور ممن اختار وليس كذلك
فان مع نص النبي عليه السلام لا يعمل بقول الصحابي فيؤخذ من النبي النور ولا يؤخذ من الصحابي فلم يجعله
سراجا. وهذا يوجب ضعفا في حديث سراج الامة. والمحدثون ذكروا في تفسير السراج وجها اخر وهو
ان المراد منه القرآن. وتقديره انا ارسلناك وسراجا منيرا عطفا على محل الكاف اي وارسلنا سراجا منيرا
وعلى قولنا انه عطف على مبشرا ونذيرا يكون معناه وذا سراج لان الحال لا يكون الا وصفا للفاعل او المفعول
والسراج ليس وصفا فان النبي عليه السلام لم يكن سراجا حقيقة ويكون كقول القائل رأيته اسدا اي شجاعا
فقوله سراجا اي هاديا مبينا كالسراج يرى الطريق ويبين الامر. وقوله تعالى وبشر المؤمنين عطف على مفهوم
تقديره انا ارسلناك شاهدا ومبشرا فاشهد وبشر ولم يذكر فاشهد للاستغناء عنه. واما البشارة ذكرت لانه
للكريم ولانها غير واجبة لولا الامر. وقوله تعالى بان لهم من الله فضلا كبيرا وهو مثل قوله تعالى اجرا عظيما
والعظيم والكبير متقاربان وكونه من الله كبيرا فكيف اذا كان مع ذلك كبيرا مرة اخرى. وقوله تعالى ولا تطع الكافرين
والمنافقين اشارة الى الانذار يعني خالفهم ورد عليهم وعلى هذا فقوله تعالى ودع اذاهم اي دعه الى الله فانه
يعذبهم بايديكم وبالنار ويبين هذا قوله تعالى وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا الله كاف عبده قال بعض المعتزلة
لا يجوز تسمية الله بالوكيل لان الوكيل ادون من الموكل. وقوله تعالى وكفى بالله وكيلا حجة عليه وشبهته واهية
من حيث ان الوكيل قد يوكل للترفع وقد يوكل للعجز. والله وكيل عباده لعجزهم عن التصرف. وقوله تعالى وكفى
بالله وكيلا يتبين اذا نظرت في الامور التي لاجلها لا يكفي الوكيل الواحد منها ان لا يكون قويا قادرا على العمل كالملك
الكثير الاشتغال يحتاج الى وكلاء لعجز الواحد عن القيام بجميع اشغاله. ومنها ان لا يكون عالما بما فيه التوكل ومنها
انه لا يكون وكيلا امينا والله عالم قادر غير محتاج فكفى وكيلا. ثم قال تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات
ثم طلقتموهن الخ. وجه تعلق الاية بما قبلها هو ان الله تعالى في هذه السورة ذكر مكارم الاخلاق وادب نبيه
على ما ذكرناه لكن الله تعالى امر عباده المؤمنين بما امر به نبيه المرسل فكلما ذكر للنبي مكرمة واعلمه ادبا ذكر للمؤمنين
ما يناسبه. فكما بدأ الله تعالى في تاديب النبي بذكر ما يتعلق بجانب الله بقوله يا ايها النبي اتق الله وثنى بما
يتعلق بجانب من تحت يده من ازواجه بقوله بعده يا ايها النبي قل لازواجك. وثلث بما يتعلق بجانب العامة بقوله
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا كذلك بدأ في ارشاد المؤمنين بما يتعلق بجانب الله فقال يا ايها الذين
امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا. ثم ثنى بما يتعلق بجانب من تحت ايديهم بقوله يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات
ثم كما ثلث في تاديب النبي صلى الله عليه وسلم بجانب الامة ثلث في حق المؤمنين بما يتعلق بجانب نبيهم فقال بعد هذا
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي. وبقوله يا ايها الذين امنوا صلوا عليه. وفي الاية مسائل المسئلة الاولى
اذا كان الامر على ما ذكرت من ان هذا ارشاد الى ما يتعلق بجانب من هو خواص المرء فلم خص المطلقات اللاتي طلقن
قبل المسيس بالذكر فنقول هذا ارشاد الى اعلى درجات المكرمات لتعلم منها ما دونها. وبيانه هو ان المرأة
اذا طلقت قبل المسيس لم يحصل بينهما تأكد العهد ولهذا قال الله تعالى في حق الممسوسة وكيف تأخذونه
وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا. واذا امر الله تعالى بالتمتيع والاحسان مع من لا مودة
بينه وبينها فما ظنك بمن حصلت المودة بالنسبة اليها بالافضاء او حصل تأكدها بحصول الولد منهما. والقرآن في
الحجم صغير ولكن لو استنبط معانيه لا تفي بها الاقلام ولا تكفي لها الاوراق وهذا مثل قوله تعالى ولا تقل لهما اف
لو قال لا تضربهما ولا تشتمهما ظن انه حرام لمعنى مختص بالضرب او الشتم اما اذا قال لا تقل لهما اف علم منهما معان كثيرة. وكذلك
ها هنا لما امر بالاحسان مع من لا مودة معها علم منه الاحسان مع الممسوسة ومن لم يطلق بعد ومن ولدت عنده منه
وقوله اذا نكحتم المؤمنات تخصيص بالذكر ارشادا الى ان المؤمن ينبغي ان ينكح المؤمنة فانها اشد تحصينا لدينه
وقوله ثم طلقتموهن يمكن التمسك به في ان تعليق الطلاق بالنكاح لا يصح لان التطليق حينئذ لا يكون بعد النكاح والله تعالى
ذكره بكلمة ثم وهي للتراخي وقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها بين ان العدة فيها حق الزوج غالب وان كان لا يسقط
باسقاطه لما فيه من حق الله تعالى. وقوله تعتدونها اي تستوفون انتم عددها فمتعوهن قيل انه مختص بالمفوضة
التي لا مسمى لها اذا طلقت قبل المسيس وجب لها المتعة. وقيل انه عام. وعلى هذا فهو امر وجوب او امر ندب

ان الله تعالى في هذه السورة ذكر مكارم الاخلاق

لا تقل مع

اختلف العلماء

اختلف العلماء فيه فمنهم من قال بالوجوب فيجب مع نصف المهر المتعة ايضا. ومنهم من قال بالاستحباب فيستحب ان يمتعها
مع الصداق بشيء. وقوله تعالى وسرحوهن سراحا جميلا. الجمال في التسريح ان لا يطالبها بما اتاها. ثم قال تعالى
يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات
خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك. ذكر للنبي عليه السلام ما هو الاولى فان الزوجة التي اوتيت مهرها اطيب
قلبا من التي لم تؤت. والمملوكة التي سباها الرجل بنفسه اطهر من التي اشتراها الرجل لانها لا يدرى كيف حالها. ومن
هاجرت من اقارب النبي عليه السلام معه اشرف من التي لم تهاجر. ومن الناس من قال بان النبي عليه السلام كان يجب عليه
اعطاء المهر اولا. وذلك لان المرأة لها الامتناع الى ان تأخذ مهرها. والنبي عليه الصلاة والسلام ما كان يستوفي ما لا
يجب له. والوطء قبل ايتاء الصداق غير مستحق وان كان حلالا لنا. فكيف والنبي صلى الله عليه وسلم اذا طلب شيئا حرم الامتناع
على المطلوب. والظاهر ان الطالب في المرة الواحدة الاولى انما يكون هو الرجل لحياء المرأة. فلو طلب النبي عليه السلام
من المرأة التمكين قبل المهر للزم ان يجب وان لا يجب وهو محال ولا كذلك احدنا وقال يؤكد هذا قوله تعالى وامرأة مؤمنة
ان وهبت نفسها للنبي يعني حيث لا يبقى لها صداق فتصير كالمستوفية مهرها. وقوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها
اشارة الى ان هبتها نفسها لا بد معها من قبول. وقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين. قال الشافعي
رضي الله عنه بالهبة وحصول التزويج بلفظها من خواصك. وقال ابو حنيفة رضي الله عنه تلك المرأة صارت
خالصة لك زوجة ومن امهات المؤمنين لا تحل لغيرك ابدا والترجيح يمكن ان يقال بان على هذا فالتخصيص
بالواهبة لا فائدة فيه فان ازواجه كلهن خالصات له وعلى ما ذكرنا يتبين للتخصيص فائدة. وقوله تعالى
قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم معناه ان ما ذكرنا فرضك وحكمك مع نسائك. واما حكم
امتك فعندنا علمه ونبينه لهم وانما ذكر هذا لئلا يحمل واحد من المؤمنين نفسه على ما كان للنبي عليه الصلاة والسلام
فان له في النكاح خصائص ليس لغيره. وكذلك في السراري. وقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما يغفر الذنوب
جميعا ويرحم العبيد. ثم قال تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء. لما بين انه احل له ما ذكر من الازواج
بين انه احل له وجوه المعاشرة بهن حتى يجمع كيف يشاء ولا يجب عليه القسم وذلك لان النبي عليه السلام بالنسبة
الى امته نسبة السيد المطاع. والرجل وان لم يكن نبيا فالزوجة في ملك نكاحه والنكاح عليها رق فكيف زوجات
النبي عليه السلام بالنسبة اليه فاذا هن كالمملوكات له ولا يجب القسم بين المملوكات. والارجاء التاخير. والايواء
الضم. ومن ابتغيت ممن عزلت. يعني اذا طلبت من كنت تركتها فلا جناح عليك في شيء من ذلك. ومن قال بان القسم
كان واجبا مع انه ضعيف بالنسبة الى المفهوم من الاية قال المراد ترجي من تشاء اي تؤخرهن اذا شئت اذ لا يجب القسم
في الاول. وللزوج ان لا ينام عند احد منهن وان ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك في ذلك. فالابتداء بمن شئت. وتتم الدور
والاول اقوى. ثم قال تعالى ذلك ادنى ان تقر اعينهن يعني اذا لم يجب عليك القسم تقر اعينهن لتسويتك بينهن ولا يحزن
بخلاف ما لو وجب عليك ذلك فليلة تكون عند احداهن تقول ما جاء في لهوى قلبه انما جاء لامر الله وايجابه عليه ويرضين
بما اتيتهن من الايواء والارجاء اذ ليس لهن عليك شيء حتى لم يرضين. ثم قال تعالى والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما
حليما. اي ان اضمرن خلاف ما اظهرن. فالله يعلم ضمائر القلوب فانه عليم وان لم يعاتبهن في الحال فلا يغترون
فانه حليم لا يعجل. ثم قال تعالى لا يحل لك النساء من بعد. لما لم يوجب الله على نبيه القسم وامره بتخييرهن فاخترن
الله ورسوله ذكر لهن ما جازاهن من تحريم غيرهن على النبي عليه السلام ومنعه من طلاقهن بقوله ولا ان تبدل
بهن. وفيه مسائل المسئلة الاولى قوله لا يحل لك النساء من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما
تؤتيهن من الوصل والهجران. والنقص والحرمان. المسئلة الثانية قوله ولا ان تبدل بهن يفيد حرمة طلا[ق]
لو كان جائزا لجاز ان يطلق الكل وبعدهن اما ان يتزوج بغيرهن او لا يتزوج فان لم يتزوج يدخل في زمرة العزاب
والنكاح فضيلة لا يتركها النبي وكيف وهو يقول النكاح سنتي وان تزوج بغيرهن فيكون قد تبدل بهن وهو ممنوع
من التبدل. المسئلة الثالثة من المفسرين من قال ان الاية ليست فيها تحريم غيرهن ولا المنع من طلاقهن بل المعنى
انه لا يحل لك النساء غير اللاتي ذكرن لك من المؤمنات المهاجرات من بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك
واما غيرهن من الكتابيات فلا يحل لك التزوج بهن. وقوله ولا ان تبدل بهن منع مما كان في الجاهلية فانهم كانوا
يتبادلون زوجة بزوجة. فينزل احدهم عن زوجته ويأخذ زوجة صديقه ويعطيه زوجته. وعلى التفسيرين
وقع حذف في مسئلتين احداهما حرمة طلاق ازواجه والثانية حرمة تزوج الكتابيات. فمن فسر على
الاول حرم الطلاق. ومن فسر على الثاني حرم التزوج بالكتابيات. المسئلة الرابعة قوله ولو اعجبك حسنهن

فانه تعالى يعلم ضمائر القلوب فانه عليم وان لم يعاتبهن في الحال

أي حسن النسا قال الزمخشري قوله ولو اعجبك في معنى الحال ولا يجوز ان يكون ذو الحال قوله من ازواج لغاية التنكير
فيه وذو الحال لا يحسن ان يكون نكرة فاذا هو النبي عليه السلام يعني لا يحل لك النسا ولا ان تبدل بهن من ازواج وان
تعجب حسنهن **المسئلة الخامسة** ظاهر هذا ناسخ لما كان قد ثبت له عليه السلام من انه اذا راى واحدة فوقعت في قلبه
موقعا كانت تحرم على الزوج ويجب عليه طلاقها وهذه المسئلة حكمية وهي ان النبي عليه السلام وساير الانبيا في اول النبوة
تشتد عليهم برحا الوحي ثم يستانسون به فينزل عليهم وهم يتحدثون مع اصحابهم لا يمنعهم من ذلك مانع ففي اول الامر
احل الله له من وقع في قلبه تفريغا لقلبه وتوسعا لصدره لئلا يكون مشغول القلب بغير الله ثم لما استانس بالوحي ومن
على لسانه الوحي نسخ ذلك اما لقوته عليه السلام للجمع بين الامرين واما لانه بدوام الانزال لم يبق له مالوف من
امور الدنيا فلم يبق له التفات الى غير الله فلم يبق له حاجة الى احلال التزوج بمن وقع بصره عليها **المسئلة السادسة**
اختلف العلما في ان تحريم النسا عليه هل نسخ ام لا فقال الشافعي نسخ وقد قالت عايشة رضي الله عنها ما مات النبي صلى الله عليه وسلم
الا واحل له النسا وعلى هذا فالناسخ قوله يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الى ان قال وبنات عمك وقال وامراة مومنة
على قول من يقول لا يجوز نسخ الكتاب بخبر الواحد اذ الناسخ غير متواتر ان كان خبرا ثم قال تعالى الا ما ملكت يمينك لم يحرم
عليه المملوكات لان الابتلا لا يحصل بالمملوكة ولهذا لم يجز للرجل ان يجمع بين ضرتين في بيت لحصول التسوية بينهما وامكان
المخاصمة ويجوز ان يجمع بين الزوجة وجمع من المملوكات لعدم التساوي بينهن ولهذا لا قسم لهن على احد ثم قال تعالى
وكان الله على كل شي رقيبا اي حافظا عالما بكل شي قادرا عليه لان الحفظ لا يحصل الا بهما **ثم قال تعالى** يا ايها الذين
امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه لما ذكر الله تعالى في الندا الثالث يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا بيانا لحاله مع امته العامة قال للمومنين في هذا الندا لا تدخلوا ارشادا لهم وبيانا لحالهم
مع النبي عليه السلام من الاحترام ثم ان حال الامة مع النبي عليه السلام على وجهين احدهما في حال الخلوة والواجب
هناك عدم ازعاجه وبين ذلك بقوله لا تدخلوا بيوت النبي وثانيهما في الملا والواجب هناك اظهار التعظيم كما قال
تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما **وقوله** الى طعام غير ناظرين اي لا تدخلوا بيوت النبي الى طعام الا ان
يوذن لكم **ثم قال** ولكن اذا دعيتم فادخلوا كما بين في حال النبي انه داع الى الله بقوله وداعيا الى الله فالهاهنا لا تدخلوا
اذا دعيتم يعني كما انكم ما دخلتم الدين الا بدعايه وكذلك لا تدخلوا عليه الا بعد دعايه **وقوله** غير ناظرين منصوب
على الحال والعامل فيه على ما قاله الزمخشري لا تدخلوا قال وتقديره لا تدخلوا بيوت النبي الا ماذونين غير ناظرين
وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** قوله الا ان يوذن لكم الى طعام اما ان يكون فيه تقديم وتاخير تقديره لا تدخلوا الى طعام
الا ان يوذن لكم فلا يكون منعا من الدخول في غير وقت الطعام بغير الاذن واما ان لا يكون فيه تقديم وتاخير فيكون
معناه ولا تدخلوا الا ان يوذن لكم الى الطعام فيكون الاذن مشروطا بكونه الى الطعام فان لم يوذن الى الطعام فلا يجوز
الدخول فلو اذن لواحد في الدخول لاستماع كلام لا لاكل طعام لا يجوز نقول المراد هو الثاني ليعم النهي عن الدخول ولما
قوله فلا يجوز الا باذن الى الطعام نقول قال الزمخشري الخطاب مع قوم كانوا يتحينون حين الطعام ويدخلون من غير
اذن فمنعوا من الدخول في وقتهم بغير اذن والاولى ان يقال المراد هو الثاني لان التقديم والتاخير خلاف الاصل
وقوله الى طعام من باب التخصيص بالذكر فلا يدل على نفي ما عداه لا سيما اذا علم ان غيره مثله فان من جاز دخول بيته باذنه
الى طعامه جاز دخوله الى غير طعامه باذنه فان غير الطعام يمكن وجوده مع الطعام وان من الجايز ان يتكلم معه
وقت ما يدعوه الى الطعام ويستقضيه في حوايجه ويعلمه مما عنده من العلوم مع زيادة الاطعام فاذا رضي بالكل فرضاه
بالبعض اقرب الى العقل فيصير من باب لا تقل لهما اف **وقوله** غير ناظرين يعني انتم لا تنتظروا وقت الطعام فانه
ربما لا يتهيا **المسئلة الثانية** قوله تعالى ولكن اذا دعيتم فادخلوا فيه لطيفة وهي ان في العادة اذا قيل لمن كان
يعتاد دخول دار من غير اذن لا يدخلها الا باذن يتاذى وينقطع بحيث لا يدخلها اصلا ولا بالدعا فقال لا تفعلوا مثل
ما يفعله المستنكفون بل كونوا طايعين سامعين اذا قيل لكم لا تدخلوا لا تدخلوا واذا قيل لكم ادخلوا فادخلوا
واناه قيل وقته وقيل استواوه **وقوله** الا ان يوذن يفيد الجواز **وقوله** ولكن اذا دعيتم فادخلوا يفيد
الوجوب فقوله ولكن اذا دعيتم ليس تاكيدا بل هو مفيد فايدة جديدة **المسئلة الثالثة** لا يشترط في الاذن
التصريح به بل اذا حصل العلم بالرضا جاز الدخول ولهذا قال الا ان يوذن لكم من غير بيان فاعل فالاذن ان كان من الله
او النبي او العقل المويد بالدليل جاز والنقل دال عليه حيث قال تعالى او صديقكم وحد الصداقة ما ذكرنا
فلو جا ابو بكر رضي الله عنه وعلم انه لا مانع في بيت عايشة من بيوت النبي صلى الله عليه وسلم من تكشف او حضور
غير محرم عندها او علم خلو الدار من الاهل وهي محتاجة الى اطفا حريق فيها او غير ذلك جاز الدخول **المسئلة الرابعة**

لا تدخلوا بيوت النبي الا ماذونين غير ناظرين

قوله فاذا

قوله فاذا طعمتم فانتشروا كان بعض الصحابة اطال المكث بعد وليمة النبي صلى الله عليه وسلم في عرس زينب والنبي
عليه السلام لم يقل شيا فوردت الاية جامعة لاداب منها المنع من اطالة المكث في بيوت الناس وفي معنى البيت
موضع مباح اختاره شخص لعبادته او لاشتغاله بشغل فاتيه احد ويطيل المكث عنده **وقوله** ولا مستانسين
لحديث قال الزمخشري هو عطف على غير ناظرين مجرور ويحتمل ان يكون منصوبا عطفا على المعنى فان معنى قوله تعالى
لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم لا تدخلوها هاجمين فعطف عليه ولا مستانسين ثم ان الله تعالى بين كون
ذلك ادبا وكون النبي حليما بقوله ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق اشار الى ان ذلك حق وادب
وقوله كان يوذي اشارة الى تحمل النبي عليه السلام ثم ذكر الله ادبا اخر **وهو قوله** واذا سالتموهن متاعا فسلوهن
من ورا حجاب لما منع الله الناس من دخول بيوت النبي عليه السلام وكان في ذلك تعذر الوصول الى الماعون
بين ان ذلك غير ممنوع منه فليسال وليطلب من ورا حجاب **وقوله** ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن يعني العين
روزنة القلب فاذا لم تر العين لا يشتهي القلب واما ان رات العين فقد يشتهي القلب وقد لا يشتهي فالقلب
عند عدم الروية اطهر وعدم الفتنة حينيذ اظهر ثم ان الله تعالى لما علم المومنين الادب اكده بما يحملهم على محافظته
فقال وما كان لكم ان توذوا رسول الله وكل ما منعتم عنه موذ فامتنعوا عنه **وقوله تعالى** ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده ابدا قيل سبب نزوله ان بعض الناس قال لين عشت بعد محمد لانكحن عايشة وقد ذكرنا ان اللفظ
العام لا يغير معناه سبب النزول فالمراد ان ايذا الرسول حرام والتعرض لنسايه في حياته ايذا فلا يجوز ثم قال
لا بل ذلك غير جاير ثم اكده بقوله ان ذلكم كان عند الله عظيما اي ايذا الرسول **ثم قال تعالى** ان تبدوا شيا
او تخفوه يعني ان كنتم لا توذونه في الحال وتعزمون على ايذايه او نكاح ازواجه من بعده فالله عليم بذات الصدور
ثم انه تعالى لما انزل الحجاب استثنى المحارم بقوله لا جناح عليهن في ابايهن ولا ابنايهن ولا اخوانهن ولا ابنا اخوانهن
ولا ابنا اخواتهن وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** في الحجاب اوجب السوال من ورا الحجاب على الرجال فلم
لم يستثن الرجال عن الجناح ولم يقل لا جناح على ابايهن فنقول قوله تعالى فسلوهن من ورا حجاب امر بترك النظر
عليهن وذلك لا يكون الا بكونهن مستورات محجوبات وكان الحجاب وجب عليهن ثم امر الرجال بتركهن كذلك ونهوا عن
هتك استارهن فاستثنين عند الابا والابنا وفيه لطيفة وهي ان عند الحجاب امر الله الرجال بالسوال من ورا الحجاب
ويفهم منه كون المراة محجوبة عن الرجل بالطريق الاولى وعند الاستثنا قال تعالى لا جناح عليهن عند رفع الحجاب عنهن
فالرجال اولى بذلك **المسئلة الثانية** قدم الابا لان اطلاع الابا على بناتهم اكثر وكيف وهم قد راوا ابدان جميع
البنات حالة صغرهن ثم الابنا ثم الاخوة وذلك ظاهر انما الكلام في بني الاخوة حيث قدمهم الله على بني الاخوات
لان بني الاخوات اباهم ليسوا بمحارم انما هم ازواج خالات ابنايهم وبنو الاخوة اباوهم محارم ففي بني الاخوات
مفسدة ما وهي ان الابن ربما يحكي خالته عند ابيه وهو ليس بمحرم ولا كذلك بنو الاخوة **المسئلة الثالثة**
لم يذكر الله من المحارم الاعمام والاخوال فلم يقل ولا اعمامهن ولا اخوالهن لوجهين احدهما ان ذلك علم من بني الاخوة
وبني الاخوات لان من علم ان بني الاخ للعمات محارم علم ان بنات الاخ للاعمام محارم وكذلك الحال في امر الخالة وثانيهما
ان الاعمام ربما يذكرون بنات الاخ عند ابنايهم وهم غير محارم وكذلك الحال في ابن الخال **المسئلة الرابعة**
ولا نسايهن مضافة الى المومنات حتى لا يجوز الكشف للكافرات في وجه **المسئلة الخامسة** ولا ما ملكت
ايمانهن هذا بعد الكل فان المفسدة في التكشف لهم ظاهرة ومن الايمة من قال المراد من كان دون البلوغ **ثم قوله تعالى**
واتقين الله عند المماليك دليل على ان التكشف لهم مشروط بشرط السلامة والعلم بعدم المحذور **وقوله**
ان الله كان على كل شي شهيدا في غاية الحسن في هذا الموضع وذلك لان ما سبق اشارة الى جواز الخلوة بهم والتكشف
لهم فقال ان الله شاهد عند اختلا بعضكم ببعض فخلوتكم مثل ملاكم بشهادة الله تعالى فاتقوا الله **ثم قال تعالى**
ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما لما امر الله المومنين بالاستيذان
وعدم النظر الى وجوه نسايه احتراما كمل بيان حرمته وذلك لان حالاته منحصرة في اثنتين حالة خلوته وذكر ما يدل
على احترامه في تلك الحالة بقوله لا تدخلوا بيوت النبي وحالة يكون في ملا والملا اما الملا الاعلى واما الملا
الادنى فذلك واجب الاحترام بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى**
الصلاة الدعا يقال في اللغة صلى عليه اي دعا له وهذا المعنى غير معقول في حق الله تعالى فانه لا يدعو له
لان الدعا للغير طلب نفعه من ثالث فقال الشافعي استعمل اللفظ بمجازين وقد تقدم في تفسير قوله هو الذي
يصلي عليكم وملايكته والذي نزيده هاهنا هو ان الله تعالى قال هنالك هو الذي يصلي عليكم وملايكته

وفيه لطيفة وهي ان عند الحجاب امر الله الرجال بالسوال

جعل الصلاة لله وعطف الملائكة على الله • وههنا جمع نفسه وملائكته واسند الصلاة اليهم فقال يصلون وفيه تعظيم
النبي عليه السلام • وهذا لان افراد الواحد بالذكر وعطف الغير عليه يوجب تفضيلا للمذكور على المعطوف كما ان
الملك اذا قال يدخل فلان وفلان ايضا يفهم منه تقديم لا يفهم لو قال فلان وفلان يدخلان • اذا علمت هذا فقال
في حق النبي عليه السلام هم يصلون اشارة الى ان في الصلاة على النبي عليه السلام الكل كالاصل وفي الصلاة على المؤمنين
الله يرحمهم ثم الملائكة يؤمنون • فهم في الصلاة على النبي يصلون بالاضافة كانها واجبة عليهم ومندوبة سواء
صلى عليه او لم يصل عليه • وفي المؤمنين ليس كذلك المسئلة الثانية هذا دليل على مذهب الشافعي لان الامر
للوجوب فتجب الصلاة على النبي عليه السلام ولا تجب في غير التشهد فتجب في التشهد المسئلة الثالثة سئل
النبي عليه الصلاة والسلام كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد المسئلة الرابعة اذا صلى الله وملائكته
عليه فاي حاجة الى صلاتنا نقول الصلاة عليه ليس لحاجته اليها والا فلا حاجة الى صلاة الملائكة مع صلاة الله عليه
وانما هو لاظهار تعظيمه كما ان الله تعالى اوجب علينا ذكره وانما هو لاظهار تعظيمه منا شفقة علينا ليثيبنا عليه ولهذا
قال عليه السلام من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا المسئلة الخامسة لم يترك الله النبي عليه السلام تحت
منة امته بالصلاة حتى عوضهم منه بامره بالصلاة على الامة حيث قال وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وقوله
وسلموا تسليما امر فيجب ولم يجب في غير الصلاة فيجب فيها وهو قولنا سلام عليك ايها النبي في التشهد وهو حجة على
من قال بعدم وجوبه • وذكر المصدر للتاكيد ليكمل السلام عليه ولم يؤكد الصلاة هذا التاكيد لانها كانت مؤكدة
بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله • فصل الاشيا
مبين ببعض اضدادها فبين حال مؤذي النبي ليبين فضيلة المسلم عليه • واللعن اشد المحذورات لان البعد
من الله لا يرجى معه خير بخلاف التعذيب بالنار وغيره • الا ترى ان الملك اذا تغير على مملوك ان كان تاديبه غير
قوي يرجع ولا يطرده • ولو خير المجرم ان يضرب او يطرد عندما يكون الملك في غاية العظمة والكرم يختار
الضرب على الطرد ولا سيما اذا لم يكن في الدنيا ملك غير سيده • وقوله في الدنيا والآخرة اشارة الى بعد
لا رجا للقرب معه لان المبعد في الدنيا يرجو القربة في الآخرة فاذا خاب في الآخرة فقد خاب وخسر ثم انه
تعالى لم يخص جزاءه في الايعاد بل اوعده بالعذاب بقوله واعد لهم عذابا مهينا • وفيه مسايل المسئلة الاولى
ذكر ايذا الله وايذا الرسول • وذكر عقيبه امرين اللعن والتعذيب • فاللعن جزا ايذا الله لان من آذى الملك يبعده
عن بابه ان كان الا يامر بعذابه • والتعذيب جزا ايذا الرسول لان الملك اذا آذى بعض عبيده كبير استوفى منه
قصاصه لا يقال فعلى هذا من يؤذي الله ولا يؤذي الرسول لا يعذب لانا نقول لا انفكاك لاحدهما على هذا
الوجه عن الآخر لان من آذى الله فقد آذى الرسول • واما على هذا الوجه الآخر وهو ان يؤذي النبي عليه السلام
ولا يؤذي الله كمن عصى من غير اشراك كمن فسق وفجر من غير ان ارتد وكفر فقد آذى النبي عليه السلام غير ان الله تعالى
صبور غفور فيجزيه بالعذاب ولا يلعنه ولا يبعده عن الباب المسئلة الثانية اكد العذاب بكونه مهينا
لان من تاذى من عبده وامر بحبسه وضربه • فان امر بحبسه في موضع مستتر وامر بضربه رجلا كبيرا دل على ان
الامر هين • وان امر بضربه على ملا وحبسه بين المفسدين ينبي عن شدة الامر • فمن آذى الله ورسوله
من المخلدين في النار فيعذب عذابا مهينا وقوله اعد لهم للتاكيد لان السيد اذا عذب عند حالة
الغضب من غير اعداد يكون دون ما اذا اعد له قيدا وغلا • فان الاول يمكن ان يقال هذا اثر الغضب
فاذا سكت الغضب يزول ولا كذلك الثاني ثم قال تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا
لما كان الله مصليا على نبيه لم ينفك ايذا الله عن ايذائه • فان من آذى الله فقد آذى الرسول • فبين الله للمؤمنين
انكم ان اتيتم بما امرتكم به وصليتم على النبي كما صليت عليه لا ينفك ايذاؤكم عن ايذاء الرسول فيأثم من يؤذيكم
لكون ايذائكم ايذا الرسول كما ان ايذائي ايذاؤه • وبالجملة لما حصلت الصلاة من الله ومن الرسول والمؤمنين
صار لا يكاد ينفك ايذا احدهم عن ايذا الآخر كما يكون حال الاصدقا الصادقين في الصداقة • وقوله
بغير ما اكتسبوا احتراز عن الامر بالمعروف ومن غير عنف زايد فان من جلد مائة على شرب الخمر وحد ثمانين على
لعب النرد اوذي بغير ما اكتسب ايضا • ومن جلد على الزنا او حد على الشرب لم يؤذ بغير ما اكتسب ويمكن
ان يقال لم يؤذ اصلا لان ذلك اصلاح حال المضروب وقوله فقد احتمل بهتانا البهتان هو الزور وهو
لا يكون الا في القول • والايذا قد يكون بغير القول • فمن آذى مؤمنا بالضرب او اخذ ماله لا يكون قد احتمل

فمن اذى الله ورسوله من المخلدين في النار فيعذب عذابا مهينا

ههنا فنقول المراد والذين يؤذون المؤمنين بالقول • وهذا لان الله تعالى اراد اظهار شرف المؤمن فلما ذكر ان من
آذى الله ورسوله لعن • وايذا الله بان ينكر وجود الله بعد معرفته دلايل وجوده او يشرك به من لا يبصر ولا يسمع
او من لا يقدر ولا يعلم او من هو محتاج في وجوده الى موجد وهو قوله اذا ايذا المؤمن بالقول • وعلى هذا خص الايذا القولي
بالذكر لانه اعم واتم وذلك لان الانسان لا يقدر يؤذي الله بما يولمه من ضرب او اخذ ما يحتاج اليه ويؤذيه بالقول
ولان الغني الغايب لا يمكن ايذاؤه بالفعل ويمكن ايذاؤه بالقول بان يقول فيه ما يصل اليه فيتاذى • والوجه الثاني
في الجواب هو ان يقول قوله بعد ذلك واثما مبينا يستدرك فكانه قال احتمل بهتانا ان كان بالقول واثما مبينا كيفما كان
الايذا وكيفما كان ان الله خص الايذا القولي بالذكر لما بينا انه اعم ولانه اتم لانه يصل الى القلب فان الكلام يخرج من
القلب واللسان دليله • ويدخل في القلب الاذان سبيله • ثم قال تعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء
المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن • لما ذكر ان من يؤذي النبي يحتمل بهتانا وكان فيه منع المكلف عن ايذا المؤمن امر
باجتناب المواقع التي فيها التهم الموجبة للتاذي لئلا يحصل الايذا الممنوع منه • ولما كان الايذا القولي مختصا بالذكر
اختص بالذكر ما هو سبب الايذا القولي وهو النسا فانه تذكر من بالسوء يؤذي الرجال والنسا بخلاف ذكر الرجال فان من
ذكر امرأة بالسوء تاذت وتاذى اقاربها اكثر من تاذيها ومن ذكر رجلا بالسوء تاذى ولا يتاذى نساؤه وكان في الجاهلية
تخرج الحرة والامة مكشوفات فتتبعهن الزناة وتقع التهم فامر الله الحراير بالتجلبب وقوله ذلك ادنى ان يعرفن فلا
يؤذين • قيل يعرفن انهن حراير فلا يتبعن • ويمكن ان يقال المراد يعرفن انهن لا يزنين لان من تستر وجهها مع انها ليست بعورة
لا يطمع فيها انها تكشف عورتها فيعرفن انهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن وقوله وكان الله غفورا رحيما
يغفر لكم ما قد سلف برحمته ويثيبكم على ما تاتون به راحما وقوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم
مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم • لما ذكر حال المشرك الذي يؤذي الله ورسوله • والكافر الذي يؤذي المؤمنين
ذكر حال المسر الذي يظهر الحق ويضمر الباطل وهو المنافق • ولما كان المذكور من قبل اقواما ثلاثة نظرا الى اعتبار امور
ثلاثة وهي المؤذون لله والمؤذون للرسول والمؤذون للمؤمنين • ذكر من المسرين ثلاثة نظرا الى اعتبار امور ثلاثة
احدها المنافق الذي يؤذي الله سرا • والثاني الذي في قلبه مرض الذي يؤذي المؤمن باتباع نسائه • والثالث المرجف
الذي يؤذي النبي عليه السلام بالارجاف بقوله غلب محمد وسيخرج وهؤلاء وان كانوا قوما واحدا الا ان لهم ثلاث اعتبارات
وهذا في مقابلة قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات حيث ذكر اصنافا عشرة وكلهم يوجد في
واحد فالشخص كثير بالاعتبار وقوله لنغرينك بهم اي نسلطك عليهم من المدينة • ثم لا يجاورونك وتخلو المدينة
منهم بالموت والاخراج ويحتمل ان يكون المراد لنغرينك بهم واذا اغريناك لا يجاورونك • والاول كقول القايل يخرج
فلان ولا يدخل اشارة الى الامرين • والثاني كقوله يخرج فلان ويدخل السوق • وفي الاول نظر وان لم يخرج • وفي الثاني
لا يدخل الا اذا خرج • والاستثنا فيه لطيفة وهي ان الله تعالى وعد النبي عليه السلام ان يخرج اعداه من المدينة وينفيهم
على يد اظهار الشوكة • ولو كان النفي بارادة الله من غير واسطة النبي لاخلى المدينة عنهم في الطف ان كن فيكون • ولكن
لما اراد الله ان يكون على يد النبي ولا يقع ذلك الا بزمان وان لطف فقال ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ريثما يتهيئوا ويتاهبوا
للخروج ثم قال تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا • اي ذلك القليل الذي يجاورونك فيه يكونون ملعونين مطرودين من باب
الله وبابك واذا خرجوا لا ينفكون عن الذلة ولا يجدون ملجا بل اينما يكونون يطلبون ويوخذون ويقتلون • ثم قال
سنة الله في الذين خلوا يعني هذا ليس بدعا بل هو سنة جارية وعادة مستمرة يفعل بالمكذبين ولن تجد لسنة الله تبديلا
اي ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يتبدل وينسخ فان النسخ يكون في الاحكام • اما الافعال والاخبار لا تنسخ
ثم قال تعالى يسئلك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله • لما بين حالهم في الدنيا انهم ملعونون ويهانون
ويقتلون • اراد ان يبين حالهم في الآخرة فذكرهم بالقيمة وذكر ما يكون لهم فيها فقال يسئلك الناس عن الساعة
اي عن وقت القيمة قل انما علمها عند الله لا يتبين لكم فان الله اخفاها لحكمة وهي امتناع المكلف عن الاجترا وخوفهم
منها في كل وقت ثم قال وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا • اشارة الى التخويف وذلك لان قول القايل الله يعلم متى
يكون الامر الفلاني ينبي عن ابطاء الامر • الا ترى ان من يطالب مديونا بحقه فان استمهله شهرا او شهرين ربما يصبر
ذلك وان قال له اصبر الى ان يقدم فلان من سفره • يقول الله يعلم متى يجيء فلان ويمكن ان يكون مجيء فلان قبل انقضا
تلك المدة فقال ههنا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا يعني في علم الله فلا تستبطؤه فربما يقع عن قريب والقريب
فعيل يستوي فيه المذكر والمؤنث قال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين • فلهذا لم يقل لعل الساعة تكون قريبة
ثم قال ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا • يعني كما انهم ملعونون عندكم فكذلك هم ملعونون عند الله واعد

نسائهم

وفيه لطيفه وهي ان الله تعالى وعد النبي عليه السلام

لهم سعيرا كما قال تعالى لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا • خالدين فيها ابدا مطيلين المكث مستمرين
لا امد لمكثهم • وقوله ولا يجدون وليا ولا نصيرا • لما ذكر خلودهم بين تحقيقه وذلك لان المعذب لا يخلصه
من العذاب لا صديق يشفع له او ناصر يدفع عنه • ولا ولي لهم يشفع ولا نصير يدفع • ثم قال تعالى يوم تقلب
وجوههم في النار • لما بين انه لا يشفع لهم ولا يدفع عنهم العذاب بين ان بعض اعضائهم ايضا لا يدفع العذاب
عن البعض بخلاف عذاب الدنيا فان الانسان يدفع عن وجهه الضربة اتقاء بيده فان من يقصد راسه ووجهه
يجعل يده جنة او يطاطي راسه كيلا يصيب وجهه • وفي الآخرة تقلب وجوههم في النار فما ظنك بساير
اعضائهم التي تجعل جنة الوجه ووقاية له • يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا يتحسرون ويندمون
حيث لا تغنيهم الندامة والحسرة لحصول علمهم بان الخلاص ليس الا للمطيع • ثم يقولون انا اطعنا سادتنا يعني بدل
الطاعة اطعنا السادة وبدل طاعة الرسول اطعنا الكبرا وتركنا طاعة سيد السادات واكبر الاكابر فبدلنا الخير
بالشر لا جرم فاتنا خير الجنان • واوتينا شر النيران • ثم انهم يطلبون بعض التشفي بتعذيب المضلين • ويقولون
ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا • اي بسبب ضلالهم واضلالهم • وفي قوله تعالى ضعفين ولعنا
كبيرا معنى لطيف وهو ان الدعا لا يكون الا عند عدم حصول الامر المدعو به • والعذاب كان حاصلا لهم واللعن
كذلك • فطلبوا ما ليس بحاصل وهو زيادة العذاب • بقولهم ضعفين • وزيادة اللعن بقولهم لعنا كبيرا •
ثم قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى • لما بين تعالى ان من يوذي الله ورسوله يلعن ويعذب
وكان ذلك اشارة الى ايذا هو كفر ارشد المومنين الى الامتناع من ايذا هو دونه وهو لا يورث كفرا • وذلك مثل
من لم يرض بقسمة النبي عليه السلام وبحكمه بالفي لسعد وغير ذلك فقال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا
موسى وحديث ايذا موسى مختلف فيه • قال بعضهم هو ايذاوهم بنسبته الى عيب في بدنه • وقال بعضهم قارون
قرر مع بغية حتى تقول عند بني اسرائيل ان موسى عليه السلام زنى بي • فلما جمع قارون القوم • والمراة حاضرة
القى الله في قلبها ولم تقل ما لقنت • وفي الجملة الايذا المذكور في القرآن كاف وهو انهم قالوا اذهب انت
وربك فقاتلا • وقولهم لن نومن لك حتى نرى الله جهرة • وقولهم لن نصبر على طعام واحد الى غير ذلك فقال
للمومنين لا تكونوا امثالهم اذا طلبكم الرسول الى القتال لا تقولوا اذهب انت وربك فقاتلا ولا تسالوا ما لم يؤذن
لكم فيه واذا امركم الرسول بامر فاتوا منه ما استطعتم • وقوله فبراه الله مما قالوا على الاول ظاهر لانه ابرز
جسمه لقومه فراوه وعلموا فساد قولهم اعتقادهم ونطقت المراة بالحق وامر ملائكته حتى عبروا بهرون عليهم فراوه
غير مجروح فعلموا براءة موسى عليه السلام عن قتله الذي رموه به • وعلى ما ذكرنا فبراه الله مما قالوا اي اخرجه
عن عهدة ما طلبوا باعطاء البعض اياهم واظهار عدم جواز البعض وبالجملة قطع الله حججهم وضرب عليهم الذلة
والمسكنة وغضب عليهم • وقوله وكان عند الله وجيها • اي ذا وجاهة ومعرفة والوجيه هو الرجل الذي يكون
له وجه اي يكون معروفا بالخير • وكل احد وان كان عند الله معروفا لكن المعرفة المجردة لا تكفي في الوجاهة
فان من عرف غيره لكونه خادما له او اجيرا عنده لا يقال هو وجيه عند فلان • وانما الوجيه من يكون فيه خصال
حميدة يجعل من شانه ان يعرف ولا ينكر فكان كذلك • ثم قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله • ارشدهم
الى ما ينبغي ان يصدر منهم من الافعال والاقوال • اما الافعال فالخير واما الاقوال فالحق لان من اتى بالخير وترك الشر
فقد اتقى الله ومن قال الصدق قال قولا سديدا ثم وعدهم على الامرين امرين • على الخيرات باصلاح الاعمال
فان بتقوى الله يصلح العمل والعمل الصالح يرفع ويبقى فيبقى فاعله خالدا في الجنة • وعلى القول السديد بمغفرة الذنوب
ثم قال ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما • بطاعة الله اتقى الله بطاعة الرسول • ولكن جمع بينهما
لبيان ان تحصيل المطيع فانه يفعله الواحد اتخذ عند الله عهدا ووعدا الرسول • وقوله فقد فاز فوزا عظيما
جعله عظيما من وجهين • احدهما انه نجا من عذاب عظيم • والنجاة من العذاب العظيم تعظم بعظم العذاب
حتى ان من اراد ان يضرب مائة سوط فنجا منه يقال نجا نجاة عظيمة • والثاني انه وصل الى الثواب الكثير وهو الثواب الابدي • ثم قال تعالى انا
عرضنا الامانة على السموات • لما ارشد الله المؤمنين الى مكارم الاخلاق وادب النبي عليه السلام باحسن
الاداب • بين ان التكليف وجهه الله الى الانسان امر عظيم فقال انا عرضنا الامانة اي التكليف وهو الامر
بخلاف ما في الطبيعة • واعلم ان هذا النوع من التكليف ليس في السموات ولا في الارض لان الارض والجبل
والسماء كلها على ما خلقت عليه • الجبل لا يطلب منه السير • والارض لا يطلب منها الصعود • ولا من السماء الهبوط

انا عرضنا الامانة على السموات

ولا على الملائكة

ولا على الملائكة لان الملائكة وان كانوا مامورين بعبادات لكنهم غير مامورين بمشقات كما في الاكل والشرب لكنهم يسبحون الليل والنهار
لا يفترون كما يشتغل الانسان بالتنفس • والآية فيها مسايل • المسالة الاولى في الامانة وجوه كثيرة
منهم من قال هو التكليف وسمي امانة لان من قصر فيه فعليه الغرامة • ومنهم من قال هو
قول لا اله الا الله وهو بعيد فان السموات والارض والجبال بالسنتها ناطقة بان الله واحد لا اله الا الله • ومنهم
من قال هو الاعضاء فالعين امانة ينبغي ان يحفظها والاذن كذلك واليد كذلك والرجل والفرج واللسان • ومنهم
من قال معرفة الله تعالى بما فيها والله اعلم • المسالة الثانية في العرض وجوه • منهم من قال العرض المراد
ومنهم من قال التخيير • ومنهم من قال الثقل • المسالة الثالثة
في السموات والارض والجبال • احدها ان المراد هي باعيانها • والثاني ان المراد اهلها فاضمار تقديره
انا عرضنا الامانة على اهل السموات والارض • المسالة الرابعة قوله فابين ان يحملنها لم يكن كاباء ابليس
في قوله تعالى الا ابليس ابى ان يكون من الساجدين من وجهين • احدهما ان السجود هناك كان فرضا وهاهنا الامانة كانت
عرضا • وثانيهما ان الاباء كان هناك استكبارا وها هنا استصغارا استصغرن انفسهن بدليل قوله تعالى واشفقن
المسالة الخامسة ما سبب الاشفاق • قلنا الامانة لا تقبل لوجوه • احدها ان تكون عزيزا صعب الحفظ كالاواني
من الجواهر التي تكون عزيزة سريعة الانكسار فان العاقل يمتنع من قبولها • ولو كانت من الذهب والفضة لقبلها
ولو كانت من الزجاج لقبلها • في الاول الامينه من هلاكها • وفي الثاني لكونها غير عزيزة الوجود • والتكليف كذلك •
والثاني ان يكون الوقت زمان نهب وغارة فلا يقبل العاقل في ذلك الوقت الودايع والامر كان كذلك لان الشيطان
وجنوده كانوا في قصد المكلفين اذ الغرض كان بعد خروج آدم من الجنة • الثالث عشر مراعاة الامانة والاتيان بها يجب
كايداع الحيوانات التي يحتاج الى العلف والسقي في موضع مخصوص يكون برئتها فان العاقل يمتنع من قبولها بخلاف متاع
يوضع في صندوق او في زاوية بيت • والتكليف كذلك فانه يحتاج الى تربية وتنمية • المسالة السادسة كيف حملها
الانسان ولم تحملها هذه الاشياء • فيه جوابان • احدهما بسبب جهله بما فيه وعلمهن • ولهذا قال الله تعالى انه كان ظلوما
جهولا • والثاني ان الاشيا نظرن الى انفسهن فراين ضعفهن فامتنعن • والانسان نظر الى جانب المكلف وقال
المودع عالم قادر لا يعرض الامانة الا على اهلها • واذا اودع لا يتركها بل يحفظها بعينه وعونه فقبلها وقال اياك نعبد
واياك نستعين • المسالة السابعة قوله انه كان ظلوما جهولا فيه وجوه • احدها ان المراد منه آدم ظلم نفسه
بالمخالفة ولم يعلم ما يعاقب عليه من الاخراج من الجنة • وثانيها المراد الانسان ظلم بالعصيان وجهل ما عليه من العقاب
وثالثها انه كان ظلوما جهولا اي كان من شانه الظلم والجهل يقال فرس شموس ودابة جموح والماء طهور اي من شانه ذلك فكذلك
الانسان كان من شانه الظلم والجهل فلما اودع الامانة بقي بعضهم على ما كان عليه • وبعضهم ترك الظلم كما قال تعالى الذين آمنوا
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم • وترك الجهل كما قال تعالى في حق آدم • وعلم آدم الاسما كلها وقال في حق المومنين عامة • والراسخون
في العلم يقولون آمنا به وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء • ورابعها انه كان ظلوما جهولا في ظن الملائكة حيث قالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها • وبين علمه عندهم حيث قال تعالى انبئوني باسما هولاء • وقيل في تفسير الآية ان المخلوق على قسمين مدرك
وغير مدرك • والمدرك منه من يدرك الكلي والجزئي مثل الآدمي • ومنهم من يدرك الجزئي كالبهايم تدرك الشعير الذي تاكله
ولا تتفكر في عواقب الامور ولا تنظر في الدلايل والبراهين • ومنه من يدرك الكلي ولا يدرك الجزئي كالملك يدرك الكليات
ولا يدرك لذة الجماع والاكل فالوا ولهذا اشار الله تعالى بقوله ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسما هولاء فاعترفوا بعدم
علمهم بتلك الجزئيات • والتكليف لم يكن الا على مدرك الامرين اذ له لذات بامور جزئية • فمنع منها لتحصيل لذات حقيقية وهي مثل
لذة الملائكة بعبادة الله ومعرفته • واما غيره فان كان مكلفا يكون مكلفا لا بمعنى الامر بما فيه عليهم كلفة ومشقة بل بمعنى
الخطاب فان المخاطب يسمى مكلفا لما ان المكلف مخاطب فيسمى المخاطب مكلفا • وفي الآية لطايف • الاولى الامانة كان عرض
على آدم فقبلها فكان امينا عليها والقول قول الامين فهو فايز • بقي اولاده اخذوا الامانة منه والآخذ من الامين ليس
بمؤتمن • ولهذا وارث الامين المودع لا يكون القول قوله فلم يكن له بد من تجديد عهد وايمان فالمومن اتخذ عند الله عهدا
فصار امينا من الله فصار القول قوله فكان له ما كان لآدم من الفوز • ولهذا قال تعالى ويتوب الله على المومنين
والمومنات اي كما تاب على آدم في قوله تعالى فتاب عليه • والكافر صار آخذا للامانة من المؤتمن فبقي في ضمانه • ثم ان
المومن اذا اصاب الامانة في يده شي بقضا الله وقدره كان ذلك من غير تقصير منه • والامين لا يضمن ما فات بغير
تقصير • والكافر اذا اصاب الامانة في يده شي ضمن وان كان بقضا الله وقدره لانه يضمن ما فات وان لم يكن بتقصير
اللطيفة الثانية خص الاشيا الثلاثة بالذكر لانها اشد الامور واحملها للاثقال • اما السموات فلقوله وخلقنا فوقكم

الانسان يظلم بالعصيان ويجهل ما عليه من العقاب

٤٠٧

سبعا شدادا • والارض والجبال لا تخفى شدتها وصلابتها • ثم ان هذه الاشيا لما كانت لها شدة وصلابة عرض الله الامانة عليها واكتفى بشدتهن وقوتهن فامتنعن لانهن وان كن قويات الا ان امانة الله فوق قوتهن وحملها الانسان مع ضعفه الذى قال الله تعالى فيه وخلق الانسان ضعيفا ولكن وعده بالاعانة على حفظ الامانة بقوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه • فان قيل فالذى يحمله الله كيف يحذب فلم يعذب الكافر نقول قال الله تعالى انا اعين من يعين ويتوكل • والكافر لم يرجع الى الله فتركه مع نفسه فبقى فى عهدة الامانة اللطيفة الثالثة قوله فابين ان يحملنها • وقوله وحملها الانسان اشارة الى ان فيه مشقة بخلاف ما لو قال فابين ان يقبلها وقبلها الانسان • ومن قال لغيره افعل هذا الفعل فان لم يكن فى الفعل تعب يقابل باجرة فاذا فعله لا يستحق اجرة فقال الله تعالى وحملها اشارة الى انه مما يستحق الاجر عليه اى على مجرد حمل الامانة • واما على رعايتها حق الرعاية فتستحق الزيادة فان قيل فالكل حملوها غاية ما فى الباب ان الكافر لم يات بشى زائد على الحمل فينبغى ان يستحق الاجر على الحمل فنقول الفعل اذا كان على وفق الاذن من المالك الامر يستحق الفاعل الاجرة الا ترى انه لو قال احمل هذا الى الضيعة الفلانية التى على الشمال وحملها ونقلها الى الضيعة التى على الجنوب لا يستحق الاجرة ويلزمه ردها الى الموضع الذى كان فيه كذلك الكافر حملها على غير وجه الاذن فغرم وذلك حسناته التى عملها بسببه ثم قال تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات • اى حملها الانسان ليقع تعذيب المنافق والمشرك • فان قال قايل لم قدم التعذيب على التوبة نقول لما سمى التكليف امانة والامانة من حكمها اللازم ان الخاين يضمن وليس من حكمها اللازم ان الامين الباذل جهده يستفيد اجره • فكان التعذيب على الجناية كاللازم والاجر على الحفظ احسان • والعدل قبل الاحسان مسئلة اخرى عطف المشرك على المنافق ولم يعد اسمه تعالى فلم يقل ويعذب الله المشركين • وعند التوبة اعاد اسمه وقال ويتوب الله • ولو قال ويتوب على المؤمنين كان المعنى حاصلا • نقول اراد تفضيل المؤمن على المنافق فجعله كالكلام المستانف • ويحتمل ان يقال لما ذكر الفاعل فقال ويتوب الله • ويحقق هذا قراة من قرا بالرفع مسئلة ثالثة ذكر الله فى الانسان وصفين الظلوم والجهول • وذكر من اوصافه وصفين فقال وكان الله غفورا رحيما اى كان غفورا للظلوم رحيما على الجهول • وذلك لان الله تعالى وعد عباده بانه يغفر الظلم جميعا الا الظلم العظيم وهو الشرك كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم • واما الوعد فقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا • واما الرحمة على الجهل فلان الجهل محل الرحمة • وكذلك يعتذر المسى بقوله ما علمت وههنا لطيفة وهى ان الله تعالى اعلم عبده بانه غفور رحيم ونصره بنفسه فرآه ظلوما جهولا • ثم عرض عليه الامانة فقبلها مع ظلمه وجهله لعلمه بما تخرها من الغفران والرحمة • والله اعلم • تم تفسير هذه السورة والحمد لله رب العالمين

سورة سبا مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وله الحمد فى الاخرة وهو الحكيم الخبير السور المفتتحة بالحمد خمس سور • سورتان منها فى النصف الاول وهما الانعام والكهف • وسورتان فى الاخير وهما هذه السورة وسورة الملايكة والخامسة وهى فاتحة الكتاب تقرا مع النصف الاول ومع النصف الاخر • والحكمة فيها ان نعم الله مع كثرتها وعدم قدرتنا على احصايها منحصرة فى قسمين نعمة الايجاد ونعمة الابقا • فان الله خلقنا اولا برحمته وخلق لنا ما نقوم به • وهذه النعمة توجد مرة اخرى بالاعادة فانه يخلقنا مرة اخرى ويخلق لنا ما ندوم به • فلنا حالتان الابدا والاعادة وفى كل حالة له تعالى علينا نعمتان نعمة الايجاد ونعمة الابقا فقال فى النصف الاول الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور اشارة الى الشكر على نعمة الايجاد • ويدل عليه قوله تعالى فيه الذى خلقكم من طين اشارة الى الايجاد الاول وقال فى السورة الثانية وهى الكهف الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر اشارة الى الشكر على نعمة الابقا فان الشرايع بها الابقا • ولولا شرع ينقاد له الخلق لاتبع كل واحد هواه ولوقعت المنازعات فى المشتهيات وادت الى التقاتل والتفانى ثم قال فى السورة الحمد لله اشارة الى الايجاد الثانى ويدل عليه قوله تعالى وله الحمد فى الاخرة وقال فى سورة الملايكة الحمد لله اشارة الى نعمة الابقا ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملايكة رسلا والملايكة باجمعهم لا يكونوا رسلا الا يوم القيمة يرسلهم الله مسلمين على المسلمين كما قال تعالى وتتلقاهم الملايكة وقال تعالى عنهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين • وفاتحة الكتاب لما اشتملت على ذكر النعمتين • فقوله تعالى الحمد لله رب العالمين اشارة الى النعمة العاجلة • وقوله ملك يوم الدين اشارة الى النعمة الاجلة • فرتب فى الافتتاح وفى الاختتام • ثم فى

التفسير مسايل

السادس عشر من اجزاء ...

التفسير مسايل المسئلة الاولى الحمد شكر والشكر على النعمة والله تعالى جعل ما فى السموات والارض لنفسه بقوله له ما فى السموات ولم يبين انه لنا حتى يجب الشكر نقول جوابا عنه ان الحمد يفارق الشكر فى معنى وهو ان الحمد اعم فيحمد من فيه صفات حميدة وان لم ينعم على الحامد اصلا • فان الانسان يحسن منه ان يقول فى حق عالم لم يجتمع به اصلا انه عالم عامل بارع كامل فيقال له انه يحمد فلانا ولا يقال انه يشكره الا اذا ذكر نعمه او ذكره على نعمه فالله تعالى محمود فى الازل لاتصافه باوصاف الكمال • ونعوت الجلال • ومشكور فى الانزال • على ما ابدى من الكرم • واسدى من النعم • فلا يلزم ذكر النعمة للحمد بل يكفى ذكر العظمة • وفى كونه له ما فى السموات وما فى الارض عظمة كاملة فله الحمد على انا نقول قوله له ما فى السموات وما فى الارض يوجب شكرا اتم مما يوجبه قوله تعالى خلق لكم ما فى الارض وذلك لان ما فى السموات والارض اذا كان لله ونحن المنتفعون به لا هو يوجب ذلك شكرا لا يوجبه كونه لنا المسئلة الثانية قد ذكرتم ان الحمد ههنا اشارة الى النعمة التى فى الاخرة فلما اذا ذكر الله السموات والارض فنقول نعم الاخرة غير مرئية فذكر الله النعم المرئية وهى ما فى السموات وما فى الارض • ثم قال وله الحمد فى الاخرة لتقاس نعم الاخرة بنعم الدنيا وتعلم فضلها بدوامها وفنا العاجلة • ولهذا قال وهو الحكيم الخبير اشارة الى ان خلق الاشيا بالحكمة والخبرة • والحكمة صفة ثابتة لله لا يمكن زوالها فيمكن منه ايجادا مثالها مرة اخرى فى الاخرة المسئلة الثالثة الحكمة هى العلم الذى يتصل به الفعل فان من يعلم امرا ولا ياتى بما يناسب علمه لا يقال له حكيم فالفاعل الذى فعله على وفق العلم هو الحكيم • والخبير هو الذى يعلم عواقب الامور وبواطنها فقوله حكيم اى فى الابتدا خلق كما ينبغى • وخبير اى بالانتها يعلم ماذا يصدر من المخلوق وما لا يصدر والى ماذا يكون مصير كل احد فهو حكيم فى الابتدا خبير فى الانتها • ثم بين تعالى كمال خبره بقوله يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها • ما يلج فى الارض من الحبة والاموات • ويخرج منها من السنابل والاحيا • وينزل من السما من انواع رحمته • منها المطر ومنها الملايكة • ومنها القران • وما يعرج فيها • منها الكلم الطيب لقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب • ومنها الارواح • ومنها الاعمال الصالحة من قوله والعمل الصالح يرفعه • وفيه مسايل المسئلة الاولى قدم ما يلج فى الارض على ما ينزل من السما لان الحبة تبدر اولا • ثم تسقى ثانيا المسئلة الثانية قال وما يعرج فيها ولم يقل يعرج اليها اشارة الى قبول الاعمال الصالحة ومرتبة النفوس الزكية • وهذا لان كلمة الى للغاية • فلو قال وما يعرج اليها لفهم الوقوف عند السموات فقال وما يعرج فيها لتفهم نفوذها فيها وصعودها منها • ولهذا قال فى الكلم الطيب اليه يصعد الكلم الطيب لان الله هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول اليه • واما السما فهى دنيا وفوقها المنتهى المسئلة الثالثة قال وهو الرحيم الغفور • رحيم بالانزال حيث ينزل الرزق من السما • غفور عندما تعرج اليه الارواح والاعمال فرحم اولا بالانزال وغفر ثانيا عند العروج • ثم بين ان هذه النعمة التى يستحق الله بها الحمد وهى نعمة الحمد انكرها قوم وقال وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة • ثم رد عليهم وقال قل بلى وربى لتاتينكم • عالم الغيب اخرها ثانيا بها واكده باليمين قال الزمخشرى رحمه الله لو قال قايل كيف يصح التاكيد باليمين مع انهم يقولون لا رب او ان كانوا يقولون به لكن المسيلة الاصولية لا تثبت باليمين واجاب عنه بانه لم يقتصر على اليمين بل ذكر الدليل وهو قوله ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات • وبيان كونه دليلا هو ان المسى قد يبقى فى الدنيا مدة مترفهة فى اللذات العاجلة ويموت عليها والمحسن قد يدوم فى دار الدنيا فى الالام الشديدة مدة ويموت فيها فلولا دار تكون الاجزية فيها لكان الامر على خلاف الحكمة والقوى اقول انا هو ان الدليل المذكور فى قوله عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة اظهر وذلك لانه اذا كان عالما بجميع الاشيا يعلم اجزا الاحيا ويقدر على جمعها • فالساعة ممكنة القيام وقد اخبر عنه الصادق فتكون واقعة • وعلى هذا فقوله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض فيه لطيفة وهى ان الانسان له جسم وروح • والاجسام اجزاها فى الارض والارواح فى السما • فقوله لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات • اشارة الى علمه بالارواح • وقوله ولا فى الارض اشارة الى علمه بالاجسام • فاذا علم الارواح والاشباح وقدر على جمعها لا يبقى استبعاد فى المعاد وقوله ولا اصغر من ذلك اشارة الى ان مثقال الذرة ليس للتحديد بل الاصغر منه لا يعزب • وعلى هذا فلو قال قايل فاية حاجة الى ذكر الاكبر فان من علم الاصغر من الذرة لا بد من ان يعلم الاكبر فنقول لما كان الله تعالى اراد بيان اثبات الامور فى الكتاب فلو اقتصر على الاصغر لتوهم متوهم انه يثبت الصغاير لكونها محل النسيان • اما الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اثباته فقال الاثبات فى الكتاب ليس كذلك فان الاكبر ايضا فيه مكتوب • ثم لما بين علمه بالصغاير والكباير ذكر ان جميع ذلك واثباته للجزا فقال ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات • اوليك لهم مغفرة ذكر فيهم امرين • الايمان والعمل الصالح • وذكر لهم امرين المغفرة والرزق الكريم • فالمغفرة جزا الايمان فكل مومن مغفور له ويدل عليه قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقوله صلى الله عليه وسلم فيما اخبر تاج الدين عيسى بن احمد بن الحاكم البندهى قال اخبرنى والدى عن جدى عن محيى السنة

قال عن ممكنة القيام وقد اخبر عنه الصادق تكون واقعة

عن عبد الواحد المليحي عن احمد بن عبد الله النعيمي عن محمد بن يوسف الفربري عن محمد بن اسمعيل البخاري عن اسناده يخرج من النار من قال
لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من ايمان • والرزق الكريم على العمل الصالح وهو مناسب فان من عمل لسيد كريم عملا فان عند
فراغه من العمل لا بد من ان ينعم عليه انعاما ويطعمه طعاما • ووصف الرزق بالكريم قد ذكرنا انه بمعنى ذا كرم
او مكرم او لانه ياتي من غير طلب بخلاف رزق الدنيا فانه ان لم يطلب ويتسبب اليه لا ياتي • وفي التفسير مسائل
المسئلة الاولى قوله اولئك لهم مغفرة ورزق كريم يحتمل وجهين • احدهما ان يكون ذلك جزاء بوصله
اليهم لقوله ليجزي الذين • وثانيهما ان يكون ذلك لهم والله يجزيهم بشي اخر لان قوله اولئك لهم جملة تامة اسمية
وقوله تعالى ليجزي الذين جملة فعلية مستقبلة وهذا ابلغ في البشارة من قول القائل ليجزي الذين امنوا رزقا
المسئلة الثانية اللام في ليجزي للتعليل معناه الاخرة للجزاء • فان قال قائل فما وجه المناسبة فنقول
الله تعالى اراد ان لا ينقطع ثوابه فجعل للمكلف دارا باقية ليكون ثوابه واصلا اليه دايما ابدا • وجعل قبلها دارا
فيها الالام والاسقام وفيها الموت ليعلم المكلف مقدار ما يكون فيه في الاخرة اذا نسبه الى ما قبله واذا نظر
اليه في نفسه المسئلة الثالثة ميز الرزق بالوصف بقوله كريم ولم يصف المغفرة لان المغفرة واحدة وهي للمؤمنين
والرزق منه شجرة الزقوم والحميم • ومنه الفواكه والشراب الطهور فميز الرزق لحصول الانقسام فيه ولم يميز
المغفرة لعدم الانقسام فيها ثم قال تعالى والذين سعوا في اياتنا معجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم
لما بين حال المؤمنين يوم القيمة بين حال الكافرين بقوله والذين سعوا في اياتنا اي بالابطال ويكون معناه الذين
كذبوا باياتنا • وحينيذ يكون هذا في مقابلة ما تقدم لان قوله تعالى امنوا معناه صدقوا وهذا معناه كذبوا
فان قيل من اين علم كون سعيهم في الابطال مع ان المذكور مطلق السعي فنقول فهم من قوله تعالى معجزين وذلك لانه حال
معناه سعوا فيها وهم يريدون التعجيز وبالسعي في التقرير والتبليغ لا يكون الساعي معجزا لان القران وايات الله معجزة
في نفسها لا حاجة لها الى احد • واما الكذب فهو ات باخفا ايات الله البينات فيحتاج الى السعي العظيم والجد التبليغ ليروج
كذبه لعله يعجز المتمسك به • وقيل بان المراد من قوله معجزين اي ظانون انهم يفوتون الله • وعلى هذا يكون الساعي ساعيا
بالباطل في غاية الظهور عذاب في مقابله لهم مغفرة ورزق • وفي الاية لطايف • الاولى قال ههنا لهم عذاب ولم يقل يجزيهم
الله وقد تقدم القول منا ان قوله تعالى ليجزي الذين امنوا يحتمل ان يكون الله يجزيهم بشي اخر • واولئك لهم مغفرة ورزق اخبار
عن مستحقهم المعد لهم وعلى الجملة فاحتمال الزيادة هناك قايم نظرا الى قوله ليجزيهم وهاهنا لما لم يقل يجزيهم لم يوجد ذلك
الثانية زاد ثم مغفرة هناك ثم قال ورزق كريم • وهاهنا لم يقل الا لهم عذاب • الثالثة قال هناك لهم رزق
كريم ولم يقل من التي للتبعيض فلم يقل لهم نصيب من رزق ولا رزق من جنس كريم وقال ههنا لهم عذاب من رجز اليم بلفظ
صالحة للتبعيض كل ذلك اشارة الى سعة الرحمة وقلة الغضب بالنسبة اليها والرجز قيل اسوا العذاب وعلى هذا من لبيان
الجنس كقول القايل خاتم فضة • وفي اليم قراتان الجر والرفع • فالرفع على ان الاليم وصف العذاب كانه قال عذاب
اليم من اسوا العذاب • والجر على انه وصف الرجز والرفع اقرب نظرا الى المعنى • والجر نظرا الى اللفظ • فان قيل فلم تنحصر
الاقسام في المؤمن الصالح عمله والمكذب الساعي المعجز ولو اراد ان يكون احد مؤمنا ليس له عمل صالح او كافر متوقف فنقول
اذا علم حال الفريقين المذكورين يعلم ان المؤمن قريب الدرجة ممن تقدم امره • والكافر قريب الدركة ممن سبق ذكره • وللمؤمن
مغفرة ورزق وان لم يكن في الكرامة مثل رزق الذي عمل صالحا • وللكافر الغير المعاند عذاب وان لم يكن من اسوء الانواع
التي للمكذبين المعاندين ثم قال تعالى ويرى الذين اوتوا العلم • لما بين حال من يسعى في التكذيب في الاخرة بين حاله
في الدنيا وهو ان سعيه فان من عنده اذا علم لا يتغير بتكذيبه ويعلم ان ما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق وقوله هو الحق
يفيد الحصر اي ليس الحق الا ذلك • واما قول المكذب فباطل بخلاف ما اذا تنازع خصمان والنزاع لفظي فيكون قول كل واحد
حقا في المعنى وقوله تعالى ويهدي الى صراط العزيز الحميد يحتمل ان يكون بيانا لكونه هو الحق فانه هاد الى الصراط وكونه
يضل عنه فهو باطل • ويحتمل ان يكون لغاية اخرى وهي انه مع كونه حقا هاد والحق واجب القبول فكيف اذا كان فيه فايدة
في الاستقبال وهي الوصول الى الله وقوله العزيز الحميد يفيد رغبة ورهبة فانه اذا كان عزيزا يكون ذا انتقام
ينتقم من الذي يسعى في التكذيب • واذا كان حميدا يشكر سعي من يحقق ويعمل صالحا • فان قيل كيف قدم الصفة
التي للهيبة على الصفة التي للرحمة مع انه ابدا يسعى في بيان تقديم جانب الرحمة نقول كونه عزيزا تام الهيبة شديد
الانتقام يقوي جانب الرغبة لان رضى الجبار العزيز اعز واكرم من رضا من لا يكون كذلك فالعزة كما تخاف ترجى ايضا وكما
يرغب عن التكذيب يرغب في التصديق ليحصل القرب من العزيز ثم قال تعالى وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل
وجه الترتيب هو ان الله تعالى لما بين انهم انكروا الساعة ورد عليهم بقوله قل بلى وربي لتاتينكم وبين ما يكون بعد اتيانها من

جزا المؤمن

جزا المؤمن على العمل الصالح وجزى الساعي في تكذيب الايات بالتعذيب على السيئات بين حال المؤمن والكافر بعد قوله قل بلى وربي
لتاتينكم فقال المؤمن الذي يقول الذي انزل اليك الحق وهو يهدي وقال الكافر هو الذي نقول له باطل • ومن غاية اعتقادهم
وعنادهم في ابطال ذلك قالوا على سبيل التعجب هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد • هذا كقول القايل
في الاستبعاد جا رجل يقول ان الشمس تطلع من المغرب الى غير ذلك من المحالات ثم قال بعده افترى على الله كذبا • هذا يحتمل
وجهين • احدهما ان يكون تمام قول الذين كفروا اولا اعني هو من كلام من قال هل ندلكم • ويحتمل ان يكون من كلام السامع المجيب
من قال هل ندلكم كان السامع لما سمع قول القايل هل ندلكم على رجل قال له هو يفتري على الله كذبا ان كان يعتقد خلافه او به جنة
جنون ان كان لا يعتقد خلافه • وفي هذا لطيفة وهي ان الكافر لا يرضى بان يظهر كذبه • ولهذا قسم ولم يجزم بانه مفتر بل قال
مفتر او مجنون احترازا من ان يقول قايل كيف تقول بانه مفتر مع انه جاز ان يظن انه الحق ذلك وظن الصدق ويمتنع تسمية القايل
مفتريا وكاذبا في بعض المواضع • الا ترى ان من يقول جا زيد فاذا تبين انه لم يجي قيل له لم كذبت يقول ما كذبت وانما
سمعت من فلان انه جاء فظننت انه صادق فيدفع الكذب عن نفسه بالظن فهم احترزوا عن تبين كذبهم فكل عاقل ينبغي ان
يحترز عن ظهور كذبه عند الناس ولا يكون العاقل عند الناس ادنى درجة من الكافر • ثم انه تعالى اجابهم مرة اخرى وقال
بل الذين كفروا في العذاب في مقابلة قولهم افترى على الله كذبا وقوله في الضلال البعيد في مقابلة قوله به جنة وكلاهما
مناسب • اما العذاب فلان نسبة الكذب الى الصادق فوقه لانه شهادة عليه بانه يستحق العذاب فجعل العذاب عليهم حيث
الى البري • واما الجنون فلان نسبة الجنون الى العاقل دونه في الايذا لانه لا يشهد عليه بانه يعذب ولكن ينسبه الى عدم
الهداية • فبين انهم هم الضالون • ثم وصف ضلالهم بالبعد لان من يسمي المهتدي ضالا لا يكون هو الضال فمن يسمي
الهادي ضالا لا يكون ضالا • والنبي عليه السلام يكون هادي كل مهتد • ثم قال تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم
من السماء والارض • لما ذكر الدليل بكونه عالم الغيب • وكونه جاريا على السيئات والحسنات • ذكر دليلا اخر وذكر فيه
تهديدا • اما الدليل فقوله السماء والارض فانهما يدلان على الوحدانية كما بينا مرارا وكما قال تعالى ولئن سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله ويدلان على الحشر لانهما يدلان على كمال قدرته ومنها الاعادة • وقد ذكرنا ذلك مرارا وقال تعالى
اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم • واما التهديد فبقوله ان نشا نخسف بهم الارض يعني نجعل عين نافعهم
ضارهم بالخسف والكسف ثم قال تعالى ان في ذلك لاية لكل عبد منيب اي لكل من يرجع الى الله ويترك التعصب
ثم ان الله تعالى لما ذكر من ينيب من عباده ذكر منهم من اناب واصاب • ومن جملتهم داود كما قال تعالى عنه فاستغفر ربه وخر راكعا
واناب • فبين ما اتاه الله على انابته فقال ولقد اتينا داود منا فضلا • وفي الاية مسايل المسئلة الاولى
قوله تعالى منا اشارة الى بيان فضيلة داود عليه السلام • وتقريره هو ان قوله ولقد اتينا داود منا فضلا مستقل بالمفهوم
[illegible]
المسئلة الثانية [illegible] يا جبال اوبي معه [illegible]
[illegible]
المسئلة الثالثة [illegible]
[illegible]
المسئلة الرابعة [illegible] والطير [illegible]
[illegible] المسئلة الخامسة [illegible]
[illegible]
[illegible] المسئلة السادسة [illegible]
[illegible]
[illegible] المسئلة السابعة [illegible]
[illegible]
[illegible] ثم قال تعالى [illegible]

ثم ان من الناس من لم يوافقه وهم القاسية قلوبهم

الناله الحديد والهمناه عمل سابغات وهى الدروع الواسعة • ذكر الصفة ويعلم منها الموصوف • وقدر فى السرد
قال المفسرون اى لا تغلظ المسامير فتقور النقب ولا توسع النقب فيتقلقل المسمار فيها ويحتمل ان يقال السرد
هو عمل الزرد • وقوله وقدر فى السرد اشارة الى انه غير مأمور به امر ايجاب انما هو اكتساب والكسب يكون
بقدر الحاجة • وباقى الايام والليالى للعبادة فقدر فى ذلك العمل ولا تشغل جميع اوقاتك بالكسب بل حصل
به القوت بحسب ويدل عليه قوله تعالى واعملوا صالحا اى لستم مخلوقين الا للعمل الصالح فاعملوا ذلك واكثروا
منه والكسب قدروا فيه • ثم اكد طلب العمل الصالح بقوله انى بما تعملون بصير وقد ذكرنا مرارا ان من يعمل للملك
شغلا ويعلم انه بمرأى من الملك يحسن العمل ويتقنه ويجتهد فيه • ثم لما ذكر المنيب الواحد ذكر منيبا اخر وهو سليمان
كما قال تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب • وذكر ما استفاد هو بالانابة فقال • ولسليمان الريح غدوها شهر
ورواحها شهر • وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قرئ لسليمن الريح بالرفع والنصب • وجه الرفع ولسليمن الريح مسخرة
او سخرت لسليمان الريح • ووجه النصب ولسليمن سخرنا الريح • والرفع وجه اخر وهو ان يقال معناه ولسليمان الريح كما
يقال لزيد الدار وذلك لان الريح كان له كالمملوك المختص به يامرها بما يريد حيث يريد **المسئلة الثانية** الواو
للعطف فعلى قراءة الرفع يصير عطفا لجملة اسمية على جملة فعلية وهو لا يجوز او لا يحسن فكيف هذا نقول
لما بين حال داود وكانه قال تعالى لما ذكرنا لداود ولسليمن الريح • واما على قراءة النصب فعلى قولنا والناله الحديد كانه
قال والنا لداود الحديد وسخرنا لسليمن الريح **المسئلة الثالثة** المسخر لسليمن كانت ريحا مخصوصة لا هذه
الرياح فانها المنافع عامة فى اوقات الحاجات • ويدل عليه انه لم يقرأ الا على التوحيد فما قرأ احد الرياح والله اعلم
المسئلة الرابعة قال بعض الناس المراد من تسخير الجبال وتسبيحها مع داود انها كانت تسبح كما يسبح كل شى بحمده
وكان هو عليه السلام يفقه تسبيحها فيسبح • ومن تسخير الرياح انه راض الخيل وهى كالريح • وقوله غدوها شهر اى
فى سيرها لان من يخرج للتفرج فى اكثر الامر لا يسير اكثر من فرسخ ويرجع كذلك • وقوله والنا له الحديد • وفى حق سليمان
واسلنا له عين القطر انهم استخرجوا تذويب الحديد والنحاس بالنار واستعمال الالات منهما والشياطين اى ناسا اقوياء
وهذا كله فاسد حمله على هذا ضعف اعتقاده • وعدم اعتماده على قدرة الله والله قادر على كل ممكن وهذه اشيا ممكنة
المسئلة الخامسة
قال فخر الدين الرازى فى تفسير قوله وسخرنا مع داود الجبال • وقوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة لو قال قائل
ما الحكمة فى ان الله تعالى قال فى الجبال مع داود وفى الانبيا • وفى هذه السورة حيث قال يا جبال اوبى معه • وقال فى
الريح هنالك وهنا لسليمن • نقول الجبال لما سبحت شرفت بذكر الله فلم يضفها الى داود بلام الملك بل جعلها
معه كالمصاحب • والريح لم يذكر فيها انها سبحت فجعلها كالمملوكة وهذا احسن • وفيه امر اخر معقول يظهر لى وهو ان
على قولنا اوبى معناه سيرى • فالجبل فى السير ليس اصلا بل هو يتحرك معه تبعا • والريح لا تتحرك مع سليمان بل يحرك
سليمان مع نفسها فلم يقل الريح مع سليمان بل سليمان كان مع الريح • واسلنا له عين القطر اى النحاس • ومن الشياطين
اى سخرنا له من الشياطين • وهذا ينبئ عن ان جميعهم ما كانوا تحت امره وهو الظاهر • واعلم ان الله تعالى ذكر ثلاثة
اشيا فى حق داود • وثلاثة فى حق سليمان عليهما السلام • فالجبال المسخرة لداود من جنس تسخير الريح لسليمان • وذلك
لان الثقيل مع ما هو اخف منه اذا تحركا يسبق الخفيف الثقيل • ويبقى الثقيل مكانه لكن الجبال كانت اثقل من الادمى
والادمى اثقل من الريح • فقدر الله ان سار الثقيل مع الخفيف اى الجبال مع داود على قولنا اوبى اى سيرى وسليمان
وجوده مع الريح الثقيل مع الخفيف ايضا • والطير من جنس تسخير الجن لانهما لا يجتمعان مع الانسان • الطير لنفوره
من الانس • والانس لنفوره من الجن • فان الانسان يتقى مواضع الجن • والجن تطلب ابدا اصطياد الانسان والانسان
يطلب اصطياد الطير • فقدر الله ان صار الطير لا ينفر من داود بل يستانس به ويطلبه • وسليمان لا ينفر من الجن
بل يسخره ويستخدمه • واما القطر والحديد فتجانسهما غير خفى • وهاهنا لطيفة وهى ان الادمى ينبغى ان يتقى
الجن ويجتنبه والاجتماع به يفضى الى المفسدة • ولهذا قال تعالى اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب
ان يحضرون • فكيف طلب سليمان الاجتماع بهم نقول قوله تعالى يعمل بين يديه باذن ربه اشارة الى ان ذلك
الحضور لم يكن فيه مفسدة • ولطيفة اخرى وهى ان الله تعالى قال هاهنا باذن ربه بلفظ الرب وقال ومن يزغ
منهم عن امرنا ولم يقل عن امر ربه وذلك لان الرب لفظ ينبئ عن الرحمة فعندما كانت الاشارة الى حفظ سليمان عليه
السلام قال ربه وحيثما كانت الاشارة الى تعذيبهم قال عن امرنا بلفظ التعظيم الموجب لزيادة الخوف وقوله
تعالى نذقه من عذاب السعير فيه وجهان • احدهما ان الملائكة كانوا موكلين بهم وبايديهم مقارع من نار فالاشارة اليه
وثانيهما ان السعير هى ما يكون فى الاخرة فاوعدهم بما فى الاخرة من العذاب ثم قال تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل

المحاريب اشارة الى الابنية الرفيعة • ولهذا قال تعالى اذ تسوروا المحراب • وتماثيل ما يكون فيها من النقوش • ثم
لما ذكر البنا الذى هو المسكن • بين ما يكون فى المسكن من ماعون الاكل فقال • وجفان كالجواب جمع جابية
وهى الحوض الكبير الذى يجبى الماء اى يجمعه • وقيل كان يجتمع على جفنة واحدة الف نفس • وقدور راسيات ثابتات
لا تنقل لكبرها • وانما يغرف منها فى تلك الجفان • وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قدم المحاريب على التماثيل لان
النقوش تكون فى الابنية • وقدم الجفان فى الذكر على القدور مع ان القدور آلة الطبخ • والجفان آلة الاكل والطبخ
قبل الاكل فنقول • لما بين الابنية الملكية اراد بيان عظمة السماط الذى يمد فى تلك الدور فاشار الى الجفان لانها تكون
فيها • واما القدور فلا تكون فيها • واما القدور فلا يكون فيها ولا يحضر هناك ولهذا قال راسيات اى غير منقولات
ثم لما بين حال الجفان العظيمة كان يقع فى النفس ان الطعام الذى يكون فيها فى اى شى يطبخ فاشار الى القدور المناسبة
للجفان **المسئلة الثانية** ذكر فى حق داود اشتغاله بآلة الحرب • وعن سليمان بآلة السلم وهى المساكن
والماكل وذلك لان سليمان كان ولد داود • وداود قتل جالوت والملوك الجبابرة واستوى الملك على داود فكان سليمن
كولد ملك يكون ابوه قد سوى على ابنه الملك وجمع له المال فهو يفرقه على جنوده • ولان سليمان لم يقدر احد عليه فى
ظنه فتركوا الحرب معه وان حارب احد كان زمان الحرب يسيرا لادراكه اياه بالريح فكان فى زمانه العظمة بالاطعام
والانعام **المسئلة الثالثة** كما قال عقيب قوله تعالى ان اعمل سابغات اعملوا صالحا قال عقيب ما تعمله الجن له اعملوا
آل داود شكرا اشارة الى ما ذكرنا ان هذه الاشيا خالية لا ينبغى ان يجعل الانسان نفسه مستغرقة فيها وانما الواجب الذى
ينبغى ان يكثر منه هو العمل الصالح الذى يكون شكرا • وفيه اشارة الى عدم الالتفات الى هذه الاشيا وقلة الاشتغال
بها كما فى قوله وقدر فى السرد اى اجعله بقدر الحاجة **المسئلة الرابعة** انتصاب شكرا يحتمل ثلاثة اوجه
احدها ان يكون مفعولا له كقول القائل جئتك طمعا فى برك وعبدت الله رجا غفرانه • وثانيها ان يكون مصدرا
كقول القائل شكرت الله شكرا ويكون المصدر من غير لفظ الفعل كقول القائل جلست قعودا وذلك لان العمل
شكر فقوله اعملوا يقوم مقام قوله اشكروا • وثالثها ان يكون مفعولا به كقوله ضربت زيدا كما قال تعالى
واعملوا صالحا لان الشكر صالح **المسئلة الخامسة** قوله وقليل من عبادى الشكور اشارة الى ان الله
خفف الامر على عباده وذلك لانه لما قال اعملوا آل داود شكرا فهم منه ان الشكر واجب لكن شكر نعمه كما
ينبغى لا يمكن لان الشكر بالتوفيق وهو نعمة تحتاج الى شكر اخر وهو بتوفيق اخر فدايما يكون نعم الله بعد الشكر
خاليا عن الشكر فقال تعالى ان كنتم لا تقدرون على الشكر التام فليس عليكم فى ذلك حرج فان عبادى قليل منهم الشكور
ويقوى قولنا انه تعالى ادخل الكل فى قوله عبادى مع الاضافة الى نفسه وعبادى بلفظ الاضافة الى نفس
المتكلم لم يرد فى القرآن الا فى حق الناجين كقوله يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا • وقوله ان عبادى
ليس لك عليهم سلطان • فان قيل على ما ذكرتم شكر الله بتمامه لا يمكن • وقوله يدل على ان فى عباده من هو شاكر لانعمه
نقول الشكر بقدر الطاقة البشرية هو الواقع • وقليل فاعله • والشكر الذى يناسب نعم الله فلا قدرة عليه
ولا يكلف الله نفسا الا وسعها او نقول الشاكر التام ليس الا من رضى الله عنه وقال يا عبدى ما اتيت به من الشكر
القليل قبلته منك وكتبت لك انك شاكر لانعمى بابرها وهذا القبول نعمة عظيمة لا اكلف شكرها ثم قال تعالى
فلما قضينا عليه • لما بين عظمة سليمان وتسخير الريح والروح له بين انه لم ينج من الموت وانه قضى عليه الموت تنبيها
للخلق من ان الموت لا بد منه ولو نجا منه احد لكان سليمن اولى بالنجاة منه • وفيه مسايل **المسئلة الاولى**
كان سليمان يقف فى عبادة الله ليلة كاملة ويوما تاما • وفى بعض الاوقات يزيد عليه وكان له عصا يتكئ عليها
واقفا بين يدى ربه • ثم فى بعض الاوقات كان واقفا على عادته فى عبادته اذ توفى وظن جنوده انه فى العبادة
وبقى كذلك اياما وتمادى شهورا • ثم اراد الله اظهار الامر لهم فقدر ان اكلت دابة الارض عصاه فوقع
وعلم حاله وقوله تعالى فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين كانت الجن تعلم
ما لا يعلم الانسان فظن ان ذلك القدر علم الغيب وليس كذلك بل الانسان لم يوت من العلم الا قليلا فهو اكثر الاشيا
الحاضرة لا يعلمها فالجن لم تعلم الا الاشيا الظاهرة وان كانت خفية بالنسبة الى الانسان • وتبين لهم الامر انهم
لا يعلمون الغيب اذ لو كانوا يعلمونه لما لبثوا فى الاعمال الشاقة ظانين ان سليمان حى • وقوله ما لبثوا فى العذاب
المهين دليل على ان المؤمنين من الجن لم يكونوا فى التسخير لان المؤمن لا يكون فى زمان النبى فى العذاب المهين ثم قال
لقد كان لسبا فى مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال • لما بين الله حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان بين حال
الكافرين بانعمه بحكاية اهل سبا • وفى سبا قراتان • بالفتح على انه اسم بقعة • وبالجر مع التنوين على انه اسم

والشكر الذى يناسب نعم الله فلا قدرة عليه

قبيلة وهو الاظهر لان الله جعل الاية لسبا • والقاهر هو العاقل لا المكان فلا يحتاج الى اضمار الاهل • وقوله
اية اى من فضل ربهم • ثم بينها بذكر بدله بقوله جنتان عن يمين وشمال قال الزمخشري اية في جنتين مع ان بعض العراق
فيها الاف من الجنان • واجاب بان المراد ان لكل واحد جنتين او عن يمين بلدهم وشماله جماعتان من الجنان • ولاتصال
بعضها ببعض جعلها جنة واحدة • وقوله كلوا من رزق ربكم • اشارة الى تكميل النعم عليهم حيث لم يمنعهم
من اكل ثمارها خوف ولا مرض • وقوله واشكروا له بيان ايضا لكمال النعمة فان الشكر لا يطلب الا على النعمة المعتبرة
ثم لما بين حالهم في مساكنهم وبساتينهم واكلهم ثم بيان كمال النعمة بان بين ان لا غائلة عليه ولا تبعة في المآل في الدنيا
فقال بلدة طيبة عن الموذيات ظاهرة لا حية فيها ولا عقرب ولا وبا ولا وخم وقال ورب غفور اى لا عقاب عليه
ولا عذاب في الاخرة • فعند هذا بان كمال النعمة حيث كانت لذة خالية عن المفاسد المالية • ثم انه تعالى لما بين ما كان
من جانبه ذكر ما كان من جانبهم فقال فاعرضوا بين كمال ظلمهم بالاعراض بعدما بان الاية كما قال تعالى ومن اظلم ممن
ذكر بايات ربه • ثم اعرض عنها • ثم بين كيفية الانتقام منهم كما قال انا من المجرمين منتقمون • وكيفيته انه تعالى
ارسل عليهم سيلا اغرق اموالهم وخرب دورهم • وفي العرم وجوه • احدها انه الجرذ الذي كان سبب خراب السكر
وذلك من حيث ان بلقيس كانت قد عمدت الى الجبال بينها شعب فسدتها حتى كانت مياه الامطار والعيون تجتمع فيها
وتصير كالبحر وجعلت لها ابوابا ثلاثة مترتبة بعضها فوق بعض • وكانت الابواب يفتح بعضها بعد بعض فنقب
الجرذ السكر وخرب السكر بسببه وانقلب البحر عليهم • وثانيها ان العرم اسم السكر وهي جمع العرمة وهي الحجارة • وثالثها
اسم للوادي الذي خرج فيه الماء • وقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط • بين به دوام الخراب وذلك
لان البساتين التي يكون فيها الناس يكون فيها الفواكه الطيبة بسبب العمارة • فاذا تركت سنين تصير كالغيضة والاجمة
تلتف الاشجار بعضها ببعض وتنبت المفسدات فيها فتقل الثمار وتكثر الاشجار • والخمط كل شجرة لها شوك • او كل شجرة
ثمرتها مرة او كل شجرة ثمرتها لا تؤكل • والاثل نوع من الطرفا ولا يكون عليه ثمر الا في بعض الاوقات يكون عليه شيء
كالعفص اصغر منه في طعمه وطبعه • والسدر معروف وقال فيه قليل لانه كان احسن اشجاره فقلله الله • ثم بين
ان ذلك كان مجازاة لهم على كفرانهم فقال ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور اى نجازي بذلك الجزاء الا
الكفور وقال بعضهم المجازاة تقال في النقمة • والجزاء في النعمة • لكن قوله تعالى ذلك جزيناهم يدل على ان الجزاء يستعمل
في النقمة • ولعل من قال ذلك اخذه من ان المجازاة مفاعلة وهي في اكثر الامر تكون بين اثنين توجد من كل واحد جزاء
في حق الاخر • وفي النعمة لا تكون مجازاة لان الله مبتدئ بالنعم ثم قال تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها
قرى ظاهرة • اى بينهم وبين الشام فانها هي البقعة المباركة • وقرى ظاهرة اى يظهر بعضها لبعض • يرى سواد
القرية من القرية الاخرى • فان قال قائل هذا من النعم والله تعالى قد شرع في تبديل نعمهم بقوله وبدلناهم بجنتيهم
جنتين فكيف عاد مرة اخرى الى بيان النعمة بعد النقمة • فنقول ذكر حال نفس بلدهم وذكر تبديله ذلك بالاثل
والخمط • ثم ذكر حال خارج بلدهم • وذكر عمارتها بكثرة القرى • ثم ذكر تبديله وذلك بالمفاوز والبراري والبوادي
بقوله ربنا باعد بين اسفارنا وقد فعل ذلك ويدل عليه قراءة من قرأ ربنا بعد على المبتدأ والخبر • وقوله فيها السير
الاماكن المعمورة تكون منازلها معلومة مقدرة لا تتجاوز • فلما كان بين كل قرية مسيرة نصف نهار فكانوا يغدون
الى قرية ويروحون الى اخرى وما امكن في العرف تجاوزها فهو المراد بالتقدير والمفاوز لا يتقدر السير فيها بل يسير
السائر فيها بقدر الطاقة جادا متى يقطعها • وقوله سيروا فيها ليالي واياما اى كان بينهم ليالي واياما معلومة • وقوله
امنين اشارة الى كثرة العمارة • فان خوف قطاع الطريق والانقطاع عن الرفيق لا يكون في مثل هذه الاماكن وقيل
بان معنى قوله ليالي واياما يسيرون فيه ان شئتم ليالي وان شئتم اياما لعدم الخوف بخلاف المواضع المخوفة فان
بعضها يسلك ليلا لئلا يعلم العدو بسيرهم وبعضها يسلك نهارا لئلا يقصدهم العدو اذا كان العدو غير مجاهر
بالقصد والعداوة • وقوله تعالى وقالوا ربنا باعد بين اسفارنا قيل بانهم طلبوا ذلك وهو يحتمل وجهين
احدهما ان يسالوا البطر كما طلبت اليهود الثوم والبصل ويحتمل ان يكون ذلك لفساد اعتقادهم وشدة اعتمادهم
على ان ذلك لا يعدم • كما يقول القائل لغيره اضربني اشارة الى انه لا يقدر عليه • ويمكن ان يقال قالوا ربنا باعد
بلسان الحال اى لما كفروا فقد طلبوا ان يبعد بين اسفارهم • وخرب المعمور من ديارهم • وقوله وظلموا انفسهم
يكون بيانا لذلك فجعلناهم احاديث اى فعلنا بهم ما جعلناهم به مثلا يقال تفرقوا ايدي سبا • ومزقناهم
كل ممزق بيان لجعلهم احاديث • وقوله تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور • اى فيما ذكرنا من حال
الشاكرين ووبال الكافرين ثم قال تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه • اى ظنه انه يغويهم كما قال

فبعزتك

فبعزتك لاغوينهم فاتبعوه بيان لما قال • اى اغواهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وهم الذين قال الله تعالى في حقهم
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان • ويمكن ان يقال صدق عليهم ظنه في انه خير منه كما قال تعالى عنه انا خير منه
وتحقيق ذلك في قوله فاتبعوه لان المتبوع خير من التابع والا لا تبعه العاقل • والذي يدل على ان ابليس خير من
الكافر هو ان ابليس امتنع من عبادة غير الله لكن لما كان امتناعه ترك عبادة الله وعنادا والكافر والمشرك يعبد
غير الله فهو كفر بامر اقرب الى التوحيد وهم كفروا بامر هو الاشراك • ونؤيد هذا الذي اخترناه الاستثناء
وبيانه هو انه لو يظن انه يغوي الكل بدليل انه تعالى قال عنه الا عبادك منهم المخلصين فما ظن انه يغوي المؤمنين
فما ظنه صدقه ولا حاجة الى الاستثناء • واما في قوله انا خير منه اعتقد الخيرية بالنسبة الى جميع الناس بدليل
تعليله بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين وقد كذب في ظنه في حق المؤمنين • ويمكن الجواب عن هذا في الوجه
الاول هو انه وان لم يظن اغواء الكل علم ان البعض ناج لكن ظن في كل واحد انه ليس هو ذلك الناجي الى ان يتبين له فظن
انه يغويه فكذب في ظنه في حق البعض وصدق في البعض وصدق في البعض ثم قال تعالى وما كان له عليهم
من سلطان الا لنعلم • قد ذكرنا في تفسير قوله تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ان علم الله من
الازل الى الابد محيط بكل معلوم وعلمه لا يتغير وهو في كونه عالما لا يتغير ولكن يتغير تعلق علمه فان العلم صفة كاشفة
يظهر فيها كل ما في نفس الامر فعلم الله في الازل ان العالم سيوجد فاذا وجد علمه موجودا بذلك العلم • وانا عدم علمه
معدوما بذلك • مثاله المراة المصقولة فيها الصفا ويظهر فيها صورة زيد ان قابلها • ثم اذا قابلها عمرو يظهر فيها صورته
والمراة لم تتغير في ذاتها ولا تبدلت في صفاتها انما التغير في الخارجات فكذلك ههنا قوله الا لنعلم اى ليقع في
العلم صدور الكفر من الكافر والايمان من المؤمن وكان قبله فيه ان سيكفر زيد ويؤمن عمرو • وقوله وما كان له عليهم من سلطان
اشارة الى انه ليس بملجئ وانما هو اية وعلامة خلقها الله ليتميز ما هو في علمه السابق • وقوله وربك على كل شيء حفيظ •
يحقق ذلك اى الله تعالى قادر على منع ابليس منهم عالم بما سيقع فالحفظ يدخل في مفهومه العلم والقدرة اذ الجاهل
بالشيء لا يمكنه حفظه ولا العاجز • ثم قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله • لما بين الله تعالى حال الشاكرين
وحال الكافرين وذكرهم بمن مضى عاد الى خطابهم وقال لرسوله عليه السلام قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم من دون الله هم
ليكشف عنكم الضر على سبيل التهكم • ثم بين انهم لا يملكون شيئا بقوله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض اعلم
ان المذاهب المفضية الى الشرك اربعة • احدها قول من يقول الله تعالى خلق السموات وجعل الارض والارضيات
في حكمهم • ونحن من جملة الارضيات فنعبد الكواكب والملائكة التي في السماء • فهم الهتنا والله الههم فقال الله في ابطال
قولهم انهم لا يملكون في السموات شيئا كما اعترفتم • ثم قال ولا في الارض على خلاف ما زعمتم • وثانيها قول من يقول
السموات من الله على سبيل الاستبداد والارضيات منه ولكن بواسطة الكواكب فان الله خلق العناصر والتركيبات التي فيها
بالاتصالات وحركات وطوالع • فجعلوا الغير مع الله شريكا في الارض والاولون جعلوا الارض لغيره والسماء له فقال في
ابطال قولهم وما لهم فيهما من شرك اى الارض كالسماء لله لا لغيره ولا لغيره فيها نصيب • وثالثها قول من قال التركيبات
والحوادث كلها من الله تعالى لكن فوض ذلك الى الكواكب • وفعل الماذون ينسب الى الاذن • ويسلب عن الماذون
فيه • مثاله اذا قال الملك لمملوكه اضرب فلانا فضربه يقال في العرف الملك ضربه • ويصح عرفا قول القائل ما ضرب
فلان فلانا انما الملك ضربه لما امر به فضرب • فهؤلاء جعلوا السموات معينات لله فقال الله في ابطال قولهم
وما له منهم من ظهير ما فوض الى شيء شيئا بل هو على كل شيء حفيظ ورقيب • ورابعها قول من قال انا نعبد الاصنام التي هي
صور الملائكة ليشفعوا لنا فقال تعالى في ابطال قولهم ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فلا فائدة لعبادتكم
غير الله فان الله لا ياذن في الشفاعة لمن يعبد غيره فبطلبكم الشفاعة تفوتون على انفسكم الشفاعة • وقوله تعالى
حتى اذا فزع عن قلوبهم اى زيل الفزع منهم يقال قرد البعير اذا اخذ منه القراد • وفي قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم
وجوه • احدها الفزع الذي عند الوحي فان الله عندما يوحي يفزع من في السموات • ثم يزيل الله عنهم الفزع فيقولون
لجبريل عليه السلام ماذا قال الله فيقول قال الحق اى الوحي • وثانيها الفزع الذي من الشفاعة وذلك لان الله تعالى
لما اوحى الى محمد عليه الصلاة والسلام فزع من في السموات من القيمة لان ارسال محمد عليه الصلاة والسلام من اشراط الساعة
فلما زال عنهم ذلك الفزع قالوا ماذا قال الله قال جبريل الحق اى الوحي • وثالثها هو ان الله تعالى يزيل الفزع وقت الموت
عن القلوب فيعترف كل احد بان ما قال الله تعالى هو الحق فينفع ذلك القول من سبق ذلك منه • ثم تقبض روحه
على الايمان المتفق عليه بينه وبين الله تعالى اذا علمت هذا فنقول على القولين الاولين قوله حتى غاية متعلقة بقوله
تعالى قل لانه تنبيه بالوحي لان قول القائل قل لفلان للانذار حتى يسمع المخاطب ما تقوله ثم تقول بعد هذا الكلام ما يجب فقوله

واعلم ان المذاهب المفضية الى الشرك اربعة

فلما قال قل فزع من في السموات ثم ازيل عنهم الفزع • وعلى الثالث متعلقة بقوله تعالى زعمتم اى زعمتم الكفر الى غاية التفريغ ثم تركتم ما زعمتم وقلتم قال الحق وعلى القولين الاولين فاعل قوله تعالى قالوا ماذا هو الملائكة السائلون عن جبريل وعلى الثالث الملائكة السائلون الكفار والفاعل في قوله الحق على القولين الاولين هم الملائكة • وفي الثالث هم المشركون • واعلم ان الحق هو الموجود • ثم ان الله لما كان وجوده لا يرد عليه العدم كان حقا مطلقا لا يرتفع بالباطل الذي هو العدم • والكلام الذي يكون صدقا يسمى حقا لان الكلام له متعلق في الخارج بواسطة انه متعلق بما في الذهن والذي في الذهن متعلق بما في الخارج فاذا قال القائل جاء زيد يكون لهذا اللفظ تعلق بما في ذهن القائل وذهن القائل تعلقه بما في الخارج لكن الصدق متعلق في الخارج فيكون له وجود مستمر والكذب متعلق لا يكون في الخارج وحينئذ اما ان لا يكون له متعلق في الذهن فيكون كالمعدوم من الاول وهو الالفاظ التي تكون صادرة عن معاند كاذب • واما ان يكون له متعلق في الذهن على خلاف ما في الخارج فيكون اعتقادا باطلا جهلا او ظنا لكن لما لم يكن له متعلق يزول فيزول ذلك الكلام ويبطل وكلام الله لا بطلان له في اول الامر كما يكون لكلام الكاذب المعاند ولا بانته الباطل كما يكون كلام الظان وقوله تعالى وهو العلي الكبير قد ذكرنا في تفسير قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلي الكبير ان الحق انما اشارة الى انه كامل لا نقص فيه يقبل بسببه العدم وفوق الكاملين لان كل كامل فوقه كامل قوله وهو العلي الكبير • اشارة الى انه فوق الكاملين في ذاته وصفاته وهذا يبطل القول بكونه جسما وفي حيز لان كل من كان في حيز فان العقل يحكم بانه مشار اليه وهو مقطع الاشارة لان الاشارة لو لم تقع اليه لما كان المشار اليه هو واذا وقعت الاشارة اليه قد تناهت الاشارة عنده • وفي كل موضع تقف الاشارة يقدر العقل على ان يفرض البعد اكثر من ذلك فنقول لو كان بين مأخذ الاشارة والمشار اليه اكثر من هذا البعد لكان هذا المشار اليه اعلى فيصير عليا بالاضافة لا مطلقا وهو علي مطلقا ولو كان له جسما لكان له مقدار وكل مقدار يمكن ان يفرض اكبر منه فيكون كبيرا بالنسبة الى غيره لا مطلقا وهو كبير مطلق • ثم قال تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض • قد ذكرنا مرارا ان العامة يعبدون الله لا لكونه الها وانما يطلبون به شيئا وذلك اما دفع ضرر او جر نفع فنبه الله العامة بقوله قل ادعوا الذين زعمتم على انه لا يدفع الضر احد الا هو كما قال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وقال بعده تمام بيان ذلك قل من يرزقكم من السموات والارض اشارة الى ان جر النفع ليس الا به ومنه فاذا ان كنتم من الخواص فاعبدوه لعلوه وكبريائه • سواء دفع عنكم ضرا او لم يدفع وسواء نفعكم بخير او لم ينفع فان لم تكونوا كذلك فاعبدوه لدفع الضر وجر النفع ثم قال قل الله • يعني ان لم يقولوا هم فقل انت الله يرزق وههنا لطيفة وهي ان الله تعالى عند الضر ذكر انهم يقولون الله ويعترفون بالحق حيث قال قالوا الحق وعند النفع لم يقل انهم يقولون ذلك وذلك لان لهم حالة يعترفون بان كاشف الضر هو الله حيث يقعون في الضر كما قال تعالى واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه • واما عند الراحة فلا تنبه لهم لذلك فلذلك قال الله • اى هم حالة الراحة غافلون عن الله ثم قال قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين • وفيه مسائل المسئلة الاولى هذا ارشاد من الله لرسوله الى المناظرات الجارية في العلوم وغيرها وذلك لان احد المتناظرين اذا قال للاخر هذا الذي تقوله خطأ وانت فيه مخطئ يغضبه وعند الغضب لا يبقى سداد الفكر • وعند اختلاله لا مطمع في الفهم فيفوت الغرض • واما اذا قال له بان احدنا لا يشك في انه مخطئ والتمادي في الباطل قبيح والرجوع الى الحق احسن الاخلاق فنجتهد ونبصر اينا على الخطأ ليحترز فانه يجتهد ذلك الخصم في النظر ويترك التعصب وذلك لا يوجب نقصا في المنزلة لانه اوهم بانه في قوله شاك ويدل عليه قول الله تعالى لنبيه وانا او اياكم مع انه لا يشك في انه هو الهادي وهو المهتدي وهم الضالون المضلون المسئلة الثانية في قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال • ذكر في الهدى كلمة على وفي الضلال كلمة في لان المهتدي كانه مرتفع مطلع فذكره بكلمة التعلي • والضال منغمس في الظلمة غريق فيها فذكره بكلمة في المسئلة الثالثة وصف الضلال بالمبين ولم يصف الهدى لان الهدى هو الصراط المستقيم الموصل الى الحق والضلال خلافه لكن المستقيم واحد وما هو غيره كله ضلال وبعضها اميز من بعض فميز البعض عن البعض بالوصف المسئلة الرابعة قدم الهدى على الضلال لانه كان وصف المؤمنين المذكورين بقوله انا وهو مقدم في الذكر ثم قال تعالى قل لا تسألون عما اجرمنا اضاف الاجرام الى النفس وقال في حقهم ولا نسأل عما تعملون ذكر بلفظ العمل لئلا يحصل الاغضاب المانع من الفهم وقوله لا تسألون ولا نسأل زيادة حث على النظر وذلك لان كل احد اذا كان مأخوذا بجرمه فاذا احترز نجا • ولو كان البريء يؤاخذ بالمجرم لما كفى النظر ثم قال تعالى قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا • اكد ما يوجب النظر والتفكر فان مجرد الخطأ والضلال واجب الاجتناب • فكيف اذا كان يوم عرض وحساب

وثواب

العلى

وثواب وعذاب • وقوله يفتح معناه يحكم • ويمكن ان يقال بان الفتح ههنا مجاز وذلك لان الباب المغلق والمنفذ المسدود يقال فيه فتحه على طريق الحقيقة • ثم ان الامر اذا كان فيه انغلاق وعدم وصول اليه فاذا تبينه احد يكون قد فتحه وقوله وهو الفتاح العليم • اشارة الى ان حكمه يكون مع العلم لا مثل حكم من يحكم بما يتفق له بمجرد هواه ثم قال قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله • قد ذكرنا ان المعبود يعبده قوم لدفع الضرر وجمع لتوقع المنفعة وقليل من الاشراف الاعزة يعبدونه لانه يستحق العبادة لذاته • فلما بين انه لا يعبد غير الله لدفع الضرر اذ لا دافع للضرر غيره بقوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله وبين انه لا يعبد غير الله لتوقع المنفعة بقوله قل من يرزقكم من السموات والارض بين ههنا انه لا يعبد احد لاستحقاقه العبادة غير الله تعالى فقال قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم • اى هو المعبود لذاته واتصافه بالعزة وهي القدرة الكاملة والحكمة وهي العلم التام الذي عمله موافق له ثم قال تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا • لما بين مسئلة التوحيد شرع في الرسالة فقال تعالى وما ارسلناك الا كافة وفيها وجهان • احدهما كافة اى رسالة كافة اى عامة لجميع الناس تمنعهم من الخروج عن الانقياد لها • والثاني كافة اى ارسلناك كافة تكف الناس انت من الكفر • والهاء للمبالغة على هذا الوجه • بشيرا اى تحثهم بالوعد • ونذيرا لتزجرهم بالوعيد • ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك لا لخفائه بل لغفلتهم ثم قال ويقولون متى هذا الوعد لما ذكر الرسالة بين الحشر وقال قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون قد ذكرنا في سورة الاعراف ان قوله لا تستأخرون يوجب الانذار لان معناه عدم المهلة عن الاجل لكن الاستقدام ما وجهه وذكرنا هناك وجهه • ونذكرها ههنا انهم لما طلبوا الاستعجال بين انه لا استعجال فيه كما لا امهال وهذا يفيد عظم الامر وخطر الخطب وذلك لان الامير الحقير اذا طالبه طالب من غيره لا يؤخره ولا يوقفه على وقت بخلاف الامر الخطير • وفي قوله لكم ميعاد يوم قراآت • احدها رفعهما مع التنوين وعلى هذا يوم بدل • وثانيها نصب يوم مع رفع ميعاد والتنوين فيهما ميعاد يوما قال الزمخشري ووجهه انه منصوب بفعل محذوف كانه قال ميعادا اعني يوما وذلك يفيد التعظيم والتهويل • ويحتمل ان يقال نصب على الظرف تقديره لكم ميعاد يوما كما يقول القائل انا جائي يوما وعلى هذا يكون العامل فيه العلم كانه يقول لكم ميعاد تعلمونه يوما • وقوله معلوم يدل عليه كقول القائل انه مقبول يوما • الثالثة الاضافة لكم ميعاد يوم كما في قول القائل سحق ثوب للتبيين واسناد الفعل اليهم بقوله لا يستأخرون عنه بدلا عن قوله لا يؤخر عنكم زيادة تأكيد لوقوع اليوم ثم قال تعالى وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه • لما بين الامور الثلاثة من التوحيد والرسالة والحشر وكانوا بالكل كافرين بين كفرهم العام بقوله وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن وذلك لان القرآن مشتمل على الكل • وقوله ولا بالذي بين يديه المشهور

[illegible]

لما بين الامور الثلاثة من التوحيد والرسالة والحشر

مما يصلح مانعا وصارفا اعترف المستضعفون به وقالوا بل مكر الليل والنهار منعنا • ثم قالوا لهم انكم وان كنتم ما اتيتم
بالصارف القطعي والمانع القوي ولكن انضم امركم الينا بالكفر الى طول الامد • واستمداد المدد • وكان قولكم جر السبب ويحتمل
وجها اخر وهو ان يكون المراد بل مكركم بالليل والنهار فحذف المضاف اليه • وقوله اذ تامروننا ان نكفر بالله اى ننكره
ونجعل له اندادا • هذا يبين ان المشرك بالله مع انه في الصورة مثبت لكنه في الحقيقة منكر لوجود الله لان من نبيا وبه
المخلوق المنحوت لا يكون الها • وقوله في الاول يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا بلفظ المستقبل
وقوله في الايتين الاخيرتين المتاخرتين وقال الذين استكبروا وقال الذين استضعفوا بصيغة الماضي مع ان السؤال والمراجعة
في القول لم يقع اشارة الى ان ذلك لا بد يقع فان الامر الواجب الوقوع يوجد كانه وقع • الا ترى الى قوله تعالى انك
ميت وانهم ميتون ثم قال تعالى واسروا الندامة لما راوا العذاب • ومعناه انهم يتراجعون القول في الاول ثم اذا جاءهم
العذاب الشاغل يسرون ذلك التراجع الدال على الندامة • وقيل معنى الاسرار الاظهار اى اظهروا الندامة • ويحتمل
ان يقال بانهم تراجعوا في القول رجعوا الى الله بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا ثم اجيبوا واخبروا
بان الامر ردكم فاسروا ذلك القول • وقوله وجعلنا الاغلال في اعناقهم اشارة الى كيفية العذاب تقطعوا بانهم واقعون
فيه فتركوا الندم ووقعوا فيه فجعل الاغلال في اعناقهم وقوله هل يجزون الا ما كانوا يعملون • اشارة الى ان ذلك حقهم
عدلا ثم قال تعالى وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها الاية • تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وبيانا لان ايذاء
الكفار • الانبياء الاخيار ليس بدعا بل ذلك عادة جرت من قبل • واما نسبة القول الى المترفين مع ان غيرهم ايضا قالوا
انا بما ارسلتم به كافرون لان الاغنياء المترفين هم الاصل في ذلك القول • الا ترى ان الله قال عن الذين استضعفوا انهم
قالوا للمستكبرين لولا انتم لكنا مؤمنين • ثم استدلوا على كونهم مصيبين في ذلك بكثرة الاموال والاولاد فقالوا نحن اكثر
اموالا واولادا اى بسبب لزومنا ديننا • وقوله وما نحن بمعذبين اى في الاخرة كانهم قالوا انا عاجلا خير من حالكم
واما اجلا فلا نعذب • اما انكارا منهم للعذاب راسا او اعتقادا حسن حالهم في الاخرة ايضا قياسا • ثم ان الله
بين خطاهم بقوله قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني ان الرزق في الدنيا لا يدل سعته وضيقه على حال المحق
والمبطل • فكم من موسر شقي • وكم من معسر تقي • ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان قلة الرزق وضنك العيش وكثرة
المال وخفض العيش بالمشية من غير اختصاص بالفاسق والصالح • ثم بين فساد استدلالهم بقوله • وما اموالكم
ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى • يعني قولكم نحن اكثر اموالا فنحن احسن عند الله حالا ليس استدلالا صحيحا لان المال لا
يقرب الى الله • والاعتبار بالقربة • وانما المعتبر العمل الصالح بعد الايمان والذي يدل عليه هو ان المال والولد يشغل عن الله
فيبعد عنه فكيف يقرب منه • والعمل الصالح اقبال على الله واشتغال بالله • فمن توجه الى الله وصل • ومن طلب من الله
شيئا حصل • وقوله فلهم جزاء الضعف اى الحسنة فان الضعف لا يكون الا في الحسنة • وفي السيئة لا يكون الا المثل • ثم
زاد وقال وهم في الغرفات امنون • اشارة الى دوام النعيم وتابيده • فان من يقطع عنه النعمة لا يكون امنا • ثم بين حال المسيء
بقوله • والذين يسعون في اياتنا معاجزين • وقد ذكرنا تفسيره • وقوله اولئك في العذاب محضرون • اشارة الى الدوام
ايضا كما قال تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها • وكما قال تعالى وما هم عنها بغائبين • ثم قال تعالى قل ان ربي
يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له • اشارة الى ان نعيم الاخرة لا ينافي نعمة الدنيا بل الصالحون قد يحصل لهم في الدنيا
النعيم مع القطع بحصول النعيم لهم في العقبى بناء على الوعد قطعا لقول من يقول اذا كانت العاجلة لنا والاجلة لهم فالنقد
اولى فقال هذا النقد غير مختص بكم فان كثيرا من الاشقياء مدقعون • وكثير من الاتقياء ممتعون • وفيه مسائل المسئلة الاولى
ذكر هذا المعنى مرتين • مرة لبيان ان كثرة اموالهم واولادهم غير دالة على حسن احوالهم واعتقادهم • ومرة لبيان انه غير
مختص بهم كانه قال وجود الترف • لا يدل على الشرف • ثم ان سلمنا انه كذلك لكن المؤمنين سيحصل لهم ذلك فان الله يملكهم
دياركم واموالكم • والذي يدل عليه هو ان الله تعالى لم يذكر اولا لمن يشاء من عباده بل قال لمن يشاء • وثانيا قال لمن يشاء من
عباده • والعباد المضافة يراد بها المؤمنون • ثم وعد المؤمن خلاف ما للكافر فان الكافر ماله مقطوع وماله الى
الزوال • ومآله الى الوبال • واما المؤمن فما ينفقه يخلفه الله • ويخلفه الله خير • فان ما في يد الانسان في معرض
البوار والتلف وهو لا ينتظر فان الى ما عند الله من الخلف ثم اكد ذلك بقوله والله خير الرازقين وخيرية الرازق في
امور • احدها ان لا يؤخر عن وقت الحاجة • والثاني ان لا ينقص من قدر الحاجة • والثالث ان لا ينكده بالحساب • والرابع
ان لا يكدره بطلب الثواب • والله تعالى كذلك • اما الاول فلانه عالم وقادر • والثاني فلانه غني واسع • والثالث
فلانه كريم • وقد ذكر ذلك بقوله والله يرزق من يشاء بغير حساب • وما ذكرنا هو المراد اى يرزقه حلالا لا يحاسبه
الله عليه • والرابع فلانه على كثير والثواب يطلبه الادنى من الاعلى الا ترى ان هبة الاعلى من الادنى

معجزين

لا يقتضي ثوابا

لا يقتضي ثوابا المسئلة الثانية قوله وما انفقتم من شيء فهو يخلفه يحقق معنى قوله عليه السلام ما من
يوم يصبح العباد الا وملكان ينزلان • يقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا • ويقول الاخر اللهم اعط
ممسكا تلفا • وذلك لان الله تعالى ملك غني وهو غني ملي • فاذا قال انفق وعلي بدله بحكم الوعد يلزمه
كما اذا قال قائل الق متاعك في البحر وعلي ضمانه • فمن انفق فقد اتى بما هو شرط حصول البدل فيحصل البدل
ومن لم ينفق فالزوال لازم للمال ولم يات بما يستحق عليه من البدل • فيفوت من غير خلف وهو التلف • ثم
من العجب ان التاجر اذا علم ان بعض امواله في معرض الهلاك يبيعه بنسيئة وان كان من الفقراء ويقول بان ذلك اولى
من الاهمال الى الهلاك فان لم يبع حتى يهلك ينسب الى الخطاء ثم ان حصل به كفيل ملي ولا يبيع ينسب الى قلة العقل
فان حصل به رهن وكتب به وثيقه ولا يبيعه ينسب الى الجنون • ثم ان كل احد يفعل هذا ولا يعلم ان ذلك قريب
من الجنون فان اموالنا كلها في معرض الزوال المحقق والانفاق على الاهل والولد اقراض وقد حصل الضامن المليء
وهو الله العلي وقال وما انفقتم من شيء فهو يخلفه • ثم رهن عند كل انسان اما ارضا او بستانا او طاحونة او
حماما او منفعة فان الانسان لا بد ان يكون له ضيعة او جهة يحصل له منها مال وكل ذلك ملك الله وهو في يد الانسان
بحكم العارية وكانه مرهون بما تكفل الله من رزقه ليحصل له الوثوق التام ومع هذا لا ينفق ويترك ماله للتلف
لا مشكورا ولا ماجورا المسئلة الثالثة قوله خير الرازقين ينبئ عن كثرة في الرازقين ولا رازق الا الله فالجواب
عنه فنقول عنه جوابان • احدهما ان يقال الله خير الرازقين الذين تظنونهم رازقين • وكذلك في قوله تعالى
وهو احسن الخالقين • وثانيهما هو ان الصفات منها ما حصل لله وللعبد حقيقة • ومنها ما يقال لله بطريق
الحقيقة ولا يقال للعبد لا بطريق الحقيقة ولا بطريق المجاز لعدم حصوله للعبد حقيقة وصورة • مثال الاول
العلم فان الله يعلم انه واحد والعبد يعلم انه واحد بطريق الحقيقة • وكذلك العلم بكون النار حارة غايته ما في
الباب ان علمه قديم وعلمنا حادث • مثال الثاني الرازق والخالق فان العبد اذا اعطى غيره شيئا فالله هو المعطي ولكن
لاجل صورة العطاء منه سمي معطيا كما يقال للصورة المنقوشة على الحائط فرس وانسان • مثال الثالث الازلي والله
وغيرهما وقد يقال في اشياء في الاطلاق على العبد حقيقة وعلى الله مجازا كالاستواء والنزول والمجيئة ويد الله وجنب الله
ثم قال تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون • لما بين ان حال النبي عليه السلام
كحال من تقدمه من الانبياء • وحال قومه كحال من تقدم من الكفار • وبين بطلان استدلالهم بكثرة اموالهم واولادهم
بين ما يكون عاقبة حالهم تعالى ويوم يحشرهم جميعا يعني المكذبين بك ومن تقدمك ثم نقول لمن يدعون انهم يعبدونهم وهم
الملائكة فان غاية ما يرتقي اليه منزلتهم انهم يقولون نحن نعبد الملائكة والكواكب فيسال الملائكة انهم كانوا يعبدونكم اهانة
لهم فيقول كل منهم سبحانك تنزهك عن ان يكون غيرك معبودا انت معبودنا ومعبود كل خلق وفوقهم انت ولينا من دونهم
اشارة الى معنى لطيف وهو ان مذاهب الناس مختلفة بعضهم لا يسكن المواضع المعمورة التي يكون فيها سواد عظيم لانه
لا يتراس هناك فيرضى بالضياع والبلاد الصغيرة • وبعضهم لا يريد البلاد الصغيرة لعدم اجتماع فيها بالناس • وقلة
وصوله فيها الى الاكياس • ثم ان الفريقين جميعا اذا عرض عليهم خدمة السلطان واستخدام الارذال الذين لا التفات اليهم
اصلا اختار العاقل خدمة السلطان على استخدام من لا يؤبه به ولو كان رجلا سكن جبلا ووضع بين يديه شيئا من القاذورات
واجتمع عليه الذبان والديدان • وهو يقول هؤلاء اتباعي واشياعي ولا ادخل المدينة مخافة ان احتاج الى السلطان الاعظم
والتردد اليه • ينسب الى الجنون • فكذلك من رضي بان يترك خدمة الله وعبادته • ورضي باستتباع الهمج الذين هم اضل
من البهائم واقل من الهوام يكون مجنونا فقالوا انت ولينا من دونهم يعني كونك ولينا بالمعبودية اولى واحب الينا من كونهم
اولياءنا بالعبادة لنا • وقالوا بل كانوا يعبدون الجن اي كانوا ينقادون لامر الجن فهم في الحقيقة كانوا يعبدون الجن ونحن
كالقبلة لهم لان العبادة هي الطاعة وقوله اكثرهم بهم مؤمنون • لو قال قائل جميعهم كانوا تابعين للسلطان فما
وجه قوله اكثرهم بهم مؤمنون فانه ينبئ ان بعضهم لم يؤمن بهم ولم يطعهم نقول الجواب عنه من وجهين • احدهما
ان الملائكة احترزوا عن دعوى الاحاطة بهم فقالوا اكثرهم لان الذين راوهم واطلعوا على احوالهم كانوا يعبدون الجن
ويؤمنون بهم • ولعل في الوجود من لم يطلع الله الملائكة عليه من الكفار • الثاني هو ان العبادة عمل ظاهر والايمان
عمل باطن فقالوا بل كانوا يعبدون الجن لاطلاعهم على اعمالهم وقالوا اكثرهم بهم مؤمنون عند عمل القلب لئلا يكونوا مدعين
اطلاعهم على ما في قلوبهم فان القلب لله عليه الاطلاع كما قال انه عليم بذات الصدور • ثم بين ان ما كانوا يعبدونه
لا ينفعهم فقال فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا • وفيه مسائل المسئلة الاولى الخطاب مع من بقوله
بعضكم نقول يحتمل ان يكون مع الملائكة لسبق قوله تعالى اياكم كانوا يعبدون • وعلى هذا يكون ذلك تنكيلا للكافرين حيث

ثم ان الفريقين جميعا اذا اعرض عليهم خدمة السلطان

يبين لهم ان معبودهم لا ينفع ولا يضر ويصحح هذا قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا لمن ارتضى ولانه قال بعده
ونقول للذين ظلموا ذوقوا فانه ردهم ولو كان المخاطب هم الكفار لقال فذوقوا وعلى هذا يكون الكفار داخلين
في الخطاب حتى يصح معنى قوله بعضكم لبعض اي الملائكة للكفار والحاضر الواحد يجوز ان يجعل من يشاركه
في امر بسببه مخاطبا كما يقول القائل لواحد حاضر له شريكا في الكلام انتم قلتم على معنى انت قلت وهم قالوا ويحتمل
ان يكون معهم اخر اي لا يملك بعضكم لبعض ايها الملائكة والجن واذا لم يملكوا لانفسكم فلا يملكوا لغيركم ويحتمل
ان يكون المخاطب هم الكفار لان ذكر اليوم يدل على حضورهم وعلى هذا فقوله ونقول للذين ظلموا انما ذكر تاكيدا
لبيان حالهم في الظلم وسببا لما بهم من الاثم ولو قال فذوقوا عذاب النار لكان كافيا لكنه لا يحصل ما ذكرنا من
الفائدة فانهم كلما كانوا يسمعون ما كانوا عليه من الظلم والعناد والاثم والفساد يتحسرون ويندمون والله اعلم
المسئلة الثانية قوله نفعا مفيد لتحسرهم واما الضر فما الفائدة فيه مع انهم لو كانوا يملكون الضر لما نفع
الكافرين ذلك فنقول لما كانت العبادة تقع لدفع ضرر المعبود كما يعبد الجبار ويخدم مخافة شره بين انهم ليس فيهم
ذلك الوجه يحسن لاجله عبادتهم المسئلة الثالثة قال ها هنا عذاب النار التي كنتم بها وقال في السجدة
عذاب الذي كنتم به جعل المكذب هنا النار وجعل المكذب ها هنا النار وهم كانوا يكذبون بالكل والفائدة
فيها ان هنالك لم يكن اول ما رأوا النار بل كانوا هم فيها من زمان بدليل قوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا
فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون اي العذاب المؤبد الذي انكرتموه بقولكم لن تمسنا النار الا
اياما معدودة اي ان قلتم ان العذاب ان وقع فلا يدوم فذوقوا الدائم وها هنا اول ما رأوا النار لانه مذكور
عقيب الحشر والسؤال فقيل لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون ثم قال تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى واشتد عنادهم حيث بين ان اعلى من يعبد
وهم الملائكة لا نتاهل للعبادة لا لذواتهم كما قالوا سبحانك انت ولينا اي لا اهلية لنا الا لعبادتك من دونهم
اي لا اهلية لنا لان نكون معبودين لهم ولا لنفع او ضر كما قال تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا
ثم مع هذا كله اذا قال لهم النبي عليه السلام كلاما من التوحيد وتلى عليهم ايات الله الدالة عليه فان لله في كل شيء آيات
دالة على وحدانيته نكروها وقالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم يعني يعارضون البرهان
بالتقليد وقالوا ما هذا الا افك مفترى وهو يحتمل وجوها احدها ان يكون المراد ان القول بالوحدانية افك
مفترى ويدل عليه هو ان الموحد كان يقول في حق المشرك انه يأفك كما قال تعالى في حقهم ائفكا آلهة دون الله تريدون
وكما قالوا هم للرسول اجئتنا لتأفكنا عما وجدنا عليه آباءنا وثانيها ان يكون المراد ما هذا الا افك اي القرآن افك
وعلى الاول يكون قوله وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين اشارة الى القرآن وعلى الثاني يكون
اشارة الى ما اتوا به من المعجزات وعلى الوجهين في قوله تعالى وقال الذين كفروا بدلا من ان يقول وقالوا للحق
هو ان انكار التوحيد كان مختصا بالمشركين واما انكار القرآن والمعجزة كان متفقا عليه بين المشركين واهل الكتاب
فقال تعالى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين اشارة الى القرآن وعلى الثاني يكون اشارة
الى ما اتوا به من المعجزات وعلى الوجهين في قوله تعالى وقال الذين كفروا بدلا عن ان يقول وقالوا للحق هو انكار النبوة
كان مختصا بالمشركين واما انكار القرآن والمعجزة كان متفقا عليه بين المشركين واهل الكتاب فقال تعالى وقال الذين
كفروا للحق لما جاءهم بالعموم ثم قال تعالى وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير
تاكيدا لبيان تقليدهم يعني ما يقولون عند ما يتلى عليهم الآيات البينات هذا رجل كاذب وقوله افك مفترى من غير
برهان لا كتاب انزل عليهم ولا رسولا ارسل اليهم بالآيات البينات لا يعارض الا بالبراهين العقلية ولم يأتوا بها
اولا بالنقليات وما عندهم كتاب ولا رسول غيرك وانتقل المعترض آيات كتاب الله واتوا من غير رسول ثم بين الله
من قبلهم كذبوا مثل عاد وثمود وقوله تعالى وما بلغوا معشار ما آتيناهم قال المفسرون معناه وما بلغ هؤلاء
المشركون معشار ما آتينا المتقدمين من النعمة والقوة وطول العمر ثم ان الله تعالى اخذهم وما نفعهم قوتهم
فكيف حال هؤلاء الضعفاء وعندي انه يحتمل ذلك وجها آخر وهو ان يقال المراد وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا
معشار ما آتيناهم اي الذين من قبلهم ما بلغوا معشار ما آتينا قوم محمد من البيان والبرهان وذلك لان كلام محمد
عليه السلام اكمل من سائر الكتب واوضح ومحمد عليه الصلاة والسلام افضل من جميع الرسل وافصح وبرهانه
اوفى وبيانه اشفى ثم ان المتقدمين لما كذبوا بما جاءهم من الكتب ومن اتاهم من الرسل انكر عليهم فكيف لا ينكر
عليهم وقد كذبوا بافصح الرسل واوضح السبل ويؤيد ما ذكرنا من المعنى قوله تعالى وما آتيناهم من كتب

تقوم

يدرسونها

يدرسونها يعني القرآن وما آتيناهم كتابا وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير فلما كان المنفي في الآية الاولى هو الكتاب
تحمل الاتيان في الآية الثانية على ايتاء الكتاب اولى ثم قال تعالى قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله ذكر الاصول
الثلاثة في هذه الآية بعد ما سبق منه تقريرها بالدلائل قوله ان تقوموا لله اشارة الى التوحيد وقوله ما بصاحبكم
من جنة ان هو الا نذير اشارة الى الرسالة وقوله بين يدي عذاب شديد اشارة الى اليوم الآخر وفي
الآية مسائل المسئلة الاولى قوله انما اعظكم بواحدة يقتضي ان لا يكون الاتيان التوحيد والايمان لا يتم الا بالتوحيد
بالاعتراف بالرسالة والحشر فكيف يصح الحصر المذكور بقوله انما اعظكم بواحدة فنقول التوحيد هو المقصود ومن
وحد الله حق التوحيد شرح الله صدره ويرفع في الآخرة قدره فالنبي عليه الصلاة والسلام امرهم بما يفتح عليهم
ابواب العبادات ويهيئ لهم اسباب السعادات وجواب آخر وهو ان النبي عليه السلام ما قال اني لا آمركم في
جميع عمري الا بشيء واحد وانما قال اعظكم اولا بالتوحيد ولا آمركم في اول الامر بغيره لانه سابق على الكل ويدل
عليه قوله تعالى ثم تتفكروا فان التفكر ايضا صار مأمورا به وموعوظا المسئلة الثانية قوله واحدة قال
المفسرون تأنيثها على انها صفة خصلة اي اعظكم بخصلة واحدة ويحتمل ان يقال المراد حسنة واحدة لان التوحيد
حسنة واحسان وقد ذكر في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان ان العدل نفي الالهية عن غير الله والاحسان
اثبات الالهية له وقيل في تفسير قوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ان المراد هل جزاء الايمان الا الجنان
وكذلك يدل عليه قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله المسئلة الثالثة قوله مثنى وفرادى اشارة
الى جميع الاحوال فان الانسان اما ان يكون مع غيره او يكون وحده فاذا كان مع غيره دخل في قوله مثنى واذا كان وحده
دخل في قوله فرادى فكأنه قال ان تقوموا لله مجتمعين ومنفردين لا يمنعكم الجمعية ذكر الله ولا يحوجكم الانفراد الى معين
يعينكم على ذكر الله المسئلة الرابعة قوله ثم تتفكروا يعني اعترفوا بما هو الاصل والتوحيد ولا حاجة فيه الى تفكر ونظر
بعد ما بان وظهر ثم تتفكروا فيما اقول بعده من الرسالة والحشر فانه يحتاج الى تفكر وكلمة ثم تفيد ما ذكرنا فانه قال
تقوموا لله ثم تتفكروا اثم بين ما تتفكرون فيه وهو امر النبي عليه الصلاة والسلام فقال ما بصاحبكم من جنة المسئلة الخامسة
قوله ما بصاحبكم من جنة يفيد كونه رسولا وان كان لا يلزم في كل من لا يكون به جنة ان يكون رسولا وذلك لان النبي عليه السلام
كان يظهر منه اشياء لا تكون مقدورة للبشر وغير البشر ممن يظهر منه العجائب اما الجن او الملك فاذا لم يكن الصادر من النبي
عليه السلام بواسطة الجن يكون بواسطة الملك او بقدرة الله من غير واسطة وعلى التقديرين فهو رسول وهذا من احسن
الطرق وهو ان يثبت الصفة التي هي اشرف الصفات في البشر بنفي احسن الصفات فانه لو قال اولا هو رسول كانوا يقولون
فيه النزاع فاذا قال ما هو مجنون لم يسعهم انكار ذلك لعلمهم بعلو شأنه وحاله في قوة لسانه وبيانه فاذا ساعدوا على ذلك
لزمهم المسئلة ولهذا قال بعده ان هو الا نذير يعني اما هو به جنة او هو رسول لكن تبين انه ليس به جنة فهو نذير المسئلة
السادسة قوله بين يدي عذاب شديد اشارة الى قرب العذاب كأنه قال ينذركم بعذاب حاضر يمسكم عن قريب بين يدي
العذاب اي سوف يأتي العذاب بعده ثم قال تعالى قل ما سألتكم من اجر فهو لكم لما ذكر انه ما به جنة ليلزم منه
كونه نبيا ذكر وجها آخر يلزم منه انه نبي اذا لم يكن مجنونا لان من يرتكب العناء الشديد لا لغرض عاجل اذا لم يكن ذلك فيه
ثوابا اخرويا يكون مجنونا فالنبي عليه السلام بدعواه النبوة يجعل نفسه عرضة للهلاك عاجلا فان كل احد يقصده
ويعاديه ولا يطلب اجرا في الدنيا فهو يفعله للآخرة والكاذب في الآخرة معذب لا مثاب فلو كان كاذبا
كان مجنونا لكنه ليس بمجنون فليس بكاذب فهو نبي صادق وقوله وهو على كل شيء شهيد تقرير آخر للرسالة وذلك
لان الرسالة لا تثبت الا بالدعوى والبينة يدعي الشخص النبوة ويظهر الله المعجزة فهو بينة شاهدة والتصديق بالفعل
يقوم مقام التصديق بالقول في افادة العلم بدليل ان من قال لقوم اني مرسل من هذا الملك اليكم الزمكم قبول قولي
والملك حاضر ناظر ثم قال للملك يا ايها الملك ان كنت رسولك فقل لهم اني رسولك فاذا قال انه رسولي اليكم لا يبقى فيه
شك كذلك اذا قال يا ايها الملك ان كنت انا رسولك اليهم فالبسني قباءك فلو البسه قباءه في عقب كلامه يجزم الناس بانه
رسوله كذلك حال الرسل وقال الانبياء لقومهم نحن رسل الله ثم قالوا يا الهنا ان كنا رسلك فانطق هذه الحجارة او انشر
هذا الميت ففعله يحصل الجزم بانه صدقه ثم قال تعالى قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب وفيه وجهان
احدهما يقذف بالحق في قلوب المحقين وعلى هذا الوجه للآية بما قبلها تعلق وذلك من حيث ان الله تعالى لما بين رسالة
النبي عليه السلام بقوله ان هو الا نذير لكم واكده بقوله قل ما سألتكم من اجر فهو لكم وكان من عادة المشركين استبعاد
تخصيص واحد منهم من بينهم بانزال الذكر عليه كما قال تعالى عنهم اانزل عليه الذكر من بيننا ذكر ما يصلح جوابا لهم فقال
قل ان ربي يقذف بالحق اشارة الى ان الامر بيده يفعل ما يريد ويعطي ما يشاء لمن يشاء ثم قال علام الغيوب اشارة

الالهية

يعني اعترفوا بما هو الاصل والتوحيد ولا حاجة فيه الى تفكر

الجواب بسؤال المقدر فاسد بذكر عليه وهو ان من يفعل كما يريد من غير اختصاص محل الفعل بشيء لا يوجد في غيره
لا يكون عالما وانما فعل ذلك اتفاقا كما اذا اصاب السهم موضعا دون غيره مع تسوية المواضع في المحاذاة فقال
يقذف بالحق كيف يشاء وهو عالم بما يفعله • وعالم بعواقب ما يفعله فهو يفعل ما يريد لا كما يفعله الهاجم
الغافل عن العواقب اذ هو علام الغيوب • الوجه الثاني هو ان المراد منه انه يقذف بالحق على الباطل كما قال
في سورة الانبياء بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه • وعلى هذا تعلق الآية بما قبلها ايضا ظاهر وذلك من حيث ان براهين
التوحيد لما ظهرت • وشبههم دحضت قال ان ربي يقذف بالحق اي على باطلكم • وقوله علام الغيوب على هذا
الوجه له معنى لطيف وهو ان البرهان الباهر للعقول الظاهر لم يتم الا على التوحيد والرسالة • واما الحشر
فعلى وقوعه لا برهان غير اخبار الله تعالى عنه وعن احواله واهواله • ولولا بيان الله بالقول لما بان لاحد بحال
التوحيد والرسالة • فلما قال يقذف بالحق اي على الباطل اشارة الى ظهور البراهين على التوحيد والنبوة قال
علام الغيوب اي ما يخبره عن الغيب وهو قيام الساعة واحوالها فهو لا خلف فيه فان الله علام الغيوب • والآية
تحتمل تفسيرا آخر وهو ان يقال ربي يقذف بالحق اي ما يقذفه يقذفه بالحق لا بالباطل والباء على الوجهين الاولين وعلى هذا
الباء فيه كالباء في قوله وقضى ربك بالحق وفي قوله فاحكم بين الناس بالحق والمعنى على هذا الوجه هو ان الله تعالى قد
ما قذف في قلب الرسل بالحق وهو علام الغيوب يعلم ما في قلوبهم وما في قلوبكم • ثم قال تعالى قل جاء الحق وما يبدئ الباطل
وما يعيد • لما ذكر الله تعالى ان يقذف بالحق وكان ذلك بصيغة الاستقبال ذكر ان ذلك الحق قد جاء • وفيه وجوه
احدها انه القرآن • الثاني انه بيان التوحيد والحشر وكل ما ظهر على لسان النبي عليه الصلاة والسلام • الثالث المعجزات
الدالة على نبوة محمد عليه السلام • ويحتمل ان يكون المراد من جاء الحق ظهر الحق لان كل ما جاء فقد ظهر والباطل خلاف
الحق وقد بينا ان الحق هو الموجود • ولما كان ما جاء به النبي عليه السلام لم يمكن انتفاؤه كالتوحيد والرسالة
والحشر كان حقا لا ينتفي • ولما كان ما ياتون به من الاشراك والتكذيب لا يمكن وجوده كان باطلا لا يثبت وهذا المعنى
يفهم من قوله وما يبدئ الباطل لا يفيد شيئا في الاول ولا في الآخر فلا امكان لوجوده اصلا والحق لما اتى به لا عدم
له اصلا • وقيل المراد لا يبدئ الشيطان ولا يعيد • وفيه معنى لطيف وهو ان قوله تعالى قل ان ربي يقذف
بالحق لما كان فيه معنى قوله تعالى نقذف بالحق على الباطل فيدمغه كان يقع لمتوهم ان الباطل كان فورد عليه الحق
فابطله ودفعه فقال هاهنا ليس للباطل تحقق اولا وآخرا • واما المراد من قوله فيدمغه اي فيظهر بطلانه
الذي لم يزل كذلك واليه الاشارة بقوله تعالى في موضع آخر وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا يعني ليس
امرا متجددا زهوق الباطل • فقوله وما يبدئ الباطل اي لا يثبت في الاول شيئا خلاف الحق ولا يعيد في الآخر
شيئا خلاف الحق • ثم قال تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فيما يوحي الي ربي • هذا
فيه تقرير للرسالة ايضا وذلك لان الله تعالى قال على سبيل العموم من اهتدى فلنفسه وقال في حق النبي عليه السلام
وان اهتديت فيما يوحي يعني ضلالي على نفسي كضلالكم • واما اهتدائي فليس بالنظر والاستدلال كاهتدائكم
وانما هو بالوحي المبين • وقوله انه سميع اي يسمع اذا ناديته واستغثت به عليكم • قريب ياتيكم من غير تاخر
ليس كمن يسمع عن بعد ولا يلحق الداعي • ثم قال تعالى ولو ترى اذ فزعوا لما قال سميع قريب قال هو قريب فان لم
يعذب عاجلا فيعين صاحب الحق في الحال فيوم الفزع آت لا فوت وانما يستعجل من يخاف الفوت • وقوله ولو ترى
جوابه محذوف اي ترى عجبا • واخذوا من مكان قريب لا يهربون • واما الاخذ قبل تمكنهم من الهرب • ثم قال تعالى
وقالوا آمنا به وانى لهم التناوش من مكان بعيد • قالوا آمنا وانى لهم التناوش • اي كيف يقدرون
على الظفر بالمطلوب • وذلك لا يكون الا في الدنيا وهم في الآخرة والدنيا من الآخرة بعيدة • فان قيل كيف قال
في كثير من المواضع ان الآخرة من الدنيا قريبة • ولهذا سماها الله الساعة وقال لعل الساعة قريب فنقول
الماضي كالامس الدابر ابعد ما يكون اذ لا وصول اليه • والمستقبل وان كان بينه وبين الحاضر سنين
فانه آت • ويوم القيامة الدنيا بعيدة لمضيها • وفي الدنيا يوم القيامة قريب لاتيانه • والتناوش
التناول عن قريب • وقيل عن بعد • ولما جعل الله الفعل ما يؤخذ كالجسم جعل ظرف الفعل وهو الزمان
كظرف الجسم وهو المكان • فقال من مكان بعيد والمراد ما مضى من الدنيا • ثم بين الله تعالى انهم
لا نفع فيه لسبب انهم كفروا به من قبل والاشارة في قوله آمنا به • وقوله كفروا به الى شيء واحد وهو محمد عليه
الصلاة والسلام • واما الحق الذي جاء به محمد عليه السلام وهو اقرب واقوى • وقوله
ويقذفون بالغيب من مكان بعيد يرمون بالغيب لان الغيب نزل من الله على لسان الرسول فيقذفه الله في القلوب

فيقبله المؤمن

فيقبله المؤمن • واما الكافر فهو يقذف بالغيب اي يقول ما لا يعلمه • وقوله من مكان بعيد يحتمل ان يكون المراد
[illegible] فكذلك
المخلوقات الكثيرة واحد واحد [illegible]
[illegible]
[illegible] ثم قال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون
من العود الى الدنيا وبين لذات الدنيا [illegible] كما فعل باشياعهم
من قبل [illegible] انهم كانوا في شك مريب [illegible]
[illegible] في موضع آخر ان شاء الله تعالى والله اعلم بالصواب • تم تفسير هذه السورة والحمد لله رب العالمين

سورة فاطر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله تعالى الحمد لله فاطر السموات
قد ذكرنا فيما تقدم ان الحمد يكون على النعمة في اكثر الامر • ونعم الله قسمان عاجلة وآجلة • والعاجلة وجود وبقا وكذلك
الآجلة ايجاد مرة اخرى وابقا • وقوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور • اشارة
الى النعمة العاجلة التي هي الايجاد واستدل للنا عليه بقوله هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا • وقوله في الكهف
الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب اشارة الى النعمة العاجلة التي هي الابقا • فان البقا والصلاح بالشرع والكتاب
ولولاه لوقعت المنازعة والمخاصمة بين الناس ولا يفصل بينهم فكان يفضي ذلك الى التقاتل والتفاني فانزال الكتاب نعمة
يتعلق بها البقا العاجل • وفي قوله في سورة سبا الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض • وله الحمد في الآخرة
اشارة الى نعمة الايجاد الثاني بالحشر • واستدل للنا عليه بقوله يعلم ما يلج في الارض من الاجسام وما يخرج منها وما
ينزل من السماء من الارواح وما يعرج فيها منها • وقوله عن الكافرين وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة • وقوله قل بلى
وربي • وهاهنا الحمد اشارة الى نعمة البقا في الآخرة • ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اي يجعلهم رسلا يتلقون
عباد الله • كما قال وتتلقاهم الملائكة • وعلى هذا فقوله تعالى فاطر السموات يحتمل وجهين • احدهما معناه مبدعهما
كما نقل عن ابن عباس • والثاني فاطر السموات والارض اي شاقهما لنزول الارواح من السما وخروج الاجساد من الارض
ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا • فان في ذلك اليوم تكون الملائكة رسلا • وعلى هذا فاول هذه السورة متصل
باخر ما مضى لان قوله كما فعل باشياعهم بيان لانقطاع رجا من كان في شك مريب وتيقنه بان لا قبول لتوبته ولا فائدة
لقوله آمنت كما قال تعالى عنهم • وقالوا آمنا به وانى لهم التناوش • فلما ذكر حالهم بين حال الموقن وبشرهم بارسال
الملائكة اليهم مبشرين • وبين انه يفتح لهم ابواب الرحمة • وقوله اولي اجنحة مثنى اقل ما يكون لذي الجناح جناحان
وما بعدهما زيادة • وقال قوم فيه ان الجناح اشارة الى الجهة • وبيانه هو ان الله تعالى ليس فوقه شيء وكل شيء فهو تحت
قدرته ونعمته • والملائكة لهم وجه الى الله ياخذون من نعمه ويعطون من دونهم مما اخذوه باذن الله تعالى كما قال
الله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك • وقوله علمه شديد القوى • وقال تعالى في حقهم فالمدبرات امرا فهما جناحان
وفيهم من يفعل ما يفعل من الخير بواسطة • ومنهم من يفعله لا بواسطة • فالفاعل بواسطة فيه ثلاث جهات • ومنهم
من له اربع جهات واكثر • والظاهر ما ذكرناه اولا • وهو الذي عليه اطباق المفسرين • وقوله يزيد في الخلق ما يشاء
من المفسرين من خصصه وقال المراد الوجه الحسن • ومنهم من قال كل وصف محمود • والاولى ان يعمم ويقال
الله تعالى قادر كامل يفعل ما يشاء وينقص ما يشاء • وقوله ان الله على كل شيء قدير • يقرر قوله يزيد في الخلق ما يشاء
ثم قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده • لما بين كمال القدرة

قوله تعالى

لنزول الارواح من السماء وخروج الاجساد

ذكر بيان نفوذ المشية ونفاذ الامر وقال ما يفتح الله يعني ان رحم فلا مانع له وان لم يرحم فلا باعث له عليها • وفي الاية
دليل على سبق رحمته غضبه من وجوه • احدها التقديم حيث تقدم بيان فتح ابواب الرحمة في الذكر وهو وان كان ضعيفا
لكنه وجه من وجوه الفضل • وثانيها هو انه انث الكناية في الاول فقال ما يفتح من رحمة فلا ممسك لها وجاز من حيث
العربية ان يقال له عايد الى ما ولكن قال تعالى ليعلم ان المفتوح ابواب الرحمة ولا ممسك لرحمته وهي واصلة الى من رحمه
وقال عند الامساك وما يمسك فلا مرسل له من بعده بالتذكير ولم يقل لها فما صرح بانه لا مرسل للرحمة بل ذكره بلفظ
يحتمل ان يكون الذي لا يرسل هو غير الرحمة فان قوله تعالى وما يمسك هو عام من غير بيان وتخصيص بخلاف قوله تعالى
ما يفتح الله للناس من رحمة فانه مخصص مبين • وثالثها قوله من بعده اي من بعد الله فاستثنى هاهنا وقال
لا مرسل له الا الله فيرى له مرسلا وعند الامساك قال لا ممسك لها ولم يقل غير الله لان الرحمة اذا جاءت لا ترتفع
فان من رحمه الله في الاخرة لا يعذبه بعدها هو ولا غيره ومن يعذبه الله قد ترحمه الله بعد العذاب كالفساق
من اهل الايمان ثم قال تعالى وهو العزيز اي كامل القدرة • الحكيم اي كامل العلم ثم قال تعالى يا ايها الناس
اذكروا نعمة الله عليكم • لما بين ان الحمد لله وبين بعض وجوه النعمة التي تستوجب الحمد على سبيل التفصيل
بين نعمه على سبيل الاجمال فقال اذكروا نعمة الله وهي مع كثرتها منحصرة في قسمين نعمة الايجاد ونعمة الابقاء فقال
هل من خالق غير الله اشارة الى نعمة الايجاد في الابتداء وقال يرزقكم اشارة الى نعمة الابقاء بالرزق الى الانتهاء
ثم بين انه لا اله الا هو نظرا الى عظمته حيث هو عزيز حكيم قادر على كل شيء نافذ الارادة في كل شيء ولا مثل لهذا فلا معبود
لذاته غير هذا ونظرا الى نعمته حيث لا خالق غيره ولا رازق الا هو ثم قال فانى تؤفكون اي كيف تصرفون
عن هذا الظاهر • بكيف تشركون المنحوت بمنزلة الملكوت • ثم لما بين الاصل الاول وهو التوحيد ذكر الاصل
الثاني وهو الرسالة فقال وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك • ثم بين من حيث الاجمال ان المكذب في العذاب
وان المكذب له الثواب بقوله والى الله ترجع الامور • ثم بين الاصل الثالث وهو الحشر فقال يا ايها الناس ان
وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اي الشيطان وقد ذكرنا ما فيه من المعنى اللطيف
في تفسير سورة لقمن ونعيده هاهنا فنقول المكلف قد يكون ضعيف الذهن قليل العقل سخيف الراي فيغتر بادنى
شيء وقد يكون فوق ذلك فلا يغتر به ولكن اذا جاءه غار وزين له ذلك الشيء وهون عليه مفاسده وبين له منافع يغتر
لما فيه من اللذة مع ما ينضم اليه من دعا ذلك الغار اليه وقد يكون قوي الجاش غزير العقل فلا يغتر ولا يغر فقال تعالى
فلا تغرنكم الحياة الدنيا اشارة الى الدرجة الاولى وقال ولا يغرنكم بالله الغرور اشارة الى الثانية ليكون واقعا
في الدرجة الثالثة وهي العليا فلا يغتر ولا يغر ثم قال تعالى ان الشيطان لكم عدو • لما قال تعالى ولا يغرنكم بالله
الغرور • وذكر ما يمنع العاقل من الاغترار • وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ولا تسمعوا قوله وقوله
فاتخذوه عدوا اي اعملوا ما يسوءه وهو العمل الصالح ثم قال تعالى انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير
اشارة الى معنى لطيف وهو ان من يكون له عدو فله في امره طريقان • احدهما ان يعاديه مجازاة على معاداته
والثاني ان يذهب عداوته بارضائه • فلما قال تعالى ان الشيطان لكم عدو امرهم بالعداوة واشار الى ان الطريق
ليس الا هذا • واما الطريق الاخر وهو الارضاء فلا فائدة فيه لانكم ان ارضيتموه فاتبعتموه فهو لا يوديكم الا الى
السعير • واعلم ان من علم ان له عدوا لا مهرب له منه وجزم بذلك فانه يقف عنده ويصبر على قتاله والصبر معه الظفر
فكذلك الشيطان لا يقدر الانسان ان يهرب منه فانه معه ولا يزال يتبعه الا ان يقف له ويهزمه فيهزمه الشيطان
بعزيمة الانسان • فالطريق الثبات على الجادة • والاتكال على العبادة • ثم بين تعالى حال حزبه وحال حزب الله
فقال الذين كفروا لهم عذاب • فالمعادي للشيطان وان كان في الحال في عذاب ظاهر فهو ليس بشديد ۞
والانسان اذا كان عاقلا يختار العذاب المنقطع اليسير دفعا للعذاب الشديد المؤبد • الا ترى ان الانسان
اذا عرض في طريقه شوك ونار ولا يكون له بد من احدهما يتخطى الشوك ولا يدخل النار ونسبة النار التي في
الدنيا الى النار التي في الاخرة دون نسبة الشوك الى النار العاجلة • وقال والذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك لهم مغفرة واجر كبير وقد ذكر في تفسيره مرارا وبين فيه ان الايمان في مقابلته المغفرة فلا يؤبد
مؤمن في النار • والعمل الصالح في مقابلته الاجر الكبير ثم قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا
يعني ليس من عمل سيئا كالذي عمل صالحا كما قال تعالى بعد هذا بايات • ولا يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات
ولا النور وله تعلق بما قبله وذلك من حيث انه تعالى لما بين حال المسيء الكافر والمحسن المؤمن وما من احد يعترف
بانه يعمل سيئا الا قليل فكان الكافر يقول الذي له العذاب الشديد هو الذي يتبع الشيطان وهو محمد ومن معه

يعاديه

الذين استهوتهم

الذين استهوتهم الجن فما يتبعوها والذي له الاجر العظيم نحن الذين دمنا على ما كان عليه اباؤنا فقال تعالى لستم انتم بذلك
فان المحسن غيركم ومن زين له سوء عمله السيء فراه حسنا غيركم بل الذين زين لهم السيء دون من اساء وعلم انه مسيء فان الجاهل
الذي يعلم بجهله • والمسيء الذي يعلم سوء عمله يرجع ويتوب • والذي لا يعلم يصر على الذنوب • والمسيء العالم له
صفة ذم بالاساءة وصفة مدح بالعلم • والمسيء الذي يرى الاساءة احسانا له صفتان • ذم الاساءة والجهل ثم
بين ان الكل بمشية الله وقال فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء • وذلك لان الناس اشخاصهم متساوية في الجسم
والاساءة والاحسان في السيئة والحسنة يمتاز بعضها عن بعض فاذا عرفها البعض دون البعض لا يكون ذلك باستقلال
منهم فلابد من الاسناد الى ارادة الله • ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث حزن من اصرارهم بعد اتيانه بكل
اية ظاهرة • وحجة باهرة قال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كما قال لعلك باخع نفسك على اثارهم • ثم
بين انه ان كان يحزنه لما بهم من الضلال فالله عالم بهم وبما يصنعون لو اراد اياتهم واحسانهم لصدهم عن الضلال • وردهم
عن الاضلال • وان كان لما به منهم من الايذاء • فالله عالم بفعلهم يجازيهم على ما يصنعون • ثم عاد الى البيان فقال
والله الذي ارسل الرياح • هبوب الرياح دليل ظاهر على الفاعل المختار وذلك لان الهوا قد يسكن وقد يتحرك • وعند
حركته يتحرك الى اليمين وقد يتحرك الى اليسار وفي حركاته المختلفة قد ينشئ السحاب وقد لا ينشئ السحاب • فهذه الاختلافات
دليل على مسخر مدبر • ومؤثر مقدر • وفي الاية مسائل المسئلة الاولى قال الله الذي ارسل بلفظ الماضي
وقال فتثير سحابا بصيغة المستقبل • وذلك لانه لما اسند فعل الارسال الى الله وما يفعل الله يكون بقوله كن فلا
يبقى في العدم لا زمانا ولا جزءا من الزمان فلم يقل بلفظ المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة كونه كانه تعالى كان
وكانه فرغ من كل شيء فهو قدر الارسال في الاوقات المعلومة والى المواضع المعينة • والتقدير كالارسال • ولما
اسند فعل الاثارة الى الريح وهو يؤلف في زمان فقال تثير اي على هيئتها المسئلة الثانية قال ارسل اسناد الفعل
الى الغائب وقال سقناه باسناد الفعل الى المتكلم • وكذلك في قوله فاحيينا وذلك لانه في الاول عرف نفسه
بفعل من الافعال وهو الارسال • ثم لما عرف قال انا الذي عرفتني سقت السحاب واحييت الارض • ففي الاول كان تعريفا
بالفعل العجيب • وفي الثاني كان تذكيرا بالنعمة فان كمال نعمة الرياح والسحب بالسوق والاحيا • وقوله سقناه واحيينا
بصيغة الماضي يؤيد ما ذكرناه من الفرق بين قوله ارسل وبين قوله تثير المسئلة الثالثة ما وجه التشبيه بقوله
كذلك النشور نقول فيه وجوه • احدها ان الارض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الحياة • وثانيها
كما ان الريح تجمع القطع السحابية كذلك تجمع اجزاء الاعضاء وابعاض الاشياء • وثالثها كما انا نسوق الريح والسحاب
الى البلد الميت نسوق الروح والحياة الى البدن الميت المسئلة الرابعة ما الحكمة في اختيار هذه الاية من بين الايات
مع ان الله تعالى في كل شيء اية تدل على انه واحد فنقول انه لما ذكر ان الله فاطر السموات والارض
وذكر من الامور السماوية الارواح وارسالها بقوله جاعل الملائكة رسلا ذكر من الامور الارضية الرياح وارسالها بقوله
والله الذي ارسل الرياح ثم قال تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا لما بين برهان الايمان اشار الى ما
كان يمنع الكفار منه وهي العزة الظاهرة [illegible]
[illegible]
[illegible] المسئلة الاولى
قال في هذه الاية فلله العزة جميعا وقال في اية اخرى فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقوله جميعا يدل على ان العزة
لله فنقول قوله فلله العزة اي في الحقيقة وبالذات وقوله ولرسوله اي بواسطة القرب من العزيز
وهو الله وللمؤمنين بواسطة [illegible]
[illegible] المسئلة الثانية [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] المسئلة الثالثة في قوله اليه يصعد الكلم الطيب وجوه احدها [illegible]

لا اله الا الله هي الطيبة • ثانيها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر طيبة • ثالثها هذه الكلمات الاربع • وخا
وهي تبارك الله • والمختار ان كل كلام هو ذكر الله او هو لله كالنصيحة والعلم فهو اليه يصعد المسألة الرابعة
قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه • في الهاء وجهان • احدهما هي عائدة الى الكلم الطيب اي العمل الصالح هو الذي يرفع
الكلم الطيب • وورد في الخبر لا يقبل الله قولا بلا عمل • وثانيهما هي عائدة الى العمل الصالح • وعلى هذا في الفاعل الرافع وجهان
احدهما هو الكلم الطيب • اي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح • وهذا يؤيده قوله تعالى من عمل صالحا وهو مؤمن • وثانيهما
الرافع هو الله تعالى المسألة الخامسة ما وجه ترجيح الذكر على العمل في الوجه الثاني حيث يصعد الكلم بنفسه ويرفع
العمل بغيره فنقول الكلام شريف • فان امتياز الانسان عن كل حيوان بالنطق ولهذا قال تعالى ولقد كرمنا بني آدم اي
بالنفس الناطقة • والعمل حركة وسكون يشترك فيه الانسان وغيره • والشريف اذا وصل الى باب الملك لا يمنع
ومن دونه لا يجد الطريق الا عند الطلب • ويدل هذا على ان الكافر اذا تكلم بكلمة الشهادة ان كان عن صدق امن عذاب
الدنيا والآخرة • وان كان ظاهرا امن في نفسه ودمه واهله وحرمه في الدنيا ولا كذلك العمل بالجوارح • وقد
ذكرنا ذلك في تفسير قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات • ووجه آخر القلب هو الاصل وقد تقدم ما يدل
عليه وقال عليه السلام الا وان في الجسد لمضغة اذا صلحت صلح الجسد كله • واذا فسدت فسد الجسد كله
الا وهي القلب • وما في القلب لا يظهر الا باللسان • وما في اللسان لا يتبين صدقه الا بالفعل • فالقول اقرب الى
القلب من الفعل • الا ترى ان الانسان لا يتكلم الا عن قلب • واما الفعل قد يكون لا عن قلب كالعبث باللحية • ولان
النائم لا يخلو عن فعل من حركة وتقلب وهو في اكثر الامر لا يتكلم في نومه الا نادرا لما ذكرنا ان الكلام بالقلب ولا كذلك العمل
فالقول اشرف المسألة السادسة قال الزمخشري المكر لا يتعدى فبم انتصاب السيئات وقال بان معناه
الذين يمكرون المكرات السيئات • فهو وصف مصدر محذوف • ويحتمل ان يقال استعمل المكر استعمال العمل فعداه تعديته
كما قال الذين يعملون السيئات • وفي قوله يعملون السيئات يحتمل ما ذكره ان يكون السيئات وصف المصدر • تقديره
الذين يعملون العملات السيئات • وعلى هذا يكون هذا في مقابلة قوله والعمل الصالح يرفعه اشارة الى بقائه
وارتفاعه • ومكر اولئك اي العمل السيء هو يبور • اشارة الى فنائه ثم قال تعالى والله خلقكم من تراب
قد ذكرنا مرارا ان الدلائل مع كثرتها وعدم دخولها في عدد محصورة في قسمين دلائل الآفاق ودلائل الانفس كما قال
تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم • فلما ذكر دلائل الآفاق من السموات وما يرسل منها من الملائكة
والارض وما يرسل فيها من الرياح شرع في دلائل الانفس وقد ذكر تفسيره مرارا وذكر ما قيل من ان قوله من تراب
اشارة الى خلق آدم • ثم من نطفة اشارة الى خلق اولاده • وبينا ان الكلام غير محتاج الى هذا التأويل بل خلقكم
خطاب مع الناس وهم اولاد آدم وكلهم من تراب ومن نطفة لان كلهم من نطفة والنطفة من غذاء • والغذاء في الآخرة
ينتهي الى الماء والتراب فهو من تراب صار نطفة • وقوله وما تحمل من انثى ولا تضع • اشارة الى كمال العلم فان ما في الارحام
قبل الانخلاق بل بعده ما دام في البطن لا يعلم حاله احد كيف والام الحاملة لا تعلم منه شيئا • فلما ذكر بقوله خلقكم من
تراب كمال قدرته بين بقوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه كمال علمه • ثم بين كمال نفوذ ارادته بقوله وما يعمر
من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب • فبين انه هو القادر العالم المريد • والاصنام لا قدرة لها ولا علم ولا ارادة
فكيف يستحق شيء منها العبادة • وقوله ان ذلك على الله يسير اي الخلق من التراب • ويحتمل ان يكون المراد ان العلم
بما تحمله الانثى يسير والكل على الله يسير • والاول اشبه فان اليسير استعماله في الفعل اليق ثم قال تعالى
وما يستوي البحران • قال اكثر المفسرين ان المراد من الآية ضرب المثل في حق الكفر والايمان والكافر والمؤمن
فالايمان لا يشتبه بالكفر في الحسن والنفع كما لا يشتبه البحران العذب الفرات • والملح الاجاج • ثم على هذا فقوله
ومن كل تأكلون تخاطبا لبيان ان حال الكافر والمؤمن والكفر والايمان دون حال البحرين • لان الاجاج يشارك الفرات
في خير ونفع اذ اللحم الطري يوجد فيهما • والحلية توجد فيهما والفلك تجري فيهما ولا نفع في الكفر والكافر • وهذا
على نسق قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل • وقوله كالحجارة او هي اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر
منه الانهار • والاظهر ان هذا ذكر دليل آخر على قدرة الله تعالى وذلك من حيث ان البحرين يستويان في الصورة
ويختلفان في الماء • فان احدهما عذب فرات • والآخر ملح اجاج • ولو كان ذلك بايجاب لما اختلف المتساويان
ثم انهما بعد اختلافهما يوجد منهما امور متشابهة • فان اللحم الطري يوجد فيهما • والحلية تؤخذ منهما • ومن يوجد
في المتشابهات اختلافات • ومن المختلفين اشباها لا يكون الا قادرا مختارا • وقوله وما يستوي البحران
اشارة الى ان عدم استوائهما دليل على كمال قدرته • ونفوذ ارادته • وفي الآية مسائل المسألة الاولى

قال اهل اللغة

قال اهل اللغة لا يقال في ماء البحر اذا كان فيه ملوحة مالح وانما يقال ملح وقد يذكر في بعض كتب الفقه بصيرورته ماء
البحر مالحا ويؤاخذ قائله به وهو اصح مما يذهب اليه القوم وذلك لان الماء العذب اذا القي فيه ملح حتى ملح لا يقال له الا
مالح • وماء ملح يقال للماء الذي صار من اصل خلقته كذلك لان المالح شيء فيه ملح ظاهر في الذوق • والماء الملح ليس ماء
وملحا بخلاف الطعام المالح • فالماء العذب الملقى فيه الملح ما فيه ملح ظاهر في الذوق بخلاف ما هو في اصل خلقته كذلك
فلما قال الفقيه الماء اجزاء ارضية سبخة يصير بها ماء البحر مالحا راعى فيه الاصل فانه جعله ماء جاوره ملح • واهل
اللغة حيث قالوا في ماء البحر ماء ملح جعلوه كذلك من اصل الخلقة • والاجاج المر وقوله ومن كل تأكلون لحما طريا
من الطير والسمك • وتستخرجون حلية تلبسونها من اللؤلؤ والمرجان • وترى الفلك فيه مواخر اي ماخرات
تمخر البحر بالجريان اي تشق وقوله ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون • يدل على ما ذكرنا من ان المراد من الآية
الاستدلال بالبحرين • وما فيهما على وجود الله ووحدانيته وكمال قدرته ثم قال تعالى يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل • استدلال آخر باختلاف الازمنة وقد ذكرناه مرارا وذكرنا ان قوله تعالى بعده وسخر الشمس
والقمر جواب لسؤال يذكره المشركون وهو انهم قالوا اختلاف الليل والنهار بسبب اختلاف القسي الواقعة فوق الارض
وتحتها • فان في الصيف تمر الشمس على سمت الرؤوس في بعض البلاد المائلة الآفاق • وحركة الشمس هناك حمايلية
فتقع تحت الارض اقل من نصف دائرة • فيقل زمان مكثه تحت الارض اقل من نصف دائرة فيقصر الليل • وفي الشتاء
وفي الشتاء بالضد فيقصر النهار فقال الله تعالى وسخر الشمس والقمر يعني سبب الاختلاف وان كان ما ذكرتم • لكن سير
الشمس والقمر بارادة الله وقدرته فهو الذي فعل ذلك ثم قال تعالى ذلكم الله ربكم • اي ذلك الذي فعل
هذه الاشياء من فطر السموات والارض وارسال الارواح وارسال الرياح وخلق الانسان من التراب وغير ذلك له الملك
كله فلا معبود الا هو لذاته الكامل ولكونه ملكا والملك مخدوم بقدر ملكه • فاذا كان له الملك كله فله العبادة
كلها • ثم تبين ما بينا في صفة الالهية وهو قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير • وههنا لطيفة وهي انه تعالى
ذكر لنفسه نوعين من الاوصاف • احدهما الخلق بالقدرة والارادة • والثاني الملك • واستدل بهما على انه اله معبود
كما قال تعالى قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس • ذكر الرب والملك • ورتب عليهما كونه الها اي معبودا • وذكر فيمن
اشركوا به سلب صفة واحدة وهو عدم الملك بقوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ولم يذكر سلب الوصف الآخر
لوجهين • احدهما ان يكون تكلم كانوا معترفين بان لا خلق لهم • وانما كانوا يقولون بان الله تعالى فوض امر الارض والارضيات
الى الكواكب التي الاصنام على صورها وطوالعها فقال لا ملك لهم وما ملكهم الله شيئا ولا ملكوا شيئا • وثانيهما انه يلزم من عدم
الملك عدم الخلق لانه لو خلق شيئا لملكه • فاذا لم يملك قطميرا • ما خلق قليلا ولا كثيرا • ثم قال تعالى وان تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم • ابطالا لما كانوا يقولون ان في عبادة الاصنام عزة من حيث القرب منها والنظر اليها وعرض الحوائج عليها والله لا يرى
ولا يصل اليه احد فقال هؤلاء لا يسمعون دعاءكم • والله اليه يصعد الكلم الطيب فيسمع ويقبل • ثم نزل عن تلك الدرجة
وقال هب انهم يسمعون كما يظنون • فانهم كانوا يقولون بان الاصنام تسمع وتعلم • ولكن ما كان يمكنهم ان يقولوا
انهم يجيبون لان ذلك انكار للمحسوس وعدم سماعهم انكار للمعقول • والنزاع وان كان يقع في المعقول فلا يمكن وقوعه في المحسوس
ثم انه تعالى قال ويوم القيامة يكفرون بشرككم • لما بين عدم النفع منهم في الدنيا بين عدم النفع منهم في الآخرة بل اشار
الى وجود الضرر منهم في الآخرة بقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم اي باشراككم بالله شيئا كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم
اي الاشراك وقوله ولا ينبئك مثل خبير يحتمل وجهين • احدهما ان يكون ذلك خطابا مع النبي عليه الصلاة والسلام ووجهه
هو ان الله تعالى لما اخبر ان الخشب والحجر يوم القيامة ينطق ويكذب عابده وذلك امر لا يعلم بالعقل المجرد لولا اخبار الله تعالى
عنه • ثم قال تعالى انهم يكفرون بهم يوم القيامة • وهذا القول مع كون المخبر عنه امرا عجيبا هو كما قال لان المخبر عنه خبير
وثانيهما هو ان يكون ذلك خطابا غير مختص باحد • اي هذا الذي ذكره هو كما ذكر ولا ينبئك ايها السامع كائنا من كنت مثل خبير
ثم قال تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد • لما كثر الدعاء من النبي عليه الصلاة والسلام
والاصرار من الكفار قالوا ان الله لعله محتاج الى عبادتنا حتى يأمرنا بها امرا بالغا • ويهددنا على تركها مبالغا فقال
الله انتم الفقراء الى الله والله هو الغني فلا يأمركم بالعبادة لاحتياجه اليكم وانما هو لاشفاقه عليكم • وفي الآية مسائل
المسألة الاولى التعريف في الخبر قليل • والاكثر ان يكون الخبر نكرة والمبتدأ معرفة وهو معقول وذلك لان
الخبر لا يخبر في اكثر الامر الا بامر لا يكون عند المخبر منه علم او في ظن المتكلم ان السامع لا علم له به • ثم ان المبتدأ لا بد ان يكون
معلوما عند السامع حتى يقول له ايها السامع الامر الذي تعرفه انت فيه المعنى الفلاني كقول القائل زيد قائم او قام زيد
اي زيد الذي تعرفه ثبت له قيام لا علم عندك به • فان كان الخبر معلوما عند السامع والمبتدأ كذلك ويقع الخبر بينهما الا انهما

والله اليه يصعد الكلم الطيب فيسمع ويقبل

يحسن تعريف الخبر في غاية الحسن كقول القائل الله ربنا ومحمد نبينا حيث عرف كون الله ربا وكون محمد نبيا وههنا لما كان كون الناس
فقراء أمرا ظاهرا لا يخفى على أحد قال أنتم الفقراء **المسألة الثانية** قوله إلى الله إعلام بأن لا افتقار إلا إليه ولا اتكال
إلا عليه وهذا يوجب عبادته لكونه مفتقرا إليه وعدم عبادة غيره لعدم الافتقار إلى غيره ثم قال تعالى والله هو
الغني أي هو مع استغنائه يدعوكم كل الدعاء وأنتم مع احتياجكم لا تجيبونه ولا تدعونه فيجيبكم **المسألة الثالثة**
في قوله الحميد لما زاد في الخبر الأول وهو قوله أنتم الفقراء زيادة وهو قوله إلى الله إفادة لوجوب حصر العبادة في عبادته زاد في
وصفه بالغني زيادة وهو كونه حميدا إشارة إلى أنكم فقراء وفي مقابلته الله غني وفقركم إليه وفي مقابلته نعمه عليكم لكونه حميدا
واجب الشكر فلستم أنتم فقراء والله مثلكم في الفقر بل هو غني على الإطلاق ولستم أنتم لما افتقرتم إليه تركتم غير مقضي الحاجات
بل قضى في الدنيا حوائجكم وإن آمنتم يقضي في الآخرة حوائجكم فهو حميد ثم قال تعالى إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد
بيانا لغناه وفيه بلاغة كاملة وبيانها أنه تعالى قال إن يشأ يذهبكم أي ليس إذهابكم موقوفا إلا على مشيئته بخلاف الشيء المحتاج
إليه فإن المحتاج لا يقول قائل فيه إن شاء فلان هدم داره أو أعدم عقاره وإنما يقول لولا حاجة السكنى إلى الدار لبعتها أو لولا
الافتقار إلى العقار لتركتها ثم إنه تعالى زاد بيان الاستغناء بقوله ويأت بخلق جديد يعني إن كان يتوهم متوهم أن هذا الملك
له كمال وعظمة فلو أذهبه لزال ملكه وعظمته فهو قادر بأن يخلق خلقا جديدا أحسن من هذا وأجمل وأتم وأكمل ثم قال تعالى
وما ذلك على الله بعزيز أي الإذهاب والإتيان وههنا مسألة وهي أن لفظ العزيز استعمله الله تعالى تارة في القائم
بنفسه حيث قال في حق نفسه وكان الله عزيزا حكيما وكان الله قويا عزيزا وقال في هذه السورة إن الله عزيز غفور
واستعمله في القائم بغيره حيث قال وما ذلك على الله بعزيز وقال عزيز عليه ما عنتم فهل هما بمعنى واحد أو بمعنيين
فنقول العزيز هو الغالب في اللغة من عز يعز أي من غلب سلب فالله عزيز أي غالب والفعل إذا كان لا يطيقه شخص
يقال هو مغلوب بالنسبة إلى ذلك الفعل فقوله وما ذلك على الله بعزيز أي لا يغلب الله ذلك الفعل بل هو هين
على الله وقوله عزيز عليه ما عنتم أي يحزنه ويؤذيه كالشغل الغالب ثم قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى متعلق بما قبله
وذلك من حيث إنه تعالى لما بين الحق بالدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة ذكر ما يدعوهم إلى النظر فيه وقال ولا تزر وازرة
وزر أخرى أي لا تحمل نفس ذنب نفس فالنبي عليه الصلاة والسلام لو كان كاذبا في دعايته لكان هو مذنبا وهو معتقد بأن ذنبه
لا تحملونه أنتم فهو يتوقى ويحترز والله تعالى غير فقير إلى عبادتكم فتفكروا واعلموا أنكم إن ضللتم فلا يحمل عنكم أحد
وزركم وليس كما يقول الأكابر لكم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وفي الآية مسائل **المسألة الأولى** قوله وازرة
أي نفس وازرة ولم يقل ولا تزر نفس وزر أخرى ولا جمع بين الموصوف والصفة فلم يقل ولا تزر نفس وازرة وزر أخرى
لفائدة أما الأول فلأنه لو قال ولا تزر نفس وزر أخرى لما علم أن كل نفس وازرة مهمومة بهم وزرها متحيرة في أمرها
ووجه آخر وهو أن قول القائل ولا تزر نفس وزر أخرى قد يجمع منهما أن لا تزر وزرا أصلا كالمعصوم لا يزر وزر غيره ومع ذلك
لا تزر وزر الغير وأما ترك ذلك الموصوف لظهور الصفة ولزومها للموصوف ثم قال وإن تدع مثقلة أشار
إلى أن أحدا لا يحمل عن أحد شيئا مبتدئا ولا بعد السؤال فإن المحتاج قد يصبر فتقضى حاجته من غير سؤاله فإذا انتهى
الافتقار إلى حد الكمال يحوجه إلى السؤال **المسألة الثانية** في قوله مثقلة زيادة بيان لما تقدم من حيث إنه قال
ولا تزر وازرة وزر أخرى فيظن أن أحدا لا يحمل عن أحد لكون ذلك الواحد قادرا على حمله كما أن القوي إذا أخذ بيده رمانة
أو سفرجلة لا يحمل عنه وأما إذا كان يحمل ثقيلا قد يرحم الحامل فيحمل عنه فقال مثقلة يعني ليس عدم الوزر لعدم
كونه محلا للرحمة بالثقل بل لكون النفس مثقلة ولا يحمل منها شيء **المسألة الثالثة** زاد في ذلك بقوله وإن كان ذا
قربى أي المدعو لو كان ذا قربى لا يحمل وفي الأول كان يمكن أن يقال لا يحمله لعدم تعلقه به كالعدو الذي يرى عدوه
تحت ثقل أو الأجنبي يرى أجنبيا تحت حمل لا يحمل عنه فقال ولو كان ذا قربى أي يحصل جميع المعاني الداعية إلى الحمل
من كون النفس وازرة قوية تحمل وكون الأخرى مثقلة لا يقال إنها قوية قادرة ليس عليها حمل وكونها سائلة داعية
فإن السؤال مظنة الرحمة ولو كان المسؤول قريبا فإذا لا يكون التخلف إلا لمانع هو كون كل نفس تحت حمل ثقيل ثم قال تعالى
إنما تنذر الذين يخشون ربهم إشارة إلى أن الإرشاد فوق ما أتيت به ولم ينفذهم فلا ينذر إنذارا مفيدا
إلا الذين تملأ قلوبهم خشية وتتحلى ظواهرهم بالعبادة كقوله الذين آمنوا إشارة إلى عمل القلب وعملوا الصالحات
إشارة إلى عمل الظواهر فقوله الذين يخشون ربهم وأقاموا الصلاة في ذلك المعنى ثم لما بين أن لا تزر وازرة وزر
أخرى بين أن الحسنة تنفع المحسن ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه ثم قال وإلى الله المصير أي المتزكي لو لم تظهر فائدة
عاجلا فالمصير إلى الله يظهر عنده في يوم اللقاء في دار البقاء والوازر إن لم تظهر تبعة وزره في الدنيا فهي تظهر
في الآخرة إذ المصير إلى الله ثم لما بين الهدى والضلال ولم يهتد الكافر وهدى الله المؤمنين ضرب لهم مثلا بالبصير

والأعمى كالمؤمن

والأعمى فالمؤمن بصير حيث الطريق الواضح والكافر أعمى وفي تفسير الآية مسائل **المسألة الأولى**
ما الفائدة في تكرير الأمثلة حيث ذكر الأعمى والبصير والظلمة والنور والظل والحرور والأحياء والأموات فنقول
الأول مثل المؤمن والكافر فالمؤمن بصير والكافر أعمى ثم إن البصير وإن كان حديد البصر ولكن لا يبصر شيئا إن لم يكن في
ضوء فذكر للإيمان وللكفر مثلا وقال الإيمان نور والمؤمن بصير لا يخفى عليه النور والكفر ظلمة والكافر أعمى فله صاد فوق
صاد ثم ذكر لمآلهما ومرجعهما مثلا وهو الظل والحرور فالمؤمن بإيمانه في ظل وراحة والكافر بكفره في حر وتعب ثم قال
ولا تستوي الأحياء ولا الأموات مثلا آخر في حق المؤمن والكافر كأنه تعالى قال حال المؤمن والكافر فوق حال الأعمى والبصير
فإن الأعمى يشارك البصير في إدراك ما والكافر غير مدرك إدراكا نافعا فهو كالميت ويدل على ما ذكرنا أنه تعالى أعاد الفعل
حيث قال أولا وما يستوي الأعمى والبصير وعطف الظلمات والنور والظل والحرور ثم أعاد الفعل وقال وما يستوي الأحياء ولا
الأموات كأن هذا أجمله مقام ذلك **المسألة الثانية** كرر كلمة النفي بين الظلمات والنور والظل والحرور والأحياء والأموات
ولم يكرره بين الأعمى والبصير وذلك لأن التكرير للتأكيد والمنافاة بين الظلمة والنور والظل والحرور مضادة فالظلمة تنافي
النور وتضاده والعمى والبصر كذلك أما الأعمى والبصير ليس كذلك بل الشخص الواحد بعينه قد يكون بصيرا وهو بعينه
يصير أعمى فلا منافاة إلا من حيث الوصف والظل والحرور المنافاة بينهما ذاتية لأن المراد من الظل عدم
الحر والبرد فلما كانت المنافاة هناك أتم أكد بالتكرار وأما الأحياء والأموات وإن كان كالأعمى والبصير من حيث إن الجسم الواحد
يكون محلا للحياة فيصير ميتا محلا للموت ولكن المنافاة بين الحي والميت أتم من المنافاة بين الأعمى والبصير كما بينا أن الأعمى والبصير
يشتركان في إدراك أشياء ولا كذلك الحي والميت كيف والميت يخالف الحي في الحقيقة لا في الوصف على ما تبين في الحكمة الإلهية
قدم الأشرف في مثلين وهو الظل والحي وأخره في مثلين وهو البصير والنور وفي مثل هذا يقول المفسرون إنه لتواخي أواخر الآي
وهو ضعيف لأن تواخي الأواخر راجع إلى السجع ومعجزة القرآن في المعنى لا في مجرد اللفظ فالشاعر يقدم ويؤخر للسجع
فيكون اللفظ حاملا له على تغيير المعنى وأما القرآن فحكمة بالغة المعنى فيه صحيح واللفظ فصيح فلا يقدم ولا يؤخر اللفظ بلا
معنى فنقول الكفار قبل النبي عليه الصلاة والسلام كانوا في ضلالة فكانوا كالعمي وطريقتهم كالظلمة ثم لما جاء النبي عليه السلام
وبين الحق واهتدى منهم قوم فصاروا بصيرين وطريقتهم كالنور وما يستوي من كان قبل البعث على الكفر ومن اهتدى بعده إلى
الإيمان فلما كان الكفر قبل الإيمان في زمان محمد عليه السلام والكافر قبل المؤمن قدم المقدم ثم لما ذكر المآل والمرجع
قدم ما يتعلق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب لقوله تعالى في الإلهيات سبقت رحمتي غضبي ثم إن الكافر المصر بعد البعثة
صار أضل من الأعمى وشابه الأموات في عدم إدراك الحق من جميع الوجوه فقال وما يستوي الأحياء أي المؤمنون الذين آمنوا
بما أنزل الله والأموات الذين تليت عليهم الآيات البينات ولم ينتفعوا بها وهؤلاء كانوا بعد إيمان من آمن فأخرهم عن المؤمنين
لوجود حياة المؤمنين قبل ممات الكافرين المعاندين وقدم الأعمى على البصير لوجود الكفار الضالين قبل البعثة على المؤمنين المهتدين
بعدها **المسألة الثالثة** قابل الأعمى بالبصير بلفظ الواحد وكذلك الظل بالحرور وقابل الأحياء بالأموات بلفظ الجمع
وقابل الظلمات بالنور بلفظ الجمع في أحدهما والواحد في الآخر فهل تعرف فيه حكمة قلت نعم بفضل الله وهدايته أما الأعمى
والبصير والظل والحرور فلأنه قابل الجنس بالجنس ولم يذكر الأفراد لأن في العميان وأولي الأبصار قد يوجد فرد من أحد الجنسين
يساوي فردا من الجنس الآخر كالبصير الغريب في موضع والأعمى الذي هو تربية ذلك المكان فقد يقدر الأعمى على الوصول إلى المقصد
ولا يقدر البصير عليه أو يكون للأعمى عنده من الذكاء ما يساوي به البليد البصير وأما التفاوت بينهما في الجنسين فمقطوع
به فإن جنس البصير خير من جنس الأعمى وأما الأحياء والأموات فالتفاوت بينهما أكثر إذ ما من ميت يساوي في الإدراك حيا
من الأحياء فذكر أن الأحياء لا يساوون الأموات سواء قابلت الجنس بالجنس أو قابلت الفرد بالفرد وأما الظلمات والنور فالحق
واحد وهو التوحيد والباطل كثير وهو طرق الإشراك على ما بينا أن بعضهم يعبدون الكواكب وبعضهم النار وبعضهم الأصنام
التي هي على صور الملائكة إلى غير ذلك والتفاوت بين كل فرد من الأفراد وبين هذا الواحد بين فقال الظلمات كلها إذا اعتبرت
لا تجد فيها ما يساوي النور وقد ذكرنا في تفسير قوله تعالى وجعل الظلمات والنور السبب في توحيد النور وجمع الظلمات
ومن جملة ذلك أن النور لا يكون إلا بمنور ومحل قابل للاستنارة وعدم الحائل بين المنير والمستنير مثاله إذا طلعت
الشمس وكان هناك موضع يقبل الاستنارة وهو الذي يمسك الشعاع فإن البيت الذي فيه كوة يدخل الشعاع منها إذا كان في
مقابلة كوة منفذ يخرج منه الشعاع ويدخل بيتا آخر وينبسط الشعاع على أرضه يرى البيت الثاني مضيئا والأول
مظلما ولم يكن هناك حائل كالبيت الذي لا كوة له فإنه لا يضيء فإذا حصل الأمور الثلاثة يستنير البيت وإلا فيبقى
الظلمة بفقد أي أمر كان من الأمور الثلاثة ثم قال تعالى إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور وفيه
احتمال معنيين أحدهما أن يكون المراد بيان كون الكفار بالنسبة إلى سماع كلام النبي عليه الصلاة والسلام والوحي النازل

عليه دون جال الموتى فان الله يسمع الموتى والنبي عليه السلام لا يسمع من مات واقبر فالموتى ما يسمعون من الله والكفار كالموتى
لا يسمعون من النبي عليه السلام • والثاني ان يكون المراد تسلية النبي عليه الصلاة والسلام فانه لما بين له انه لا ينفعهم
ولا يسمعهم قال له هؤلاء لا يسمعهم الا الله فانه يسمع من يشاء ولو كان صخرة صما • وما انت فلا تسمع من في القبور فما عليك
من حسابهم من شيء ثم قال تعالى ان انت الا نذير بيانا للتسلية ثم قال انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا • لما قال ان انت الا
نذير بين انه ليس نذيرا من تلقاء نفسه انما نذيرا باذن الله وتبشيره وارساله ثم قال تعالى وان من امة الا خلا فيها
نذير • تقريرا لامرين • احدهما تسلية قلبه حيث يعلم ان غيره كان مثله محتملا لتاذي القوم • وثانيهما الزام القوم
قبوله فانه ليس بدعا من الرسل وانما هو مثل غيره يدعي ما ادعاه الرسل ويقررهم قوله تعالى وان يكذبوك فقد
كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات • يعني ان جئتهم بالبينة والكتاب فكذبوك واذوك • وعرفت ايضا اباهم
بمثل ذلك وفعلوا بهم ما فعلوا بك وصبروا على ما كذبوا فكذلك يلزمهم بان من تقدم من الرسل لم يعلم كونهم رسلا
الا بالمعجزات البينات وقد اتيناها محمدا وبالزبر وبالكتاب المنير • والكل اتينا محمدا فهو رسول مثل الرسول يلزمكم
قبوله كما لزم قبول موسى وعيسى عليهما السلام وعليهم اجمعين • وهذا يكون تقريرا مع اهل الكتاب • واعلم انه
تعالى ذكر امورا ثلاثة • احدها البينات وذلك لان كل رسول فلا بد له من معجزة وهي ادنى الدرجات • ثم قد ينزل
عليه كتاب يكون فيه مواعظ وتنبيهات وان لم يكن فيه نسخ واحكام مشروعة شرعا ناسخا ومن ينزل عليه مثله اعلى
مرتبة ممن لا ينزل عليه ذلك وقد تنسخ شريعته الشرايع وينزل عليه كتاب فيه احكام على وفق الحكمة الالهية • ومن
يكون كذلك فهو من اولي العزم فقال الرسول يبين رسالتهم بالبينات وان كانوا اعلى مرتبة فبالزبر وان كانوا اعلى فالكتاب
والنبي عليه السلام اتيناه الكل فهو رسول اشرف من الكل لكونه كان به اتم واكمل من كل كتاب • ثم قال تعالى ثم اخذت الذين
كفروا فكيف كان نكير • اي من كذب بالكتاب المنزل من قبل وبالرسول المرسل اخذه الله فكذلك من يكذب بالنبي عليه السلام
وقوله فكيف كان نكير • سؤال للتقرير • فانهم علموا شدة انكار الله عليهم واتيانه بالامر المنكر من الاستيصال
ثم قال تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات الى اخر الاية • وهذا استدلال بدليل اخر على
وحدانية الله وقدرته • وفي تفسيره مسايل المسئلة الاولى ذكر هذا الدليل على طريقة الاستخبار وقال
الم تر وذكر الدليل الاول على طريقة الاخبار وقال والله الذي ارسل الرياح • وفيه وجهان • الاول ان انزال الماء اقرب
الى النفع • والمنفعة فيه اظهر فانه لا يخفى على احد في الروية • والروية ان الماء منه حياة الارض يعظم دلالته بالاستفهام
لان الاستفهام الذي للتقرير لا يقال الا في الشيء الظاهر جدا كما ان من ابصر الهلال وهو خفي جدا فقال له غيره اين هو
فانه يقول له في الموضع الفلاني فان لم يره فانه يقول له الحق معك فانه خفي وانت معذور • واذا كان بارزا يقول
لما تراه • هذا هو الظاهر • والثاني وهو انه ذكره بعدما قرر المسئلة بدلايل اخر • وظهر بما تقدم للمدعو بصادره بوجوه
الدلالات فقال له انتصرت بصيرا بما ذكرناه ولم يبق لك عذر • الا ترى هذه الاية المسئلة الثانية المخاطب من هو
يحتمل وجهين • احدهما النبي عليه السلام • وفيه حكمة وهي ان الله تعالى لما ذكر الدلايل ولم ينفعهم قطع الكلام معهم
والتفت الى غيرهم كما ان السيد اذا نصح بعض العبيد ومنعهم من الفساد ولا ينفعهم الارشاد يقول لغيره اسمع ولا تكن مثل
هذا ويكرر معه ما ذكر مع الاول • ويكون فيه اشعار بان الاول فيه نقيصة لا يستاهل الخطاب فتنبه له ويدفع عن نفسه
تلك النقيصة والاحزان لا يخرج الكلام اجنبي عن الاول بل ياتي بما يقاربه لئلا يسمع الاول كلاما اخر فيترك التفكر فيما كان
فيه من النصيحة المسئلة الثالثة هذا الاستدلال على قدرته واختياره حيث اخرج من الماء الواحد ثمرات مختلفة • وفيه
لطايف • الاولى قال انزل وقال اخرجنا وقد ذكرنا فايدته • ونعيدها فنقول قال الله تعالى الم تر ان الله انزل
من السماء فان كان جاهلا يقول نزول الماء بالطبع لثقله • فيقال له فالاخراج لا يمكنك ان تقول فيه انه بالطبع • فهو
بارادة الله • فلما كان ذلك ظاهرا اسنده الى المتكلم • ووجه اخر وهو ان الله تعالى لما قال ان الله انزل علم الله بدليل
وقرب المتفكر فيه الى الله فصار من الحاضرين فقال له اخرجنا القربه • ووجه ثالث الاخراج اتم نعمة من الانزال لان الانزال
لفايدة الاخراج • فاسند الاتم الى نفسه بصيغة المتكلم وما دونه بصيغة الغايب • اللطيفة الثانية قال تعالى
ومن الجبال جدد بيض • كان تغايلا وقال الاختلاف لثمرات لاختلاف البقاع • الا ترى ان بعض النباتات لا ينبت ببعض
البلاد كالزعفران وغيره فقال تعالى اختلاف البقاع ليس الا بارادة الله تعالى والا فلم صار بعض الجبال فيه مواضع حمر
ومواضع بيض • والجدد جمع جدة وهي الخطة او الطريق • فان قيل الواو في ومن الجبال ما تقديرها نقول هي تحتمل وجهين
ان يكون للاستيناف كانه قال تعالى اخرجنا بالماء ثمرات مختلفة الالوان • وفي الكاينات من الجبال جدد بيض دالة على القدرة و
الارادة على من ينكر الارادة في اختلاف الوان الثمار • وثانيهما ان يكون للعطف • تقديرها وخلق من الجبال جدد قال الزمخشري

الارادة وجدد

اراد وجدد • اللطيفة الثالثة ذكر الجبال ولم يذكر الارض كما قال في موضع اخر وفي الارض قطع متجاورات مع ان هذا
الدليل مثل ذلك • وذلك لان الله تعالى لما ذكر في الاول اخرجنا به ثمرات كان نفس اخراج الثمار دليلا على القدرة • ثم زاد عليه بيانا
وقال مختلفا كذلك في الجبال في نفسها دليل القدرة والارادة لان كون الجبل في بعض نواحي الارض دون بعضها والاختلاف الذي
في هيئة الجبل فان بعضها يكون اخفض وبعضها ارفع دليل القدرة والاختيار • ثم زاده بيانا وقال جدد بيض اي مع دلالتها بنفسها
هي دالة باختلاف الوانها كما ان اخراج الثمرات في نفسها دلايل وباختلاف الوانها دلايل المسئلة الرابعة مختلف الوانها
الظاهر ان الاختلاف راجع الى كل لون اي بيض مختلف الوانها وحمر مختلف الوانها • لان الابيض قد يكون على لون الجص
وقد يكون على لون التراب الابيض دون بياض الجص وكذلك الاحمر • ولو كان المراد ان البيض والحمر مختلف الالوان لكان
المعنى مجرد التاكيد • والاول اولى وعلى هذا نقول لم يذكر مختلف الوانها بعد البيض والحمر والسود بل ذكره بعد البيض والحمر
والحمر السود الغرابيب لان الاسود لما ذكره مع المؤكد وهو الغرابيب يكون بالغاية السواد فلا يكون فيه اختلاف المسئلة الخامسة
قيل بان الغرابيب مؤكد للاسود • يقال اسود غربيب • والمؤكد لا يجي الا متاخرا • فكيف جاء غرابيب سود نقول قال الزمخشري
غرابيب مؤكد لذي لون مقدر في الكلام كانه تعالى قال سود غرابيب • ثم اعاد السود مرة اخرى • وفيه فايدة وهي زيادة التاكيد
لانه تعالى ذكره مضمرا ومظهرا • ومنهم من قال هو على التقديم والتاخير ثم قال تعالى ومن الناس والدواب والانعام
استدلال اخر على قدرة الله وارادته وكان الله تعالى قسم دلايل الخلق في العالم الذي نحن فيه وهو عالم المركبات
قسمين حيوان وغير حيوان • وغير الحيوان اما نبات واما معدن • والنبات اشرف • فاشار اليه بقوله فاخرجنا
به ثمرات • ثم ذكر المعدن بقوله ومن الجبال • ثم ذكر الحيوان وبدا بالاشرف منها وهو الانسان فقال ومن الناس
ثم ذكر الدواب لان منافعها في حياتها • والانعام منفعتها في الاكل منها او لان الدابة في العرف تطلق على الفرس
وهو بعد الانسان اشرف من غيره وقوله مختلف الوانه • القول فيه كما انها في انفسها دلايل كذلك باختلافها
دلايل • واما قوله مختلف الوانه ذكر لكون الانسان من جملة المذكورين • وكون التذكير اولى واعلى ثم قال تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء • الخشية بقدر معرفة المخشي • والعالم يعرف الله فيخافه ويرجوه • وهذا دليل
على ان العالم اعلى درجة من العابد لانه تعالى قال ان اكرمكم عند الله اتقاكم • فبين ان الكرامة بقدر التقوى والتقوى
بقدر العلم • فالكرامة بقدر العلم لا بقدر العمل • نعم العالم اذا ترك العمل قدح ذلك في علمه فان من يراه يقول لو علم لعمل
ثم قال تعالى ان الله عزيز غفور • ذكر ما يوجب الخوف التام • وكونه غفورا لما دون ذلك يوجب الرجاء البالغ وقرا
من قرا بنصب العلما ورفع الله معناه انما يعظم ويجل ثم قال تعالى ان الذين يتلون كتاب الله • لما بين العلماء بالله
وخشيتهم وكرامتهم بسبب خشيتهم ذكر العالمين بكتاب الله العاملين بما فيه • وقوله يتلون كتاب الله اشارة الى الذكر
وقوله اقاموا الصلاة اشارة الى العمل البدني وقوله وانفقوا مما رزقناهم اشارة الى العمل المالي • وفي
الاية حكمة بالغة • فقوله انما يخشى الله اشارة الى عمل اللسان • وقوله واقاموا الصلاة اشارة الى عمل الجوارح
ثم ان هذه الاشيا الثلاثة متعلقة بجانب تعظيم الله تعالى • والشفقة على خلقه لانا بينا ان من يعظم ملكا اذا راى
عبدا من عباده في حاجة يلزمه قضا حاجته • وان تهاون فيه يخل بالتعظيم • والى هذا اشار بقوله عبدي مرضت
فما عدتني فيقول العبد كيف تمرض وانت رب العالمين فيقول الله مرض عبدي فلان وما زرته ولو زرته لوجدتني
عنده يعني التعظيم متعلق بالشفقة • فحيث لا شفقة على خلق الله لا تعظيم لجانب الله وقوله سرا وعلانية حث
على الانفاق كيفما تهيا فان تهيا سرا فذاك ونعم والا فعلانية ولا يمنعه ظنه انه يكون ريا فان ترك الخير
مخافة ان يقال فيه انه مراي عين الريا • ويمكن ان يكون المراد بقوله سرا اي صدقة وعلانية اي زكاة فان الاعلان
بالزكاة كالاعلان بالفرض وهو مستحب وقوله يرجون تجارة لن تبور • اشارة الى الاخلاص اي ينفقون لا ليقال
انه كريم ولا لشي من الاشيا غير وجه الله • فان غير الله باير • والتاجر فيه تجارته بايرة وقوله تعالى ليوفيهم
اجورهم اي ما يتوقعونه • ولو كان امرا بالغا الغاية • ويزيدهم من فضله اي يعطيهم ما لم يخطر بالهم عند
العمل ويحتمل ان يكون يزيدهم النظر اليه • كما جا في تفسير الزيادة ان الله غفور عند اعطا الاجر شكور عند
اعطا الزيادة ثم قال تعالى والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق • لما بين الاصل الاول وهو وجود الله
الواحد بانواع الدلايل من قوله الله الذي ارسل الرياح وقوله والله خلقكم وقوله الم تر ان الله انزل
ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة وقال والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق وايضا كان قد ذكر ان الذين يتلون
كتاب الله يوفيهم الله اجورهم فقال والذي اوحينا اليك هو الحق وتقرير لما بين من الاجر والثواب في تلاوة كتاب
الله فانه حق ومصدق • فتاليه محق ومحقق • وفي تفسيرها مسايل المسئلة الاولى قوله من الكتاب

والشفقة على خلقه لانا بينا ان من يعظم ملكا اذا راى
عبدا من عباده في حاجة يلزمه قضا حاجته

يحتمل أن تكون لابتداء الغاية كما يقال أرسل إلي كتابا من الأمير أو الوالي وعلى هذا فالكتاب يمكن أن يكون المراد منه اللوح المحفوظ يعني الذي أوحينا من اللوح المحفوظ إليك حق ويمكن أن يكون المراد هو القرآن يعني الإرشاد والتبيين الذي أوحينا إليك من القرآن • ويحتمل أن تكون للبيان كما يقال أرسل فلان إلي من الثمائن والثياب جملة **المسألة الثانية** قوله هو الحق آكد من قول القائل الذي أوحينا إليك حق من وجهين • أحدهما أن تعريف الخبر يدل على أن الأمر في غاية الظهور لأن الخبر في الأكثر يكون نكرة لأن الإخبار في الغالب إعلاما بثبوت أمر لا معرفة للسامع به لأمر يعرفه السامع كقولنا زيد قام فإن السامع ينبغي أن يكون عارفا بزيد ولا يعلم قيامه فيخبره به فإذا كان الخبر أيضا معلوما فتكون الإخبار للتنبيه فيعرف بأن اللام كقولنا زيد العالم في هذه المدينة إذا كان علمه مشهورا **المسألة الثالثة** قوله تعالى مصدقا حال مؤكدة لكونه حقا لأن الحق إذا كان لا خلاف بينه وبين كتب الله يكون خاليا عن احتمال البطلان • وفي قوله مصدقا تقرير لكونه وحيا لأن النبي عليه الصلاة والسلام لما لم يكن قارئا كاتبا وأتى ببيان ما في كتاب الله لا يكون ذلك إلا من الله تعالى وجواب عن سؤال الكفار وهو أنهم كانوا يقولون بأن التوراة ورد فيها كذا والإنجيل ذكر فيه كذا وكانوا يفترون من التثليث وغيره • وكانوا يقولون بأن القرآن فيه خلاف ذلك فقال التوراة والإنجيل لم يبق فيهما وثوق بسبب تغييركم وهذا القرآن ما ورد فيه أن في التوراة فهو حق وباق على ما أنزل وإن لم يكن فيه ويكون فيه خلافه فهو ليس من التوراة • فالقرآن مصدق للتوراة • وفيه وجه آخر وهو أن يقال إن هذا الوحي مصدق لما تقدم لأن الوحي لو لم يكن وجوده لكذب موسى وعيسى عليهما السلام في إنزال التوراة والإنجيل • فإذا وجد الوحي ونزل على محمد عليه الصلاة والسلام علم جوازه وصدق به ما تقدم • وعلى هذا ففيه لطيفة وهي أنه تعالى جعل القرآن مصدقا لما مضى مع أن ما مضى أيضا مصدق له لأن الوحي إذا نزل على واحد جاز أن ينزل على غيره وهو محمد عليه الصلاة والسلام ولم يجعل ما تقدم مصدقا للقرآن لأن القرآن كونه معجزا يكفي في تصديقه بأنه وحي • وأما ما تقدم فلا بد معه من معجزة تصدقه

المسألة الرابعة قوله تعالى إن الله بعباده لخبير بصير • فيه وجهان • أحدهما أنه تقرير لكونه هو الحق لأنه وحي من الله والله خبير عالم بالبواطن بصير عالم بالظواهر فلا يكون باطلا في وحيه لا في الباطن ولا في الظاهر وثانيهما أن يكون جوابا لما كانوا يقولونه إنه لولا نزل على رجل عظيم فقال إن الله بعباده خبير يعلم بواطنهم وبصير يرى ظواهرهم فاختار محمدا ولم يختر غيره فهو أصلح من الكل **ثم قال تعالى** ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا • اتفق أكثر المفسرين على أن المراد من الكتاب القرآن وعلى هذا فالذين اصطفينا هم الذين أخذوا بالكتاب وهم المؤمنون • والظالم والمقتصد والسابق كلهم منهم ويدل عليه قوله تعالى جنات عدن يدخلونها أخبر بدخولهم الجنة وكلمة ثم تدل أيضا عليه لأن الإيراث إذا كان بعد الإيحاء ولا كتاب بعد القرآن فهو الموروث والإيراث المراد منه الإعطاء بعد ذهاب من كان بيده المعطى ويحتمل أن يقال إن المراد من الكتاب هو جنس الكتاب كما في قوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير • والمعنى على هذا أنا أعطينا الكتاب الذين اصطفينا وهم الأنبياء ويدل عليه أن لفظ المصطفى إطلاقه على الأنبياء كثير ولا كذلك على غيرهم ولأن قوله من عبادنا دل على أن العباد أكابر مكرمون بالإضافة إليه • ثم المصطفين منهم أشرف منهم ولا يليق بمن يكون أشرف من الشرفاء أن يكون ظالما مع أن لفظ الظالم أطلقه الله في كثير من المواضع على الكافر • وسمى الشرك ظلما • وعلى الوجه الأول التفسير ظاهر معناه آتينا القرآن لمن آمن بمحمد • وأخذوه منه • وافترقوا • فمنهم ظالم وهو المسيء • ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا • وسابق بالخيرات وهو الذي أخلص العمل لله وجرده عن السيئات فإن قال قائل كيف قال في حق من ذكر في حقه أنه من عباده وأنه مصطفى ظالم مع أن الظلم مطلق على الكافر في كثير من المواضع • نقول المؤمن عند المعصية يضع نفسه في غير موضعها • فهو ظالم لنفسه حال المعصية • وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن • ويصحح هذا قول عمر رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام ظالمنا مغفور له وقال آدم عليه السلام مع كونه مصطفى ربنا ظلمنا أنفسنا • وأما الكافر فيضع قلبه الذي به اعتبار الجسد في غير موضعه فهو ظالم على الإطلاق • وأما قلب المؤمن فمطمئن بالإيمان لا يضعه في غير التفكر في آلاء الله ولا يضع فيه غير محبة الله • وفي المراتب الثلاثة أقوال كثيرة أحدها الظالم هو الراجح السيئات • والمقتصد هو الذي تساوت سيئاته وحسناته • والسابق هو الذي ترجحت حسناته • ثانيها الظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه • والمقتصد من يساوي ظاهره وباطنه • والسابق من باطنه خير • ثالثها الظالم هو الموحد بلسانه الذي تخالفه جوارحه • والمقتصد هو الذي يمنع جوارحه من المخالفة بالتكليف • والسابق هو الذي ينسيه التوحيد عن التوحيد • رابعها الظالم صاحب الكبيرة والمقتصد

صاحب الصغيرة • والسابق المعصوم • خامسها الظالم التالي للقرآن غير العالم به والعامل بموجبه • والمقتصد التالي العالم والسابق التالي العالم العامل • سادسها الظالم الجاهل • والمقتصد المتعلم • والسابق العالم • سابعها الظالم أصحاب المشأمة • والمقتصد أصحاب الميمنة • والسابق السابقون المقربون • ثامنها الظالم الذي يحاسب فيدخل النار • والمقتصد الذي يحاسب فيدخل الجنة • والسابق الذي يدخل الجنة من غير حساب • تاسعها الظالم المصر على المعصية • والمقتصد هو النادم التائب • والسابق هو المقبول التوبة • عاشرها الظالم الذي أخذ القرآن ولم يعمل به • والمقتصد الذي عمل به • والسابق الذي أخذ به وبين للناس العمل به فعملوا به بقوله فهو كامل ومكمل • والمقتصد كامل • والظالم ناقص • والمختار هو أن الظالم من خالف فترك أوامر الله وارتكب مناهيه فإنه واضع للشيء في غير موضعه • والمقتصد هو المجتهد في ترك المخالفة وإن لم يوفق لذلك وندر منه ذنب وصدر عنه إثم فإنه اقتصد واجتهد وقصد الحق • والسابق هو الذي لم يخالف بتوفيق الله ويدل عليه قوله تعالى بإذن الله أي اجتهد ووفق لما اجتهد فيه وفيما اجتهد فهو سابق بالخيرات يقع في قلبه فيسبق إليه قبل تسويل النفس • والمقتصد يقع في قلبه فيسبق إليه فتردده النفس • والظالم تغلبه النفس ونقول بعبارة أخرى من غلبته النفس الأمارة وأمرته فأطاعها ظالم • ومن جاهد نفسه فغلب تارة وغلب أخرى فهو المقتصد • ومن قهر نفسه فهو السابق • وقوله ذلك هو الفضل الكبير يحتمل وجوها • أحدها التوفيق المذكور عليه بقوله بإذن الله هو الفضل الكبير • ثانيها السبق بالخيرات هو الفضل الكبير • ثالثها الإيراث فضل كبير هذا على الوجه المشهور من التفسير • أما الوجه الآخر وهو أن يقال ثم أورثنا الكتاب أي جنس الكتاب كما قال تعالى وجاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير • يرد عليه أسولة • أحدها ثم للتراخي وإيتاء الكتب بعد الإيحاء إلى محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن فما المراد بكلمة ثم نقول معناه إن الله تعالى خبير بصير خبرهم وأبصرهم ثم أورثهم الكتاب كأنه قال تعالى إنا علمنا البواطن وأبصرنا الظواهر فاصطفينا عبادا ثم أورثناهم الكتاب • ثانيها كيف يكون من الأنبياء ظالم لنفسه • نقول منهم غير راجع إلى الأنبياء المصطفين بل المعنى أن الذي أوحينا إليك هو الحق وإنك المصطفى كما اصطفينا رسلنا وآتيناهم كتبا • ومنهم أي من قومك ظالم كفر بك وبما أنزل إليك • ومقتصد آمن به ولم يأت بجميع ما أمر به • وسابق آمن وعمل صالحا • ثالثها قوله جنات عدن يدخلونها الداخلون هم المذكورون وعلى ما ذكرتم لا يكون الظالم داخلا • نقول الداخلون هم السابقون • وأما المقتصد فأمره موقوف أو هو يدخل النار ثم يدخل الجنة • والبيان الأول الأمر لما بعده • ويدل عليه قوله يحلون فيها من أساور من ذهب • وقوله أذهب عنا الحزن ثم قال تعالى جنات عدن يدخلونها • وفي الداخلين وجوه • أحدها الأقسام الثلاثة وهو على قولنا إن الظالم والمقتصد والسابق أقسام المؤمنين • والثاني الذين يتلون كتاب الله • والثالث هم السابقون وهو أقوى لقرب ذكرهم ولأنه ذكر إكرامهم بقوله يحلون • فالمكرم هو السابق وعلى هذا فيه أبحاث • الأول تقديم الفاعل على الفعل • وتأخير المفعول عنه موافق للترتيب المعنى إذا كان المفعول كقولنا الله خلق السموات • وقول القائل زيد بنى الجدار فإن الله موجود قبل كل شيء ثم له فعل هو الخلق ثم حصل به المفعول وهو السموات • وكذلك البناء ثم البناء ثم الجدار من بنايه • وإذا لم يكن المفعول حقيقيا كقولنا زيد دخل الدار وضرب عمرا فإن الدار في الحقيقة ليس مفعولا للداخل وإنما فعل من أفعاله يتحقق بالنسبة إلى الدار • وكذلك عمرو فعل من أفعال زيد تعلق به فسمي مفعولا لا يحصل هذا الترتيب ولكن الأصل تقديم الفعل على المفعول • ولهذا إذا المفعول المقدم بالضمير يقول عمرا ضربه زيد فتوقعه بعد الفعل بالهاء العائد إليه وحينئذ يطول الكلام فلا يختاره الحكيم إلا لفائدة • فما الفائدة في تقديم الجنات على الفعل الذي هو الدخول • وإعادة ذكرها بالهاء في يدخلونها • وأما الفرق بين هذا وبين قول القائل يدخلون جنات عدن نقول السامع إذا علم أن له مدخلا من المداخل وله دخول ولم يعلم عين المدخل فإذا قيل له أنت تدخل فإلى أن يسمع الدار أو السوق يبقى متعلق القلب في أنه أي مداخل يكون فإذا قال له الدار يدخلها بذكر الدار يعلم مدخله وبما عنده من العلم السابق فإن له دخولا يعلم الدخول فلا يبقى له توقف ولا سيما الجنة والنار فإن بين المدخلين بونا بعيدا • الثاني قوله يحلون فيها من أساور • إشارة إلى سرعة الدخول فإن التحلية لو وقعت خارجا لكان فيه تأخير للدخول فقال يدخلونها وفيه يقع تحليتهم • الثالث قوله من أساور بجمع الجمع فإنه جمع أسورة وهي جمع سوار • وقوله لباسهم ليس كذلك لأن الإكثار من اللباس يدل على حاجة من دفع برد أو غيره • والإكثار من الزينة لا يدل إلا على الغنى • الرابع ذكر الأساور من بين سائر الحلي في كثير من المواضع • منها قوله تعالى وحلوا أساور من فضة وذلك لأن التحلي بمعنيين • أحدهما إظهار كون المتحلي غير مبتذل في الأشغال لأن التحلي لا يكون حالة الطبخ والغسل • وثانيهما إظهار الاستغناء عن الأشياء وإظهار القدرة على الأشياء وذلك لأن التحلي إما بالآلة الجواهر وإما بالذهب والفضة والتحلي بالجواهر والآلئ

يدل على ان المتحلي لا يعجز عن الوصول الى الاشيا الكثيرة عند الحاجة حيث لم يعجز عن الاشيا القليلة الوجود لا لحاجة والتحلي بالذهب والفضة يدل على انه غير محتاج حاجة اصلية والا لصرف الذهب والفضة الى دفع الحاجة اذا عرفت هذا فنقول الاساور محلها الايدي • واكثر الاعمال باليد فانها للبطش فاذا حليت بالاساور علم الفراغ • والذهب واللولو اشارة الى النوعين الذين منهما الحلي • ثم قال تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن • في الحزن اقوال كثيرة • والاولى ان يقال المراد اذهاب كل حزن • والالف واللام للجنس واستغراقه واذهاب الحزن بحصول كل ما ينبغي وبقائه دائما • فان شيا منه لو لم يحصل لكان الحزن موجودا بسببه • وان حصل ولم يدم كان الحزن غير ذاهب بسبب خوف زواله وخوف فواته • وقوله ان ربنا لغفور شكور • ذكر الله عنهم امورا كلها تفيد الكرامة من الله • الاول الحمد فان الحامد مثاب • الثاني قولهم ربنا فان الله لو نادى بهذا اللفظ الا واستجاب الله لهم الا ان يكون المنادي قد ضيع الوقت وطلب ما لا يجوز كالرد الى الدنيا من الآخرة • الثالث قولهم غفور • الرابع قولهم شكور • والغفور اشارة الى ما غفر لهم في الآخرة بما وجد لهم من الحمد في الدنيا • والشكور اشارة الى ما يعطيهم الله ويزيدهم بسبب ما وجد لهم في الآخرة من الحمد • ثم قال تعالى الذي احلنا دار المقامة اي دار الاقامة • لما ذكر الله سرورهم وكرامتهم بتحليتهم وادخالهم الجنان بين سرورهم ببقائهم فيها وعلمهم بدوامها حيث قالوا الذي احلنا دار المقامة اي الاقامة والمفعول وربما يجي للمصدر من كل باب • يقال ماله معقول اي عقل وقال تعالى مدخل صدق وقال تعالى ومزقناهم كل ممزق • وكذلك المستخرج للاستخراج وذلك لان المصدر هو المفعول في الحقيقة فانه هو الذي فعل فجاز اقامة المفعول مقامه • وفي قوله دار المقامة اشارة الى ان الدنيا منزلة ينزلها المكلف ويرتحل عنها الى منزلة القبور • ومنها الى منزلة العرصة التي فيها الجمع • ومنها التفريق وقد يكون النار لبعضهم منزلة اخرى • والجنة دار مقامة وكذا النار لاهلها • وقولهم من فضله اي بحكم وعده لا بايجاب من عنده • وقوله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب • اللغوب الاعيا • والنصب هو السبب للاعيا • فان قال قايل اذا بين انه لا يمسه نصب علم انه لا يمسه لغوب • ولا ينبغي المتكلم الحكيم الشيء ثم ينفي سببه بحرف العطف فلا يقول القايل لا اكلت ولا شبعت ولا قمت ولا مشيت والعكس كثير فانه يقال لا شبعت ولا اكلت لما ان نفي الشبع لا يلزمه انتفا الاكل • وسياق ما تقرر يقول لا يمسنا فيها اعيا ولا مشقة نقول ما قال الله في غاية الجلالة وكلام الله اجل وبيانه اجمل • ووجهه هو انه تعالى بين مخالفة الجنة لدار الدنيا • اماكنها على قسمين • احدهما موضع تمس فيه المشاق والمتاعب • كالبراري والصحاري والطرقات والاراضي • والاخر موضع يظهر منه الاعيا كالبيوت والمنازل التي في الاسفار من الخانات فان من يكون في مباشرة شغل لا يظهر عليه الاعيا الا بعد ما يستريح فقال تعالى لا يمسنا فيها نصب اي ليست الجنة كالمواضع التي في الدنيا مضان المتاعب بل هي افضل من المواضع التي هي مرجع المعني فقال ولا يمسنا فيها لغوب اي ولا نخرج منها الى مواضع بنصب ونرجع اليها فيمسنا فيها الاعيا • وقرى لغوب بفتح اللام • والترتيب على هذه القراة ظاهر كانه قال لا نتعب ولا يمسنا ما يصلح لذلك • وهذا لان القوي السوي اذا قال ما تعبت اليوم لا يفهم من كلامه انه عمل شيئا [illegible] فاذا قال ما مسني ما يصلح ان يكون متعبا يفهم منه انه لم يعمل شيئا لان نفس العمل قد يصلح ان يكون متعبا للضعيف ومتعبا بسبب كثرته واللغوب هو ما يغني منه • وقيل النصب التعب الجسماني واللغوب [illegible] ولهذا الحسن الترتيب ظاهر لانه لا يمسنا مرض ولا دون ذلك وهو الذي يعيي ما باشره • ثم قال تعالى والذين كفروا لهم نار جهنم عطف على قوله ان الذين يتلون كتاب الله وما بينهما كلام يتعلق بالذين يتلون كتاب الله على ما بيناه • وقوله جنات عدن يدخلونها قد ذكرنا انه على بعض الاقوال ان الاصناف الذين يتلون كتاب الله • ثم قال تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا اي لا يستريحون بالموت بل العذاب دائم • ولا يخفف عنهم من عذابها اي النار • وفيه لطائف • الاولى ان العذاب في الدنيا ان دام كثيرا يقتل • وان لم يقتل فالعادة البدن ويصير مزاجا فاسدا متمكنا لا يحس به المعذب • فقال عذاب نار الآخرة ليس كعذاب الدنيا اما ان يفني واما ان يألفه البدن بل هو في كل زمان شديد والمعذب فيه دائم • الثانية راعى الترتيب على احسن وجه وذلك لان ترتيب العذاب لا ينقطع ولا يخفف بل لا ينقطع لانه قوي الاسباب وهو الموت [illegible] يتمنون الموت ولا يجابون كما قال تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك [illegible] بالموت • الثالثة في المعذبين الكفرة لا ينقص عذابهم ولم يقل يزيد بل عذابا • وفي التائبين ذكر الزيادة بقوله ويزيدهم من فضله • ثم لما بين ان عذابهم لا يخفف قال وهم يصطرخون فيها اي

لا يخفف

لا يخفف وان اصطرخوا واضطربوا اليس لا يخفف الله من عنده انعاما الى ان يطلبوه بل يطلبون ولا يجدون • والاصطراخ من الصراخ والصراخ صوت المعذب • وقوله ربنا اخرجنا اي صارخين بهذا اي يقولون ربنا اخرجنا الآن صياحهم كلام • وفيه اشارة الى ان ايلامهم تعذيب لا تاديب وذلك لان المؤدب اذا قال للمؤدب لا ارجع الى ما فعلت وبيس ما فعلت يتركه • واما المعذب فلا وترتيبه حسن وذلك لانه لما بين انه لا يخفف عنه بالكلية ولا يعفو عنهم بين انه لا يقبل منهم وعدا • وهذا فان المحبوس يصبر لعله يخرج من غير سوال فاذا طال لبثه يطلب الاخراج من غير قطيعة على نفسه فان لم يفده يقطع على نفسه قطيعة ويقول اخرجني افعل كذا وكذا • واعلم ان الله تعالى قد بين ان من يكون في الدنيا ضالا فهو في الآخرة ضال كما قال ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ثم انهم لم يعلموا ان العود الى الدنيا بعيد محال بحكم الاخبار ومع هذا قالوا انعمل صالحا جازمين من غير استعانة بالله ولا مثوبة فيه ولم يقولوا ان الامر بيد الله فقال الله لهم اذا كان اعتمادكم على انفسكم فقد عمرناكم مقدارا يمكن التذكر فيه والاتيان بالايمان والاقبال على الاعمال • وقولهم غير الذي كنا نعمل اشارة الى ظهور فساد عملهم لهم وكان الله تعالى كما لم يهدهم في الدنيا لم يهدهم في الآخرة فما قالوا ربنا زدت المحسنين حسنات بفضلك لا بعملهم ونحن احوج الى التخفيف للعذاب منهم الى تضعيف الثواب فافعل ما انت اهله نظرا الى فضلك ولا تفعل بنا ما نحن اهله نظرا الى عدلك وانظر الى مغفرتك الهاطلة ولا تنظر الى معذرتنا الباطلة وكما هدى الله المومن في الدنيا هداه في العقبى حين دعاه باقرب دعاء الى الاجابة واثنى عليه باطيب ثنا عند الاثابة فقالوا الحمد لله • وقالوا ربنا غفور اعترافا بتقصيرهم شكور اقرارا بوصول ما لم يخطر ببالهم اليهم وقالوا الذي احلنا دار المقامة من فضله اي لا عمل لنا بالنسبة الى نعم الله وهم قالوا اخرجنا نعمل اعتمادا على تعظيمه واعراضا عن الاعتراف بعجزهم عن الاتيان بما يناسب عظمته ثم انه تعالى بين انه اتاهم ما يتعلق بقبول المحل من العمر الطويل وما يتعلق بالفاعل في المحل فان النبي عليه الصلاة والسلام لفاعل الخيرات فيهم ومظهر السعادات فقال وجاءكم النذير فان المانع اما ان يكون فيهم حيث لم يتمكنوا من النظر فيما انزل • واما ان يكون في مرشدهم حيث لم ينزل عليهم ما يرشدهم • ثم قال تعالى فذوقوا فما للظالمين من نصير • وقوله فذوقوا اشارة الى الدوام او هو امر اهانة • فما للظالمين الذين وضعوا اعمالهم في غير موضعها • واتوا بالمعذرة في غير وقتها من نصير في وقت الحاجة ينصرهم قال بعض الحكماء قوله فما للظالمين من نصير • وقوله ما للظالمين من انصار يحتمل ان يكون المراد من الظالم الجاهل جهلا مركبا وهو الذي يعتقد الباطل حقا في الدنيا وما له من نصير اي من علم في الآخرة ينفعه • والذي يدل عليه ان الله تعالى سمى البرهان سلطانا كما قال فاتوا بسلطان • والسلطان اقوى ناصر اذ هو القوة او الولاية وكلاهما ينصر الحق والمراد التعميم لان الله لا ينصره وليس غيره نصير فما لهم نصير اصلا • ويمكن ان يقال بان الله تعالى قال في آل عمران وما للظالمين من انصار وقال فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين وقال ههنا فما للظالمين من نصير اي هذا وقت كونهم واقعين في النار فقد ايس كل منهم من كثير ممن كانوا يتوقعون منهم النصرة ولم يبق الا توقعهم من الله فقال ما لكم من نصير اصلا وهنالك كان الامر محكيا في اوايل الحشر فنفي ما كانوا يتوقعون منهم النصرة وهم الهتهم • ثم قال ان الله عالم غيب السموات والارض • تقرير الدوام مكثهم في العذاب • وذلك من حيث ان الله تعالى لما قال ان جزا السيئة سيئة مثلها ولا يزاد عليها فلو قال قايل الكافر ما كفر بالله الا اياما معدودة فكان لا ينبغي ان يعذب الا مثل تلك الايام فقال الله تعالى ان الله لا يخفى عليه غيب السموات فلا يخفى عليه ما في الصدور وكان يعلم من الكافر ان في قلبه تمكن الكفر بحيث لو دام الى الابد لما اطاع الله ولا عبده • وفي قوله تعالى ذات الصدور مسلة قد ذكرناها مرة ونعيدها اخرى وهي ان لقايل ان يقول الصدور هي ذوات اعتقادات وظنون فكيف سمى الله الاعتقادات بذات الصدور وتقرر السوال قولهم ارض ذات اشجار وذات حجر اذا كان فيها ذلك • وكذلك الصدر فيه اعتقاد فيقال له لما كان اعتبار الصدر بما فيه صار ما فيه كالساكن المالك حيث يقال في الدار ذو زيد ويصح ان يقال زيد ذو دار ومال وان كان هو فيها • ثم قال تعالى هو الذي جعلكم خلايف في الارض • تقريرا لقطع حجتهم فانهم لما قالوا ربنا اخرجنا نعمل صالحا وقال الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر اشارة الى ان التمكين والامهال مدة يمكن فيها المعرفة قد حصل وما امنتم وزاد عليه بقوله وجاءكم النذير اي اتاكم عقولا • وارسلنا اليكم من يويد المعقول بالدليل المنقول زاد على ذلك بقوله وهو الذي جعلكم اي نبهكم بمن مضى وحال من انقضى فانكم لو لم يحصل لكم علم بان من كذب الرسل اهلك لكان عنادكم اخفى وفسادكم اخف لكن امهلتم وعمرتم وامرتم على لسان الرسل بما امرتم وجعلتم خلايف في الارض من بعد خلفه تعلمون حال الماضين وتصبحون عاجزين • فمن كفر بعد هذا كله فعليه كفره لا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا لان الكافر السابق كان ممقوتا كالعبد الذي لا يخدم سيده • واللاحق الذي انذره الرسول ولم ينتبه امقت كالعبد

والسلطان اقوى ناصر اذ هو القوة والولاية

الذی ینصحه الناصح ویامره بخدمة سیده ویعده ویوعده ولا ینفعه النصح ولا یسعده • والبالی لهم الذی رای عذاب
من تقدمه ولو بخش عذابه امقت الکل ثم قال تعالى ولا یزید الکافرین کفرهم الا خسارا • ای الکفر لا ینفع عند الله حیث
لا یزید الا المقت ولا ینفعهم فی انفسهم حیث لا یفیدهم الا الخسار فان العمر کراس مال من اشتری به رضی الله
ربح • ومن اشتری به سخطه خسر ثم قال تعالى قل ارایتم شرکاکم الذین تدعون من دون الله • تقریر للتوحید
وابطال للاشراک • وقوله ارایتم معناه اخبرونی لان الاستفهام یستدعی جوابا • تقول القائل ارایت ماذا
فعل زید فیقول السامع باع او اشتری • ولولا تضمنه معنی اخبرنی والا لما کان الجواب الا قوله لا او نعم • وقوله
شرکاکم انما اضاف الشرکا الیهم من حیث ان الاصنام فی الحقیقه لم تکن شرکا الله وانما هم جعلوها شرکا فقال شرکاکم
ای الشرکا بجعلکم ویحتمل ان یقال الشرکا کم ای شرکاکم فی النار لقوله انکم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهو قریب
ویحتمل ان یقال هو بعید لاتفاق المفسرین علی الاول • وقوله ارونی بدل عن ارایتم لان کلیهما یفید معنی اخبرونی
ویحتمل ان یقال قوله ارایتم استفهام حقیقی فارونی امر تعجیز للتبیین فلما قال ارایتم یعنی اعلمتم هذه التی تدعونها کما هی وعلی
ما هی علیه من العجز او تتوهمون فیها قدرة • فان کنتم تعلمونها عاجزة فکیف تعبدونها • وان کان وقع لکم ان لها قدرة
فارونی قدرتها فی ای شیء هی • اهی فی الارض کما قال بعضهم ان الله اله السماء وهؤلاء الهة الارض وهم الذین قالوا
امور الارض من الکواکب والاصنام صورها ام هی فی السموات کما قال بعضهم ان السموات خلقت باستعانة الملیکه
والملیکه شرکا فی خلق السموات وهذه الاصنام صورها ام قدرتها فی الشفاعة لکم کما قال بعضهم ان الملائکة ما خلقوا شیا
ولکنهم مقربون عند الله فنعبدها لیشفعوا لنا فهل معهم کتاب من الله فیه اذنه لهم بالشفاعة • وقوله ام اتیناهم
کتابا فی العاید الیه الضمیر وجهان • احدهما انه عاید الی الشرکا ای هل اتینا الشرکا کتابا • وثانیهما انه عاید الی المشرکین
ای هل اتینا المشرکین کتابا • وعلی الاول فمعناه ما ذکرنا ای هل مع الشرکا کتاب من الله فیه ان له شفاعة عند الله فان احدا
لا یشفع عنده الا باذنه • وعلی الثانی معناه ان عبادة هؤلا اما بالعقل ولا عقل لمن یعبد من لم یخلق من الارض جزوا من
الاجزا ولا فی السما شیا من الاشیا • واما بالنقل ونحن ما اتینا المشرکین کتابا فیه امرنا بالسجود لهؤلا ولو امرنا لجاز کما امرنا
بالسجود لادم والی جهة الکعبة • فهذه العبادة لا عقلیة ولا نقلیة فوعد بعضهم بعضا لیس الا غرورا اغرهم الشیطان
وزین لهم عبادة الاصنام • ثم لما بین انه لا خلق للاصنام ولا قدرة لها ولا علی جزء من الاجزا بین ان الله قادر بقوله
ان الله یمسک السموات والارض ان تزولا • ویحتمل ان یقال لما بین شرکهم قال مقتضی شرکهم زوال السموات والارض
کما قال تعالى تکاد السموات یتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا • ویدل علی هذا قوله فی اخر الایة
ان الله کان حلیما غفورا • کان حلیما ما ترک تعذیبهم الا حلما منه والا کانوا یستحقون اسقاط السما وانطباق الارض علیهم
وانما اخر ازالة السموات الی قیام الساعة • حلما • ویحتمل الایة وجها ثالثا وهو ان یکون ذلک من باب التسلیم واثبات
المطلوب علی تقدیر التسلیم ایضا کانه قال تعالى شرکاکم ما خلقوا من الارض شیا ولا من السما جزوا ولا قدروا علی
الشفاعة فلا عبادة لهم • وهب انهم فعلوا شیا من الاشیا فهل یقدرون علی امساک السموات والارض ولا یمکنهم
القول بانهم یقدرون لانهم ما کانوا یقولون به کما قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض لیقولن الله • وقوله
هذا قوله تعالى ولئن زالتا ان امسکهما من احد من بعده فاذا تبین ان لا معبود الا الله من حیث ان غیره لم یخلق شیا
من الاشیا وان قال کافر بان غیره خلق فما خلق مثل ما خلق فلا شریک له وکان الله حلیما غفورا حلیما حیث لم یعجل فی
اهلاککم بعد اصرارهم علی اشراکهم • وغفورا یغفر لمن تاب برحمته وان استحق العقاب ثم قال تعالى واقسموا
بالله جهد ایمانهم لما بین انکارهم للتوحید وذکر تکذیبهم للرسول ومبالغتهم فیه حیث انهم کانوا یقسمون علی انهم
کانوا لا یکذبون الرسل اذا تبین لهم کونهم رسلا • وقالوا انما نکذب محمدا علیه السلام لکونه کاذبا • ولو تبین لنا کونه رسولا
لامنا کما قال تعالى عنهم واقسموا بالله جهد ایمانهم لئن جاتهم ایة لیؤمنن بها • وهذا مبالغة منهم فی التکذیب کما ان
من یکذب انسان قد یقول والله لو علمت ان له علی شیا لقضیته وزدت له اظهارا لکونه مطالبا بالباطل فکذلک هاهنا
عاندوا وقالوا والله لو جانا رسول لکنا اهدی الامم فلما جاهم نذیر ای محمد جاهم ای صح مجیئه لهم بالبینة ما زادهم
الا نفورا فانهم قبل الرسالة کانوا کافرین بالله وبعدها صاروا کافرین بالله ورسوله ولانهم قبل الرسالة ما کانوا
معذبین کما صاروا بعد الرسالة وقال بعض المفسرین ان اهل مکة کانوا یلعنون الیهود والنصاری علی انهم کذبوا
برسلهم لما جاهم وقالوا لو جانا رسول لاطعناه واتبعناه • وهذا فیه اشکال من حیث ان المشرکین کانوا منکرین
الرسالة والحشر مطلقا فکیف کانوا یعترفون بالرسل فمن این عرفوا ان الیهود کذبوا وما جاهم کتاب ولولا کتاب الله
وبیان الرسول من این کان یعلم انهم حرفوا شیا او کذبوا فی شیء بل المراد ما ذکرنا انهم کانوا یقولون نحن لو جانا رسول

لانکر

لانکره وانما ننکر کون محمد رسولا من حیث انه کاذب ولو صح کونه رسولا لامنا وقوله فلما جاهم ای فلما صح لهم مجیئه بالمعجزة
وفی قوله اهدی وجهان • احدهما ان یکون المراد اهدی مما نحن علیه وعلی هذا فقوله من احدی الامم للتبیین کما یقول القائل
زید من المسلمین ویدل علی هذا قوله تعالى فلما جاهم نذیر ما زادهم الا نفورا ای صاروا اضل مما کانوا وکانوا یقولون نکون اهدی
وثانیهما ان یکون المراد ان نکون اهدی من احدی الامم کما یقول القائل زید اولی من عمرو • وفی الامم وجهان • احدهما ان یکون
المراد العموم ای اهدی من ای احدی الامم یفرض • وثانیهما ان یکون المراد تعریف العهد ای امة محمد وموسی وعیسی علیهم السلام
ومن کان فی زمانهم ثم قال تعالى استکبارا فی الارض • ونصبه یحتمل ثلثة اوجه • احدها ان یکون حالا ای مستکبرین فی
الارض • وثانیها ان یکون مفعولا له ای للاستکبار • وثالثها ان یکون بدلا عن النفور وقوله ومکر السیء اضافة الجنس
الی نوعه • کما یقال علم الفقه وحرفة الحداد • وتحقیقه ان یقال معناه ومکروا مکرا سیا • ثم عرف لظهوره مکرهم • ثم ترک
التعریف باللام • واضیف الی السیء لکون السوء فیه ابین الامور • ویحتمل ان یقال بان المکر استعمال استعمال العمل کما ذکرنا فی قوله
والذین یمکرون السیئات ای یعملون السیئات • ومکرهم السیء هو جمیع ما کان یصدر منهم من القصد الی الایذاء ومنع الناس من
الدخول فی الایمان واظهار الانکار ثم قال تعالى ولا یحیق المکر السیء الا باهله • ای لا یحیط الا بفاعله • وفی قوله لا یحیق
وقوله الا باهله فواید • اما فی قوله یحیق فانها تنبی عن الاحاطة التی هی فوق اللحوق • وفیه من التحذیر ما لیس فی قوله ولا یلحق
او ولا یصل • واما فی قوله تعالى باهله ففیها ما لیس فی اهلا فیا من المکر السیء • واما فی النفی والاثبات ففایدة الحصر
بخلاف ما یقول القائل المکر السیء یحیق باهله فلا ینبی عن عدم الحیق بغیر اهله • فان قال قایل کثیرا ما نری ان الماکر یمکر ویفیده
المکر ویغلب الخصم بالمکر والایة تدل علی عدم ذلک فنقول الجواب عنه من وجوه • احدها ان المکر المذکور فی الایة هو
المکر الذی مکروه مع النبی صلی الله علیه وسلم من العزم علی القتل والاخراج ولم یحق الا بهم حیث قتلوا یوم بدر وغیره • وثانیها
هو ان نقول المکر السیء عام وهو الاصح فان النبی علیه الصلاة والسلام نهی عن المکر • واخبر عن النبی علیه السلام انه قال لا تمکروا
ولا تعینوا ماکرا فان الله یقول ولا یحیق المکر السیء الا باهله وعلی هذا فذلک الرجل الممکور به یکون اهلا فلا یرد نقضا • وثالثها
ان الامور بعواقبها ومن مکر بغیره ونفذ فیه المکر عاجلا فی الظاهر ففی الحقیقة هو الفایز • والماکر هو الهالک • وذلک
مثل راحة الکافر ومشقة المسلم فی الدنیا ویبین هذا المعنی قوله تعالى فهل ینظرون الا سنة الاولین یعنی ان کان لمکرهم
فی الحال رواج فالعاقبة للتقوی والامور بخواتیمها فیهلکون کما اهلک الاولون وقوله تعالى هل ینظرون الا سنة
الاولین ای لیس لهم بعد هذا الا انتظار الاهلاک وهو سنة الاولین • وفیه مسایل المسئلة الاولى الاهلاک لیس
سنة الاولین انما هو سنة الله بالاولین فنقول الجواب عنه من وجهین • احدهما ان المصدر الذی هو
المفعول المطلق یضاف الی الفاعل والمفعول لتعلقه بهما من وجه دون وجه • فیقال فیما اذا ضرب زید عمرا
عجبت من ضرب عمرو وکیف ضرب مع ما له من القوة والقوة • وعجبت من ضرب زید کیف ضرب مع ما له من العلم
والحلم فکذلک سنة الله بهم اضافها الیهم لانها سنة سنت بهم واضافها الی نفسه بعدها بقوله فلن تجد
لسنة الله لانها سنة من الله • اذا علمت هذا فعلی هذا نقول اضافها فی الاول الیهم حیث قال سنة الاولین
لان سنة الله الاهلاک بالاشراک • والاکرام علی الاسلام فلا یعلم انهم ینتظرون ایهما فاذا قال سنة الاولین
تمیزت • وفی الثانی اضافها الی الله لانها لما علمت فالاضافة الی الله لعظمها وتبین انها امر واقع لیس لها من دافع
وثانیهما ان المراد من سنة الاولین استمرارهم علی الانکار واستکبارهم عن الاقرار • وسنة الله استیصالهم
باصرارهم وکانه قال انتم تریدون الاتیان بسنة الاولین والله یاتی بسنته لا تبدیل لها ولا تحویل عن مستحقها
المسئلة الثانیة التبدیل تحویل فما الحکمة فی التکرار نقول فقوله فلن تجد لسنة الله تبدیلا حصل العلم
بان العذاب لا یبدل بغیره وبقوله ولن تجد لسنة الله تحویلا حصل العلم بان العذاب لا یبدل بغیره وبقوله
ولن تجد لسنة الله تحویلا حصل العلم بان العذاب مع انه لا یتبدل بالثواب لا یتحول عن مستحقه الی غیره فیستمر
تهدید المسیء المسئلة الثالثة المخاطب بقوله فلن تجد یحتمل وجهین • وقد تقدم مرارا • احدهما ان یکون
عاما کانه قال لن تجد ایها السامع لسنة الله تبدیلا • والثانی ان یکون مع محمد علیه الصلاة والسلام وعلی
هذا فکانه قال سنة الله انه لا یهلک ما بقی فی القوم من کتب الله ایمانه فاذا امن من فی علم الله انه یؤمن
یهلک الباقین کما قال نوح انک ان تذرهم ای حال الامر وجاوقت سنتک ثم قال تعالى او لم یسیروا فی الارض
فینظروا • لما ذکر ان للاولین سنة هی الاهلاک نبههم بتذکیر حال الاولین فانهم کانوا مارین علی دیارهم رایین لاثارهم
وامالهم کان فوق امالهم • وعملهم کان دون عملهم • اما الاول فلطول اعمارهم • وشدة اقتدارهم • واما عملهم فلانهم
لم یکذبوا مثل محمد ولا محمدا • وانتم یا اهل مکة کذبتم محمدا ومن تقدمه • وقوله تعالى وکانوا اشد منهم قوة قد ذکرناه

وعجبت من ضرب زید کیف ضرب مع ما له من العلم والحلم

في سورة الروم بقي فيه أبحاث ۝ الأول قال هناك كانوا أشد منهم وأثاروا وقال هاهنا وكانوا أشد منهم قوة فما الفرق نقول قول القائل ما رأيت زيدا كيف أكرمني هو أعظم منك يفيد أن القائل يخبر بأن زيدا أعظم ۝ وإذا قال ما رأيته كيف أكرمني وهو أعظم منك يفيد أنه يقرر أن المعنيين حاصل عند السامع كأنه رآه أكرمه ورآه أكبر منه ولا شك أن العبارة الأخيرة تفيد كون الأمر الثاني في الظهور مثل الأول بحيث لا يحتاج إلى إعلام من المتكلم ولا إخبار إذا علمت هذا فنقول المذكور هاهنا كونهم أشد منهم قوة لا غير ولعل ذلك كان ظاهرا عندهم فقال أولم يروا أي نظركم كما يقع على عاقبة أمرهم يقع على قوتهم ۝ وأما هناك المذكور أشياء كثيرة فإنه قال كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر ۝ وفي مواضع أخر قال أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض ولعل علمهم لم يحصل بآثارهم في الأرض وبكثرتهم ولكن نفس القوة ورجحانهم فيها عليهم كان معلوما عندهم فإن كل طائفة تعتقد فيمن تقدمها أنهم أقوى منهم ولا نزاع فيه وقوله تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء يحتمل وجهين ۝ أحدهما أن يكون بيانا لهم أن الأولين مع شدة قوتهم ما أعجزوا الله وما فاتوه فهم أولى بأن لا يعجزوه والثاني أن يكون قطعا لأطماع الجهال فإن قائلا لو قال هب أن الأولين كانوا أشد قوة وأطول أعمارا لكنا بذكائنا نستخرج ما يزيد على قواهم ونستعين بأمور أرضية لها خواص أو كواكب سماوية لها آثار فقال الله تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما بأفعالهم وأقوالهم قديرا على إهلاكهم واستئصالهم ثم قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ۝ لما خوف الله المكذبين بمن مضى وكانوا من شدة عنادهم وفساد اعتقادهم يستعجلون بالعذاب ۝ ويقولون عجل لنا عذابنا فقال الله تعالى للعذاب أجل والله لا يؤاخذ الناس بنفس الظلم فإن الإنسان ظلوم جهول وإنما يؤاخذ بالإصرار وحصول اليأس عن إيمانهم ووجود الإيمان ممن كتب الله إيمانه فإذا لم يبق فيهم من يؤمن يهلك المكذبين ۝ ولو يؤاخذهم بنفس الظلم كان كل يوم إهلاك ۝ وفيه مسائل

المسألة الأولى إذا كان الله يؤاخذ الناس بما كسبوا فما بال الدواب يهلكوا فنقول الجواب من وجوه أحدها أن خلق الدواب نعمة ۝ فإذا كفر الناس يزيل الله النعم والدواب أقرب النعم لأن المفرد والأثم المركب إما أن يكون معدنيا وإما أن يكون ناميا ۝ والنامي إما أن يكون حيوانا ۝ وإما أن يكون نباتا ۝ والحيوان إما إنسان وإما غير إنسان ۝ فالدواب أعلى درجات المخلوقات في عالم العناصر للإنسان ۝ الثاني هو أن ذلك بيان لشدة العذاب وعمومه فإن بقاء الأشياء بالإنسان كما أن بقاء الإنسان بالأشياء وذلك لأن الإنسان يدبر الأشياء ويصلحها فتبقى الأشياء ثم ينتفع بها الإنسان فيبقى الإنسان فإذا كان الهلاك عاما لا يبقى من الإنسان من يعمر فلا تبقى الأبنية والزروع فلا تبقى الحيوانات الأهلية لأن بقاءها بحفظ الإنسان إياها عن التلف والهلاك بالسقي والعلف ۝ الثالث هو أن إنزال المطر إنعام من الله في حق العباد فإذا لم يستحقوا الإنعام قطعت الأمطار عنهم فيظهر الجفاف على وجه الأرض فيموت جميع الحيوانات وقوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة ۝ يؤكد الوجه الثالث لأن بسبب انقطاع الأمطار تموت حيوانات البر ۝ أما حيوان البحر فيعيش بماء البحر

المسألة الثانية قوله على ظهرها كناية عن الأرض وهي غير مذكورة ۝ فكيف علم نقول مما تقدم ومما تأخر ۝ أما ما تقدم فقوله وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض فهو أقرب المذكورات الصالحة لعود الهاء إليها ۝ وأما ما تأخر فقوله من دابة لأن الدواب على ظهر الأرض فإن قيل كيف يقال لما عليه الخلق من الأرض وجه الأرض وظهر الأرض مع أن الوجه مقابل الظهر كالمضاد ۝ نقول من حيث إن الأرض كالدابة الحاملة للأثقال والحمل يكون على الظهر فقيل له ظهر الأرض ومن حيث إن ذلك هو المقابل للخلق المواجه لهم ۝ يقال له وجهها على أن الظهر في مقابلة البطن والظهر والظاهر من باب والبطن والباطن من باب ۝ فوجه الأرض ظهر لأنه هو الظاهر وغيره منها باطن وبطن

المسألة الثالثة في قوله يؤخرهم إلى أجل مسمى وجوه ۝ أحدها إلى يوم القيامة وهو مسمى مذكور في كثير من المواضع ۝ وثانيها يوم لا يوجد في الخلق من يؤمن على ما تقدم ۝ وثالثها لكل أمة أجل ولكل أجل كتاب وأجل قوم محمد عليه السلام أيام القتل والأسر كيوم بدر وغيره

المسألة الرابعة قوله تعالى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا تسلية للمؤمنين وذلك لأنه تعالى ما ترك على ظهرها من دابة وقال لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فقال إذا جاء الهلاك فالله بالعباد بصير إما أن ينجيهم أو يكون توفيتهم تقريبا من الله لا تعذيبا قد ذكرنا أن الله لا يؤاخذ بمجرد الظلم وإنما يؤاخذ حين يجتمع الناس على الضلال ۝ ويقول بأنه تعالى عند الإهلاك يهلك المؤمن فكيف هذا ۝ نقول إن الإماتة والإفناء قد ذكرنا إن كانت للتعذيب فهو مؤاخذة بالذنب وإهلاك وإن كان لا لإيصال الثواب فليس بإهلاك ولا بمؤاخذة والله لا يؤاخذ الناس إلا عند عموم الكفر وقوله بصيرا لفظ أتم في التسلية من العليم وغيره لأن البصير بالشيء الناظر إليه أولى بالإنجاء من العالم بحاله دون أن

بيراه والله اعلم

يراه والله أعلم ۝ تم تفسير هذه السورة والحمد لله رب العالمين ۝ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

سورة يس مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يس والقرآن الحكيم

قد ذكرنا كلاما كليا في حروف التهجي في سورة العنكبوت ۝ وذكرنا في كل سورة بدأ الله فيها بحروف التهجي كان في أوائلها الذكر والكتاب أو القرآن ۝ ولنذكر هاهنا أبحاثا ۝ الأول هو أن في ذكر هذه الحروف في أوائل السور أمورا تدل على أنها غير خالية عن الحكمة ۝ ولكن علم الإنسان لا يصل إليها بعينها فنقول ما هو الكلي من الحكمة فيها ۝ أما بيان أن فيها ما يدل على الحكمة فهو أن الله تعالى ذكر من الحروف نصفها وهو أربعة عشر حرفا وهي نصف ثمانية وعشرين حرفا وهي جميع الحروف التي في لسان العرب على قولنا الهمزة ألف متحركة ۝ ثم إنه تعالى قسم الحروف ثلاثة أقسام ۝ تسعة أحرف من الألف إلى الذال وتسعة أحرف أخر في آخر الحروف من الفاء إلى الياء وعشرة في الوسط من الراء إلى الغين ۝ وذكر من القسم الأول حرفين هما الألف والحاء وترك سبعة ۝ وترك من القسم الآخر حرفين هما الفاء والواو ۝ وذكر سبعة ۝ ولم يترك من القسم الأول من حروف الحلق والصدر إلا واحدا لم يذكره هو الخاء ۝ ولم يذكر من القسم الآخر من الشفه إلا واحدا لم يتركه هو الميم ۝ والعشرة الأوسط ذكر منها حرفا وترك حرفا ۝ فذكر الراء وترك الزاي ۝ وذكر السين وترك الشين ۝ وذكر الصاد وترك الضاد ۝ وذكر الطاء وترك الظاء ۝ وذكر العين وترك الغين ۝ وليس هذا أمرا يقع اتفاقا بل هو ترتيب مقصود فهو لحكمة ۝ وأما أن عينها غير معلومة فظاهر وهو أن واحدا يدعي فيه شيئا فماذا نقول في كون بعض السور مفتتحة بحرف كسورة ن ۝ وق ۝ وص ۝ وبعضها بحرفين كسورة حم ويس وطس وطه ۝ وبعضها بثلاثة أحرف كسورة الم والر وطسم ۝ وبعضها بأربعة أحرف كسورة المر والمص ۝ وبعضها بخمسة أحرف كسورة حم عسق وكهيعص ۝ وهب أن قائلا يقول بأن هذا إشارة إلى أن الكلام إما حرف وإما فعل وإما اسم ۝ والحرف كثيرا ما جاء على حرف كواو العطف وفاء التعقيب ۝ وهمزة الاستفهام ۝ وكاف التشبيه ۝ وباء الإلصاق وغيرها ۝ وجاء على حرفين كمن للتبعيض ۝ وأو للتخيير وأم للاستفهام المتوسط ۝ وإن للشرط وغيرها ۝ والاسم والفعل والحرف جاء على ثلاثة أحرف ۝ كإلى وعلى في الحرف وإلى وعلى في الاسم ۝ وألا ولو وعلا يعلو في الفعل ۝ والاسم والفعل جاء على أربعة أحرف ۝ والاسم خاصة جاء على ثلاثة وأربعة وخمسة ۝ كعجل وسبحل وجردحل ۝ فما جاء في القرآن إشارة إلى تركيب العربية من هذه الحروف على هذه الوجوه ۝ فماذا نقول في هذا القائل في تخصيص بعض السور بالحرف الواحد ۝ والبعض بأكثر فلا يعلم تمام السر إلا الله ومن أعلمه الله به ۝ إذا علمت هذا فنقول اعلم أن العبادة منها قلبية ۝ ومنها لسانية ۝ ومنها خارجية ۝ وكل واحدة منها قسمان ۝ قسم عقل معناه وحقيقته ۝ وقسم لم يعلم ۝ أما القلبية مع أنها أبعد عن الشك والجهل ففيها ما لم يعلم دليله عقلا وإنما وجب الإيمان به والاعتقاد سمعا كالصراط الذي هو أدق من الشعر وأحد من السيف ۝ ويمر عليه المؤمن الموقن كالبرق الخاطف والميزان التي توزن بها الأعمال التي لا ثقل لها في نظر الناظر وكيفيات الجنة والنار فإن هذه الأشياء وجودها لم يعلم بدليل عقلي وإنما المعلوم بالعقل إمكانها ووقوعها معلوم مقطوع به بالسمع ۝ ومنها ما علم كالتوحيد والنبوة وقدرة الله وصدق الرسول ۝ وكذلك في العبادات الخارجية ما علم معناه وما لم يعلم كمقادير النصب وعدد الركعات وقد ذكرنا الحكمة فيه وهي أن العبد إذا أتى بما أمر به من غير أن يعلم ما فيه من الفائدة لا يكون آتيا إلا لمحض العبادة بخلاف ما لو علم الفائدة فربما يأتي به للفائدة وإن لم يؤمر كما لو قال السيد لعبده انقل هذه الحجارة من هاهنا ولم يعلمه بما في النقل فنقلها ۝ ولو قال انقلها فإن تحتها كنزا هو لك ينقلها وإن لم يؤمر إذا علم فكذلك في العبادات اللسانية الذكرية وجب أن يكون ما لا يفهم معناه حتى إذا أقامه لما أمر به ۝ البحث الثاني قيل في يس إنها كلام هو نداء معناه يا إنسان وتقريره هو أن تصغير إنسان أنيسين وكأنه حذف الصدر منه وأخذ العجز وقال يا سين أي يا أنيسين وعلى هذا يحتمل أن يكون الخطاب مع محمد عليه الصلاة والسلام يدل عليه قوله تعالى بعده إنك لمن المرسلين ۝ البحث الثالث قرئ يس إما بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف هو قولنا هذه كأنه قيل هذه يس ۝ وإما بالضم على نداء المفرد ۝ أو على أنه مبني كحيث ۝ وقرئ يس إما بالنصب على معنى اتل يس ۝ وإما بالفتح كأين وكيف ۝ وقرئ يس بالكسر كجير لمكان الياء وكسرة ما قبلها ۝ ولا يجوز أن يقال بالجر لأن إضمار الجار غير جائز وليس فيه حرف قسم ظاهر وقوله تعالى والقرآن الحكيم أي ذي الحكمة كعيشة راضية أي ذات رضى ۝ أو على أنه ناطق بالحكمة فهو كالحي المتكلم وقوله إنك لمن المرسلين مقسم عليه ۝ وفيه مسائل

المسألة الأولى الكفار أنكروا كون محمد مرسلا ۝ والمطالب يثبت بالدليل لا بالقسم فما الحكمة في الأقسام ۝ فنقول

اعلم ان العبادة منها قلبية ومنها لسانية ومنها خارجية

فيه وجوه . الاول هو ان العرب كانوا يتوقون الايمان الفاجرة وكانوا يقولون بان الايمان الفاجرة توجب خراب العالم
وصح النبي عليه السلام ذلك بقوله اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع . ثم انهم كانوا يقولون ان النبي عليه السلام يصيبه
من الهتهم عذاب وهي الكواكب . وكان النبي عليه السلام يحلف بامر الله وانزال كلامه عليه باشيا مختلفة وما كان
يصيبه عذاب بل كان كل يوم ارفع شانا وامنع مكانا فكان ذلك يوجب اعتقاد انه ليس بكاذب . الثاني هو ان المناظر
اذا وقع بينهم كلام وغلب احدهما الاخر بتمشية دليله واسكته . يقول المغلوب انت قررت هذا بقوة جدلك وانت
خبير في نفسك بضعف مقالك . وتعلم ان الامر ليس كما تقول وان قمت عليه صورة وعجزت انا عن القدح فيه
وهذا كثير الوقوع بين المناظرين فعند هذا لا يجوز ان ياتي هو بدليل اخر لان الساكت المنقطع يقول في الدليل الاخر
ما قاله في الاول فلا يجد امرا الا اليمين فيقول والله اني لست مكابرا وان الامر على ما ذكرت ولو علمت خلافه لرجعت
اليه فهاهنا يتعين اليمين وكذلك النبي عليه السلام اقام البراهين وقالت الكفرة ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم
وقالوا ان هذا الا سحر مبين تعين التمسك بالايمان لعدم فائدة الدليل . الثالث هو ان هذا ليس مجرد
الحلف وانما هو دليل خرج في صورة اليمين لان القران معجزة . ودليل كونه مرسلا هو المعجزة والقران كذلك . فان قيل
فلم لم يذكر في صورة . وما الحكمة في ذكر الدليل في صورة اليمين . قلنا الدليل اذا ذكر لا في صورة اليمين قد لا يقبل
عليه سامع فلا يقبله فؤاده . فاذا ابتدأ به على صورة اليمين واليمين لا يقع لا سيما من العظيم الا على امر عظيم
والامر العظيم تتوفر الدواعي على الاصغاء اليه . فلصورة اليمين تشرئب اليه الاجياد ولكونه دليلا شافيا
يتشربه الفؤاد فيقع في السمع وينفع في القلب المسئلة الثانية كون القران حكيما عندهم لكون محمد رسولا
فلهم ان يقولوا ان هذا ليس بقسم بقولك . الجواب عنه من وجهين . احدهما ان كون القران معجزة بين ان انكروه قيل لهم
فاتوا بسورة من مثله . والثاني ان العاقل لا يثق بيمين غيره الا اذا حلف بما يعتقد عظمته فالكافر ان حلف محمد لا يصدقه
كما تصدقه لو حلف بالصليب والصنم . ولو حلف بديننا الحق لا يثق مثل ما يثق لو حلف بدينه الباطل . فكان من المعلوم
ان النبي عليه الصلاة والسلام واصحابه يعظمون القران فحلفهم به هو الذي يوجب ثقتهم به وقوله تعالى على صراط
مستقيم خبر بعد خبر اي انك على صراط مستقيم . والمستقيم اقرب الطرق الموصلة الى المقصد . والدين كذلك
فانه توجه الى الله وتول عن غيره . والمقصد هو الله . والمتوجه الى المقصد اقرب اليه من المولي عنه . والمنحرف
منه ولا يذهب فيهم احد الى ان قوله انك منهم على صراط مستقيم مميز له عن غيره كما تقول ان محمدا من الناس مجتبى لان
جميع المرسلين على صراط مستقيم . وانما المقصود بيان كون النبي عليه الصلاة والسلام على الصراط المستقيم
الذي يكون عليه المرسلون . وقوله على صراط مستقيم فيه معنى لطيف يعلم منه قول المباحية الذين يقولون المكلف
واصلا الى الحق فلا يبقى عليه تكليف . وذلك من حيث ان الله بين ان المرسلين ما داموا في الدنيا هم سالكون ساعون
ممتدون منتهجون السبيل المستقيم فكيف ذلك الجاهل العاجز وقوله تعالى تنزيل العزيز الرحيم . قرئ بالجر
على انه بدل عن القران كانه قال والقران الحكيم تنزيل العزيز الرحيم انك لمن المرسلين لتنذر . وقرئ بالنصب . وفيه
وجهان . احدهما انه مصدر فعله منوي كانه قال نزل تنزيل العزيز الرحيم لتنذر ويكون تعديه نزل القران والكتاب
والثاني انه مفعول فعل منوي كانه قال والقران الحكيم اعني تنزيل العزيز الرحيم انك لمن المرسلين لتنذر . وهذا ما اختاره
الزمخشري . وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا منوي كانه قال هذا تنزيل العزيز الرحيم لتنذر . ويحتمل وجها اخر على هذه
القراءة هو ان يكون مبتدا خبره لتنذر كانه قال التنزيل العزيز للانذار . وقوله العزيز الرحيم اشارة الى ان الملك اذا
ارسل رسولا فالمرسل اليهم اما ان يخالفوا المرسل ويهينوا المرسل وحينئذ لا يقدر الملك على الانتقام منهم الا اذا
كان عزيزا او لا يخالفوا المرسل ويكرموا المرسل . وحينئذ يرحمهم الملك . ويقول المرسل يكون معه في رسالته منع
عن اشيا واطلاق لاشيا . فالمنع يؤكد العزة . والاطلاق يدل على الرحمة . وقوله لتنذر قوما ما اتاهم قد تقدم
تفسيره في قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك . وقيل المراد الاتيان وهو على وجهين . احدهما لتنذر قوما
انذار اباهم فتكون ما مصدرية . الثاني ان تكون موصولة معناه لتنذر قوما الذي انذر اباهم فهم غافلون على
قولنا ما نافية تفسيره ظاهر . فان من لم ينذر اباه بعد الانذار عنه فهو يكون غافلا . وعلى قولنا هي للاثبات كذلك
لان معناه لتنذرهم انذار ابائهم فانهم غافلون . وفيه مسائل المسئلة الاولى كيف يفهم التفسير اي احد
يقتضي ان لا يكون اباؤهم منذرين . والاخر يقتضي ان يكونوا منذرين وبينهما تضاد . نقول على قولنا ما نافية
معناه ما انذر اباؤهم وانذار ابائهم الاولين لا ينافي بين ان يكون المتقدمون من ابائهم منذرين . والمتاخرون
منهم غير منذرين المسئلة الثانية قوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم يقتضي ان لا يكون النبي عليه الصلاة والسلام

مامورا بانذار الـ

مامورا بانذار اليهود لانا قلنا ان اباءهم انذروا فنقول ليس كذلك . اما على قولنا ما للاثبات فظاهر . واما على قولنا ما
نافية فكذلك . وذلك لان في قوله تعالى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك . وقلنا ان المراد ان
[illegible]
[illegible]
[illegible]
عن طريق الرسول المتقدم . واليهود والنصارى [illegible] ما ضلوا . فهذا
دليل على كون النبي عليه الصلاة والسلام مبعوثا الى الخلق كافة المسئلة الثالثة قوله فهم غافلون دليل
على ان البعثة لا تكون الا عند الغفلة [illegible]
[illegible]
[illegible] المعتزلة من التحسين والتقبيح العقلي [illegible]
[illegible] قوله تعالى لقد حق القول
على اكثرهم فهم لا يؤمنون . لما بين ان الارسال والانزال للانذار اشار الى ان النبي عليه الصلاة والسلام ليس عليه
الهداية المستلزمة للاهتداء . وانما عليه الانذار . وقد لا يؤمن من المنذرين كثير . وفي قوله تعالى لقد حق القول
وجوه . الاول وهو المشهور ان المراد من القول هو قوله [illegible] لاملان جهنم منك وممن تبعك [illegible] الثاني
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
انه لما قال لقد حق القول على اكثرهم . وذكرنا ان المراد به البرهان قال بعد ذلك بل عاينوا وابصروا وما يقرب من الضرورة حيث
الترقي بيده بعنقه ومنع من ارسال اليد وهو يضطر الى الايمان ولو يومن من علم انه لا يؤمن اصلا . والتفسير هو الوجه الثالث
المسئلة الثانية وهي راجعة الى ماذا نقول فيها وجهان . احدهما انها راجعة الى الايدي وان كانت غير مذكورة
لكنها معلومة لان المغلول يكون ايديه مجموعة في الغل الى العنق . وثانيهما وهو ما اختاره الزمخشري انها راجعة الى
الاغلال معناه انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ثقالا غلاظا بحيث تبلغ الى الاذقان لم يتمكن المغلول معها ان يطاطي راسه
المسئلة الثالثة كيف يفهم من الغل في العنق المنع من الايمان حتى يجعل كناية . فنقول المغلول الذي بلغ الغل
ذقنه وبقي مقمحا رافع الراس لا يبصر الطريق الذي عند قدميه . وذكر بعده ان بين يديه سدا ومن خلفه سدا فهو لا
يقدر على انتهاج السبيل ورؤيته . وقد ذكرنا من قبل ان المرسل على صراط مستقيم . فهذا الذي يهدي به النبي الى الصراط
المستقيم العقلي جعل ممنوعا كالمغلول الذي يجعل ممنوعا من ابصار الطريق الحسي . ويحتمل وجها اخر وهو ان يقال الاغلال
في الاعناق عبارة عن عدم الانقياد . فان المنقاد يقال فيه انه وضع راسه على الخط وخضع عنقه . والذي في رقبته
الغل الثخين الى الذقن لا يطاطئ راسه ولا يحرك تحريك المصدق . ويصدق هذا قوله مقمحون فان المقمح هو الرافع راسه
كالمتابي يقال بعير قامح اذا رفع راسه فلم يشرب الماء ولم يطاطئه للشرب . والايمان كالماء الزلال الذي هو سبب الحياة وكانه

انها راجعة الى الايدي وان كانت غير مذكورة لكنها معلومة

تعالى قال انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهم مقمحون لا يضعون الارقاب لامر الله وعلى هذا فقوله تعالى وجعلنا من بين
ايديهم سدا يكون متمما للمعنى جعل الله اياهم مغلولين لان قوله جعلنا من بين ايديهم سدا اشارة الى انهم لا ينتهجون
سبل الرشاد فكانه قال لا يبصرون الحق فينقادون له لمكان السد ولا ينقادون لك فيبصرون الحق لمكان الغل والاقماح
الموروث للاتقان • اما ما تباع الرسول اولا فلوح له الحقائق ثانيا • واما بظهور الامور اولا واتباع الرسول ثانيا
ولا يتبعون الرسول اولا لانهم مغلولون فلا يظهر لهم الحق من الرسول ثانيا ولا يظهر لهم الحق اولا لانهم واقعون في السد
فلا يتبعون الرسول ثانيا وفيه وجه آخر وهو ان يقال المانع اما ان يكون في النفس واما ان يكون خارجا عنها ولهم المانعان
جميعا من الايمان • اما في النفس فالغل • واما من الخارج فالسد فلا يقع نظرهم على انفسهم فيرون الايات التي في انفسهم
كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وذلك لان المقمح لا يرى نفسه ولا يقع بصره على بدنه ولا يقع نظره
على الافاق لان من بين السدين لا يبصرون الافاق فلا يتبين لهم الايات التي في الافاق وعلى هذا فقوله انا جعلنا في
اعناقهم وجعلنا من بين ايديهم اشارة الى عدم هدايتهم لايات الله في الانفس والافاق • وفي تفسير قوله تعالى وجعلنا
من بين ايديهم سدا مسائل المسئلة الاولى السد من بين الايدي ذكر ظاهر الفائدة فانهم في الدنيا سالكون وينبغي
ان يسلكوا الطريقة المستقيمة وبين ايديهم سد فلا يقدرون على السلوك • واما السد من خلفهم فما فائدته فنقول
الجواب عنه من وجوه • الاول هو ان الانسان له هداية فطرية والكافر قد يتركها • وهداية نظرية والكافر ما ادركها
فكانه تعالى يقول جعلنا من بين ايديهم سدا فلا يسلكون طريق الاهتدا التي هي نظرية وجعلنا من خلفهم سدا
فلا يرجعون الى الهداية الجبلية التي هي فطرية • الثاني هو ان الانسان مبداه من الله ومصيره اليه فعمي الكافر لا يبصر ما
بين يديه من المصير الى الله ولا ما خلفه من الدخول في الوجود بخلق الله • الثالث هو ان السالك اذا لم يكن له بد من سلوك
طريق فاذا انسد الطريق الذي قدامه يفوته المقصد ولكنه يرجع واذا انسد الطريق من خلفه ومن قدامه والموضع
الذي هو فيه لا يكون موضع اقامة مهلك • فقوله جعلنا من بين ايديهم ومن خلفهم اشارة الى هلاكهم المسئلة الثانية
قوله تعالى فاغشيناهم بحرف الفا يقتضي ان يكون للاغشا بالسد له تعلق ويكون الاغشا مرتبا على جعل السد
فكيف ذلك فنقول ذلك من وجهين • احدهما ان يكون ذلك بيانا لامور مترتبة يكون بعضها سببا في البعض فكانه
تعالى قال انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فلا يبصرون انفسهم لاقماحهم • وجعلنا من بين ايديهم ومن خلفهم سدا
فلا يبصرون ما في الافاق • وحينئذ يمكن ان يرون السما وما على يمينهم وشمالهم فقد نعد هذا كله • وجعلنا
على ابصارهم غشاوة فلا يبصرون شيئا اصلا • وثانيهما هو ان ذلك بيان لكون السد قريبا منهم بحيث يصير ذلك
كالغشاوة على ابصارهم • فان من جعل من قدامه ومن خلفه سدين ملتزقين به بحيث يبقى بينهما ملتزقا بهما تبقى عينه
على سطح السد فلا يبصر شيئا • اما غير السد فللحجاب • واما عين السد فلكون شرط المرئي ان لا يكون قريبا من العين
جدا المسئلة الثالثة ذكر السد من بين الايدي ومن خلف ولم يذكر من اليمين والشمال فما الحكمة فيه
فنقول اما على قولنا انه اشارة الى الهداية الفطرية والنظرية فظاهر • واما على غير ذلك فنقول بما ذكر
حصل العموم والمنع من انتهاج المناهج المستقيمة لانهم ان قصدوا السلوك الى جانب اليمين او جانب الشمال صاروا
متوجهين الى شي ومولين عن شي فصار ما اليه توجههم ما بين ايديهم فيجعل الله السد هناك فيمنعه من السلوك
فكيفما يتوجه الجاهل يجعل الله بين يديه سدا • ووجه آخر احسن مما ذكرنا وهو انا لما بينا ان جعل السد سببا
للاغشا كان السد ملتزقا به وهو ملتزق بالسدين فلا قدرة له على الحركة يمنة ولا يسرة فلا حاجة الى السد عن
اليمين وعن الشمال • وقوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون يحتمل ما ذكرنا انهم لا يبصرون شيئا • ويحتمل ان يكون
المراد هو ان الكافر مصدود • وسبيل الحق عليه مسدود وهو لا يبصر السد • ولا يعلم الصد • فيظن انه
على الطريقة المستقيمة وغيره ضال • ثم انه تعالى بين ان الانذار لا ينفعهم مع ما فعل الله بهم من الغل والسد
والاغشا والاعمى بقوله سوا عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون اي الانذار وعدمه سيان بالنسبة الى
الايمان منهم اذ لا وجود له منهم على التقديرين • فان قيل اذا كان الانذار وعدمه سوا فلماذا الانذار نقول
قد اجبنا في غير هذا الموضع انه تعالى قال سوا عليهم وما قال سوا وسوا عليك • فالانذار بالنسبة الى النبي
عليه السلام ليس كعدم الانذار لان احدهما يخرج له عن العهدة وسبب في زيادة سيادته عاجلا • وسعادته
آجلا • واما بالنسبة اليهم على السوا فانذر النبي عليه السلام ليخرج عما عليه • وينال ثواب الانذار ولم
ينتفعوا به لما كتب عليهم من البوار في دار القرار • ثم قال تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب
والترتيب ظاهر • وفي التفسير مسائل المسئلة الاولى قال من قبل لتنذر قوما وذلك يقتضي

الانذار العام

الانذار العام على ما بينا وقال انما تنذر وهو يقتضي التخصيص فكيف الجمع بينهما نقول من وجوه • الاول هو ان قوله
لتنذر اي كيفما كان سوا كان مفيدا او لم يكن • وقوله انما تنذر اي الانذار المفيد لا يكون الا بالنسبة الى من يتبع
الذكر ويخشى • الثاني هو ان الله تعالى لما قال ان الارسال او الانزال للانذار • وذكر ان الانذار وعدمه سيان بالنسبة
الى اهل العناد قال لنبيه ليس انذارك غير مفيد من جميع من تتبع انذارك وينتفع بتذكارك • الثالث هو ان نقول
قوله لتنذر اي اولا فاذا انذرت وبالغت وبلغت واستهزأ البعض وتولى واستكبر وولى فاعرض وبعد
ذلك فانما تنذر الذين يتبعوك • الرابع وهو قريب من الثالث انك تنذر الكل بالاصول وانما تنذر بالفروع من ترك
الصلاة والزكاة من اتبع الذكر وآمن المسئلة الثانية قوله من اتبع الذكر يحتمل وجوها • الاول وهو المشهور
من اتبع القرآن • الثاني من اتبع ما في القرآن من الايات • ويدل عليه قوله تعالى والقرآن ذي الذكر فما جعل القرآن نفس
الذكر • الثالث من اتبع البرهان فانه ذكر يكمل الفطرة • وعلى كل وجه فمعناه انما تنذر العلما الذين يخشون
وهو كقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما او كقوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقوله اتبع الذكر
اي آمن • وقوله وخشي الرحمن اي عمل صالحا وهذا الوجه يتايد بقوله فبشره بمغفرة واجر كريم لانا ذكرنا مرارا ان
الغفران جزا الايمان فكل مؤمن مغفور • والاجر الكريم جزا العمل كما قال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات
اولئك لهم مغفرة ورزق كريم • وتفسير الذكر بالقرآن يتايد بتعريف الذكر بالالف واللام • وقد تقدم ذكر القرآن في
قوله تعالى والقرآن الحكيم وقوله وخشي الرحمن فيه لطيفة وهي ان الرحمة تورث الاتكال والرجا فقال
مع انه رحمن رحيم • فالعاقل لا ينبغي ان يترك الخشية فان كل من كان نعمته بسبب رحمته اكثر فالخوف منه اتم
مخافة ان ينقطع عنه النعم المتواترة وتكملة اللطيفة هي ان من اسما الله اسمان يختصان به هما الله والرحمن كما قال تعالى
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن حتى قال البعض الاية بما علمان • فالله اسم ينبئ عن الهيبة • والرحمن ينبئ عن العاطفة فقال
في موضع وارجوا الله وقال هاهنا وخشي الرحمن يعني مع كونه ذا هيبة لا تقطعوا عنه رجاكم ومع كونه ذا رحمة لا تامنوه
وقوله بالغيب يعني بالدليل وان لم ينته الى درجة المرئي المشاهد فان عند الانتها الى تلك الدرجة لا يبقى للخشية
فايدة • والمشهور ان المراد من الغيب ما غاب عنا وهو احوال القيمة • وقيل ان الوحدانية تدخل فيه وقوله فبشره
فيه اشارة الى الامر الثاني من امري الرسالة فان النبي بشير ونذير وقد ذكر انه ارسل لينذر وذكر ان الانذار النافع عند
اتباع الذكر فقال بشر كما انذرت ونفعت وقوله بمغفرة على التنكير اي بمغفرة واسعة
تستر من جميع الجوانب حتى لا يرى عليه اثر من آثار النفس ويظهر عليه من تلالؤ انوار الروح الزكية واجر كريم اي ذي اكرم وقد
ذكرنا ما في الكريم في قوله ورزق كريم ورزقا كريما ثم قال تعالى انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم • في الترتيب
وجوه • احدها ان الله تعالى لما بين الرسالة وهو اصل من الاصول الثلاثة التي بها يصير المكلف مؤمنا مسلما • ذكر
اصلا آخر وهو الحشر • وثانيها هو ان الله تعالى لما ذكر الانذار والبشارة بقوله فبشره بمغفرة وان يظهر ذلك بكماله في
الدنيا فقال ان لم ير في الدنيا فالله يحيي الموتى ويجزي المنذرين المبشرين • وثالثها انه تعالى لما ذكر خشية الرحمن
بالغيب ذكر ما يؤكده وهو احيا الموتى • وفي التفسير مسائل المسئلة الاولى انا نحن يحتمل وجهين • احدهما
ان يكون مبتدا وخبرا كقول القائل • انا ابو النجم وشعري شعري • ومثل هذا يقال عند الشهرة العظيمة وذلك
لان من لا يعرف يقال له من انت فيقول انا ابن فلان فيعرف • ومن يكون مشهورا اذا قيل له من انت يقول انا
اي لا معرف لي اظهر من نفسي فقال انا نحن معروفون باوصاف الكمال واذا عرفنا بانفسنا فلا تنكر قدرتنا على احيا
الموتى • وثانيهما ان يكون الخبر يحيي كانه قيل انا نحن نحيي الموتى • ونحن يكون تاكيدا • والاول اولى المسئلة الثانية
انا نحن فيه اشارة الى التوحيد لان الاشتراك يوجب التعريف بغير النفس فان زيدا اذا شاركه غيره في الاسم فلو قال
انا زيد لا يحصل التعريف التام لان للسامع ان يقول ايما زيد فيقول ابن عمرو • ولو كان هناك زيد آخر ابوه عمرو لا يكفي قوله
ابن عمرو • فلما قال الله انا نحن يعني اي ليس غيرنا احد يشاركنا حتى تقول انا كذا فيتميز وحينئذ تصير الاصول الثلاثة
مذكورة • الرسالة والتوحيد والحشر المسئلة الثالثة قوله ونكتب ما قدموا فيه وجوه • احدها المراد ما
قدموا واخروا فاكتفى باحدهما • كما قال تعالى سرابيل تقيكم الحر • والمراد والبرد ايضا • والثاني المراد ما اسلفوا
من الاعمال صالحة كانت او فاسدة وهو كما قال تعالى بما قدمت ايديهم اي بما قدمت في الوجود على غيره واوجدته • والثالث
نكتب نياتهم فانها قبل الاعمال • وآثارهم اي اعمالهم على هذا الوجه المسئلة الرابعة وآثارهم فيه وجوه • الاول
آثارهم اقدامهم فان جماعة من اصحابه بعدت دورهم عن المساجد فارادوا النقلة فقال عليه الصلاة والسلام
ان الله يكتب خطواتكم ويثيبكم عليه فالزموا بيوتكم • والثاني هي السنن الحسنة كالكتب المصنفة والقناطر المبنية

المرئي

وهو اصل من الاصول الثلاثة التي بها يصير المكلف مؤمنا مسلما

والجبابس الدارة والسنن السيئة كالظلامات المستمرة التي وضعها ظالم والكتب المضلة والالات الملاهي وادوات
المناهي المعمولة الباقية وهو في معنى قوله عليه السلام من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من غير ان
ينقص من اجر العامل شيء ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها فما قدموا هو افعالهم • وآثارهم
افعال السائرين بسيرهم حيث يواخذون بها ويوجرون عليها • والثالث ما ذكرنا ان الآثار الاعمال وما قدموا النيات
فان النية قبل العمل **المسئلة الخامسة** الكتابة قبل الاحياء فكيف اخر في الذكر حيث قال نحيي ونكتب ولم يقل نكتب
ما قدموا ونحييهم نقول الكتابة معظمة لامر الاحياء لان الاحياء ان لم يكن للحساب لا يعظم • والكتابة في نفسها ان لم تكن
احياء واعادة لا يبقى لها اثر اصلا فالاحياء هو المعتبر والكتابة موكدة معظمة لامره • فلهذا قدم الاحياء لانه
تعالى لما قال انا نحن وذلك يفيد العظمة والجبروت • والاحياء عظيم يختص بالله والكتابة دونه فقرن بالتعريف
الامر العظيم • وذكر ما يعظم ذلك العظيم **وقوله** وكل شيء احصيناه في امام مبين يحتمل وجوها • احدها
ان يكون ذلك بيانا لكون ما قدموا • وآثارهم امرا مكتوبا عليهم لا يبدل فان القلم جف بما هو كائن فلما قال
نكتب ما قدموا بين ان قبل ذلك كتابة اخرى فان الله كتب عليهم انهم سيفعلون كذا وكذا • ثم اذا فعلوه كتب عليهم
انهم فعلوه • وثانيها ان يكون ذلك موكدا لمعنى قوله ونكتب لان من يكتب شيئا في اوراق ويرميها قد لا يجدها فكانه
لم يكتب فقال نكتب ونحفظ ذلك في امام مبين • وهذا كقوله تعالى علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى
وثالثها ان يكون ذلك تعميما بعد التخصيص كانه تعالى يكتب ما قدموا وآثارهم وليست الكتابة مقتصرة عليه بل
كل شيء محصى في امام مبين • وهذا يفيد ان شيئا من الافعال والاقوال لا يعزب عن علم الله ولا يفوته وهذا كقوله تعالى
وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير يعني ليس ما في الزبر منحصرا فيما فعلوه بل كل شيء مكتوب **وقوله** احصيناه
ابلغ من كتبناه لان من كتب شيئا مفرقا يحتاج الى جمع عدده فقال هو محصى فيه • وسمى الكتاب اماما لان الملائكة يتبعونه
فما كتب فيه من اجل ورزق واحياء واماتة اتبعوه وقيل هو اللوح المحفوظ • والامام جاء جمعا في قوله تعالى يوم
ندعو كل اناس بامامهم اي بائمتهم وحينئذ فالامام اذا كان فردا فهو ككتاب وحجاب • واذا كان جمعا فهو كجبال
وحبال • والمبين هو المظهر للامور لكونه مظهرا للملائكة ما يفعلون • وللناس ما يفعل بهم وهو الفارق يفرق
بين احوال الخلق فيجعل فريقا في الجنة وفريقا في السعير **ثم قال تعالى** واضرب لهم مثلا اصحاب القرية • وفيه وجهان
والترتيب ظاهر على الوجهين • الوجه الاول هو ان يكون المعنى واضرب لاجلهم مثلا • والثاني ان يكون المعنى واضرب
لاجل نفسك مثلا اي مثلهم عند نفسك باصحاب القرية • وعلى الاول نقول لما قال الله تعالى انك لمن المرسلين وقال
لتنذر قال قل لهم ما انا بدعا من الرسل بل قبلي بقليل جاء اصحاب القرية مرسلون وانذروهم بما انذرتكم وذكروا التوحيد
وخوفوا بالقيمة • وبشروا بنعيم دار الاقامة • وعلى الثاني نقول لما قال تعالى ان الانذار لا ينفع من اضله الله
وكتب عليه انه لا يؤمن قال للنبي عليه السلام فلا تأس واضرب لنفسك ولقومك مثلا اي مثل لهم عند نفسك مثلا
حيث جاءهم ثلاثة رسل ولم يؤمنوا وصبر الرسل على القتل والايذاء وانت جئتهم واحدا وقومك اكثر من قوم الثلاثة
فانهم جاؤا قرية وانت بعثت الى العالم • وفي التفسير مسائل **المسئلة الاولى** ما معنى قول القائل ضرب مثلا
وقوله تعالى واضرب مع ان الضرب في اللغة اما امساس جسم جسما بعنف • واما السير اذا قرن به حرف في كقوله تعالى
اذا ضربتم في الارض نقول قوله ضرب مثلا معناه مثل مثلا • وذلك لان الضرب اسم للنوع • يقال هذه الاشياء
من ضرب واحد اي من نوع واحد وذاك من ضرب واحد **المسئلة الثانية** مثلا اصحاب القرية معناه واضرب
لهم مثلا مثل اصحاب القرية فترك المثل واقيم اصحاب القرية مقامه في الاعراب كقوله واسئل القرية وهذا قول الزمخشري
في الكشاف ويحتمل ان يقال لا حاجة الى الاضمار بل المعنى اجعل اصحاب القرية لهم مثلا او مثل اصحاب القرية بهم
المسئلة الثالثة اذ جاءها المرسلون اذ منصوبة لانها بدل عن اصحاب القرية كانه قال تعالى واضرب لهم

الى انطاكية فقال تعالى ارسال عيسى عليه السلام هو ارسالنا ورسول رسول الله باذن الله رسول الله فلا يقع لك
يا محمد ان قبلك كانوا رسل الرسول وانا رسول الله فان تكذيبهم كتكذيبك فتتم التسلية بقوله اذ ارسلنا وهذا
يؤيد مسئلة فقهية هي ان وكيل الوكيل وكيل بان الموكل وكيل الموكل لا وكيل الوكيل حتى لا ينعزل بعزل الوكيل اياه وينعزل
اذا عزله الموكل الاول • وهذا على قولنا واضرب لهم مثلا ضرب المثل لاجل محمد عليه الصلاة والسلام ظاهر
وقوله اذ ارسلنا اليهم اثنين في بعثة الاثنين حكمة بالغة وهي انهما كانا مبعوثين من جهة عيسى عليه السلام
باذن الله فكان عليهما انهاء الامر الى عيسى عليه السلام والاتيان بما امر الله والله عالم بكل شيء لا يحتاج الى شاهد يشهد
عنده • واما عيسى فهو بشر فامره الله بارسال اثنين ليكون قولهما على قومهما عند عيسى حجة تامة • وقوله فعززنا
بثالث اي قوينا • وقرئ فعززنا بثالث مخففا من عز اذا غلب فكانه قال غلبنا نحن وقهرنا بثالث • والاول اظهر
واشهر • وترك المفعول حيث لم يقل فعززناهما لمعنى لطيف وهو ان المقصود من بعثه نصرة الحق لا نصرتهما والكل
مقوون للدين المتين بالبرهان المبين • وفيه مسائل **المسئلة الاولى** النبي عليه السلام بعث رسله الى الاطراف
واكتفى بواحد • وعيسى عليه السلام بعث اثنين نقول النبي عليه السلام بعث لتقرير الفروع وهو دون الاصول
فاكتفى بواحد فان خبر الواحد في الفروع مقبول • واما هما فبعثا وجعل لهما معجزة تفيد اليقين والا لما كفى ارسال
اثنين ايضا ولا ثلاثة **المسئلة الثانية** قال الله تعالى لموسى عليه السلام سنشد عضدك ذكر المفعول ولم
يذكرها هنا مع ان المقصود هناك ايضا نصرة الحق نقول موسى عليه السلام كان افضل من هرون • وهرون بعث معه
بطلبه حيث قال فارسله معي فكان هرون عليه السلام مبعوثا لتصديق موسى فيما يقول • ويقوم بما يامر • واما
هما والثالث فكل واحد مستقل ناطق بالحق فكان هناك المقصود تقوية موسى عليه السلام وارسال من يونس معه وهو
عليه السلام • وهاهنا المقصود تقوية الحق فظهر الفرق • ثم بين الله ما جرى منهم وعليهم مثل ما جرى من محمد عليه الصلاة
والسلام وعليه فقالوا انا اليكم مرسلون كما قال تعالى انك لمن المرسلين وبين ما قال القوم بقوله ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل
الرحمن من شيء جعلوا كونهم بشرا مثلهم دليلا على عدم الارسال وهذا عام من المشركين قالوا في حق محمد عليه السلام ا انزل
عليه الذكر • وانما ظنوه دليلا بناء على انهم لم يعتقدوا في الله الاختيار وانما قالوا فيه انه موجب بالذات وقد استوينا
في البشرية فلا يمكن الرجحان • والله تعالى رد عليهم قولهم بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته وبقوله الله يجتبي اليه من يشاء
الى غير ذلك • وقولهم وما انزل الرحمن من شيء يحتمل وجهين • احدهما ان يكون متمما لما ذكروه فيكون الكل شبهة واحدة ووجهها
انهم قالوا انتم بشر فما نزلتم من عند الله وما انزل الله اليكم احدا • فكيف صرتم رسل الله • وثانيهما ان يكون هذا شبهة اخرى
مستقلة • ووجهه هو انهم لما قالوا انتم بشر مثلنا فلا يجوز رجحانكم علينا ذكروا الشبهة من جهة النظر الى المرسلين
ثم قالوا شبهة اخرى من جهة المرسل وهي انه تعالى ليس بمنزل شيئا في هذا العالم فان تصرفه في العالم العلوي وللعلوي
التصرف في السفليات على مذهبهم فالله لم ينزل شيئا من الاشياء في الدنيا • فكيف انزل اليكم وقوله تعالى الرحمن
اشارة الى الرد عليهم لان الله لما كان رحمان الدنيا والارسال رحمة فكيف لا ينزل رحمته وهو رحمان فقال انهم قالوا ما
انزل الرحمن شيئا وكيف لا ينزل الرحمن مع كونه رحمان شيئا وهو الرحمة الكاملة • ثم قالوا ان انتم الا تكذبون اي ما انتم
الا كاذبين قالوا ربنا يعلم اشارة الى انهم بمجرد التكذيب لم يسأموا ولم يتركوا بل اعادوا ذلك لهم وكرروا القول عليهم
واكدوه باليمين وقالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون واكده باللام لان يعلم الله يجري مجرى القسم لان من يقول يعلم الله فيما لا يكون قد
نسب الله الى الجهل وهو سبب العقاب كما ان الحنث سبب • وفي قولنا ربنا يعلم اشارة الى الرد عليهم حيث قالوا انتم بشر
وذلك لان الله اذا كان يعلم انهم مرسلون يكون كقوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته يعني هو عالم بالامور وقادر
فاختارنا بعلمه لرسالته • ثم قال وما علينا الا البلاغ المبين تسلية لانفسهم ان نحن خرجنا عن عهدة ما علينا وحجتنا
لهم على النظر فانهم لما قالوا ما علينا الا البلاغ كان ذلك توجب تفكرهم في امرهم حيث لم يطلبوا منهم اجرا ولا قصدوا رئاسة
وانما كان شغلهم التبليغ والذكر وذلك مما يحمل العاقل على النظر • والمبين يحتمل امورا • احدها البلاغ المبين للحق عن الباطل
اي الفارق بالمعجزة والبرهان • ثانيها البلاغ المظهر لما ارسلنا للكل اي لا يكفي ان نبلغ الرسالة الى شخص او شخصين • ثالثها
البلاغ المظهر للحق بكل ما يمكن فاذا تم ذلك ولم يقبلوا الحق هنالك الهلاك • ثم كان جوابهم بعد هذا قولهم انا تطيرنا بكم
وذلك على ما ظهر من الرسل المبالغة في البلاغ ظهر منهم الغلو في التكذيب فلما قال المرسلون انا اليكم مرسلون قالوا ان انتم الا
تكذبون • ولما اكد الرسل قولهم باليمين حيث قالوا ربنا يعلم اكدوا قولهم بالتطير بهم فكانهم قالوا في الاول كنتم كاذبين
وفي الثاني صرتم مصرين على الكذب حالفين مقسمين عليه • واليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع فتشاءمنا بكم ثانيا
وفي الاول كما تركتم ففي الثاني لا نترككم لكون الشؤم مدركا بسببكم فقالوا لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب

وقوله لنرجمنكم يحتمل وجهين احدهما لنشتمنكم من الرجم بالقول وعلى هذا فقوله وليمسنكم ترق كانهم قالوا ولا نكتفي
بالشتم بل يؤدي الى الضرب والايلام الحسي وثانيهما ان يكون المراد الرجم بالحجارة وحينئذ فقوله وليمسنكم بيان
للرجم يعني ولا يكون الرجم رجما قليلا او رجما بحجر وحجرين بل نديم عليكم ذلك الى الموت وهو عذاب اليم ويكون المراد لنرجمنكم
وليمسنكم بسبب الرجم عذاب منا اليم وقد ذكرنا في الاليم انه بمعنى المؤلم والفعيل بمعنى مفعل قليل ويحتمل ان يقال
هو من باب قوله عيشة راضية اي ذات رضى ان العذاب اليم اي ذو الم وحينئذ يكون فعيلا بمعنى فاعل وهو كثير ثم اجاب
المرسلون بقولهم طائركم اي شؤمكم معكم وهو الكفر ثم قالوا اين ذكرتم جوابا عن قولهم لنرجمنكم يعني تفعلون
ذلك وان ذكرتم اي بين لكم الامر بالمعجز والبرهان بل انتم قوم مسرفون حيث تجعلون من تتبرك به من تتشاءم به وتقصدون
ايلام من يجب في حقه الاكرام او مسرفون حيث تكفرون ثم تصرون بعد ظهور الحق بالمعجز والبرهان فان الكافر مسيء
فاذا تم عليه الدليل واوضح له السبل يصير مسرفا والمسرف هو المجاوز الحد بحيث يبلغ الضد وهم كانوا كذلك في
كثير من الاشياء اما في التبرك والتشاؤم فقد علم وكذلك في الايلام والاكرام واما في الكفر فلان الواجب اتباع الدليل
فان لم يوجد به فلا اقل من ان لا يجزم بنقيضه وهم جزموا بالكفر بعد البرهان على الايمان فان قيل بل للاضراب فما
المضروب عنه نقول يحتمل ان يقال قوله اين ذكرتم وارد على تكذيبهم ونسبتهم الرسل الى الكذب بقولهم ان انتم الا تكذبون
فكانهم قالوا انحن كاذبون فان جئنا بالبرهان لا بل انتم قوم مسرفون ويحتمل ان يقال نحن مشؤومون فان جئنا ببيان صحة ما نحن
عليه لا بل انتم قوم مسرفون ويحتمل ان يقال نحن مستحقون الرجم والايلام فان بينا صحة ما اتينا به لا بل انتم مسرفون
واما الحكاية فمشهورة وهي ان عيسى عليه السلام بعث رجلين الى انطاكية يدعوا الى التوحيد واظهرا المعجز من ابرا الاكمه
والابرص واحيا الموتى فحبسهما الملك فارسل بعدهما شمعون فاتى الملك ولم يدع الرسالة وقرب نفسه الى الملك
بحسن التدبير ثم قال له اني اسمع ان في الحبس رجلين يدعيان امرا بديعا افلا يحضران حتى اسمع كلامهما قال الملك فاحضرا
وذكرا مقالتهما الحقة فقال لهما شمعون وهل لكما بينة قالا نعم فابرا الاكمه والابرص واحيا الميت فقال شمعون
ايها الملك ان شئت ان تغلبهم فقل للالهة التي تعبدها تفعل شيئا من ذلك قال الملك انت لا يخفى عليك انها لا تبصر ولا تسمع
ولا تعقل ولا تعلم فقال شمعون فاذا ظهر الحق فامن الملك وقوم وكفر اخرون وكانت الغلبة للمكذبين ثم قال تعالى
وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى وفي فائدته وتعلقه بما قبله وجهان احدهما انه بيان لكونهم اتوا بالبلاغ المبين
حيث امن بهم الرجل الساعي وعلى هذا فقوله من اقصى المدينة فيه بلاغة باهرة وذلك لانه لما جاء من اقصى المدينة رجل
وهو قد امن دل على ان انذارهم واظهارهم بلغ الى اقصى المدينة وثانيهما ان ضرب المثل لما كان لمحمد عليه السلام تسلية لقلبه
ذكر بعد الفراغ عن ذكر الرسل سعي المؤمنين في تصديق رسلهم وصبرهم على ما اوذوا ووصول الجزاء الاوفى اليهم ليكون ذلك
تسلية لقلب اصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كما ان ذكر المرسلين تسلية لقلب محمد عليه السلام وفي التفسير مسائل

المسئلة الاولى قوله جاء رجل من اقصى المدينة في تنكير رجل مع انه كان معروفا معلوما عند الله فائدتان
الاولى ان يكون تعظيما لشانه اي رجل كامل في الرجولية الثانية ليكون مفيدا لظهور الحق من جانب المرسلين حيث
امن رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال انهم تواطئوا والرجل هو حبيب النجار كان ينحت الاصنام وقد امن بمحمد عليه السلام
قبل وجوده حيث صار من العلماء بكتاب الله ورأى فيه نعت محمد عليه السلام وبعثته **المسئلة الثانية** قوله يسعى تبصير
للمؤمنين وهداية لهم ليكونوا في النصح باذلين جهدهم وقد ذكرنا فائدة قوله من اقصى المدينة وهي تبليغهم الرسالة حيث
انتهى الى من في اقصى المدينة والمدينة هي انطاكية وكانت كبيرة شاسعة وهي الان دون ذلك ومع هذا فهي كبيرة وقوله
يا قوم اتبعوا المرسلين فيه معان لطيفة الاولى في قوله يا قوم فانه ينبئ عن اشفاق عليهم وشفقة فان اضافتهم
الى نفسه بقوله يا قوم تفيد انه لا يريد بهم الا خيرا وهذا مثل قول مؤمن آل فرعون يا قوم اتبعون فان قيل
قال هذا الرجل يا قوم اتبعوا المرسلين وقال ذلك اتبعوني فما الفرق نقول هذا الرجل جاءهم وفي اول مجيئه نصحهم
وما رأوا سيرته فقال اتبعوا هؤلاء الذين اظهروا لكم الدليل واوضحوا لكم السبيل واما مؤمن آل فرعون فكان فيهم
واتبع موسى ونصحهم مرارا فقال اتبعوني في الايمان بموسى وهرون عليهما السلام واعلموا انه لو لم يكن خيرا لما اخترته
لنفسي وانتم تعلمون اني اخترته ولم يكن للرجل الذي جاء من اقصى المدينة ان يقول انتم تعلمون اتباعي لهم الثاني انه
جمع بين النصيحة واظهار ايمانه فقوله اتبعوا نصيحة وقوله المرسلين اظهار انه امن الثالث قدم اظهار
النصيحة على اظهار الايمان لانه كان ساعيا في النصح واما الايمان فكان قد امن من قبل وقوله رجل يسعى
يدل على كونه مريدا للنصح وما ذكر في حكايته انه كان يقتل ويقول اللهم اهد قومي ثم انه تعالى قال اتبعوا من لا يسألكم
اجرا وهم مهتدون وهذا في غاية الحسن وذلك من حيث انه قال اتبعوا المرسلين كانه منعهم كونهم مرسلين فنزل

درجة وقال

درجة وقال لا شك ان الخلق في الدنيا سالكون طريقة وطالبون للاستقامة والطريق اذا حصل فيه دليل يدل
يجب اتباعه والامتناع من الاتباع لا يحسن الا عند احد امرين اما مغالاة الدليل في طلب الاجرة واما عدم الاعتماد
على اهتدائه ومعرفته الطريق لكن هؤلاء لا يطلبون اجرة وهم مهتدون عالمون بالطريقة الموصلة الى الحق فهب
انهم ليسوا مرسلين هادين اليسوا بمهتدين فاتبعوهم ثم قال تعالى ومالي لا اعبد الذي فطرني لما قال وهم مهتدون
بين ظهور اهتدائهم بانهم يدعون من عبادة الجماد الى عبادة الحي القيوم ومن عبادة من لا ينفع الى عبادة من منه
كل نفع وفيه لطائف الاولى قوله ومالي اي ومالي مانع من جانبي اشارة الى ان الامر من جهة المعبود ظاهر لا خفاء
فيه فمن يمتنع من عبادته يكون من جانبه مانع ولا مانع ايضا من جانبي فلا جرم عبدته وفي العدول عن مخاطبة
القوم الى حال نفسه حكمة اخرى ولطيفة ثانية وهي انه لو قال ما لكم لا تعبدون الذي فطركم لم يكن في البيان مثل
قوله مالي لانه لما قال ومالي واحد لا يخفى عليه حال نفسه علم كل احد انه لا يطلب العلة وبيانه من احد لانه اعلم بحال
نفسه فهو يبين عدم المانع واما لو قال ما لكم جاز ان يفهم منه انه يطلب بيان العلة لكون غيره اعلم بحال نفسه
فان قيل قال الله ما لكم لا ترجون لله وقارا نقول القائل هناك غير مدعو وانما هو داع وههنا الرجل مدعو الى
الايمان فقالوا له مالك لا تعبد وقد طلب منه ذلك الثانية قوله الذي فطرني اشارة الى وجود المقتضي فان قوله مالي
اشارة الى المانع وعند عدم المانع لا يوجد الفعل ما لم يوجد المقتضي فقوله الذي فطرني ينبئ عن الاقتضاء فان
الخلق ابتداء مالك والمالك يجب على المملوك اكرامه وتعظيمه ومنعم بالايجاد والمنعم يجب على المنعم عليه شكر نعمته
الثالثة قدم بيان عدم المانع على بيان وجود المقتضي مع ان المستحسن تقديم المقتضي حيث وجد المقتضي
ولا مانع يوجد لان المقتضي لظهوره كان مستغنيا عن البيان راسا فلا اقل من تقديم ما هو اولى بالبيان للوجود الحاجة
اليه الرابعة اختار الايات فطرة نفسه لانه لما قال مالي لا اعبد باسناد العبادة الى نفسه اختار ما هو اقرب
الى ايجاب العبادة على نفسه وبيان ذلك هو ان خالق عمرو يجب على زيد عبادته لان من خلق عمرا لا يكون الا كامل القدرة
شامل العلم واجب الوجود وهو مستحق للعبادة بالنسبة الى كل مكلف لكن العبادة على زيد بخلق زيد اظهر ايجابا واعلم
ان المشهور في قوله فطرني خلقني اختراعا ابتداعا والغريب فيه ان يقال فطرني اي خلقني على الفطرة كما قال
تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وعلى هذا فقوله مالي لا اعبد اي لم يوجد في مانع فانا باق على ما فطرني ربي
والفطرة كافية في الشهادة والعبادة فان قيل فعلى هذا يختلف معنى الفطر في قوله فاطر السموات فنقول
قد قيل بان فاطر السموات من الفطر الذي هو الشق فالمحذور لازم او نقول المعنى فيهما واحد كانه قال فطر المكلف
على فطرته وفطر السموات على فطرتها والاول من التفسير اظهر وقوله واليه ترجعون اشارة الى الخوف والرجا
كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا وذلك لان من يكون المرجع اليه يخاف منه ويرجى وفيه ايضا معنى لطيف وهو ان العابد
على اقسام ثلاثة ذكرناها مرارا فالاول عابد يعبد الله لكونه الها مالكا سواء انعم بعد ذلك او لم ينعم كالعبد الذي
يجب عليه خدمة سيده سواء احسن اليه او اساء والثاني عابد يعبد الله للنعمة الواصلة اليه والثالث عابد يعبد الله
خوفا مثال الاول من يخدم [illegible] مثال الثاني من يخدم الجواد مثال الثالث من يخدم الغاشم فجعل القائل نفسه من القسم الاعلى وقال
مالي لا اعبد الذي فطرني [illegible] وجعلهم دون ذلك فقال
واليه ترجعون [illegible] ثم قال تعالى ااتخذ من دونه
الهة ليتم التوحيد فان التوحيد بين التعطيل والاشراك فقال مالي لا اعبد اشارة الى وجود الاله وقال
ااتخذ من دونه اشارة الى نفي غيره فيتحقق معنى لا اله الا الله وفي الاية ايضا لطائف الاولى ذكره على طريق
الاستفهام فيه معنى وضوح الامر وذلك لان من اخبر عن شيء فقال مثلا لا اتخذ فللسامع ان يقول لم لا تتخذ
فيطالبه بالسبب فاذا قال ااتخذ يكون كلاما انه مستغن عن بيان السبب الذي يطالب به عند الاخبار كانه قال
استشرتك فدلني [illegible] الثانية قوله تعالى من دونه
وهي لطيفة عجيبة وبيانها هو انه لما بين انه يعبد الذي فطره بين ان من دونه لا تجوز عبادته
فان عبد غير الله وجعل عبادته [illegible] حادث فلو قال
ااتخذ الهة [illegible]
[illegible] الثالثة قوله اتخذ اشارة الى ان غيره ليس باله لان المتخذ لا يكون الها
قال تعالى لو اردنا ان نتخذ [illegible]

عابد يعبد اه للنعمة الواصلة اليه

النصارى قالوا ابتنى الله عيسى عليه السلام وسماه ولدا فقال ولم يتخذ ولدا لا ينبغى قال الله تعالى فاتخذه وكيلا في
حق الله حيث قال رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا • يقول ذلك الامر يتجدد وذلك لان الانسان في اول الامر
يكون قليل الصبر ضعيف القوة فلا يجوز ان يترك اسباب الدنيا ويقول انى اتوكل فلا يحسن من الواحد منا ان لا يشتغل بامر
اصلا ويترك اطفاله في ورطة الحاجة ولا يوصل الى اهله نفقتهم ويجلس في مجلس وقلبه معلق بعطاء زيد وعمرو • واذا
قوى بالعبادة قلبه ونسى نفسه فضلا عن غيره • واقبل على عبادة ربه بجميع قلبه وترك الدنيا واسبابها وفوض
اموره الى الله حينئذ يكون من الابرار الاخيار فقال الله لرسوله انت علمت ان الامور بيد الله وعرفت الله حق المعرفة
وتيقن ان المشرق والمغرب وما بينهما بامر الله ولا اله يطلب لقضاء الحوائج الا هو فاتخذه وكيلا وفوض جميع امورك
اليه فقد ارتقيت عن درجة من يؤمر بالكسب الحلال وكنت من قبل تحرص في الحلال • ومعنى قوله فاتخذه وكيلا اى في جميع امور
وقوله تعالى ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى • يحتمل وجهين • احدهما ان يكون كالوصف كانه قال اتخذ الهة غير مغنية
عند ارادة الرحمن بى ضرا • وثانيهما ان يكون كلاما مستانفا كانه قال لا اتخذ من دونه الهة • ثم قال تعالى ان يردن
الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم • وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قال ان يردن الرحمن بضر ولم يقل ان يرد الرحمن بى ضرا
وكذلك قوله تعالى ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره ولم يقل ان اراد الله بى ضرا نقول الفعل اذا كان
متعديا الى مفعول واحد يتعدى الى مفعولين بحرف كاللازم يتعدى بحرف في قوله ذهب به وخرج به • ثم ان المتكلم
البليغ يجعل المفعول بغير حرف ما هو اولى بوقوع الفعل عليه ويجعل الاخر مفعولا بحرف • فاذا قال القائل مثلا كيف
حال فلان يقول اختصه الملك بالكرامة والنعمة • فاذا قال كيف كرامة الملك يقول اختصها بزيد فجعل المسؤول المفعو[ل]
بغير حرف لانه هو المقصود اذا علمت هذا فالمقصود فيما نحن فيه بيان كون العبد تحت تصرف الله يقلبه كيف يشاء في البؤ[س]
والرخاء وليس الضر مقصودا ببيانه كيف والقائل مؤمن يرجو النعمة والرحمة بناء على ايمانه بحكم وعد الله ويؤيد هذا
قوله من قبل الذى فطرنى حيث جعل نفسه مفعول الفطرة فكذلك جعلها مفعول الارادة • وذكر الضر وقع تبعا • وكذا
القول في قوله تعالى ان ارادنى الله بضر المقصود بيان انه يكون كما يريده الله وليس الضر بخصوصه مقصودا بالذكر ويؤيد
ما تقدم حيث قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده يعنى هو تحت ارادته • وبيان ما ذكرنا بالنظر في قوله تعالى قل من
ذا الذى يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا حيث خالف هذا النظم وجعل المفعول من غير حرف السوء وهو كالضر والمفعول
بحرف هو المكلف وذلك لان المقصود ذكر الضر للتخويف • وكونهم محلا له وكيف لا وهم كفرة استحقوا العذاب بكفرهم
فجعل الضر مقصودا بالذكر لزجرهم • فان قيل فقد ذكر الله الرحمة ايضا حيث قال او اراد بكم رحمة نقول المقصو[د]
ذلك يدل عليه قوله تعالى من بعده ولا يجدون لهم وليا ولا نصيرا • وانما ذكر الرحمة تتمة للامر بالتقسيم الحاضر
وكذلك اذا تاملت في قوله تعالى يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيا ان اراد بكم ضرا او اراد
بكم نفعا فان الكلام ايضا مع الكفار • وذكر النفع وقع تبعا لحصر الامر بالتقسيم يدل عليه قوله تعالى بل كان الله بما تعملو[ن]
بصيرا للتخويف • وهذا كقوله تعالى انا او اياكم لعلى هدى او في ضلال لم يقل انى على هدى وانتم في ضلال • ولو قال هكذا
لمنع مانع • وقال في التقسيم كذلك هاهنا المقصود ان الضر واقع بكم ولا دافع المانع قال الضر والنفع **المسئلة الثا[لثة]**
قال هاهنا ان يردن الرحمن بضر وقال في الزمر ان ارادنى الله فما الحكمة في اختيار صيغة الماضى هناك واختيار صيغة
المضارع هاهنا • وذكر المريد باسم الرحمن هاهنا • وذكر المريد باسم الله هناك • نقول اما الماضى والمستقبل
فان المستقبل مع ان في الشرط يصير الماضى مستقبلا وذلك لان المذكور هاهنا من قبل بصيغة الاستقبال في قوله
اتخذ • وقوله ما لى لا اعبد • والمذكور هناك من قبل بصيغة الماضى في قوله افرايتم • وكذلك في قوله تعالى ان
يمسسك الله بضر المتقدم مذكور بصيغة المستقبل وهو قوله من يصرف عنه وقوله انى اخاف ان عصيت والحكمة
فيه هو ان الكفار كانوا يخوفون النبى عليه الصلاة والسلام بضر يصيبه من الهتهم فكانه قال صدر منكم التخويف
وهذا ما سبق منكم • وهاهنا ابتدا كلام صدر من المؤمن للتقرير • والجواب ما كان يمكن صدوره منهم فافترق الامران •
واما قوله هناك ان ارادنى الله • فنقول قد ذكرنا ان الاسمين المختصين بواجب الوجود هو الله والرحمن كما قال تعالى
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن • والله للهيبة والعظمة • والرحمن للرافة والرحمة وهنا لك وصف الله بالعزة والانتقام
في قوله اليس الله بعزيز ذى انتقام وذكر ما يدل على العظمة بقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض • فذكر الاسم
الاسم الدال على العظمة وقال هاهنا ما يدل على الرحمة بقوله الذى فطرنى فانه نعمة هى شرط سائر النعم فقال
ان يردن الرحمن بضر • ثم قال تعالى لا تغن عنى شفاعتهم شيا ولا ينقذون على ترتيب ما يقع من العقلاء وذلك
ان من يريد دفع الضر عن شخص اصيب به يدفع بالوجه الاحسن فيشفع اولا فان قبله والا يدفع فقال لا تغنى عنى شفاعتهم

شيا ولا ينقذون ولا يقدرون على انقاذى بوجه من الوجوه • وفى هذه الايات حصل بيان ان الله معبود من كل وجه ان
كان نظرا الى جانبه فهو فاطر ورب مالك يستحق العبادة سواء احسن بعد ذلك او لم يحسن وان كان نظرا الى احسانه فهو رحمن
وان كان نظرا الى الخوف فهو لا يدفع ضره وحصل بيان ان غيره لا يصلح لان يعبد بوجه من الوجوه فان ادنى مراتبه ان يعد
ليوم كريهة • وغير الله لا يدفع شيا اذا اراد الله وان لم يرد فلا حاجة الى دافع ثم **قال تعالى** انى اذا لفى ضلال مبين يعنى ان
فعلت ذلك وانا ضال كضلال الابناء • والمبين مفعل بمعنى فعيل كما جاء عكسه فعيل بمعنى مفعل في قوله اليم اى مؤلم ويمكن ان
يقال الضلال المبين هو مظهر الامر للناظر • والاول هو الصحيح ثم **قال تعالى** انى امنت بربكم فاسمعون • في المخاطب بقوله
بربكم وجوه • احدها هم المرسلون قال المفسرون اقبل القوم عليه يريدون قتله فاقبل هو على المرسلين وقال انى امنت بربكم
فاسمعوا قولى لتشهدوا لى • وثانيها هم الكفار كانه لما نصحهم وما نفعهم قال فانا امنت فاسمعون • وثالثها بربكم ايها السا[مع]
فاسمعون على العموم كما قلنا في قول الواعظ حيث يقول يا مسكين ما اكثر املك • وما انزر عملك • يريد به كل سامع يسمعه
وفى قوله فاسمعون فوايد • منها انه كلام متروّ متفكر حيث قال اسمعوا فان المتكلم اذا كان يعلم ان لكلامه جماعة سامعين يتفكر
ومنها ان ينبه القوم ويقول انى اخبرتكم بما فعلت حتى لا تقولوا لم اخفيت عنا امرك • ولو اظهرت لامنا معك • وثالثها
ان يكون المراد السماع الذى بمعنى القبول • يقول القايل نصحته فسمع قولى اى قبله فان قلت قال من قبل ما لى لا اعبد
الذى فطرنى • وقال هاهنا امنت بربكم ولم يقل امنت بربى نقول على قولنا الخطاب مع الرسل الامر ظاهر لانه لما قال امنت بربكم
ظهر عند الرسل انه قبل قولهم وامن بالرب الذى دعوه اليه ولو قال بربى لعلهم كانوا يقولون كل كافر يقول لى رب وانا مؤمن بربى
واما على قولنا الخطاب مع الكفار ففيه بيان التوحيد وذلك لانه لما قال اعبد الذى فطرنى • ثم قال امنت بربكم فهم ان قوله
ربى وربكم واحد وهو الذى فطرنى وهو بعينه ربكم خلاف ما لو قال امنت بربى فيقول الكافر وانا ايضا امنت بربى • ومثل هذا
قوله تعالى الله ربنا وربكم ثم **قال تعالى** قيل ادخل الجنة فيه وجهان • احدهما انه قتل ثم قيل له ادخل الجنة بعد القتل
وثانيهما قيل ادخل الجنة عقيب قوله امنت • وعلى الاول فقوله يا ليت قومى يعلمون يكون بعد موته والله اخبر بقوله • وعلى الثا[نى]
ذلك في حياته وكانه سمع انه من الداخلين الجنة وصدقهم وقطع به وعلمه فقال يا ليت قومى يعلمون كما علمت فيؤمنون كما امنت • وفى معنى
معنى قوله تعالى قيل وجهان • كما ان في وقته ذلك وجهان ظاهر من القول • والثانى ادخل الجنة • وهذا كما في قوله تعالى انما امره
اذا اراد شيا ان يقول له كن ليس المراد القول بل هو الفعل اى يفعله في حينه من غير تاخير وتراخ • وكذلك في قوله تعالى
وقيل يا ارض ابلعى في وجه جعل الارض بالغة ماءها • وفى قوله تعالى بما غفر لى وجوه • احدها ان ما استفهامية كانه قال يا ليت
قومى يعلمون بما غفر لى ربى حتى يشتغلوا به وهو ضعيف • والا لكان الاحسن ان يكون ما محذوفة الالف • يقال بم وفيم وعم
ولم • وثانيها خبرية كانه قال يا ليت قومى يعلمون بمغفرة ربى لى والوجهان الاخران هما المختاران ثم **قال تعالى** وجعلنى من
المكرمين • قد ذكرنا ان الايمان والعمل الصالح يوجبان امرين هما الغفران والاكرام كما في قوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك لهم مغفرة ورزق كريم • والرجل كان من المؤمنين الصلحاء والمكرم على ضد المهان والاهانة بالحاجة • والاكرام بالاستغناء
يغنى الله الصالح عن كل احد ويدفع جميع حاجاته بنفسه الكريم • ثم انه تعالى لما بين حاله بين حال المخالفين المتخلصين له من قومه
فقوله وما انزلنا على قومه من بعده من جند اشارة الى هلاكهم بعده سريعا على اسهل وجه فانه لم يحتج الى ارسال جند يهلكهم
وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قال هاهنا وما انزلنا باسناد الفعل الى النفس وقال في بيان حال المؤمن قيل ادخل الجنة
باسناد القول الى غير مذكور وذلك لان العذاب من باب الهيبة فقال بلفظ التعظيم واما ادخل الجنة فقال قيل ليكون هو
كالمهنا بقول الملايكة حيث يقول له كل ملك وكل صالح يراه ادخل الجنة خالدا فيها وكثيرا ما ورد في القران قوله تعالى • وقيل
ادخلوا اشارة الى ان الدخول يكون دخولا باكرام كما يدخل العريس البيت المزين على رؤس الاشهاد يتنبه كل احد **المسئلة الثانية**
لم اضاف القوم اليه مع ان الرسل اولى بكون القوم قوما لهم فان الواحد يكون له قوم هم اله واصحابه والرسول لكونه مرسلا يكون جميع
الخلق وجميع من ارسل اليهم قوما له نقول لوجهين • احدهما لبيتين الفرق بين اثنين هما من قبيلة واحدة اكرم احدهما غاية الاكرام
بسبب الايمان • واهين الاخر غاية الاهانة بسبب الكفر • وهذا من قوم ذلك في النسب • وثانيهما ان العذاب كان مختصا
باقارب ذلك لان غيرهم من قوم الرسل امنوا بهم فلم يصبهم العذاب **المسئلة الثالثة** خصص عدم الانزال بما بعده والله تعا[لى]
لم ينزل عليهم جندا قبله ايضا فما فايدة التخصيص نقول استحقاقهم العذاب كان بعده حيث اصروا واستكبروا فبين حالة الهلاك
انه لم يكن بجند **المسئلة الرابعة** قال من السماء وهو تعالى لم ينزل عليهم ولا ارسل اليهم جندا من الارض فما فايدة التقييد نقول
الجواب عنه من وجهين • احدهما ان يكون المراد وما انزلنا عليهم جندا بامر من السماء فيكون للعموم • وثانيهما ان العذاب
نزل عليهم من السماء فبين ان النازل من السماء لم يكن جندا هم عظمة وانما كان ذلك بصيحة اخمدت نارهم وخربت ديارهم **المسئلة الخا[مسة]**
وما كنا منزلين اية فايدة فيه مع ان قوله وما انزلنا يستلزم انه لا يكون من المنزلين نقول قوله وما كنا اى ما كان ينبغى لنا ان ننزل

وتحوا باكرام كما يدخل العروس البيت المزين على روس الاشهاد ينبه كل احد

لان الامر كان بحيث يرون ذلك فما انزلنا وما كنا محتاجين الى الانزال او نقول وما انزلنا وما كنا منزلين في مثل تلك الواقعة جندا
في غير تلك الواقعة • فان قيل فكيف انزل الله جنودا في يوم بدر وفي غير ذلك حيث قال فانزل الله ريحا وجنودا لم تروها • نقول
ذلك تعظيما لمحمد عليه الصلاة والسلام • والا لكان تحريك ريشة من جناح ملك كافيا في استيصالهم وما كان رسل عيسى عليه السلام
في درجة محمد السلام • ثم بين الله تعالى ما كان بقوله ان كانت الا صيحة • وقال الزمخشري اصله ان كان شي الا صيحة
فكان الاصل ان يذكر لكنه تعالى انث لما بعده من المفسر وهو الصيحة • وقوله واحدة تاكيد لكون الامر هينا عند الله • وقوله
فاذا هم فيه اشارة الى سرعة الهلاك • فان خمودهم كان مع الصيحة وفي وقتها لم يتاخر • ووصفهم بالخمود في غاية الحسن وذلك لان
الحي فيه الحرارة الغريزية • وكلما كانت الحرارة اوفر كانت القوة الغضبية والشهوانية اتم وهم كانوا كذلك • اما الغضب فانهم
قتلوا مؤمنا كان ينصحهم • واما الشهوة فلانهم احتملوا العذاب الدائم بسبب استيفاء اللذات الحالية الحاضرة فاذا كانوا كالنار
الموقدة ولانهم كانوا جبارين مستكبرين كالنار ومن خلق منها فقال فاذا هم خامدون • وفيه وجه اخر وهو ان العناصر الاربعة
يخرج بعضها عن طبيعته التي خلقها الله عليها • ويصير العنصر الاخر بارادة الله • فالاحجار تصير مياها والمياه تصير احجارا
وكذلك الماء يصير هواء عند الغليان • والسحوبة والهواء تصير ماء للبرد ولكن ذلك في العادة بزمان • واما الهواء فيصير
نارا • والنار تصير هواء بالاشتعال والخمود في اسرع وقت فقال خامدين تشبيها لخمود النار في السرعة كاطفاء سراج او شعلة
ثم قال تعالى يا حسرة اي هذا وقت الحسرة فاحضري يا حسرة • والتنكير للتكثير • وفيه مسايل المسئلة الاولى
الالف واللام في العباد يحتمل وجهين • احدهما للمعهود وهم الذين اخذتهم الصيحة • فيا حسرة على اولئك • وثانيهما
لتعريف الجنس جنس الكفار المكذبين المسئلة الثانية من المتحسر نقول فيه وجوه • الاول لا متحسر اصلا في
الحقيقة اذ المقصود بيان ان ذلك وقت طلب الحسرة حيث تحققت الندامة عند تحقق العذاب • وها هنا بحث لغوي وهو
ان المفعول قد يرفض راسا اذا كان الغرض غير متعلق به • يقال ان فلانا يعطي ويمنع ولا يكون هناك شي فيعطى اذ المقصود
انه المانع والمعطي ورفض المفعول كثير وما نحن فيه رفض الفاعل وهو قليل • والوجه فيه ما ذكرنا ان ذكر المتحسر غير مقصود
وانما المقصود ان الحسرة متحققة في ذلك الوقت • الثاني ان قائل يا حسرة هو الله على الاستعارة تعظيما للامر وتهويلا له
وحينئذ يكون كالالفاظ التي وردت في حق الله كالضحك والنسيان والسخر والتعجب والتمني • او نقول ليس معنى قولنا يا حسرة
ويا ندامة ان القائل متحسر او نادم بل المعنى انه مخبر عن وقوع الندامة ولا يحتاج الى تجوز في بيان كونه تعالى قائلا يا حسرة
بل يجريه على حقيقته الا في الندا فان الندا مجاز • والمراد الاخبار • الثالث المتلهفون من المسلمين والملائكة • الا ترى
الى ما حكى الله عن حبيب انه حين القتل كان يقول اللهم اهد قومي وبعد ما قتلوه وادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون • يجوز
ان يتحسر المسلم للكافر ويتندم له وعليه المسئلة الثالثة قرئ يا حسرة بالتنوين • ويا حسرة العباد بالاضافة
من غير كلمة على • وقرئ يا حسره على العباد بالهاء اجراء للوصل مجرى الوقف المسئلة الرابعة من المراد بالعباد
نقول فيه وجوه • احدها الرسل الثلاثة كان الكافرين يقولون عند ظهور الباس يا حسرة عليهم يا ليتهم كانوا حاضرين
ليتنا لنؤمن بهم • ثانيها هم قوم حبيب • ثالثها كل من كفر واصر واستكبر • وعلى الاول فاطلاق العباد على المؤمنين كما
في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان • وقوله يا عبادي الذين اسرفوا • وعلى الثاني فاطلاق العباد على الكفار وفرق
بين العبد مطلقا وبين العبد المضاف الى الله تعالى فان الاضافة الى الشريف تكسو المضاف شرفا • تقول بيت الله فيكون
فيه من الشرف ما لا يكون في قولك البيت • وعلى هذا فقوله تعالى وعباد الرحمن من قبيل قوله تعالى ان عبادي • وكذلك
عباد الله ثم بين الله تعالى سبب الحسرة بقوله ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن • وهذا سبب الندامة • وذلك لان
من جاءه ملك في باديته وعرفه نفسه وطلب منه امرا هينا فكذبه ولم يجبه الى ما دعاه • ثم وقف بين يديه وهو على سرير
ملكه فعرفه انه ذلك يكون عنده من الندامة ما لا مزيد عليه • وكذلك الرسل هم ملوك واعظم منهم باعزاز الله اياهم
وجعلهم نوابه كما قال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وجاؤا وعرفوا انفسهم ولم يكن لهم عظمة ظاهرة في الحس ثم
يوم القيمة او عند ظهور الباس ظهرت عظمتهم عند الله لهم وكان ما يدعون اليه امرا هينا نفعه عايد اليهم من عبادة الله
وما كانوا يسالون عليه اجرا فعند ذلك تكون الندامة الشديدة وكيف لا وهم لم يقتنعوا بالاعراض حتى اذوا واستهزؤا
واستخفوا واستهانوا • وقوله ما ياتيهم الضمير يجوز ان يكون عايدا الى قوم حبيب اي ما ياتيهم من رسول من الرسل الثلاثة
الا كانوا به يستهزؤن على قولنا الحسرة عليهم • ويجوز ان يكون عايدا الى الكفار المصرين • ثم ان الله تعالى لما بين حال
الاولين قال للحاضرين الم يروا كم اهلكنا اي الباقون لا يرون ما جرى على من تقدمهم • ويحتمل ان يقال ان الذين قيل في حقهم
يا حسرة هم الذين قال في حقهم الم يروا • ومعناه ان كل مهلك تقدمه قوم كذبوا واهلكوا الى يوم نوح وقبله • وقوله
انهم اليهم لا يرجعون بدل في المعنى عن قوله كم اهلكنا • وذلك ان معنى كم اهلكنا الم يروا كثرة اهلاكنا • وفيه معنى لطيف

يروا المهلكين

يروا المهلكين الكثيرين انهم اليهم لا يرجعون وحينئذ يكون بدل الاشتمال لان قوله انهم اليهم لا يرجعون حال من احوال المهلكين
اي اهلكوا بحيث لا رجوع لهم اليهم فيصير كقولك الا ترى زيدا ادبه وعلى هذا نقول الضمير في اليهم لا يرجعون فيه وجهان احدهما
اهلكوا اهلاكا لا رجوع لهم الى من في الدنيا • وثانيهما وهو انهم لا يرجعون اليهم اي الباقون لا يرجعون الى المهلكين بنسب
ولا ولادة يعني اهلكناهم وقطعنا نسلهم ولا شك في ان الاهلاك الذي يكون مع قطع النسل اتم واعم • والوجه الاول
اشهر نقلا • والثاني اظهر عقلا • ثم قال تعالى وان كل لما جميع لدينا • لما بين الاهلاك بين انه ليس من اهلكه تركه بل بعده
جمع وحساب وحبس وعقاب • ولو ان من اهلك ترك لكان الموت راحة ونعم ما قال القائل شعر ولو انا اذا متنا تركنا
لكان الموت راحة كل حي • ولكنا اذا متنا بعثنا • ونسئل بعدها عن كل شي • وقوله وان كل لما في ان
وجهان • احدهما انها مخففة من الثقيلة • واللام في لما هي الفارقة بينها وبين النافية وما زائدة مؤكدة في المعنى والقراءة
حينئذ بالتخفيف في لما • وثانيهما انها نافية • ولما بمعنى الا قال سيبويه يقال نشدتك الله لما فعلت بمعنى الا فعلت والقراءة
حينئذ بالتشديد في ما ويؤيد هذا ما روي ان ابيا قرأ وما كل الا جميع • وفي قول سيبويه لما بمعنى الا وارد بمعنى مناسب
وهو ان لما كانها حرفا نفي جمعا وهما لم وما فتاكد النفي ولهذا يقال في جواب من قال قد فعل لما يفعل • وفي جواب من قال
فعل لم يفعل • والا كانها حرفا نفي ان ولا فاستعمل احدهما مكان الاخر قال الزمخشري فان قال قائل كل وجميع بمعنى واحد
فكيف جعل جميعا خبر الكل حيث دخلت اللام عليه اذ التقدير وان كل لجميع نقول معنى جميع مجموع ومعنى كل كل فرد بحيث
لا يخرج عن الحكم احد فصار المعنى كل فرد مجموع مع الاخر مضموم اليه ويمكن ان يقال محضرون عما ذكره وذلك لانه لو قال
وان جميع لجميع محضرون لكان كلاما صحيحا ولم يوجد ما ذكره من الجواب بل الصحيح ان محضرون كالصفة للجميع فكانه قال
جميع جميع محضرون كما يقال الرجل رجل عالم والنبي نبي مرسل • والواو في وان كل لعطف الحكاية على الحكاية كانه يقول بينت لك
ما ذكرت وابين ان كلا لدينا محضرون • وكذلك الواو في وآية لهم الارض الميتة • وفيه مسايل المسئلة الاولى
ما وجه تعلق هذا بما قبله نقول • فيقال وآية لهم الارض الميتة احييناها كذلك يحيي الموتى • وثانيهما انه لما ذكر
حال المرسلين واهلاك المكذبين وكان شغلهم التوحيد ذكر ما يدل عليه • وبدا بالارض لكونها مكانهم لا مفارقة لهم منها عند
الحركة والسكون المسئلة الثانية الارض آية مطلقا فلم خصها بهم حيث قال وآية لهم نقول الآية تعدد
وتسرد لمن لم يعرف الشي بابلغ الوجوه • واما من عرف الشي بطرق متعددة لم يبد لا يذكر له دليل فان النبي عليه الصلاة والسلام
وعباد الله المخلصين عرفوا الله قبل الارض والسما فليست الارض معرفة لهم وهذا كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي
انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وقال اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد يعني انت كفاك ربك معرفا به عرفت كل شي فهو شهيد
لك على كل شي • واما هؤلاء تبين لهم الحق بالآفاق والانفس • وكذلك ههنا آية لهم المسئلة الثالثة ان قلنا ان
الآية مذكورة للاستدلال على جواز احياء الموتى فيكفي قوله احييناها ولا حاجة الى قوله واخرجنا منها حبا وغير ذلك • وان
قلنا انها للاستدلال على وجود الاله ووحدته فلا فائدة في قوله الارض الميتة احييناها لان نفس الارض دليل ظاهر • وبرهان
باهر • ثم هنا انها غير كافية • فقوله الميتة احييناها كاف في التوحيد • فما فائدة قوله واخرجنا منها حبا نقول هي مذكورة
للاستدلال عليهما ولكل ما ذكره الله فائدة • اما قوله واخرجنا منها فله فائدة بالنسبة الى بيان احياء الموتى وذلك لانه لما احيا
الارض واخرج منها حبا كان ذلك احياء تاما لان الارض المخضرة التي لا تنبت الزرع ولا تخرج الحب دون ما تنبته في الحياة فكانه قال
تعالى الذي احيا الارض احياء كاملا منبتا للزرع يحيي الموتى احياء كاملا بحيث يدرك الامور • واما بالنسبة الى التوحيد فلان فيه
تعديد النعم كانه قال آية لهم الارض فانها مكانهم ومهدهم الذي فيه تحريكهم واسكانهم • والامر الضروري الذي عنده وجودهم
وامكانهم وسواء كانت ميتة او لم تكن فهي مكانهم لا بد لهم منها فهي نعمة • ثم احياها بحيث تخضر فهي نعمة ثانية فانها تصير انزه واحسن
ثم اخرج الحب منها نعمة ثالثة فان قوتهم يصير في مكانهم وكان يمكن ان يجعل الله رزقهم في السما او في الهوا فلا يحصل لهم
الوثوق • ثم جعل الجنات فيها نعمة رابعة لان الارض تنبت الحب في كل سنة • واما الاشجار بحيث يوجد منه الثمار فيكون بعدما
الحب موجودا • ثم تجري فيها العيون ليحصل لهم الاعتماد بالحصول ولو كان ماؤها من السما لحصل ولكن لم يعلم انها اين تغرس واين
يقع المطر وينزل القطر • وبالنسبة الى بيان احياء الموتى كل ذلك مفيد • وذلك ان قوله واخرجنا منها حبا كاحتياج الانسان الى الامر
الضروري الذي لا بد منه • وقوله وجعلنا فيها جنات كالامر المحتاج اليه الذي ان لم يكن لا يبغي الانسان لكنه يبقى مختل
الحال • وقوله وفجرنا فيها من العيون اشارة الى الزينة التي ان لم تكن لا يبقى الانسان ولا يبقى في ورطة الحاجة لكنه لا يكون
على احسن ما ينبغي • وكان حال الانسان بالحب كحال الفقير الذي له ما يسد خلته من بعض الوجوه ولا يدفع حاجته من كل الوجوه
وبالثمار يعتبر حاله كحال المكتفي وبالعيون الجارية الذي يعتمد عليها الانسان ويقوى بها قلبه كالمستغني الغني المدخر لقوت
سنين فيقول الله عز وجل كما فعلنا في موات الارض كذلك نفعل في الاموات في الارض فنحييهم ونعطيهم ما لا بد لهم منه

واما الاشجار بحيث توجد منه التي يكون بعد الحب موجودا

في تعليمهم وتكوينهم الأعضاء المحتاج إليها وقواها كالعين والقوة الباصرة والأذن والقوة السامعة وغيرهما ويزيد له ما هو زينة
كالعقل الكامل والإدراك الشامل فكذلك كأنه قال نحيي الموتى إحياء تاما كما أحيينا الأرض إحياء تاما **المسألة الرابعة**
قال عند ذكر الحب فمنه يأكلون وفي الأشجار والثمار قال ليأكلوا من ثمره وذلك لأن الحب قوت لا بد منه فقال
فمنه يأكلون أي هو مأكولهم وأما الثمار فليست كذلك فكأنه تعالى قال إنا كما أخرجنا ما كانوا يتقوتون [illegible] فأخرجنا
ليأكلوها **المسألة الخامسة** خصص النخل والأعناب بالذكر من سائر الفواكه لأن ألذ الطعوم الحلاوة وهي فيهما
أتم ولأن التمر والعنب قوت وفاكهة ولا كذلك غيرهما لأنهما أعم نفعا فإنها تحمل من البلاد إلى الأماكن البعيدة فإن
قيل فقد ذكر الله الرمان والزيتون في الأنعام والقضب والزيتون والتين في مواضع فنقول في الأنعام وغيرها
المقصود ذكر الفواكه والثمار ألا ترى أن قوله تعالى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به وإلى قوله فلينظر الإنسان إلى
طعامه فاستوفى الأنواع بالذكر وههنا المقصود ذكر صفات الأرض فاختار منها الألذ الأنفع وقد ذكرنا في سورة الأنعام
ما يستفاد منه الفوائد ونعلم منه فائدة قوله تعالى فاكهة ونخل ورمان **المسألة السادسة** في المواضع التي ذكر
الله الفواكه لم يذكر التمر بلفظ شجرته وهي النخلة ولم يذكر العنب بلفظ شجرته بل ذكره بلفظ العنب والأعناب ولم يذكر
ولم يذكر الكرم لأن العنب شجرته بالنسبة إلى ثمرته حقيرة قليلة الفائدة والنخلة بالنسبة إلى ثمرته عظيمة جليلة
القدر كثيرة الجدوى فإن كثيرا من الظروف منها يتخذ وبالحاير ينتفع ولها شبه بالحيوان فاختار منهما ما هو الأعجب
منها وقوله تعالى وفجرنا فيها من العيون آية عظيمة لأن الأرض أجزاؤها بحكم العادة لا تصعد ونحن نرى منابع الأنهار
والعيون في المواضع المرتفعة وذلك دليل القدرة والاختيار والقائلون بالطبائع قالوا إن الجبال كالقباب المبنية
والأبخرة ترتفع إليها كما ترتفع إلى سقوف الحمامات وتكون هناك قطرات من الماء ثم تجتمع وإن لم تكن قوية
تحصل المياه الراكدة كالآبار وتجري في القنوات وإن كانت قوية تشق الأرض وتخرج أنهارا جارية وتجتمع
فتحصل الأنهار العظيمة وتمدها مياه الأمطار والثلوج فنقول اختصاص بعض الجبال بالعيون دليل ظاهر
على الاختيار وما ذكروه تعسف فالحق هو أن الله تعالى خلق الماء في المواضع المرتفعة وساقها في الأنهار
والسواقي وصعد الماء من المواضع المستفلة إلى الأماكن المرتفعة بأمر الله وجرى في الأودية إلى البقاع التي
أنعم الله على أهلها ثم قال تعالى ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون والترتيب ظاهر
ويظهر أيضا في التفسير وفيه مسائل **المسألة الأولى** لم أخر التنبيه على الانتفاع بقوله ليأكلوا عن ذكر الثمار
حتى قال وفجرنا فيها من العيون وقال في الحب فمنه يأكلون عقيب ذكر الحب ولم يقل عقيب ذكر النخيل والأعناب ليأكلوا
نقول الحب قوت وهو يتم وجوده بمياه الأمطار ولهذا نرى أكثر البلاد لا يكون لها شيء من الأشجار والزرع والحب
لا تبطل هناك اعتمادا على ماء السماء وهذا لطف من الله حيث جعل ما يحتاج إليه الإنسان أعم وجودا وأما الثمار
فلا تتم إلا بالأنهار فلا تصير الأشجار حاملة للثمار إلا بعد وجود الأنهار فلهذا أخر **المسألة الثانية** الضمير في قوله
من ثمره عائد إلى أي شيء نقول المشهور أنه عائد إلى الله أي ليأكلوا من ثمر الله وفيه لطيفة وهي أن الثمار بعد وجود
الأشجار وجريان الأنهار لم توجد إلا بالله ولولا خلق الله ذلك لم يوجد فالثمر بعد جميع ما يظن الظان أنه سبب
وجوده ليس إلا بالله وإرادته فهي ثمرة ويحتمل أن يعود إلى النخيل وترك الأعناب لحصول العلم بأنها في حكم النخيل ويحتمل
أن يقال إنه راجع إلى المذكور أي من ثمر ما ذكرنا وهذان الوجهان نقلهما الزمخشري ويحتمل وجها أغرب وأقرب وهو
أن يقال المراد من الثمر الفوائد يقال ثمرة التجارة الربح ويقال ثمرة العبادة الثواب وحينئذ الضمير عائد إلى
التفجير المدلول عليه بقوله وفجرنا كأنه قال وفجرنا فيها من العيون تفجيرا ليأكلوا من فوائد ذلك التفجير وفوائده
أكثر من الثمار بل يدخل فيه ما قال تعالى أنا صببنا الماء صبا إلى أن قال فأخرجنا منها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا
وحدائق غلبا وفاكهة وأبا والتفجير أقرب في الذكر من النخيل ولو كان عائدا إلى الله لقال من ثمرنا كما قال وجعلنا
وفجرنا **المسألة الثالثة** ما في قوله وما عملته من أي الماءات هي نقول فيها وجوه أحدها نافية كأنه قيل
وما عملت التفجير أيديهم بل الله فجر وثانيها موصولة بمعنى الذي كأنه قال والذي عملته أيديهم من الغراس بعد
التفجير يأكلون منه ويأكلون من ثمر الله الذي أخرجها من غير سعي من الناس فعطف الذي عملته الأيدي على ما خلقه
الله من غير مدخل للإنسان فيه وثالثها هي مصدرية على قراءة من قرأ وما عملت من غير ضمير عائد معناه ليأكلوا من ثمره
وما عملت أيديهم يعني يغرسون والله ينبتها ويخلق ثمرها فيأكلون بمجموع عمل أيديهم وخلق الله وهذا الوجه لا يمكن
على قراءة من قرأ مع الضمير **المسألة الرابعة** على قولنا ما موصولة يحتمل أن يكون معنى وما عملته أي بالتجارة
كأنه ذكر نوعي ما يأكل الإنسان بهما وهما الزراعة والتجارة أو من النبات ما يؤكل من غير عمل الأيدي كالعنب والتمر

وعمل أيديهم

وغيرها

وغيرهما ومنه ما يعمل فيه فيؤكل كالأشياء التي لا تؤكل إلا مطبوخة أو كالزيتون الذي لا يؤكل إلا بعد إصلاح ثم
لما عدد النعم أشار إلى الشكر بقوله أفلا يشكرون وذكر بصيغة الاستفهام لما بينا من فوائد الاستفهام فيما تقدم
ثم قال تعالى سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض [illegible] وتقديره
سبح تسبيح الذي خلق الأزواج [illegible] ووجه تعلق الآية بما قبلها هو أنه تعالى لما قال أفلا يشكرون [illegible]
الله بالعبادة وهم تركوها ولم يقتصروا على الترك بل عبدوا غيره وأتوا بالشرك فقال سبحان الذي خلق الأزواج كلها [illegible]
[illegible] وفيه مسائل
المسألة الأولى [illegible]
[illegible]
المسألة الثانية [illegible]
فيها المخلوقات فقوله مما تنبت الأرض يدخل فيها ما في الأرض من الأمور الظاهرة كالنبات والثمار وقوله ومن أنفسهم
يدخل فيها الدلائل النفسية وقوله ومما لا يعلمون يدخل فيها ما في أقطار السموات وتخوم الأرضين وهذا دليل على أنه
لم يذكر ذلك للتخصيص بدليل أن الأنعام مما خلقها الله والمعادن ولم يذكرها وإنما ذكر الأشياء لتأكيد معنى التعميم
كما ذكرنا في المثال **المسألة الثالثة** قوله ومما لا يعلمون فيه معنى لطيف وهو أنه تعالى إنما ذكر كون الكل مخلوقا لينزه
الله عن الشريك فإن المخلوق لا يصلح شريكا للخالق لكن التوحيد الحقيقي لا يحصل إلا بالاعتراف بأن لا إله إلا الله فقال تعالى
اعلموا أن المانع من الشريك فيما تعلمون ومما لا تعلمون لأن الخلق عام والمانع من الشركة الخلق فلا تشركوا بالله شيئا
مما تعلمون فإنكم تعلمون أنه مخلوق ومما لا تعلمون فإن ما عدا الله كله مخلوق لكونه كله ممكنا ثم قال تعالى وآية لهم الليل
نسلخ منه النهار لما استدل الله بأحوال الأرض وهي المكان الكلي استدل بالليل والنهار وهو الزمان الكلي فإن دلالة المكان
والزمان مناسبة لأن المكان لا تستغني عنه الجواهر والزمان لا تستغني عنه الأعراض لأن كل عرض فهو في زمان ومثله
مذكور في قوله تعالى ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ثم قال تعالى بعده ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا
أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت حيث استدل بالزمان والمكان هناك أيضا لكن المقصود هناك كان إثبات الوحدانية بدليل
قوله لا تسجدوا للشمس ثم الحشر بدليل قوله تعالى إن الذي أحياها لمحيي الموتى وههنا المقصود أولا إثبات الحشر
لأن السورة سورة ذكر فيها الحشر أكثر مما ذكر فيها غيره بدليل النظر في السورة وهناك ذكر التوحيد أكثر بدليل قوله تعالى فيه قل أئنكم
لتكفرون بالذي خلق الأرض إلى غيره وآخر السورتين يبين الأمر وفيه مسائل **المسألة الأولى** المكان يدفع عن أهل
السنة شبه الفلاسفة والزمان يدفع عنهم شبه المشبهة أما بيان الأول فلأن الفلسفي يقول لو كان عدم العالم
قبل وجوده لكان عند عدم العالم قبل وبعد لا يتحقق إلا بالزمان فقبل العالم زمان والزمان من جملة العالم فيلزم
وجود الشيء عند عدمه وهو محال فنقول لهم قد وافقتمونا على أن لا أمكنة متناهية بالاتفاق فإذن فوق السطح الأعلى من
العالم يكون عدم وهو موصوف بالفوقية وفوق وتحت لا يتحقق إلا بالمكان ففوق العالم مكان والمكان من العالم فيلزم وجود
الشيء عند عدمه فإن أجابوا بأن فوق السطح الأعلى لا خلاء ولا ملاء نقول قبل وجود العالم لا آن ولا زمان موجود أما بيان
الثاني فلأن المشبهي يقول لا يمكن وجود موجود إلا في مكان فالله في مكان فنقول لزمكم أن تقولوا الله في زمان لأن الوهم
كما لا يمكنه أن يقول هو موجود ولا مكان كذلك لا يمكنه أن يقول هو موجود ولا زمان وكل زماني فهو حادث وقد أجمعنا على أن الله قديم
المسألة الثانية لو قال قائل إذا كان المراد منه الاستدلال بالزمان فلم اختار الليل حيث قال وآية لهم الليل نقول
لما استدل بالمكان الذي هو المظلم وهو الأرض وقال وآية لهم الأرض استدل بالزمان الذي فيه الظلمة وهو الليل ووجه
آخر وهو أن الليل فيه سكون الناس وهدوء الأصوات وفيه النوم وهو كالموت ويكون بعده طلوع الشمس كالنفخ في الصور
فيتحرك الناس فذكر الموت كما قال في الأرض وآية لهم الأرض الميتة فذكر من الزمانين أشبههما بالموت كما ذكر من المكانين
أشبههما بالموت **المسألة الثالثة** ما معنى سلخ النهار من الليل نقول معناه نميزه منه يقال انسلخ النهار من الليل
إذا كان آخر النهار ودخل الليل وسلخه الله منه فانسلخ هو منه وأما إذا استعمل بغير كلمة من فقيل سلخت النهار أي
الشهر فمعناه دخلت في آخره فإن قيل فالليل في نفسه آية فأية حاجة إلى قوله نسلخ منه النهار نقول الشيء تتبين بضده منافعه

لان الفلسفي يقول لو كان عدم العالم قبل وجوده

آتى

ومحاسنه ولهذا لم يجعل الله تعالى الليل وحده آية في موضع من المواضع الا وذكر آية النهار معها • وقوله فاذا هم مظلمون
اي داخلون في الظلام • واذا للمفاجاة اي ليس بيدهم بعد ذلك امر ولا بد لهم من الدخول فيه • **وقوله تعالى**
والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم • يحتمل ان يكون الواو للعطف على الليل وآية لهم الليل نسلخ والشمس
تجري والقمر قدرناه فهي كلها آية • وقوله والشمس تجري اشارة الى سبب سلخ النهار فانها تجري لمستقر لها وهو وقت
الغروب فينسلخ النهار • وفائدة ذكر السبب هو ان الله لما قال نسلخ منه النهار كان غير بعيد من الجهال ان يقول قائل منهم
سلخ النهار ليس من الله انما ينسلخ النهار بغروب الشمس فقال تعالى والشمس تجري لمستقر لها بامر الله فمغرب الشمس سالخ النهار
فبذكر السبب تتبين صحة الدعوى • ويحتمل ان يقال بان قوله والشمس تجري لمستقر لها اشارة الى نعمة الله بعد الليل كانه
تعالى لما قال وآية لهم الليل نسلخ منه النهار • ذكر ان الشمس تجري فتطلع عند انقضاء الليل فيعود النهار بمنافعه • **وقوله**
لمستقر اللام يحتمل ان يكون للوقت كقوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن • ووجه استعمال
اللام للوقت هو ان اللام المكسورة في الاسماء لتحقيق معنى الاضافة لكن اضافة الفعل الى سببه احسن الاضافات
لان الاضافة لتعريف المضاف بالمضاف اليه كما في قوله دار زيد لكن يعرف بسببه فوجب ان يعرف بسببه فيقال اتجر للربح
واشتري للاكل • واذا علم ان اللام تستعمل للتعليل فنقول وقت الشيء يشبه سبب الشيء لان الوقت ياتي بالامر الكائن
فيه والامور متعلقة باوقاتها فيقال لخمس خلون من كذا واقم الصلاة لدلوك الشمس لان الوقت معرف كالسبب وعلى هذا
فمعناه تجري الشمس وقت استقرارها اي كلما استقرت زمانا امرت بالجري تجري • ويحتمل ان يكون بمعنى الى اي الى مستقر لها
وتقريره هو ان اللام تذكر للوقت وللوقت طرفان ابتداء وانتهاء • يقال سرت من يوم الجمعة الى يوم الخميس فجاز استعمال
ما يستعمل فيه في احد طرفيه لما بينهما من الاتصال • ويؤيد هذا قراءة من قرا والشمس تجري الى مستقرها • وعلى هذا
ففي ذلك المستقر وجوه • الاول يوم القيامة وعنده تستقر ولا يبقى لها حركة • الثاني السنة • الثالث الليل • اي تجري
الى الليل • الرابع ان ذلك المستقر ليس بالنسبة الى الزمان بل هو للمكان وحينئذ ففيه وجوه • الاول هو غاية
ارتفاعها في الصيف • وغاية انخفاضها في الشتاء اي تجري الى ان يبلغ ذلك الموضع فترجع • الثاني هو غاية مشارقها
فان لها في كل يوم مشرقا الى ستة اشهر ثم تعود على تلك المقنطرات • وهذا القول الذي تقدم في الارتفاع فان اختلاف
المشارق بسبب اختلاف الارتفاع • الثالث هو وصولها الى بيتها في الاسد • الرابع هو الدائرة التي عليها حركتها حيث لا تميل
عن منطقة البروج على مرور الشمس وسنذكره • ويحتمل ان يقال لمستقر لها اي تجري مجرى مستقرها • فان اصحاب
الهيئة قالوا الشمس في فلك والفلك يدور فيدير الشمس فالشمس تجري مجرى مستقرها • وقالت الفلاسفة تجري
لمستقرها اي لامر لو وجدها لاستقر وهو استخراج الاوضاع الممكنة وهو في غاية السقوط واجاب الله عنه
بقوله ذلك تقدير العزيز العليم اي ليس بارادتها وانما ذلك بارادة الله وتقديره وتسييره اياها وتدبيره • فان قيل
عددت الوجوه الكثيرة وما ذكرت المختار فما الوجه المختار عندك • نقول المختار هو ان المراد من المستقر المكان
اي تجري لبلوغ مستقرها وهو غاية الارتفاع والانخفاض فان ذلك يشمل المشارق والمغارب • والمتميز الذي لا يختلف
والزمان وهو السنة والليل فهو اتم فائدة • وقوله ذلك يحتمل ان يكون اشارة الى جري الشمس اي ذلك الجري تقدير الله
ويحتمل ان يكون اشارة الى المستقر اي لمستقرها ذلك المستقر تقدير الله والعزيز الغالب وهو بكمال القدرة يغلب
والعليم كامل العلم اي قدر على اجرائها على الوجه الانفع • وعلم الانفع فاجراها على ذلك • وبيانه من وجوه • الاول
هو ان الشمس في ستة اشهر في كل شهر تمر على مسامتة شيء لم تمر من امسها على تلك المسامتة • ولو قدر الله مرورها
على مسامتة واحدة لاحترقت الارض التي هي مسامتة لممرها وبقي الجمود مستوليا على الاماكن الاخر فقدر لها بعدا
لتجتمع الرطوبات في باطن الارض والاشجار في زمان الشتاء • ثم قدر قربها بتدريج ليخرج النبات والثمار من
الارض والشجر وينضج ويجف ثم يبعد لئلا تحرق وجه الارض واغصان الاشجار • الثاني هو ان الله قدر لها في
كل يوم طلوعا وفي كل يوم غروبا لئلا تكل القوى والابصار بالسهر والتعب ولا يخرب العالم بترك العمارة بسبب
الظلمة الدائمة • الثالث جعل سيرها ابطا من سير القمر واسرع من سير زحل لانها كاملة النور فلو كان بطيء
السير لدام زمانا كثيرا في مسامتة شيء واحد فيحرقه • ولو كان سريع السير لما حصل لها لبث بقدر ما ينضج
الثمار في بقعة واحدة • **ثم قال تعالى** والقمر قدرناه منازل اي جعلناه منازل قال الزمخشري لا بد من تقدير
لفظ يتم به معنى الكلام لان القمر لم يجعل نفسه منازل فالمعنى اذا قدرنا مسيره منازل • وعلى ما ذكره يحتمل ان يقال
المراد منه والقمر قدرناه ذا منازل لان ذا الشيء قريب من الشيء • ولهذا جاز قول القائل عيشة راضية لان ذا
الشيء كالقائم به الشيء فاتوا بلفظ الوصف • وقوله حتى عاد كالعرجون القديم اي رجع في الدقة الى حاله

التي كان عليها من قبل • والعرجون من الانعراج يقال لعود العذق عرجون • والقديم المتقادم الزمان • قيل ان ما عبر
عليه سنة فهو قديم • والصحيح ان مدة بعينها لا تشترط في جواز اطلاق القديم عليه وانما تعتبر العادة حتى لا يقال
لمدينة بنيت من سنة او سنتين انها بناء قديم • ويقال هذا نبات قديم وان لم يكن سنة • ولهذا جاز ان يقال
بيت قديم ونبات قديم • ولم يجز ان يقال في العالم انه قديم لان القدم في البيت والبناء يثبت بحكم تقادم العهد ومرور
السنين عليه • واطلاق القديم على العالم لا يعتاد الا عند من يعتقد انه لا اول له ولا سابق عليه • ثم قال تعالى لا الشمس
ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار اشارة الى ان كل شيء من الاشياء المذكورة خلقها على وفق الحكمة • فالشمس لم
يكن يصلح لها سرعة الحركة بحيث تدرك القمر والا لكان في شهر واحد صيف وشتاء فلا تدرك الثمار • وقوله ولا الليل
سابق النهار • قيل في تفسيره ان سلطان الليل وهو القمر ليس يسبق الشمس وهي سلطان النهار • وقيل معناه ولا الليل
سابق النهار اي الليل لا يدخل وقت النهار • والثاني بعيد لان ذلك يقع ايضاحا للواضح • والاول صحيح ان زيد به ما بينه
وهو ان معنى قوله تعالى ولا الليل سابق النهار ان القمر اذا كان على افق الشمس ايام الاستقبال تكون الشمس في مقابلته
على افق المغرب • ثم عند غروب الشمس يطلع القمر وعند طلوعها يغرب القمر كان لهما حركة واحدة مع ان الشمس
تتاخر عن القمر في كل ليلة بمقدار ظاهر في الحس فلو كان للقمر حركة واحدة بها يسبق الشمس ولا تدركه الشمس
وللشمس حركة واحدة بها تتاخر عن القمر ولا تدرك القمر لبقي القمر والشمس مدة مديدة في مكان واحد لان حركة الشمس
كل يوم درجة • فخلق الله تعالى في جميع الكواكب حركة اخرى غير حركة الشهر والسنة وهي الدورة اليومية وبهذه الدورة
لا يسبق كوكب كوكبا اصلا لان كل كوكب من الكواكب اذا طلع غرب مقابله وكلما تقدم كوكبا الى الموضع الذي فيه الكوكب الاخر
بالنسبة الينا تقدم ذلك الكوكب فبهذه الحركة لا تسبق القمر الشمس • فتبين ان سلطان الليل لا يسبق سلطان النهار
فالمراد من الليل القمر ومن النهار الشمس فقوله لا الشمس ينبغي لها اشارة الى حركتها البطيئة التي تتم الدور في سنة
وقوله ولا الليل سابق النهار اشارة الى حركتها اليومية التي بها تعود من المشرق الى المغرب مرة اخرى في يوم وليلة وعلى هذا ففيه مسائل

المسئلة الاولى ما الحكمة في اطلاق الليل وارادة سلطانه وهو القمر وماذا يكون لو قال ولا القمر سابق الشمس
نقول لو قال ولا القمر سابق الشمس ما كان يفهم ان الاشارة الى الحركة اليومية فكان يتوهم التناقض فان الشمس اذا كانت
لا تدرك القمر فالقمر اسرع ظاهرا واذا قال ولا القمر سابق فيظن ان القمر لا يسبق فليس باسرع فقال الليل والنهار
ليعلم ان الاشارة الى الحركة التي تتم بها الدورة في مدة يوم وليلة ويكون لجميع الكواكب ولاجلها طلوع وغروب في الليل والنهار

المسئلة الثانية ما الفائدة في قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر بصيغة الفعل • وقوله ولا الليل
سابق النهار بصيغة اسم الفاعل • وقوله ولا الليل سابق النهار بصيغة اسم الفاعل ولم يقل ولا الليل يسبق ولا قال ولا
قال ولا الشمس مدركة القمر • نقول الحركة الاولى التي للشمس ولا تدرك بها القمر مختصة بالشمس فجعلها كالصادرة منها
وذكر بصيغة الفعل لان صيغة الفعل لا تطلق على من لا يصدر منه الفعل فلا يقال هو يخيط ولا يكون يصدر منه الخياطة والحركة
الثانية ليست مختصة بكوكب من الكواكب بل الكل فيها مشتركة بسبب حركة فلك ليس ذلك فلكا لكوكب من الكواكب فالحركة
ليست كالصادرة منه فاطلق اسم الفاعل لانه لا يستلزم صدور الفعل يقال فلان خياط وان لم يكن يخيط • فان قيل
قوله تعالى يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا يدل على خلاف ما ذكرتم لان النهار اذا كان يطلب الليل فالليل سابقه وقلتم
قوله ولا الليل سابق النهار معناه ما ذكرتم فيكون الليل سابقا ولا يكون سابقا • نقول قد ذكرنا ان المراد من الليل
ههنا سلطان الليل وهو القمر وهو لا يسبق الشمس بالحركة اليومية السريعة • والمراد من الليل هناك نفس الليل
وكل واحد لما كان في عقب الاخر فكانه طالبه • فان قيل فقد ذكرها ههنا سابق النهار وقال هناك يطلبه ولم يقل طالبه
نقول ذلك لما بينا من ان المراد في هذه السورة من الليل كواكب الليل وهي في هذه الحركة كانها لا حركة لها فلا تسبق ولا من
شانها انها سابقة • والمراد هناك نفس الليل والنهار وهما زمانان • والزمان لا قرار له فهو يطلب حثيثا الصدور
المنقضي منه • وقوله تعالى وكل في فلك يسبحون يحقق ما ذكرنا اي للكل طلوع وغروب في يوم وليلة لا يسبق بعضها
بعضها بالنسبة الى هذه الحركة ولكل حركة في فلك مختصة • وفيه مسائل **المسئلة الاولى** التنوين في قوله كل عوض
عن الاضافة معناه كل واحد • واسقاط التنوين للاضافة حتى لا يجتمع التعريف والتنكير في شيء واحد • فلما اسقط
المضاف اليه لفظا رد التنوين عليه لفظا • وفي المعنى معرف بالاضافة • فان قيل فهل يختلف الامر عند الاضافة لفظا
وتركها فنقول نعم وذلك لان قول القائل كل واحد من الناس كذا لا يذهب الفهم الى غيرهم • فيفيد اقتصار الفهم
عليه فاذا قال كل كذا يدخل في الفهم عموم اكثر من العموم عند الاضافة • وهذا كما في قبل وبعد اذا قلنا فعل قبل
كذا فاذا حذفنا المضاف وقلنا فعل قبل افاد فهم الفعل قبل كل شيء • فان قيل فهل بين قولنا كل منهم وبين قولنا كلهم وبين

ما الفائدة في قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر
بصيغة الفعل

كل فرق • نقول نعم عند قولك كلهم يثبت الامر للاقتصار عليهم وعند قولك كل منهم يثبت الامر اولا للعموم ثم استدركت
بالتخصيص فقلت منهم • وعند قولك كل يثبت الامر على العموم ويتركه عليه **المسئلة الثانية** اذا كان كل بمعنى
كل واحد منهم • والمذكور الشمس والقمر فكيف قال يسبحون نقول الجواب عنه من وجوه • احدها ما بينا ان قوله
كل للعموم • فكانه اخبر عن كل كوكب في السماء سيار • ثانيها ان لفظ كل يجوز ان يوحد نظرا الى كونه لفظا
موحدا غير مثنى ولا مجموع • ويجوز ان يجمع لكون معناه جمعا • واما التثنية فلا يدل عليه اللفظ ولا المعنى
فعلى هذا احسن ان يقول القايل زيد وعمرو كل جاء او كل جاءوا ولا يقول كل جاءا بالتثنية • ثالثها لما قال ولا الليل
سابق والمراد ما في الليل من الكواكب قال يسبحون **المسئلة الثالثة** الفلك ماذا • نقول الجسم المستدير
او الدايرة لان اهل اللغة اتفقوا على ان فلكة المغزل سميت فلكة لاستدارتها وفلكة الخيمة هي الخشبة المسطحة
المستديرة التي توضع على راس العمود لئلا يمزق العمود الخيمة وهي صفحة مستديرة • فان قيل فعلى هذا تكون
السما مستديرة • وقد اتفق اكثر المفسرين على ان السما مبسوطة لها اطراف على جبال وهي كالسقف المستوي ويدل
عليه قوله تعالى والسقف المرفوع • نقول ليس في النصوص ما يدل دلالة قاطعة على كون السماء مبسوطة غير
مستديرة وقد دل الدليل الحسي على كونها مستديرة فوجب المصير اليه • اما الاول فظاهر لان السقف المقبب
لا يخرج عن كونه سقفا • وكذلك كونها على جبال • واما الدليل الحسي فوجوه • احدها ان من امعن في السير
في جانب الجنوب يظهر كوكب مثل سهيل وغيره ظهورا ابديا حتى ان من يرصد يراه دايما ويخفى عليه بنات نعش
وغيرها خفا ابديا • ولو كان السما مسطحا مستويا لبان الكل للكل بخلاف ما اذا كان مستديرا فان بعضه حينئذ
يستتر باطراف الارض فلا يرى • الثاني هو ان الشمس اذا كانت مقارنة للحمل مثلا فاذا غربت ظهر لنا كواكب في
منطقة البروج من الحمل الى الميزان • ثم في كل قليل يستتر الكوكب الذي كان غروبه بعد غروب الشمس ويظهر الكوكب
الذي كان طلوعه بعد طلوع الشمس وبالعكس وهو دليل ظاهر وان بحث فيه يصير قطعيا • الثالث هو ان الشمس
قبل طلوعها وبعد غروبها يظهر ضوؤها ويستنير الجو بعض الاستنارة ثم تطلع • ولولا ان بعض السما مستتر بالارض
وهو محل الشمس فلا يرى جرمها وينتشر نورها والا لما كان كذا بل كان عند اعادتها الى السماء • وظهر لكل احد جرمها
ونورها معا لكون السما مستوية حينئذ مكشوفة لكل احد • الرابع القمر اذا انكسف في ساعة من الليل في جانب
الشرق • ثم سئل اهل الغرب عن وقت الكسوف اخبروا عن الكسوف في ساعة اخرى قبل تلك الساعة التي راى اهل
الشرق فيها الكسوف لكن الكسوف في وقت واحد في جميع نواحي العالم • والليل مختلف فدل على ان الليل في جانب الشرق
قبل الليل في جانب المغرب • فالشمس غربت من عند اهل الشرق وهي بعد في السما طالعة لاهل الغرب • فعلم ان
استتارها بالارض • ولو كانت مستوية لما كان كذلك • الخامس لو كانت السما مستوية لكان القمر عندما يكون فوق
رؤسنا على المسامتة اقرب الينا • وعندما يكون على الافق ابعد منا لان العمود اقصر من القطر والوتر • وكذلك
في الشمس والكواكب • وكان يجب ان يرى اكبر لان القريب يرى اكبر وليس كذلك • فان قيل جاز ان يكون وهو على الافق
على سطح السماء • وعندما يكون على مسامتة رؤسنا في ثخن السما غايرا فيها لان الخرق جائز على السما • نقول لا ننازع
في جواز الخرق لكن القمر حينئذ تكون حركته في دايرة لا على خط مستقيم وهو غرضنا ولانا نقول لو كان كذلك لكان القمر
عند اهل الشرق وهو في منتصف نهارهم اكثر مقدارا لكونه قريبا من رؤسهم ضرورة فرضه على سطح السما الادنى
وعندنا في ثخن السما والجملة الكلام كثيرة • والاكثر من ذلك [illegible] بيان ذلك العالم وليس الغرض
في المقصود [illegible] **المسئلة الرابعة** هذا
يدل على ان لكل كوكب فلكا فما قولك فيه • نقول اما السبعة السيارة فلكل فلك • واما الكواكب الاخر ففيل الكل فلك
واحد • ولذكر [illegible]
[illegible]
ان القمر فلكه [illegible] الباقية • وذلك لكل فلك كوكب اختلاف سيرها في السرعة
والبطؤ والقمر • فان بعضها يمر في دايرة • وبعضها يمر في دايرة اخرى حتى ان في بعض الاوقات يمر بعضها
ببعض ولا يكسفه • وفي بعض الاوقات يكسفه فلكل كوكب فلك • ثم ان اهل الهيئة قالوا فلك القمر فلك هو
هو جسم كذا وذلك غير لازم بل اللازم ان نقول لكل فلك حركة او صفحة او دايرة يتقلها الكوكب بحركته والله تعالى
قادر على ان يخلق الكوكب كيف يكون وجوده فيه كوجود دسمكة في الماء [illegible] ويدور كرة فيدور الكوكب
بدوران الكوكب • وعلى مذهب ارباب الهيئة حركة الكواكب السيارة على هذا الوجه • وكذا ان قادرا على ان يخلق
خلقه يحيط بها اربع سطوح متوازية بها فانها اربع دواير متوازية تحجز الحيز اذا قورنا واخرجنا من وسطها حاجزا

من طواجن اليد

من طواجن اليد وبقي منه حلقة تحيط بها سطوح ودواير كما ذكرنا فيكون الكواكب فيه فهو فلكه فتدور تلك الحلقة وتدور
الكواكب في الحركة على هذا الوجه وان كانت مقدورة لكن لم يذهب اليه احد ممن يعتبر ولذلك هو قادر على ان يجعل الكوكب
بحيث يشق السما فيجعل دايرة متوهمة كما لو فرضت سمكة في الما على وجه وتنزل من جانب وتصعد الى موضع من الجانب الاخر
على اشدا وهذا هو المفهوم من قوله تعالى كل في فلك يسبحون • والظاهر ان حركة الكوكب على هذا الوجه • وارباب
الهيئة انكروا ذلك • وقالوا لا يجوز الحركة على هذا الوجه لان الكوكب له جرم فاذا شق السما وتحرك فاما ان يكون موضع دورانه
ينشق ويلتيم كالما تحركه السمكة • او لا ينشق ولا يلتيم بل هناك خلا يدور الكوكب فيه لكن الخلا محال والسما لا تقبل الشق والالتيام
هذا ما اعتمدوا عليه ونحن نقول كلاهما جائز • اما الخلا فلا يحتاج اليه ها هنا لان قوله تعالى يسبحون يفهم منه انه تشق وتلتيم
واما امتناع الشق والالتيام فلا دليل لهم عليه • وشبهتهم في المحدد للجهات وهي هناك ضعيفة ثم انهم قالوا على ما بينا
يخرج الحركات وبه علمنا الكسوفات ولو كان لها حركات مختلفة لما وجب الكسوف في الوقت الذي يحكم فيه بالكسوف والخسوف
وذلك لانا نقول للشمس فلكان • احدهما مركزه مركز العالم • وثانيهما مركزه فوق مركز العالم وهو مثل بياض البيض
بين صفرته وبين البيض والشمس كرة في الفلك الخارج المركز تدور بدورانه في السنة دورة فاذا حصلت في الجانب الاعلى
تكون بعيدة عن الارض فيقال انها في الاوج • واذا حصلت في الجانب الاسفل تكون قريبة من الارض فتكون في الحضيض
واما القمر فله فلك شامل لجميع اجزا مداره وافلاكه وفلك اخر هو بعض من الفلك الاول محيط به كالقشرة الفوقانية من
البصلة • وفلك ثالث في الفلك التحتاني كما كان الفلك الخارج المركز في فلك الشمس • وفي الفلك الخارج المركز كرة
مثل جرم الشمس وفي الكرة القمر مركوز كمسمار في كرة مغرق فيها • وتسمى الفلك الفوقاني فلك الجوزهر والخارج المركز
الفلك الحامل والفلك التحتاني الذي فيه الفلك الحامل الفلك المايل والكرة التي في الحامل تسمى فلك التدوير • وكذلك
قالوا في الكواكب الخمسة الباقية من السيارات غير ان الفلك الفوقاني الذي يسمونه الجوزهر لم يثبتوا لها فاثبتوا اربعة
وعشرين فلكا الاعلى وفلك البروج • وللزحل ثلاثة افلاك الممثل والحامل وفلك التدوير • وللمشتري ثلاثة كما للزحل
وللمريخ كذلك ثلاثة • وللشمس فلكان الممثل والخارج المركز • وللزهرة ثلاثة افلاك كما للعلويات • ولعطارد
اربعة افلاك • الثلاثة التي ذكرنا في العلويات وفلك اخر يسمونه المدير • وللقمر اربعة افلاك والرابع يسمونه فلك
الجوزهر • والمدير ليس كالجوزهر لان المدير غير محيط بافلاك عطارد وفلك الجوزهر محيط • ومنهم من زاد في الخمسة
في كل فلك فلكين اخرين وجعل مدارا لها مركبة من ثلاثة افلاك وقالوا بسبب هذه الاجرام تختلف حركات
الكواكب وتكون لها عروض ورجوع واستقامة وبطء وسرعة هذا كلامهم على سبيل الاقتصاص والاقتصار
ونحن نقول لا يبعد من قدرة الله خلق مثل ذلك • واما على سبيل الوجوب فلا نسلم ورجوعها واستقامتها
بارادة الله • وكذلك عرضها وطولها وبطوها وسرعتها • وقربها وبعدها هذا تمام الكلام **المسئلة الخامسة**
قال المنجمون الكواكب احيا بدليل انه تعالى قال يسبحون • وذلك لا يطلق الا على العاقل نقول ان اردتم القدر
الذي يصح منها التسبيح فنقول به لان ما من شي الا وهو يسبح بحمد الله • وان اردتم شيا اخر فلم يثبت ذلك فان الاستعمال
لا يدل كما في قوله تعالى في حق الاصنام ما لكم لا تنطقون • وقوله الا تاكلون **ثم قال تعالى** وآية لهم انا حملنا ذريتهم
في الفلك المشحون • ولها مناسبة مع ما تقدم من وجهين • احدهما انه تعالى لما بين احيا الارض وهي مكان الحيوانات
بين انه لم يقتصر بل جعل للانسان طريقا يتخذ من البحر او يتوسطها ويسير فيها كما يسير في البر وهذا حينئذ كقوله تعالى
وحملناهم في البر والبحر • ويؤيد هذا قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون اذا فسرناه بان المراد الابل فانها
كسفن البراري • وثانيهما هو انه تعالى لما بين سباحة الكواكب في الافلاك ذكر ما هو مثله وهو سباحة الفلك في البحار
ولها وجه ثالث وهو ان الامور التي انعم الله بها على عباده • منها ضرورية • ومنها نافعة • والاولى للحاجة • والثاني
للزينة • فخلق الارض واحياؤها من القبيل الاول فانها المكان الذي لولاه لما وجد الانسان ولولا احياؤها لما عاش • والليل
والنهار في قوله وآية لهم الليل ايضا من القبيل الاول لانه الزمان الذي لولاه لما حدث الانسان • والشمس والقمر وحركتهما
لو لم تكن لما عاش • ثم انه تعالى لما ذكر من القبيل الاول شيئين ذكر من القبيل الثاني وهو الزينة اثنين • احدهما الفلك التي
تجري في البحر فتستخرج من البحر ما يتزين به كما قال تعالى ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها • وترى الفلك
مواخر • وثانيهما الدواب التي في البر كالفلك في البحر في قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون • فان الدواب زينة كما قال
تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة • وقال لكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون فيكون التسديد لا لا علم
بالضروري والنافع • لا يقال بان النافع ذكره في قوله جنات من نخيل واعناب فانها للزينة لانا نقول ذلك حصل
تبعة للضروري لان الله تعالى لما خلق الارض مبنية لدفع الضرورة وانزل الما عليها لذلك لزم ان يخرج من الجنة النخيل

ونحن نقول لا يبعد من قدرة الله ان يخلق مثل ذلك

المسئلة الخامسة

والاغتناء بتقدير الله • واما الفلك فمقصود كلامه • ثم اذا علمت المناسبة ففى الآية ابحاث لغوية ومعنوية • اما اللغوية
قال المفسرون [illegible] حملنا آباءكم في الفلك • والالف واللام للتعريف فالفلك فلك نوح وهو معهود [illegible]
الفلك ومعلوم عند العرب [illegible] • واما الاكثرون فعلى ان الذرية [illegible]
فلا بد من بيان المعنى • فنقول الفلك اما ان يكون المراد منه الفلك المعين الذى كان لنوح • واما ان يكون المراد الجنس
[illegible] وترى الفلك فيه مواخر • وقال تعالى فاذا
ركبوا في الفلك [illegible]
الاول ان المراد [illegible] حملنا [illegible] في الفلك ولولا ذلك لما بقى للادمى نسل ولا عقب • وعلى هذا فقوله
حملنا ذرياتهم اشارة الى كمال النعمة اى لم تكن النعمة مقتصرة عليكم بل متعدية الى اعقابكم الى يوم
القيامة هذا ما قاله الزمخشرى • ويحتمل عندى ان يقال على هذا انه تعالى انما خص الذريات بالذكر لان الموجودين كانوا
كفارا لا فائدة في وجودهم فقال حملنا ذرياتهم ولم يقل حملناهم [illegible]
صندوقا لا قيمة له وفيه جواهر [illegible]
وانما احمل ما فيه • الثانى ان المراد بالذرية الجنس [illegible]
تطلق على الجنس [illegible] النساء [illegible]
[illegible]
[illegible] • الثالث هو ان الضمير في قوله وآية لهم عائد الى العباد [illegible]
[illegible] وقال وآية لهم الليل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فاما جنس الفلك فانه ظاهر لكل احد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] المسئلة الثانية
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
واما المعنوية فقد ذكرناها في مسائل المسئلة الاولى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وههنا اراد بيان المنافع فقال حملنا ذرياتهم [illegible]

على هذا

على هذا انه ههنا قال في الفلك المشحون فان امتلاء الفلك من الاموال يحصل بذكره بيان المنفعة • واما دفع المضرة فلان
الفلك كلما كان اثقل كان الخلاص به ابطأ وهنالك السلامة فاختار ههنا ما يدل على الخلاص من الضرر وهو الجرى • وههنا
ما يدل على كمال المنفعة وهو الشحن • فان قيل قال تعالى وحملناكم في البر والبحر ولم يقل وحملنا ذرياتكم مع ان المقصود في
الموضعين بيان النعمة لا دفع النقمة • نقول لما قال في البر والبحر عمم الخلق لان ما من احد الا وحمل في البر والبحر • واما
الحمل في البحر فلم يعم فقال انكم ان ما حملناكم بانفسكم فقد حملنا من يهمكم امره من الاولاد والاخوان والاصدقاء المسئلة الثانية
قوله المشحون يفيد فائدة اخرى غير ما ذكرنا وهى ان الادمى يرسب في الماء ويغرق فحمله في الفلك واقع بقدرته لكن من الطبيعيين
من يقول الخفيف لا يرسب في الماء لان الخفيف يطلب جهة فوق فقال الفلك المشحون اثقل من الثقال التى ترسب • ومع
هذا حمل الله الانسان مع ثقله فان قلت ذلك لامتناع الخلاء نقول قد ذكرنا الدلائل الدالة على جواز الخلاء في الكتب العقلية
فاذن ليس حفظ الثقيل فوق الماء الا بارادة الله تعالى المسئلة الثالثة قال تعالى وآية لهم الارض وآية لهم الليل
ولم يقل وآية لهم الفلك جعلناها بحيث تحملهم وذلك لان حملهم في الفلك هو العجب • اما نفس الفلك فليس بعجب لانه كبيت
مبنى من خشب • واما نفس الارض عجب • ونفس الليل عجب لا قدرة عليهما لاحد الا لله • ثم قال تعالى وخلقنا لهم من مثله
ما يركبون • وفيه مسائل المسئلة الاولى من حيث اللغة • والمعنى اما اللغة فقوله لهم يحتمل ان يكون عائدا الى الذرية
اى حملنا ذرياتهم وخلقنا للمحمولين ما يركبون • ويحتمل ان يكون عائدا الى العباد الذين عاد اليهم قوله وآية لهم وهو الحق لان الظاهر
عود الضمائر الى شئ واحد المسئلة الثانية من يحتمل وجهين • احدهما ان يكون صلة تقديره خلقنا لهم مثله • وهذا
على راى الاخفش وسيبويه • يقول من صلة لا تكون الا عند النفى تقول ما جاءنى من احد كما في قوله تعالى وما مسنا من لغوب
وما مسنا من لغوب • وثانيهما هى مبينة كما في قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم كانه لما قال خلقنا لكم • والمخلوق كان اشياء
قال من مثل الفلك للبيان المسئلة الثالثة الضمير في مثله على قول الاكثرين عائد الى الفلك فيكون هذا كقوله تعالى
وآخر من شكله ازواج • وعلى هذا فالاظهر ان يكون المراد الفلك الاخر الموجودة في زمانهم • ويؤيد هذا هو انه تعالى
قال وان نشأ نغرقهم • ولو كان المراد الابل على ما قاله بعض المفسرين لكان قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فاصلا
بين متصلين • ويحتمل ان يقال الضمير عائد الى معلوم غير مذكور تقديره ان يقال وخلقنا لهم من مثل ما ذكرنا من المخلوقات
في قوله خلق الازواج كلها مما تنبت الارض • وهذا كما قالوه في قوله تعالى ليأكلوا من ثمره ان الهاء عائدة الى ما ذكرنا اى من
ثمر ما ذكرنا • وعلى هذا فقوله خلقنا لهم فيه لطيفة وهى ان ما من احد الا وله ركوب ومركوب من الدواب • وليس كل احد
يركب الفلك فقال في الفلك حملنا ذرياتهم وان كان ما حملناهم • واما الخلق فلهم عام وما يركبون فيه وجهان • احدهما
هو الفلك الذى مثل فلك نوح • وثانيهما هو الابل التى هى سفن البر • فان قيل ان كان المراد سفينة نوح فما وجه مناسبة
الكلام • نقول ذكرهم بحال قوم نوح • وان المكذبين هلكوا والمؤمنين فازوا فكذلك ان آمنوا يفوزوا وان كذبوا يهلكوا
ثم قال تعالى وان نشأ نغرقهم اشارة الى فائدتين • احديهما ان في حال النعمة ينبغى ان لا يأمنوا عذاب الله • وثانيهما
هى انه لك جواب سؤال مقدر وهو ان الطبيعى يقول السفينة تحمل بمقتضى الطبيعة والمجوف لا يرسب فقال ليس كذلك
بل لو شاء اغرقهم وليس ذلك بمقتضى الطبع • ولو صح كلامه الفاسد لكان لقائل ان يقول الست وافقت ان من السفن
ما ينقلب وينكسر • ومنه ما ينقبه ثاقب فيرسب وكل ذلك بمشيئة الله • فان شاء الله اغرقهم من غير شئ من هذه
الاسباب كما هو مذهب اهل السنة او بشئ من تلك الاسباب كما تسلم انت وقوله فلا صريخ لهم اى لا مغيث لهم يمنع عنهم
الغرق • ولا هم ينقذون اذا ادركهم الغرق • وذلك لان الخلاص من العذاب اما ان يدفع العذاب من اصله او يرفعه
بعد وقوعه فقال لا صريخ لهم يدفع ولا هم ينقذون بعد الوقوع فيه • وهذا مثل قوله تعالى لا تغن عنى شفاعتهم شيئا
ولا ينقذون • وقوله لا صريخ لهم ولا هم ينقذون • فيه فائدة اخرى غير الحصر وهى انه تعالى قال لا صريخ لهم
ولم يقل ولا منقذ لهم وذلك لان من لا يكون من شانه ان ينصر لا يشرع في النصرة مخافة ان يغلب ويذهب ماء وجهه • وانما
ينصر ويغيث من يكون شانه ان يغيث فقال لا صريخ لهم • واما من لا يكون من شانه ان ينقذ اذا راى من يعز عليه في ضر يشرع
في الانقاذ وان لم يثق بنفسه في الانقاذ ولا يغلب على ظنه • وانما يبذل المجهود فقال ولا هم ينقذون ولم يقل ولا منقذ لهم
بل استثنى وقال الا رحمة منا ومتاعا الى حين وهو يفيد امرين • احدهما انقسام الانقاذ الى قسمين الرحمة والمتاع
اى فيمن علم منه انه يؤمن فينقذه الله رحمة • وفيمن علم الله انه لا يؤمن فليتمتع زمانا ويزداد اثما • وثانيهما انه بيان لكون الانقاذ
غير مفيد الدوام بل الزوال في الدنيا لا بد منه فينقذه الله رحمة فيمتعه الى حين ثم يميته فالزوال لازم ان يقع • ثم قال تعالى
واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون • وجه تعلق الآية بما قبلها هو ان الله تعالى لما عد الآيات
بقوله وآية لهم الارض • وآية لهم الليل • وآية لهم انا حملنا ذريتهم • فكانت الآيات تفيد اليقين وتوجب القطع بما قال

والمكذبين هلكوا والمؤمنين فازوا ان آمنوا [illegible]

ولم يفدهم اليقين قال فلا اقل من ان يحترزوا عن العذاب فان من اخبر بوقوع عذاب يتقيه وان لم يقطع بصدق قول
المخبر احتياطا فقال تعالى اذا ذكر لهم الدليل القاطع لا يعترفون به واذا قيل لهم اتقوا لا يتقون فهم في غاية الجهل ونهاية الغفلة
لا مثل العلماء الذين يتبعون البرهان ولا مثل العامة الذين يبنون الامر على الاحوط ويدل على ما ذكرنا قوله تعالى لعلكم ترحمون
حرف للتمني اي في ظنكم فان من يخفى عليه وجه البرهان لا يترك طريقة الاحتراز والاحتياط وجواب قوله واذا قيل
لهم اتقوا محذوف معناه واذا قيل لهم ذلك لا يتقون ويعرضون وانما حذف لدلالة ما بعده عليه وهو قوله
وما تأتيهم من آية من آيات ربهم وفي قوله تعالى ما بين ايديكم وما خلفكم وجوه احدها ما بين ايديكم الآخرة فانهم
مستقبلون لها وما خلفكم الدنيا فانهم تاركون لها وثانيها ما بين ايديكم من انواع العذاب مثل الغرق
والحرق وغيرهما المدلول عليه بقوله تعالى وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم وما خلفكم من الموت الطالب لكم
ان نجوتم من هذه الاشياء فلا نجاة لكم منه يدل عليه قوله تعالى ومتاعا الى حين وثالثها ما بين ايديكم من امر محمد
عليه الصلاة والسلام فانه حاضر عندهم وما خلفكم من امر الحشر فانكم اذا اتقيتم تكذيب محمد عليه الصلاة والسلام
والتكذيب بالحشر رحمكم الله وقوله تعالى لعلكم ترحمون مع ان الرحمة واجبة وجوه ذكرناها مرارا ونزيدها ههنا
وجها آخر وهو انه تعالى لما قال اتقوا بمعنى انكم لم تقطعوا بنا على البراهين فاتقوا احتياطا قال لعلكم ترحمون
يعني ارباب اليقين ترحمون جزما وارباب الاحتياط ترجى ان ترحموا والحق ما ذكرنا من وجهين احدهما اتقوا ان
الرحمة فان الله لا يجب عليه شيء وثانيهما هو ان الاتقاء نظرا اليه امر يفيد الظن بالرحمة فان كان يقطع به احد
لامر من خارج فذلك لا يمنع الرجاء فان الملك اذا كان في قلبه ان يعطي من يخدمه اكثر من اجرته اضعافا مضاعفة لكن
الخدمة لا تقتضي ذلك يصح منه ان يقول افعل كذا ولا يبعد ان يصل اليك اكثر من اجرتك ثم قال تعالى وما تأتيهم من آية
من آيات ربهم وهذا متعلق بما تقدم من قوله تعالى يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن
وما يأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين يعني اذا جاءتهم الرسل كذبوهم فاذا اتوا بالآيات اعرضوا عنها
وما التفتوا اليها وقوله اولم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون الى قوله لعلكم ترحمون كلام بين كلامين متصلين ويحتمل
ان يقال هو متصل بما قبله من الآية وبيانه هو انه تعالى لما قال واذا قيل لهم اتقوا وكان فيه تقديرا اعرضوا قال ليس
اعراضهم مقتصرا على ذلك بل هم عن كل آية معرضون او نقول اذا قيل لهم اتقوا اقترحوا آيات مثل انزال الملك
وغيره فقال وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين وعلى هذا كانوا في المعنى يكون زائدا معناه
لا يعرضون عنها اي لا تنفعهم الآيات ومن كذب بالبعض هان عليه التكذيب بالكل وقوله تعالى واذا قيل لهم
انفقوا مما رزقكم الله اشارة الى انهم يخلون بجميع ما على المكلف وذلك لان المكلف عليه التعظيم لجانب الله والشفقة
على خلق الله وهم تركوا التعظيم حيث قيل لهم اتقوا ولم يتقوا وتركوا الشفقة على خلق الله حيث قيل لهم انفقوا فلم
ينفقوا وفيه لطائف الاولى خوطبوا بادنى الدرجات في التعظيم والشفقة فلم يأتوا بشيء منه وعباد الله
المخلصون خوطبوا بالادنى فأتوا بالاعلى انما قلنا ذلك لانهم في التقوى امروا بان يتقوا ما بين ايديهم من العذاب او الآخرة
وما خلفهم من الموت او العذاب وهو ادنى ما يكون من الاتقاء واما الخاص فيتقي تغير قلب الملك عليه وان لم يعاقبه ومتقي
العذاب لا يكون الا البعيد فهم لم يتقوا معصية الله ولم يتقوا عذاب الله واجتنبوا المخالفة سواء كان يعاقبهم
عليه او لا يعاقبهم واما في الشفقة فقيل لهم انفقوا مما اي بعض ما هو لله في ايديكم فلم ينفقوا والمخلصون آثروا
على انفسهم وبذلوا كل ما في ايديهم بل انفسهم صرفوها الى نفع عباد الله ودفع الضرر عنهم الثانية كما ان جانب التعظيم
ما كان فائدة التعظيم راجعة الا اليهم فان الله مستغن عن تعظيمهم كذلك في جانب الشفقة ما كان فائدة الشفقة راجعة
الا اليهم فان من لا رزق له المتمول لا يموت الا باجله ولا بد من وصول رزقه اليه لكن السعيد من قدر الله ايصال الرزق على يده الى
غيره الثالثة قوله مما رزقكم اشارة الى امرين احدهما الى ان البخل به في غاية القبح فان اعلى البخلاء من يبخل بمال الغير
وثانيهما انه لا ينبغي ان يمنعكم من الانفاق مخافة الفقر فان الله رزقكم فاذا انفقتم فهو يخلفه لكم ثانيا كما رزقكم اولا وفيه مسائل
ايضا المسألة الاولى عند قوله واذا قيل لهم انفقوا حذف الجواب وههنا اجاب واتى باكثر من الجواب
وذلك لانه تعالى لو قال واذا قيل لهم انفقوا قالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه لكان كافيا فما الفائدة في قوله تعالى قال
الذين كفروا للذين آمنوا نقول كانوا يقولون بان الاطعام من الصفات الحميدة وكانوا يفتخرون به وانما ارادوا قول
ذلك القول ردا على المؤمنين فقالوا نحن نطعم الضيوف معتقدين بان تعالى آتانا ولولا اطعامنا لما اندفع حاجة
الضيف وانتم تقولون ان الهكم يرزق من يشاء فلم تقولون لنا انفقوا فلما كان غرضهم الرد على المؤمنين لا الامتناع
من الاطعام قال تعالى عنهم قال الذين كفروا للذين آمنوا اشارة الى الرد واما في قوله اتقوا ما بين ايديكم فلم يكن لهم رد على

المؤمن فاعرضوا واعرض الله عن ذكر اعراضهم لحصول العلم به **المسألة الثانية** ما الفائدة في تغيير اللفظ في جوابهم
حيث لم يقولوا اينفق على من لو يشاء الله رزقه وذلك لانهم امروا بالانفاق في قوله واذا قيل لهم انفقوا فكان جوابهم
ان يقولوا انتفق فلم قالوا انطعم نقول فيه بيان غاية مخالفتهم وذلك لانهم اذا امروا بالانفاق والانفاق يدخل
فيه الاطعام وغيره لم يأتوا بالانفاق ولا باقل منه وهو الاطعام وقالوا لا نطعم وهذا كما قال القائل لغيره اعط زيدا
دينارا يقول لا اعطيه درهما مع ان المطابق هو ان يقول لا اعطيه دينارا ولكن المبالغة في هذا الوجه اتم فكذا ههنا
المسألة الثالثة كان كلامهم حقا فان الله لو شاء اطعمه فلماذا ذكره في معرض الذم نقول لان مرادهم كان
الانكار لقدرة الله وكلامهم فاسد بين الله ذلك في قوله مما رزقكم فانه يدل على قدرته ونصح امره بالاعطاء لان من كان
له في يد الغير مال وله في خزانته مال فهو مخير ان اراد اعطى مما في خزانته وان اراد امر من عنده المال بالاعطاء ولا يجوز
ان يقول من بيده ما له في خزانتك مال اكثر مما في يدي اعطه منه وقوله ان انتم الا في ضلال مبين اشارة الى اعتقادهم
انهم قطعوا المؤمنين بهذا الكلام وان امرهم بالانفاق مع قولهم بقدرة الله ظاهر الفساد واعتقادهم هو الفساد
وفيه مباحث لغوية ومعنوية اما اللغوية فنقول ان ان وردت للنفي بمعنى ما وكان الاصل في ان ان يكون للشرط
والاصل في ما ان يكون للنفي لكنهما لما اشتركا من بعض الوجوه تعارضا واستعمل ما في الشرط واستعمل
ان في النفي اما المشترك فهو ان كل واحد حرف مركب من حرفين متقاربين فان الهمزة تقرب من الالف والميم
من النون ولا بد من ان يكون المعنى الذي يدخل عليه ما وان لا يكون ثابتا اما في ما فظاهر واما في ان فلانك اذا قلت
ان جاءني زيد اكرمه ينبغي ان لا يكون له في الحال مجيء فاستعمل ان مكان ما وقيل ان زيد قائم اي ما زيد بقائم واستعمل ما في الشرط
تقول ما تصنع اصنع والذي يدل على ما ذكرنا ان ما النافية تستعمل حيث لا تستعمل ان وذلك لانا نقول ما ان جلس زيد
فنجعل ان صلة ولا نقول ان ما جلس زيد بمعنى النفي ومعنى الشرط تقول اما ترين فنجعل ان اصلا وما صلة فدلنا هذا على
ان ان في الشرط اصل وما داخل وما في النفي بالعكس البحث الثاني قد ذكرنا ان قوله ان انتم الا يفيد ما لا يفيد قوله انتم في
ضلال لانه يوجب الحصر وانهم ليسوا في غير الضلال البحث الثالث وصف الضلال بالمبين قد ذكرنا معناه انه لظهوره تبين
نفسه انه ضلال اي في ضلال لا يخفى على احد انه ضلال البحث الرابع قد ذكرنا ان قوله في ضلال يفيد كونهم مغمورين فيه
غائصين وقوله في مواضع على بينة وعلى هدى اشارة الى كونهم راكبين متن الطريق المستقيم قادرين عليه واما المعنوية
فهي انهم انما وصفوا الذين آمنوا بكونهم في ضلال مبين لكونهم ظانين ان المؤمن كلامه متناقض ومن تناقض كلامه يكون
في غاية الضلال انما قلنا ذلك لانهم قالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه اشارة الى ان الله ان شاء ان يطعمهم كان يطعمهم فلا يعذ
على اطعامهم لانه يكون تحصيلا للحاصل وان لم يشأ اطعامهم لا يقدر احد على اطعامهم لامتناع وقوع ما لم يشأ الله فلا قدرة
لنا على الاطعام فكيف تأمرنا بالاطعام ووجه آخر وهو انهم قالوا اذا اراد الله تجويعهم فلو اطعمناهم يكون ذلك سعيا
في ابطال فعل الله وانه لا يجوز وانتم تقولون اطعموهم فهو ضلال وانما لم يكن في الضلال الا هم حيث نظروا الى المراد
ولم ينظروا الى الطلب والامر وذلك لان العبد اذا امره السيد بامر لا ينبغي ان يكشف سبب الامر والاطلاع على
المقصود الذي امر به لاجله مثاله الملك اذا اراد الركوب للهجوم على عدوه بحيث لا يطلع عليه احد وقال للعبد
احضر المركوب فلو تطلع واستكشف المقصود الذي لاجله الركوب لنسب الى انه يريد ان يطلع عدوه على الحذر منه
ويكشف سره فالادب في الطاعة وهو اتباع الامر لا تتبع المراد فالله تعالى اذا قال انفقوا مما رزقكم لا يجوز ان يقول
لم لم يطعمهم الله مما في خزائنه ثم قال تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وهو اشارة الى ما اعتقدوه
ان التقوى المأمور به في قوله واذا قيل لهم اتقوا والانفاق المذكور في قوله واذا قيل لهم انفقوا لا فائدة فيه
لان الوعد لا حقيقة له وقوله متى هذا الوعد متى يقع الموعود به وفيه مسائل **المسألة الاولى** وهي ان
ان للشرط وهي تستدعي جزاء ومتى استفهام لا يصلح جزاء فما الجواب نقول هو في الصورة استفهام وفي
المعنى انكار كانهم قالوا ان كنتم صادقين في وقوع الحشر فقولوا متى يكون **المسألة الثانية** الخطاب مع من بقولهم
ان كنتم نقول الظاهر انه مع الانبياء لانهم لما انكروا الرسالة قالوا ان كنتم ايها المدعون للرسالة صادقين
فاخبرونا متى يكون **المسألة الثالثة** ليس في هذا الموضع وعد فالاشارة بقوله هذا الوعد الى اي وعد
نقول هو ما في قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم من قيام الساعة او نقول هو معلوم
وان لم يكن مذكورا لكون الانبياء مقيمين على تذكيرهم بالساعة والحساب والثواب والعقاب ثم قال تعالى ما ينظرون
الا صيحة واحدة اي لا ينتظرون الا الصيحة المعلومة والتنكير للتكبير فان قيل هم ما كانوا ينتظرون
بل كانوا يجزمون بعدمها نقول الانتظار فعلي لانهم كانوا يفعلون ما يستحق به فاعله البوار وتعجيل العذاب وتقرب

الساعة لولا حكم الله وقدرته وعلمه فانهم لا يقولون ونقول لما لم يكن قوله متى ستنهما حقيقيا قال ينتظرون انتظارا
غير حقيقي لان القايل متى يفصح منه الانتظار نظرا الى قوله وقد ذكر في الصيحة امورا تدل على هولها وعظمها • احدها
التنكير • يقال لفلان مال اى كثير • وله قلب اى جرى • ثانيها واحدة اى لا تحتاج معها الى ثانية • ثالثها تاخذهم اى تعمهم
بالاخذ وتصل الى من في مشارق الارض ومغاربها ولا شك ان مثلها لا يكون الا عظيما وقوله وهم يخصمون مما يعظم
به الامر لان الصيحة المعتادة اذا وردت على غافل يرجف • فان المقبل على مهم اذا صاح به صايح يرجف فواده بخلاف
المنتظر للصيحة فاذا كانت حالة الصيحة ما ذكرناه من الشدة والقوة • وترد على الغافل الذي هو مع خصمه مشغول
يكون الارتجاف اتم والاخاف اعظم • ويحتمل ان يقال يخصمون اى في البعث • ويقولون لا يكون ذلك اصلا فتكون
غافلين عنه بخلاف من يعتقد انه يكون فيتاهب له وينتظر وقوعه فانه لا يرتجف وهذا هو المراد بقوله تعالى فصعق من
في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ممن اعتقد وقوعها فاستعد لها • وقد مثلنا ذلك بمن شام برقا • وعلم انه
سيكون رعد فمن لم يشمه • ثم رعد الرعد يرى للشايم لغاير الرعد ثابتا • والغافل الذاهل مغشيا عليه • ثم بين شدة الاخذ
وهي بحيث لا يمهلهم الى ان يوصوا فيه امور مبينة للشدة • احدها عدم الاستطاعة فان قول القايل فلان في هذه
الحالة لا يوصى دون قوله لا يستطيع التوصية لان من لا يوصى قد يستطيعها • الثانية التوصية وهو بالقول والقول
يوجد اسرع مما يوجد الفعل فقال لا يستطيعون كلمة فكيف فعلا يحتاج الى زمان طويل من اداء الواجبات ورد المظالم
الثالثة اختيار التوصية من بين ساير الكلمات يدل على انه لا قدرة له على اهم الكلمات فان وقت الموت الحاجة
الى التوصية امس • الرابعة التنكير في التوصية للتعميم اى لا يقدر على توصية ما ولو كانت بكلمة يسيرة ولان التوصية
قد تحصل بالاشارة • فالعاجز عنها عاجز عن غيرها • الخامسة قوله ولا الى اهلهم يرجعون • بيان لشدة الحاجة
الى التوصية لان من يرجوا الوصول الى اهله قد يمسك عن الوصية لعدم الحاجة اليها • واما من يقطع بانه لا وصول
له الى اهله فلا بد له من التوصية فاذا لم يستطع مع الحاجة دل على غاية الشدة • وفي قوله ولا الى اهلهم يرجعون
وجهان • احدهما ما ذكرنا انهم يقطعون بانهم لا يمهلون الى ان يجتمعوا باهاليهم وذلك يوجب الحاجة الى التوصية
وثانيهما انهم الى اهلهم لا يرجعون اى يموتون ولا رجوع لهم الى الدنيا ومن يسافر سفرا ويعلم انه لا رجوع له من ذلك
السفر ولا اجتماع له باهله مرة اخرى ياتي بالوصية • ثم ما يقع بعد الصيحة الاولى فقال ونفخ في الصور فاذا هم
من الاجداث الى ربهم ينسلون • اى نفخ فيه اخرى كما قال تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون • وفيه مسايل
المسئلة الاولى قال تعالى في موضع اخر ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون • وقال هاهنا فاذا هم من
الاجداث الى ربهم ينسلون • والقيام غير النسلان • وقوله في الموضعين اذا هم يقتضي ان يكونا معا فالجواب
عنه من وجهين • احدهما ان القيام لا ينافي المشي السريع لان الماشي قايم ولا ينافي النظر • وثانيهما ان السرعة
الامور كان الكل في زمان واحد • كقول القايل • مكر مفر مقبل مدبر معا • المسئلة الثانية
كيف صارت النفختين موثرتين في امرين متضادين الاحيا والاماتة • نقول لا موثر غير الله • والنفخ علامة • ثم
ان الصوت الهايل يزلزل الاجسام فعند الحياة كانت اجزا الحي مجتمعة فزلزلها فحصل منها تفريق • وحالة الموت
كانت اجزاوه متفرقة فزلزلها فحصل فيها اجتماع • فالحاصل ان النفختين يورثان زلزالا وانتقالا للاجرام فعند
الاجتماع تتفرق • وعند الافتراق تجتمع المسئلة الثالثة ما التحقيق في اذا التي للمفاجاة • نقول هي اذا
التي للظرف معناه نفخ في الصور • فاذا نفخ فيه هم ينسلون • لكن الشي قد يكون ظرفا للشي معلوما كونه ظرفا
فعند الكلام يعلم كونه ظرفا • وعند المشاهدة لا يتجدد علم كقول القايل اذا طلعت الشمس اضا الجو وغير
ذلك فاذا راى اضاة الجو عند الطلوع لم يتجدد علم زايد • واما اذا قلت خرجت فاذا اسد بالباب كان ذلك
الوقت ظرف كون الاسد لكنه لم يكن معلوما فاذا راه علمه تحصل العلم بكونه ظرفا له مفاجاة عند الاحسا
فقيل اذا للمفاجاة المسئلة الرابعة اين يكون في ذلك الوقت اجداث وقد زلزلتا الصيحة الجبال
نقول يجمع الله اجزا كل واحد في الموضع الذي قبر فيخرج من ذلك الموضع وهو جدثه المسئلة الخامسة
الموضع موضع ذكر الهيبة • وتقدم ذكر الكافر • ولفظ الرب يدل على الرحمة • فلو قال بدل الرب المضاف
اليهم لفظا دالا على الهيبة • هل يكون اليق ام لا • قلنا هذا اللفظ احسن ما يكون لان من اسا واضطر الى
التوجه الى من احسن اليه يكون ذلك اشد الما • والكثير ما من غيره المسئلة السادسة المسي اذا توجه
الى المحسن يقدم رجلا ويوخر اخرى • والنسلان هو سرعة المشي • فكيف يوجد منهم ذلك • نقول
ينسلون من غير اختيارهم • وقد ذكرنا في تفسير قوله اذا هم ينظرون انه اراد ان يبين كمال قدرته • ونفوذ

ارادته فيه

ارادته حيث ينفخ في الصور فيكون في وقته جمع وتركيب واحيا وقيام وعدو في زمان واحد • فقوله اذا هم ينسلون
يعني في زمان واحد ينتهون الى هذه الدرجة وهو النسلان الذي لا يكون الا بعد مراتب ثم قال تعالى قالوا يا ويلنا
من بعثنا يعني لما بعثوا قالوا وذلك لان قوله ونفخ في الصور يدل على بعثوا • وفيه مسايل المسئلة الاولى
لو قال قايل لو قال الله فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون يقولون يا ويلنا كان اليق نقول معاذ الله وذلك
لان قوله اذا هم من الاجداث ينسلون على ما ذكرنا اشارة الى انه تعالى في اسرع زمان يجمع اجزاهم ويولفها ويحييها
ويحركها بحيث يقع نسلانهم في وقت النفخ مع ان ذلك لا بد له من الجمع والتاليف • فلو قال يقولون لكان ذلك مثل ذلك
لينسلوا اى ينسلون قايلين يا ويلنا وليس كذلك فان قولهم يا ويلنا قبل ان ينسلون • وانما ذكر النسلان لما ذكرنا من
الفايدة المسئلة الثانية لو قال قايل قد عرفنا معنى النداء في مثل يا حسرة ويا حسرتنا ويا ويلنا ولكن ما الفرق
بين قولهم وقول الله حيث قال تعالى يا حسرة على العباد من غير اضافة • وقالوا يا حسرتي ويا حسرتنا ويا ويلنا نقول
حيث كان القايل هو المكلف لم يكن لاحد علم الا بحاله او بحال من قرب منه فكان كل واحد مشغولا بنفسه فكان كل واحد
مشغولا بنفسه فكان كل واحد يقول يا حسرتا ويا ويلتا فقوله قالوا يا ويلنا اى كل واحد قال يا ويلي • واما حيث قال
الله قال على سبيل العموم لشمول علمه بحالهم المسئلة الثالثة ما وجه تعلق من بعثنا من مرقدنا بقولهم يا ويلنا
نقول لما بعثوا تذكروا ما كانوا يسمعون من الرسل فقالوا يا ويلنا من بعثنا ابعثنا الله البعث الموعود به ام كنا نياما
فنبهنا • وهذا كما اذا كان انسانا موعودا بان ياتيه عدو لا يطيقه • ثم يرى رجلا هايلا يقبل عليه فيرتجف في نفسه
ويقول اهذا ذاك ام لا ويدل على ما ذكرنا قولهم من مرقدنا حيث جعلوا القبور موضع الرقاد اشارة الى انهم شكوا
في انهم كانوا نياما فنبهوا او كانوا موتى فبعثوا فكان الغالب على ظنهم كان هو البعث فجمعوا بين الامرين • وقالوا من بعثنا
اشارة الى ظنهم انه بعثهم الموعود به وقالوا من مرقدنا اشارة الى توهمهم احتمال الانتباه المسئلة الرابعة
هذا اشارة الى ماذا نقول فيه وجهان • احدهما انها اشارة الى المرقد كانهم قالوا من بعثنا من مرقدنا هذا فيكون
هذا فيكون صفة للمرقد • يقال كلامي هذا صدق • ثانيهما هذا اشارة الى البعث اى هذا البعث ما وعد به الرحمن
وصدق فيه المرسلون المسئلة الخامسة اذا كان هذا صفة للمرقد • فكيف يصح قوله تعالى ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون نقول يكون ما وعد الرحمن مبتدا خبره محذوف تقديره ما وعد الرحمن حق • والمرسلون صدقوا • او يقال
ما وعد الرحمن خبر مبتدا محذوف • تقديره وهو ما وعد الرحمن من البعث ليس تنبيها من النوم • وصدق المرسلون فيما
اخبروكم به المسئلة السادسة ان قلنا هذا اشارة الى المرقد والبعث فجواب الاستفهام بقولهم من بعثنا يكون نقول
لما كان غرضهم من قولهم من بعثنا حصول العلم بانه بعث او تنبه حصل الجواب بقوله هذا بعث وعد الرحمن به ليس تنبيها
كما ان الخايف اذا قال لغيره ماذا تقول ايقتلني فلان فله ان يقول لا تخف ويسكت لعلمه ان غرضه ازالة الرعب عنه وبه
يحصل ثم قال تعالى ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون • اى ما كانت النفخة الا صيحة واحدة يدل
على النفخة • قوله ونفخ في الصور • ويحتمل ان يقال ان كانت الواقعة • وقرينة الصيحة مرفوعة على ان كان هي التامة
بمعنى ما وقعت الا صيحة • وقال الزمخشري لو كان كذلك لكان الاحسن ان يقال ان كان لان المعنى حينيذ ما وقع شي الا صيحة
لكن التانيث جايز على الظاهر • ويمكن ان يقول المذكور الذي قراها بالرفع ان قوله اذا وقعت الواقعة تانيث تهويل ومبالغة
يدل عليه قوله ليس لوقعتها كاذبة فانها للمبالغة • فكذلك هاهنا قال ان كانت الا صيحة مونثا تانيث تهويل
ولهذا جاءت اسما يوم الحشر كلها كالقيمة والقارعة والحاقة والطامة والصاخة الى غيرها • والزمخشري يقول
كاذبة بمعنى ليس لوقعتها نفس كاذبة • وتانيث اسما الحشر لكون الحشر مسمى بالقيمة • وقوله محضرون دليل على ان كونهم
ينسلون اجباري لا اختياري • ثم بين ما يكون في ذلك اليوم بقوله • فاليوم لا تظلم نفس شيا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون
فقوله لا تظلم نفس لتامين المومن ولا تجزون الا ما كنتم تعملون لياس المجرم الكافر • وفيه مسايل المسئلة الاولى
ما الفايدة في الخطاب عند الاشارة الى ياس المجرم بقوله لا تجزون • وترك الخطاب في الاشارة الى امان المومن من
العذاب بقوله لا تظلم ولم يقل ولا تظلمون ايها المومنون • نقول لان قوله لا تظلم نفس شيا يفيد العموم وهو كذلك
فانها لا تظلم ابدا • واما لا تجزون مختص بالكافر فان الله يجزي المومن وان لم يفعل فان لله فضلا مختصا بالمومن وعدلا
عاما • وفيه بشارة المسئلة الثانية ما المقتضي لذكر الفا التعقيب • نقول لما قال محضرون مجموعون والجمع
للفصل والحساب • فكانه تعالى قال اذا جمعوا لم يجمعوا الا للفصل بالعدل فلا ظلم عند الجمع للعدل • فصار عدم الظلم
مترتبا على الاحضار للعدل ولهذا يقول القايل للوالي والقاضي جلست للعدل فلا تظلم اى ذلك يقتضي هذا ويستعقبه
المسئلة الثالثة لا يجزون غير ما كانوا يعملون بل يجزون بما كانوا او على ما كانوا • وقوله ولا تجزون الا ما كنتم تعملون

ان قلنا هذا اشارة الى المرقد او البعث

يدل على ان الجزاء بعين العمل لا يقال جزاه تعدى بنفسه وبالباء يقال جزيته خيرا وجزيته بخير لان ذلك ليس من هذا
لانك اذا قلت جزيته بخير يكون الخير مفعولك بل يكون الباء للمقابلة والسببية كانك تقول جزيته جزاء بسبب ما فعل
فنقول الجواب عنه من وجهين • احدهما ان يكون ذلك اشارة على وجه المبالغة الى عدم الزيادة وذلك لان الشيء لا يزيد
على عينه فقوله يجزون بما كانوا في المساواة كانه عين ما عملوا • يقال فلان يجازي ولبني خرفا بحرف وهذا يوجب
الياس العظيم • الثاني هو ان ما غير راجع الى الخصوص • وانما هي للجنس تقديره لا يجزون الا جنس العمل
اي ان كان حسنة فحسنة وان كان سيئة فسيئة • فجزاء سيئة سيئة • فيجزون ما تعملون من السيئة والحسنة
وهذا كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة • ثم بين حال المحسن وقال ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون • وقوله
في شغل يحتمل وجوها • احدها في شغل عن هول اليوم باخذ ما اتاهم الله من الثواب • فما عندهم خبر من عذاب
ولا حساب • وقوله فاكهون يكون متمما لبيان سلامتهم فانه لو قال في شغل جاز ان يقال هم في شغل اعظم من
التفكر في اليوم واهواله • فان من يصيبه فتنة عظيمة ثم يعرض عليه امر من اموره ويخبر بخسران وقع في ماله
يقول انا مشغول عن هذا بما هو اهم منه فقال فاكهون اي شغلوا عنه باللذة والسرور • لا بالويل والثبور • وثانيها
ان يكون ذلك بيانا لحالهم ولا يريد انهم شغلوا عن شيء بل يكون معناه هم في عمل • ثم بين عملهم بانه ليس بشاق
بل هو ملذ محبوب • ثالثها في شغل عما تعوهم فانهم تصوروا في الدنيا امورا وقالوا نحن اذا دخلنا الجنة لا نطلب
الا كذا وكذا • فراوا ما لم يخطر ببالهم فاشتغلوا به • وفيه وجوه غير هذه ضعيفة • احدها قيل افتضاض
الابكار • وهذا مما ذكرناه في الوجه الثالث ان الانسان قد يترجح في نظره الآن مداعبة الكواعب • فنقول في الجنة
الذ منها ثم ان الله تعالى ربما يؤتيه ما يشغله عنها • وثانيها قيل في ضرب الاوتار وهو من قبل ما ذكرناه يتوهم
وثالثها في التزاور • ورابعها في ضيافة الله وهو اقواها • وهو قريب مما قلنا لان ضيافة الله تكون بالذ ما
يمكن وحينئذ تشغله تلك عما توهمه في دنياه • وقوله فاكهون خبر ان • وفي شغل بيان ما فكاهتهم فيه
يقول زيد على عمله مقبل • وفي بيته جالس فلا يكون الجار والمجرور خبرا • ولو نصب جالسا لكان الجار والمجرور
خبرا • وكذلك لو قال في شغل فاكهين لكان معناه اصحاب الجنة مشغولون فاكهين على الحال • وقرئ بالنصب
والفاكه الملتذ المتنعم • ومنه الفاكهة لانها تكون في السعة للذة ولا تؤكل لدفع الم الجوع • وفيه معنى لطيف
وهو انه اشار بقوله في شغل عن عدمهم الالم فلا الم عندهم • ثم بين بقوله فاكهون عن وجدانهم اللذة وعدم الالم
قد لا يكون واجدا للذة فبين انهم على اتم حال • ثم كمل البيان بقوله هم وازواجهم • وذلك لان من يكون في لذة
قد تتنغص عليه بسبب تفكره في حال من يهمه امره فقال هم وازواجهم ايضا فلا يبقى لهم تعلق قلب • واما من في
النار من قاربهم او اخوانهم فيكونون بمعزل عنهم في شغل ولا يكون عندهم منهم الم ولا يشتهون حضورهم • والازواج
يحتمل وجهين • احدهما اشكالهم في الاحسان • وامثالهم في الايمان • كما قال تعالى من شكله ازواج • وثانيهما
الازواج هم المفهومون من زوج المراة • وزوجة الرجل كما في قوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم • وقوله
تعالى ويزوجون ازواجا • فان المراد ليس هو الاشكال • وقوله في ظلال جمع ظلة • وفي ظلال جمع ظل • والمراد
به الوقاية عن مظان الالم • فان الجالس تحت كن لا يخشى المطر ولا حر الشمس فيكون مستعدا لدفع الالم فكذلك لهم
من ظلال الله ما يقيهم الاسواء كما قال تعالى لا يمسهم فيها نصب ولا يمسهم فيها لغوب • وقال لا يرون فيها شمسا ولا
زمهريرا اشارة الى عدم الالام • وفيه لطيفة ايضا وهي ان حال المكلف اما ان يكون اختلالها بسبب ما فيه من الشغل
وان كان في مكان عال كالفاعل في حر الشمس في البستان المتنزه او يكون بسبب المكان • وان كان في الشغل مطلوبا
كملاعبة الكواعب في المكان المكشوف او يكون بسببا لما كل كالمتفرج في البستان اذا اعوزه الطعام • واما
بسبب فقد الحبيب • والى هذا يشير اهل القلب في شرائط السماع بقولهم الزمان والمكان والاخوان فقال تعالى
في شغل فاكهون • اشارة الى انهم ليسوا في تعب وقال هم وازواجهم اشارة الى عدم الوحدة الموحشة وقال في
ظلال على الارائك اشارة الى المكان • وقال لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون • اشارة الى دفع جميع حوائجهم • وقوله
متكئون اشارة الى اذن وضع على القوة والفراغة • فان القائم يقوم لشغل • والقاعد قد يقعد لهم • واما المتكي
فلا يتكي الا عند الفراغة والقدرة لان المريض لا يقدر على الاتكاء وانما يكون مضطجعا مستلقيا • والارائك جمع
اريكة وهي السرير الذي عليه الفرش وهو تحت الحجلات فيكون مرئيا هو وما فوقه • وقوله لهم فاكهة اشارة الى ان
لا جوع هناك وليس الاكل لدفع الجوع وانما ماكولهم فاكهة • ولو كان لحما طريا لا يقال قوله تعالى ولحم طير مما يشتهون
يدل على التغاير وصدق الشهوة وهو الجوع لانا نقول قوله مما يشتهون يؤكد معنى عدم الالم لان كل الشيء قد يكون للذة

من غير شهوة

من غير شهوة فقال مما يشتهون لان لحم الطير في الدنيا يوكل في حالتين • احدهما حالة الشهوة • والثانية حالة ضعف
المعدة • وحينئذ لا ياكل لحم طير يشتهيه وانما ياكل ما يوافقه ويامر به الطبيب • واما انه يدل على التغاير فنقول
مسلم وذلك لان الخاص يخالف العام على ان ذلك لا يقدح في غرضنا لانا نقول لما اختار من انواع الماكول الفاكهة
في هذا الموضع لانها ادل على التنعم والتلذذ وعدم الجوع • والتنكير لبيان الكمال وقد ذكرناه مرارا • وقوله لهم فيها
ولم يقل ياكلون اشارة الى كون زمام الاختيار بيدهم وكونهم مالكين قادرين • وقوله ولهم ما يدعون فيه وجوه • احدها
فيه ما يدعون لانفسهم اي دعاؤهم مستجاب • وحينئذ يكون هذا افتعالا لا بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل • والارتحال
بمعنى الرحل • وعلى هذا فليس معناه انهم يدعون لانفسهم دعاء فيستجاب دعوتهم بعد الطلب بل معناه ما يدعون لانفسهم
اي ذلك لهم فلا حاجة لهم الى الدعاء والطلب كما ان الملتمس اذا طلب من مملوكه شيئا يقول لك ذلك فيفهم منه تارة ان
طلبك مجاب وان هذا امر هين بان تعط ما طلبت ويفهم تارة منه الرد • وبيان ان ذلك لك حاصل فلم تطلبه فقال تعالى
لهم ما يدعون ان يطلبون فلا طلب لهم • وتقريره هو ان يكون ما يدعون بمعنى ما يصح ان يطلب ويدعى يعني كل ما يصح ان يطلب
فهو حاصل لهم قبل الطلب • ونقول المراد الطلب والاجابة وذلك لان الطلب من الله ايضا فيه لذة فلو قطع الله الاسباب
بينهم وبينه لما كان يطيب لهم فابقى اشياء يعطيهم عند الطلب ليكون لهم عند الطلب لذة وعند العطاء فان كون المملوك بحيث
يتمكن من ان يخاطب الملك في حوائجه منصب عظيم • والملك الجبار قد يدفع حوائج المماليك باسرها قصدا منه لئلا يخا
الثاني ما يدعون ما يتداعون • وحينئذ يكون افتعالا لا بمعنى التفاعل كالاقتتال بمعنى التقاتل ومعناه ما ذكرنا ان كل ما يصح
ان يدعو احد صاحبه اليه او يطلبه احد من صاحبه فهو حاصل لهم • الثالث ما يتمنونه • الرابع بمعنى الدعوى • ومعناه
حينئذ انهم كانوا يدعون في الدنيا ان لهم الله وهو مولاهم وان الكافرين لا مولى لهم فقال لهم في الجنة ما يدعونه في الدنيا
فتكون الحكاية محكية في الدنيا كانه يقول في يومنا هذا لكم ايها المؤمنون غدا ما تدعون اليوم لا يقال بان قوله ان اصحاب الجنة
اليوم في شغل فاكهون • هم وازواجهم في ظلال يدل على ان القول يوم القيمة لانا نقول الجواب عنه من وجهين • احدهما
ان قوله هم مبتدا وازواجهم عطف عليهم فيحتمل ان يكون هذا الكلام في يومنا هذا يخبرنا ان المؤمن وازواجه في ظلال غدا
وله ما يدعيه • والجواب الثاني ومنها ولى هو ان يقول معناه لهم ما يدعون اي ما كانوا يدعون لا يقال بانه اضمار حيث لا
ضرورة وانه غير جائز • لانا نقول على ما ذكرنا يبقى الادعاء مستعملا في معناه المشهور لان الادعاء هو الاتيان بالدعوى
وانما قلنا ان هذا اولى لان قوله سلام قولا من رب رحيم هو في دار الاخرة وهو كالتفسير لقوله ما يدعون • ولان قوله ما يدعون
مذكور بين جمل كلها في الاخرة • فما يدعون ايضا ينبغي ان يكون في الاخرة • وفي الاخرة لا يبقى دعوى وبينه لظهور الامور
والفصل بين اهل الثبور والحبور وقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم هو اكمل الاشياء وهو اخر الذي لا شيء فوقه ولنبينه
في مسائل المسئلة الاولى ما الرافع لقوله سلام • نقول يحتمل ذلك وجوها • احدها هو بدل مما يدعون كانه تعالى
لما قال لهم ما يدعون بينه ببدله فقال لهم سلام فيكون في المعنى كالمبتدا الذي خبره جار ومجرور كما يقال في الدار رجل ولزيد مال
وان كان في النحو ليس كذلك بل هو بدل • وبدل النكرة من المعرفة جائز فيكون ما بمعنى الذي معرفة • وسلام نكرة • ويحتمل
على هذا ان يقال ما في قوله تعالى ما يدعون لا موصوفة ولا موصولة بل هي نكرة • تقديره لهم شيء يدعون • ثم بين بذكر البدل
فقال سلام • والاول هو الصحيح • ثانيها سلام خبرها • ولهم لبيان الجهة • تقديره ما يدعون سالم لهم اي خالص والسلام
بمعنى السالم والسليم • يقال عبد سلام اي سليم من العيوب • كما يقال لزيد الشرف متوفر فالجار والمجرور يكون لبيان من له ذلك
والشرف هو المبتدا ومتوفر خبره • ثالثها قوله تعالى سلام منقطع عما تقدم • وسلام مبتدا وخبره محذوف • تقديره
سلام عليهم • فيكون ذلك اخبارا من الله تعالى في يومنا هذا كانه تعالى حكى لنا وقال ان اصحاب الجنة في شغل • ثم لما كمل
بيان حالهم قال سلام عليهم • وهذا كما في قوله تعالى سلام على نوح وسلام على المرسلين فيكون الله تعالى احسن الى عباده
المؤمنين كما احسن الى عباده المرسلين • وهذا وجه مبتكر جيد ما يدل عليه منقولا • ونقول تقديره سلام عليكم ويكون هذا
نوعا من الالتفات حيث قال لهم كذا وكذا • ثم قال سلام عليكم المسئلة الثانية قولا منصوب بماذا • نقول
يحتمل وجوها • احدها نصب على المصدر • تقديره على قولنا المراد لهم سلام هو ان يقال لهم سلام يقوله الله قولا او
يقوله الملائكة قولا • وعلى قولنا ما يدعون سالم لهم تقديره قال الله ذلك قولا • ووعدهم بان لهم ما يدعون سالم
وعدا • وعلى قولنا سلام عليهم تقديره اقوله قولا • وقوله من رب رحيم يكون لبيان ان السلام منه اي سلام عليهم
من رحيم • اقوله قولا • ويحتمل ان يقال على هذا انه مميز لان السلام قد يكون قولا وقد يكون فعلا • فان من يدخل على الملك
فيطاطئ راسه يقول سلمت على الملك وهو حينئذ كقول القائل البيع موجود حكما لا حسا • وهذا ممنوع منه قطعا لانا
المسئلة الثالثة قال في السلام من رب رحيم • وقال في غيره من انواع الاكرام نزلا من غفور رحيم • لعل بينهما فرق

دفي الاخرة لا يبقى دعوى وبينه لظهور الامور

نقول نعم • اما هناك فلان النزل ما يرزق النزيل اولا وذلك وان كان يدل على ما بعده • فان النزيل اذا اكرم اولا يدل على انه مكرم واذا اخل باكرامه في الاول يدل على انه مهان دايم غير ان ذلك غير مقطوع به لجواز ان يكون الملك واسع الرزق فيرزق نزيله اولا ولا يمنع منه الطعام والشراب • ويناقشه في غيره فقال العفو لما صدر من العبيد ولا تقول بان الاطعام قد يوجد ممن يعاتب بعده • والسلام يظهر مرتبة تعظيم المسلم لا بمغفرته فقال رب لان رب الشيء ومالكه اذا نظر الى علو مرتبته لا يرجى منه الالتفات اليه بالتعظيم فاذا سلم عليه تعجب منه • وقيل انظر هو سيده ويسلم هو عليه ثم قال تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون • وفيه وجوه منها يتبين وجه الترتيب ايضا • الاول امتازوا في انفسكم وتفرقوا كما قال تعالى تكاد تميز من الغيظ اي بعضها من بعض غير ان تميزهم من الحسرة والندامة • ووجه الترتيب حينئذ ان المجرم يرى منزلة المؤمن ورفعته ونزول دركته وضعته فيتحسر فيقال لهم امتازوا اليوم اذ لا دواء لالمكم • ولا شفاء لسقمكم • الثاني امتازوا عن المؤمنين وذلك لانهم يكونون مشاهدين لما يصل الى المؤمن من الثواب والاكرام • ثم يقال لهم تفرقوا وادخلوا مساكنكم من النار فلم يبق لكم اجتماع بهم ابدا • الثالث امتازوا بعضكم عن بعض على خلاف ما للمؤمن من الاجتماع بالاخوان الذي اشار الله بقوله تعالى هم وازواجهم • فاهل النار يكون لهم العذاب الاليم • وعذاب الفرقة ايضا ولا عذاب فوق الفرقة بل العقلا قالوا بان كل عذاب فهو بسبب تفرق اتصال • فان من قطع يده او احرق جسمه فانما يالم بسبب تفرق المتصلات بعضها عن بعض • لكن التفرق الجسمي دون التفرق العقلي • الرابع امتازوا عن شفعائكم وقرنائكم فما لكم اليوم حميم ولا شفيع • الخامس امتازوا عما ترجون • واعتزلوا عن كل خير • والمجرم هو الذي ياتي بالجرم • ويحتمل ان يقال بان المراد منه ان الله تعالى يقول امتازوا فيظهر عليهم سيما يعرفون بها كما قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ وحينئذ يكون قوله تعالى امتازوا اليوم امر تكوين كما انه يقول كن فيكون • كذلك يقول امتازوا فيتميزون بسيماهم ويظهر على جباههم او في وجوههم سواد • ثم قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان • لما ذكر الله حال المؤمنين والمجرمين كان لقائل ان يقول ان الانسان كان ظلوما جهولا والجهل من الاعذار فقال الله ذلك عند عدم الاعذار وقد سبق ايضاح السبل بافصاح الرسل • وعهدنا اليكم وتلونا عليكم ما ينبغي ان يفعلوه وما لا ينبغي • وفي الاية مسايل المسئلة الاولى في اللغات التي في اعهد وهي كثيرة • الاولى كسر الهمزة اعهد حروف الاستقبال كلها تكسر غير اليا • فيقال اعلم ونعلم • الثانية كسر الهاء من باب ضرب يضرب • الثالثة قلب العين حا احهد • وذلك في كل عين بعدها ها • الرابعة ادغام الهاء في الحاء بعد القلب • فيقال الم احد وقد سمع قوم يقولون • دحا محا • اي دعها معها • في معنى اعهد وجوه اقربها واقواها المراوص اليكم المسئلة الثالثة في هذا العهد وجوه • الاول هو العهد الذي كان مع ابينا ادم بقوله وعهدنا الى ادم • الثاني انه هو الذي كان مع ذرية ادم بقوله الست بربكم قالوا بلى فان ذلك يقتضي ان لا يعبد غير الله • الثالث وهو الاقوى ان ذلك كان مع كل قوم على لسان رسول • وكذلك اتفق العقلاء على ان الشيطان يامر بالشر وان اختلفوا في حقيقته او كيفيته

المسئلة الرابعة قوله لا تعبدوا معناه لا تطيعوا بدليل ان المنهي ليس هو السجود له فحسب بل الانقياد لامره والطاعة له • فالطاعة عبادة لا يقال فنكون نحن مامورون بعبادة الامرا حيث امرنا بطاعتهم في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم لانا نقول طاعتهم اذا كانت بامر الله لا تكون الا عبادة لله • الا ترى ان الملايكة سجدوا لادم ولم يكن ذلك الا عبادة لله وانما عبادة الامرا هو طاعتهم فيما لم ياذن الله فيه • فان قيل بماذا تعلم طاعة الشيطان من طاعة الرحمن مع انا لا نسمع من الشيطان خبرا ولا نرى منه اثرا • نقول عبادة الشيطان في مخالفة امر الله او الاتيان بما امر الله لا لانه امر به • ففي بعض الاوقات يكون الشيطان يامرك وهو في غيرك • وفي بعض الاوقات يامرك وهو فيك فاذا جاءك شخص يامرك بشيء فانظر ان كان ذلك موافقا لامر الله او ليس موافقا فان لم يكن موافقا فذلك الشخص معه الشيطان يامرك بما يامرك به فان اطعته فقد عبدت الشيطان • وان دعتك نفسك الى فعل فانظر اهو ماذون فيه من جهة الشرع او ليس كذلك فان لم يكن ماذونا فيه فنفسك هي الشيطان او معها الشيطان يدعوك • فان اتبعته فقد عبدته • ثم ان الشيطان يامر اولا بمخالفة الله ظاهرا فان اطيع فقد عبد وان لم يطع لا يرجع عنه بل يقول له اعبد الله كيلا تهان ولا يرتفع عند الناس شانك • وينتفع بك اخوانك واعوانك • فان اجيب اليه فقد عبد لكن عبادة الشيطان على تفاوت وذلك لان الاعمال منها ما يقع والعامل موافق فيه جنانه ولسانه واركانه • ومنها ما يقع والجنان واللسان مخالف للجوارح والاركان • فمن الناس من يرتكب جريمة كارها بقلبه لما يقترف من ذنبه مستغفرا لربه يعترف بسوء ما يقترف • فهو عبادة الشيطان بالاعضا الظا[هرة]

ومنهم من يرتكب

ومنهم من يرتكبها وقلبه طيب ولسانه رطب كما انك تجد كثيرا من الناس يفرح بكونه مترددا الى ابواب الظلمة للسعاية ويعد من المحاسن كونه نشار يابع الملوك ويفتخر به بلسانه • وتجدهم يفرحون بكونهم امروا من الملك بالظلم والملك ينقاد لهم او يفرحون بكونه يامرهم بالظلم فيظلمون فرحين بما يرد عليهم من الامر • اذا عرفت هذا فالطاعة التي بالاعضا الظاهرة والبواطن ظاهرة مكفرة بالاسقام والالام كما ورد في الاخبار • ومن ذلك قوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم • وقوله عليه السلام السيف محاء للذنوب اي لمثل هذه الذنوب • ويدل عليه ما قال عليه السلام في الحدود انه كفارات • وما يكون بالقلوب فلا خلاص عنه الا بالتوبة والندم • واقبال القلب على الرب وما يكون باللسان فهو من قبيل ما يكون بالقلب في الظاهر والمثال يوضح الحال • فنقول اذا كان عند السلطان امير وله غلمان هم من خواص الامير • واتباع هم من عوام الناس فاذا صدر من الامير مخالفة ومسارة مع عدو السلطان ومصادقة بينهما لا ينفع الملك عن ذلك الا اذا كان في غاية الصفح او يكون للامير عنده يد سابقة • او توبة لاحقة • فان يصدر من خواص الامير مخالفة وهو به عالم ولم يزجره علم ان المخالفة موجودة منه وان كان ينكرها • واظهر الانكار حسبت معاتبته دون معاتبته لان اقدام خواصه على المخالفة دليل على سوء التربية فان كان الصادر من الحواشي الاباعد وبلغ الامير ولم يزجره عوتب الامير • وان زجر استحق الامير بذلك الزجر الاكرام من الملك وحسن من الملك ان يبتدي الى المزجور بالاحسان والانعام ان علم حصول الانزجار • اذا علمت هذا فالقلب امير واللسان خاصته • والاعضا خدمه • فما يصدر من القلب فهو العظيم من الذنب • فان اقبل على محبة غير الله فهو الويل العظيم • والضلال المبين المستعقب للعقاب الاليم • والعذاب المهين • وما يصدر عن اللسان فهو محسوب على القلوب • ولا يقبل قوله ان لم ينكر فعله • وما يصدر من الاعضا والقلب قد اظهر عليه الانكار وحصل له الانزجار فهو الدنيا الذي يحكي النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه انه قال لو لم تذنبوا لخلقت قوما يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم وهاهنا لطيفة وهي ان الشيطان قد يرجع عن عبد من عباد الله وهو يظن انه قد حصل مقصوده من الاغواء حيث يرى ذلك العبد ارتكب الذنب ظاهرا ويكون ذلك رافعا لدرجة العبد فان بالذنب ينكسر قلب العابد فيتخلص من الاعجاب بنفسه وعبادته ويصير اقرب من المقربين لان من لم يذنب مقرب عند الله كما قال تعالى لهم درجات عند ربهم والمذنب التايب النادم منكسر القلب والله عنده كما قال عليه السلام حكاية عنه تعالى انا عند المنكسرة قلوبهم • وفرق بين من يكون عند الله وبين من يكون الله عنده • ولعل ما يحكى من الذنوب الصادرة من الانبيا من هذا القبيل لتحصل لهم الفضيلة على الملايكة حيث تبجحوا بانفسهم بقوله ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك • وقد يرجع الشيطان عن اخر بكونه قدام من شي فلم يفعله • والشخص يظن انه غلب الشيطان ورده خايبا فيبتهج في نفسه وهو لا يعلم ان الشيطان رجع عنه بحصول المقصود ومقبول لا غير مردود • ومن هذا يتبين امر اصولي وهو ان الناس اختلفوا في ان المذنب هل يخرج من الايمان ام لا وسبب النزاع وقوع نظر الخصمين على امرين متباينين • فالذنب الذي بالجسد لا بالقلب لا يخرج بل قد يزيد في الايمان والذي بالقلب يخاف منه الخروج عن ربقة الايمان • ولذلك اختلفوا في عصمة الانبيا عن الذنوب والاشبه ان الجسدي جايز عليهم • والقران يدل عليه • والقلبي لا يجوز عليهم • ثم انه تعالى لما نهى عبادة عن عبادة الشيطان ذكر ما حملهم على قبول ما امروا به • والانتها عما نهوا عنه بقوله انه لكم عدو مبين • وفيه مسايل المسئلة الاولى من اين حصلت العداوة بين الشيطان والانسان فنقول ابتدا وها من الشيطان • وسببه تكريم الله بني ادم • لما راى ابليس تكريم ادم وبنيه عاداهم فعاداه الله تعالى • والاول منه لوم • والثاني منه كرم • اما الاول فلان الملك اذا اكرم شخصا ولم ينقص من الاخر شيا اذ لا ضيق في الخزانة • فعداوة من يعادي ذلك المكرم لا يكون الا لوما واما الثاني فلان الملك اذا علم ان اكرامه ليس لامنه • وذلك الضعيف ما كان يقدر ان يصل الى بعض تلك المنزلة لولا اكرام الملك يعلم ان من يبغضه ينكر فعل الملك او يبغض الخزانة ضيقا وكلاهما يحسن لتعذيبه فيعاديه اتماما للاكرام • وكما لا للافضال • ثم ان كثيرا من الناس على مذهب ابليس اذا راوا واحدا عند ملك يحترما للغضوه وسعوا فيه اقامة لسنة ابليس • فالملك ان لم يكن متخلقا باخلاق الله لا يبعد الساعي ويترك اكرام ذلك الشخص احترامه

المسئلة الثانية من اين بان انه عدو نقول لما اكرم الله ادم عاداه ابليس وظن انه يبقى في منزلته وادم في منزلته مثل متساعيين عند ملك والله تعالى كان عالما بالضماير فابعده واظهر امره فاظهر هو من نفسه ما كان يخفيه لزوال ما كان يحمله على الاخفاء فقال لاقعدن لهم صراطك • وقال لاحتنكن ذريته المسئلة الثالثة انا كان الشيطان للانسان عدوا مبينا فما بال الانسان يميل الى مراضيه من الشرب والزنا ويكره مساخطه من المجاهدة والعبادة نقول سبب ذلك استعانة الشيطان باعوان من عند الانسان • وترك استعانة الانسان بالله فيستعين بشهوته التي خلقها الله فيه لمصلحة بقائه وبقاء نوعه • ويجعلها سببا لفساد حاله • ويدعوه بها الى مسالك

المسئلة الثالثة

بالاعضا

فالذنب الذي بالجسد لا بالقلب لا يخرج بل قد يزيد في الايمان

المهالك • وكذلك يستعين بغضبه الذي خلقه الله فيه لدفع المفاسد عنه ويجعله سببا لوباله • وفساد احواله • ومثل
الانسان في المعاصي كميل المريض الى المضار وذلك حيث ينحرف المزاج عن الاعتدال فترى المحموم يريد الما البارد وهو يزيد
في مرضه • ومنهم فساد المعدة فلا يهضم القليل من الغذا يميل الى الاكل الكثير ولا يشبع بشي وهو يزيد في معدته فسادا
وصحيح المزاج لا يشتهي الا ما ينفعه • فالدنيا كالهوا الوبي لا يستغني الانسان فيه عن استنشاق الهوا وهو المفسد
لمزاجه ولا طريق له غير اصلاح الهوا بالروايح الطيبة والاشيا الزكية والرش بالخل والما ورد من جملة المصلحات • فكذلك
الانسان في الدنيا لا يستغني عن امورها وهي المعينات للشيطان • وطريقه ترك الهوى وتقليل ما يميل وتحريف
الهوا بالذكر الطيب والزهد • فاذا صح مزاج عقله لا يميل الا الى الحق ولا يبقى عليه في التكاليف كلفة وتحصل له مع
الامور الالهية الفة • وهنالك يعترف الشيطان بانه ليس له عليه سلطان ثم قال تعالى وان اعبدوني هذا صراط
لما منع من عبادة الشيطان • حمل على عبادة الرحمن • والشارع طبيب الارواح • كما ان الطبيب طبيب الاشباح • وكما ان الطبيب
يقول للمريض لا تفعل كذا ولا تاكل من كذا وهي الحمية التي هي راس الدوا ليلا يزيد مرضه • ثم يقول له تناول الدوا الفلاني
تقوية لقوته المقاومة للمرض • كذلك الشارع منع من المفسدة وهو اتباع الشيطان • وحمل المصلح وهو عبادة الرحمن
وفيه مسايل **المسلة الاولى** عند المنع من عبادة الشيطان قال انه لكم عدو مبين لان العداوة ابلغ الموانع من الاتباع
وعند الامر بعبادة الرحمن لم يقل انه لكم حبيب لان المحبة لا توجب متابعة المحبوب • بل ربما يورث ذلك الاتكال على المحبة
فتقول انه يحبني فلا حاجة الى تحمل المشقة في تحصيل مراضيه بل ذكر ما هو ابلغ الاشيا في الحمل على العبادة • وذلك
كونه طريقا مستقيما وذلك لان الانسان في دار الدنيا في منزل قفر مخوف وهو متوجه الى دار اقامة فيها اخوانه • والنازل
في بادية خالية يخاف على روحه وما له لا يكون عنده شي احب من طريق قريب امن • فلما قال تعالى هذا صراط مستقيم كان ذلك
سببا حاثا على السلوك • وفي ضمن قوله تعالى هذا صراط اشارة الى ان الانسان مجتاز لانه لو كان في دار اقامة فقوله
هذا صراط مستقيم لا يكون له معنى لان المقيم يقول وما ذا افعل بالطريق وانا من المقيمين **المسلة الثانية** ماذا ابدك
على كونه طريقا مستقيما • نقول الانسان مسافر • اما مسافر راجع الى وطنه • واما مسافر تاجر له متاع يتجر فيه • وعلى
الوجهين فالله هو المقصد • اما الوطن فلانه لا يوطن الا في مامن ولا امن الا عند مالك لا يزول ملكه لان عند زوال ملك
الملوك لا يبقى الامن والراحة • والله هو الذي ملكه دايم • وكل ما عداه فهو فان • واما التجارة فلان التاجر لا يقصد
الا الى موضع يسمع او يعلم ان لمتاعه هناك رواجا • والله تعالى يقول ان العمل الصالح عنده مثاب عليه مقابل باضعاف ما يستحق
فالله هو المقصد وعبادته توجه اليه لا شك ان القاصد الى جهة اذا توجه اليها يكون على الطريق المستقيم **المسلة الثالثة** في
العبادة تنبي عن معنى التذلل • فلما قال لا تعبدوا الشيطان لزم ان يتكبر الانسان على ما سوى الله لله • ولما قال وان اعبدوني
ينبغي ان لا يتكبر على الله لكن التكبر على ما سوى الله ليس معناه ان يرى نفسه خيرا من غيره فان نفسه من جملة ما سوى الله فينبغي
ان لا يلتفت اليها ولو كانت متحلية بعبادة الله • بل معنى التكبر على ما سوى الله ان لا ينقاد لشي الا باذن الله • وفي هذا التكبر غاية
التواضع فانه حينيذ لا ينقاد لنفسه او حظ في التفوق على غيره فلا يتفوق فيحصل التواضع التام • ولا ينقاد لامر الملوك اذا
خالفوا امر الله فيحصل التكبر التام فيرى نفسه بهذا التكبر دون الفقير وفوق الامير • ثم ان الله تعالى ذكر ما بينه لعداوة الشيطا[ن]
بقوله ولقد اضل منكم جبلا كثيرا • وفي الاية مسايل **المسلة الاولى** في الجبل ست لغات • كسر الجيم والبا
مع تشديد اللام • وضمهما مع التشديد • وكسرهما مع التخفيف • وضمهما معه • وتسكين البا وتخفيف اللام مع ضم الجيم ومع
كسره **المسلة الثانية** في معنى الجبل • الجيم والبا واللام لا تخلو عن معنى الاجتماع • فالجبل فيه اجتماع الاجسام الكثيرة
وجبل الطين فيه اجتماع اجزا الما والتراب • وشاة جبلا اذا كانت مجتمعة اللبن الكثير • لا يقال البلجة تنقض على ما ذكرتم
فانها تنبي عن التفرق • فان الابلج خلاف المقرون • لانا نقول هي لاجتماع الاماكن الخالية التي تسع الممكنات • فان البلجة والبلد
بمعنى • والبلد سمي بلدا للاجتماع لا للتفرق • فالجبل الجمع العظيم • حتى قيل ان ما دون العشرة الاف لا تكون جبلا وان لم
يكن صحيحا **المسلة الثالثة** كيف الاضلال نقول على وجهين لان الضلال على وجهين • توليه عن المقصد وحيد
عنه • فالشيطان يامر البعض بترك عبادة الله وبعبادة غيره فهو توليه فان لم يقدر يامره بعبادة الله لامر غير الله
من رياسة وجاه وغيرهما فهو حيد وهو يفضي الى التولية لان مقصوده لو حصل لترك الله واقبل على ذلك الغير
فتحصل التولية • ثم بين مال اهل الضلال بقوله هذه جهنم التي كنتم توعدون • وحال الضال كحال شخص خرج
من وطنه مخافة عدوه فوقع في مشقة • ولو اقام في وطنه لعل ذلك العدو كان لا يظفر به او يرحمه كذلك حال
من لم يتحرك بطاعة ولا عصيان كالمجانين وحال من استعمل عقله فاخطا الطريق فان المجنون من اهل النجاة وان لم يكن
من اهل الدرجات • وقد قيل بان البلاهة ادنى الى الخلاص من فطانة بترا • وذلك ظاهر في المحسوس فان من لم يعرف

الطريق اذا قام

الثالث عشر من الثالث

الطريق اذا قام مكانه لا يبعد من الطريق كثيرا ومن سار الى خلاف المقصود بعد عنه كثيرا ثم بين انهم واصلون اليها حاصلون
فيها بقوله اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون • وفي هذا الكلام ما يوجب شدة ندامتهم وحسرتهم من ثلاثة اوجه • احدها
قوله تعالى اصلوها اليوم فانه امر تنكيل واهانة كقوله ذق انك انت العزيز • الثاني قوله اليوم يعني العذاب حاضر ولذاتك
قد مضت • وايامها انقضت وبقي لك اليوم العذاب • الثالث قوله تعالى بما كنتم تكفرون فان الكفر والكفران ينبي عن نعمة كانت
فكفرتها • وحيا الكفور من المنعم من اشد الالام • ولهذا كثيرا ما يقول العبد المجرم افعلوا بي ما تامرون به السيد ولا تحضروني
بين يديه • والى هذا المعنى اشار القايل **شعر** اليس بكاف لذي همة • حيا المسيي من المحسنين ثم قال تعالى اليوم
نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم • في الترتيب وجوه • الاول انهم حين يسمعون قوله تعالى بما كنتم
تكفرون يريدون ان ينكرون كفرهم كما قال عنهم ما اشركنا • وقالوا امنا به فيختم الله على افواههم فلا يقدرون على الانكار ثم
وينطق الله غير لسانهم من الجوارح فيعترفون بذنوبهم • الثاني لما قال الله تعالى لهم الم اعهد اليكم لم يكن لهم جواب فسكتوا
وخرسوا وتكلمت اعضاوهم غير اللسان • وفي الختم على الافواه وجوه • اقواها ان الله تعالى يسكت السنتهم فلا ينطقون بها
وتنطق جوارحهم فيشهدون عليهم وانه في قدرة الله يسير • اما الاسكات فلا خفا فيه • واما الانطاق فلان اللسان عضو فيحرك
بحركة مخصوصة كما جاز تحركه بها جاز تحرك غيره بمثلها والله قادر على الممكنات • والوجه الاخر الاخر انهم لا يتكلمون بشي لانقطاع
اعذارهم • وانتهاك استارهم فيقفون ناكسوا الروس • وثوقا لقنوط البوس • لا يجد عذرا فيعتذر • ولا مجال توبة فيستغفر
وتكلم الايدي ظهور الامور بحيث لا يسع معها الانكار حتى تنطق به الايدي والابصار كما يقول القايل الحيطان تبكي على صاحب الدار
اشارة الى ظهور الحزن • والاول الصحيح • وفيه لطايف لفظية ومعنوية • اما اللفظية فالاولى منها هي ان الله تعالى اسند فعل
الختم الى نفسه وقال نختم • واسند الكلام والشهادة الى الايدي والارجل لانه لو قال تعالى نختم على افواههم وننطق ايديهم
يكون فيه احتمال ان ذلك منهم كان جبرا او قهرا • والاقرار بالاجبار غير مقبول فقال تعالى تكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم اي باختيارها
بعدما يقدرها الله تعالى على الكلام ليكون ادل على صدور الذنب منهم • الثانية منها هي ان الله تعالى قال تكلمنا ايديهم وتشهد
ارجلهم جعل الشهادة للارجل والكلام للايدي لان الافعال تسند الى الايدي قال تعالى وما عملت ايديهم اي ما عملوه وقال ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة اي ولا تلقوا انفسكم فاذن الايدي كالعاملة • والشاهد على العامل ينبغي ان يكون غيره • فجعل الارجل والجلود
من جملة الشهود لبعدها عن اضافة الافعال • واما المعنوية فمنها ان يوم القيمة من تقبل شهادته من المقربين والصديقين كلهم اعدا
المجرمين • وشهادة العدو على العدو غير مقبولة • وان كان من الشهود العدول • وغير الصديقين من الكفار والفساق غير
مقبولي الشهادة • فجعل الله الشاهد عليهم منهم • لا يقال الايدي والارجل ايضا صدرت الذنوب منها فهي فسقة فينبغي ان لا تقبل
شهادتها لانا نقول [illegible] في ذلك اليوم فقد صدر الذنب منها في ذلك اليوم • والمذنب في
[illegible]

الابتدار • الثالث وما يجعل الصراط مستبقا الا مستبقا اليه • يقال استبقنا فسبقتهم وحينئذ يكون مبالغة في
الاهتداء الى الطريق كانه يقول الصراط الذي هو معهم وليسوا طالبين له قاصدين اياه وانما هم عليه اذا طمس الله على اعينهم
لا يبصرونه فكيف ان لم يكونوا على الصراط • البحث الثاني قدم الطمس والاعماء على المسخ والاعجاز ليكون الكلام مدرجا كانه قال
ان اعميناهم لما رأوا الطريق الذي هو عليه وحينئذ لا يهتدون اليه • فان قال قائل الاعمى قد يهتدي الى الطريق باشارات عقلية
او حسية غير حس البصر كالاصوات • وكالمشي بحس اللمس فارتقى وقال فلو مسخناهم وسلبنا قوتهم بالكلية لا يهتدون
الى الصراط بوجه من الوجوه • البحث الثالث قدم المضي على الرجوع لان الرجوع اهون من المضي لان المضي لا ينبئ عن سلوك
الطريق من قبل • واما الرجوع فينبئ عنه ولا شك ان سلوك طريق قد رؤي مرة اهون من طريق لم ير فقال لا يستطيعون مضيا
ولا اقل من ذلك وهو الرجوع الذي هو اهون من المضي ثم قال تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق افلا يعقلون • قد
ذكرنا ان قوله تعالى الم اعهد اليكم قطع الاعذار بسبق الانذار • ثم لما قرر ذلك واتمه شرع في قطع عذر آخر وهو ان الكافر
يقول لم يكن لبثنا في الدنيا الا يسيرا ولو عمرتنا لما وجدت منا تقصيرا فقال الله افلا تعقلون انكم كلما دخلتم في السن ضعفتم
وقد عمرناكم مقدار ما تتمكنون من البحث والادراك كما قال تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر • ثم علمتم ان الزمان كلما تعبر
عليكم يزداد ضعفكم فضيعتم زمان الامكان فلو عمرناكم اكثر من ذلك لكان تعدي زمان الازمان • ومن لم يأت بالواجب
زمان الامكان • ما كان يأتي به زمان الازمان ثم قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين
في الترتيب وجهان • قد ذكرنا ان الله في كل موضع ذكر اصلين من الاصول الثلاثة وهي الوحدانية والرسالة والحشر ذكر
الاصل الثالث منها • وها هنا اصلين • الوحدانية والحشر • اما الوحدانية ففي قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم
ان لا تعبدوا الشيطان • وفي قوله وان اعبدوني هذا صراط مستقيم • واما الحشر ففي قوله تعالى اصلوها اليوم
وبقوله اليوم نختم الى غير ذلك • فلما ذكرهما وبينهما ذكر الاصل الثالث وهو الرسالة فقال وما علمناه الشعر وما ينبغي
له ان هو الا ذكر وقرآن مبين • وقوله وما علمناه الشعر اشارة الى انه معلم من عند الله فعلمه ما اراد ولم يعلمه ما لم يرد
وفي تفسير الآية مباحث • الاول لم خص الشعر بنفي التعليم مع ان الكفار كانوا ينسبون الى النبي صلى الله عليه وسلم اشياء من جملتها
السحر ولم يقل وما علمناه السحر • وكذلك كانوا ينسبونه الى الكهانة ولم يقل وما علمناه الكهانة • فنقول اما الكهانة
فكانوا ينسبونه النبي عليه الصلاة اليه عندما كان يخبر عن الغيوب ويكون كما يقول • واما السحر فكانوا ينسبونه اليه
عندما كان يفعل ما لا يقدر عليه الغير كشق القمر وتكلم الحصى والجذع وغير ذلك • واما الشعر فكانوا ينسبونه
اليه عندما كان يتلو القرآن عليهم لكنه عليه السلام ما كان يتحدى الا بالقرآن كما قال تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
فأتوا بسورة من مثله الى غير ذلك ولم يقل ان كنتم في شك من رسالتي فانطقوا الجذوع واشبعوا الخلق العظيم او اخبروا
بالغيوب • فلما كان تحديه عليه السلام بالكلام وكانوا ينسبونه الى الشعر عند الكلام خص الشعر بنفي التعليم • الثاني
ما معنى قوله تعالى وما ينبغي له • قلنا قال قوم ما كان يتأتى له • وآخرون ما يتسهل له حتى انه تمثل ببيت شعر سمع منه
مزحفا • يروى انه كان يقول عليه السلام • ويأتيك بالاخبار من لم تزود بالاخبار • وفيه وجه آخر احسن من ذلك
وهو ان نحمل ما ينبغي له على مفهومه الظاهر وهو ان الشعر ما كان يليق به ولا يصلح له وذلك لان الشعر يدعو الى تغيير
المعنى لمراعاة اللفظ والوزن • فالشارع يكون اللفظ منه تبعا للمعنى • والشاعر يكون المعنى منه تبعا للفظ لانه يقصد
لفظا يصح به وزن الشعر او قافيته فيحتاج الى التخيل لمعنى يأتي به لاجل ذلك اللفظ • وعلى هذا نقول الشعر هو الكلام الموزون
الذي قصد الى وزنه قصدا اوليا • واما من يقصد المعنى فيصدر موزونا مقفى لا يكون شاعرا • الا ترى ان قوله تعالى لن
تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ليس بشعر • والشاعر اذا صدر منه كلام فيه متحركات وساكنات بعدد ما في الآية تقطيعه
بفاعلات فاعلات فاعلات يكون شعرا لانه قصد الاتيان بالفاظ حروفها متحركة وساكنة كذلك والمعنى
تبعه والحكيم قصد المعنى فجاء على تلك الالفاظ • وعلى هذا يحصل الجواب عن قول من يقول ان النبي ذكر بيت شعر وهو قوله
انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب • او بيتين لانا نقول ذلك ليس بشعر لعدم قصده الى الوزن والقافية وعلى
هذا لو صدر من النبي عليه الصلاة والسلام كلام كثير موزون مقفى لا يكون شعرا لعدم قصده اللفظ قصدا اوليا ويؤيد
ما ذكرنا انك اذا تتبعت كلام الناس في الاسواق تجد فيه ما يكون موزونا واقعا في بحر من بحور الشعر ولا يسمى
المتكلم به شاعرا ولا الكلام شعرا لفقد القصد الى اللفظ اولا ثم قوله تعالى ان هو الا ذكر وقرآن مبين • يحقق
ذلك المعنى اي هو ذكر وموعظة للقصد الى المعنى • والشعر لفظ مزخرف بالقافية والوزن • وها هنا لطيفة وهي
ان النبي عليه السلام قال ان من الشعر لحكمة يعني قد يقصد الشاعر اللفظ يوافقه معنى حكمي كما ان الحكيم قد يقصد معنى يوافقه
وزن شعري لكن الحكيم بسبب ذلك الوزن لا يصير شاعرا • والشاعر بسبب ذلك الذكر يصير حكيما حيث سمى النبي عليه السلام

شعره حكمة

شعره حكمة • ونفى الله كون النبي شاعرا وذلك لان اللفظ قالب المعنى والمعنى قلب اللفظ وروحه فاذا وجد القلب
لا ننظر الى القالب فيكون الحكيم الموزون كلامه حكيما ولا يخرج عن الحكمة وزن كلامه • والشاعر الموعظي كلامه حكيما
ثم قال تعالى لينذر من كان حيا • قرئ بالتاء والياء • بالتاء خطابا مع النبي عليه السلام • وبالياء على وجهين
احدهما ان يكون المنذر هو النبي عليه الصلاة والسلام حيث سبق ذكره في قوله وما علمناه الشعر • وقوله وما ينبغي
له • وثانيهما ان يكون المراد القرآن ينذر • والاول اقرب الى المعنى • والثاني اقرب الى اللفظ • اما الاول
فلان المنذر صفة للرسل اكثر ورودا من المنذر صفة الكتب • واما ثانيا فلان القرآن اقرب المذكورين الى قوله لينذر
وقوله من كان حيا اي من كان حي القلب • ويحتمل وجهين • احدهما ان يكون المراد من كان حيا في علم الله فينذره به فيؤمن
والثاني ان يكون المراد لينذر به من كان حيا في نفس الامر اي من آمن فينذره بما على المعاصي من العقاب • وبما على الطاعات
من الثواب • ويحق القول على الكافرين • اما قول العذاب وكلمته كما قال تعالى ولكن حق القول مني لاملأن جهنم
من الجنة • وقوله تعالى حقت كلمة العذاب وذلك لان الله تعالى قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فاذا جاء حق التع
التعذيب على من وجد منه التكذيب • واما القول المعقول في الوحدانية والرسالة والحشر وسائر المسائل الاصولية
الدينية فان القرآن فيه ذكر الدلائل التي بها تثبت المطالب • ثم انه تعالى عاد الى الوحدانية ودلائل دالة عليها وقال تعالى
اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما • اي من جملة ما عملت ايدينا اي ما عملناه من غير معين ولا ظهير بل عملناه
بقدرتنا وارادتنا • وقوله فهم لها مالكون اشارة الى تمام الانعام في خلق الانعام فانه تعالى لو خلقها ولم يملكها
ما كان ينتفع بها • وقوله وذللناها لهم • زيادة انعام فان المملوك اذا كان آبيا متمردا لا ينتفع فلو كان الانسان يملك
الانعام وهي نادة صادة لما تم الانعام الذي في المركوب وان كان يحصل الاكل كما في الحيوانات الوحشية لانه ما كان
يكمل نعمة الاكل ايضا الا بالتعب الذي في الاصطياد • ولعل ذلك لا يتهيأ للبعض • وفي البعض • وقوله فمنها ركوبهم
ومنها يأكلون • بيان لمنفعة التذليل لانه لولا التذليل لما وجد احد المنفعتين وكانت الاخرى قليلة الوجود • ثم بين
غير الركوب والاكل من الفوائد بقوله ولهم فيها منافع ومشارب • وذلك لان من الحيوانات ما لا يركب كالغنم
فقال منافع لتعمها ومشارب كذلك عامة ان قلنا ان المراد جمع مشرب وهو الآنية فان من الجلود تتخذ الاواني للشرب
والادوات من القرب والادلوات • وان قلنا ان المراد المشروب وهو الالبان والاسمان فهي مختصة بالاناث ولكن
بسبب الذكور فان ذلك متوقف على الحمل وهو بالذكور والاناث ثم قال افلا يشكرون هذه النعم التي توجب العبادة
شكرا • ولو شكرتم لزادكم من فضله • وان كفرتم لسلبها منكم فما لكم افلا تشكرون استدامة لها واستزادة فيها ثم قال
تعالى واتخذوا من دون الله آلهة • اشارة الى بيان زيادة ضلالتهم ونهايتها فانه كان الواجب عليهم عبادة الله شكرا لانعمه
[illegible]

الملوك

وان قلنا ان المراد المشروب وهو الالبان والاسمان

من دونه آلهة الوثن واطلق الانعام لهم • وعلى هذا فقوله تعالى اولم ير الانسان كلام اعم من قوله اولم يروا الا انه
مع جنس الانسان وهو مع جمع منهم فنقول سبب ذلك ان دليل الانفس اشمل واكمل واتم والزم فان الانسان قد يغفل
عن الانعام وخلقها عند غيبتها ولكن هو مع نفسه متى ما يكون • واين ما يكون فقال ان غاب عن الحيوان وخلقه فهو لا
لا يغيب عن نفسه فما باله لم ير انا خلقناه من نطفة وهو اتم نعمة • فان سائر النعم بعد وجوده وقوله من نطفة اشارة
الى وجه الدلالة • وذلك لان خلقه لو كان من اشيا مختلفة الصور كان يمكن ان يقال العظم خلق من جنس صلب واللحم
من جنس رخو • وكذلك الحال في كل عضو • ولما كان خلقه من نطفة متشابهة الاجزاء وهو مختلف الصور دل على الاختيار
والقدرة • والى هذا اشار بقوله تعالى تسقى بماء واحد وقوله فاذا هو خصيم مبين • فيه لطيفة غريبة وهي انه تعالى
قال اختلاف صور اعضائه مع تشابه اجزاء ما خلق منه آية ظاهرة ومع هذا فهنا لك ما هو اظهر وهو ان نطفة وهو
وذلك لان النطفة جسم • فهب ان جاهلا يقول انه استحال • ويكون جسما آخر لكن القوة الناطقة والقوة الفاهمة
من اين تقتضيها النطفة فابداع النطق والفهم اعجب واغرب من ابداع الخلق والجسم وهو الى ادراك القدرة والاختيار
منه اقرب • فقوله خصيم اى ناطق • وانما ذكر الخصيم مكان الناطق لانه اعلى احوال الناطق فان الناطق مع نفسه
لا يبين كلامه مثل ما يبينه وهو متكلم مع غيره • والمتكلم مع غيره اذا لم يكن خصما لا يبين ولا يجتهد مثل ما يجتهد اذا كان
كلامه مع خصمه وقوله مبين اشارة الى قوة عقله • واختيار الابانة لان العاقل عند الافهام اعلى درجة منه
عند عدمه لان المبين بان عنده الشئ • ثم ابانه فقوله تعالى من نطفة اشارة الى ادنى ما كان عليه • وقوله خصيم مبين
اشارة الى اعلى ما حصل عليه • وهذا مثل قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الى ان قال تعالى
ثم انشاناه خلقا آخر فما تقدم من خلق النطفة علقة وخلق العلقة مضغة • وخلق المضغة عظاما اشارة الى التغير
في الجسم وقوله انشاناه خلقا آخر اشارة الى ما اشار اليه بقوله تعالى فاذا هو خصيم مبين اى ناطق عاقل • ثم قال
تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه اشارة الى بيان الحشر • وفي هذه الآيات الى آخر السورة غرائب وعجائب نذكرها
بقدر الامكان ان شا الله تعالى فنقول المنكرون للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلا ولا شبهة • واكتفى بالاستبعاد وادعى
الضرورة وهم الاكثرون • ويدل عليه قوله تعالى حكاية عنهم في كثير من المواضع بلفظ الاستبعاد كما قال • وقالوا
ائذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق جديد ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون • ائنك لمن المصدقين ائذا متنا وكنا
ترابا وعظاما ائنا لمدينون الى غير ذلك • وكذلك هاهنا قال من يحيي العظام وهي رميم على طريقة الاستبعاد • فبدا
اولا بابطال استبعادهم بقوله ونسي خلقه اى نسي انا خلقناه من تراب ومن نطفة متشابهة الاجزاء • ثم جعلنا
لهم من النواصي الى الاقدام اعضا مختلفة الصور والقوام وما اكتفينا بذلك حتى اودعناهم ما ليس من هذه الاجرام
وهو النطق والعقل الذي بهما استحقوا الاكرام فان كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فهلا يستبعدون خلق الناطق
العاقل من نطفة قذرة لم يكن محل الحياة اصلا ويستبعدون اعادة النطق والعقل الى محل كانا فيه • ثم ان استبعادهم
كان من جهة ما في المعاد من التفتت والتفرق حيث قال من يحيي العظام وهي رميم اختاروا العظم للذكر لانه ابعد عن الحياة
لعدم الاحساس فيه ووصفوه بما يقوي جانب الاستبعاد من البلى والتفتت والله تعالى دفع استبعادهم من
جهة ما في المعيد من القدرة والعلم فقال وضرب لنا مثلا اى جعل قدرتنا كقدرتهم ونسي خلقه العجيب • وبدأه
الغريب • ومنهم من ذكر شبهة وان كانت في آخرها تعود الى مجرد الاستبعاد وهي على وجهين • احدهما انه بعد
العدم لم يبق شيئا فكيف يصح على العدم الحكم بالوجود واجاب عن هذه الشبهة بقوله تعالى الذي انشاها اول
مرة يعني كما خلق الانسان ولم يك شيئا مذكورا • وثانيهما ان من تفرق اجزاؤه في مشارق العالم ومغاربه وصار بعضه
في ابدان السباع • وبعضه في جدران الرباع • كيف يجمع وابعد من هذا هو ان انسانا اذا اكل انسانا • وصار اجزاء المأكول
في اجزاء الآكل • فان اعيدا فاجزاء المأكول اما ان تعاد الى بدن الآكل فلا يبقى للمأكول اجزاء يخلق منها اعضاؤه • واما
ان يعود الى بدن المأكول منه فلا يبقى للآكل اجزاء فقال تعالى في ابطال هذه الشبهة وهو بكل خلق عليم • ووجهه هو
ان في الآكل اجزاء اصلية • واجزاء فضلية • وفي المأكول كذلك • فاذا اكل انسان انسانا صار الاصلي من اجزاء المأكول
فضليا من اجزاء الآكل والاجزاء الاصلية للآكل هي ما كان له قبل الاكل والله بكل خلق عليم • يعلم الاصلي من الفضلي
فيجمع الاجزاء الاصلية للآكل وينفخ فيها روحه • ويجمع الاجزاء الاصلية للمأكول • وينفخ فيها روحه • وكذلك يجمع الاجزاء
المتفرقة في البقاع • المتبددة في الاصقاع • بحكمته الساطعة • وقدرته الكاملة • ثم انه تعالى عاد الى تقرير
ما تقدم من دفع استبعادهم • وابطال انكارهم وعنادهم فقال الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا • ووجهه
هو ان الانسان مشتمل على جسم يحس به وحياة سارية فيه هي حرارة جارية فيه فان استبعدتم وجود حياة وحرارة

فيه فلا

فيه فلا تستبعدوه فان النار في الشجر الاخضر الذي يقطر منه الماء اعجب واغرب وانتم تحضرون حيث منه توقدون
وان استبعدتم خلق جسمه • فخلق السموات والارض اكبر من خلق انفسكم فلا تستبعدوه فان الله خالق السموات
والارض فان لطف قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون • وقوله اوليس الذي خلق
السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم • وقدم ذكر النار في الشجر على ذكر الخلق الاكبر لان استبعادهم بالصريح
كان واقعا على الاحياء حيث قالوا من يحيي العظام ولم يقولوا من يجمعها ويؤلفها • والنار في الشجر مناسب الحياة وقوله
وهو الخلاق اشارة الى انه في القدرة كامل • وقوله العليم اشارة الى ان علمه شامل • ثم اكد بيانه بقوله انما امره اذا اراد
شيئا ان يقول له كن فيكون • هذا اظهار فساد تمثيلهم وتشبيههم وضرب مثلهم حيث ضربوا لله مثلا وقالوا لا يقدر
احد على مثل هذا قياسا للغائب على الشاهد • فقال في الشاهد الخلق يكون بالآلات البدنية • والانتقالات المكانية
ولا يقع الا في الازمنة الممتدة • والله يخلق بكن فيكون • فكيف يضربون له المثل الادنى وله المثل الاعلى من ان يدرك
وفي الآية مباحث • الاول قالت المعتزلة هذه الآية دالة على ان المعدوم شئ لانه يقول لما اراده كن فيكون فقبل القول
له كن لا يكون وهو في تلك الحالة شئ حيث قال انما امره اذا اراد شيئا • والجواب هذا بيان العدم تخلف الشئ عن تعلق
عن تعلق ارادته به • فقوله اذا مفهومه الحين والوقت • والآية دالة على ان المراد شئ حين تعلق الارادة • ولا دلالة فيها
انه شئ قبل ما اذا اراد وحينئذ لا يرد ما ذكروه لان الشئ حين تعلق الارادة شئ موجود لا يريده في زمان • ويكون في زمان آخر
بل يكون في زمان تعلق الارادة فاذا تعلق الشئ هو الموجود لا المعدوم • لا يقال كيف يريد الموجود وهو موجود فيكون ذلك
ايجاد الموجود نقول هذا الاشكال من باب المعقولات ونجيب عنه في موضعه • وانما غرضنا ابطال تمسكهم باللفظ • وقد
ظهر ان المفهوم من هذا الكلام انه يريد ما هو شئ اذا اراد • وليس في الآية انه اذا اراد ما كان شيئا قبل تعلق الارادة • البحث الثاني
قالت الكرامية لله ارادة حادثة بدليل قوله تعالى اذا اراد • ووجه دلالته من امرين • احدهما من حيث انه جعل للارادة
زمانا • فان اذا ظرف زمان • وكل ما هو زماني فهو حادث • وثانيهما هو انه تعالى جعل ارادته متصلة بقوله كن • وقوله كن
متصل بكون الشئ ووقوعه لانه تعالى قال فيكون بفاء التعقيب لكن الكون حادث وما قبل الحادث متصل به حادث • والفلاسفة
وافقوهم في هذا الاشكال من وجه آخر فقالوا ارادته متصلة بامره وامره متصل بالكون لكن ارادته قديمة فالكون قديم
فمكونات الله قديمة • وجواب الضالين من التمسك باللفظ هو ان المفهوم من قوله اذا اراد من حيث اللغة اذا تعلقت ارادته
بالشئ لان قوله اراد فعل ماض • واذا دخلت كلمة اذا على الماضي تجعله في معنى المستقبل • ونحن نقول بان مفهوم قولنا
اراد ويريد • وعلم ويعلم يجوز ان يدخله الحدوث • وانما نقول لله تعالى صفة قديمة هي الارادة • وتلك الصفة اذا
[illegible]

واذا دخلت كلمة اذا على الماضي تجعله في معنى المستقبل

ان هذا الذي سمعت هو الذي كان عندي • ويعلم كل عاقل ان الصوت لم يكن عند المتكلم امس ولا الحرف لان الكلام الذي عنده جاز ان يذكره بالعربي وبغير العربي فيكون له حروف اخر • والكلام الذي عنده وعده به واحد والحروف مختلفة كثيرة فاذا معنى قوله هذا ما كان عندي وان هذا يؤدي اليك ما كان عندي وهذا ايضا مجاز لان الذي عنده ما انتقل اليه وانما علم ذلك وحصل عنده به علم مستفاد من السمع او البصر في القراءة والكتابة او الاشارة اذا علمت هذا فالكلام الذي عند الله وصفة له ليس بحرف على ما بان • والذي يحصل عند السامع حرف وصوت • واحدهما الاخر على ما ذكرنا من المعنى ونوع الاطلاق فاذا قال تعالى يقول له حصل قائل وسامع فاعتبرها من جانب السامع لكون وجود الفعل من السامع بذلك القول فيعبر عنه بالكاف والنون الذي تحدث عند السامع ويحدث به المطلوب ثم قال تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون • لما تقررت الوحدانية والاعادة وانكروهما وقالوا ان مع الله الهة قال تعالى وتنزه عن الشريك الذي بيده ملكوت كل شيء وكل شيء ملكه فكيف يكون المملوك للمالك شريكا • وقالوا ان الاعادة لا تكون فقال تعالى واليه ترجعون ردا عليهم في الامرين • وقد ذكرنا ما يتعلق بالنحو في قوله سبحان اي سبحوا التسبيح الذي او سبح من في السموات والارض تسبيح الذي • فسبحان علم للتسبيح والتسبيح هو التنزيه • والملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والرهبوت • وهو فعلول او فعلوت فيه كلام • ومن قال هو فعلول جعلوه ملحقا به • ثم ان النبي عليه السلام قال لكل شيء قلب وقلب القران يس فقال الغزالي فيه ان ذلك لان الايمان صحته بالاعتراف بالحشر والحشر مقرر في هذه السورة بابلغ وجه فجعلها قلب القران لذلك ٥ واستحسنه فخر الدين الرازي رحمهما الله • سمعته يترحم عليه بسبب هذا الكلام • ويمكن ان يقال ان هذه السورة ليس فيها الا تقرير الاصول الثلاثة باقوى البراهين • فابتداها ببيان الرسالة بقوله انك لمن المرسلين • ودليله ما قدم عليها بقوله والقران الحكيم • وما اخره عنها بقوله لتنذر قوما • وانهاها ببيان الوحدانية والحشر بقوله فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء اشارة الى التوحيد • وقوله واليه ترجعون اشارة الى الحشر • وليس في هذه السورة الا هذه الاصول الثلاثة ودلائله وثوابه • ومن حصل من القران هذا القدر فقد حصل نصيب قلبه وهو التصديق الذي بالجنان • واما وظيفة اللسان التي هي القول فكما في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا • وقوله تعالى ومن احسن قولا • وقوله تعالى بالقول الثابت • والزمهم كلمة التقوى • واليه يصعد الكلم الطيب الى غير هذه في غير هذه السورة • ووظيفة الاركان وهو العمل كما في قوله تعالى اقيموا الصلاة واتوا الزكاة • وقوله تعالى ولا تقربوا الزنا ولا تقتلوا النفس • وقوله واعملوا صالحا فانها في غير هذه السورة • فلما لم يكن فيها الا اعمال القلب لا غير سماها قلبا • ولهذا ورد في الاخبار ان النبي عليه الصلاة والسلام ندب الى تلقين يس لمن دنى منه الموت وقراءتها عند راسه فان في ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة • والاعضاء الظاهرة ساقطة المنة لكن القلب يكون قد اقبل على الله ورجع عن كل ما سواه • فيقرا عنده ما يزداد به قوة قلبه ويشتد تصديقه بالاصول الثلاثة وهو شغله • واسرار كلام الله وكلام رسوله لا يعلمها الا الله ورسوله وما ذكرناه ظن لا يقطع به ونرجوا الله ان يرحمنا وهو ارحم الراحمين • تم تفسير هذه السورة والحمد لله رب العالمين • وصلى الله على سيدنا محمد النبي والكرام

سورة الصافات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله تعالى والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق

في الاية مسائل المسئلة الاولى قرا ابو عمرو وحمزة والصافات صفا بادغام التاء فيما يليه • وكذلك في قوله فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا • والباقون بالاظهار قال الواحدي رحمه الله ادغام التاء في الصاد حسن لمقاربة الحرفين الا ترى انهما من طرف اللسان واصول الثنايا ويجتمعان في الهمس • والمدغم فيه يزيد على المدغم بالاطباق والصفير وادغام الانقص في الازيد حسن ولا يجوز ان يدغم الازيد صوتا في الانقص • وايضا ادغام التاء في الزاي في قوله فالزاجرات زجرا • حسن لان التاء مهموسة والزاي مجهورة • وفيها زيادة صفير كما كان في الصاد وايضا حسن ادغام التاء في الذال في قوله تعالى فالتاليات ذكرا لاتفاقهما في انهما من طرف اللسان واصول الثنايا • واما من قرا بالاظهار وترك الادغام فلان لاختلاف المخارج والله اعلم المسئلة الثانية هذه الاشياء الثلاثة المذكورة المقسم بها يحتمل ان يكون صفات ثلاثة لموصوف واحد • ويحتمل ان يكون اشياء ثلاثة متباينة • اما على التقدير الاول ففيه وجوه • الاول انها صفات الملائكة • وتقريره ان الملائكة يقفون صفوفا • اما في السموات لاداء العبادات

كما اخبر الله عنهم

كما اخبر الله عنهم انهم قالوا وانا لنحن الصافون • وقيل انهم يصفون اجنحتهم في الهوا ويقفون منتظرين في اوامر الله اليهم ويحتمل ايضا ان يقال معنى كونهم صفوفا ان لكل واحد منهم مرتبة معينة ودرجة معينة في الشرف والفضيلة او في الذات والعلية • وتلك الدرجات المترتبة باقية • غير متغيرة وذلك يشبه الصفوف • واما قوله فالزاجرات زجرا فقال الليث يقال زجرت البعير فانا ازجره زجرا اذا حثثته ليمضي • وزجرت فلانا عن سوء فانزجر اي نهيته فانتهى فعلى هذا الزجر للبعير كالحث • وللانسان كالنهي اذا عرفت هذا فنقول في وصف الملائكة بالزجر وجوه • الاول قال ابن عباس يريد الملائكة الذين وكلوا بالسحاب يزجرونها بمعنى انهم يسوقونها من موضع الى موضع • الثاني المراد منه ان الملائكة لهم تاثيرات في قلوب بني ادم على سبيل الالهامات فيهم يزجرونهم عن المعاصي زجرا • الثالث لعل الملائكة ايضا يزجرون الشياطين عن التعرض لبني ادم بالشر والايذاء واقول قد ثبت في العلوم العقلية ان الموجودات على ثلاثة اقسام مؤثر لا يقبل الاثر وهو الله سبحانه وتعالى وهو اشرف الموجودات • ومتاثر لا يؤثر وهو عالم الاجسام وهو اخس الموجودات • وموجود يؤثر في شيء ويتاثر عن شيء اخر وهو عالم الارواح • وذلك لانها تقبل الاثر من عالم كبرياء الله • ثم انها تؤثر في عالم الاجسام • واعلم ان الجهة التي باعتبارها تقوى على التاثير في عالم الاجسام • اذا عرفت هذا فقوله والصافات صفا • اشارة الى وقوفها صفا صفا في مقام العبودية والطاعة والخضوع والخشوع وهو الجهة التي باعتبارها تقبل تلك الجواهر القدسية • اصناف الانوار الالهية • والكمالات الصمدية • وقوله فالزاجرات زجرا اشارة الى الجهة التي باعتبارها تستولي على عالم الاجسام • وتقدر على التصرف فيها • وقوله فالتاليات ذكرا اشارة الى تاثيرات الجواهر الملكية في تنوير الارواح القدسية البشرية واخراجها من القوة الى الفعل وذلك لانه ثبت ان هذه الارواح النطقية البشرية بالنسبة الى ارواح الملائكة كالقطرة بالنسبة الى البحر • وكالشعلة بالنسبة الى الشمس وان هذه الارواح البشرية انما تنتقل من القوة الى الفعل في المعارف الالهية • والكمالات الروحانية بتاثيرات جواهر الملائكة • ونظيره قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده • وقوله نزل به الروح الامين على قلبك وقوله فالملقيات ذكرا • اذا عرفت هذا فنقول في هذه الاية دقيقة اخرى وهي ان الكمال المطلق للشيء انما يحصل اذا كان تاما وفوق التمام • والمراد بكونه تاما ان يحصل له جميع الكمالات اللائقة به حصولا بالفعل • والمراد بكونه فوق التمام ان يفيض منه اصناف الكمالات والسعادات على غيره • ومن المعلوم ان كونه كاملا في ذاته مقدم على كونه مكملا للغير • اذا عرفت هذا فقوله والصافات صفا اشارة الى استكمال جواهر الملائكة في ذواتها بسبب وقوفها في مواقف العبودية • وصفوف الخدمة والطاعة • وقوله فالزاجرات زجرا اشارة الى كيفية تاثيراتها في ازالة ما لا ينبغي عن جواهر الارواح البشرية • وقوله فالتاليات ذكرا اشارة الى كيفية تاثيراتها في افاضة الجلايا القدسية والانوار الالهية على الارواح الناطقة البشرية • فهذه مناسبات عقلية • واعتبارات حقيقية • تنطبق عليها هذه الالفاظ الثلاثة قال ابو مسلم الاصفهاني لا يجوز حمل هذه الالفاظ الثلاثة على الملائكة لانها مشعرة بالتانيث • والملائكة منزهون عن هذه الصفة • والجواب من وجهين الاول ان الصافات جمع الجمع فانه يقال جماعة صافة ثم يجمع صافات • والثاني انهم مبرؤن عن التانيث المعنوي • اما التانيث في اللفظ فلا • وكيف وهم يسمون بالملائكة مع ان علامة التانيث حاصلة في هذا اللفظ • الوجه الثاني ان تحمل هذه الصفات على النفوس البشرية المقبلة على عبودية الله تعالى الذين هم ملائكة الارض • وبيانه من وجهين • الاول ان قوله والصافات صفا المراد الصفوف الحاصلة عند اداء الصلوات بالجماعة • وقوله فالزاجرات زجرا اشارة الى قوله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم كانهم بسبب قراءة هذه الكلمة يزجرون الشياطين عن القاء الوساوس في قلوبهم في اثناء الصلاة • وقوله فالتاليات ذكرا اشارة الى قراءة القران في الصلاة • وقيل فالزاجرات زجرا اشارة الى رفع الصوت بالقراءة كانه يزجر الشيطان بواسطة رفع الصوت • روي انه صلى الله عليه وسلم طاف على بيوت اصحابه في الليل فسمع ابا بكر يقرا بصوت منخفض • وسمع عمر يقرا بصوت رفيع • فسال ابا بكر لم تقرا هكذا فقال المعبود سميع عليم • وسال عمر لم تقرا هكذا فقال اوقظ الوسنان • واطرد الشيطان • والوجه الثاني في تفسير هذه الالفاظ الثلاثة ان المراد من قوله والصافات صفا الصفوف الحاصلة من العلماء المحقين الذين يدعون الى دين الله • والمراد من قوله فالزاجرات زجرا اشتغالهم بالزجر عن الشبهات والشهوات والمراد من قوله فالتاليات ذكرا اشتغالهم بالدعوة الى دين الله • والترغيب في العمل بشرايع الله • الوجه الثالث في تفسير هذه الالفاظ ان نحملها على احوال الغزاة والمجاهدين في سبيل الله • فقوله والصافات صفا المراد منه صفوف القتال لقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا • واما الزاجرات زجرا

والزاجرات زجرا اشارة الى الكيفية تاثيرها

فالوجه والصيحة سوا • والمراد منه رفع الصوت بزجر الخيل • واما التاليات ذكرا فالمراد اشتغال الغزاة
وقت شروعهم في محاربة العدو بقراءة القران • وذكر الله تعالى بالتهليل والتقديس • الوجه الرابع في تفسير
هذه الالفاظ الثلاثة ان نجعلها صفات لايات القران • فقوله والصافات صفا المراد ايات القران فانها
انواع مختلفة بعضها في دلايل التوحيد • وبعضها في دلايل المعاد • وبعضها في دلايل التكاليف والاحكام وبعضها
في تعليم الاخلاق الفاضلة • وهذه الايات مترتبة ترتيبا لا يتغير ولا يتبدل فهذه الايات تشبه اشخاصا
واقفين في صفوف معينة • وقوله فالزاجرات زجرا المراد منه الايات الزاجرة عن الافعال المنكرة • وقوله
فالتاليات ذكرا المراد منه الايات الدالة على وجوب الاقدام على اعمال البر والخير • ووصف الايات بكونها تالية
على قانون ما • يقال شعر شاعر • وكلام قايل قال الله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وقال يس والقران الحكيم
قيل الحكيم بمعنى الحاكم • فهذا جملة الوجوه المحتملة على تقدير ان نجعل هذه الالفاظ الثلاثة صفات لشيء واحد • اما
الاحتمال الثاني وهو ان يكون المراد بهذه الثلاثة اشيا متغايرة • فقيل المراد بقوله والصافات صفا
الطير من قوله • والطير صافات • والزاجرات كل ما زجر عن ايات الله • والتاليات كل من تلى كتاب الله • واقول
فيه وجه اخر • وهو ان مخلوقات الله اما جسمانية واما روحانية • اما الجسمانيات فانها مترتبة على طبقات
ودرجات لا تتغير البتة • فالارض في وسط العالم وهي محفوفة بكرة الما • والما محفوف بالهوا • والهوا بالنار
ثم هذه الاربعة محفوفة بكرات الافلاك الى اخر العالم الجسماني • فهذه الاجسام كانها صفوف واقفة على عتبة
جلال الله • واما الجواهر الروحانية والملكية وهي على اختلاف درجاتها • وتباين صفاتها مشتركة في صفتين
احداهما التاثير في عالم الاجسام بالتحريك والتصريف واليه الاشارة بقوله فالزاجرات زجرا فانا بينا ان المراد
من هذا الزجر السوق والتحريك • والثاني الادراك والمعرفة والاستغراق في معرفة الله • والثنا عليه • واليه
الاشارة بقوله والتاليات ذكرا • ولما كانت الاجسام ادنى منزلة من الارواح وكانت الارواح المشتغلة بالتصرف
في الجسمانيات ادون منزلة من الارواح المستغرقة في معرفة جلال الله المقبلة على تسبيح الله كما قال ومن عنده لا
يستكبرون عن عبادته لا جرم بدا في المرتبة الاولى بذكر الاجسام فقال والصافات صفا • ثم ذكر في المرتبة
الثانية الارواح المدبرة لاجسام هذا العالم • ثم ذكر المرتبة الثالثة اعلى الدرجات وهي الارواح المقدسة
المتوجهة بكليتها الى معرفة جلال الله والاستغراق في الثنا عليه • فهذه احتمالات خطرت بالبال • والعالم
باسرار كلام الله تعالى ليس الا الله **المسئلة الثالثة** للناس في هذا الموضع قولان • الاول قول من يقول
المقسم به هاهنا خالق هذه الاشيا لا اعيان هذه الاشيا • واحتجوا عليه بوجوه • الاول انه صلى الله عليه وسلم
نهى عن الحلف بغير الله • فكيف يليق بحكمة الله ان يحلف بغير الله • الثاني ان الحلف بالشي في مثل هذه المواضع
تعظيم عظيم للمحلوف به • ومثل هذا التعظيم لا يليق الا بالله • الثالث ان هذا الذي ذكرناه تاكد بما انه تعالى صرح
به في بعض السور وهو قوله تعالى والسما وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها • والقول الثاني قول من
يقول القسم باعيان هذه الاشيا واحتجوا عليه بوجوه • الاول ان القسم وقع بهذه الاشيا بحسب ظاهر اللفظ
فالعدول عنه خلاف الدليل • والثاني انه تعالى قال والسما وما بناها • فعلق لفظ القسم بالسما ثم عطف
عليه القسم بالباني للسما • ولو كان المراد من القسم بالسما القسم بمن بنى السما لزم التكرار في موضع واحد وانه
لا يجوز • والثالث انه لا يبعد ان يكون الحكمة في قسم الله تعالى بهذه الاشيا التنبيه على شرف ذواتها • وكمال
حقايقها لا سيما اذا حملنا هذه الالفاظ على الملايكة فانه تكون الحكمة من القسم بها التنبيه على جلالة درجاتها
وكمال مراتبها • والله اعلم • فان قيل ذكر الحلف في هذا الموضع غير لايق • وبيانه من وجوه • الاول ان المقصود
من هذا القسم اما اثبات هذا المطلوب عند المؤمن او عند الكافر • والاول باطل لان المؤمن مقر به من غير هذا
الحلف • والثاني باطل لان الكافر لا يقر به سواء حصل الحلف او لم يحصل • فهذا الحلف عديم الفائدة على كل التقديرات
الثاني انه تعالى حلف في اول هذه السورة على ان الاله واحد • وحلف في اول الذاريات على ان القيمة حق فقال
والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع • واثبات هذه المطالب العالية الشريفة على الخصمين
من الدهرية واشباههم بالحلف واليمين لا يليق بالعقلاء الجواب من وجوه • الاول انه تعالى قرر التوحيد
وصحة البعث والقيمة في ساير السور بالدلايل اليقينية • فلما تقدم ذكر تلك الدلايل لم يبعد تقريرها بذكر القسم
تاكيدا لما تقدم لا سيما والقران انما نزل بلغة العرب واثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة مالوفة عند العرب
الوجه الثاني في الجواب انه تعالى لما اقسم بهذه الاشيا على صحة قوله ان الهكم لواحد • ذكر عقيبه ما هو

الدليل اليقيني

الدليل اليقيني في كون الاله واحدا وهو قوله رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق وذلك لانه تعالى بين
في قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا اذ انتظام احوال السموات والارض يدل على ان الاله واحد • فهاهنا لما قال
ان الهكم لواحد اردفه بقوله رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق كانه قيل قد بينا ان النظر في انتظام هذا
العالم يدل على كون الاله واحدا فتاملوا في ذلك الدليل ليحصل لكم العلم بالتوحيد • الوجه الثالث في الجواب
ان المقصود من هذا الكلام الرد على عبدة الاصنام في قولهم بانها الهة • فكانه قيل هذا المذهب قد بلغ في السقوط
والركاكة الى حيث يكفي في ابطالها مثل هذه الحجة والله اعلم **المسئلة الرابعة** اما دلالة احوال السموات على
وجود الاله القادر العالم الحكيم وعلى كونه واحدا منزها عن الشريك فقد سبق تقريرها في هذا الكتاب مرارا واطوارا
واما قوله ورب المشارق فيحتمل ان يكون المراد مشارق الشمس قال السدي المشارق ثلثماية وستون مشرقا • وكذلك
المغارب فانه تطلع الشمس في كل يوم في مشرق وتغرب كل يوم في مغرب • ويحتمل ان يكون مشارق الكواكب لان لكل كوكب مشرقا
ومغربا • فان قيل لم اكتفى بذكر المشارق • قلنا لوجهين • الاول انه اكتفى بذكر المشارق كقوله تقيكم الحر • والثاني
ان الشروق قوي حالا من الغروب • والشروق اكثر نفعا من الغروب • فذكر الشروق تنبيها على كثرة احسان الله على عباده
ولهذه الدقيقة استدل ابرهيم عليه السلام بالمشرق فقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق **المسئلة الخامسة**
احتج الاصحاب بقوله رب السموات والارض وما بينهما على كونه تعالى خالقا لاعمال العباد موجودة فيما بين السموات
والارض • وهذه الاية دلت على ان كل ما بين السموات والارض فالله ربه ومالكه • فهذا يدل على ان فعل العبد حصل
بخلق الله • فان قالوا الاعراض لا يصح وصفها بانها حصلت بين السموات والارض لان هذا الوصف انما يليق بما يكون حاصلا
في حيز وجهة • والاعراض ليست كذلك • قلنا انها لما كانت حاصلة في الاجسام الحاصلة بين السموات والارض
وهي ايضا حاصلة بين السموات والارض والله اعلم • قوله تعالى **انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب وحفظا
من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب
الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب** في الاية مسايل **المسئلة الاولى** قرا حمزة وحفص عن عاصم
بزينة منونة • الكواكب بالجر وهي قراءة مسروق بن الاجدع والاعمش قال الفراء وهو رد معرفة على نكرة كما قال بالناصية
ناصية فرد نكرة على معرفة وقال الزجاج الكواكب بدل من الزينة لانها هي كما تقول مررت بابي عبد الله زيد • وقرا عاصم في رواية
بالتنوين في الزينة ونصب الكواكب قال الفراء يريد تزيينا الكواكب • وقال الزجاج يجوز ان يكون الكواكب في
النصب بدلا من قوله بزينة لان بزينة في موضع نصب • وقرا الباقون بزينة الكواكب بالجر على الاضافة **المسئلة الثانية**
بين تعالى انه زين السما الدنيا • وبين انه انما زينها لمنفعتين • احداهما تحصيل الزينة • والثانية الحفظ من الشيطان
المارد • ثم يجب ان نحقق الكلام في هذه المطالب الثلاثة • اما الاول وهو تزيين سما الدنيا بهذه الكواكب فلقائل ان
يقول انه ثبت في علم الهيئة ان الكواكب مركوزة في الكرة الثامنة • وان السيارات الستة مركوزة في الكرات الستة
المحيطة بسما الدنيا فكيف يصح قوله انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب والجواب ان الناس الساكنين على سطح كرة
الارض اذا نظروا الى السما فانهم يرونها مزينة بهذه الكواكب فصح قوله انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب وعلى انا
قد بينا في علم الهيئة ان الفلاسفة لم يتم لهم دليل في ان هذه الكواكب مركوزة في الفلك الثامن • ولعلنا شرحنا هذا
الكلام في تفسير سورة تبارك الذي بيده الملك في تفسير قوله ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح • واما المطلوب الثاني
فهو كون هذه الكواكب زينة للسما الدنيا • ففيه بحثان • الاول ان الزينة مصدر كالنسبة • واسم لما يزان به كالليقة
اسم لما يلاق به الدواة قال صاحب الكشاف • وقوله بزينة الكواكب يحتملها • فان اردت المصدر فعلى اضافته
الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب • او على اضافته الى المفعول اي بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت
السما بحسنها في نفسها • وان اردت الاسم فللاضافة وجهان ان تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة قد تحصل
بالكواكب وبغيرها وان يراد ما زينت به الكواكب • البحث الثاني في بيان كيفية كون الكواكب زينة للسما وجوه
الاول ان النور والضو احسن الصفات واكملها فلو لم تحصل هذه الكواكب في جرم الفلك لبقي شديد الظلمة عند
غروب الشمس • فلما خلق الله هذه الكواكب المشرقة المضيئة في سطح الفلك لا جرم بقي الضو والنور في جرم الفلك
بسبب حصول هذه الكواكب فيها قال ابن عباس بزينة الكواكب • الوجه الثاني يجوز ان يراد اشكالها المتناسبة
المختلفة كشكل الجوزا وبنات نعش والثريا وغيرها • الوجه الثالث يجوز ان يكون المراد بهذه الزينة كيفية طلوعها
وغروبها • الوجه الرابع ان الانسان اذا نظر في الليلة الظلما الى سطح الفلك • وراى هذه الجواهر الزواهر
مشرقة لامعة متلالئة على ذلك السطح الازرق فلا شك انه احسن الاشيا واكملها في التركيب والجوهر وكل ذلك تفيد

وبين انه انما زينها لمنفعتين احداهما تحصيل الزينة

خ يشاهدونها

كون هذه الكواكب زينة • واما المطلوب الثالث وهو قوله وحفظا من كل شيطان مارد ففيه مباحث • البحث الاول
فيما يتعلق باللغة فقوله وحفظا اى وحفظناها حفظا قال المبرد اذا ذكرت فعلا ثم عطفت عليه مصدر فعل
آخر نصبت المصدر لانه قد دل على فعله مثل قولك افعل وكرامة لانه لما قال افعل علم ان الاسما لا تعطف على الافعال
فكان المعنى افعل ذلك واكرمك كرامة قال ابن عباس يريد وحفظا للسما بالكواكب من كل شيطان مارد • يريد
الذى تمرد على الله • قيل انه الذى لا يتمكن منه • واصله من الملاسة • ومنه قوله صرح ممرد • ومنه الامرد
وذكرنا تفسير المارد عند قوله مردوا على النفاق • البحث الثانى ما يتعلق بالمباحث العقلية فى هذا الموضع فنقول
الاستقصا فيه مذكور فى قوله تعالى انا زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين قال المفسرون
الشياطين كانوا يصعدون الى قرب السما فربما سمعوا كلام الملائكة وعرفوا به ما سيكون من الغيوب • وكانوا يخبرون
به ضعفاهم ويوهمونهم انهم يعلمون الغيب • فمنعهم الله تعالى عن الصعود الى قرب السما بهذه الشهب فانه تعالى
يرميهم بها ويحرقهم بها • ونقول هاهنا سؤالات • السؤال الاول هذه الشهب هل هى من الكواكب التى زين الله السما بها
ام لا • والاول باطل لان هذه الشهب تلك الكواكب على الحقيقة لوجب ان يظهر نقصان كثير فى اعداد الكواكب • ومعلوم
ان هذا المعنى لم يوجد البتة فان اعداد كواكب السما باقية على حالة واحدة من غير تغير البتة • وايضا فجعلها رجوما للشياطين
مما يوجب وقوع النقصان فى زينة السما وكان الجمع بين هذين المقصودين كالمناقض • واما القسم الثانى وهو ان يقال
ان هذه الشهب جنس آخر غير الكواكب المركوزة فى الفلك • فهذا ايضا مشكل لانه تعالى قال فى سورة تبارك الذى
بيده الملك ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين • فالضمير فى قوله وجعلناها عايد الى المصابيح
فوجب ان يكون تلك المصابيح هى الرجوم باعيانها من غير تفاوت • والجواب ان هذه الشهب غير تلك الثوابت
الباقية • واما قوله تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فنقول كل نير يحصل فى
الجو العالى فهو مصباح لاهل الارض لان تلك المصابيح منها باقية على وجه الدهر آمنة من التغير والفساد • ومنها
ما لا يكون كذلك وهى هذه الشهب التى يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين • وبهذا التقدير يزول الاشكال
والله اعلم • السؤال الثانى كيف يجوز ان يذهب الشياطين الى حيث يعلمون بالتجربة ان الشهب تحرقهم ولا يصلون
الى مقصودهم البتة • وهل يمكن ان يصدر مثل هذا الفعل عن عاقل فكيف من الشياطين الذين لهم مزية فى معرفة
الحيل الدقيقة • والجواب ان حصول هذه الحالة ليس له موضع معين والا لم يذهبوا اليه فانهم انما يمنعون
من المصير الى مواضع الملائكة • ومواضعهم مختلفة فربما صاروا الى موضعهم فتصيبهم الشهب • وربما صاروا الى
غيرها ولا يصادفون الملائكة فلا تصيبهم الشهب • فلما هلكوا فى بعض الاوقات وسلموا فى بعض الاوقات جاز
ان يصيروا الى موضع يغلب على ظنونهم انهم لا تصيبهم الشهب فيها • كما يجوز فيمن يسلك البحر ان يسلكه فى موضع يغلب
على ظنه حصول النجاة • هذا ما ذكره ابو على الجبائى فى الجواب عن هذا السؤال فى تفسيره • ولقائل ان يقول
انهم اذا صعدوا فاما ان يصلوا الى مواضع الملائكة او الى غير تلك المواضع • فان وصلوا الى مواضع الملائكة
احترقوا • وان وصلوا الى غير مواضع الملائكة لم يفوزوا بمقصودهم اصلا فعلى كلا التقديرين المقصود غير حاصل
واذا حصلت هذه التجربة وثبت انه لا سبيل الى الفوز بالمقصود بحال وجب ان يمتنعوا عن هذا العمل وان لا يقدموا عليه
اصلا بخلاف حال المسافر فى البحر فان الغالب عليهم السلامة والفوز بالمقصود • واما هاهنا فالشيطان الذى
يسلم عن الاحتراق انما يسلم اذا لم يصل الى مواضع الملائكة واذا لم يصل الى ذلك الموضع لم يفز بالمقصود فوجب ان
لا يعود الى هذا العمل البتة • والاقرب ان هذه الواقعة انما تتفق فى الندرة فلعلها لا تشتهر بسبب كونها
نادرة فيما بين الشياطين والله اعلم • السؤال الثالث قد دلت التواريخ المتواترة على ان حدوث الشهب كان
حاصلا قبل مجى النبى عليه الصلاة والسلام • ولذلك فان الحكما الذين كانوا موجودين قبل مجى النبى عليه الصلاة والسلام
بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا فى سبب حدوثه فاذا ثبت ان ذلك كان موجودا قبل مجى النبى عليه الصلاة والسلام
امتنع جعله معجزا للنبى عليه السلام • اجاب القاضى بان الاقرب ان هذه الحالة كانت موجودة قبل مجى النبى
عليه السلام لكنها كثرت فى زمان الرسول صلى الله عليه وسلم فصارت بسبب الكثرة معجزا • السؤال الرابع الشيطان
مخلوق من النار قال تعالى حكاية عن ابليس خلقتنى من نار وقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم • ولهذا
السبب فانه يقدر على الصعود الى السموات • واذا كان كذلك كيف يعقل احراق النار بالنار • والجواب
يحتمل ان الشياطين وان كانوا من النيران الا انها نيران ضعيفة فاذا وصلت نيران الشهب اليهم وتلك النيران اقوى
حالا منهم فلا جرم صار الاقوى مبطلا للاضعف • الا ترى ان السراج الضعيف اذا وضع فى النار القوية فانه

في سورة تبارك الذي بيده الملك ولقد

ينطفى

ينطفى بكذا هاهنا • السؤال الخامس ان مقر الملائكة هو السطح الاعلى من الفلك • والشياطين لا يمكنهم الوصول الا
الى القريب من السطح الاسفل من الفلك [illegible] الملائكة [illegible]
عظيم المقدار [illegible] كيف يسمع الشياطين كلام الملائكة • قلنا [illegible] يقوى سمع
الشياطين حتى يسمع كلام الملائكة [illegible] الشيطان من كلام
الملائكة [illegible]
[illegible]
عن مباحث هذا الباب • واذا [illegible]
المسئلة [illegible] تمام الكتابة فى هذا الباب والله اعلم • اما قوله لا يسمعون الى الملأ الاعلى ففيه مسائل المسئلة الاولى
قرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم لا يسمعون بتشديد السين • والباقون يسمعون [illegible] فى السين لاشتراكهما
فى الهمس • والتسمع تطلب السماع • يقال تسمع فسمع او لم يسمع • والباقون بتخفيف السين • واختار ابو عبيد التشديد
فى يسمعون [illegible] لا تقول العرب [illegible] وتقول [illegible]
وقيل فى تقوية هذه القراءة انه اذا نفى السمع عنهم فقد نفى سمعهم • وجه القراءة الثانية قوله انهم عن السمع لمعزولون
وروى مجاهد عن ابن عباس [illegible] الشياطين يسمعون الى الملأ الاعلى [illegible] فلا يسمعون • والاولون [illegible]
التسمع [illegible] انهم ممنوعون عن السمع [illegible] تعالى منعهم عن السمع
بدلالة تلك الاية • ومنعهم ايضا عن التسمع بدلالة هذه الاية [illegible] ومنهم من [illegible]
اخبار [illegible] الفرق بين قولك
سمعت حديث فلان وسمعت الى حديثه [illegible] ان قولك سمعت حديثه يفيد الادراك • وسمعت الى حديثه يفيد
الاصغاء مع الادراك • المسئلة الثالثة فى قوله لا يسمعون الى الملأ الاعلى قولان • الاول وهو المشهور ان تقدير
الكلام لئلا يسمعوا • فلما حذف الناصب عاد الفعل الى الرفع كما قال يبين الله لكم ان تضلوا وكما قال رواسى ان تميد بكم
قال صاحب الكشاف انه كلام مبتدأ منقطع عما قبله وهو حكاية حال المسترقة للسمع فانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام
الملائكة او يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك المقصود • المسئلة الرابعة الملأ الاعلى الملائكة
لانهم يسكنون السموات • واما الانس والجن فهم الملأ الاسفل لانهم سكان الارض • واعلم انه تعالى وصف اولئك الشياطين
بصفات ثلاثة • الاولى انهم لا يسمعون • والصفة الثانية انهم يقذفون من كل جانب دحورا • وفيه ابحاث
البحث الاول قد ذكرنا معنى الدحور فى سورة الاعراف عند قوله اخرج منها مذؤما مدحورا قال المبرد الدحور اشد
الصغار والذل وقال ابن قتيبة دحرته دحرا ودحورا اى دفعته وطردته • البحث الثانى فى انتصاب قوله
دحورا وجوه • الاول انه ينتصب بالمصدر على معنى يدحرون دحورا • ودل على الفعل قوله ويقذفون • الثانى التقدير
ويقذفون للدحور • ثم حذف اللام • الثالث قال مجاهد دحورا مطرودين فعلى هذا هو حال سميت بالمصدر
كالركوع والسجود والحضور • البحث الثالث قرأ ابو عبد الرحمن السلمى دحورا بفتح الدال قال الفراء كانه قال يقذفون
بداحر وبما يدحر • ثم قال ولست اشتهى الفتح لانه لو وجه ذلك على صحة لكانت فيها الباء كما تقول يقذفون بالحجارة • ولا
تقول يقذفون الحجارة الا انه جائز فى الجملة قال الشاعر • تعالى اللحم للاضياف نيا • اى تعالى باللحم • الصفة الثالثة
قوله ولهم عذاب واصب • والمعنى انهم مرجومون بالشهب • وهذا العذاب مسلط عليهم على سبيل الدوام • وقد
ذكرنا تفسير الواصب فى سورة النحل عند قوله وله الدين واصبا • وقالوا كلهم انه الدائم • وقال الواحدى ومن
فسر الواصب بالشديد فهو الموجع فهو معنى وليس بتفسير • ثم قال تعالى الا من خطف الخطفة • ذكرنا معنى الخطف
فى سورة الحج قال الزجاج وهو اخذ الشئ بسرعة • واصل خطف اختطف • قال صاحب الكشاف من فى محل الرفع بدل
من الواو فى لا يسمعون اى لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذى خطف الخطفة اى اختلس الكلمة على وجه
المسارقة فاتبعه يعنى لحقه واصابه • يقال تبعه واتبعه اذا مضى فى اثره • واتبعه اذا لحقه • ومنه قوله تعالى
فاتبعه الشيطان • وقد مر تفسيره • وقوله شهاب ثاقب قال الحسن ثاقب اى مضى واقول معنى ثاقب انه يثقب بنوره الهوا
قال ابن عباس فى تفسير قوله والنجم الثاقب قال انه زحل سمى بذلك لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات والله اعلم
قوله تعالى فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا
لا يذكرون واذا راوا آية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا
لمبعوثون أو آباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون • فى الآية مسائل المسئلة الاولى فى بيان النظم اعلم

والصفة الثانية انهم يقذفون من كل جانب دحورا

انا قد ذكرنا ان المقصد الاقصى من هذا الكتاب الكريم اثبات الاصول الاربعة وهي الالهيات والمعاد والنبوة
واثبات القضاء والقدر فنقول انه تعالى افتتح هذه السورة باثبات ما يدل على الصانع ويدل على علمه وقدرته وحكمته
ويدل على وحدانيته وهو خلق السموات والارض وما بينهما وخلق المشارق والمغارب فلما احكم الكلام في هذا الباب
فرع عليها اثبات القول بالحشر والنشر والقيمة واعلم ان الكلام في هذه المسئلة متعلق بطرفين اولهما اثبات الجواز
العقلي وثانيهما اثبات الوقوع اما الكلام في المطلوب الاول فاعلم ان الاستدلال على الشيء يقع على وجهين احدهما
ان يقال انه قدر على ما هو اصعب واشد واشق منه فوجب ايضا ان يقدر عليه والثاني ان يقال قدر عليه في احدى
الحالتين والفاعل والقابل باقيين كما كانا فوجب ان تبقى القدرة عليه في الحالة الثانية والله تعالى ذكر هذين
الطريقين في بيان ان القول بالبعث والقيمة امر جائز ممكن اما الطريق الاول فهو المراد من قوله فاستفتهم
اهم اشد خلقا والتقدير كانه تعالى يقول استفت يا محمد هؤلاء المنكرين اهم اشد خلقا ام خلق السموات والارض
وما بينهما وخلق المشارق وخلق الشياطين الذين يصعدون الفلك ولا شك انهم يعترفون بان خلق هذا القسم
اشق واشد في العرف من خلق القسم الاول فلما ثبت بالدلائل المذكورة في اثبات التوحيد كونه تعالى قادرا على هذا
القسم الذي هو اشد واصعب فبان يكون قادرا على اعادة الحياة في هذه الاجسام كان اولى ونظير هذه الدلالة
قوله تعالى في آخر يس اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله لخلق السموات والارض
اكبر من خلق الناس واما الطريق الثاني فهو المراد من قوله انا خلقناهم من طين لازب والمعنى ان هذه الاجسام
قابلة للحياة اذ لو لم تكن قابلة للحياة لما صارت حية في المرة الاولى والاله قادر على خلق هذه الحياة في هذه الاجسام
ولولا كونه قادرا على هذا المعنى والا لما حصلت الحياة في المرة الاولى ولا شك ان قابلية تلك الاجسام باقية وان
قادرية الله تعالى باقية لان هذه القابلية وهذه القادرية من الصفات الذاتية فامتنع زوالها فثبت بهذين
الطريقين ان القول بالبعث والقيمة امر ممكن ولما بين تعالى امكان هذا المعنى بهذين الطريقين بين وقوعه بقوله
قل نعم وانتم داخرون وذلك لانه ثبت صدق الرسول لاجل ظهور المعجزات عليه والصادق اذا اخبر عن امر
ممكن الوقوع وجب الاعتراف بوقوعه فهذا تقرير نظم هذه الآية وهو في غاية الحسن والله اعلم المسئلة الثانية
في تفسير الفاظ هذه الآية اما قوله فاستفتهم يعني انه لما ثبت بالدلائل القاطعة كونه تعالى خالقا للسموات
والارض وما بينهما فاستفت هؤلاء المشركين وقل لهم اهم اشد خلقا ام هذه الاشيا التي بينا كونه تعالى خالقا
لها ولم يحك عنهم انهم اقروا ان خلق هذه الاشيا اصعب لاجل ان صحة ذلك كالمعلوم بالضرورة فلا حاجة الى
ان يحكى عنهم تسليم ان الامر كذلك ثم قال انا خلقناهم من طين لازب يعني انا لما قدرنا على خلق الحياة في ذوات الجسم
اولا وجب ان نبقى قادرين على خلق الحياة فيهم ثانيا لما بينا ان حال القابل وحال الفاعل ممتنع التغير وفيه دقيقة
اخرى وهي ان القوم قالوا كيف يعقل تولد الانسان لا من النطفة ولا من الابوين فكانه قيل لهم انكم لما اقررتم
بحدوث العالم واعترفتم بان السموات والارض وما بينهما انما حصل بتخليق الله وتكوينه فلا بد وان تعترفوا
بان الانسان الاول انما حدث لا من الابوين فاذا عقلتم ذلك واعترفتم به فقد سقط قولكم الانسان كيف يحدث
من غير النطفة ومن غير الابوين وايضا فقد اشتهر عند الجمهور ان آدم مخلوق من الطين اللازب ومن قدر
على خلق الحياة في الطين اللازب كيف يعجز عن اعادة الحياة الى هذه الذوات واما كيفية خلق الانسان من الطين
اللازب فهي مذكورة في السور المتقدمة واعلم ان هذا الوجه انما يحسن اذا قلنا ان المراد من قوله انا خلقناهم
من طين لازب هو انا خلقنا اباهم من طين لازب وفيه وجه آخر وهو ان يكون المراد انا خلقنا كل الناس من طين
لازب وتقريره ان الانسان انما يتولد من المني ودم الطمث والمني انما يتولد من الدم فالانسان انما يتولد من الدم
والدم انما يتولد من الغذا والغذا اما حيواني واما نباتي اما تولد الحيوان الذي صار غذا فالكلام في كيفية
تولده كالكلام في تولد الانسان فثبت ان الاصل في الاغذية هو النبات والنبات انما يتولد من امتزاج الارض
بالماء وهو الطين اللازب واذا كان الامر كذلك فقد ظهر ان كل الخلق متولدون من الطين اللازب واذا ثبت
هذا فنقول ان هذه الاجزا التي منها تركب هذا الطين اللازب قابلة للحياة والله تعالى قادر عليها وهذه القابلية
والقادرية واجبة البقا فوجب بقا هذه الصحة في كل الاوقات وهذه بيانات ظاهرة واضحة واما اللازب
فقيل اللاصق وقيل اللزج وقيل الجيد واكثر اهل اللغة على ان الباء في اللازب بدل من الميم يقال لازب ولازم
ثم قال تعالى بل عجبت ويسخرون وفيه مسائل المسئلة الاولى تقرير الكلام ان يقال ان هؤلاء المنكرين
اقروا بانه تعالى قادر على تكوين اشيا اصعب من اعادة الحياة الى هذه الاجساد وقد تقرر في صرايح العقول ان

القادر على

القادر على الاشق الاشد يكون قادرا على الاسهل الايسر ثم مع قيام هذه الحجة البديهية بقي هؤلاء الاقوام مصرين على
انكار البعث والقيمة وهذا في موضع التعجب الشديد فان مع ظهور هذه الحجة الجلية الظاهرة كيف يعقل بقاء القوم على
الاصرار في الانكار فانت يا محمد تتعجب من اصرارهم على الانكار وهم في طرف الانكار وصلوا الى حيث يسخرون منك في قولك
باثبات الحشر والنشر والبعث والقيمة فهذا هو المراد من قوله بل عجبت ويسخرون المسئلة الثانية قرا حمزة والكسائي
عجبت بضم التاء والباقون بفتحها قال الواحدي والضم قراءة ابن عباس وابن مسعود وابراهيم ويحيى بن وثاب
والاعمش وقراء الكوفة واختيار ابي عبيد واما الذين قرءوا بالفتح فقد احتجوا بوجوه الاول ان القراءة بالضم
تدل على اسناد العجب الى الله تعالى وذلك محال لان التعجب حالة تحصل عند الجهل بصفة الشيء ومعلوم ان الجهل
على الله محال والثاني ان الله تعالى اضاف التعجب الى محمد صلى الله عليه وسلم في آية اخرى في هذه المسئلة فقال
وان تعجب فعجب قولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما والثالث انه تعالى قال بل عجبت ويسخرون والظاهر انهم انما سخروا
لاجل ذلك التعجب فلما سخروا منه وجب ان يكون ذلك التعجب صادرا منه واما الذين قرءوا بضم التاء فقد اجابوا عن الحجة
الاولى من وجوه الاول ان القراءة بالضم لا نسلم انها تدل على اسناد التعجب الى الله تعالى وبيانه ان يكون التقدير
قل يا محمد عجبت ويسخرون ونظيره ان قوله تعالى اسمع بهم وابصر معناه ان هؤلاء مما يقولون فيه انتم هذا النحو من
الكلام وكذلك قوله فما اصبرهم على النار الثاني انا سلمنا ان ذلك يقتضي اضافة العجب الى الله تعالى فلم قلتم ان
ان ذلك محال يروى ان شريحا كان يختار القراءة بالنصب ويقول العجب لا يليق بالله فقال الاعمش فذكرت ذلك لابراهيم
فقال ان شريحا معجب بعلمه وكان عبد الله اعلم وكان يقرا بالضم وتحقيق القول فيه ان نقول دل القرآن والخبر على جواز اضافة
العجب الى الله اما القرآن فقوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم والمعنى ان تعجب يا محمد من قولهم فهو ايضا عجب عندي
والجواب عنه انه لا يمتنع ان يكون المراد وان تعجب فعجب قولهم عندكم واما الخبر فقوله صلى الله عليه وسلم عجب ربكم
من الكم وقنوطكم وعجب ربكم من شاب ليست له صبوة واذا ثبت هذا فنقول العجب من الله بخلاف العجب من الآدميين
كما قال ويمكرون ويمكر الله وقال سخر الله منهم وقال وهو خادعهم والمكر والخداع والسخرية من الله بخلاف هذه
الاحوال من العباد وقد ذكرنا ان القانون في هذا الباب ان هذه الالفاظ محمولة على نهايات الاغراض لا على بدايات الاعراض
فكذلك هاهنا من تعجب من شيء فانه يستعظمه فالتعجب في حق الله تعالى محمول على انه تعالى يعظم تلك الحالة ان كانت قبيحة فيترتب
العقاب العظيم عليه وان كانت حسنة فيترتب الثواب العظيم عليه فهذا تمام الكلام في هذه المناظرة والاقرب ان يقال ان
القراءة بالضم ان ثبتت بالتواتر وجب المصير اليها ويكون التاويل ما ذكرناه وان لم تثبت هذه القراءة بالتواتر كانت القراءة
بفتح التاء اولى والله اعلم ثم قال تعالى واذا ذكروا لا يذكرون واذا راوا آية يستسخرون اعلم انه تعالى لما قرر الدليل
القاطع في اثبات امكان البعث والقيمة حكى عن المنكرين اشيا اولها انه صلى الله عليه وسلم يتعجب من اصرارهم على الانكار
وهم يسخرون منه في اصراره على الاثبات وهذا يدل على انه عليه الصلاة والسلام [illegible]
الشاعرة [illegible] وثانيها قوله واذا ذكروا لا يذكرون وثالثها قوله واذا راوا آية يستسخرون ويجب
ان يكون المراد من هذا الثاني والثالث غير الاول لان العطف يوجب التغاير [illegible] والذي عندي
في هذا الباب ان يقال القوم كانوا يستبعدون الحشر والقيمة ويقولون ان من مات وصار ترابا وتفرقت اجزاؤه في العالم
كيف يعقل عوده بعينه وبلغوا في هذا الاستبعاد الى حيث كانوا يسخرون ممن يذكر هذا المذهب واذا كان
كذلك فالطريق الى ازالة هذا الاستبعاد عنهم [illegible] الدليل الدال على صحة الحشر والنشر
مثل ان يقال لهم هل تعلمون ان خلق السموات والارض اشد واشق من اعادة الانسان بعد موته وهل تعلمون ان القادر
على الاصعب الاشق يجب كونه قادرا على الاسهل الايسر فهذا الدليل وان كان جليا [illegible] المنكرين اذا
عرضوا عليهم هذه المقدمات لا يفهمونها ولا يقفون عليها واذا ذكروا [illegible] بلادتهم وجهلهم
لم ينتفعوا بهذا النوع من البيان والطريق الثاني في اثبات هذا الاصل ان [illegible] صحة رسالته بالمعجزات ثم يقول
انا نشاهد [illegible] رسولا صادقا فاذا اخبرنا ان البعث والقيمة حق وجب الجزم [illegible]
هذا الطريق ايضا لا ينفعهم لانهم اذا راوا المعجزة قاهرة [illegible] سحرا وهذا
هو المراد من قوله واذا راوا آية يستسخرون فظهر بالبيان الذي ذكرناه ان هذه الالفاظ الثلاثة منبهة على هذه
الفوايد الجليلة واعلم ان اكثر الناس [illegible] بل عجبت ويسخرون ثم قال
واذا راوا آية يستسخرون فوجب ان يكون المراد من قوله يسخرون غير المراد من قوله يستسخرون [illegible]
هذا القايل المراد من قوله يسخرون [illegible] والمراد من قوله يستسخرون [illegible]

صاحبه ان يقدم على السخرية • وهذا التكلف انما الزمهم لعدم وقوفهم على الفوايد التي ذكرناها والله اعلم • والرابع من الامور
التي حكاها الله عنهم انهم قالوا ان هذا الا سحر مبين يعني انهم اذا راوا آية ومعجزة سخروا منها • والسبب في تلك السخرية اعتقادهم
انها من باب السحر • وقوله مبين معناه ان كونه سحرا امر بين لا شبهة لاحد فيه • ثم بين تعالى ان السبب الذي يحملهم على
الاستهزاء بالقول بالبعث وعلى عدم الالتفات الى الدلايل الدالة على صحة القول وعلى الاستهزاء بجميع المعجزات هو
توهمهم ان الذي مات وتفرق اجزاوه في جملة العالم بما فيه من الارضية اختلط بتراب الارض • وما فيه من المائية والهوائية
اختلط بجارات العالم • فهذا الانسان كيف عوده حيا بعينه فانهما • فهذا الكلام هو الذي يحملهم على تلك الاحوال
الثلاثة المتقدمة • ثم انه تعالى لما حكى عنهم هذه الشبهة قال قل يا محمد نعم وانتم داخرون وانما اكتفى تعالى بهذا القدر
من الجواب لانه بين في الاية المتقدمة بالبرهان اليقيني القطعي انه امر ممكن • واذا ثبت الجواز العقلي فلا سبيل الى القطع
بالوقوع الا باخبار المخبر الصادق • فلما قامت المعجزات على صدق محمد عليه السلام كان واجب الصدق فكان مجرد قوله قل
نعم دليلا قاطعا على الوقوع • ومن تامل في هذه الايات علم انها وردت على احسن وجوه الترتيب وذلك انه بين الامكان
بالدليل العقلي • وبين وقوع ذلك الممكن بالدليل السمعي ومن المعلوم ان الزيادة على هذا البيان كالامر الممتنع • اما قوله
اوآباؤنا فالمعنى اويبعث اباؤنا • وهذا الف الاستفهام دخلت على حرف العطف • وقرا نافع ههنا وفي سورة الواقعة
ساكنة الواو • وذكرنا الكلام في هذا في سورة الاعراف عند قوله اوامن اهل القرى • اما قوله تعالى قل نعم فنقول
قرا الكسائي وحده نعم بكسر العين • اما قوله تعالى وانتم داخرون اي صاغرون • قال ابو عبيدة الدخور اشد
الصغار • وذكرنا تفسير هذه اللفظة عند قوله سجدا لله وهم داخرون • قوله تعالى فانما هي زجرة واحدة فاذا هم
ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وازواجهم
وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون ما لكم لا تناصرون
بل هم اليوم مستسلمون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون اعلم انه تعالى لما بين في الاية المتقدمة ما يدل
على امكان البعث والقيمة • ثم اردفه بما يدل على وقوع القيمة • ذكر في هذه الايات بعض تفاصيل احوال القيمة وانه تعالى
ذكر في هذه الاية انواعا من تلك الاحوال • فالحالة الاولى قوله فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون • وفيه ابحاث
البحث الاول ان قوله فانما جواب شرط مقدر • والتقدير اذا كان كذلك فما هي الا زجرة واحدة • الثاني الضمير في قوله فانما
هي ضمير على شريطة التفسير • والتقدير فانما البعثة زجرة واحدة • الثالث الزجرة في اللغة الصيحة التي
يزجر بها كالزجرة بالنعم والابل عند الحث • ثم كثر استعمالها حتى صارت بمعنى الصيحة وان لم يكن فيها معنى الزجر
كما في هذه الاية • واقول لا يبعد ان يقال ان تلك الصيحة انما سميت زجرة لانها تزجر الموتى عن الرقود في القبور
وتحثهم على القيام من القبور والحضور في موقف القيمة • اذا عرفت هذا فنقول المراد من هذه الزجرة
ما ذكره الله تعالى في قوله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون • فبالنفخة الاولى يموت كل شيء • وبالنفخة الثانية
يحيون ويقومون • وههنا سؤالات • السؤال الاول ما الفايدة في هذه الصيحة فان القوم في تلك الساعة
اموات لان النفخة جارية مجرى السبب لحياتهم فتكون متقدمة على حصول حياتهم فثبت ان هذه الصيحة انما
حصلت حال كون الخلق امواتا فتكون تلك الصيحة عديمة الفايدة فهي عبث والعبث لا يجوز في فعل الله • اما اصحابنا
فيقولون يفعل الله ما يشا • واما المعتزلة فقال القاضي فيه وجهان • الاول ان تعتبر بها الملائكة • الثاني ان تكون
الفايدة التخويف والارهاب • السؤال الثاني هل لتلك الصيحة تاثير في اعادة الحياة • الجواب لا بدليل
ان الصيحة الاولى استعقبت الموت • والثانية الحياة وذلك يدل على ان الصيحة لا اثر لها لا في الموت ولا في
الحياة بل خالق الموت والحياة هو الله كما قال الذي خلق الموت والحياة • السؤال الثالث تلك الصيحة صوت الملك
او الله تعالى خلقها ابتداء • الجواب الكل جايز الا انه روي انه تعالى يامر اسرافيل حتى ينادي ايتها العظام
النخرة والجلود البالية والاجسام المتفرقة اجتمعوا باذن الله تعالى • البحث الرابع من الابحاث المذكورة في هذه
الاية قوله فاذا هم ينظرون • يحتمل ان يكون المراد ينظرون ما يحدث بهم ويحتمل ينظر بعضهم الى بعض • وان يكون
المراد ينظرون الى البعث الذي كذبوا به • الحالة الثانية من وقايع القيمة ما اخبر الله عنهم انهم عند القيام
من القبور قالوا يا ويلنا هذا يوم الدين • قال الزجاج الويل كلمة يقولها القائل عند الهلكة • والمقصود انهم لما
شاهدوا القيمة قالوا هذا يوم الدين اي يوم الجزا • والمقصود ان الله تعالى ذكر في آيات كثيرة من القران انا نرى
في الدنيا محسنا ومسيئا ومطيعا وعاصيا • وصديقا وزنديقا • ورأينا انهم لم يصل اليهم في الدنيا ما يليق بهم
من الجزا فوجب القول باثبات القيمة ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى • وبالجملة فهذا يدل على

ان دار الجزا

ان دار الجزا انما يحصل بعد الموت والكفار وان سمعوا هذا الدليل القوي لكنهم انكروا وتمردوا ثم انه تعالى اذا احياهم
يوم القيمة فاذا شاهدوا القيمة تذكروا ذلك وقالوا هذا اليوم هو يوم الدين اي يوم الجزا الذي ذكره الله في الدلايل الكثيرة
عليه في القران وكفرنا بها • ونظيره ان من خوف بشيء فلم يلتفت اليه ثم عاينه بعد ذلك فقد يقول هذا يوم الواقعة الفلا
فكذا ههنا • وفيه احتمال اخر وهو انه تعالى قال في سورة الفاتحة مالك يوم الدين فبين انه لا مالك في ذلك اليوم الا الله
فقوله هذا يوم الدين اشارة الى ان هذا يوم الدين الذي لا حكم فيه لاحد الا لله • وانما ذكروه لما حصل في قلوبهم
من الخوف الشديد • اما قوله تعالى هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ففيه بحثان • الاول اختلفوا في ان هذا هل هو من
تتمة كلام الكفار • او يقال كلامهم تم عند قوله هذا يوم الدين • واما قوله هذا يوم الفصل فهو كلام غيرهم بعضهم
قال بالاول وزعموا ان قوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون من كلام بعضهم لبعض • والاكثرون على القول الثاني
واحتجوا بوجهين • الاول ان قوله كنتم به تكذبون خطاب مع جميع الكفار فقايل هذا القول لا بد وان يكون غير الكفار
الثاني ان قوله احشروا الذين ظلموا منسوق على قوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون • فلما كان قوله احشروا
الذين ظلموا الكلام غير الكفار • وكذلك قوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون يجب ان يكون كلام غير الكفار • وعلى
هذا التقدير فقوله يا ويلنا هذا يوم الدين من كلام الكفار • وقوله هذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم والوجه
في كونه جوابا لهم ان اولئك الكفار ربما اعتقدوا في انفسهم كونهم محقين في انكار دعوة الانبيا عليهم السلام
وكونهم محقين في تلك الاديان الفاسدة فقالوا هذا يوم الدين اي هذا اليوم الذي نصل فيه الى جزا طاعاتنا
وخيراتنا • فالملائكة يقولون لهم انه لا اعتبار بظواهر الامور في هذا اليوم فان هذا اليوم يفصل فيه الخير الحقيقي
عن الخير الظاهري • وتميز فيه الطاعات الحقيقية عن الطاعات المعروفة بالريا والسمعة • فبهذا الطريق صار هذا
الكلام من الملايكة جوابا لما ذكره الكفار • ثم قال تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون
الله فاهدوهم الى صراط الجحيم • وفي الاية ابحاث • البحث الاول اعلم انه لا نزاع في ان هذا من كلام الملئكة • فان قيل
ما معنى احشروا مع انهم قد حشروا من قبل • وحضروا في محفل القيمة وقالوا هذا يوم الدين وقالت الملايكة
لهم بل هذا يوم الفصل • اجاب القاضي عنه فقال المراد احشروهم الى دار الجزا وهي النار • ولذلك قال بعده
فاهدوهم الى صراط الجحيم اي خذوهم الى ذلك الطريق ودلوهم عليه • ثم سال نفسه فقال كيف يصح ذلك وقد قال بعده
وقفوهم انهم مسؤلون • ومعلوم ان حشرهم الى الجحيم انما يكون بعد المسايلة • واجاب بانه ليس في العطف
بحرف الواو ترتيب فلا يمتنع ان يقال احشروهم وقفوهم مع انا بعقولنا نعلم ان الوقوف كان قبل الحشر الى النار
هذا ما قاله القاضي • وعندي فيه وجه آخر وهو ان يقال انهم اذا قاموا من قبورهم لم يبعد ان يقفوا هناك لحيرة
تلحقهم بسبب معاينة اهوال القيمة • ثم ان الله تعالى يقول للملايكة احشروا الذين ظلموا واهدوهم الى صراط
الجحيم اي سوقوهم الى طريق جهنم وقفوهم هناك • وتحصل المسايلة هناك • ثم من هناك يساقون الى النار وعلى
هذا التقدير فظاهر النظم موافق لما عليه الوجود والله اعلم • البحث الثاني الامر في قوله احشروا الذين ظلموا امر
الله فهو تعالى امر الملائكة بان يحشروا الكفار الى موقف السؤال • والمراد من الحشر ان الملايكة يسوقونهم الى
ذلك الموقف • البحث الثالث ان الله تعالى امر الملايكة بحشر ثلاثة اشياء • الظالمين وازواجهم • والاشيا
التي كانوا يعبدونها • وفيه فوايد • الفايدة الاولى انه تعالى قال احشروا الذين ظلموا • ثم ذكر من صفات الذين
ظلموا كونهم عابدين لغير الله • وهذا يدل على ان الظالم المطلق هو الكافر • وذلك يدل على ان كل وعيد ورد في حق
الظالم فهو مصروف الى الكافر ومما يؤكد هذا قوله تعالى والكافرون هم الظالمون • الفايدة الثانية اختلفوا
في المراد بازواجهم • وفيه ثلاثة اقوال • الاول المراد بازواجهم اشباههم واضرابهم ونظراؤهم من الكفرة • فاليهودي
مع اليهودي • والنصراني مع النصراني • والذي يدل على جواز ان المراد من الازواج الاشباه وجوه • الاول قوله وكنتم
ازواجا ثلاثة • اي اشكالا واشباها • الثاني انك تقول عندي من هذا ازواج اي امثال • وتقول زوجان من الخف
لكون كل واحد منهما نظير الاخر • وكذلك الرجل والمراة سميا زوجين لكونهما متشابهين في اكثر احكام النكاح
وكذلك العدد الزوج سمي بهذا الاسم لكون كل واحد من قسميه مشاكلا للقسم الثاني في العدد الصحيح قال الواحدي
فعلى هذا القول يجب ان يكون المراد بالذين ظلموا الرؤسا لانك لو جعلت الذين ظلموا عاما في كل من اشرك لم يكن للازواج
معنى القول الثاني في تفسير الازواج ان المراد قرناؤهم من الشياطين لقوله تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي
ثم لا يقصرون • والقول الثالث ان المراد نساؤهم اللاتي على دينهم • اما قوله تعالى وما كانوا يعبدون من دون
الله ففيه قولان • الاول المراد وما كانوا يعبدون من دون الله من الاوثان والطواغيت • ونظيره قوله تعالى انكم وما

انهم اذا قاموا من قبورهم لم يبعد ان يقفوا هناك لحيرة

تعبدون من دون الله حصب جهنم • وقوله فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة • قيل المراد بالناس عباد
الأوثان • والمراد بالحجارة الأصنام التي هي أحجار منحوتة • فإن قيل تلك الحجارة جمادات فما الفائدة في حشرها
إلى جهنم أجاب القاضي بأنه ورد في الخبر أنها تعاد وتحمى لتحصل المبالغة في توبيخ الكفار الذين كانوا يعبدونها
ولقائل أن يقول هنا أن الله يحيي تلك الأصنام إلا أنه لما لم يصدر عنها ذنب فكيف يجوز من الله تعذيبها • والأقرب
أن يقال إن الله لا يحيي تلك الأصنام بل يتركها على الجمادية ثم يلقيها في جهنم • فإن ذلك مما يزيد في تخجيل الكفار
القول الثاني أن المراد من قوله وما كانوا يعبدون من دون الله الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة ما عبدوه
فلما قبلوا منهم ذلك الذين صاروا كالعابدين لأولئك الشياطين • ويتأكد هذا بقوله تعالى ألم أعهد إليكم يا بني آدم
أن لا تعبدوا الشيطان • والقول الأول أولى لأن الشياطين عقلاء وكلمة ما لا تليق بالعقلاء والله أعلم • ثم قال
فاهدوهم إلى صراط الجحيم قال ابن عباس دلوهم • يقال هديت الرجل إذا دللته • وإنما استعملت الهداية
ها هنا لأنه جعل بدل الهداية إلى الجنة كما قال فبشرهم بعذاب أليم لو قعت البشارة بالعذاب لهؤلاء بدل
البشارة بالنعيم لأولئك • وعن ابن عباس في قوله فاهدوهم سوقوهم وقال الأصم قدموهم قال الواحدي
هذا وهم لأنه يقال هدى إذا تقدم • ومنه الهادية والهوادي • وهاديات الوحش • ولا يقال هدى بمعنى
قدم • ثم قال وقفوهم • يقال وقفت الدابة أقفها وقفا فوقفت هي وقوفا • والمعنى احبسوهم • وفي الآية
قولان • أحدهما أنها على التقديم والتأخير • والمعنى قفوهم واهدوهم • والأصوب أنه لا حاجة إليه بل كأنه
قيل فاهدوهم إلى صراط الجحيم فإذا انتهوا إلى الصراط قيل وقفوهم فإن السؤال يقع هناك • وقوله إنهم مسؤولون
قيل عن أعمالهم في الدنيا وأقوالهم • وقيل المراد سألتهم خزنة جهنم ألم يأتكم رسل منكم بالبينات قالوا بلى ولكن حقت
كلمة العذاب على الكافرين • ويجوز أن يكون السؤال ما ذكر بعد ذلك وهو قوله ما لكم لا تناصرون • أي إنهم يسألون
توبيخا لهم • فيقال ما لكم لا تناصرون أي لا تناصرون قال ابن عباس لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا
وذلك أن أبا جهل قال يوم بدر نحن جميع منتصر • فقيل لهم في يوم القيامة ما لكم غير متناصرين • وقيل يقال للكفار
ما لشركائكم لا يمنعونكم من العذاب • ثم قال الله تعالى بل هم اليوم مستسلمون • يقال استسلم للشيء إذا انقاد له وخضع
ومعناه في الأصل طلب السلامة بترك المنازعة • والمقصود أنهم صاروا منقادين لا حيلة لهم في دفع تلك المضار
لا العابد ولا المعبود • ثم قال فأقبل بعضهم على بعض قيل الإنس والشياطين • وقيل الرؤساء والأتباع يتساءلون
أي يسائل بعضهم بعضا • وهذا التساؤل عبارة عن التخاصم • وهو سؤال الناس يقولون غررتمونا ويقول
أولئك لم قبلتم منا • وبالجملة فليس ذلك التساؤل إلا التوبيخ واللوم والله أعلم • قوله تعالى قالوا إنكم كنتم تأتوننا
عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا
قول ربنا إنا لذائقون فأغويناكم إنا كنا غاوين فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون إنا كذلك نفعل بالمجرمين
إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء
بالحق وصدق المرسلين إنكم لذائقوا العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون إلا عباد الله المخلصين
اعلم أنه تعالى لما حكى عنهم أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون شرح كيفية تلك المساءلة فقال قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن
اليمين • وهذا هو قول الأتباع لمن دعاهم إلى الضلالة • وفي تفسير اليمين وجوه • الأول أن لفظ اليمين ها هنا استعارة
عن الخيرات والسعادات • وبيان كيفية هذه الاستعارة أن الجانب الأيمن أفضل من الجانب الأيسر لوجوه • أحدها
اتفاق الكل على أن أشرف الجانبين هو اليمين • والثاني أنهم لا يباشرون الأعمال الشريفة إلا باليد اليمنى مثل مصافحة الأخيار
والأكل والشرب • وعلى العكس منه يباشرون الأعمال الخسيسة باليد اليسرى • الثالث أنهم كانوا يتفاءلون • وكانوا
يتيمنون بالجانب الأيمن ويسمونه بالسانح • ويتطيرون من الجانب الأيسر ويسمونه بالبارح • الرابع أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يحب التيامن في كل شيء • الخامس أن الشريعة حكمت بأن الجانب الأيمن لكاتب الحسنات • والأيسر لكاتب السيئات
السادس أن الله تعالى وعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه • والمسيء أن يؤتى كتابه بيساره • فثبت أن الجانب الأيمن أفضل
من الجانب الأيسر • وإذا كان كذلك لا جرم استعير لفظ اليمين للخيرات والحسنات والطاعات • فقوله إنكم كنتم
تأتوننا عن اليمين يعني إنكم كنتم تخدعوننا وتوهمون لنا أن مقصودكم من الدعوة إلى تلك الأديان نصرة الحق وتقوية
الصدق • والوجه الثاني في التأويل أنه يقال فلان يمين فلان إذا كان عنده بالمنزلة العالية • والدرجة الرفيعة
وفلان شمال فلان إذا كان عنده بالمنزلة الخسيسة فقال هؤلاء الكفار لأئمتهم الذين أضلوهم وزينوا لهم الكفر
إنكم كنتم تخدعوننا وتوهمون لنا أنا عندكم بمنزلة اليمين أي بالمنزلة الحسنة فوثقنا بكم وقبلنا عنكم • الوجه الثالث

أن أئمة الكفار كانوا قد حلفوا لهؤلاء المستضعفين أن ما يدعونهم إليه هو الحق فوثقوا بأيمانهم وتمسكوا بعهودهم
التي عهدوها إليهم • فمعنى قوله كنتم تأتوننا عن اليمين أي من ناحية المواثيق والأيمان التي قدمتموها لنا • الوجه
الرابع أن لفظ اليمين مستعار من القوة والقهر لأن اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش • والمعنى إنكم كنتم تأتوننا عن
القوة والقهر • وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه حتى حكى الله تعالى عن الرؤساء
أنهم أجابوا الأتباع من وجوه • الأول أنهم قالوا لهم بل لم تكونوا مؤمنين يعني إنكم ما كنتم موصوفين بالإيمان حتى يقال
إنا أزلناكم عنه • الثاني قوله وما كان لنا عليكم من سلطان يعني لا قدرة لنا عليكم حتى نقهركم ونجبركم • الثالث قوله بل كنتم
قوما طاغين أي ضالين غالين في معصية الله • الرابع قولهم فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون • والمعنى أن الله تعالى
لما أخبر عن وقوعنا في العذاب • فلو لم يحصل وقوعنا في العذاب لما كان خبر الله حقا بل كان باطلا • ولما كانت حقيقة
خبر الله أمرا واجبا لا جرم كان الوقوع في العذاب لازما فالمقابل فحق علينا قول ربنا إشارة إلى قول الله تعالى
لإبليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين • وقوله إنا لذائقون يعني لما وجب أن يحق علينا قول ربنا وجب
أن نكون ذائقين لهذا العذاب • الخامس قولهم فأغويناكم إنا كنا غاوين • والمعنى أنا إنما أقدمنا على إغوائكم لأنا
كنا موصوفين في أنفسنا بالغواية • وفي دقيقة أخرى كأنهم قالوا إن اعتقدتم أن غوايتكم بسبب إغوائنا فغوايتنا
إن كانت بسبب إغواء غاو آخر لزم التسلسل وذلك محال فعلمنا أن حصول الغواية والرشاد ليس من قبلنا بل من قبل
غيرنا وذلك الغير هو الذي ذكره فيما قبل وهو قوله فحق علينا قول ربنا • ولما حكى الله تعالى كلام الأتباع للرؤساء
وكلام الرؤساء للأتباع قال بعده فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون يعني فالمتبوع والتابع والمخدوم والخادم مشتركون
في الوقوع في العذاب كما كانوا في الدنيا مشتركين في الغواية • ثم قال أيضا إنا كذلك نفعل بالمجرمين • وعنى
بالمجرمين ها هنا الكفار بدليل أنه تعالى قال بعد هذه الكلمة إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون والضمير
في قوله إنهم عائد إلى المذكور السابق وهو قوله بالمجرمين • وهذا يدل على أن لفظ المجرم المطلق مختص في القرآن
بالكافر • ثم بين تعالى أنهم إنما وقعوا في ذلك العذاب لأنهم كانوا مكذبين بالتوحيد والنبوة • أما التكذيب بالتوحيد
فهو قوله إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون • يعني يتكبرون ويتعصبون لإثبات الشرك
ويستنكفون عن الإقرار بالتوحيد • وأما التكذيب بالنبوة فهو قولهم أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون • يعنون
محمدا • ثم إنه تعالى كذبهم في ذلك الكلام فقال بل جاء بالصدق وصدق المرسلين • وتقرير هذا الكلام أنه جاء بالدين
الحق لأنه ثبت بالعقل كونه تعالى منزها عن الضد والند والشريك • فلما جاء محمد بتقرير هذه المعاني كان مجيئه بالدين
قرأ ابن كثير أئنا لتاركوا آلهتنا بهمزة وبعدها خفيفة شبه ساكنة بلا مد • وقرأ أبو عمرو ونافع في رواية قالون على هذا
التفسير وبمدان • والباقون بهمزتين بلا مد • وقوله وصدق المرسلين يعني صدقهم في مجيئهم بالتوحيد ونفي الشرك
وهذا تنبيه على أن القول بالتوحيد دين لكل الأنبياء • ولما حكى الله عنهم تكذيبهم بالتوحيد وبالنبوة نقل الكلام من الغيبة
إلى الحضور فقال إنكم لذائقوا العذاب الأليم • والمعنى أنهم قالوا قبل ذلك إنا لذائقون فالله تعالى صدقهم في ذلك
الكلام فقال إنكم لذائقوا العذاب الأليم • ثم كأنه قيل كيف يليق بالرحيم الكريم المتعالي عن النفع والضر أن يعذب عباده
فأجاب عنه بقوله وما تجزون إلا ما كنتم تعملون • والمعنى أن الحكمة تقتضي الأمر بالخير والطاعة • والنهي عن القبيح
والمعصية والأمر والنهي لا يكمل المقصود منهما إلا بالترغيب في الثواب • وبالترهيب بالعقاب • وإذا وقع
الإخبار عنه وجب تحقيقه صونا للكلام عن الكذب • فلهذا السبب وقعوا في العذاب • ثم قال إلا عباد الله المخلصين
يعني لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع • قوله تعالى أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون
في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم
عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون
اعلم أنه تعالى لما وصف حال المستكبرين عن قول التوحيد المصرين على إنكار النبوة في العقاب أردفه بذكر حال المخلصين
في كيفية الثواب • وفيه مسائل المسألة الأولى ذكرنا أن فتح اللام وكسرها من المخلصين قراءتان • فالفتح
أن الله أخلصهم بلطفه واصطفاهم بفضله • والكسر هو أنهم أخلصوا الطاعة لله تعالى المسألة الثانية
اعلم أنه تعالى وصف رزقهم بكونه معلوما ولم يبين أن أي الصفات منه هو المعلوم فلذلك اختلفت الأقوال فقيل
معناه أن ذلك الرزق معلوم الوقت وهو مقدار غدوة وعشية • وإن لم يكن ثم بكرة ولا عشية قال تعالى ولهم
رزقهم فيها بكرة وعشيا • وقيل معناه أن ذلك الرزق معلوم الصفة لكونه مخصوصا بخصائص خلق عليها
من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر • وقيل معناه أنهم يتيقنون دوامه لا كرزق الدنيا الذي لا يعلم متى يحصل

فلما جاء محمد عليه السلام بتقرير هذه المعاني

ومنى ينقطع • وقيل انه القدر الذي يستحقونه باعمالهم من ثواب الله وكرامته يدام لهم • وقد بين تعالى انه يعطيهم غير ذلك على سبيل التفضل • ثم لما ذكر تعالى ان لهم رزقا بين ان ذلك الرزق ما هو فقال فواكه • وفيه قولان • الاول ان الفاكهة عبارة عما يؤكل لاجل التلذذ لا لاجل الحاجة • وارزاق اهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات فانهم اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما يأكلونه فهو على سبيل التلذذ • والثاني ان المقصود من ذكر الفاكهة التنبيه بالادنى على الاعلى يعنى لما كانت الفاكهة حاضرة ابدا كان الطعام اولى بالحضور • والقول الاول اقرب الى التحقيق واعلم انه تعالى لما ذكر ان الاكل حاصل مع الاكرام والتعظيم فقال وهم مكرمون لان الاكل الخالي عن التعظيم يليق بالبهايم • ولما ذكر الله تعالى ماكولهم وصف مساكنهم فقال في جنات النعيم على سرر متقابلين • ومعناه انه لا كلفة عليهم في التلاقي للانس والتخاطب • وفي بعض الاخبار انهم اذا ارادوا القرب سار السرير تحتهم • ولا يجوز ان يكونوا متقابلين الا مع حصول الحواجز والسواتر ولن يكون كذلك الا مع الفسحة والسعة • ولا يجوز ان يسمع بعضهم خطاب بعض • ويراه على بعد الا بان يقوي الله ابصارهم واسماعهم واصواتهم ولما شرح الله تعالى صفة الماكل والمسكن • ذكر بعده صفة المشروب فقال يطاف عليهم بكاس من معين • يقال للزجاجة التي فيها الخمر كاس • وتسمى الخمر نفسها كاسا قال • وكاس شربت على لذة • وعن الاخفش كل كاس في القرآن فهي الخمر • وقوله من معين اى من شراب معين • او من نهر معين • المعين ماخوذ من عين الماء اي يخرج من العيون كما يخرج الماء • وسمي معينا لظهوره • يقال عان الماء اذا ظهر جاريا قاله ثعلب فهو مفعول من العين نحو مكيل ومبيع وقيل سمي معينا لانه يجري ظاهرا للعين • ويجوز ان يكون فعيلا من المعن وهو الماء الشديد الجري • ومنه امعن في السير اذا اشتد فيه • وقوله بيضاء صفة للخمر قال الحسن خمر الجنة اشد بياضا من اللبن • وقوله لذة فيه وجوه • احدها انها وصفت باللذة كانها نفس اللذة وعينها كما يقال فلان جود وكرم اذا ارادوا المبالغة في وصفه بهاتين الصفتين وثانيها قال الزجاج اي ذات لذة فعلى هذا حذف المضاف • وثالثها قال الليث اللذ واللذيذ يجريان مجرى واحد في النعت يقال شراب لذ ولذيذ قال تعالى بيضاء لذة للشاربين • وقال تعالى من خمر لذة للشاربين • وبذلك سمي النوم لذا لاستلذاذ • وعلى هذا اللذة بمعنى لذيذ • والاقرب من هذه الوجوه هو الاول • ثم قال تعالى لا فيها غول وفيه ابحاث • البحث الاول قال الفراء العرب تقول ليس فيها غيلة وغائلة وغول سواء وقال ابو عبيدة الغول ان تغتال عقولهم • وانشد قول مطيع بن اياس • وما زالت الكاس تغتالهم • وتذهب بالاول الاول وقال الليث الغول الصداع • والمعنى ليس فيها صداع كما في خمر الدنيا قال الواحدي رحمه الله وحقيقته الاهلاك • يقال غاله غولا اى اهلكه • والغول والغائل المهلك • ثم سمي الوجع غولا لانه يؤدي الى الهلاك ثم قال ولا هم عنها ينزفون • وقرئ بكسر الزاي قال الفراء من كسر الزاي فله معنيان • يقال انزف الرجل اذا فنيت خمره • وانزف اذا ذهب عقله من السكر • ومن فتح الزاي فمعناه لا تذهب عقولهم اى لا يسكرون • يقال نزف الرجل فهو منزوف ونزيف • والمعنى ليس فيها نوع من انواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من صداع او خمار او عربدة ولا هم يسكرون ايضا • وخصه بالذكر لانه اعظم المفاسد في شرب الخمر • ولما ذكر تعالى صفة مشروبهم ذكر عقيبه صفة منكوحهم من ثلاثة اوجه • الاول قوله وعندهم قاصرات الطرف • ومعنى القصر في اللغة الحبس ومنه قوله تعالى مقصورات في الخيام • والمعنى انهن يحبسن نظرهن فلا ينظرن الى غير ازواجهن • الصفة الثانية لهن قوله تعالى عين قال الزجاج كبار الاعين حسانها • واحدها عيناء • الصفة الثالثة قوله كانهن بيض مكنون • المكنون في اللغة المستور • يقال كننت الشيء واكننته • ومعنى هذا التشبيه ان ظاهر البيض بياض يشوبه قليل من الصفرة فاذا كان مكنونا كان مصونا عن الغبرة والقترة فكان هذا اللون في غاية الحسن • والعرب كانوا يسمون النساء بيضات الخدور • ولما تمم تعالى صفات اهل الجنة قال فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون • فان قيل على اي شيء عطف قوله فاقبل بعضهم على بعض • قلنا على قوله يطاف عليهم • والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب قال شعر

وما بقيت من اللذات الا • محادثة الكرام على المدام

والمعنى فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا • قوله تعالى **قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون قال هل انتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين • ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون** • في الاية مسايل

المسألة الاولى اعلم انه تعالى لما ذكر في الاية الاولى ان اهل الجنة يتساءلون • ذكر في اهل الجنة انهم يتساءلون

وتسمى الخمر كاسا

وتسمى النوم لذا

عند الاجتماع

عند الاجتماع على شرب خمر الجنة • واعلم ان محادثة العقلاء بعضهم مع بعض على الشرب من الامور اللذيذة • وتذكر الخلاص عند اجتماع اسباب الهلاك من الامور اللذيذة • فذكر تعالى في هذه الاية ان اهل الجنة اذا اجتمعوا على الشرب واخذوا في المكالمة والمسايلة كان من جملة تلك الكلمات انهم يتذكرون انه كان قد حصل لهم في الدنيا ما يوجب لهم الوقوع في عذاب الله • ثم انهم تخلصوا عنه وفازوا بالسعادة الابدية والمقصود من ذكر هذه الاشياء ان اهل الجنة يتكامل سرورهم وبهجتهم اما قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين اي قال قائل من اهل الجنة انه كان لي في الدنيا قرين يقول ائنك لمن المصدقين اي كان يوبخني على التصديق بالبعث والقيمة • ويقول تعجبا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اي لمحاسبون ومجازون والمعنى ان ذلك القرين كان يقول هذه الكلمات على سبيل الاستنكار • ثم ان ذلك الرجل الذي هو من اهل الجنة يقول لجلسائه يدعوهم الى كمال السرور بالاطلاع الى النار لمشاهدة ذلك القرين في مخاطبته هل انتم مطلعون فاطلع والاقرب انه يكلف امرا اطلع منه لانه لو كان مطلعا بلا تكلف لم يكن الى اطلاعه حاجة فلذلك قال بعضهم انه ذهب الى بعض اطراف الجنة فاطلع عندها الى النار فرآه في سواء الجحيم اي في وسط الجحيم فقال موبخا تالله ان كدت لتردين اي لتهلكني بدعائك اياي الى انكار البعث والقيمة • ولولا نعمة ربي بالارشاد الى الحق والعصمة من الباطل لكنت من المحضرين في النار مثلك ولما تمم الكلام مع الرجل الذي كان في الدنيا قرينا له وهو الان من اهل النار عاد الى مخاطبة جلسائه الذين هم من اهل الجنة ويقول افما نحن بميتين • وفيه قولان • الاول ان اهل الجنة لا يعلمون في دخولهم في الجنة انهم لا يموتون • فاذا جيء بالموت على صورة كبش املح وذبح فعند ذلك يعلمون انهم لا يموتون فلهذا الكلام حصل بعد ذبح الموت • الثاني ان الذي تكامل خيره وسعادته اذا عظم تعجبه بها قد يقول افيدوم هذا لي فيبقى هذا لي وان كان على يقين من دوامه • ثم عند فراغهم من هذه المباحثات يقولون ان هذا لهو الفوز العظيم • واما قوله لمثل هذا فليعمل العاملون فقيل انه من بقية كلامهم • وقيل انه ابتداء كلام من الله اي لطلب مثل هذه السعادات يجب ان يعمل

المسألة الثانية قال بعضهم المراد من هذا القايل وقرينه ما ذكره الله تعالى في سورة الكهف في قوله واضرب لهم مثلا رجلين الى اخر الايات وروي ان الرجلين كانا شريكين فحصل لهما ثمانية الاف دينار فقال احدهما للاخر اقسمها فقاسمه • واشترى دارا بالف دينار فاراها صاحبه وقال كيف ترى حسنها فقال ما احسنها فخرج وقال اللهم ان صاحبي هذا قد ابتاع هذه الدار بالف دينار • واني اسالك دارا من دور الجنة وتصدق بالف دينار • ثم ان صاحبه تزوج بامراة حسناء بالف دينار فتصدق هذا بالف دينار لاجل ان يزوجه الله من الحور العين • ثم ان صاحبه اشترى بستانين بالفي دينار • فتصدق هذا بالفي دينار • ثم ان الله اعطاه في الجنة ما طلب • فعند هذا قال انه كان لي قرين فاطلع فرآه في سواء الجحيم

المسألة الثالثة قوله ائنك لمن المصدقين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون • اختلف القراء في هذه الاستفهامات الثلاث قرا نافع الاولى والثانية بالاستفهام بهمزة غير ممدودة • والثالثة بكسر الالف من غير استفهام • ووافقه الكسائي الا انه يستفهم الثالثة بهمزتين • وقرا ابن عامر الاولى والثالثة بالاستفهام بهمزتين • والثانية بكسر الالف من غير استفهام • وقرا الباقون بالاستفهام في جميعها • ثم اختلفوا فابن كثير يستفهم بهمزة واحدة غير مطولة بعدها ياء ساكنة خفيفة • وابو عمرو مطولة • وعاصم وحمزة بهمزتين • واما قوله ان كدت لتردين • قرا نافع برواية ورش لتردين باثبات الياء في الوصل • والباقون بحذفها •

المسألة الرابعة احتج اصحابنا على ان الهدى والضلال من الله بقوله ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين • وقالوا مذهب الخصم ان كل ما فعله الله تعالى من وجوه الانعام في حق المؤمن فقد فعله في حق الكافر واذا كان ذلك الانعام مشتركا فيه امتنع ان يكون سببا لحصول الهداية للمؤمن وان يكون سببا للخلاص من الكفر والردى فوجب ان تكون تلك النعمة المخصوصة امرا زايدا على تلك الانعامات التي حصل الاشتراك فيها وما ذاك الا تقوية الداعي الى الايمان • وتكميل الصارف عن الكفر •

المسألة الخامسة احتج نفاة عذاب القبر بقول الرجل الذي من اهل الجنة افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى • فهذا يدل على ان الانسان لا يموت الا مرة واحدة • ولو حصلت الحياة في القبر لكان الموت حاصلا مرتين • والجواب ان قوله الا موتتنا الاولى المراد منه كل ما وقع في الدنيا والله اعلم • قوله تعالى **اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالؤن منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون • ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين** اعلم انه تعالى لما قال بعد ذكر ثواب اهل الجنة وصفتها لمثل هذا فليعمل العاملون اتبعه بقوله قل اذلك خير ام شجرة الزقوم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يورد ذلك على كفار قومه ليصير ذلك زاجرا لهم عن الكفر • وكما وصف من قبل ماكل اهل الجنة ومشاربهم وصف ايضا في هذه الاية ماكل اهل النار ومشاربهم

روى ان رجلين كانا شريكين

احتج اصحابنا على ان الهدى والضلال من الله تعالى

اما قوله اذلك خير ام شجرة الزقوم • المعنى ان الرزق المعلوم المذكور لاهل الجنة خير نزلا اى خير حاصلا ام شجرة الزقوم واصل النزل الفضل والريع فى الطعام • يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشى ويقال ارسل الامير الى فلان نزلا وهو الشى الذى يصلح حال من ينزل بسببه اذا عرفت هذا فنقول حاصل الرزق المعلوم لاهل الجنة اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم • ومعلوم انه لا نسبة لاحدهما الى الاخر فى الخيرية الا انه جا هذا الكلام على سبيل السخرية بهم او لاجل ان المؤمنين لما اختاروا ما اوصلهم الى الرزق الكريم والكافرين اختاروا ما اوصلهم الى العذاب الاليم فقيل لهم ذلك توبيخا لهم على سوا اختيارهم واما الزقوم فقال الواحدى رحمه الله لم يذكر المفسرون الزقوم تفسيرا الا الكلبى فانه روى انه لما نزلت هذه الاية قال ابن الزبعرى اكثر الله فى بيوتكم الزقوم فان اهل اليمن يسمون التمر والزبد بالزقوم فقال ابو جهل لجاريته زقمينا فاتته بزبد وتمر وقال تزقموا • ثم قال الواحدى ومعلوم ان الله تعالى لم يرد بالزقوم ههنا الزبد والتمر قال ابن دريد لم يكن للزقوم اشتقاق من التزقم وهو الافراط من اكل الشى حتى يكره ذلك • يقال بات فلان يتزقم • وظاهر القران يدل على انها شجرة كريهة الطعم منتنة الرايحة شديدة الخشونة موصوفة بصفات كل من تناولها عظم تالمه من تناولها ثم انه تعالى يكره اهل النار على تناول بعض اجزايها • اما قوله تعالى انا جعلناها فتنة للظالمين • ففيه اقوال الاول انها انما صارت فتنة للظالمين من حيث ان الكفار لما سمعوا هذه الاية قالوا كيف يعقل ان تنبت الشجرة فى جهنم مع ان النار تحرق الشجر والجواب عنه ان خالق النار قادر على ان يمنع النار من احراق الشجرة لانه اذا جاز ان يكون فى النار زبانية • والله تعالى منع النار عن احراقهم فلم لا يجوز مثله فى هذه الشجرة • اذا عرفت هذا السوال والجواب فمعنى كون شجرة الزقوم فتنة للكافرين انهم لما سمعوا هذه الاية وقعت تلك الشبهة فى قلوبهم وصارت تلك الشبهة سببا لتماديهم فى الكفر فهذا هو المراد من كونها فتنة لهم • والوجه الثانى فى التفسير ان يكون المراد صيرورة هذه الشجرة فتنة لهم فى النار لانهم اذا كلفوا تناولها وشق ذلك عليهم فحينيذ يصير ذلك فتنة فى حقهم الوجه الثالث ان يكون المراد من الفتنة الامتحان والاختبار فان هذا شى بعيد عن العرف والعادة مخالف للمعروف والمالوف فاذا ورد على سمع المومن فوض علمه الى الله • واذا ورد على الزنديق توسل به الى الطعن فى القران والنبوة • ثم انه تعالى لما ذكر هذه الشجرة وصفها بصفات • الصفة الاولى قوله انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم • قيل منبتها فى قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها • الصفة الثانية قوله طلعها كانه رووس الشياطين قال صاحب الكشاف الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجر الزقوم من حملها اما استعارة لفظية او معنوية • وقال ابن قتيبة سمى طلعا لطلوعه كل سنة • ولذلك قيل طلع النخل لما يخرج من ثمره واما تشبيه هذا الطلع برووس الشياطين ففيه سوال لانه قيل انا ما راينا رووس الشياطين • فكيف يمكن تشبيه شى بها • واجابوا عنه من وجوه • الاول وهو الصحيح ان الناس اعتقدوا فى الملايكة كمال الفضل فى الصورة وفى السيرة • واعتقدوا فى الشياطين نهاية القبح والخساسة فى الصورة والسيرة • فكما حسن التشبيه بالملك عند ارادة تقرير الكمال والفضيلة فى قوله ان هذا الا ملك كريم • فكذلك وجب ان يحسن التشبيه برووس الشياطين فى القبح وتشويه الخلقة • والحاصل ان هذا من باب التشبيه لا بالمحسوس بل بالمتخيل كانه قيل ان اقبح الاشيا فى الوهم والخيال هو رووس الشياطين • فهذه الشجرة تشبهها فى قبح المنظر وتشويه الصورة • والذى يوكد هذا ان العقلا اذا راوا شيا شديد الاضطراب منكر الصورة قبيح الخلقة قالوا انه شيطان • واذا راوا شيا حسن الصورة والسيرة قالوا انه ملك وقال امرو القيس شعر • اتقتلنى والمشرفى مضاجعى • ومسنونة زرق كانياب اغوال • القول الثانى ان الشياطين حيات لها رووس واعراف وهى من اقبح الحيات وبها يضرب المثل فى القبح • والعرب اذا رات منظرا قبيحا قالت كانه شيطان الحماطة والحماطة شجرة معينة • والقول الثالث ان رووس الشياطين نبت معروف [illegible]

الزقوم بالحميم نعوذ بالله منها • واعلم انه تعالى وصف شرابهم فى القران باشيا • منها كونه غساقا • ومنها قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم • ومنها ما ذكره فى الاية • فان قيل ما الفايدة فى كلمة ثم فى قوله ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم • قلنا فيه وجهان • الاول انهم يملون بطونهم من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم فيعظم عطشهم • ثم انهم لا يسقون الا بعد مدة مديدة • والغرض تكميل التعذيب • والثانى انه تعالى ذكر الطعام بتلك البشاعة والكراهة ثم وصف الشراب بما هو اشنع منه فكان المقصود من كلمة ثم بيان ان حال المشروب فى البشاعة اعظم من حال الماكول • ثم قال تعالى ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قال مقاتل اى بعد اكل الزقوم وشرب الحميم • وهذا يدل على انهم عند شرب الحميم لم يكونوا فى الجحيم • وذلك بان يكون الحميم فى موضع خارج عن الجحيم • فهم يوردون الحميم لاجل الشرب • كما يورد الابل الى الما • ثم يردون الى الجحيم • ويقوى قول مقاتل وحجة على صحته بقوله تعالى هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم ان وذلك يدل على ما ذكرناه والله اعلم ثم انه تعالى لما وصف عذابهم فى اكلهم وشربهم قال انهم الفوا اباهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون • قال الفرا الاهراع الاسراع • يقال هرع واهرع اذا استحث • والمعنى انهم يتبعون اباهم اتباعا فى سرعة كانهم يزعجون الى اتباع اباهم والمقصود من الاية انه تعالى علل استحقاقهم للوقوع فى تلك الشدايد كلها بتقليد الابا فى الدين وترك اتباع الدليل ولو لم يوجد فى القران غير هذه الاية فى ذم التقليد لكفى • ثم انه تعالى ذكر لرسوله ما يوجب التسلية فى كفرهم وتكذيبهم فقال ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين • فبين تعالى ان ارساله للرسل قد تقدم وتكذيبا منهم لهم قد سلف • ويجب ان يكون له صلى الله عليه وسلم اسوة بهم حتى يصبر كما صبروا ويستمر على الدعا الى الله وان تمردوا فانه ليس عليهم الا البلاغ كما قال تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين وهذا وان كان فى الظاهر خطابا مع الرسول عليه الصلاة والسلام الا ان المقصود منه خطاب الكفار لانهم سمعوا بالاخبار ما جرى من انواع العذاب على قوم نوح وعلى عاد وثمود وغيرهم فان لم يعلموا ذلك فلا اقل من ظن وخوف يصلح ان يكون زاجرا لهم عن كفرهم • قوله الا عباد الله المخلصين فيه قولان • احدهما انه استثنا من قوله ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين • والثانى انه استثنا من قوله كيف كان عاقبة المنذرين فانها كانت اقبح العواقب واقطعها الا عاقبة عباد الله المخلصين فانها كانت مقرونة بالخير والراحة • قوله تعالى ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه فى الاخرين سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المومنين ثم اغرقنا الاخرين • اعلم انه تعالى لما قال من قبل ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين وقال فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اتبعه بشرح وقايع الانبيا عليهم السلام

فالقصة الاولى حكاية حال نوح عليه السلام ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون • فيه مباحث • الاول اللام فى قوله فلنعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف اى فلنعم المجيبون نحن • البحث الثانى انه تعالى ذكر ان نوحا نادى ولم يذكر ان ذلك النداء فى اى الوقايع كان لاجرم حصل فيه قولان • الاول وهو المشهور عند الجمهور انه نادى الرب تعالى فى ان ينجيه من محنة الغرق وكرب تلك الواقعة • والقول الثانى ان نوحا عليه السلام لما اشتغل بدعوة قومه الى الدين الحق بالغوا فى ايذايه وقصدوا قتله • ثم انه عليه السلام نادى ربه واستنصر على كفار قومه فاجابه الله تعالى ومنعهم من قتله وايذايه واحتج هذا القايل على ضعف القول الاول بانه عليه السلام انما دعا عليهم لاجل ان ينجيه الله تعالى واهله واجاب الله دعاءه فيه فكان حصول تلك النجاة كالمعلوم المتيقن فى دعايه وذلك يمنع من ان يقال المطلوب من هذا الدعا حصول هذه النجاة • ثم انه تعالى لما حكى عن نوح انه ناداه قال بعده فلنعم المجيبون • وهذه اللفظة تدل على ان تلك الاجابة كانت من النعم العظيمة وبيانه من وجوه • الاول انه تعالى عبر عن ذاته بصيغة الجمع فقال ولقد نادانا نوح • والقادر العظيم لا يليق به الا الاحسان العظيم • والثانى انه اعاد صيغة الجمع فى قوله فلنعم المجيبون • وذلك يدل ايضا على تعظيم تلك النعمة لا سيما وقد وصف تلك الاجابة بانها نعمت الاجابة • والثالث ان الفا فى قوله فلنعم المجيبون يدل على ان حصول هذه الاجابة ترتب على ذلك النداء • والحكم المرتب على الوصف المناسب يقتضى كونه معللا به • وهذا يدل على ان النداء بالاخلاص سبب لحصول الاجابة ثم انه تعالى لما بين انه سبحانه نعم المجيب على سبيل الاجمال بين ان الانعام حصل فى تلك الاجابة من وجوه • الاول قوله ونجيناه واهله من الكرب العظيم وهو على القول الاول الكرب الحاصل بسبب الخوف من الغرق • وعلى الثانى الكرب الحاصل من اذى قومه • والثانى قوله وجعلنا ذريته هم الباقين اى جعلنا نسل بنى ادم من ذريته لان قوله هم الباقون يفيد الحصر وذلك يدل على ان كل من سواه وسوى ذريته فقد فنوا قال ابن عباس ذريته بنوه الثلاثة • سام • وحام • ويافث فسام ابو العرب وفارس • وحام ابو السودان • ويافث ابو الترك • النعمة الثالثة قوله وتركنا عليه فى الاخرين سلام على نوح فى العالمين يعنى وتركنا عليه فى الاخرين من كل الامم هذه الكلمة وهى سلام على نوح يعنى يذكرونه بهذه الكلمة • فان قيل فما معنى قوله فى العالمين • قلنا معناه الدعا بثبوت هذه التحية فيهم جميعا كانه قيل ثبت الله التسليم على نوح وادامه فى الملايكة والثقلين يسلمون عليه بكليتهم ثم انه تعالى لما شرح تفاصيل انعامه عليه قال انا كذلك نجزى المحسنين • والمعنى انا انما خصصنا

نوحا عليه السلام بتلك التشريفات الرفيعة من جعل الدنيا مملوءة من ذريته وتبقية ذكره الحسن في السنة جميع العالمين لاجل انه كان محسنا • ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا • والمقصود منه بيان ان اعظم الدرجات • واشرف المقامات الايمان بالله والانقياد لطاعته القصة الثانية قصة ابرهيم عليه السلام • قوله تعالى وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال الا تاكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبلوا اليه يزفون في الآية مسائل المسئلة الاولى الضمير في قوله من شيعته الى ماذا يعود فيه قولان • الاول وهو الاظهر انه عايد الى نوح عليه السلام اي من شيعة نوح اي من اهل ملته وعلى دينه ومنهاجه لابرهيم قالوا وما كان بين نوح وابرهيم الا نبيان هود وصالح • وروى صاحب الكشاف انه كان بين نوح وابرهيم الفان وستمائة واربعون سنة • الثاني قال الكلبي المراد من شيعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو اختيار الفراء فالمعنى ان من شيعة محمد صلى الله عليه وسلم لابرهيم بمعنى انه كان على دينه ومنهاجه فهو من شيعته • وان كان سابقا له • والاول اظهر لانه تقدم ذكر نوح عليه السلام ولم يتقدم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فعود الضمير الى نوح اولى المسئلة الثانية العامل في اذ ما دل عليه قوله وان من شيعته من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابرهيم اما قوله اذ جاء ربه بقلب سليم ففيه مسائل المسئلة الاولى في قوله بقلب سليم قولان • الاول قال مقاتل والكلبي يعني خالص من الشرك • والمعنى انه سلم من الشرك فلم يشرك بالله • والثاني قال الاصوليون المراد انه عاش ومات على طهارة القلب عن كل ما يدنسه من المعاصي فيدخل فيه كونه سليما عن الشرك وعن الشك وعن الغش والغل والحقد والحسد عن ابن عباس انه كان يحب للناس ما يحب لنفسه وسلم جميع الناس من غشه وظلمه • واسلم لله بقلبه ولسانه ولم يعدل به احد • واحتج الذاهبون الى القول الاول بانه تعالى ذكر بعد هذه الكلمة انكاره على قومه الشرك بالله وهو قوله اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون • واحتج الذاهبون الى القول الثاني بان اللفظ مطلق فلا فائدة في تقييده بصفة دون صفة • ويتاكد هذا بقوله تعالى • ولقد آتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين مع انه تعالى قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته • وقال وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين • فان قيل ما معنى المجيء بقلبه ربه • قلنا معناه انه اخلص لله قلبه فكانه اتحف حضرة الله بذلك القلب • ورايت في التوراة ان الله تعالى لموسى عليه يا موسى احب الهك بكل قلبك • واعلم انه تعالى لما ذكر ان ابرهيم جاء ربه بقلب سليم ذكر ان من آثار تلك السلامة ان دعى اباه وقومه الى التوحيد فقال لابيه وقومه ماذا تعبدون • والمقصود من هذا الكلام تهجين تلك الطريقة وتقبيحها • ثم قال ائفكا آلهة دون الله تريدون قال صاحب الكشاف افكا مفعول له تقديره اتريدون آلهة من دون الله افكا • وانما قدم المفعول على الفعل للعناية • وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يقرر عندهم انهم على افك وباطل في شركهم • ويجوز ان يكون افكا مفعولا به يعني اتريدون افكا • ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون الله على انها افك في نفسها • ويجوز ان يكون حالا بمعنى اتريدون آلهة من دون الله آفكين • ثم قال تعالى فما ظنكم برب العالمين وفيه وجوه • احدها المراد اتظنون برب العالمين انه يهمل امركم على هذا الكذب ولا يعاقبكم عليه • وثانيها اتظنون برب العالمين انه يجوز على هذه الجمادات مشاركة له في المعبودية • وثالثها اتظنون برب العالمين انه من جنس هذه الاجسام حتى جعلتموها مساوية له في المعبودية فنبههم بذلك على انه ليس كمثله شيء • ثم قال فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم • عن ابن عباس انهم كانوا يتعاطون علم النجوم فعاملهم على مقتضى عادتهم • وذلك انه اراد ان يكايدهم في اصنامهم ليلزمهم الحجة في انها غير معبودة وكان لهم من الغد يوم عيد يخرجون اليه فاراد ان يتخلف عنهم ليبقى خاليا في بيت الاصنام فيقدر على كسرها • وههنا سؤالات • الاول ان النظر في علم النجوم غير جائز فكيف قدم ابرهيم عليه السلام عليه • والثاني انه عليه السلام ما كان سقيما فلما قال اني سقيم كان ذلك كذبا واعلم ان العلماء ذكروا في الجواب عنه وجوها كثيرة • الاول انه نظر نظرة في النجوم اي في اوقات الليل والنهار وكانت تاتيه علة كالحمى في بعض ساعات الليل والنهار • فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة فقال اني سقيم فجعله علة في تخلفه عن العيد الذي لهم وكان صادقا فيما قال لان السقم كان ياتيه في ذلك الوقت • وانما تخلف لاجل ان يكسر اصنامهم • الوجه الثاني في الجواب ان قوم ابرهيم عليه السلام كانوا اصحاب النجوم يعظمونها ويقضون بها على الامور فلذلك نظر ابرهيم عليه السلام في النجوم اي في علم النجوم وفي مقاييسها لا لانه نظر بعينه اليها وهو كما يقال نظر فلان في الفقه وفي النجوم • وانما اراد ان يوهمهم انه يعلم ما يعلمون • ويتعرف من حيث يتعرفون حتى اذا قال اني سقيم سكنوا الى قوله • واما قوله اني سقيم فمعناه ساسقم كقوله انك ميت اي ستموت • الوجه الثالث قوله فنظر نظرة في النجوم هو قوله فلما جن عليه الليل راى كوكبا الى آخر الآيات • وكان ذلك النظر لاجل ان يتعرف احوال

وتقواه

هذه الكواكب

هذه الكواكب انها قديمة او محدثة • وقوله اني سقيم اي سقيم القلب غير عارف بربي وكان ذلك قبل البلوغ • الوجه الرابع قال ابن زيد كان له نجم مخصوص وكلما طلع على صفة مخصوصة مرض ابرهيم فلاجل هذا الاستقراء لما رآه في ذلك الوقت طالعا على تلك الصفة المخصوصة قال اني سقيم اي هذا السقم واقع لا محالة الوجه الخامس اي قوله اني سقيم اي مريض القلب بسبب اطباق ذلك الجمع العظيم على الكفر والشرك قال تعالى لمحمد عليه الصلاة والسلام فلعلك باخع نفسك • الوجه السادس في الجواب انا لا نسلم ان النظر في علم النجوم والاستدلال بمقابيسها حرام وذلك لان من اعتقد ان الله تعالى خص كل واحد من هذه الكواكب بقوة وخاصية لاجلها يظهر منه اثر مخصوص • فهذا العلم على هذا الوجه ليس بباطل • واما الكذب فغير لازم لان قوله اني سقيم على سبيل التعريض بمعنى ان الانسان لا ينفك في اكثر احواله عن حصول حالة مكروهة له اما في بدنه • واما في قلبه وكل ذلك سقم • الوجه السابع قال بعضهم ذلك القول من ابرهيم عليه السلام كذب • ورووا فيه حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما كذب ابرهيم الا ثلاث كذبات • فقلت لبعضهم هذا الحديث لا ينبغي ان يقبل لان نسبة الكذب الى ابرهيم لا تجوز فقال ذلك الرجل • فكيف يحكم بكذب الرواة العدول • فقلت لما وقع التعارض بين نسبة الكذب الى الراوي وبين نسبته الى الخليل عليه السلام كان من المعلوم بالضرورة ان نسبته الى الراوي اولى • ثم نقول لم لا يجوز ان يكون المراد بكونه كذبا كونه خبرا شبيها بالكذب • والوجه الثامن ان المراد من قوله فنظر نظرة في النجوم اي نظر في نجوم كلامهم • ومتفرقات اقوالهم • فان الاشياء التي تحدث قطعة قطعة يقال انها منجمة اي متفرقة • ومنه نجوم الكتابة • والمعنى انه لما سمع كلماتهم المتفرقة نظر فيها حتى يستخرج منها حيلة يقدر بها على اقامة عذر لنفسه في التخلف عنهم فلم يجد عذرا احسن من قوله اني سقيم • والمراد انه لا بد من ان يصير سقيما كما تقول لمن رأيته على اوفاز السفر انك مسافر • واعلم ان ابرهيم عليه السلام لما قال اني سقيم تولوا عنه معرضين فتركوه وعذروه في ان لا يخرج اليهم وكان ذلك مراده فراغ الى آلهتهم • يقال راغ اليه اي مال اليه في السر وعلى سبيل الخفية • ومنه روغان الثعلب • وقوله الا تاكلون يعني الطعام الذي كان بين ايديهم وانما قال ذلك استهزاء بها • وكذا قوله ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا فاقبل عليهم • فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال يضربهم ضربا لان راغ عليهم في معنى ضربهم او فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وفي قوله باليمين قولان • الاول معناه بالقوة والشدة لان اليمين اقوى الجارحتين • والثاني انه الحي بذلك الفعل بسبب الحلف • وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم • ثم قال تعالى فاقبلوا اليه يزفون • قرا حمزة يزفون بضم اليا • والباقون بفتحها وهما لغتان قال ابن عرفة من قرا بالنصب فهو من زف يزف • ومن قرا يزفون فهو من ازف يزف قال الزجاج يزفون يسرعون واصله من زفيف النعامة وهو ابتداء عدوها • وقول حمزة يزفون اي يحملون غيرهم على الزفيف قال الاصمعي يقال ازففت الابل اذا حملتها على ان تزف قال وهو سرعة الخطو ومقاربة المشي فالمفعول محذوف على قراءته كانهم حملوا دوابهم على الاسراع في المشي • فان قيل مقتضى هذه الآية ان ابرهيم عليه السلام لما كسرها عدوا اليه واخذوه وقال في سورة اخرى في عين هذه القصة قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم • وهذا يقتضي انهم في اول الامر ما عرفوه فبين هاتين الآيتين تناقض • قلنا لا يبعد ان يقال ان جماعة عرفوه فعدوا اليه مسرعين • والاكثرون ما عرفوه فتعرفوا ان الكاسر هو هو والله اعلم • قوله تعالى قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم في الآية مسائل المسئلة الاولى اعلم ان القوم لما عاتبوا ابرهيم على كسر الاصنام فهو ايضا ذكر لهم الدليل الدال على فساد المصير الى عبادتها فقال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ووجه الاستدلال ظاهر وهو ان الخشب والحجر قبل النحت • والاصلاح ما كان معبودا للانسان البتة فاذا نحته وشكله على الوجه المخصوص لم يحدث فيه الا آثار تصرفه • فلو صار معبودا عند ذلك لكان معناه ان الشيء الذي ما كان معبودا لما حصلت آثار تصرفاته فيه صار معبودا له • وفساد ذلك معلوم ببديهة العقل المسئلة الثانية احتج جمهور الاصحاب بقوله والله خلقكم وما تعملون على ان فعل العبد مخلوق لله • وقالوا النحويون اتفقوا على ان لفظة ما مع ما بعده في تقدير المصدر • فقوله وما تعملون معناه وعملكم وعلى هذا التقدير صار معنى الآية والله خلقكم وخلق عملكم فان قيل هذه الآية حجة عليكم من وجوه • الاول انه تعالى قال اتعبدون ما تنحتون اضاف العبادة والنحت اليهم اضافة الفعل الى الفاعل • ولو كان ذلك واقعا بتخليق الله لاستحال كونه فعلا للعبد • الثاني ان الله تعالى انما ذكر هذه الآية توبيخا لهم على عبادة الاصنام لانه تعالى بين انه خالقهم وخالق لتلك الاصنام • والخالق هو المستحق للعبادة دون المخلوق • فلما تركوا عبادته سبحانه مع انه خالقهم وعبدوا الاصنام لا جرم انه سبحانه وبخهم على هذا الخطأ العظيم فقال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون • ولو لم يكونوا فاعلين لافعالهم لما جاز توبيخهم عليها

ون

وفساد ذلك معلوم ببديهة العقل

سلمنا أن هذه الآية ليست حجة عليكم لكن لا نسلم أنها حجة لكم · قوله لفظ ما مع ما بعده في تقدير المصدر · قلنا هذا ممنوع وبيانه أن سيبويه والأخفش اختلفا في أنه هل يجوز أن يقال أعجبني ما قمت أي قيامك · فجوزه سيبويه ومنعه الأخفش وزعم أن هذا لا يجوز إلا في الفعل المتعدي · وذلك يدل على أن ما مع ما بعده في تقدير المفعول عند الأخفش سلمنا أن ذلك قد يكون بمعنى المصدر لكنه أيضا قد يكون بمعنى المفعول · ويدل عليه وجوه · الأول قوله أتعبدون ما تنحتون · والمراد بقوله ما تنحتون المنحوت لا النحت لأنهم ما عبدوا النحت وإنما عبدوا المنحوت فوجب أن يكون المراد بقوله ما تعملون المعمول لا العمل حتى يكون كل واحد من هذين اللفظين على وفق الآخر · الثاني أنه تعالى قال فإذا هي تلقف ما يأفكون · وليس المراد أنها تلقفت نفس الإفك بل أراد العصي والحبال التي هي متعلقات ذلك الإفك · فكذا هاهنا · الثالث أن العرب تسمي محل العمل عملا · يقال في الباب والخاتم هذا عمل فلان والمراد محل عمله فثبت بهذه الوجوه الثلاثة أن لفظة ما مع ما بعده كما يجيء بمعنى المصدر فقد يجيء أيضا بمعنى المفعول فلم كان حمله هاهنا على المصدر أولى من حمله على المفعول بل نقول حمله على المفعول أولى لأن المقصود في هذه الآية تزييف مذهبهم في عبادة الأصنام لا بيان أنهم لا يوجدون أفعال أنفسهم لأن الذي جرى ذكره من أول الآية إلى هذا الموضع هو مسألة عبادة الأصنام لا مسألة خلق الأعمال · واعلم أن هذه السؤالات قوية · وفي دلائلنا كثرة · فالأولى ترك الاستدلال بهذه الآيات · واعلم أن إبرهيم عليه السلام لما أورد عليهم هذه الحجة القوية ولم يقدروا على الجواب عدلوا إلى طريقة الإيذاء فقالوا ابنوا له بنيانا · واعلم أن كيفية ذلك البناء لا يدل عليها لفظ القرآن قال ابن عباس بنوا حائطا من حجارة · طوله في السماء ثلاثون ذراعا · وعرضه عشرون ذراعا وملؤه نارا وطرحوه فيها · وذلك هو قوله فألقوه في الجحيم وهي النار العظيمة قال الزجاج كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم · والألف واللام في الجحيم يدل على الكناية · والمعنى في جحيمه أي في جحيم ذلك البنيان · ثم قال تعالى فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين · والمعنى أن في وقت المحاجة حصلت الغلبة له · وعندما ألقوه في النار صرف الله عنه ضرر النار · فصار هو الغالب عليهم · واعلم أنه لما انقضت هذه الواقعة قال إبرهيم عليه السلام إني ذاهب إلى ربي سيهدين ونظير هذه الآية قوله تعالى وقال إني مهاجر إلى ربي · وفيه مسائل **المسألة الأولى** دلت هذه الآية على أن الموضع الذي يكثر فيه الأعداء يجب مهاجرته · وذلك لأن إبراهيم صلوات الله عليه مع أن الله سبحانه خصه بأعظم أنواع النصرة لما أحس منهم بالعداوة الشديدة هاجر عن تلك الديار فلأن يجب ذلك على الغير كان أولى **المسألة الثانية** في قوله إني ذاهب إلى ربي قولان · الأول المراد منه مفارقة تلك الديار والمعنى أني ذاهب إلى مواضع دين ربي · والقول الثاني قال الكلبي ذاهب بعبادتي إلى ربي فعلى القول الأول المراد بالذهاب إلى الرب هو الهجرة عن تلك الديار · وبه اقتدى موسى عليه السلام حيث قال كلا إن معي ربي سيهدين · وعلى القول الثاني المراد رعاية أحوال القلوب وهو أن لا يأتي بشيء من الأعمال إلا لله كما قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض قيل إن القول الأول أولى لأن المقصود من هذه الآية بيان مهاجرته إلى أرض الشام · وأيضا يبعد حمله على الهداية لأنه في الدين لأنه كان على الدين في ذلك الوقت إلا أن يحمل ذلك على الثبات عليه أو يحمل ذلك على الاهتداء إلى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في أمر الدين **المسألة الثالثة** قوله سيهدين يدل على أن الهدى لا يحصل إلا من الله تعالى كما يقوله أصحابنا ولا يمكن حمل هذه الهداية على وضع الأدلة وإزاحة الأعذار لأن كل ذلك كان قد حصل في الزمان الماضي وقوله سيهدين يدل على اختصاص تلك الهداية بالمستقبل فوجب حمل الهداية في هذه الآية على تحصيل العلم والمعرفة في قلبه · فإن قيل إن إبرهيم عليه السلام جزم في هذه الآية بأنه تعالى سيهديه · وإن موسى عليه السلام لم يجزم به بل قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل فما الفرق · قلنا [illegible] **المسألة الرابعة** قوله إني ذاهب إلى ربي [illegible] في قوله إني ذاهب إلى ربي [illegible] · واعلم أن إبرهيم عليه السلام لما هاجر إلى الأرض المقدسة أراد الولد فقال رب هب لي من الصالحين أي هب لي بعض الصالحين يريد الولد لأن لفظ الهبة غلب في الولد وإن كان قد جاء في الأخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وقال تعالى ووهبنا له إسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علي بن أبي طالب لابن عباس حين هنأه بولد له على أبي الأملاك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وموهوب ووهب وموهب · واعلم أنه تعالى بشره بالغلام [illegible] قد انطوت البشارة على ثلاثة أشياء على أن الولد غلام ذكر وأنه يبلغ أوان الحلم وأنه يكون حليما وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدني إن شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وأيضا فإبرهيم عليه السلام

كان موصوفا

كان موصوفا بالحلم قال تعالى إن إبرهيم لأواه حليم إن إبرهيم لحليم أواه منيب · ثم بين تعالى أن ولده موصوفا بالحلم وأنه قائم مقامه في صفات الشرف والفضيلة · واعلم أن الصلاح أفضل الصفات بدليل أن الخليل عليه السلام طلب الصلاح لنفسه فقال رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين وطلبه للولد فقال هب لي من الصالحين · وطلب سليمن عليه السلام بعد كمال درجته في الدين والدنيا فقال وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وذلك يدل على أن الصلاح أشرف مقامات العباد · قوله تعالى فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبرهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبرهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين · اعلم أنه تعالى لما قال فبشرناه بغلام حليم أتبعه بما يدل على حصول ما بشر به وبلوغه فقال فلما بلغ معه السعي ومعناه فلما أدرك وبلغ الحد الذي يقدر فيه على السعي · وقوله معه في موضع الحال والتقدير كائنا معه · والفائدة في اعتبار هذا المعنى أن الأب أرفق الناس بالولد وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لأنه لم تستحكم قوته · قال بعضهم كان في ذلك الوقت ابن ثلاث عشرة سنة · والمقصود من هذا الكلام أنه تعالى وعده في الآية الأولى بكون ذلك الغلام حليما فبين في هذه الآية ما يدل على كمال حلمه وذلك لأنه كان به من كمال الحلم وفسحة الصدر ما قواه على احتمال تلك البلية العظيمة · والإتيان بذلك الجواب الحسن · أما قوله تعالى إني أرى في المنام أني أذبحك ففيه مسائل **المسألة الأولى** في تفسير هذا اللفظ وجهان · الأول قال السدي كان إبرهيم حين بشر بإسحق قبل أن يولد له هو إذا لله ذبيح فقيل لإبرهيم قد نذرت نذرا فف بنذرك · فلما أصبح قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك وروي من طريق آخر أنه رأى ليلة التروية في منامه كأن قائلا يقول له إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا · فلما أصبح روى في ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان · فمن ثم سمي يوم التروية · فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فسمي يوم عرفة · ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر · هذا هو قول أهل التفسير وهو يدل على أنه رأى في المنام ما يوجب أن يذبح ابنه في اليقظة · وعلى هذا فتقدير اللفظ إني أرى في المنام ما يوجب أني أذبحك · والقول الثاني أنه رأى في المنام أنه يذبحه · ورؤيا الأنبياء عليهم السلام من باب الوحي · وعلى هذا التقدير فالمرئي في المنام ليس إلا أنه ذبح · فإن قيل إما أن يقال إنه ثبت بالدليل عند الأنبياء عليهم السلام أن كل ما رأوه في المنام فهو حق وحجة أو لم يثبت ذلك بالدليل عندهم · فإن كان الأول فلم راجع الولد في هذه الواقعة بل كان من الواجب عليه أن يشتغل بتحصيل ذلك المأمور · وأن لا يراجع الولد فيه وأن لا يقول له فانظر ماذا ترى وأن لا يوقف العمل على أن يقول له الولد افعل ما تؤمر وأيضا فقد نعلم أنه بقي في اليوم الأول متروبا متفكرا · ولو ثبت عنده بالدليل أن كل ما رآه في النوم فهو حق لم يكن إلى هذا التروي والتفكر حاجة · وإن كان الثاني وهو أنه لم يثبت بالدليل عندهم أن ما يرونه في المنام حق فكيف يجوز له أن يقدم على ذلك الطفل بمجرد رؤيا لم يدل الدليل على كونها حجة والجواب لا يبعد أن يقال إنه كان عند الرؤيا مترددا فيه · ثم تأكدت الرؤيا بالوحي الصريح **المسألة الثانية** اختلفوا في هذا الذبيح من هو · فقيل إنه إسحق · قيل إن هذا قول عمر وعلي والعباس ابن عبد المطلب وابن مسعود وكعب الأحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة والزهري والسدي ومقاتل وقيل إنه إسمعيل وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي ومجاهد والكلبي · واحتج القائلون بأنه إسمعيل بوجوه · الأول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وقال له أعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم · فسئل عن ذلك فقال إن عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له أمرها ليذبحن أحد ولده · فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له افد ابنك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل · والذبيح الثاني إسمعيل · الحجة الثانية نقل عن الأصمعي أنه قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعي أين عقلك ومتى كان إسحق بمكة وإنما كان إسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة · الحجة الثالثة أن الله تعالى وصف إسمعيل بالصبر دون إسحق في قوله وإسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح · ووصفه أيضا بصدق الوعد في قوله تعالى إنه كان صادق الوعد لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به · الحجة الرابعة قوله تعالى فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب · فنقول لو كان الذبيح إسحق لكان الأمر بذبحه قبل ظهور يعقوب منه أو بعد ذلك · والأول باطل لأنه تعالى لما بشرها بإسحق وبشرها معه بأنه يحصل منه يعقوب · فقبل ظهور يعقوب منه لم يجز الأمر بذبحه وإلا حصل الخلف في قوله ومن وراء إسحق يعقوب · والثاني باطل لأن قوله فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك يدل على أن ذلك الابن لما قدر على السعي ووصل إلى حد القدرة على الفعل أمر الله تعالى إبرهيم بذبحه وهذه تنافي وقوع هذه

ولو ثبت عنده بالدليل أن كل ما رآه في النوم فهو حق

ذبح م

الأصمعي

القصة في زمان آخر فثبت انه لا يجوز ان يكون الذبيح هو اسحق • الحجة الخامسة حكى الله تعالى عنه انه قال
اني ذاهب الى ربي سيهدين • ثم طلب من الله تعالى ولدا ليستأنس به في غربته فقال رب هب لي من الصالحين • وهذا
السؤال انما يحصل قبل ان يحصل له الولد لانه لو حصل له ولد واحد لما طلب الولد الواحد لان طلب الحاصل محال
وقوله هب لي من الصالحين لا يفيد الا طلب الولد الواحد • وكلمة من للتبعيض • واقل درجات البعضية الواحد فكان قوله
من الصالحين لا يفيد الا طلب الولد الواحد • فثبت ان هذا السؤال لا يحسن الا عند عدم كل الاولاد فثبت ان هذا السؤال
وقع حال طلب الولد الاول • واجمع الناس على ان اسمعيل متقدم في الوجود على اسحق فثبت ان المطلوب بهذا الدعاء هو
اسمعيل ثم ان الله تعالى ذكر عقيبه قصة الذبح • فوجب ان يكون الذبيح هو اسمعيل • الحجة السادسة الاخبار كثيرة
في تعليق قرن الكبش بالكعبة • وكان الذبح بمكة • ولو كان الذبيح اسحق لكان الذبح بالشام • واحتج من قال انه اسحق بان
اول الاية وآخرها يدل على ذلك • اما اولها فانه تعالى حكى عن ابرهيم عليه السلام قبل هذه الاية انه قال اني ذاهب الى
ربي سيهدين • واجمعوا على ان المراد مهاجرته الى الشام • ثم قال فبشرناه بغلام حليم فوجب ان يكون هذا الغلام الحليم
قد حصل له في الشام وذلك الغلام ليس الا اسحق • ثم قال بعده فلما بلغ معه السعي هو ذلك الغلام الذي حصل في الشام
فثبت ان مقدمة هذه الاية تدل على ان الذبيح هو اسحق • واما مؤخرة الاية فهي ايضا تدل على ذلك لانه تعالى لما تمم
قصة الذبيح قال بعده وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ومعناه انه بشره بكونه نبيا من الصالحين • وذكر هذه
البشارة عند حكاية تلك القصة يدل على انه تعالى انما بشره بهذه النبوة لاجل انه تحمل الشدائد في قصة الذبيح فثبت
لما ذكرنا ان اول الاية وآخرها يدل على ان الذبيح هو اسحق عليه السلام • الحجة الثانية هل صحة ذلك اشتهر من كتاب
يعقوب عليه السلام • من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله • فهذا جملة الكلام في هذا الباب
وكان الزجاج يقول الله اعلم ايهما الذبيح • واعلم انه يتفرع على ما ذكرنا اختلافهم في موضع الذبح • فالذين قالوا الذبيح
هو اسمعيل قالوا كان الذبح بمنى • والذين قالوا انه اسحق قالوا هو بالشام • وقيل ببيت المقدس والله اعلم

المسئلة الثالثة اختلف الناس في ان ابرهيم عليه السلام كان مأمورا بهذا الذبح • وهذا الاختلاف متفرع
على مسئلة من مسائل اصول الفقه وهي انه هل يجوز نسخ الحكم قبل مدة الامتثال فقال اكثر اصحابنا انه يجوز • وقالت
المعتزلة وكثير من فقهاء الشافعية والحنفية انه لا يجوز فعلى القول الاول ان الله تعالى امره بالذبح ثم انه تعالى نسخ هذا
التكليف • قبل حضور وقته • وعلى القول الثاني انه تعالى ما امره بالذبح وانما امره بمقدمات الذبح • وهذه مسئلة
شريفة من مسائل باب النسخ • واحتج اصحابنا على انه يجوز نسخ الامر قبل مجيء مدة الامتثال بان الله تعالى امر ابرهيم
عليه السلام بذبح ولده • ثم انه تعالى نسخه عنه قبل اقدامه عليه • وذلك يفيد المطلوب • وانما قلنا انه تعالى امره بذبح
الولد لوجهين • الاول انه عليه السلام قال للولد اني ارى في المنام اني اذبحك فقال الولد افعل ما تؤمر وهذا يدل
على انه عليه السلام كان مأمورا بمقدمات الذبح لا بنفس الذبح • ثم انه اتى بمقدمات الذبح وادخلها في الوجود فحينئذ
يكون قد اتى بما امر به وفي هذا الموضع لا يحتاج الى الفداء لكنه احتاج الى الفداء بدليل قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم
فدل هذا على انه انما اتى بالمأمور به • وقد ثبت انه اتى بكل مقدمات الذبح وهذا يدل على انه تعالى كان قد امره بنفس الذبح
فاذا ثبت هذا فنقول انه تعالى نسخ ذلك الحكم قبل اتيانه وذلك يدل على المقصود • وقالت المعتزلة لا نسلم ان الله
امره بذبح الولد بل نقول انه تعالى امره بمقدمات الذبح ويدل عليه وجوه الاول انه ما اتى بالذبح وانما اتى بمقدماته
ثم ان الله تعالى اخبر عنه بانه اتى بما امر به بدليل قوله تعالى وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا • وذلك يدل على انه
تعالى انما امره في المنام بمقدمات الذبح لا بنفس الذبح • وتلك المقدمات عبارة عن اضجاعه ووضع السكين على حلقه
والعزم الصحيح على الاتيان بذلك الفعل ان ورد • الامر الثاني الذبح عبارة عن قطع الحلقوم • فلعل ابرهيم عليه السلام
قطع الحلقوم الا انه كلما قطع جزءا اعاد الله التأليف • فلهذا السبب لم يحصل الموت • والوجه الثالث وهو
الذي عليه تعويل القوم انه تعالى لو امر شخصا معينا بايقاع فعل معين في وقت معين • فهذا يدل على ان ايقاع
ذلك الفعل في ذلك الوقت • فاذا نهى عنه فذلك النهي يدل على ان ايقاع ذلك الفعل في ذلك الوقت قبيح • ولو
حصل هذا النهي عقيب ذلك الامر لزم احد امرين لانه تعالى ان كان عالما بحال ذلك الفعل لزم ان يقال انه امر بالقبيح
او نهى عن الحسن وان لم يكن عالما به لزم جهل الله تعالى وانه محال • فهذا تمام الكلام في هذا الباب • والجواب
عن الاول انا قد دللنا على انه تعالى انما امره بالذبح • اما قوله تعالى قد صدقت الرؤيا • فهذا يدل على انه اعترف
بكون ذلك واجب العمل به ولا يدل على انه اتى بكل ما رآه في ذلك المنام • واما قوله ثانيا كلما قطع ابرهيم عليه السلام
جزءا اعاد الله التأليف اليه • فنقول هذا باطل لان ابرهيم عليه السلام لو اتى بكل ما امر به لما احتاج الى الفداء

وحيث احتاج

وحيث احتاج اليه علمنا انه لم يأت بما امر به • واما قوله ثالثا انه يلزم اما الامر بالقبيح واما الجهل • فنقول هذا بناء
على ان الله تعالى لا يأمر الا بما يكون حسنا في ذاته ولا ينهى الا عما يكون قبيحا في ذاته وذلك بناء على تحسين الفعل وتقبيحه
وهو باطل وايضا فانا نسلم ذلك الا انا نقول لم لا يجوز ان الله تعالى يأمر بالشيء تارة بحسن يكون المأمور به حسنا • وتارة
لاجل ان ذلك الامر يفعل المصلحة من المصالح ولو لم يكن المأمور به حسنا الا ترى ان السيد اذا اراد ان يروض عبده
فانه يقول له اذا جاء يوم الجمعة فافعل الفعل الفلاني ويكون ذلك الفعل من الافعال الشاقة ويكون مقصود السيد
من ذلك الامر ليس ان يأتي ذلك العبد بذلك الفعل بل يوطن العبد نفسه على الانقياد والطاعة • ثم ان السيد
اذا علم منه انه وطن نفسه على الطاعة فقد يزيل عنه ذلك التكليف فكذا ههنا فلما لم يقيموا الدلالة على فساد
هذا الاحتمال لم يتم كلامكم والله اعلم

المسئلة الرابعة احتج اصحابنا بهذه الاية على ان الله تعالى يأمر بما لا يريد
وقوعه • والدليل عليه انه امر بالذبح وما اراد وقوعه • اما انه امر بالذبح فلما تقدم في المسئلة الاولى
واما انه ما اراد وقوعه فلان عندنا ان كل ما اراد الله وقوعه فانه يقع وحيث لم يقع هذا الذبح علمنا
انه تعالى ما اراد وقوعه • واما عند المعتزلة فلان الله تعالى نهى عن ذلك الذبح والنهي عن الشيء يدل على ان
الناهي لا يريد وقوعه عندهم فثبت انه تعالى ما اراده وذلك يدل على ان الامر بدون الارادة • وتمام الكلام في
ان الله تعالى امر بالذبح ما تقدم في المسئلة المتقدمة والله اعلم

المسئلة الخامسة في بيان الحكمة في بيان الحكمة
في ورود هذا التكليف في النوم لا في اليقظة • وبيانه من وجوه • الاول ان هذا التكليف كان في نهاية
المشقة على الذابح • وعلى المذبوح فورد اولا في النوم حتى يصير ذلك كالمنبه لورود هذا التكليف الشاق • ثم يتأكد
حال النوم باحوال اليقظة لا يهجم هذا التكليف دفعة واحدة بل يسيرا يسيرا • الثاني ان الله تعالى جعل رؤيا الانبياء
عليهم السلام حقا قال تعالى في حق محمد عليه الصلاة والسلام لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام
وقال عن يوسف عليه السلام اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين • وقال في حق ابرهيم
عليه السلام اني ارى في المنام اني اذبحك • والمقصود من ذلك تقوية الدلالة على كونهم صادقين لان الحال اما حال
يقظة او حال منام • فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك هو النهاية في بيان كونهم محقين صادقين في كل الاحوال
والله اعلم • ثم نقول منامات الانبياء عليهم السلام على ثلاثة اقسام • منها ما يقع على وفق الرؤية كما في قوله تعالى في حق
رسولنا صلى الله عليه وسلم لتدخلن المسجد الحرام • ثم وقع ذلك الشيء بعينه • ومنها ما يقع على الضد كما في حق ابرهيم
عليه فانه رأى الذبح وكان الحاصل هو الفداء والنجاة • ومنها ما يقع على ضرب من التأويل والمناسبة كما في رؤيا يوسف عليه
السلام فانه رأى الذبح وكان الحاصل • فلهذا السبب اطنب اهل التعبير في ان المنامات واقعة على هذه الوجوه الثلاثة

المسئلة السادسة قراءة حمزة والكسائي ترى بضم التاء وكسر الراء اي ما تريني من نفسك من الصبر والتسليم • وقيل
ما تشير • والباقون بفتح التاء • ثم منهم من يميل ومنهم من لا يميل

المسئلة السابعة الحكمة في مشاورة الابن في هذا
الباب ان يطلع ابنه على هذه الواقعة ليظهر له صبره في طاعة الله فيكون فيه قرة عين لابرهيم حيث يراه قد بلغ في الحلم
الى هذا الحد العظيم • وفي الصبر على اشد المكاره الى هذه الدرجة العالية ويحصل للابن الثواب العظيم في الآخرة
والثناء الحسن في الدنيا • ثم انه تعالى حكى عن ولد ابرهيم انه قال افعل ما تؤمر ومعناه افعل ما تؤمر به فحذف
الجار كما حذف من قوله • امرتك الخير فافعل ما امرت به • ثم قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين • وانما علق ذلك
بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك والتيمن فانه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا
بتوفيق الله • ثم قال تعالى فلما اسلما • يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد • وقد قرئ بهن جميعا اذا انقاد
له وخضع • واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه • وقولهم سلم لامر الله واسلم
له منقولان عنه بالهمزة وحقيقة معناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة • وكذلك معنى استسلم استخلص
نفسه لله • وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه • ثم قال تعالى وتله للجبين اي صرعه على شقه فوقع احد
جنبيه على الارض • وللوجه جبينان والجبهة بينهما قال ابن الاعرابي التليل والمتلول المصروع • والمتل الذي يتل
به اي يصرع • فالمعنى انه صرعه على جبينه • وقال مقاتل كبه لجبهته • وهذا خطأ لان الجبين غير الجبهة • ثم قال
تعالى وناديناه ان يا ابرهيم • وفيه قولان • الاول ان هذا جواب فلما عند الفراء والكوفيين • والواو زائدة
والجواب الثاني ان عند البصريين لا يجوز ذلك • والجواب • الثاني ان عند البصريين لا يجوز ذلك • والجواب
مقدر • والتقدير فلما فعل ذلك وناداه الله ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا سعد سعادة عظيمة • وآتاه الله بنجاة
ولده واجزل له الثواب • قالوا وحذف الجواب ليس بعزيز في القرآن • والفائدة فيه انه اذا كان محذوفا كان اعظم

والخبر قال المفسرون لما اضجعه للذبح نودي من الجبل يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا قال المحققون السبب في
هذا التكليف كمال الطاعة فاذا كلفه الله تعالى بهذا التكليف الشاق الشديد وظهر منه كمال الطاعة
وظهر من ولده كمال الطاعة والانقياد لا جرم قال قد صدقت الرؤيا يعني حصل المقصود من تلك الرؤيا • وقوله انا
كذلك نجزي المحسنين ابتداء اخبار من الله تعالى وليس يتصل بما تقدم من الكلام • والمعنى ان ابرهيم وولده كانا محسنين
في هذه الطاعة فكما جازيناهما ... ثم قال تعالى ان هذا لهو البلاء المبين اي الاختبار
البين الذي تتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها • وفديناه بذبح عظيم
الذبح مصدر ذبحت • والذبح ايضا ما يذبح وهو المراد من هذه الاية • وههنا مباحث تتعلق بالحكايات • فالاول
حكي في قصة الذبح ان ابرهيم لما اراد ذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير
اخبره بما امر فقال له اشدد رباطي لا اضطرب • واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فتراه امي فتحزن • واشحذ
شفرتك واسرع امرارها على حلقي ليكون اهون فان الموت شديد • واقرأ على امي سلامي • وان رأيت ان ترد قميصي على
امي فافعل فانه عسى ان يكون اسهل لها فقال ابرهيم نعم العون انت يا بني على امر الله • ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما
يبكيان • ثم وضع السكين على حلقه فقال له كبني على وجهي فانك اذا نظرت وجهي رحمتني وادركتك رقة تحول بينك وبين
امر الله ففعل • ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين • ونودي يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا • البحث الثاني اختلفوا
في ذلك الكبش • فقيل انه الكبش الذي تقرب به هابيل ابن ادم الى الله تعالى فقبله وكان في الجنة يرعى حتى فدا الله به
اسمعيل وقال اخرون ارسل الله كبشا من الجنة قد رعى اربعين خريفا • وقال السدي نودي ابرهيم فالتفت فاذا هو بكبش
املح انحط من الجبل فقام عند ابرهيم فاخذه فذبحه وخلا عن ابنه • ثم اعتنق ابنه وقال يا بني اليوم وهبت لي • واما
قوله عظيم فقيل سمي عظيما لعظمه وسمنه وقال سعيد بن جبير حق له ان يكون عظيما وقد رعى في الجنة اربعين خريفا
وقيل سمي عظيما لعظم قدره حيث قبله الله تعالى فداء عن ولد ابرهيم • ثم قال انه من عبادنا المؤمنين • الضمير في قوله انه
عايد الى ابرهيم • ثم قال وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فقوله نبيا حال مقدرة اي بشرناه باسحق بوجود
اسحق مقدرة نبوته • ولمن يقول ان الذبيح هو اسمعيل ان يحتج بهذه الاية وذلك لان قوله نبيا حال ولا يجوز ان
يكون المعنى وبشرناه باسحق حال كون اسحق نبيا لان البشارة به متقدمة على صيرورته نبيا فوجب ان يكون المعنى وبشرناه
باسحق حال ما قدرناه نبيا وحال ما حكمنا عليه بكونه نبيا واذا كان الامر كذلك فحينئذ كانت هذه البشارة بشارة
بوجود اسحق لا بنبوته • واذا كان كذلك كانت هذه البشارة بوجود اسحق حاصلة بعد قصة الذبح فوجب ان يكون
الذبيح غير اسحق اقصى ما في الباب ان يقال هذه الاية وان كانت متاخرة في التلاوة عن قصة الذبح الا انها كانت
متقدمة عليه في الوقوع والوجود الا انا نقول الاصل رعاية الترتيب وعدم التغيير في النظم والله اعلم • ثم قال
تعالى وباركنا عليه وعلى اسحق • وفي تفسير هذه البركة قولان • الاول انه تعالى اخرج جميع انبياء بني اسرايل
من صلب اسحق • والثاني انه ابقى الثناء الحسن على ابرهيم واسحق الى قيام القيمة لان البركة عبارة عن الدوام والثبات
ثم قال ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين • وفيه تنبيه على انه لا يلزم من كثرة فضايل الاب فضيلة الابن
لئلا تصير هذه الشبهة سببا للمفاخرة اليهود ودخل تحت قوله محسن الانبياء والمؤمنون • وتحت قوله ظالم
لنفسه الكافر والفاسق والله اعلم • قوله تعالى ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب
العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين واتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم
وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين
اعلم ان هذا هو القصة الثالثة من القصص المذكورة في هذه السورة • واعلم ان وجوه الانعام وان كانت كثيرة الا انها
محصورة في نوعين ايصال المنافع اليه ودفع المضار عنه • والله تعالى ذكر القسمين ههنا • فقوله ولقد مننا على
موسى وهرون اشارة الى ايصال المنافع اليهما وقوله ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم اشارة الى دفع المضار عنهما • اما
القسم الاول وهو ايصال المنافع فلا شك ان المنافع على قسمين • منافع الدنيا ومنافع الدين • اما منافع الدنيا
فالوجود والحياة والعقل والتربية والصحة وتحصيل صفات الكمال في ذات كل واحد منهما • واما منافع الدين فالعلم
والطاعة • واعلى هذه الدرجات النبوة الرفيعة المقرونة بالمعجزات القاهرة الباهرة • ولما ذكر الله تعالى
هذه التفاصيل في ساير السور لا جرم اكتفى ههنا بهذا الرمز • واما القسم الثاني وهو دفع الضرر فهو المراد من
قوله ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم • وفيه قولان • قيل انه الغرق واغرق الله فرعون وقومه ونجى بني
اسرايل • وقيل المراد منه انه تعالى نجاهم من بلاء فرعون حيث كان يذبح ابناهم ويستحيي نساهم • واعلم انه تعالى

لما ذكر انه

لما ذكر انه من على موسى وهرون تفصيل اقسام تلك المنة • فاولها قوله ونصرناهم اي نصرنا موسى وهرون وقومهما
فكانوا هم الغالبين في كل الاحوال بظهور الحجة في اخر الامر بالدولة والرفعة • وثانيها قوله واتيناهما الكتاب
والمراد منه التوراة وهو الكتاب المشتمل على جميع العلوم التي يحتاج اليها في مصالح الدين والدنيا كما قال انا انزلنا
التوراة فيها هدى ونور • وثالثها قوله وهديناهما الصراط المستقيم اي دللناهما على طريق الحق عقلا وسمعا وامددناهما
بالتوفيق والعصمة في نسبة الدلايل الحقة بالطريق المستقيم واضح • ورابعها قوله وتركنا عليهما في الاخرين فيه
قولان • الاول وتركنا عليهما في الاخرين وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقولهم سلام على موسى وهرون
والثاني ان المراد وتركنا عليهما في الاخرين وهم امة محمد الثناء الحسن والذكر الجميل وعلى هذا التقدير فقوله بعد
ذلك سلام على موسى وهرون هو كلام الله تعالى • ولما ذكر تعالى هذه الاقسام الاربعة من ابواب التعظيم
والتفضيل قال انا كذلك نجزي المحسنين • وقد سبق تفسيره • ثم قال انهما من عبادنا المؤمنين • والمقصود
التنبيه على ان الفضيلة الحاصلة بسبب الايمان اشرف واعلى واكمل من كل الفضايل • ولولا ذلك لما حسن ختم موسى
وهرون بكونهما من المؤمنين • قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا
وتذرون احسن الخالقين الله ربكم ورب ابايكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين
وتركنا عليه في الاخرين سلام على الياسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين • اعلم ان هذا
هو القصة الرابعة من القصص المذكورة في هذه السورة • وفيه مسايل • المسئلة الاولى قرا ابن عامر
وان الياس بغير همز على وصل الالف • والباقون بالهمز وقطع الالف قال ابو بكر بن مهران من ذكر عنه وصل الالف
فقد اخطا وكان اهل ينكرونه ولا يعرفونه قال الواحدي وله وجهان • احدهما انه حذف الهمزة من الياس حذفا
كما حذفها ابن كثير من قوله انها لاحدى الكبر وكقول الشاعر • وبل امها في هواء الجو طالبة • والاخر انه جعل
الهمزة التي تصحب اللام للتعريف كقوله واليسع • المسئلة الثانية في الياس قولان • روي عن ابن مسعود
انه قرا وان ادريس • قال الياس هو ادريس • وهذا قول عكرمة • واما اكثر المفسرين فهم متفقون على انه نبي
من انبياء بني اسرايل وهو الياس بن ياسين من ولد هرون اخي موسى عليهم السلام • ثم قال تعالى اذ قال لقومه الا تتقون
والتقدير اذكر يا محمد لقومك اذ قال لقومه الا تتقون اي الا تخافون الله • وقال الكلبي الا تخافون عبادة غير الله
واعلم انه لما خوفهم اولا على سبيل الاجمال • ذكر ما هو السبب لذلك الخوف فقال اتدعون بعلا وتذرون احسن
الخالقين • وفيه ابحاث • الاول في بعل قولان • احدهما انه علم لصنم كان لهم كمناة وهبل • وقيل كان من ذهب وكان
طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه • وفتنوا به وعظموه حتى عينوا له اربعماية سادن وجعلوهم انبياءه • وكان
الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك • واعلم ان
قولهم ان بعلا اسم لصنم من اصنامهم لا باس به • اما قولهم ان الشيطان كان يدخل في جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة • فهذا
مشكل لانا ان جوزنا هذا كان ذلك قادحا في كثير من المعجزات لانه نقل في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كلام الذيب معه وكلام
الجمل معه • وحنين الجذع • ولو جوزنا ان يدخل الشيطان في جوف جسم ويتكلم فحينئذ يكون هذا الاحتمال قايما في الذيب
والجمل والجذع • وذلك يقدح في كون هذه الاشيا معجزات • القول الثاني ان البعل هو الرب بلغة اليمن • يقال من بعل
هذه الدار اي من ربها • وسمي الزوج بعلا لهذا المعنى قال تعالى وبعولتهن احق بردهن • وقال وهذا بعلي شيخا • فعلى
هذا التقدير المعنى اتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله • البحث الثاني المعتزلة احتجوا بهذه الاية على كون
العبد خالقا لافعاله فقالوا لو لم يكن غير الله خالقا لما جاز وصف الله بانه احسن الخالقين • والكلام فيه قد تقدم في قوله
فتبارك الله احسن الخالقين • البحث الثالث كان الملقب بالرشيد الكاتب يقول لو قيل اتدعون بعلا وتدعون احسن
الخالقين اوهم انه احسن لانه كان يحصل فيه رعاية معنى التجنيس • وجوابه ان فصاحة القران ليست لاجل رعاية هذه التكلفات
بل لاجل قوة المعاني وجزالة الالفاظ • واعلم انه لما عابهم على عبادة غير الله صرح بالتوحيد ونفي الشركا فقال
الله ربكم ورب ابايكم الاولين • وفيه مباحث • الاول انا ذكرنا في هذا الكتاب ان حدوث الاشخاص البشرية كيف يدل على
وجود الصانع المختار • وكيف يدل على وحدته وبرايته عن الاضداد والانداد فلا فايدة في الاعادة • البحث الثاني قرا حمزة
والكسائي وحفص عن عاصم الله ربكم ورب كلها بالنصب على البدل من قوله احسن الخالقين • والباقون بالرفع على الاستيناف
والاول اختيار ابي حاتم وابي عبيد • ونقل صاحب الكشاف ان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع • ولما حكى الله عنه انه
قرر مع قومه التوحيد قال فكذبوه فانهم لمحضرون اي لمحضرون النار غدا • وقد ذكرنا الكلام فيه عند قوله لكنت من المحضرين
ثم قال الا عباد الله المخلصين وذلك لان قومه ما كذبوه بكليتهم بل كان فيهم من قبل ذلك التوحيد • فلهذا قال تعالى

ولو جوزنا ان يدخل الشيطان في جوف جسم ويتكلم

الا عباد الله المخلصين يعني الذين اتوا بالتوحيد الخالص فانهم لا يحضرون • ثم قال وتركنا عليه في الاخرين سلام على آل ياسين •
قرا نافع وابن عامر ويعقوب آل ياسين على اضافة لفظ آل الى لفظ ياسين • والباقون بكسر الالف وجزم اللام موصولة
بياسين • اما القراءة الاولى ففيها وجوه • الاول وهو الاقرب انا ذكرنا انه الياس بن ياسين فكان الياس آل ياسين الثاني
آل ياسين آل محمد • والثالث ان ياسين اسم القرآن كانه قيل سلام الله على من آمن بكتاب الله الذي هو يس • والوجه هو
الاول لانه اليق بسياق الكلام • واما القراءة الثانية ففيها وجوه • الاول قال الزجاج يقال ميكال وميكائيل وميكائين
وكذا هاهنا الياس والياسين • والثاني قال الفراء هو جمع واراد به الياس والياسين • والثاني قال الفراء
هو جمع واراد به الياس واتباعه من المؤمنين كقولهم المهلبون والسعدون قال • انا ابن سعد اكرم السعدينا
ثم قال تعالى انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين • وقد سبق تفسيره والله اعلم • قوله تعالى وان لوطا
لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وانكم لتمرون عليهم
مصبحين وبالليل افلا تعقلون هذا هو القصة الخامسة وانه تعالى انما ذكر هذه القصة ليعتبر بها مشركوا
العرب فان الذين كفروا من قومه هلكوا والذين آمنوا نجوا وقد تقدم شرح هذه القصة • وقد نبههم الله تعالى
بقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل وذلك لان القوم كانوا يسافرون الى الشام • والمسافر في اكثر الامر انما
يمشي في الليل • وفي اول اليوم • فلهذا السبب عين تعالى هذين الوقتين • ثم قال افلا تعقلون يعني اليس فيكم
عقول تعتبرون بها • قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين
فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو
سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين اعلم
ان هذا هو القصة السادسة وهو آخر القصص المذكورة في هذه السورة • وانما صارت هذه القصة خاتمة
للقصص لاجل انه لما لم يصبر على اذى قومه وابق الى الفلك وقع في تلك الشدائد فيصير هذا سببا لصبر النبي صلى
الله عليه وسلم على قومه • اما قوله وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون • ففيه مسائل المسألة الاولى
قال صاحب الكشاف • قرئ يونس بضم النون وكسرها المسألة الثانية دلت هذه الآية على ان هذه الواقعة
انما وقعت ليونس عليه السلام بعد ان صار رسولا لان قوله وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك معناه انه كان
من المرسلين حال ما ابق الى الفلك • ويمكن ان يقال انه جاء في كثير من الروايات انه ارسله ملك زمانه الى اولئك
القوم ليدعوهم الى الله تعالى • ثم ابق والتقمه الحوت • فبعد ذلك ارسله الله تعالى • والحاصل ان قوله لمن
المرسلين لا يدل على انه كان في ذلك الوقت مرسلا من عند الله • ويمكن ان يجاب بانه تعالى ذكر هذا الوصف في معرض
تعظيمه • ولن يفيد هذه الفائدة الا اذا كان المراد من قوله لمن المرسلين انه من المرسلين من عند الله تعالى والله اعلم
المسألة الثالثة ابق من اباق العبد وهو هربه من سيده • ثم اختلف المفسرون فقال بعضهم انه ابق
من الله تعالى وهذا بعيد لان ذلك لا يقال الا فيمن يجحد مخالفة ربه وذلك لا يجوز على الانبياء • واختلفوا فيما لاجله
صار مخطيا فقيل لانه امر بالخروج الى بني اسرائيل فلم يقبل ذلك التكليف وخرج مغاضبا لربه • وهذا بعيد سواء امره
الله تعالى بذلك بوحي او على لسان نبي آخر • وقيل ان ذنبه انه ترك دعاء قومه ولم يصبر عليهم • وهذا ايضا بعيد
لان الله تعالى لما امره بهذا العمل فلا يجوز ان يتركه • والاقرب فيه وجهان • الاول ان ذنبه كان لان الله وعده
انزال الاهلاك بقومه الذين كذبوه فظن انه نازل لا محالة فلاجل هذا الظن لم يصبر على دعائهم وكان الواجب عليه
ان يستمر على الدعاء لجواز ان لا يهلكهم الله بالعذاب • وان انزله • وهذا هو الاقرب لانه اقدام على امر ظهرت
امارته فلا يكون تعمدا للمعصية • وان كان الاولى في مثل هذا الباب ان لا يعمل فيه بالظن • ثم انكشف ليونس
من بعد انه اخطأ في ذلك الظن لاجل انه ظهر الايمان منهم • فمعنى قوله اذ ابق الى الفلك ما ذكرناه الوجه
الثاني ان يونس كان قد وعد قومه العذاب فخرج كالمستور عنهم فقصد البحر وركب السفينة فذلك هو قوله
اذ ابق الى الفلك • وتمام الكلام في مشكلات هذه الآية ذكر في قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن
ان لن نقدر عليه • وقوله الى الفلك المشحون مفسر في سورة يس • والسفينة اذا كان فيها الحمل الكبير والناس
يقال لها مشحونة • ثم قال تعالى فساهم المساهمة المقارعة • يقال استهم القوم اذا اقترعوا قال المبرد
وانما اخذ من السهام التي تجال للقرعة • فكان من المدحضين اي المغلوبين • يقال ادحض الله حجته
فدحضت اي ازالها فزالت • واصل الكلمة من الدحض الذي هو الزلق يقال دحضت رجل البعير اذا
زلقت • وذكر ابن عباس في قصة يونس عليه السلام انه كان يسكن مع قومه فلسطين فغزاهم ملك وسبى

اذ صح

منهم تسعة اسباط ونصف • وبقي سبطان ونصف وكان الله تعالى اوحى الى بني اسرائيل اذا اسركم عدوكم او اصابتكم مصيبة
فادعوني استجب لكم فلما نسوا ذلك واسروا اوحى الله تعالى الى حزقيل الى نبي من انبيائهم ان اذهب الى ملك هؤلاء الاقوام وقل
له حتى يبعث الى بني اسرائيل نبيا فاختار يونس عليه السلام لقوته وامانته فقال يونس الله امرك بهذا قال لا ولكن
امرت ان ابعث قويا امينا وانت كذلك فقال يونس في بني اسرائيل من هو اقوى مني فلم لا تبعثه فلح الملك عليه فغضب
يونس منه وخرج الى بحر الروم فوجد سفينة مشحونة فحملوه فيها • فلما وصلت الى لجة البحر اشرفت على الغرق فقال الملاحون
ان فيكم عاصيا والا لم يحصل في السفينة ما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر وقال التجار قد جربنا مثل هذا فاذا رايناه
فنقترع • فمن خرج سهمه نغرقه فلان يغرق واحد خير من ان يغرق الكل فخرج سهم يونس فقال التجار نحن اولى بالمعصية من نبي الله
ثم عادوا ثانيا وثالثا يقترعون فيخرج سهم يونس فقال يا هؤلاء انا العاصي وتلفف في كساء ورمى بنفسه فابتلعته
السمكة • فاوحى الله تعالى الى الحوت لا تكسر منه عظما • ولا تقطع له وصلا • ثم ان السمكة اخرجته الى نيل مصر ثم الى بحر فارس
ثم الى البطائح ثم دجلة فصعدت به ورمته على ارض نصيبين بالعراء وهو كالفرخ المنتوف لا شعر ولا لحم فانبت الله عليه شجرة من
يقطين فكان يأكل منها ويستظل بظلها حتى تشدد • ثم ان الارضة اكلتها فخرت من اصلها فحزن يونس عليه السلام لذلك حزنا شديدا
فقال يا رب كنت استظل تحت هذه الشجرة من الشمس والريح وامص من ثمرها فقد سقطت فقيل له يا يونس تحزن على شجرة
انبتت في ساعة واقتلعت في ساعة ولا تحزن على مائة الف او يزيدون تركتهم فانطلق اليهم والله اعلم بحقيقة الحال • واما قوله
ثم قال فالتقمه الحوت وهو مليم • قال الليث اللقم سرعة الاكل والمبادرة اليه • وهو مليم • وهو داخل في الملامة يقال ربوب
بما يلام عليه • ثم قال فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون • وفي
تفسير كونه من المسبحين قولان • الاول ان المراد منه ما حكى الله عنه في آية اخرى انه كان يقول في تلك الظلمات
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين • الثاني لولا انه كان قبل ان التقمه الحوت من المسبحين يعني من المصلين وكان
في اكثر الاوقات مواظبا على ذكر الله وطاعته للبث في بطن ذلك الحوت وكان بطنه قبرا له الى يوم البعث قال بعضهم
اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة فان يونس كان عبدا صالحا ذاكرا لله تعالى فلما وقع في بطن الحوت قال الله فلولا
انه كان من المسبحين للبث في بطنه • وان فرعون كان عبدا طاغيا ناسيا فلما ادركه الغرق قال آمنت انه الذي آمنت به بنو اسرائيل
قال الله الآن وقد عصيت قبل • واختلفوا في انه كم لبث في بطن الحوت ولفظ القرآن لا يدل عليه قال الحسن لم يلبث الا قليلا
واخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقمه • وعن مقاتل بن حيان ثلاثة ايام • وعن عطاء سبعة ايام • وعن الضحاك
عشرين يوما • وقيل اشهر ولا ادري باي دليل عينوا هذه المقادير • وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
سبح يونس في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة فقال ذاك عبدي يونس
عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم
فشفعوا له فامر الحوت فقذفه في الساحل فذاك هو قوله فنبذناه بالعراء • وفيه مباحث • الاول العراء المكان الخالي
قال ابو عبيدة انما قيل له العراء لانه لا شجر فيه ولا شيء يغطيه • البحث الثاني انه تعالى قال فنبذناه بالعراء • فاضاف ذلك
النبذ الى نفسه مع ان ذلك النبذ انما حصل بفعل الحوت • وهذا يدل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى • ثم قال تعالى وهو
سقيم • قيل المراد انه بلي لحمه وصار ضعيفا كالطفل المولود وكالفرخ الممعط الذي ليس عليه ريش وقال مجاهد
سقيم اي مكتئب • ثم قال تعالى وانبتنا عليه شجرة من يقطين ظاهر اللفظ يدل على ان الحوت لما نبذه بالعراء فالله تعالى انبت
عليه شجرة من يقطين • وذلك كالمعجز له قال المبرد والزجاج كل شجرة لا تقوم على ساق وانما تمتد على وجه الارض فهو يقطين
نحو الدباء والحنظل والبطيخ قال الزجاج احسبها اشتقاقها من قطن بالمكان اذا اقام به وهذا الشجر كله ورقه على وجه الارض
فلذلك قيل يقطين • روى الفراء انه قيل عند ابن عباس هو ورق القرع فقال ومن جعل القرع من بين الشجر يقطينا كل ورقة
انشعبت وسترت فهي يقطين قال الواحدي والآية تقتضي شيئين لم يذكرهما المفسرون • احدهما ان هذا اليقطين
لم يكن قبل فانبته الله لاجله • والآخر ان اليقطين كان معروشا ليحصل له ظل لانه لو كان منبسطا على الارض لم يمكن ان
يستظل به • ثم قال تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون • وفيه مباحث • الاول ان قوله وارسلناه يحتمل ان يكون
المراد وارسلناه قبل ان يلتقمه الحوت وعلى هذا الارسال وان ذكر بعد الالتقام فالمراد به التقديم • والواو معناها
الجمع ويحتمل ان يكون ارسل الى الاولين ثانيا بشريعة فآمنوا بها • البحث الثاني ظاهر قوله او يزيدون يوجب الشك وذلك
على الله محال ونظيره قوله تعالى عذرا او نذرا • وقوله لعله يتذكر او يخشى • وقوله لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا وقوله
وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب • وقوله فكان قاب قوسين او ادنى • فاجابوا عنه من وجوه كثيرة والاصح منها
وجه واحد وهو ان يكون المعنى او يزيدون في تقديركم بمعنى انه اذا رآهم الرائي قال هؤلاء مائة الف او يزيدون على المائة وهذا

وكان يستظل بها ويأكل من ثمرها

فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا

ممم

هو الجواب عن كل ما يشبه هذا ثم قال تعالى فآمنوا فمتعناهم إلى حين والمعنى أولئك الأقوام لما آمنوا أزال الخوف عنهم وآمنهم من العذاب ومتعهم الله إلى حين أي إلى الوقت الذي جعله الله أجلا لكل واحد منهم • قوله تعالى فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين فيه مسائل المسألة الأولى اعلم أنه تعالى لما ذكر أقاصيص الأنبياء عليهم السلام عاد إلى شرح مذاهب المشركين وبيان قبحها وسخافتها • ومن جملة أقوالهم الباطلة أنهم أثبتوا الأولاد لله ثم زعموا أنها من جنس الإناث لا من جنس الذكور فقال فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون • وهذا معطوف على قوله في أول السورة فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا وذلك لأنه تعالى أمر رسوله باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أولا • ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض إلى أن أمره بأن يستفتيهم في أنهم لم أثبتوا لله سبحانه البنات ولأنفسهم البنين • ونقل الواحدي عن المفسرين أنهم قالوا إن قريشا وأجناسا من العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح قالوا الملائكة بنات الله • واعلم أن هذا الكلام مشتمل على أمرين • أحدهما إثبات البنات لله وذلك باطل لأن العرب كانوا يستنكفون من البنت • والشيء الذي يستنكف المخلوق منه كيف يمكن إثباته للخالق • والثاني إثبات أن الملائكة إناث • وهذا أيضا باطل لأن طريق العلم إما الحس وإما الخبر وإما النظر • أما الحس فمفقود هاهنا لأنهم ما شاهدوا كيفية تخليق الله الملائكة وهو المراد من قوله أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون • وأما الخبر فمفقود أيضا لأن الخبر إنما يفيد العلم إذا علم كونه صدقا قطعا وهؤلاء الذين يخبرون عن هذا الحكم كذابون أفاكون لم يدل على صدقهم لا دلالة ولا أمارة وهو المراد من قوله ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون • وأما النظر فمفقود وبيانه من وجهين • الأول أن دليل العقل يقتضي فساد هذا المذهب لأنه تعالى أكمل الموجودات • والأكمل لا يليق به اصطفاء الأخس وهو المراد من قوله اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون يعني إسناد الأفضل إلى الأفضل أقرب عند العقل من إسناد الأخس إلى الأفضل فإن كان حكم العقل معتبرا في هذا الباب كان قولكم باطلا • والوجه الثاني أن نترك الاستدلال على فساد مذهبهم بل نطالبهم بإثبات الدليل الدال على صحة مذهبهم • فإذا لم يجدوا ذلك الدليل فعنده يظهر أنه لم يوجد ما يدل على صحة قولهم • وهذا هو المراد من قوله أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين فثبت بما ذكرنا أن القول الذي ذهبوا إليه لم يدل على صحته لا الحس ولا الخبر ولا النظر وكان المصير إليه باطلا قطعا • واعلم أنه تعالى لما طالبهم بما يدل على صحة مذهبهم دل ذلك على أن التقليد باطل وأن الدين لا يصح إلا بالدليل المسألة الثانية اصطفى البنات على البنين قراءة العامة بفتح الهمزة وقطعها من اصطفى على معنى الاستفهام • ثم حذف ألف الوصل وهو استفهام توبيخ وتقريع كقوله أم اتخذ مما يخلق بنات • وقوله أم له البنات ولكم البنون • وقوله ألكم الذكر وله الأنثى • وكما أن هذه المواضع كلها استفهام كذلك في هذه الآية • وقرأ نافع في بعض الروايات لكاذبون اصطفى موصولة بغير استفهام • وإذا ابتدأ كسر الهمزة على وجه الخبر • والتقدير اصطفى البنات على زعمهم كقوله ذق إنك أنت العزيز الكريم في زعمه واعتقاده ثم قال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا • واختلفوا في المراد بالجنة على وجوه • الأول قال مقاتل أثبتوا نسبا بين الله وبين الملائكة حين زعموا أنهم بنات الله • وعلى هذا فالجنة هم الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الأبصار • ولأنهم خزان الجنة وأقول هذا القول عندي مشكل لأنه تعالى أبطل قولهم الملائكة بنات الله • ثم عطف عليه قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا • والعطف يقتضي كون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه فوجب أن يكون المراد من هذه الآية غير ما تقدم • الثاني قال مجاهد قالت كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق فمن أمهاتهم قالوا سروات الجن وهذا أيضا عندي بعيد لأن المصاهرة لا تسمى نسبا • والثالث روينا في تفسير قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن أن قوما من الزنادقة يقولون إن الله وإبليس أخوان • فالله هو الأخ الخير الكريم • وإبليس هو الأخ الشرير الخسيس • فقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا المراد منه هذا المذهب • وعندي أن هذا القول أقرب الأقاويل وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان وأهرمن • ثم قال تعالى ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون أي قد علمت الجنة أنهم لمحضرون • أي قد علمت الجنة أن القائلين هذا القول يحضرون النار ويعذبون • وقيل المراد ولقد علمت الجنة أنهم سيحضرون العذاب • فعلى القول الأول الضمير عائد إلى قائل هذا القول • وعلى القول الثاني عائد إلى الجنة أنفسهم • ثم إنه تعالى نزه نفسه عما قالوا من الكذب فقال سبحان

الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين • وفي هذا الاستثناء وجوه قيل استثناء من المحضرين يعني أنهم ناجون • وقيل هو استثناء من قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا • وقيل إنه استثناء منقطع من المحضرين • ومعناه ولكن المخلصين برآء من أن يصفوه به • والمخلص بكسر اللام من أخلص الاعتقاد والعبادة لله وبفتحها من أخلصه الله بلطفه والله أعلم قوله تعالى فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون فيه مسائل المسألة الأولى واعلم أنه تعالى لما ذكر الدلائل على فساد مذاهب الكفار أتبعه بما نبه به على أن هؤلاء الكفار لا يقدرون على حمل أحد على الضلال إلا إذا كان قد سبق حكم الله في حقه بالعذاب والوقوع في النار • وذكر صاحب الكشاف في قوله فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين قولين • الأول الضمير في عليه لله عز وجل ومعناه فإنكم ومعبوديكم ما أنتم وهم جميعا بفاتنين على الله إلا أصحاب النار الذي سبق في علم الله كونهم من أهل النار • فإن قيل كيف يفتنونهم على الله • قلنا يفتنونهم عليه بإغوائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه • والوجه الثاني أن تكون الواو في قوله وما تعبدون بمعنى مع كما في قولهم كل رجل وضيعته فكذلك جاز أن يسكت على قوله فإنكم وما تعبدون لأن قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لأن معناه فإنكم مع ما تعبدون والمعنى فإنكم مع آلهتكم أي فإنكم قرناؤهم وأصحابهم لا تتركون عبادتها • ثم قال ما أنتم عليه أي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين أو حاملين على طريق الفتنة والإضلال إلا من هو صال مثلكم • وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام ووجهه أن يكون جمعا • وسقوط واوه لالتقاء الساكنين • فإن قيل كيف يستقيم الجمع مع قوله من هو • قلنا من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه • والصالون على معناه المسألة الثانية احتج أصحابنا بهذه الآية على أنه لا تأثير لإغواء الشيطان ووسوسته وإنما المؤثر قضاء الله وتقديره لأن قوله إنكم وما تعبدون من دون الله ما أنتم عليه بفاتنين تصريح بأنه لا تأثير لقولهم ولا تأثير لأحوال معبوديهم في وقوع الفتنة والضلال • وقوله إلا من هو صال الجحيم يعني إلا من كان كذلك في حكم الله وتقديره • وذلك تصريح بأن المقتضي لوقوع هذه الحادثات حكم الله • وكان عمر بن عبد العزيز يحتج بهذه الآية في إثبات هذا المطلوب • قال الجبائي المراد أن الذين عبدوا الملائكة وزعموا أنهم بنات الله لا يفتنون أحدا إلا من سبق في معلوم الله أنه سيكفر فدل هذا على أن من ضل بدعاء الشيطان لم يكن ليؤمن بالله لو منع الله الشيطان من دعائه وإلا كان بمنع الشيطان فصح بهذا أن كل من يعصي لم يكن ليصلح عند شيء من الأفعال • والجواب حاصل هذا الكلام أنه لا تأثير لإغواء الشياطين من الإنس والجن • وهذا لا نزاع فيه • إلا أن وجه الاستدلال أنه تعالى بين أنه لا تأثير لكلامهم في وقوع الفتنة • ثم استثنى عنه قوله إلا من هو صال الجحيم فوجب أن يكون المؤثر في وقوع الفتنة هو كونه محكوما عليه بأنه صال الجحيم • وذلك تصريح بأن حكم الله في السعادة والشقاوة هو الذي يؤثر في حصول السعادة والشقاوة • واعلم أن أصحابنا أكدوا هذه الحجة بالحديث المشهور وهو أنه حج آدم موسى قال القاضي هذا الحديث لم يقبله علماء التوحيد لأنه يوجب أن لا يلام أحد على شيء من الذنوب لأنه إن كان آدم لا يجوز لموسى أن يلومه على عمل كتبه الله عليه قبل أن يخلقه فكذلك كل مذنب • فإن صحت هذه الحجة لآدم عليه فلماذا قال موسى عليه السلام في الوكزة إن هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين • ولماذا قال إني ظلمت نفسي فاغفر لي • ولماذا قال فلن أكون ظهيرا للمجرمين • ولماذا لام فرعون وجنوده على أمر كتب عليهم • ومن عجيب أمرهم أنهم يكفرون القدرية • وهذا الحديث يوجب أن موسى كان قدريا فلزمهم أن يكفروه وكيف يجوز مع قول آدم وحواء عليهما السلام ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين أن يحتج على موسى بأنه لا لوم عليه وقد كتب عليه ذلك قبل أن يخلقه هذا جملة كلام القاضي • فيقال له هب أنك لا تقبل ذلك الخبر • فهل ترد هذه الآية أم لا فإنا بينا أن صريح هذه الآية يدل على أنه لا تأثير للوساوس في هذا الباب وأن الكل يحصل بحكم الله تعالى والذي يدل عليه وجوه • الأول أن الكافر إن ضل بوسوسة الشيطان فضلال الشيطان إن كان بوسوسة شيطان آخر لزم تسلسل الشياطين وهو محال وإن انتهى إلى ضلال لم يحصل بسبب وسوسة متقدمة فهو المطلوب • الثاني أن كل أحد يريد أن يحصل لنفسه الاعتقاد الحق والدين الصدق فحصول ضده يدل على أن ذلك ليس به • الثالث أن الأفعال موقوفة على الدواعي • وحصول الدواعي بخلق الله فيكون الكل من الله • الرابع أنه تعالى لما حكم بشيء وعلم وقوعه فلو لم يقع ذلك الشيء لزم انقلاب ذلك الحكم كذبا • وانقلاب ذلك العلم جهلا وهو محال • وأما الآيات التي يتمسك بها القاضي فهي معارضة بالآيات الدالة على أن الكل من الله • والقرآن كالبحر المملوء من هذه الآيات • فتبقى الدلائل العقلية التي ذكرناها سليمة والله أعلم • ثم قال تعالى وما منا إلا له مقام معلوم فالجمهور على أنهم الملائكة وصفوا أنفسهم بالمبالغة في العبودية وأنهم مصطفون للصلاة والتسبيح والغرض

الجحيم

لا يكفرون

وذلك تصريح بأن حكم الله في السعادة والشقاوة

منه التنبيه على فساد قول من يقول انهم اولاد الله وذلك لان مبالغتهم في العبودية تدل على اعترافهم بالعبودية
واعلم ان هذه الاية تدل على ثلاثة انواع من صفات الملائكة • فاولها قوله وما منا الا له مقام معلوم • وهذا
يدل على ان لكل منهم مرتبة لا يتجاوزها • ودرجة لا يتعدى • وتلك الدرجات اشارة الى درجاتهم في معرفة
الله تعالى • اما درجاتهم في التصرفات والافعال فهي قوله وانا لنحن الصافون • والمراد كونهم صافين في
اداء الطاعات ومنازل الخدمة والعبودية • واما درجاتهم في المعارف فهي قوله وانا لنحن المسبحون والتسبيح
تنزيه الله عما لا يليق به • واعلم ان قوله وانا لنحن الصافون • وانا لنحن المسبحون يفيد الحصر ومعناه انهم هم
الصافون في مواقف العبودية لا غيرهم وانهم هم المسبحون لا غيرهم وذلك يدل على ان طاعات البشر ومعارفهم
بالنسبة الى طاعات الملائكة والى معارفهم كالعدم حتى يصح هذا الحصر • وبالجملة فهذه الالفاظ الثلاثة تدل على اسرار
عجيبة من صفات الملائكة فكيف يجوز مع هذا الحصر ان يقال البشر يقرب درجته من الملك فضلا عن ان يقال هل هو افضل
منه ام لا • واما قوله وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين • فالمعنى ان مشركي
قريش وغيرهم كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا اي كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لاخلصنا
العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا • ثم جاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب المهيمن على كل الكتب وهو القرآن
فكفروا به • ونظير هذه الاية قوله فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا • ثم قال تعالى فسوف يعلمون اي فسوف يعلمون
عاقبة هذا الكفر والتكذيب • قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وابصرهم فسوف يبصرون افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل
بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اعلم انه تعالى لما هدد الكفار بقوله فسوف يعلمون عاقبة كفرهم
اردفه بما يقوي قلب الرسول فقال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم
الغالبون • فبين ان وعده بنصرهم قد تقدم • والدليل عليه قوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي • وايضا ان الخير
مقضي بالذات • وان الشر مقضي بالعرض • وما بالذات اقوى مما بالعرض • واما النصرة والغلبة فقد تكون بقوة
الحجة • وقد تكون بالدولة والاستيلاء • وقد يكون بالدوام والثبات • والمؤمن وان صار مغلوبا في بعض الاوقات
بسبب ضعف احوال الدنيا فهو الغالب فلا يلزم على هذه الاية ان يقال فقد قتل بعض الانبياء وقد هزم كثير من المؤمنين
ثم قال تعالى لرسوله وقد اخرج بما تقدم فتول عنهم حتى حين • والمراد ترك مقاتلتهم • والثقة بما وعد • فانهم
الى حين يتمتعون ثم يحل بهم ما يورث لهم الحسرة والندامة • واختلف المفسرون • فقيل المراد الى يوم بدر • وقيل
الى فتح مكة • وقيل الى يوم القيمة • ثم قال وابصر فسوف يبصرون • والمعنى وابصرهم وما يقضى عليهم من الاسر
والقتل في الدنيا والعذاب في الاخرة فسوف يبصرونك مع ما قدر لك من النصرة والتأييد في الدنيا والثواب العظيم
في الاخرة • والمراد بالامر من ابصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة على انها كائنة واقعة لا محالة وان كونها
قريبة كانها قدام ناظريك • وقوله فسوف يبصرون للتهديد والوعيد • ثم قال افبعذابنا يستعجلون • والمعنى ان الرسول
عليه الصلاة والسلام كان يهددهم بالعذاب • وما راوا شيئا فكانوا يستعجلون نزول ذلك العذاب على سبيل
الاستهزاء فبين تعالى ان ذلك الاستعجال جهل لان لكل شيء من افعال الله وقتا معينا لا يتقدم ولا يتاخر فكان طلب
حدوثه قبل مجيء ذلك الوقت جهلا • ثم قال تعالى في صفة العذاب الذي يستعجلونه • فاذا نزل بساحتهم
اي هذا العذاب فساء صباح المنذرين • وانما وقع التعبير عن هذا المعنى لانهم كانوا يقدمون على الغارة في
وقت الصباح فجعل ذكر ذلك الوقت كناية عن ذلك العمل • ثم اعاد قوله فتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون
فقيل المراد من هذه الكلمة فيما تقدم احوال الدنيا • وفي هذه الكلمة احوال القيمة • وعلى هذا التقدير فالتكرير زايل
وقيل المراد من التكرير المبالغة في التهديد والتهويل • ثم انه تعالى ختم السورة بخاتمة شريفة جامعة لكل المطالب
العالية وذلك لان اهم المهمات للعاقل معرفة احوال ثلاثة • فاولها معرفة الاله بقدر الطاقة البشرية
واقصى ما يمكن عرفانه من صفات الله ثلاثة انواع • احدها تنزيهه عن كل ما لا يليق بالالهية • ويدل عليه لفظ
سبحان • وثانيها وصفه بكل ما يليق بصفات الالهية وهو قوله رب العزة فان الربوبية اشارة الى التربية وهي دالة
على كمال الحكمة والرحمة • والعزة اشارة الى كمال القدرة • وثالثها كونه منزها في الالهية عن الشركاء والنظراء • وقوله
رب العزة يدل على انه القادر على جميع الحوادث • لان الالف واللام في قوله العزة يفيد الاستغراق • واذا كان الكل
ملكا له وملكا له لم يبق لغيره شيء فثبت ان قوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون كلمة محتوية على اقصى الدرجات

واكمل النهايات

واكمل النهايات في معرفة اله العالم • والمهم الثاني من مهمات العاقل ان يعرف انه كيف ينبغي ان يعامل نفسه ويعامل الخلق في
هذه الحياة الدنيوية • واعلم ان اكثر الخلق ناقصون ولا بد لهم من مكمل يكملهم ومرشد يرشدهم وهاد يهديهم وما ذاك
الا الانبياء صلوات الله عليهم • وبديهة الفطرة شاهدة بانه يجب على الناقص الاقتداء بالكامل فنبه على هذا الحرف بقوله وسلام
على المرسلين لان هذا اللفظ يدل على انهم في الكمال اللائق بالبشر فاقوا غيرهم فلاجرم يجب على كل من سواهم الاقتداء بهم
والمهم الثالث من مهمات العاقل ان يعرف انه كيف يكون حاله بعد الموت • واعلم ان معرفة هذه الحالة قبل الموت صعبة والاعتماد
فيها على حرف واحد وهو ان اله العالم غني رحيم • والغني الرحيم لا يعذب فنبه على هذا الحرف بقوله والحمد لله رب العالمين
وذلك لان استحقاق الحمد لا يحصل الا بالانعام العظيم فبين بهذا كونه منعما • وظاهر كونه غنيا عن العالمين وهذا
وصفه كان الغالب منه هو الرحمة والفضل والكرم • وكان هذا الحرف منبها على سلامة الحال بعد الموت • فظهر بما ذكرنا
ان هذه الخاتمة كالصدفة المحتوية على در اشرف من دراري الكواكب • ونسال الله حسن الخاتمة والعافية في الدنيا والاخرة
والله اعلم بالصواب ـــ تم تفسير هذه السورة ضحوة يوم الجمعة السابع عشر من ذي القعدة سنة ثلاث وستماية والحمد لله رب العالمين

سورة ص مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى ص والقرآن
ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص
فيه مسايل المسئلة الاولى الكلام المستقصى في امثال هذه الفواتح مذكور في اول سورة البقرة • ولا باس باعادة بعض
الوجوه • فالاول انه مفتاح اسماء الله التي اولها صاد كقولنا صادق الوعد صانع المصنوعات صمد • والثاني معناه صدق
محمد في كل ما اخبر به عن الله • الثالث معناه صد الكفار عن قبول هذا الدين كما قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله • الرابع
معناه ان القرآن مركب من هذه الحروف وانتم قادرون عليها ولستم قادرين على معارضة القرآن فدل ذلك على ان القرآن معجز • الخامس
ان يكون صاد بكسر الصاد من المصاداة وهي المعارضة • ومنها الصدى وهو ما يعارض صوتك من الاماكن الخالية من الاجسام
الصلبة • ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه • والسادس انه اسم السورة • والتقدير هذه
صاد • فان قيل هاهنا اشكالان • احدهما ان قوله والقرآن ذي الذكر قسم فاين المقسم عليه • والثاني ان كلمة بل تقتضي رفع
حكم ثبت قبلها واثبات حكم بعدها يناقض الحكم السابق فاين هذا المعنى هاهنا والجواب عن الاول من
وجوه • الاول ان يكون صاد بمعنى صدق محمد فيكون صاد هو المقسم عليه • وقوله والقرآن ذي الذكر هو القسم
الثاني ان يكون المقسم عليه محذوفا • والتقدير ص والقرآن ذي الذكر انه لكلام معجز لانا بينا ان قوله صاد تنبيه على التحدي
والثالث ان يكون ص اسما للسورة ويكون التقدير هذه سورة ص والقرآن ذي الذكر • ولما كان من المشهور ان محمدا
عليه الصلاة والسلام يدعي في هذه السور كونها معجزات كان قوله هذه صاد جاريا مجرى قوله هذه هي السورة
المعجزة • ونظيره قولك هذا حاتم والله اي هذا هو المشهور بالسخاء والجواب عن السؤال الثاني ان الحكم
المذكور قبل كلمة بل كون محمد صادقا في تبليغ الرسالة او كون القرآن او هذه السورة معجزة • والحكم المذكور بعد كلمة بل
هاهنا هو المنازعة والمشاقة في كونه كذلك فحصل المطلوب والله اعلم المسئلة الثانية قرا الحسن صاد
بكسر الدال لاجل التقاء الساكنين • وقرا عيسى بن عمر بنصب صاد على حذف حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله
لافعلن • واكثر القراء على الجزم لان الاسماء العارية عن العوامل تذكر موقوفة الاواخر المسئلة الثالثة
في قوله ذي الذكر وجهان • الاول المراد ذي الشرف قال تعالى انه لذكر لك ولقومك وقال لقد انزلنا اليكم كتابا
فيه ذكركم • ومجاز هذا من قولهم لفلان ذكر في الناس كما يقولون له صيت • الثاني ذي البيان اي فيه قصص الاولين
والاخرين • وفيه بيان العلوم الاصلية والفرعية • من قوله ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر المسئلة الرابعة
قالت المعتزلة القرآن ذكر والذكر محدث • بيان الاول قوله تعالى انه لذكر لك ولقومك • وهذا ذكر مبارك • والقرآن
ذي الذكر • انه هو الا ذكر وقرآن مبين • بيان الثاني ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث
والجواب انا نصرف دليلكم الى الحروف والاصوات وهي محدثة • اما قوله بل الذين كفروا • والمراد منه
الكفار من رؤساء قريش الذين يجوز على مثلهم الاجتماع على الحسد والكبر عن الانقياد للحق • والعزة هاهنا التعظم
وما يعتقده الانسان في نفسه من الاحوال التي تمنعه من متابعة الغير كقوله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته
العزة بالاثم • والشقاق هو اظهار المخالفة على جهة المساواة للمخالف او على جهة الفضيلة عليه وهو ماخوذ

قوله تعالى

ولما كان من المشهور ان محمدا عليه السلام يدعي في هذه السور

من الشق كأنه يترفع عن ان يلزمه الانقياد له بل يجعل نفسه في شق وخصمه في شق فيريد ان يكون في شق نفسه لا يجري
عليه حكم خصمه ، ومثله المعاداة وهي ان يكون احدهما في عدوة والاخر في عدوة وهي جانب الوادي ، وكذلك المحادة
وهو ان يكون هذا في حد غير حد الاخر ، ويقال انحرف فلان عن فلان ، وجانب فلان فلانا اي صار منه على حرف وفي جانب
غير جانبه والله اعلم ، ثم انه تعالى لما وصفهم بالعزة والشقاق خوفهم فقال كم اهلكنا قبلهم من قرن فنادوا ، والمعنى
انهم نادوا عند نزول العذاب في الدنيا ولم يذكر باي شيء نادوا ، وفيه وجوه ، الاول وهو الاظهر انهم نادوا
بالاستغاثة لان نداء من نزل به العذاب ليس الا الاستغاثة ، الثاني نادوا بالايمان والتوبة عند معاينة العذاب
الثالث نادوا اي رفعوا اصواتهم ، يقال فلان اندى صوتا من فلان اي ارفع ، ثم قال ولات حين مناص اي لم يكن
ذلك الوقت وقت فرار من العذاب وهو كقوله فلما راوا باسنا قالوا آمنا ، وقال حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب
اذا هم يجارون ، فالجوار رفع الصوت بالتضرع والاستغاثة ، وقوله الآن وقد عصيت قبل ، وقوله فلم
يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا ، بقي هاهنا ابحاث ، البحث الاول في تحقيق الكلام في لفظة لات ، زعم الخليل
وسيبويه ان لات هي لا المشبهة بليس ، زيدت عليها تاء التانيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد ، وبسبب هذه الزيادة
حدثت لها احكام جديدة ، منها انها لا تدخل الا على الاحيان ، ومنها انه لا يبرز الا احد مزوجيها اما الاسم
واما الخبر ، ويمتنع بروزهما جميعا ، وقال الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان
وحين مناص منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم ، ويرتفع بالابتداء اي ولا حين مناص كائن لهم ، البحث
الثاني الجمهور يقفون على التاء من قوله ولات ، واما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على الاسماء المؤنثة
قال صاحب الكشاف ، واما قول ابي عبيد ان التاء داخلة على حين فلا وجه له ، واستشهاده بان التاء ملتزقة بحين في
مصحف عثمان فضعيف ، فكم وقعت في المصحف اشياء خارجة عن قياس الخط ، البحث الثالث المناص المنجا
والفوت ، يقال ناصه ينوصه اذا فاته ، واستناص طلب المناص ، قوله تعالى ، **وعجبوا ان جاءهم منذر
منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم
ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق**
اعلم انه تعالى لما حكى عن الكفار كونهم في عزة وشقاق اتبعه بشرح كلماتهم الفاسدة فقال وعجبوا ان جاءهم منذر منهم
وفي قوله منهم وجهان ، الاول انهم قالوا ان محمدا مساو لنا في الخلقة الظاهرة والباطنة والنسب والشكل
والصورة فكيف يعقل ان يختص من بيننا بهذا المنصب العالي والدرجة الرفيعة ، والثاني ان الغرض من هذه
الكلمة على كمال جهالتهم ، وذلك لانه جاءهم رجل يدعوهم الى التوحيد وتعظيم الملائكة والترغيب في الآخرة والتنفير
عن الدنيا ، ثم ان هذا الرجل من اقاربهم يعرفون انه كان بعيدا عن الكذب والتهمة فكل ذلك مما يوجب الاعتراف
بتصديقه ، ثم ان هؤلاء الاقوام لحماقتهم يتعجبون من قوله ، ونظيره قوله ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون
فقال بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم ، ومعناه ان محمدا كان من رهطهم وعشيرتهم وكان مساويا لهم في الاسباب
الدنيوية فاستنكفوا من الدخول تحت طاعته ومن الانقياد لتكاليفه ، وعجبوا ان يختص هو من بينهم
برسالة الله وان يتميز عنهم بهذه الخاصية الشريفة ، وبالجملة فما كان لهذا التعجب سبب الا الحسد ، ثم قال تعالى
تعالى وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ، وانما لم يقل وقالوا بل قال وقال الكافرون اظهارا للغضب ودلالة على
ان هذا القول لا يصدر الا عن الكفر التام فان الساحر هو الذي يمنع من طاعة الله ويدعو الى طاعة الشيطان
وهو عليه الصلاة والسلام بالعكس من ذلك ، والكذاب هو الذي يخبر عن الشيء لا على ما هو عليه وهو يخبر عن
وجود الصانع القديم الحكيم العليم ، وعن الحشر والنشر وسائر الاشياء التي ثبت بدلائل العقول صحتها فكيف
يكون كذابا ، ثم انه تعالى حكى جوامع ما عولوا عليه في اثبات كونه كذابا وهي ثلاثة ، احدها ما يتعلق
بالالهيات ، وثانيها ما يتعلق بالنبوات ، وثالثها ما يتعلق بالمعاد ، اما الشبهة المتعلقة بالالهيات
فهي قولهم اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ، روي انه لما اسلم عمر فرح به المؤمنون فرحا
شديدا وشق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى ابي طالب وقالوا
انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يعنون المسلمين وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك
فاستحضر ابو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال
فلا تمل كل الميل على قومك فقال عليه السلام ماذا تسألوني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك
والهك فقال عليه السلام ماذا تسألوني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام

ان انتم اعطيتكم

ان انتم اعطيتكم ما سألتم اتعطوني انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم فقال قولوا لا اله الا الله
فقاموا وقالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب اي بليغ في العجب واقول منشأ التعجب من وجهين ، الاول
هو ان القوم ما كانوا اصحاب النظر والاستدلال بل كانت اوهامهم تابعة للمحسوسات ، فلما وجدوا في الشاهد
ان الفاعل الواحد لا تفي قدرته وعلمه بحفظ الخلق العظيم قاسوا الغائب على الشاهد فقالوا لا بد في حفظ هذا العالم
الكبير من آلهة كثيرة يتكفل كل واحد منهم بنوع آخر ، والنوع الثاني ان اسلافهم مع كثرتهم وقوة عقولهم كانوا
مطبقين على الشرك فقالوا من العجب العجيب ان يكون اولئك الاقوام على كثرتهم وقوة عقولهم كانوا جاهلين مبطلين
وهذا الانسان الواحد يكون محقا صادقا ، واقول لعمري لو سلمنا اجراء حكم الشاهد على الغائب من غير دليل وحجة
لكانت الشبهة الاولى لازمة ، ولما توافقنا على فسادها علمنا ان اجراء حكم الشاهد على الغائب فاسد قطعا فاذا بطلت
هذه القاعدة فقد بطل اصل كلام المشبهة في الذات ، وكلام المشبهة في الافعال ، اما المشبهة في الذات فقولهم
فهو انهم يقولون لما كان كل موجود في الشاهد يجب ان يكون جسما ومختصا بحيز وجب في الغائب ان يكون كذلك ، واما
المشبهة في الافعال فهم المعتزلة الذين يقولون ان الامر الفلاني قبيح منا فوجب ان يكون قبيحا من الله فثبت بما
ذكرنا انه ان صح كلام هؤلاء المشبهة في الذات وفي الافعال لزم القطع بصحة شبهة هؤلاء المشركين ، وحيث توافقنا
على فسادها علمنا ان عمدة كلام المجسمة وكلام المعتزلة باطلة فاسدة ، واما الشبهة الثانية فلعمري لو كان التقليد
حقا لكانت هذه الشبهة لازمة ، وحيث كانت فاسدة علمنا ان التقليد باطل ، بقي هاهنا ابحاث ، الاول ان العجاب
هو العجيب الا انه ابلغ من العجيب كقولهم طويل وطوال ، وعريض وعراض وكبير وكبار ، وقد يشدد للمبالغة فيقال كبار
كقوله مكرا كبارا ، الثاني قال صاحب الكشاف ، قرئ عجاب بالتخفيف والتشديد ، والتشديد ابلغ من التخفيف كقوله
مكرا كبارا ، ثم قال تعالى وانطلق الملأ منهم ، فذكرنا ان الملأ عبارة عن القوم الذين اذا حضروا في المجلس فانه تملأ
القلوب والعيون من مهابتهم وعظمتهم ، وقوله منهم اي من قريش انطلقوا عن مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم قائلين بعضهم لبعض ان امشوا واصبروا على آلهتكم ، وفيه مباحث الاول القراءة المشهورة ان امشوا
وقرأ ابن ابي عبلة امشوا بغير ان قال صاحب الكشاف ان بمعنى اي لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من ان
يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى في المجلس المتقدم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول ، وعن ابن مسعود وانطلق الملأ منهم
يمشون ، البحث الثاني معنى الكلام انه قال بعضهم لبعض امشوا واصبروا فلا حيلة لكم في دفع امر محمد ، ان هذا الشيء
يراد وفيه ثلاثة اوجه ، اولها ظهور دين محمد عليه الصلاة والسلام ليس له سبب ظاهر فنحسب ان تزايد ظهوره ليس الا لان
الله يريده ، وما اراد الله كونه فلا دافع له ، وثانيها ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر فلا انفكاك لنا منه ، وثالثها
ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم قال القفال رحمه الله هذه كلمة تذكر للتحذير والتخويف فكان معناها انه
ليس غرض محمد من هذا القول تقرير الدين ، وانما غرضه ان يستولي علينا فيحكم في اموالنا واولادنا بما يريد ، ثم قال ما سمعنا
بهذا في الملة الآخرة ، الملة الآخرة هي ملة النصارى فقالوا ان هذا التوحيد الذي اتى به محمد ما سمعناه في دين النصارى
او يكون المراد بالملة الآخرة ملة قريش التي ادركوا آباءهم عليها ثم قالوا ما هذا الا اختلاق اي افتعال وكذب ، وحاصل
الكلام في هذا الوجه انهم قالوا نحن ما سمعنا عن اسلافنا القول بالتوحيد فوجب ان يكون باطلا ، ولو كان
القول بالتقليد حقا لكان كلام هؤلاء المشركين ، وحيث كان ذلك باطلا علمنا ان القول بالتقليد باطل ، قوله تعالى
**أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب ام عندهم خزائن رحمة ربك
العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب جند ما هنالك مهزوم
من الاحزاب** اعلم ان هذا هو الشبهة الثانية لاولئك الكفار وهي الشبهة المتعلقة بالنبوات وهي قولهم ان محمدا
لما كان مساويا لغيره في الذات والصفات والخلقة الظاهرة والاخلاق الباطنة فكيف يعقل ان يختص هو بهذه
الدرجة العالية والمنزلة الشريفة وهو المراد من قولهم أأنزل عليه الذكر من بيننا فانه استفهام على سبيل الانكار
وحكى الله عن قوم صالح انهم قالوا مثل هذا القول فقالوا أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر ، وحكى الله تعالى
عن قوم محمد عليه الصلاة والسلام ايضا انهم قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، وتمام الكلام في هذه الشبهة
انهم قالوا النبوة اشرف المراتب فوجب ان لا يحصل الا لاشرف الناس ، ومحمد ليس اشرف الناس فوجب ان لا يحصل له النبوة
والمقدمتان الاوليان حقتان لكن الثالثة كاذبة ، وسبب رواج هذا الغلط عليهم انهم ظنوا ان الشرف لا يحصل
الا بالمال والاعوان ، وذلك باطل فان مراتب السعادات ثلاثة ، اعلاها وهي النفسانية ، واوسطها وهي
البدنية ، وادونها وهي الخارجية ، وهي المال والجاه ، فالقوم عكسوا القضية وظنوا ان اخس المراتب انه

ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر فلا انفكاك لنا منه

اشرفها • فلما وجدوا المال والجاه عند غيره اكثر ظنوا ان غيره اشرف منه فحينئذ ينعقد هذا القياس الفاسد في افكارهم
ثم انه تعالى اجاب عن هذه الشبهة من وجوه • الاول قوله بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب وفيه
وجهان • احدهما ان قوله بل هم في شك من ذكري اي من دلائلي التي لو نظروا فيها لزال هذا الشك عنهم وذلك لان كل ما
ذكروه من الشبهات فهي كلمات ضعيفة • واما الدلائل التي اظهرتها على صحة نبوته فهي دلائل قاطعة • فلو تاملوا حق
التامل في الكلام لوقفوا على ضعف الشبهات التي تمسكوا بها في ابطال النبوة ولعرفوا صحة الدلائل الدالة على نبوته
فحيث لم يفعلوا ذلك كان لاجل انهم تركوا النظر والاستدلال • فاما قوله تعالى بل لما يذوقوا عذاب فموقعه من هذا
الكلام انه تعالى يقول هؤلاء انما تركوا النظر والاستدلال لاني لم اذقهم عذابي • ولو ذاقوه لم يقع منهم الا الاقبال على
اداء المأمورات • والانتهاء عن المنهيات • وثانيهما ان يكون المراد من قوله بل هم في شك من ذكري هو ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يخوفهم من عذاب الله لو اصروا على الكفر • ثم انهم اصروا على الكفر ولم ينزل عليهم العذاب فصار ذلك سببا لشكهم
في صدقه • وقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا • فقوله بل هم في شك من ذكري معناه ما ذكرناه
وقوله بل لما يذوقوا عذاب معناه ان ذلك الشك انما حصل بسبب عدم نزول العقاب • والوجه الثاني من الوجوه التي ذكرها
الله تعالى في الجواب عن تلك الشبهة قوله ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب • وتقرير هذا الجواب
ان منصب النبوة منصب عظيم ودرجة عالية فالقادر على هبتها يجب ان يكون عزيزا اي كامل القدرة ووهابا اي عظيم
الجود وذلك هو الله سبحانه • واذا كان هو سبحانه تعالى كامل القدرة وكامل الجود لم يتوقف كونه واهبا لهذه النعمة
على كون الموهوب منه غنيا او فقيرا • ولم يختلف ذلك ايضا بسبب ان اعداءه يحبونه او يكرهونه • والوجه الثالث
في الجواب عن هذه الشبهة قوله تعالى ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب • واعلم انه يجب
ان يكون المراد من هذا الكلام مغايرا للمراد من قوله ام عندهم خزائن رحمة ربك • والفرق ان خزائن الله غير متناهية
كما قال وان من شيء الا عندنا خزائنه • ومن جملة تلك الخزائن هو هذه السموات والارض فلما ذكر الخزائن اولا على
عمومها اردفها بذكر ملك السموات والارض وما بينهما يعني ان هذه الاشياء احد انواع خزائن الله فاذا كنتم عاجزين
عن هذا القسم فبان تكونوا عاجزين عن كل خزائن الله كان اولى فهذا ما امكنني ذكره في الفرق بين الكلامين اما
قوله فليرتقوا في الاسباب • فالمعنى انهم ان ادعوا ان لهم ملك السموات والارض فعند هذا يقال لهم ارتقوا في
الاسباب واصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وملكوت السموات
وينزلوا الوحي على من يختارون • واعلم ان حكماء الاسلام استدلوا بقوله فليرتقوا في الاسباب على ان الاجرام
الفلكية وما اودع الله فيها من القوى والخواص اسباب لحوادث العالم السفلي لان الله تعالى سمى الفلكيات
اسبابا وذلك يدل على ما قلناه والله اعلم • اما قوله تعالى جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ففيه مقامات في البحث
احدها تفسير هذه الالفاظ • والثاني كيفية تعلقها بما قبلها • اما المقام الاول • فقوله جند مبتدا • وما للابهام
كقولك جئت لامر ما • وعندي طعام ما • ومن الاحزاب صفة لجند ومهزوم خبر المبتدا • واما قوله هنالك فيجوز
ان يكون صفة لجند اي جند ثابت هنالك اي في ذلك الموضع الذي كانوا يذكرون هذه الكلمات الطاعنة في نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم • واما المقام الثاني فهو انه تعالى لما قال ان كانوا يملكون السموات والارض فليرتقوا في الاسباب
ذكر عقيبه انهم جند من الاحزاب مهزومون ضعيفون فكيف يكونون مالكين السموات والارض وما بينهما قال قتادة
هنالك اشارة الى يوم بدر فاخبر الله تعالى بمكة انه سيهزم جند المشركين • فجاء تاويلها يوم بدر • وقيل يوم الخندق
والاصوب عندي حمله على يوم فتح مكة وذلك لان المعنى انهم جند سيصيرون منهزمين في الموضع الذي ذكروا فيه
هذه الكلمات • وذلك الموضع هو مكة فوجب ان يكون المراد انهم سيصيرون منهزمين في مكة وما ذاك الا يوم
الفتح والله اعلم • قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب
الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق
اعلم انه تعالى لما ذكر في الجواب عن شبهة القوم انهم انما توانوا وتكاسلوا في النظر والاستدلال لاجل انه لم ينزل
بهم العقاب بين تعالى في هذه الاية ان اقوام سائر الانبياء هكذا كانوا ثم بالاخرة نزل ذلك العقاب • والمقصود
منه تخويف اولئك الكفار الذين كانوا يكذبون الرسول في اخباره عن نزول العقاب عليهم فذكر تعالى ستة اصناف
منهم اولهم قوم نوح ولما كذبوا نوحا اهلكهم الله بالغرق والطوفان • والثاني عاد قوم هود لما كذبوه اهلكهم الله
بالريح • والثالث فرعون لما كذب موسى اهلكه الله مع قومه بالغرق • والرابع ثمود قوم صالح كذبوه فاهلكوا
بالصيحة • والخامس قوم لوط كذبوه فاهلكوا بالخسف • والسادس اصحاب الايكة وهم قوم شعيب كذبوه فاهلكوا

بعذاب يوم الظلة

بعذاب يوم الظلة • قالوا وانما وصف الله فرعون بكونه ذا الاوتاد لوجوه • الاول ان اصل هذه الكلمة من ثبات البيت
المطنب باوتاده • ثم استعير لثبات العز والملك قال الشاعر • ولقد غنوا فيها بانعم عيشة • في ظل ملك ثابت الاوتاد
قال القاضي حمل الكلام على هذا الوجه اولى لانه لما وصف تكذيب الرسل يجب فيما وصفه به ان يكون تفخيما لامر ملكه
ليكون الزجر بما ورد من قبل الله تعالى عليه من الهلاك مع قوة امره ابلغ • والثاني انه كان ينصب الخشب في الهوا وكان يمد يدي
المعذب ورجليه الى تلك الخشب الاربع ويضرب على كل واحد من هذه الاعضاء وتدا ويتركه معلقا في الهوا الى ان يموت
والثالث انه كان يمد المعذب بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات • والرابع قال قتادة
كانت له اوتاد وملاعب يلعب بها عنده • والخامس ان عساكره كانوا كثيرين وكانوا كثيري الاهبة عظيمي النعم فكانوا
يكثرون من الاوتاد لاجل الخيام فعرف بها • والسادس ذو الاوتاد ذو الجموع الكثيرة سميت الجموع اوتادا لانهم يقوون
امره ويشدون مملكته كما يقوي الوتد البنا • واما الايكة فهي الغيضة الملتفة • ثم قال تعالى اولئك الاحزاب • وفيه
وجوه • الاول ان هؤلاء الذين ذكرناهم من الامم هم الذين تحزبوا على انبيائهم فاهلكناهم فكذلك نفعل بقومك لانه تعالى بين بقوله
جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ان قوم محمد جند من الاحزاب اي من جنس الاحزاب المتقدمين فلما ذكر انه عاجل الاحزاب
المتقدمين بالاهلاك كان ذلك تخويفا شديدا لقوم محمد • الثاني ان معنى قوله اولئك الاحزاب مبالغة لوصفهم بالقوة
والكثرة كما يقال فلان هو الرجل • والمعنى ان اولئك الاحزاب مع كمال قوتهم لما كذبوا هلكوا والبوار • فكيف
حال هؤلاء الضعفاء المساكين • واعلم ان اولئك الاقوام ان صدقوا بهذه الاخبار فهو تحذير وان لم يصدقوا به فهو
تحذير ايضا لان اثار هذه الوقايع باقية وهي تفيد الظن القوي فيحذرون ولان ذكر ذلك على سبيل التكرير يوجب الحذر
ايضا • ثم قال تعالى ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب اي كل هؤلاء الطوائف لما كذبوا انبياءهم في الترغيب والترهيب
لا جرم نزل العقاب عليهم وان كان ذلك بعد حين • والمقصود منه زجر السامعين • ثم بين تعالى ان هؤلاء المكذبين
وان تاخر هلاكهم فكانه واقع فقال ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق • وفي تفسير هذه الصيحة
قولان • الاول ان يكون المراد عذابا يفجؤهم ويجيئهم دفعة واحدة كما يقال صاح الزمان بهم اذا هلكوا قال
شعر • صاح الزمان بآل برمك صيحة • خروا لشدتها على الاذقان • ويشبه ان يكون اصل ذلك
من الغارة اذا غافصت القوم فوقعت الصيحة فيهم • ونظيره قوله تعالى فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم
قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين • والقول الثاني ان هذه الصيحة هي صيحة النفخة الاولى في الصور كما قال في سورة
يس ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون • والمعنى
انهم وان لم يذوقوا عذابي في الدنيا • فهو معد لهم يوم القيمة • وكانهم نزل لهم العذاب فقد جاءهم فجعلهم منتظرين
لها على معنى قربها منهم كالرجل الذي ينتظر الشيء فهو ماد الطرف اليه يطمع كل ساعة في حضوره • ثم انه سبحانه
وصف هذه الصيحة فقال ما لها من فواق • قرا حمزة والكسائي فواق بضم الفا • والباقون بفتحها قال
الكسائي والفراء وابو عبيدة والاخفش هما لغتان من فواق الناقة وهو ما بين حلبتي الناقة • واصله من الرجوع يقال
افاق الرجل عن مرضه اي رجع الى الصحة • فالزمان الحاصل بين الحلبتين لعود اللبن الى الضرع • فسمي فواقا بالفتح والضم
كقولك قصاص الشعر وقصاصه • قال الواحدي الفواق والفواق اسمان من الافاقة والافاقة معناها
الرجوع والسكون كافاقة المريض لان الفواق بالفتح يجوز ان يقام مقام المصدر • والفواق بالضم اسم لذلك الزمان
الذي يعود فيه اللبن الى الضرع • ثم روى الواحدي في البسيط عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في هذه
الاية يامر الله اسرافيل فينفخ نفخة الفزع قال فيمدها ويطولها وهي التي يقول ما لها من فواق • ثم قال الواحدي وهذا
يحتمل معنيين • احدهما ما لها سكون • والثاني ما لها رجوع • والمعنى ما تسكن تلك الصيحة ولا ترجع الى السكون • ويقال
لكل من بقي على حالة واحدة انه لا يفيق منه ولا يستفيق والله اعلم • قوله تعالى وقالوا ربنا عجل لنا قطنا
قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي
والاشراق والطير محشورة كل له اواب وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب اعلم انا ذكرنا
في تفسير قوله وعجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب ان القوم انما تعجبوا لشبهات ثلاثة
اولها ما يتعلق بالالهيات وهو قوله اجعل الالهة الها واحدا • والثانية تتعلق بالنبوات وهي قوله أانزل
عليه الذكر من بيننا • والثالثة تتعلق بالمعاد وهو قوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب • وذلك
لان القوم كانوا في نهاية الانكار للقول بالحشر والنشر فكانوا يستدلون بفساد القول بالحشر والنشر على فساد
نبوته • والقط القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه • ويقال للصحيفة الجائزة قط • ولما ذكر رسول الله

ان هذه الصيحة هي صيحة النفخة الاولى في الصور

صلى الله عليه وسلم وعد المؤمنين بالجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا من الجنة أو عجل لنا صحيفة أعمالنا
حتى ننظر فيها • اعلم أن الكفار لما بلغوا في السفاهة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قالوا إنه ساحر كذاب وقالوا
على سبيل الاستهزاء عجل لنا قطنا أمره تعالى بالصبر على سفاهتهم فقال اصبر على ما يقولون • فإن قيل أي تعلق بين قوله
اصبر على ما يقولون وبين قوله اذكر عبدنا داود • قلنا بيان هذا التعلق من وجوه • الأول كأنه قيل إن كنت قد شاهدت
من هؤلاء الجهال جراءتهم على الله وإنكارهم الحشر والنشر فاذكر قصة داود حتى تعرف شدة خوفه من الله ومن يوم الحشر • فإن
بقدر ما يزداد أحد الضدين شرفا يزداد الضد الآخر نقصانا • والثاني كأنه قيل لمحمد عليه السلام لا يضيق صدرك
بسبب إنكارهم لقولك ودينك فإنهم إن خالفوك فالأكابر من الأنبياء وافقوك • والثالث أن للناس في قصة
داود قولين • منهم من قال إنها تدل على ذنبه • ومنهم من قال إنها لا تدل عليه • فمن قال بالأول كان وجه المناسبة
فيه كأنه قيل لمحمد عليه السلام إن حزنك ليس إلا لأن الكفار يكذبونك • وأما حزن داود فكان بسبب وقوعه
في ذلك الذنب ولا شك أن حزنه أشد فتأمل في قصة داود وما كان فيه من الحزن العظيم حتى يخف عليك
ما أنت فيه من الحزن • ومن قال بالثاني قال الخصمان اللذان دخلا على داود كانا من البشر وإنما دخلا عليه لقصد قتله
فخاف منهما داود ومع ذلك فلم يتعرض لإيذائهما ولا دعا عليهما بسوء بل استغفر لهما على ما سيجيء تقرير هذه الطريقة
فلا جرم أمر الله تعالى محمدا عليه الصلاة والسلام بأن يقتدي به في حسن الخلق • والخامس أن قريشا إنما كذبوا
محمدا عليه السلام • واستخفوا به لقولهم في أكثر الأمر إنه يتيم فقير • ثم إنه تعالى قص على محمد كمال مملكة داود
ثم بين أنه مع ذلك ما سلم عن الأحزان والغموم ليعلم أن الخلاص عن الحزن لا سبيل إليه في الدنيا • والسادس
أن قوله اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا غير مقتصر على داود بل ذكر عقيب قصة داود قصص سائر الأنبياء فكأنه
تعالى قال اصبر على ما يقولون واعتبر بحال الأنبياء لتعلم أن كل واحد منهم كان مشغولا بهم خاص وحزن خاص
فتعلم حينئذ أن الدنيا لا تنفك عن الهموم والأحزان وأن استحقاق الدرجات العالية عند الله لا يحصل إلا بتحمل
المشاق والمتاعب في الدنيا • فهذه وجوه ذكرناها في هذا المقام • وها هنا وجه آخر أقوى وأحسن من كل ما
تقدم • وسيجيء إن شاء الله عند الانتهاء إلى تفسير قوله كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته • واعلم أنه تعالى
ذكر بعد ذلك تسعة من الأنبياء فذكر حال ثلاثة منهم على التفصيل وحال ستة آخرين على الإجمال • فالقصة الأولى
قصة داود • واعلم أن مجامع ما ذكره الله تعالى في هذه القصة ثلاثة أنواع من الكلام • فالأول تفصيل ما آتى الله
تعالى داود من الصفات التي توجب سعادة الآخرة والدنيا • والثاني شرح تلك الواقعة التي وقعت • والثالث
استخلاف الله إياه بعد وقوع تلك الواقعة • أما النوع الأول وهو شرح الصفات التي آتاها الله داود من
الصفات الموجبة لكمال السعادة فهي عشرة • الأول قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون
واذكر عبدنا داود • فأمر محمدا صلى الله عليه وسلم على جلالة قدره بأن يقتدي في الصبر على طاعة الله بداود و
وذلك تشريف عظيم وإكرام تام لداود حيث أمر أفضل الخلق محمدا عليه الصلاة والسلام بأن يقتدي به في مكارم الأخلاق
والثاني أنه قال في حقه عبدنا داود فوصفه بكونه عبدا له • وعبر عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على نهاية
التعظيم وذلك غاية التشريف • ألا ترى أنه تعالى لما أراد أن يشرف محمدا عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج
قال سبحان الذي أسرى بعبده ليلا • فها هنا يدل ذلك التشريف لداود فكان ذلك دليلا على علو درجته وأيضا
فإن وصف الله الأنبياء والمؤمنين بعبوديته مشعر بأنهم قد حققوا معنى العبودية • بسبب الاجتهاد في الطا
والثالث قوله ذا الأيد أي ذا القوة في أداء الطاعات والاحتراز عن المعاصي • وذلك لأنه تعالى لما مدحه بالقوة
وجب أن تكون تلك القوة موجبة للمدح • والقوة التي توجب المدح العظيم ليست إلا القوة على فعل ما أمر به وترك
ما نهي عنه • والأيد المذكور ها هنا كالقوة المذكورة في قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة • وقوله وكتبنا له في الألواح
من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة أي باجتهاد في أداء الأمانة وتشدد في القيام بالدعوة • وترك
لإظهار الوهن والضعف • والأيد والقوة سواء • ومنه قوله هو الذي أيدك بنصره • وقوله وأيدناه بروح القدس
وقال والسماء بنيناها بأيد • وعن قتادة أعطي قوة في العبادة وفقها في الدين • فكان يقوم الليل ويصوم نصف
الدهر • الرابع قوله إنه أواب • أي كان داود رجاعا في أموره كلها إلى طاعتي • والأواب فعال من آب يؤوب
أي رجع كما قال إن إلينا إيابهم • وفعال بناء المبالغة • كما يقال قتال وضراب • فإنه أبلغ من قاتل وضارب
الخامس قوله إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق • ونظير هذه الآية قوله يا جبال أوبي معه والطير
وفيه مباحث • الأول في كيفية تسبيح الجبال وجوه • الأول أنه سبحانه خلق في جسم الجبل حياة وعقلا وقدرة

ونطق